



سلسلة جواهر التبليغ

# السيرة النبوية عند أهل البيت

على يد الإمام الزبير بن العوام

المجلد الأول

طبعة مزيدة ومنقحة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# السيرة النبوية عند أهل البيت

عَلَى كُرَى الرَّبِّ الْعَالَمِيِّ

المجلد الأول

الطبعة الثانية - منقحة ومزودة

2017-١٤٣٨



مجلس الشورى الإسلامي

شابک: ۹۷۸۶۰۰۶۶۱۲۸۸۱

نمبره کتابشناسی ملی: ۲۷۹۳۶۸

عنوان و نام پدیدآور: السیره النبویه عند اهل البیت علیهم السلام / علی الکورانی العامل.

مشخصات نشر: قم: دار النشر المعروف، ۱۴۳۸ ق. = ۲۰۱۷ م. = ۱۳۹۶.

مشخصات ظاهری: ج ۲ / یادداشت: عربی.

یادداشت: چاپ دوم / یادداشت: ج ۲ (چاپ دوم: ۱۴۳۸ ق. = ۲۰۱۷ م.).

یادداشت: کتاب حاضر اولین بار در سال ۱۳۸۸ تحت عنوان «جواهرالتاریخ: السیره النبویه عند اهل البیت (ع)» توسط انتشارات باقیات منتشر شده است.

عنوان دیگر: جواهرالتاریخ: السیره النبویه عند اهل البیت (ع).

موضوع: محدثان، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ ق. / موضوع: ۶۳۲. Muhammad, Prophet, d

موضوع: سنت نبوی / موضوع: \*Wonts of the Prophet

موضوع: اسلام -- تاریخ -- آغاز تا ۱۱ ق / موضوع: To -- History -- ۶۳۲ Islam

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۸۳

رده بندی کنگره: ۹۱۳۹۶ ج ۱/۴۶/۲۴ BP

سرشناسه: کورانی، علی، ۱۹۲۲ - م. - Kurani Ali

وضعیت فهرست نویسی: فنیبا

## السیره النبویه عند اهل البیت (ع)

المؤلف: علی الكوراني

. الناشر: دارالمعروف، قم المقدّسة.

. الطبعة: الأولى.

. تاريخ النشر: ذيقعدة ۱۴۳۸ هـق - July 2017

. المطبعة: باقری - قم المقدّسة.

. عدد المطبوع: ۳۰۰۰ نسخة.

شابک: ۹۷۸-۶۰۰-۶۶۱۲-۸۸-۱



مركز النشر والتوزيع

مركز النشر والتوزيع

إيران - قم المقدّسة - شارع مصلى القدس - رقم الدّار: ۶۸۲ . ص:ب- ۱۵۸- ۳۷۱۵۶ تلفون: ۳۲۹۳۶۱۷۵ (۰)۲۵۰۹۸

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للمؤلف

www.marroof.org

Email: nashremarroof@gmail.com

## مقدمة الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتمم السلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد فقد وفقني الله تعالى لكتابة السيرة النبوية عند أهل البيت عليهم السلام، وكتبت عن علي والزهراء صلوات الله عليهما، وعن الإمام الحسن السبط عليه السلام، وكذلك عن الأئمة زين العابدين، والكاظم، والجواد، والهادي، والعسكري، وعدة مجلدات عن الإمام المهدي صلوات الله عليهم.

وقد طالبني بعض العلماء الأجلاء بأن أكمل هذه الدورة في سيرة النبي وأهل البيت الأطهار عليهم السلام، فاستخرت الله تعالى وبدأت بتلبية طلبهم.

أسأله تعالى أن يهب لي التوفيق لإكمال هذا العمل المبارك، وأن يجعله ذخراً ليوم وقوفي بين يديه عز وجل، يوم يفوز به الفائزون بولاية النبي وآله الأطهار عليهم السلام.

كتبه بقلم المشرفة: علي الكوراني العاملي

في الثاني والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة ١٤٣٦



## تمهيد

### أهمية السيرة النبوية

للسيرة النبوية أهمية خاصة عند المسلم، فهي إيمانٌ وعلمٌ، وفقهٌ للرسول والرسل، وتعريفٌ له بنبيه الذي ينتمي إليه، ويتقرب إلى ربه بالإقتداء به ﷺ.

وأشهر كتاب وصل إلينا في السيرة ما عُرف بسيرة محمد بن إسحاق بن يسار «توفي ١٥١» ثم اختصره وغيره فيه عبد الملك بن هشام «توفي ٢١٨» فعُرف بسيرة ابن هشام، وذكر في أوله أنه تارك من سيرة ابن إسحاق: «أشعاراً ذكرها لم أرَ أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يُشنع الحديث به، وبعضٌ يسوء بعض الناس ذكره!» ومعناه أنه أراد كسب رضا العباسيين الذين ألف لهم كتابه، والذين يزعمون أن جدهم العباس وارث النبي ﷺ، ويزعم المنصور أنه رأى النبي ﷺ في منامه: «وعقد له لواءً أسود وعممه بعمامة من ثلاثة وعشرين دوراً، وأوصاه بأمته، وقال له: خذها إليك أبا الخلفاء إلى يوم القيامة!»

فأصدر المنصور أمره للمسلمين بتدوين رؤياه وقال: «ينبغي لكم أن تثبتوها في ألواح الذهب، وتعلقوها في أعناق الصبيان!» تاريخ بغداد: ٨٥/١، تاريخ دمشق: ٣٠١/٣٢، رواه ابن كثير في النهاية: ١٢٩/١٠ وحكم بصحة المنام!

على أن سيرة ابن إسحاق أيضاً فيها مشكلات، فقد عيّر فيها في مراحل حياته،



حيث كان أول أمره يتشيع للحسينين، ثم صار مع خصومهم العباسيين. وعاش في المدينة، ثم نفي منها إلى البصرة، وفارس، ثم عاش في بغداد. ولهذا صار لكتابه روايات متعددة، وقد اعتمد ابن هشام على رواية زياد البكائي دون غيرها، بينما قال في مقدمة القطعة التي عثروا عليها في المغرب: «ولسيرة ابن إسحاق رواة غير البكائي، وابن بكير، وبكر بن سليمان، وسلمة بن الفضل، وأصلها مطاع الطرابيشي في كتابه: رواة المغازي والسير إلى واحد وستين راوياً». «ابن إسحاق: موقع الوراق».

ويظهر أن نسخ هؤلاء الرواة فيها «تعديلات» ابن إسحاق على كتابه، وأنه حذف منه كثيراً من مناقب أهل البيت عليهم السلام، وما يمس بني أمية وبني عباس! ومن أمثلة ذلك حذف إسم العباس من أسرى بدر، مع أنه متواتر، وحذف ابن هشام لحديث الدار الذي نص على وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام، عند نزول قوله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ.

لذلك، فإن القيمة العلمية لسيرة ابن هشام وابن إسحاق منخفضة، وعلى الباحث فحص روايتها، ومقارنتها بالروايات الأخرى.

### كانت الخلافة تحرق مصادر السيرة!

اتفقت المصادر على أن أول من صنف في السيرة: عبيد الله بن أبي رافع مولى النبي صلى الله عليه وآله وهو قبطي: «هو أول من صنف في المغازي والسير». الذريعة: ١٧/١٥٣. قال في الشيعة وفنون الإسلام/٨٤: «الفصل الثامن في تقدم الشيعة في علم السير، فأول من وضعه عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله، صنف في ذلك على عهد أمير المؤمنين عليه السلام». وكان أبوه أبو رافع عليه السلام مرجعاً: «كان ابن عباس يأتي أبا رافع فيقول: ما صنع النبي صلى الله عليه وآله يوم كذا؟ ومع ابن عباس ألواح يكتب فيها». تقييد العلم لابن عبد البر/٩٢ والإصابة لابن حجر: ٤/١٢٥.

فأين هذا الكنز الثمين: كتاب ابن أبي رافع عليه السلام؟ لقد أحرقت الحكومات، ولا تعجب فقد كان الإحراق من صلب سياساتهم!

قال الزبير بن بكار في الموفقيات/٢٢٢، وهو من علماء السلطة: «قدم سليمان بن عبد الملك إلى مكة حاجاً سنة ٨٢ هـ، فأمر أبان بن عثمان أن يكتب له سير النبي ﷺ ومغازيه فقال له أبان: هي عندي قد أخذتها مصححةً ممن أثق به. فأمر سليمان عشرة من الكتاب بنسخها فكتبوها في رق، فلما صارت إليه نظر، فإذا فيها ذكر الأنصار في العقبين وفي بدر، فقال: ما كنت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل! وإنما أن يكون أهل بيتي غمصوا عليهم، وإما أن يكونوا ليس هكذا! فقال أبان: أيها الأمير لا يمنعنا ما صنعوا أن نقول بالحق، هم على ما وصفنا لك في كتابنا هذا! فقال سليمان: ما حاجتي إلى أن أنسخ ذلك حتى أذكره لأمر المؤمنين لعله يخالفه، ثم أمر بالكتاب فحرق! ورجع فأخبر أباه عبد الملك بن مروان بذلك الكتاب، فقال عبد الملك: وما حاجتك أن تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل، تُعرّف أهل الشام أموراً لا نريد أن يعرفوها! قال سليمان: فلذلك أمرت بتحريق ما نسخته!»!

فالميزان عند الخليفة: أن يكون في الكتاب مدحٌ لبني أمية، أما إذا كان فيه مدحٌ لآخرين فيقول لابنه: «وما حاجتك أن تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل!»  
وترى في هذا النص أن الخلافة تتبنى سياسة التعتيم والتجهيل، فقد قال لابنه: تُعرّف أهل الشام أموراً لا نريد أن يعرفوها! وقد طبقها الإبن وحرق ما كتبه له!

### كنوز من السيرة وعلوم الإسلام أحرقتها السلطة!

حرصت الحكومات القرشية على إحراق كتب شيعة أهل البيت ﷺ وإبادتها، ومع ذلك سلمت من نارهم ثروة كبيرة، تغطي كثيراً من فصول السيرة النبوية وليس كلها، ونراها أحياناً تستفيض بأوسع من السيرة الحكومية.  
ويكفيك مثلاً على سياستهم في إبادة العلم: كُتب جابر بن يزيد الجعفي، وكُتب أحمد بن عقدة، وكُتب سليمان الأعمش، وهم علماء موثقون عندنا وعندهم! فقد أحرقوا كتبهم أو فقدت من تلاميذهم في سنوات تشريدهم وتقتيلهم! وقد بلغت مؤلفاتهم نحو أربع مئة ألف حديث، أي مئتي مجلدًا!

قال مسلم في مقدمة صحيحه ١٥/ : «الجراح بن مليح يقول: سمعت جابراً يقول: عندي سبعون ألف حديث عن أبي جعفر «الباقر عليه السلام» عن النبي ﷺ كلها!»  
وقد أحضر المنصور سليمان الأعمش لئلا يلمنعه من رواية مناقب علي عليه السلام وقال له: «فأخبرني بالله وقرابتي من رسول الله كم رويت من حديث علي بن أبي طالب وكم من فضيلة من جميع الفقهاء؟ قلت: شئ يسير يا أمير المؤمنين! قال: كم؟ قلت: مقدار عشرة آلاف حديث وما يزداد! قال: يا سليمان ألا أحدثك بحديث في فضائل علي يأكل كل حديث رويته عن جميع الفقهاء؟ فإن حلفت لا ترويهِ لأحد من الشيعة حدثك به!» فضائل علي عليه السلام لابن المغازلي/ ٢٢٦.

وقال الشهيد نور الله التستري في الصوارم المهرقة/ ٢١٤: «إن أهل بغداد أجمعوا على أنه لم يظهر من زمان ابن مسعود إلى زمان ابن عقدة، من يكون أبلغ منه في حفظ الحديث. وأيضاً قال الدارقطني: سمعت منه أنه قال: قد ضبطت ثلاث مائة ألف حديث من أحاديث أهل البيت وبنو هاشم عليهم السلام، وحفظت مائة ألف حديث بأسانيدها! ونقل الذهبي عن عبد الغني بن سعيد أنه قال: سمعت عن الدارقطني قال: إن ابن عقدة يعلم ما عند الناس، ولا يعلم الناس ما عنده!

وقال الثلاثة: إن ابن عقدة كان يقعد في جامع براءنا من الكوفة، ويذكر مثالب الشيخين عند الناس، فلهذا تركوا بعض أحاديثه، وإلا فلا كلام في صدقه». وقد اشتهه الراوي فمسجد براءنا في بغداد، ومسكن ابن عقدة الكوفة.

وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ: ٣/ ٨٤٠: «قال الحاكم ابن البيهقي: سمعت أبا علي الحافظ يقول: ما رأيت أحفظ لحديث الكوفيين من أبي العباس بن عقدة.

وعن ابن عقدة قال: أنا أجيب في ثلاث مائة ألف حديث من حديث أهل البيت وبنو هاشم. حدث بهذا عنه الدارقطني. وعن ابن عقدة قال: أحفظ مائة ألف حديث بأسانيدها.. وقال أبو سعد الماليني: أراد ابن عقدة أن يتنقل، فكانت كتبه ست مائة حملة». وذكر نحوه في وسائل الشيعة: ٢٠/ ١٣١ وذكر قول الشيخ الطوسي فيه: «أمره في الثقة والجلالة والحفظ أشهر من أن يذكر».

وفي مجلة ترانثا: ١٨٠/٢١: «أفرد الذهبي رسالة عن حياته، مذكورة في مؤلفاته في مقدمة سير أعلام النبلاء باسم: ترجمة ابن عقدة. ترجم له أعلام العامة بكل تجلّة وتبجيل ووثقوه، وأثنوا على علمه وحفظه وخبرته وسعة اطلاعه، وأرخوا ولادته ليلة النصف من المحرم سنة ٢٤٩، ووفاته في ٧ ذي القعدة سنة ٣٣٢. ومن المؤسف أن هذا الرجل العظيم لم يبق من مؤلفاته الكثيرة الكبيرة سوى وريقات توجد في دار الكتب الظاهرية بدمشق، ضمن المجموعة رقم ٤٥٨١، باسم: جزء من حديث ابن عقدة من الورقة: ٩-١٥!»

أما اليوم فلا نجد حتى الترجمة التي كتبها الذهبي لابن عقدة! ويتضح حجم جريمة الحكومات في تضييع علم العترة عليهم السلام لو عرفت أن كل ألفي حديث تبلغ مجلداً تقريباً، وأن صحيح بخاري ومسلم وبقية الكتب الستة مع حذف المكرر تبلغ: ٩٧٨٠ حديثاً، وكل ما في الصحيحين: ٢٩٨٠ حديثاً.

<http://www.ahlalheeth.com/vb/showthread.php?t=25869>

فنكون أحاديث جابر بن يزيد الجعفي خساً وثلاثين مجلداً، أو سبعة أضعاف البخاري ومسلم وبقية الكتب الستة. والعشرة آلاف حديث التي يرويها سليمان الأعمش في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وحدها أكثر من مجموع الكتب الستة! أما أحاديث أحمد بن عقدة عن رسول الله صلى الله عليه وآله فتبلغ خمسين مجلداً، وأحاديثه عن أهل البيت عليهم السلام وبني هاشم، مئة وخمسين مجلداً!

ولم تكتفِ السلطة بمصادرة الكتب وإحراقها، حتى أفتى علماءها بأن كل من روى شيئاً فيه نقد ولو بسيط لأبي بكر وعمر، فحكّمه أن يدفن حياً!

قال الذهبي في ميزان الإعتدال: ٧٥/٢، عن العليل لأحمد بن حنبل: ٨/٣: «قال عبد الله بن أحمد: سألت ابن معين عنه» «زكريا بن يحيى الكساني» «فقال: رجل سوء يحدث بأحاديث سوء. قلت: فقد قال لي: إنك كتبت عنه؟ فحول وجهه وحلف بالله إنه لا أتاه ولا كتب عنه. وقال: يستأهل أن يحفر له بئر فيلقى فيها!»

وقال عنه ابن تيمية في منهاج السنة: ٧-٢٣٢: «لا يحتج به باتفاق أهل العلم، فإن

زكريا بن يحيى الكسائي قال فيه يحيى: رجل سوء يحدث بأحاديث يستأهل أن يحفر له  
بئر فيلقى فيها. قال ابن عدي: كان يحدث بأحاديث في مثالب الصحابة.»

فهل يجوز أن تحسر أجيال الأمة ثروة عظيمة بسبب روايات تنتقد بعض الصحابة؟  
أما كان الواجب على علماء الأمة أن يرووها ويردوا عليها؟! لكنهم صاروا أعداء العلم،  
لأنهم أطاعوا سياسة التعتيم والتجهيل الأموي التي قال عنها الخليفة لابنه: «تُعَرَّفْ  
أهل الشام أموراً لا نريد أن يعرفوها!»!

فحضرة الخليفة الذي يحدث ما يسمح بمعرفته للناس، ويحرق كل ما لم يعجبه!

### القرآن مصدر للسيرة لكنهم ضيعوا أسباب نزوله!

كان جبرئيل عليه السلام ينزل بآيات القرآن فيبلغها النبي صلى الله عليه وآله وسلم للصحابة، لكنهم لم يحفظوا  
أسباب نزولها وأوقاتها! بل نرى أن الصحابة صلوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم على مئات الجنائز،  
ثم اختلفوا هل كان يُكَبَّرُ على الجنازة أربع تكبيرات، أو خمساً!

إن هذه الحالة من عدم الضبط في الأمة، تستوجب وجود إمام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنده  
علم الكتاب ليبينه للأجيال بعلمٍ ويقين، لا بظنون واحتمالات كما فعل الصحابة!  
ولذا أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فأعدَّ علياً عليه السلام وصياً وخليفة وإماماً، وعلمه علم الكتاب،  
فجمعه بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته، وأكمل جمعه عند وفاته.

لكن قريشاً أبعدت علياً والعترة عليهم السلام عن السلطة، ولم تقبل منهم حتى نسخة القرآن  
التي جاءهم بها علي عليه السلام، خوفاً من أن تكون في غير مصلحتهم: «فلما توسطهم وضع  
الكتاب بينهم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إني خلف فيكم ما إن تمسكتم به لن  
تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وهذا الكتاب وأنا العترة! فقام إليه الثاني فقال  
له: إن يكن عندك قرآن فعندنا مثله فلا حاجة لنا فيكما! فحمل الكتاب وعاد به بعد  
أن ألزمهم الحججة!» المناقب: ٣٢٠/١.

فقد كان عليه السلام مأموراً من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يعرضه عليهم، فإن لم يقبلوه احتفظ به عند الأئمة  
من ذريته عليهم السلام حتى يظهره المهدي عليه السلام، وتركهم يجمعونه كما يريدون، حتى لا يكون للأمة

قرآنان. راجع: تدوين القرآن/ ١٨٢، ألف سؤال وإشكال: ٢٤٣/١.

ولهذا السبب تحببت الأمة في علوم القرآن وأسباب نزول آياته، فانظر من باب المثال إلى تهافت كلامهم في آخر آية نزلت، مع أنهم كانوا يومها ألوفاً:

١. روى أحمد: ٣٦/١ في مسنده عن ابن المسيب أن عمر سئل عن آية الربا فلم يعرفها فقال إنها آخر آية! «وإن رسول الله قبض ولم يفسرها!»

٢. وفي البخاري: ١١٥/٥: «وآخر آية نزلت: يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ».

٣. وفي البخاري: ١٨٢/٥: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا حُجْرًاؤُهُ جَهَنَّمُ. آخر ما نزل».

٤. وفي مستدرک الحاكم: ٣٣٨/٢ وصححه على شرط الشيخين: «آخر ما نزل من

القرآن: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ». يقصد الآيتين: ١٢٨ و١٢٩ من سورة التوبة.

٥. وفي صحيح مسلم: ٢٤٣/٨: «تَعْلَمُ آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ نَزَلَتْ جَمِيعاً؟ قلت نعم، إذا جاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ. قال: صدقت».

٦. وفي الطبراني الكبير: ١٩/١٢: «آخر آية أنزلت: وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ». يقصد

الآية: ٢٨١ من سورة البقرة!

٧. وكان السيوطي استحي من تهافت أحاديثهم الصحيحة في آخر ما نزل فأجملها

في الإتيان: ١٠١/١، ولم يعددها كما عدد الأقوال في أول ما نزل!

وهذا التناقض يوجب سقوط رواياتهم، فلا يبقى للباحث في أسباب النزول إلا ما

قاله أهل البيت عليهم السلام أو المجمع عليه وهو قليل، كآية: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ،

المجمع على نزولها بعد ثلاث سنين من البعثة، وأن الدعوة قبلها كانت لبني هاشم

خاصة حتى كفاه الله المستهزين. وهي مقطع مهم في السيرة، لأنها تعين سنة هلاك

عدد من الفراعنة، وتنفي وجود دعوة عامة قبل ذلك التاريخ.

شعر أبي طالب عليه السلام مصدر للسيرة

قال الإمام الصادق عليه السلام: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يعجبه أن يُرَوَى شعر أبي طالب وأن

يُدَوَّنَ وقال: تَعَلَّمُوهُ وَعَلِّمُوهُ أَوْلَادَكُمْ فَإِنَّهُ كَانَ عَلَى دِينِ اللَّهِ. وفيه علمٌ كثير». وسائل

الشيعة: ٣٣١/١٧، إيمان أبي طالب للمفيد/١٠ ومكاتيب الرسول للأحمدي: ٣٧٨/١.

وقد وصلنا منه نحو ألف بيت، وهي تكشف حقائق مهمة من سيرة النبي ﷺ من قبل البعثة، في كفالة عمه، وآياته التي شاهدها الراهب بحيرا، ومحاولة اليهود قتله، ثم بعثته وتكذيب قومه له، إلى قرب هجرته ﷺ!

قال الصالحى الشامى فى سبل الهدى: ١٤٢/٢: «وقال أبو طالب فى هذه السفرة قصائد، منها ما ذكره ابن إسحاق، وأبو هفان فى ديوان شعر أبي طالب.. الخ.».

وأبو هفان أقدم من جمع شعر أبي طالب ﷺ وشَرَّحَه، وهو عبدالله بن أحمد بن حرب بن مهزَّم البصرى النحوى، صاحب كتاب أشعار عبدالقيس. «الذريعة: ١٤/١٩٥ وإيضاح المكنون: ٤٩/٢». وذكره النجاشى كتبه فى رجاله: ٢١٨، وقال: «مشهور فى أصحابنا وله شعر فى المذهب. وبنو مهزَم بيت كبير بالبصرة فى عبدالقيس».

وقد اشتهر من شعر أبي طالب لاميته الرائعة، التى أرخ فيها لهيجان طغاة قريش ضد النبى ﷺ فى مطلع نبوته، وقد مدحها العلماء حتى النواصب، لكنهم لم يستشهدوا بها فى تدوينهم السيرة النبوية، لأنها تفضح زعماء قريش!

وأوردها ابن كثير فى النهاية: ٧٠/٣ برواية ابن هشام، ورد تشكيك بعضهم فى نسبة بعض أبياتها إلى أبي طالب، وقال عنها: «قلت: هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً، لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت إليه، وهى أفحل من المعلقات السبع وأبلغ فى تأدية المعنى منها جميعاً، وقد أوردها الأموي فى مغازيه مطولة بزيادات آخر». ويقصد بالأموي المؤرخ الوليد بن مسلم صاحب الأوزاعي مولى الأمويين توفى سنة ١٩٥، له مصنفات فى الحديث والتاريخ والمغازي. الديباج: ٣٤/١.

لكن أتباع السلطة أعرضوا عنها متعمدين لأنهم يبغضون علياً ﷺ، وقد يصل بغضهم بسببه إلى النبى ﷺ، ولا عذر لهم فى ترك شعر أبي طالب حتى لو اعتبروه كافراً ﷺ، لأن شعره وثائق من شاهد على أحداث السيرة.

## أهل البيت عليهم السلام أدري بسيرة جددهم عليه السلام وأصدق

يشهد الجميع بأن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام: علياً والحسين وزين العابدين والباقر والصادق والكاظم والرضا والجلاد والهادي والعسكري والمهدي عليهم السلام أعرف بسيرة جددهم عليهم السلام وأصدق من غيرهم، ومع ذلك يُعرضون عنهم متعمدين يأخذون السيرة من رواة مغرضين ويجعلون قولهم ديناً يدينون به! وكمثال على ذلك ما نسبوه إلى النبي صلى الله عليه وآله بأنه اقتصد من أشخاص قتلوا رعاة إبل الصدقة، ففقأ عيونهم بمسامير محماة، ثم أحرقتهم بالنار أو تركهم ينزفون!

فقد رواه بخاري عن أنس: ٦٤/١ قال: «قدم أناس من عكل أو عرينة فاجتروا المدينة «مرضوا من هوائها» فأمر لهم النبي بلقاح «نوق حلوبة» وأن يشربوا من أبوالها وألبانها فانطلقوا، فلما صحوا قتلوا راعي النبي صلى الله عليه وآله واستاقوا النعم، فجاء الخبر في أول النهار فبعث في آثارهم، فلما ارتفع النهار جئ بهم، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسُمَّرَتْ أعينهم، وألقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون»!

وفي: ٢٢/٤: «أمر بمسامير فأحيت فكحلهم بها، وطرحهم بالحرّة حتى ماتوا»!

وقد رووا استنكار أهل البيت عليهم السلام لهذه التهمة للنبي صلى الله عليه وآله لكنهم لم يقبلوا منهم!

قال الإمام الباقر عليه السلام: «إن أول ما استحل الأمراء العذاب لكذبة كذبها أنس بن مالك على رسول الله صلى الله عليه وآله أنه سَمَّرَ يد رجل إلى الحائط! ومن ثم استحل الأمراء العذاب»! علل الشرائع: ٥٤١/٢. راجع ألف سؤال وإشكال: ٤٤٠/٢.

وقد أفنى الشافعي بجواز التعذيب. «الأئم: ٢٥٩/٤» قال: «وكان علي بن حسين ينكر حديث أنس في أصحاب اللقاح.. قال: والله ما سمل رسول الله عيناً، ولا زاد أهل اللقاح على قطع أيديهم وأرجلهم».

وهكذا جعلت السلطة أنس الصحابي كذاباً على النبي صلى الله عليه وآله لإثبات مشروعية تعذيب مخالفيها، وانتزاع الاعتراف منهم لقتلهم! ولو قبلوا من أهل البيت عليهم السلام تبرئة النبي صلى الله عليه وآله، وكذبوا رواة السلطة لكانوا علماء بحق!



## هدف الكتاب وفروقه عن السيرة الرسمية

١. اهتم علماءنا بالسيرة وألّفوا فيها كتباً وفصولاً. وكتب أخيراً العالم الصديق السيد جعفر مرتضى العاملي موسوعته: الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ، في أكثر من ثلاثين مجلداً، حاكم فيها بتفصيل مسائل السيرة الرسمية عند حكومات الخلافة القرشية. لكن بقيت الحاجة إلى سيرة تركز على أحاديث أهل البيت ﷺ وكلمات علماء مذهبهم. لذا قمت بتدوين أحداث السيرة متبوعاً أولاً برواية أئمة أهل البيت ﷺ ثم كلام علماء مذهبهم، أو ما ارتضوه من رواية غيرهم.

وكان لا بد أحياناً من محاكمة الرواية المشهورة بما يناسب الكتاب، لتكتمل الصورة الناصعة لسيرة النبي ﷺ منزّهةً عن أهواء الحكام، وتخليط روايتهم.

أما فروقها عن السيرة الحكومية الرسمية فتعرفه بمقارنته فهرسها بفهارس السيرة الرسمية، لتجد أولاً التسلسل المنطقي والعمق العلمي والحدائث في كل فصل، وتجد العنونة حيث لم يعنونوا، وفروقاً في أسباب الأحداث، وإظهاراً لحقائق كثيرة، وكشفاً لتحريف الرواية الحكومية.

٢. نعتقد بعصمة نبينا ﷺ عصمة شاملة قبل البعثة وبعدها، في تبليغ الرسالة، وفي أموره الشخصية، بدليل: قوله تعالى: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. وقول علي عليه السلام: ولقد قرن الله به من لدن أن كان فظياً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم. فقد كان النبي ﷺ من طفولته نبياً، أما في الأربعين فبعث رسولاً.

أما قوله تعالى: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ. وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ. وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ «الضحى»: فمعناه أن من نعم الله عليك أنه هباً لك جدك عبد المطلب وعمك أباطال ﷺ فكفلاك في يتمك ونشأتك. ومن نعمه عليك أنه هداك من صغرك، لكنك كنت متحيراً ضالاً فمياً يجب عليك عمله، فهداك بالرسالة إلى دعوة الناس إلى دينه. ووجدك عائلاً عليك نفقة بيتك ومن تريد مساعدتهم، فأغناك بخديجة فوهبتك ثروتها، كما وهبت سارة ثروتها لإبراهيم عليه السلام.

وأفرط بعض أتباع السلطنة ففسروا: وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى، بأنه ﷺ كان كافراً والعياذ بالله! ورده الرازي في تفسيره: ٢١٦/٣١، وفسره بأن النبي ﷺ كان ضالاً عن النبوة، لأنه لم يكفر بالله تعالى طرفه عين. ومذهبا أنه ﷺ كان نبياً من صغره، وكان يرافقه ملك من لدن أن كان طفياً، فلا بد أن يكون معنى الضلال الحيرة فيما يجب أن يفعله هداية الناس، وليس الحيرة في ربه عز وجل.

قال الشريف المرتضى ﷺ في تنزيه الأنبياء ﷺ: ١٥٠/١٥٠: «في معنى هذه الآية أجوبة: أوها: أنه أراد وجدك ضالاً عن النبوة فهذاك إليها، أو عن شريعة الإسلام التي نزلت عليه وأمر بتبليغها إلى الخلق. لأن الضلال هو الذهاب والإنصراف فلا بد من أمر يكون منصرفاً عنه». وقال أهل البيت ﷺ إن معنى آوى: آوى اليك المؤمنين، ومعنى فهدي: هداهم اليك». تنزيه الأنبياء ١٥١/١٥١. عيون أخبار الرضا ﷺ: ١٧٧/٢. كتاب عصمة الأنبياء للفقير الرازي/٩٢. أخذ أكثره من تنزيه الأنبياء للشريف المرتضى ﷺ!

الكتاب  
التنزيه  
للشريف  
المرتضى

٣. نعتقد بإيمان آباء النبي ﷺ إلى إسماعيل وإبراهيم وآدم ﷺ، وأن أجداده وعمه أباطالب كانوا على ملة إبراهيم ﷺ الحنيفة، ولم يكونوا مكلفين باليهودية ولا بالمسيحية.

٤. كان اليهود ينتظرون بعثة النبي الخاتم من الجزيرة، وجاءت لذلك مجموعات منهم بعد عيسى ﷺ، وسكنت في وادي القرى، وخيبر، والمدينة، ومكة، وغيرها.

٥. في السابعة والثلاثين من عمره ﷺ كان يأتيه جبرئيل ﷺ ويعلمه، وفي الأربعين بدأ نزول الوحي عليه، وكان في أفق مبين واضح كما نص القرآن، ولم يكن في جو عنفٍ وشكٍّ كما يرويه البخاري، بل نعتبر ذلك من طعن قريش في نبينا ﷺ أو من جهالة الراوي.

٦. انتشر خبر بعثته ﷺ فاستشاط زعماء قريش غضباً، واتخذوا قراراً بقتله قبل أن يسمعو حجته! لأنه نقض اتفاقية توزيع مناصب الشرف بين قبائل قريش ودعا إلى

زعامة بني هاشم! ثم أمره الله تعالى أن يدعو عشيرته الأقرين ويتخذ منهم وزيراً ووصياً، فقام بذلك، فزاد ذلك من غضب قريش واعتبروه نبأ عظيماً، لأنه جعل وصيه من عشيرته بني هاشم!

فالمرحلة الأولى من الدعوة، كانت خاصة ببني هاشم وتوحيدهم للحماية النبي ﷺ ومدتها ثلاث سنوات، لم يدعُ فيها النبي ﷺ غيرهم، حتى أهلك الله الفراعنة المستهزئين الخمسة وأوحى إليه: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ، فبدأ بالدعوة العامة.

وقد حَرَفَ رِوَاةَ السُّلْطَنَةِ بِسِرِّيَةِ الدَّعْوَةِ، لِأَنَّ سَرِيَّتَهَا انْحَصَرَتْ بِمَنْ كَتَمُوا إِسْلَامَهُمْ خَوْفًا مِنْ قَرِيْشِ كَعْبَارٍ، أَوْ كَتَمُوهُ حَرَصًا عَلَى نَجَاحِ الدَّعْوَةِ كَأَبِي طَالِبٍ وَهَمَزَةٍ.

أما النبوة وآيات القرآن وسوره فكانت علنية.

٧. ضَخَّم رِوَاةَ السُّلْطَنَةِ دَارَ الْأَرْقَمِ وَجَعَلُوهَا مَرِحَلَةً فِي دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِإِثْبَاتِ مَنَاقِبِ لِبَعْضِ الْقَرَشِيِّينَ، وَادْعَاوِ أَنْ الْمُسْلِمِينَ خَرَجُوا مِنْ دَارِ الْأَرْقَمِ إِلَى الْمَرِحَلَةِ الْعَلْنِيَةِ، وَلَا وَجُودَ لِمَرِحَلَةِ دَارِ الْأَرْقَمِ أَصْلًا، وَلَا لِإِسْلَامِ عَمْرٍ وَأَبِي بَكْرٍ فِي الْفَتْرَةِ الْأُولَى.

٨. كَانَتِ الْهَجْرَةُ إِلَى الْحَبْشَةِ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَلَمْ يَرْجِعِ الْمُسْلِمُونَ خَطَأً كَمَا زَعَمُوا لَمَّا مَدَحَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْنَامَ قَرِيْشٍ، وَوَصَفَهَا بِأَنَّهَا الْغَرَائِقُ الْعَلَى وَأَنَّ شِفَاعَتَهَا تَرْجَى.

٩. بَيَّنَّا الرِّوَايَةَ الصَّحِيحَةَ لِمَحَاصِرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَبَنِي هَاشِمٍ فِي شَعْبِ أَبِي طَالِبٍ، وَمَدَّتْهَا، وَرَدَدْنَا مَا ادَّعَاهُ لِبَعْضِ زَعَمَاءِ قَرِيْشٍ أَنَّهُمْ عَمِلُوا لِنَقْضِ صَحِيفَةِ الْمَحَاصِرَةِ!

١٠. بَيَّنَّا أَنَّ الصَّحِيحَ أَنَّ وَفَاةَ أَبِي طَالِبٍ وَخَدِيْجَةَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كَانَتْ قَبْلَ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِسَنَةِ وَأَشْهُرٍ، وَلَيْسَ بِثَلَاثِ سِنَوَاتٍ، كَمَا قِيلَ.

١١. عَرَضَ النَّبِيُّ ﷺ نَفْسَهُ عَلَى نَحْوِ ثَلَاثِينَ قَبِيلَةً لِيَحْمُوهُ مِنْ قَرِيْشٍ فَيَبْلِغُ رِسَالَةَ رَبِّهِ، وَقَبِلَتْ بَعْضُهُ الْقَبَائِلَ حِمَايَتَهُ بِشَرْطِ أَنْ تَكُونَ لَهَا الْخِلَافَةُ بَعْدَهُ فَرَفِضَ، وَأَخَذَ الْبَيْعَةَ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى أَنْ يَحْمُوَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ كَمَا يَحْمُونَ أَنْفُسَهُمْ وَذُرَارِيَهُمْ وَلَا يَنْزَعُوهُمْ الْأَمْرَ.

١٢. زاد الخطر على حياة النبي ﷺ بعد وفاة عمه أبي طالب ﷺ حتى اختبأ لفترة في الحجون، وتساعد عملهم لقتله حتى طوقوا بيته فخرج مهاجراً بدون أن يشعروا، وأنام علياً عليه السلام مكانه. وفي طريقه ﷺ وجد أبا بكر وغلامه فأخذهما معه، وجاء علي في اليوم التالي إلى الغار وجهزهم فهاجروا، ومعهم دليلهم عبدالله بن أريقط الجهني.

١٣. أدى علي عليه السلام أمانات النبي ﷺ في مكة، ونجا من محاولة اغتيال، وكانت هجرته ببقية أهل بيت النبي ﷺ الهجرة العلنية الوحيدة، وبعثت له قريش مجموعة فرسان ليردوه، فقتل قائدهم وانهمز الباقون. وكان النبي ﷺ في انتظاره في قباء، ولما وصل إليه أخبره أن الله أنزل فيه وفي الفواطم آيات تمدحهم.

١٤. طلب أبو بكر من النبي ﷺ أن يدخل المدينة ولا ينتظر علياً عليه السلام في قباء، فأصر على انتظاره، فغضب أبو بكر وتركه في قباء وذهب إلى السنح، ولم يحضر هو ولا عمر في قباء ولا في دخول النبي ﷺ إلى المدينة.

١٥. أرسى النبي ﷺ أسس دولته في المدينة، وعقد معاهدات مع اليهود، وآخى بين المسلمين واختار علياً عليه السلام فأخاه.

١٦. كان انتصار المسلمين في بدر كاسحاً، وقامت المعركة على أكتاف بني هاشم، وكان بطلها الأكبر علي عليه السلام، حيث قتل أكثر نصف السبعين فارساً، وقتل المسلمون أقل من نصفهم. ونزلت آية تأكيد الخمس لبني هاشم، وكان تشريع الخمس قبل بدر.

١٧. نزلت سورة الأنفال بعد بدر وفيها ذم مرضى القلوب، وتوبيخ بعضهم لفرارهم من الصف الأول، واختلافهم على الغنائم، واتهامهم النبي ﷺ بأنه أخفى عباءة! ولم يستفد الصحابة من توبيخهم في بدر فانهمزوا في أحد وتركوا النبي ﷺ لسيوف المشركين، وطعنوا في قيادته وإدارته وقالوا: لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا! وثبت مع النبي ﷺ أبو دجانة ونسيبة فجرحا، وثبت علي عليه السلام وقاتل وحده حتى دفع الله المشركين وهزمهم!

١٨. وفي غزوة الأحزاب طالت محاصرة المشركين للمدينة نحو شهر، فخاف المسلمون وفر أكثرهم من المرابطة وتسللوا إلى المدينة بأعذار مختلفة! حتى بقي مع النبي ﷺ ذات ليلة في حراسة الخندق اثنا عشر شخصاً فقط! وتواطأ بعضهم مع المشركين فعبروا فرساناً منهم من نقطة من الخندق بقيادة فارس العرب عمرو بن ود العامري، فدعا النبي ﷺ الصحابة إلى مبارزته فخافوا، فبرز اليه علي بن أبي طالب وقتله وقتل بعض رفاقه، فهرب الباقيون ووقع الرعب في المشركين، وأرسل الله عليهم الريح فتمت هزيمتهم.

١٩. في غزوة النبي ﷺ ليهود بني قينقاع والنظير وقريظة، كان بطل الإسلام علي بن أبي طالب فقتل عدداً من أبطالهم، فخضعوا لشرط النبي ﷺ بالجلء عن المدينة.

٢٠. وكان لعلي بن أبي طالب أدوار في غزوة الحديبية، فعمم عليها رواة السلطة، وبينهاها!

٢١. وكانت خيبر قسمين: حصون النظاة وأهمها حصن ناعم، وحصون الشق وأهمها حصن القموص. فحاصر النبي ﷺ حصن ناعم وهاجمه علي بن أبي طالب فدحا بابه وفتحه، ثم أبقاه النبي ﷺ هناك لترتيب وضعها، واتجه إلى حصن القموص فحاصره لمدة شهر أو نحوه، فكان المسلمون يهاجمونه يوماً تقريباً ويرجعون مهزومين! حتى طلبوا من النبي ﷺ أن يحضر علياً بن أبي طالب فأحضره وأخبرهم أنه سيفتح الحصن، فهاجم علي بن أبي طالب الحصن وحده ودحا بابه الحديدي الثقيل، وقتل بطلمهم مرحباً، وفتح الحصن!

٢٢. وفي غزوة حنين انهزم المسلمون، وكانوا نحو عشرة آلاف، فثبت مع النبي ﷺ بنو هاشم فقط، وقاتل علي بن أبي طالب وحده فقتل أربعين من حملة الرايات، وحقق النصر!

ثم حاصر النبي ﷺ حصن الطائف، وكان المسلمون يهاجمونه فلم يستطيعوا فتحه، وكان علي بن أبي طالب في مهمة عسكرية، فاتفق النبي ﷺ مع ثقيف وأنهى حصار الطائف.

٢٣. بعد حنين أرسل النبي ﷺ علياً بن أبي طالب إلى اليمن مرات، فاستكمل فتحها وترتيب

أوضاعها، وكانت له فيها جولات وبطولات، أخفاها رواة السلطنة.

٢٤. تتميز هذه السيرة بتسليط الضوء على خلافة النبي ﷺ وإثبات أنها كانت مطروحة من أول بعثته لما أمره الله تعالى بأن يدعو عشيرته الأقربين، ويطلب منهم وزيراً يبايعه على دعوته ليتخذه أخاً ووصياً، فاستجاب له علي عليه السلام فأعلنه: «أخاه ووزيره ووصيه وخليفته من بعده» وأمرهم بطاعته، فقال أبو لهب لأبي طالب: لقد أمرك بأن تطيع ابنك هذا!

وكان النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل لتحميه، فاستجابت له عدة قبائل، لكنها اشترطت أن تكون لها الخلافة بعده، فلم يقبل.

ثم كانت الخلافة مطروحة عند منافسي علي عليه السلام فانقسم المسلمون في عهد النبي ﷺ إلى شيعة علي وبغضيه، وكان النبي ﷺ يمدح علياً عليه السلام وشيعته، ويذم من أبغضهم.

ثم كانت مطروحة بعد فتح مكة، وكانت الشغل الشاغل لقريش وحلفائها اليهود، فحاولوا اغتيال النبي ﷺ مراراً، ليأخذوا دولته ويفرضوا خليفة منهم! في الختام ننبه إلى أن مصادرنا هي من طبعة برنامجنا «مكتبة أهل البيت عليهم السلام - الإصدار الثاني». وننبه إلى أننا قد نذكر الصلاة على النبي ﷺ كاملة وهي في المصدر ناقصة. نسأل الله تعالى بجاه أحب خلقه إليه محمد وآله الطاهرين ﷺ أن يتقبل منا هذا العمل ويشملنا بشفاعته صلوات الله عليه وآله المعصومين.

كتبه بقم المشرفة: علي الكوراني العاملي

غرة ربيع المولد ١٤٢٩ ثم في ربيع المولد سنة ١٤٣٦





## الفصل الأول

### أول ما خلق الله نور النبي ﷺ

#### ١. عوالم وجودنا قبل هذا العالم

إن وجودنا الفعلي ليس أول وجودنا ولا آخره، فقد تظافرت الأدلة من القرآن والسنة وكشوف العلم، على أننا كنا موجودين في عوالم قبل عالمنا هذا، واشتهر منها عالم الذر الذي قال الله تعالى عنه: **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ سَهِدْنَا..**

وقد نصت الآيات والأحاديث على أن الله امتحن الناس في عالم الذر امتحاناً كاملاً شاملاً، وأن عملنا في هذا العالم تطبيقاً لما اخترناه بإرادتنا الكاملة هناك.

وورد أن الناس تعارفت أرواحهم في عالم الذر، فاثتلفوا أو اختلفوا.

ويسمى عالم الأظلة أيضاً، وفي بعض الروايات عالم الأشباح النورانية، وعالم الأنوار الأولى، وأنه أول ظلال أو فم خلقه الله تعالى من نور عظمته.

كما ورد إسم عالم الطينة، بمعنى الأصل الذي خلق منه الناس.

كما أن قوله تعالى: **هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ جِئٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً**، يشير إلى عالم للإنسان حين كان شيئاً ولكن غير مذكور. راجع العقائد الإسلامية: ٦٠/١.



## ٢. خلق الله نور نبينا وآله ﷺ قبل هذا العالم

وأحاديثه في مصادرنا ومصادر غيرنا كثيرة، وقد بحثها السيد الميلاني في المجلد الخامس من «نفحات الأزهار»، ونورد منها:

أ. ما نص على أن الله تعالى خلق نور النبي ﷺ قبل خلق الخلق، كما في الخصال/ ٤٨١ عن علي عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد ﷺ قبل أن خلق السموات والأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار، وقبل أن خلق آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى عليهم السلام...»  
وخلق الله عز وجل معه اثني عشر حجاباً: حجاب القدرة، وحجاب العظمة، وحجاب المنة، وحجاب الرحمة، وحجاب السعادة وحجاب الكرامة، وحجاب المنزلة، وحجاب الهداية، وحجاب النبوة، وحجاب الرفعة، وحجاب الهيبة، وحجاب الشفاعة. ثم حبس نور محمد ﷺ في حجاب القدرة اثني عشر ألف سنة وهو يقول: سبحان عالم السر، وفي حجاب المنة عشرة آلاف سنة وهو يقول: سبحان من هو قائم لا يلهو.. الخ..».

فهو صريح بأنه ﷺ خلقه الله تعالى قبل كل شيء.

ب. ومنها أن عترة النبي ﷺ خلقوا مع نوره ﷺ ففي الكافي/ ١/ ٤٤٢: «قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا جابر إن الله أول ما خلق خلق محمداً وعترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدي الله. قلت: وما الأشباح؟ قال: ظل النور، أبدان نورانية بلا أرواح، وكان مؤيداً بروح واحدة وهي روح القدس فبه كان يعبد الله وعترته، ولذلك خلقهم حلماً علماء بررة أصفياء، يعبدون الله بالصلاة والصوم والسجود والتسبيح والتهليل، ويصلون الصلوات، ويحجون ويصومون».

ج. ومنها أن نبينا ﷺ أول من أجاب في عالم الذر عندما خلق الله البشر، وامتحنهم، ففي بصائر الدرجات/ ٨٣، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن بعض قريش قال لرسول الله ﷺ: بأي شيء سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ قال: إني كنت

أول من أقرّ بربي، وأول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين و: أَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمُ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى، وَكُنْتُ أَنَا أَوْلَى نَبِي قَال بَلَى، فَسَبَقْتَهُمْ بِالْإِقْرَارِ بِاللَّهِ».

د. ومنها: أن الله تعالى بعث نبينا ﷺ نبياً للناس في عالم الأظلة، ففي تفسير العياشي: ١٢٦/٢، عن زرارة وحميران، عن أبي جعفر وأبي عبد الله ﷺ قالا: «إن الله خلق الخلق وهي أظلة فأرسل رسوله محمداً ﷺ فمنهم من آمن به ومنهم من كذبه، ثم بعثه في الخلق الآخر فأمن به من كان آمن في الأظلة، وجحد به من جحد به يومئذ، فقال: فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ».

وفي بصائر الدرجات: ١٠٤: «سألت أبا عبد الله ﷺ عن قول الله تبارك وتعالى: هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى. قال: يعني به محمداً ﷺ، حيث دعاهم إلى الإقرار بالله في الذر الأول».

هـ. ومنها: أن النبي وآله ﷺ كانوا حول العرش، وأنهم الكلمات التي تلقاها آدم ﷺ ففي شرح الأخبار: ٦/٣، عن صفوان الجمال قال: «دخلت على أبي عبد الله جعفر بن محمد ﷺ وهو يقرأ هذه الآية: فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، ثم التفت إلي فقال: يا صفوان إن الله تعالى ألهم آدم ﷺ أن يرمي بطرفه نحو العرش فإذا هو بخمسة أشباح من نور يسبحون الله ويقدمون، فقال آدم: يا رب من هؤلاء؟ قال: يا آدم صفوتي من خلقي، لولا هم ما خلقت الجنة ولا النار، خلقت الجنة لهم ولمن والاهم، والنار لمن عاداهم. لو أن عبداً من عبادي أتى بذنوب كالجبال الرواسي، ثم توسل إليّ بحق هؤلاء لعفوت له. فلما أن وقع آدم في الخطيئة قال: يا رب بحق هؤلاء الأشباح أغفر لي، فأوحى الله عز وجل إليه: إنك توسلت إلي بصفوتي وقد عفوت لك. قال آدم: يا رب بالمغفرة التي غفرت إلا أخبرتني من هم؟ فأوحى الله إليه: يا آدم هؤلاء خمسة من ولدك، لعظيم حقهم عندي اشتقت لهم خمسة أسماء من أسمائي، فأنا المحمود وهذا محمد، وأنا الأعلى وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا المحسن وهذا الحسن، وأنا الإحسان وهذا الحسين».

و. ومنها: أن الله تعالى خلق أربعة عشر معصوماً ﷺ من نور عظمته، ففي المحتضر / ٢٢٨، عن أبي جعفر ﷺ قال: «إن الله عز وجل خلق أربعة عشر نوراً من نور عظمته قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فهي أرواحنا. فقيل له: يا ابن رسول الله عدّهم بأسائهم فمن هؤلاء الأربعة عشر نوراً؟ فقال: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والتسعة من ولد الحسين، تاسعهم قائمهم. ثم عددهم بأسائهم وقال: نحن والله الأوصياء الخلفاء من بعد رسول الله ﷺ، ونحن المثاني التي أعطها الله تعالى نبينا محمداً ﷺ، ونحن شجرة النبوة، ومنبت الرحمة، ومعدن الحكمة، ومصباح العلم، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وموضع سر الله، ووديعه الله جل اسمه في عباده، وحرم الله الأكبر، وعهده المسؤول عنه، فمن وفي بعهدنا فقد وفي بعهد الله، ومن خفره فقد خفر ذمة الله وعهده، عرفنا من عرفنا، وجهلنا من جهلنا. نحن الأسماء الحسنى الذين لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا، ونحن والله الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه.

إن الله تعالى خلقنا فأحسن خلقنا، وصورنا فأحسن صورنا، وجعلنا عينه على عباده، ولسانه الناطق في خلقه، ويده المبسوطة عليهم بالرأفة والرحمة، ووجهه الذي يؤتى منه، وبابه الذي يدل عليه، وخزان علمه، وتراجمة وحيه، وأعلام دينه، والعروة الوثقى، والدليل الواضح لمن اهتدى، وبنا أثمرت الأشجار، وأنبعت الثمار، وجرت الأنهار، ونزل الغيث من السماء، ونبت عشب الأرض، وعبادتنا عبد الله تعالى ولولانا لما عرف الله تعالى، وأيم الله لولا كلمة سبقت وعهد أخذ علينا لقلت قولا يعجب منه أو يذهل منه الأولون والآخرون».

ز. ومنها: أحاديث خلق نور علي ﷺ مع نور النبي ﷺ، وقد رواها الجميع، ففي مناقب علي لأبي بكر بن مردويه/ ٢٨٥، أن النبي ﷺ قال: «كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم قسم ذلك النور جزئين، فجزء أنا وجزء علي».

كما روى ابن مردويه بسنده عن الباقر ﷺ عن آبائه عن جده ﷺ، قال: «كنت أنا وعلي

نوراً بين يدي الله تعالى من قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله تعالى آدم سلك ذلك النور في صلبه، فلم يزل الله تعالى يتقله من صلب إلى صلب، حتى أقره في صلب عبد المطلب، فقسمه قسمين: قسماً في صلب عبدالله، وقسماً في صلب أبي طالب، فعلي مني وأنا منه، لحمه لحمي، ودمه دمي، فمن أحبه فبحبي أحبه، ومن أبغضه فببغضي أبغضه».

ومثله الخصال للصدوق/٦٤٠. وأمالى الطوسي/١٨٣، وفيه: «فجعل في عبدالله نصفاً، وفي أبي طالب نصفاً، وجعل النبوة والرسالة فيّ، وجعل الوصية والقضية في علي، ثم اختار لنا إسمين اشتقهما من أسماؤه، فالله المحمود وأنا محمد، والله العلي وهذا علي، فأنا للنبوة والرسالة وعلي للوصية والقضية».

ورواه العلامة في كشف اليقين/١١ ونهج الحق/٢١٢، عن ابن مردويه وابن حنبل، وابن المغازلي وفيه: «حتى قسمه جزئين، فجعل جزءاً في صلب عبدالله، وجزءاً في صلب أبي طالب فأخرجني نبياً، وأخرج علياً ولياً».

ح. ومنها أن الله تعالى خلق نور نبيه ﷺ وخلق معه نور علي وفاطمة عليهما السلام.  
«في الكافي: ٤٤١/١»: «عن محمد بن سنان قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فأجريت اختلاف الشيعة فقال: يا محمد إن الله تبارك وتعالى لم يزل متفرداً بوحدانيته، ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة عليهن السلام فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها، وفوض أمورها إليهم، فهم يحملون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون، ولن يشاؤوا إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى».

ثم قال: يا محمد، هذه الديانة التي من تقدمها مرق، ومن تخلف عنها محق، ومن لزمها لحق، خذها إليك يا محمد».

### ٣. أحاديث خلق نور النبي ﷺ في مصادر السنين

أ. روت عدداً منها مصادرهم وصححوها بعضهم وضعفوا أكثرها، وجرده من ذكر العترة! ففي مجمع الزوائد: ٢٢٣/٨: «عن ميسرة العجر، قال: قلت يا رسول الله متى كتبت نبياً؟ قال: وآدم بين الروح والجسد. رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح». ب. وأشهرها حديث: كنت أنا وعليٌّ نوراً بين يدي الرحمان، رواه ابن حنبل في فضائل الصحابة: ٢٦٢/٢، عن سلمان قال: «سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم قسم ذلك النور جزئين، فجزء أنا وجزء علي».

وقد اجتزأه ابن حنبل، لأن نصه كما في تاريخ دمشق: ٦٧/٤٢: «كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله، مطيعاً، يسبح الله ذلك النور ويقدسه، قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام. فلما خلق الله آدم ركز ذلك النور في صلبه، فلم نزل في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب، فجزء أنا وجزء علي».

وهذا النص مجتزأ أيضاً، فقد نقله في شرح النهج: ١٧١/٩ عن الفردوس وقال: «رواه أحمد في المسند، وفي كتاب فضائل علي، وذكره صاحب كتاب الفردوس، وزاد فيه: ثم انتقلنا حتى صرنا في عبد المطلب، فكان لي النبوة ولعلي الوصية».

ولا تجده في مسند أحمد فلا بد أنه حذف، وبقي في مناقب الصحابة، أما في الفردوس فنصه الموجود: ٢٨٣/٣ كرواية أحمد، وكذا في الرياض النضرة للطبري/٣٩٢!

ج. ومنها حديث العرياض رواه أحمد: ١٢٧/٤: «قال رسول الله ﷺ: إني لعبد الله وخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طيئته، وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت. وكذلك أمهات النبيين يرين». ورواه الحاكم: ٤١٨/٢ و٦٠٠ و٦٠٨، صححه، وكنز العمال: ٤٠٩/١١، ٤١٨/١١، ٤٤٩ و٤٥٠ والدر المنثور: ١٣٩/١ و١٨٤/٥ و٢٠٧ و٢١٣/٦.

وفي مجمع الزوائد: ٢٢٣/٨: رواه أحمد بأسانيد، والبيزار والطبراني.. رجاله رجال الصحيح».

د. ومنها: حديث: أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر، قال في كشف الخفاء: ٢٦٥/٨

«رواه عبدالرزاق بسنده عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شئ خلقه الله قبل الأشياء؟ قال: يا جابر، إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم، ولا جنة ولا نار، ولا ملك ولا سماء ولا أرض، ولا شمس ولا قمر، ولا جني ولا إنسي! فلما أراد الله أن يخلق الخلق قَسَم ذلك النور أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول حملة العرش، ومن الثاني الكرسي، ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء: فخلق من الأول السماوات، ومن الثاني الأرضين، ومن الثالث الجنة والنار. ثم قسم الرابع أربعة أجزاء: فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله، ومن الثالث نور إنسهم وهو التوحيد: لا إله إلا الله محمد رسول الله.. الحديث..»

كذا في المواهب، وقال فيها أيضاً: واختُلف هل القلم أول المخلوقات بعد النور المحمدي أم لا؟ فقال الحافظ أبو يعلى الهمداني: الأصح أن العرش قبل القلم، لما ثبت في الصحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء. فهذا صريح في أن التقدير وقع بعد خلق العرش...

وقيل: الأولية في كل شئ بالإضافة إلى جنسه، أي أول ما خلق الله من الأنوار نوري، وكذا باقيها. وفي أحكام ابن القطان فيما ذكره ابن مرزوق عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده أن النبي ﷺ قال: كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام... قال الشبراملسي: ليس المراد بقوله من نوره ظاهره من أن الله تعالى له نور قائم بذاته لاستحاله عليه لأن النور لا يقوم إلا بالأجسام، بل المراد خلق من نور مخلوق له قبل نور محمد، وأضافه إليه تعالى، لكونه تولى خلقه. ثم قال: ويحتمل أن الإضافة بيانية، أي خلق نور نبيه من نور

هو ذاته تعالى، لكن لا بمعنى أنها مادة خلق نور نبيه منها، بل بمعنى أنه تعالى تعلقت إرادته بإيجاد نور بلا توسط شئ في وجوده، قال: وهذا أولى الأجوبة نظير ما ذكره البيضاوي في قوله تعالى: **ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ**، حيث قال: أضافه إلى نفسه تشريفاً وإشعاراً بأنه خلق عجيب، وأن له مناسبة إلى حضرة الربوبية».

هـ. وروى في كنز العمال ٤٢٧/١٢، حديث ابن عباس وشعر حسان قال: سئل النبي: «فدأك أبي وأمي أين كنت وأدم في الجنة؟ فقال ﷺ: كنت في صلبه وركب بي السفينة في صلب أبي نوح وقذف بي في صلب أبي إبراهيم، لم يلتق أبواي قط على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحسنة إلى الأرحام الطاهرة، مصفى مهذباً، ولا تشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما، قد أخذ الله بالنبوة ميثاقى وبالإسلام عهدي، ونشر في التوراة والإنجيل ذكرى، وبين كل نبي صفتي، تشرق الأرض بنوري، والغمام لوجهي، وعلمني كتابه، ورقى بي في سمائه، وشق لي إسماً من أسمائه، فذو العرش محمود وأنا محمد. ووعدي أن يجوبني بالحوض والكوثر، وأن يجعلني أول مشفع، ثم أخرجني من خير قرن لأمتي، وهم الحمادون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. قال ابن عباس: فقال حسان:

من قبلها طبت في الظلال      وفي مستودع حيث يُخصف الورق  
ثم سكنت البلاد لا بشرٌ      أنت ولا نطفة ولا علق  
مطهر تركب السفين وقد      ألجم أهل الضلالة الغرقُ  
تنقل من صلب إلى رحم      إذا مضى عالم بدا طبق»

ومجمع الزوائد: ٢١٧/٨، نحوه المناقب: ٢٧/١، نسبه إلى العباس والصحيح أنه لحسان.

#### ٤. ملاحظات على أحاديث نور النبي ﷺ

١. إن ابتداء خلق الكون بخلق نور النبي ﷺ حقيقة كبيرة في تكوين الكون وإدارته، وتسمى الحقيقة المحمدية. وهي تدل على أن النبي ﷺ مشروع خاص لا يقاس به أحد حتى الأنبياء ﷺ. ومعه عترته المعصومون علي وفاطمة والحسنان والتسعة من

ذرية الحسين عليه السلام، الذين خلق نورهم مع نوره أو اشتقه منه، فهم جزء لا يتجزأ من الحقيقة المحمدية. وهذا يفتح باباً لتفسير مقاماتهم عليهم السلام.

٢. لا يمكن لأحد أن ينفي أن الله تعالى بدأ خلق الكون بنور محمد عليه السلام لأن قدرتنا المعرفية لا تسمح لنا بالنفي أو الإثبات! فلم تكن حاضرين عندما بدأ الله تعالى خلقه، ولا وسائل عندنا لمعرفة ذلك، إلا بما أخبرنا به الوحي إلى النبي عليه السلام. فيجب أن نعترف بأن معلوماتنا محدودة رغم تطور العلم وكشفه الكثير عن النور والأشعة، واستفادة العلماء منها في الطب والحرب. ورغم اكتشاف أينشتاين نظرية النسبية الخاصة والعامة، اللتين تجعلان الزمن ركناً في وجود المادة، وتقدمان حقائق جديدة عن النور والحركة، وعن تحولها إلى طاقة وبالعكس، وإمكانية سفر الإنسان في المستقبل وفي الماضي!

إلا أننا مع كل ذلك، لا نعرف كيف بدأ الله تعالى خلق الكون، وغاية ما توصل إليه العلماء مرحلة الغيوم السديمية، ثم وصلوا إلى أنه كان قبلها بحرغاز سائل. فمسائل بدء الخلق ثم تنويعه وتطويره، من الأسرار التي هي فوق قدرتنا!

٣. حاول أتباع الخلافة تحريف أحاديث خلق نور النبي عليه السلام وآله عليهم السلام، فجعلوها في أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة ومعوية، أو في قريش كلها، لتشمل الذين اتخذوهم أئمة مقابل أهل البيت عليهم السلام. ثم حذفوا منها ما يشهد بإيمان آباء النبي عليه السلام وأمهاته إلى إبراهيم ثم إلى آدم عليهم السلام، كالذي رواه السيوطي في الدر المنثور: ٢٩٥/٣: «ثم لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة، حتى أخرجني من بين أبيي، لم يلتقيا على سفاح قط».

وسب حذفهم لها أنها ثبتت وراثه النبي لأبائه المؤمنين عليهم السلام ووراثه عمرته له، فلا يبقى محل لزيد وعمرو! وأشد نص عليهم حديث نور محمد عليه السلام وعلي عليه السلام وإن روه هم، لأن فيه: «ثم انتقلنا حتى صرنا في عبد المطلب فكان لي النبوة وعلي الوصية». فهو يعني أن علياً وصي النبي عليه السلام بأمر الله تعالى، فتكون بيعة السقيفة مخالفة لوصية النبي عليه السلام!



## رواياتهم التي تحاول تحريف أحاديث النور

قال السيوطي في الدر المنثور: ٢٩٥/٣: «عن ابن عباس أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق الخلق بألفي عام، يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه، فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه. قال رسول الله: فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم، وجعلني في صلب نوح، وقذف بي في صلب إبراهيم، ثم لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة، حتى أخرجني من بين أبويّ لم يلتقيا على سفاح قط».

ورواه في ذيل تاريخ بغداد: ٩٤/٢ والخصائص: ٦٦/١، وقال: «ويشهد لهذا ما أخرج الحاكم والطبراني عن خريم بن أوس قال: هاجرت إلى رسول الله منصرفه من تبوك فسمعت العباس يقول: يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك...». وذكر شعر حسان.. وقال القاضي عياض: ٨٢/١: «ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس المشهور».

ويلاحظ أن القسم الأول من الحديث كلام ابن عباس وقد جعلوه للنبي ﷺ فصارت قريش كلها بمن فيها أئمة الكفر كأبي جهل وأبي لهب، نوراً قبل خلق آدم ﷺ! ولذا قال الحلبي في سيرته: ٤٨/١: «قوله: فأهبطني، ينبغي أن لا يكون معطوفاً على ما قبله من قوله: إن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله تعالى.. الخ. فيكون نوره من جملة نور قريش، وإنه انفرد عن نور قريش، وأودع في صلب نوح..!». ولهم تحريف آخر لمصلحة خلفاء قريش!

ففي تفسير الثعلبي: ١١١/٧ والقرطبي: ٢٨٦/١٢: «قال رسول الله: إن الله تعالى خلقني من نوره، وخلق أبا بكر من نوري، وخلق عمر وعائشة من نور أبي بكر، وخلق المؤمنين من أمتي من الرجال من نور عمر، وخلق المؤمنات من أمتي من النساء من نور عائشة، فمن لم يجيني ويجب أبا بكر وعمر وعائشة فما له من نور، فنزلت عليه: وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ».

وقال في السيرة الحلبية: ٢٤١/١: «وفي رواية: لما انتقل النور إلى سبابته قال يا رب هل بقي في ظهري من هذا النور شيء؟ قال: نعم نور أخصاء أصحابه. فقال: يا رب اجعله

في بقية أصابعي، فكان نور أبي بكر في الوسطى، ونور عمر في البنصر، ونور عثمان في الخنصر، ونور علي في الإبهام. فلما أكل من الشجرة، عاد ذلك النور إلى ظهره!»  
وقال السيد الميلاني في نفحات الأزهار: ١٩٠/٥:

«حديث موضوع آخر في فضل الشيخين: قال السيوطي: أبو نعيم في أماليه.. عن أبي هريرة مرفوعاً: خلقني الله من نوره، وخلق أبا بكر من نوري، وخلق عمر من نور أبي بكر، فخلق أمتي من نور عمر، وعمر سراج أهل الجنة. قال أبو نعيم: هذا باطل.. وقال في الميزان: هذا خبر كذب، ما حدث به واحد من الثلاثة، وإنما الآفة عندي فيه المنبجي لا يعرف... فإذا كان هذا الحديث موضوعاً باعتراف أبي نعيم والذهبي والسيوطي وابن عراق، فإن خبر خلق الثلاثة قبل آدم ﷺ وكونهم مع النبي ﷺ على يمين العرش، كذب بالأولوية». أقول: ومثله في تاريخ دمشق: ١٦٤/٣٠: «قال: حدثني جبريل أن الله لما خلق الأرواح اختار روح أبي بكر الصديق من بين الأرواح، وجعل تراها من الجنة وماءها من الحيوان، وجعل له قصرًا في الجنة من درة بيضاء، مقاصيرها فيها من الذهب والفضة البيضاء، وإن الله تعالى آلى على نفسه ألا يسأله عن حسنة ولا يسأله عن سيئة!»

هذا، وقد كثرت مكذوباتهم في فضائل أبي بكر وعمر حتى زكمت أنوفهم! قال في كشف الخفاء: ٤١٩/٢: «وباب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه أشهر المشهورات من الموضوعات، كحديث: إن الله يتجل للناس عامة ولأبي بكر خاصة! وحديث: ما صب الله في صدري شيئاً إلا وصيبته في صدر أبي بكر! وحديث: كان إذا اشتاق إلى الجنة قبل شيبه أبي بكر! وحديث: أنا وأبو بكر كفرسي رهان! وحديث: إن الله لما اختار الأرواح اختار روح أبي بكر!»

راجع: نفحات الأزهار: ١٣/٥ و ٢٠٨/١١ و ٣٨٧/٥.

٤. نلاحظ أن أخبار خلق نور النبي ﷺ مغيبة عند أتباع الخلافة، فلا تسمعها في مساجدهم وخطبهم، ولا تراها في مناهجهم التربوية. اللهم إلا ما أخذه منها

بعض الصوفية، وبنوا عليه بناءاتهم. وهذا السلوك المتعمد في الإعراض عن ذكر مقامات النبي ﷺ موروث من طلقاء قريش الذين كانوا في زمنه ﷺ يسمون خيار الصحابة «عُباد محمد»! ويتهمونهم بالغلو فيه لأنهم يؤمنون بمقاماته ﷺ ويتعبدون بأوامره ونصوصه!

وقد ورثهم في عصرنا بدوُ أجلاف متعصبون لقريش وبنو أمية، فقالوا «محمد طارش ومات» أي مبعوث أوصل رسالة وانتهى، وهو الآن لا ينفع!  
بل قال شيخهم «عصاي هذه أنفع من محمد»! وقد ناقشني أحد مشايخهم في نسبة هذا الكلام لابن عبد الوهاب، فقلت له لا بأس: أنت هل ترى أن عصاك أفضل أم النبي ﷺ الآن؟ فبكم ولم يجب!

وقد حرم هؤلاء القساة الجفاة زيارة قبره ﷺ! وحكموا على المسلمين بالغلو والشرك لمجرد قولهم: «يا رسول الله إشفع لنا عند الله»!

وقد بحثنا ذلك في المجلد الخامس من العقائد الإسلامية، والمجلد الثاني من ألف سؤال وإشكال، وذكرنا أن طعن «القرشيات» في شخصية النبي ﷺ أسوأ من طعن الإسرائيليات في أنبياء الله الماضين ﷺ.



## الفصل الثاني

### جزيرة العرب في عصر النبي ﷺ

#### ١. أحوال العرب في عصر النبي ﷺ

##### ١. كان للعرب دول

كان للعرب في عصر النبي ﷺ دولة في اليمن، وكانوا في جزيرة العرب قبائل لاتضمهم دولة، وفي العراق قبائل بشكل دولة تحت نفوذ الفرس، وفي الشام والأردن دولة تحت نفوذ الروم، وكانوا في مصر أقلية تحت حكم القبط والروم.

ويمكن تقدير عدد العرب في كل الجزيرة بنصف مليون نسمة. لأن غاية ما أمكن لقريش أن تحسده من مكة لحرب الأحزاب أربعة آلاف مقاتل فلو حسبنا مقاتلاً من كل سبعة أشخاص يكون عددها في مكة وحوها أقل من أربعين ألفاً. وحشدت قبائل عرب الجزيرة نحو ثلاثين ألفاً، فلا يزيد عددها عن نصف مليون نسمة، وإن بالغنا قلنا مليون نسمة.

وكان عدد سكان المدينة في حرب الأحزاب نحو خمسة آلاف نسمة «الصحيح: ١٨٢/٩» وعند وفاة النبي ﷺ اثني عشر ألفاً، وقد يكون عدد سكان المناطق القريبة من المدينة مثل عددها. وذكر ابن حجر «فتح الباري: ١٥/٨١» أن عدد الذين أرسلهم النبي ﷺ في جيش أسامة ليعدهم عن المدينة ثلاثة آلاف فيهم سبع مئة قرشي! قال: «لم يبق أحد من المهاجرين الأولين إلا انتدب في تلك الغزوة، منهم أبوبكر وعمر... وعند الواقدي أيضاً أن عدة ذلك الجيش كانت ثلاثة آلاف فيهم سبع مئة من قريش».

وهذا يعني أن عدة آلاف من طلقاء قريش جاؤوا إلى المدينة بعد فتح مكة، فوصل عدد سكانها إلى اثني عشر ألفاً.  
أما عرب اليمن فكانوا نحو مليون، وعرب العراق والشام وفلسطين نحو مليون.  
فيكون مجموع العرب في الجزيرة وخارجها أقل من ثلاثة ملايين نسمة.

## ٢. الحالة الإقتصادية للعرب

كان اليمانيون يعيشون على الزراعة وتربية المواشي، والتجارة وبعض الصناعات، وكذا العرب في مصر والعراق والشام وفلسطين. وكان عرب الجزيرة في فقر شديد، تكثر فيهم الغارات والنهب، فليس في الجزيرة إلا واحات قليلة للزراعة، ومراعٍ شحيحة للماشية. وكان لقريش تجارة بين الحجاز واليمن والشام ومصر، في رحلتي الشتاء والصيف.

## ٣. أديان العرب قبل الإسلام

كان عرب الجزيرة والعراق وثنين، يعبدون أصناماً عديدة، أهمها: هبل واللات والعزى ومناة، وكان فيهم بقية من دين إبراهيم عليه السلام.  
وكان فيهم أقلية يهودية، في وادي القرى وتيها وخيبر وضواحي المدينة ومكة.  
وكانت وثنية اليمنيين غير حادة، وفيهم أقلية يهودية في صنعاء وغيرها، وأقلية مسيحية في نجران وحولها. أما عرب الشام وفلسطين ومصر، فانتشرت فيهم المسيحية، بحكم كونهم تحت النفوذ الروماني.

قال الإمام الصادق «الكافي: ٤/٢١٢»: «إن العرب لم يزالوا على شئ من الحنيفية: يصلون الرحم، ويُقْرُونَ الضيف، ويحجُّون البيت، ويقولون إتقوا مال اليتيم فإن مال اليتيم عقال، ويكفون عن أشياء من المحارم مخافة العقوبة، وكانوا لا يُمَلِّي لهم إذا انتهكوا المحارم، وكانوا يأخذون من لحاء شجر الحرم فيعلقونه في أعناق الإبل فلا يجترئ أحد أن يأخذ من تلك الإبل حيثما ذهبت، ولا يجترئ أحد أن يعلق من غير لحاء شجر الحرم، أيهم فعل ذلك عوقب. وأما اليوم فأملِّي لهم، ولقد جاء أهل

الشام فنصبوا المنجنيق على أبي قبيس، فبعث الله عليهم سحابة كجناح الطير، فأمرت عليهم صاعقة، فأحرقت سبعين رجلاً حول المنجنيق».

ومعنى كلامه ﷺ أن الله تعالى أملى للعرب بعد الإسلام فلم يعاقبهم إذا تعدوا على حرمة الحرم، إلا في حالات قليلة، منها عندما تحصن ابن الزبير في الحرم وهاجمه يزيد سنة ٦٣ هجرية، ثم هاجمه عبد الملك سنة ٧٣، فعاقبهم الله تعالى بصاعقة، فلم يتعظوا ولم ينتهوا وأغواهم الحجاج، فتركهم الله في غيهم!

قال الطبري: ٢٩/٥: «فرعدت السماء وبرقت وعلا صوت الرعد والبرق على الحجارة فاشتمل عليها «غلب صوتها»! فأعظم ذلك أهل الشام فأمسكوا أيديهم، فرفع الحجاج بركة قبائه فغرزها في منطقته، ورفع حجر المنجنيق فوضعه فيه، ثم قال: إرموا، ورمى معهم! قال: ثم أصبحوا، فجاءت صاعقة تتبعتها أخرى فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلاً فانكسر أهل الشام، فقال الحجاج: يا أهل الشام لا تنكروا هذا فإنني ابن تهمامة، هذه صواعق تهمامة، هذا الفتح قد حضر فأبشروا! إن القوم يصيبهم مثل ما أصابكم!

فصَعَقَتْ من الغد فأصيب من أصحاب ابن الزبير عدة، فقال الحجاج: ألا ترون أنهم يصابون. وأنتم على الطاعة وهم على خلاف الطاعة!»!

وفي نهاية ابن كثير: ٣٦٣/٨: «فتزلت صاعقة على المنجنيق فأحرقت، فتوقف أهل الشام عن الرمي والمحاصرة فخطبهم الحجاج فقال: ويحكم ألم تعلموا أن النار كانت تنزل على من كان قبلنا فتأكل قربانهم إذا تقبل منهم! فلولاً أن عملكم مقبول ما نزلت النار فأكلته! فعادوا إلى المحاصرة»!

#### ٤. كان العرب أميين

كان العرب أميين أي ليس لهم كتاب سماوي. قال أمير المؤمنين ﷺ «نهج البلاغة: ١٩٩/١»: «أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمداً ﷺ وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً، ولا يدعى نبوةً ولا وحيًا، فقاتل بمن أطاعه من عصاه، يسوقهم إلى

منجاتهم، ويبادر بهم الساعة أن تنزل بهم. يحسر الحسير، ويقف للكسير فيقيم عليه حتى يلحقه غايته، إلا هالكاً لا خير فيه، حتى أراهم منجاتهم، وبوأهم محلثهم، فاستدارت رحاهم، واستقامت قناتهم. وأيم الله لقد كنتُ من ساققتها حتى تولت بحذافيرها، واستوسقت في قيادها، ما ضعفتُ ولا جبتُ، ولا خنتُ ولا وهنتُ. وأيم الله لأبقرن الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته».

ومن خطبة له عليه السلام: «إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شر دينٍ وفي شر دار، متنخون بين حجارة خشن وحيات صم، تشربون الكدر، وتأكلون الجشب، وتسفكون دماءكم وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبة». نهج البلاغة: ٦٦١.

#### ٥. وكان العرب مجتمعاً محارباً

ففي عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٨١/٢: «قلت له: جعلت فداك، لم سموا العرب أولادهم بكلب ونمر وفهد، وأشبه ذلك؟ قال: كانت العرب أصحاب حرب فكانت تُهولُ على العدو بأسماء أولادهم، ويسمون عبيدهم: فرج ومبارك وميمون، وأشبه ذلك، يتيمنون بها».

#### ٦. تكلم خمسة أنبياء بالعربية

روي أن الله تعالى بعث أربعة أنبياء يتكلمون العربية، فعن الإمام الحسين عليه السلام قال: «كان علي بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة في الجامع إذ قام إليه رجل من أهل الشام فسأله عن مسائل فكان فيما سأله أن قال له: أخبرني عن خمسة من الأنبياء تكلموا بالعربية؟ فقال: هود وصالح وشعيب وإسماعيل ومحمد، صلوات الله عليهم». الخصال/٣١٩.

وروي عن الباقر عليه السلام: «أول من شق لسانه بالعربية إسماعيل بن إبراهيم، وكان أبوه يقول له وهما بينان البيت: يا إسماعيل هاي ابن، أي أعطني حجراً، فيقول له إسماعيل بالعربية: يا أبت هاك حجراً، فأبراهيم يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة». التبيان: ٤٦٣/١.

وفي تحف العقول/٢٩٧: «أول من شق لسانه بالعربية إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وكان لسانه على لسان أبيه وأخيه، فهو أول من نطق بها وهو الذبيح». وفتح الباري: ٢٨٦/٦، عن علي عليه السلام، الجامع الصغير: ٤٣٥/١ والقرطبي ٢٨٣/١.

أقول: لا بد أن يكون معنى الحديث أن إسماعيل عليه السلام أول من تكلم من أولاد إبراهيم بالعربية، وهي لغة محيطه من قبيلة جرهم وعرب الجنوب، أما لغته قبلها فكانت كأبيه وإخوته البابلية أو السريانية، ولغة أمه القبطية. هذا، وقد رويت أحاديث في تكون اللغات، وهي مرسله أو ضعيفة، يُقْل فيها الصحيح، وزعم بعضها أن العربية لغة آدم عليه السلام ولغة أهل الجنة، والمعقول أن تكون لغة أهل الجنة أبلغ من كل لغات الدنيا.

#### ٧. إقرؤوا القرآن بألحان العرب

أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإعراب القرآن وقراءته بألحان العرب، ففي الكافي: ٦١٤/٢ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «أعربوا القرآن فإنه عربي، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن الرجل الأعجمي من أمتي ليقرأ القرآن بعجمية فترفعه الملائكة على عربية... قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إقرؤوا القرآن بألحان العرب وأصواتها، وإياكم ولحن أهل الفسق، وأهل الكبائر، فإنه سيجيء من بعدي أقوام يُرَجِّعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية، لا يجوز تراقيهم، قلوبهم مقلوبة، وقلوب من يعجبه شأنهم!»

وعن الإمام الرضا عليه السلام، أن علي بن الحسين كان يقرأ القرآن: «فربما مرَّ به المارُّ فضعق من حسن صوته، وإن الإمام لو أظهر من ذلك شيئاً لما احتمله الناس من حسنه! قلت: ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي بالناس ويرفع صوته بالقرآن؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يُحْمَل الناس من خلفه ما يطيقون!»



## ٨. أوجب الإسلام على عرب البادية الهجرة

وحرّم عليهم التعرّب بعد الهجرة، ففي النوادر لأحمد بن عيسى الأشعري/٢٦: «قال رسول الله ﷺ: لا رضاع بعد فطام، ولا وصال في صيام، ولا يُتَمّ بعد احتلام، ولا صمت يوم إلى الليل، ولا تعرب بعد الهجرة، ولا هجرة بعد الفتح، ولا طلاق قبل النكاح، ولا عتق قبل ملك، ولا يمين لولد مع والده ولا لمملوك مع مولاه ولا لمرأة مع زوجها، ولا نذر في معصية، ولا يمين في قطعة رحم».

وفي النوادر/٢٨، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لا يصلح للأعرابي أن ينكح المهاجرة، يخرج بها من أرض الهجرة فيتعرب بها، إلا أن يكون قد عرف السنة والحجة، وإن أقام هذا في أرض الهجرة فهو مهاجر».

## ٩. الهجرة إلى طلب العلم

معنى الهجرة إلى طلب العلم: الهجرة إلى الأئمة عليهم السلام، ففي معاني الأخبار/٢٦٥: «عن حذيفة بن منصور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: المتعرب بعد الهجرة، التارك لهذا الأمر بعد معرفته». وهو مأخوذ من قوله تعالى: وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ.

وفي معاني الأخبار/١٥٧: عن عبد المؤمن الأنصاري قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «إن قوماً رَووا أن رسول الله ﷺ قال: إن اختلاف أمتي رحمة؟ فقال: صدقوا، قلت: إن كان اختلافهم رحمة فاجتمعهم عذاب؟ قال: ليس حيث ذهب وذهبوا، إنما أراد قول الله عز وجل: فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ. فأمرهم أن ينفروا إلى رسول الله ﷺ ويختلفوا إليه فيتعلموا، ثم يرجعوا إلى قومهم فيعلموهم، إنما أراد اختلافهم من البلدان، لا اختلافاً في دين الله، إنما الدين واحد».

## ١٠. العروبة باللغة وليست بالنسب

نقل النبي ﷺ العروبة من النسب إلى اللغة، فعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «صعد

رسول الله ﷺ المنبر يوم فتح مكة فقال: أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائها، ألا إنكم من آدم ﷺ وآدم من طين، ألا إن خير عباد الله عبد اتقاه، إن العربية ليست بأبٍ والد، ولكنها لسانٌ ناطق، فمن قصر به عمله لم يبلغه حسبه». الكافي: ٢٤٦/٨ ودعائم الإسلام: ١٩٨/٢.

### ١١. وَجَّهَ الْإِسْلَامَ عَصِيْبِيَّةَ الْعَرَبِ إِلَى التَّعَصُّبِ لِلخَيْرِ

فقال أمير المؤمنين ﷺ: «فإن كان لا بد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال ومحامد الأفعال ومحاسن الأمور، التي تفاضلت فيها المجداء والنجداء من بيوتات العرب ويعاسيب القبائل، بالأخلاق الرغبية، والأحلام العظيمة، والأخطار الجليلة، والآثار المحمودة. فتعصبوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار، والوفاء بالذمام، والطاعة للبر، والمعصية للكبر، والأخذ بالفضل، والكف عن البغي، والإعظام للقتل، والإنصاف للخلق، والكظم للغیظ، واجتناب الفساد في الأرض. واحذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثالب بسوء الأفعال، وذميم الأعمال، فتذكروا في الخير والشر أحوالهم. فإذا تفكرتم في تفاوت حالهم فالزموا كل أمر لزم العزة به شأنهم، وزاحت الأعداء له عنهم، ومدت العافية فيه عليهم وانقادت النعمة له معهم...

فاعتبروا بحال ولد إسماعيل وبني إسحاق وبني إسرائيل، فما أشد اعتدال الأحوال، وأقرب اشتباه الأمثال! تأملوا أمرهم في حال تشتتهم وتفرقهم ليالي كانت الأكاسرة والقيصرة أرباباً لهم، يحتازونهم عن ريف الآفاق وبحر العراق وخضرة الدنيا إلى منابت الشیخ، ومها في الريح، ونكد المعاش! فتركوهم عالية مساكين إخوان دَبْرٍ وَوَبْرٍ، أذلّ الأمم داراً، وأجدبهم قراراً، لا يأوون إلى جناح دعوة يعتصمون بها، ولا إلى ظل ألفة يعتمدون على عزها! فالأحوال مضطربة، والأيدي مختلفة، والكثرة متفرقة، في بلاء أزل، وإطباق جهل! من بنات موءودة، وأصنام معبودة، وأرحام مقطوعة، وغارات مشنونة!

فانظروا إلى مواقع نعم الله عليهم حين بعث إليهم رسولاً، فعقد بملته طاعتهم وجمع على دعوته ألفتهم، كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها، وأسالت لهم جداول نعيمها، والتفت الملة بهم في عوائد بركتها، فأصبحوا في نعمتها غرقين، وعن خضرة عيشها فكهين، قد تربعت الأمور بهم، في ظل سلطان قاهر وآوتهم الحال إلى كنف عز غالب. وتعطفت الأمور عليهم في ذرى ملك ثابت فهم حكام على العالمين، وملوك في أطراف الأرضين، يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم، ويمضون الأحكام فيمن كان يمضيها فيهم، لا تُغمز لهم قناة، ولا تُقرع لهم صفاة.

ألا وإنكم قد نفضتم أيديكم من حبل الطاعة، وتلمتم حصن الله المضروب عليكم بأحكام الجاهلية. واعلموا أنكم صرتم بعد الهجرة أعراباً، وبعد الموالاة أحراباً، ما تتعلقون من الإسلام إلا اسمه، ولا تعرفون من الإيمان إلا رسمه تقولون النار ولا العار، كأنكم تريدون أن تكفثوا الإسلام على وجهه، انتهاكاً لحريمه ونقضاً لميثاقه الذي وضعه الله لكم حرماً في أرضه وأمنأين خلقه.

وإنكم إن لجأتم إلى غيره حاربكم أهل الكفر، ثم لا جبرائيل ولا ميكائيل ولا مهاجرون ولا أنصار ينصرونكم، إلا المقارعة بالسيف حتى يحكم الله بينكم». «نهج البلاغة: ١٥٠/٢». وفي الكافي: ١٦٢/٨ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إن الله يعذب الستة بالسته: العرب بالعصبية، والدهاقين بالكبر، والأمراء بالجور، والفقهاء بالحسد، والتجار بالخيانة، وأهل الرساتيق بالجهل».

## ٢. أعلن النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام سيد العرب!

قالت قبائل قريش لبني هاشم: «أما رضيتم يا بني قصي أنكم ذهبتم بالحجابه والندوة والسقاية واللواء، حتى جئتمونا زعمتم نبي منكم!»! «مجمع الزوائد: ٧٠/٦». ثم صبَّت قريش حقدها على علي عليه السلام لأنه بطل معارك النبي صلى الله عليه وآله وقاتل فرسانها، فكانت تسميه قَتال العرب! فأمر الله نبيه صلى الله عليه وآله أن يسميه «سيد العرب»!  
فقد روى الحاكم: ١٢٤/٣، وصححه: «عن سعيد بن جبیر عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله قال:

أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب». ورواه في مجمع الزوائد: ١٣١/٩.

وروى في: ١١٦/٩ عن أنس أن رسول الله قال: «مَنْ سَيد العرب؟ قالوا أنت يا رسول الله، فقال أنا سيد ولد آدم، وعليُّ سيد العرب». والطبراني الأوسط: ١٢٧/٢.

وفي الطبراني الكبير: ٨٨/٣: «قال رسول الله: يا أنس إنطلق فادع لي سيد العرب يعني علياً، فقالت عائشة: أأنت سيد العرب؟ قال: أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب. فلما جاء علي أرسل رسول الله ﷺ إلى الأنصار فأتوه فقال لهم: يا معشر الأنصار، ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: هذا علي فأحبهوا بحبي وأكرموا لكرامتي، فإن جبريل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل».

وفي تاريخ بغداد: ٩٠/١١ عن سلمة بن كهيل قال: «مرَّ عليُّ أبي طالب على النبي وعنده عائشة فقال لها: إذا سرك أن تنظري إلى سيد العرب فانظري إلى علي بن أبي طالب! فقالت: يا نبي الله أأنت سيد العرب؟ فقال: أنا إمام المسلمين وسيد المتقين. إذا سرك أن تنظري إلى سيد العرب فانظري إلى علي بن أبي طالب».

وفي تاريخ دمشق: ٣٠٥/٤٢، عن أبي سعيد الخدري قال: «قال رجل يا رسول الله أنت سيد العرب؟ قال: لا، أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب! وإنه لأول من ينفذ الغبار عن رأسه يوم القيامة قبلي علي».

وفي الخصال: ٥٦١، قال ﷺ: «وأبناؤه الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة». أقول: أراد النبي ﷺ بذلك أن يؤكد مكانة علي عليه السلام، ويرد الهجمة التي كانت تشنها قريش المشركة على بني هاشم وعلي عليه السلام، لكن حملتها استمرت عليه بعد النبي ﷺ مع الأسف! على يد المتأثرين بقريش من المسلمين.

فقد غصَّ أتباع الخلافة بحديث: علي سيد العرب، لأنه يجعل علياً ﷺ سيداً لقبائل قريش وزعمائها، فحاولوا تضعيف الحديث كما فعل الهيثمي في مجمع الزوائد، بحجة أن في سنده ابن عبد الله الأهم، وقال إنه شيعي ضعفه أبو داود! وردَّ عليهم علماءهم كالحافظ ابن الصديق المغربي في رسالته: إرغام المبتدع

الغبي بجواز التوسل بالنبي ٥٨/، فذكر له عدة طرق، وقال عن ابن الأهم: «ذكره ابن أبي حاتم في الجرح ولم يجرحه. وهو بصري والبصريون أبعده الناس عن التشيع». أما الذهبي إمام السلفيين النواصب، فاعترف في تاريخه: ٦٣٥/٣ بصحته مرغماً! ورواه في ميزان الإعتدال: ١١٥/٤ عن حذيفة بن اليان بسند صحيح، قال: «لما تهبأ علي يوم خيبر للحملة قال رسول الله ﷺ: يا علي بأبي أنت، والذي نفسي بيده إن معك من لا يتخذك، هذا جبرائيل عن يمينك بيده سيف لو ضرب به الجبال لقطعها، فاستبشر بالرضوان والجنة. يا علي إنك سيد العرب وأنا سيد ولد آدم. الحديث بطوله». ولم يكمل الذهبي رواية الحديث، لأن فيه مديحاً لعلي عليه السلام بأنه كرار غير فرار تعريضاً بفلان وفلان ممن فرّوا في خيبر!

لكن يظهر أن مزاج الذهبي كان سيئاً حيث روى بعضه وقال باطل «لسان الميزان: ٢٨٩/٤» وقال الصديق المغربي في رسالته في التوسل: «تحامل الذهبي على الحكم بوضع الحديث، لفهمه أن الحديث يقتضي تفضيل علي على الشيخين، وعلى أساس هذا الفهم رد هو وغيره كثيراً من الأحاديث في فضل علي، وحكموا بوضعها أو نكارتها، ولم يسلم من نقدهم بهذا الفهم إلا قليل.. بل يستنكرون الحديث الوارد في فضله، ولو لم يكن في سنده شيعي!»

وقال: «حكم بوضعه في مقدمة كتبها لبعض الرسائل، مستدلاً على وضعه بأن روح التشيع واضحة في الحديث، ولا أدري أين هذا التشيع الذي وضع له من الحديث! مع أن الحديث له شواهد وطرق! وعلى قوله هذا وقاعدته الفارغة، ينبغي ألا نقبل حديثاً في فضل علي ولو تواتر، لا سيما إذا كان يخبر بفضل علي لا يوجد لغيره من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، كحديث: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره! وهكذا إذا اتبع الإنسان كل جاهل، وأجاب كل صارخ، ولم يعمل النظر ويبحث عن الأقوال قبل قائلها، فإنه يردّ السنة الصحيحة جملة، ويعطي مع ذلك السلاح لأعداء الدين وملاحدة العصر في رد ما لا يعجبهم ويوافق هواهم، من حديث سيد المرسلين!

وقد أقر الحافظ العسقلاني الذهبي على وضعه، فانظر لسان الميزان: ٢٨٩/٤  
 وقول الذهبي: موضوع، غلوٌ غير مقبول! ذلك أن الحديث ورد من غير طريق  
 ابن علوان وعمر الوجيهي، فرواه الطبراني في الأوسط عن أنس بن مالك...  
 ثم ذكر له عدة طرق، وبعضها صحيح على شرط الشيخين، وذكر أحاديث مشابهة  
 ردوها رغم صحتها، لأنها تفضل علياً عليه السلام على غيره! ورواه: ابن أبي شيبه: ٤٧٤/٧،  
 تاريخ بغداد: ٩٠/١١، تاريخ دمشق: ٣٠٤/٤٢، ١٩٢/٦٤، بعدة طرق، ذيل تاريخ بغداد: ٦٠/٥،  
 السيرة الحلبية: ٧٣٦/٢ ونفحات الأزهار: ١٧٤/٩.

أما معنى قول النبي ﷺ إن علياً عليه السلام ينهض من قبره قبل النبي ﷺ أنه يحمل  
 لواءه يوم القيامة، ويكون أمامه مقدمة لموكبه.

### ٣. وصف جاهلية العرب

#### ١. وصفها المغيرة بن شعبة لعامل كسرى

كما في صحيح بخاري: ٦٣/٤: «حتى إذا كنا بأرض العدو وخرج علينا  
 عامل كسرى في أربعين ألفاً، فقام ترجمان فقال: ليكلمني رجل منكم، فقال  
 المغيرة: سل عما شئت؟ قال: ما أنتم؟ قال: نحن أناس من العرب، كنا في شقاء  
 شديد، وبلاء شديد، نمص الجلد والنوى من الجوع، ونبلس الوبير والشعر،  
 ونعبد الشجر والحجر، فبينما نحن كذلك، إذ بعث رب السماوات ورب الأرضين  
 تعالى ذكره وجلت عظمته، إلينا نبياً من أنفسنا، نعرف أباه وأمه».

#### ٢. ووصفها جعفر بن أبي طالب للنجاشي

فقال: «كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش،  
 ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى  
 بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه»! أحمد: ٢٠٢/١.

### ٣. ووصف علي عليه السلام جاهلية العرب

فقال كما في نهج البلاغة: ١٩٩/١ من خطبة له عليه السلام: «أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمداً عليه السلام وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً، ولا يدعى نبوةً، ولا وحياً، فقاتل بمن أطاعه من عصاه، يسوقهم إلى منجاتهم، ويبادر بهم الساعة أن تنزل بهم. يحسر الحسير، ويقف الكسير فيقيم عليه حتى يلحقه غايته، إلا هالكاً لا خير فيه حتى أراهم منجاتهم، وبوأهم محلتهم، فاستدارت رحاهم، واستقامت قناتهم. وأيم الله لقد كنتُ من ساققتها، حتى تولت بحذافيرها، واستوسقت في قيادها، ما ضعفتُ ولا جبنْتُ، ولا خنْتُ ولا وهنتُ. وأيم الله لأبقرن الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته». ومن خطبة له عليه السلام: «إن الله بعث محمداً عليه السلام نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل وأنتم معشر العرب على شر دين، وفي شر دار، مُنيخون بين حجارة حُسن، وحيات صم، تشربون الكدر، وتأكلون الجشَب، وتسفكون دماءكم، وتقطعون أرحامكم. الأصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبة».

النبوة  
الرسالة  
الهدى

وقد تقدم ذلك، وفي خطبه وكلماته عليه السلام وصف مفصل لجاهلية العرب، ووصف لعودتها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم!

### ٤. ووصفت الزهراء عليها السلام جاهلية العرب

في خطبتها البليغة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأسبوعين، حيث ذكرتهم بنعمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليهم. وقد روت خطبتها مصادر الشيعة والسنة، وجاء فيها قولها عليها السلام: «ابتعثه الله إتماماً لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير رحمته، فرأى الأمم فرقاً في أديانها، عكفاً على نيرانها، عابدةً لأوثانها، منكرةً لله مع عرفانها، فأناز الله بأبي محمداً عليه السلام ظلمها، وكشف عن القلوب بهمها، وجلى عن الأبصار عماها... وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون القد، أدلة خاسئين تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد اللتيا والتي، وبعد أن مني بهم الرجال

وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله، أو نجم قرن الشيطان، أو فغرت فاعرة من المشركين، قذف أخاه في هواها، فلا ينكفى حتى يظأ صاخها بأخصه، ويحمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله، مشمراً ناصحاً، مجداً كادحاً لا تأخذه في الله لومة لائم، وأنتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون آمنون تتربصون بنا الدوائر وتوكفون الأخبار، وتكصون عند النزال، وتفرون من القتال! فلما اختار الله لنبيه ﷺ دار أنبيائه ومأوى أصفياه، ظهرت فيكم حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم ووردتم غير شربكم. هذا، والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، والرسول لما يقبر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة! ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين...». الإحتجاج: ١٣١/١.

#### ٤. نشر كعب الأخبار أمنياته بهلاك العرب!

استطاع كعب الأخبار أن يقنع عمر بن الخطاب في خلافته بأن الإسلام كالبعير سيكبر عن قريب ويهرم وينتهي! وأن قريشاً والعرب سيهلكون ويبادون! وأن الكعبة ستهدم فلا تبنى أبداً! ومكة تخرب فلا تعمر أبداً! ففي مسند أحمد: ٤٦٣/٣: «كنت في مجلس فيه عمر بن الخطاب بالمدينة فقال لرجل من القوم: يا فلان كيف سمعت رسول الله ينعتُ الإسلام؟ قال: سمعت رسول الله يقول: إن الإسلام بدأ جذعاً ثم ثنياً ثم ربيعاً ثم سديسياً ثم بازلاً. فقال عمر بن الخطاب: فما بعد البزول إلا النقصان! البزول أقصى سن البعير- الصحاح: ١٣٢١/٤.



وهكذا صارت فرية كعب الأخبار حديثاً نبوياً في أصح كتب الخلافة!  
فقد روى أحمد: ٢٣/١، عن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «سيخرج أهل مكة ثم  
لا يعبر بها إلا قليل، ثم تمتلئ وتبنى، ثم يخرجون منها فلا يعودون فيها أبداً!» ورواه  
مسلم: ١٨٣/٨ ورواه بخاري في صحيحه وعقد باباً: ١٥٩/٢ باب هدم الكعبة!  
وفي الفتن لنعيم بن حماد: ٣٩٨/١: «لا تستريبوا في هلكة قریش، فإنهم أول من يهلك  
حتى أن النعل لتوجد في المزبلة فيقال خذوا هذه النعل إنها لنعل قرشي». وقد بحثنا  
ذلك وردنا عليه، في كتاب ألف سؤال وإشكال: ٤٩٢/١.

#### ٥. ردُّ أهل البيت عليهم السلام على فرية كعب عن العرب

وقد ردَّ أهل البيت عليهم السلام فرية كعب بهلاك الأمة. فقد روى الصدوق «الخصال/٤٧٥»  
عن الإمام الصادق عليه السلام: «قال رسول الله ﷺ: أبشروا ثم أبشروا، ثلاث مرات، إنها  
مثل أمتي كمثل غيث لا يدرى أوله خير أم آخره، إنها مثل أمتي كمثل حديقة أطمع  
منها فوج عاماً، ثم أطمع منها فوج عاماً، لعل آخرها فوجاً يكون أعرضها بحراً  
وأعمقها طولاً وفرعاً وأحسنها جنّاً! وكيف تهلك أمة أنا أولها، واثننا عشر من بعدي  
من السعداء وأولي الألباب، والمسيح عيسى بن مريم آخرها؟ ولكن يهلك بين ذلك  
نَجْحُ الهَرَجِ، ليسوا مني ولست منهم».

#### ٦. زعموا أن العرب لا يكونون من الأبدال!

زعم رواة السلطة أن النبي ﷺ قال لا يصل العربي إلى درجة الأولياء الأبدال! قال  
القرطبي في تفسيره: ٢٥٩/٣: «واختلف العلماء في الناس المدفوع بهم الفساد من هم؟  
فقليل هم الأبدال، وهم أربعون رجلاً كلهم مات واحد بدّل الله آخر».  
وقال أبو داود في سننه: ٣٠٢/٢ عن عنبسة بن عبد الواحد القرشي الأموي: «كنا نقول  
إنه من الأبدال، قبل أن نسمع أن الأبدال من الموالي!»  
وقال في سؤالات الأجرى: ٢٠٤/١: «سئل أبو داود عن عنبسة بن عبد الواحد القرشي  
قال: سمعت محمد بن عيسى يقول: كنا نرى أنه من الأبدال حتى سمعنا أن الأبدال

من الموالي.. عن عطاء قال قال رسول الله ﷺ: الأبدال من الموالي، ولا يبغض الموالي إلا منافق». وتاريخ بغداد: ٢٧٩/١٢ وتهذيب الكمال: ٤٢١/٢٢.

وصححه المناوي: ٢٢٠/٣ وقال: «من علامتهم أيضاً أنه لا يولد لهم... وهذه الأخبار وإن فرض ضعفها جميعها، لكن لا يُنكر تقوي الحديث الضعيف بكثرة طرقه وتعدد مخرجه إلا جاهل بالصناعة الحديثية، أو معاند متعصب».

وفي تهذيب الكمال: ٢٦٤/٧: «كان حماد بن سلمة يعد من الأبدال، وعلامة الأبدال أن لا يولد لهم، تزوج سبعين امرأة فلم يولد له!»

وعدوا أكثر من عشرين من أئمتهم من غير العرب من الأبدال!

وزعم ابن عربي أن أصحاب المهدي ﷺ كلهم من العجم! قال في الفتوحات: ٣/

٣٢٨: «وهم من الأعاجم ما فيهم عربي، لكن لا يتكلمون إلا بالعربية!»

لكن أئمة أهل البيت ﷺ ساووا بين العرب والعجم، ونصوا على أن أصحاب المهدي ﷺ فيهم العرب والعجم، قال الإمام الباقر ﷺ كما في غيبة الطوسي/ ٢٨٤: «يباع القائم بين الركن والمقام ثلاث مائة ونيف عدة أهل بدر. فيهم النجباء من أهل مصر، والأبدال من أهل الشام، والأخبار من أهل العراق».

#### ٧. أخبر النبي ﷺ بظلم قريش لأهل بيته ﷺ

روى ابن حماد: ٣١٠/١ عن عبدالله بن مسعود قال: بينما نحن عند رسول الله إذ جاء فتية من بني هاشم فتغير لونه! قلنا: يا رسول الله ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه، فقال: «إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي هؤلاء سيلقون بعدي بلاء وتطريداً وتشريداً حتى يأتي قوم من هاهنا من نحو المشرق أصحاب رايات سود يسألون الحق فلا يعطونه، مرتين أو ثلاثاً، فيقاتلون فينصرون، فيعطون ما سألوا فلا يقبلوه، حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملؤها عدلاً كما ملؤها ظلماً، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج، فإنه المهدي». «ورواه ابن أبي شيبه: ٢٣٥/١٥، بنحوه. وابن ماجه: ١٣٦٦/ ٢، رواه

ابن المنادي/٤٤، الحاكم: ٤/٤٦٤». وفيه: «أتينا رسول الله ﷺ فخرج إلينا مستبشراً يعرف السرور في وجهه، فما سألناه عن شيء إلا أخبرنا به، ولا سكتنا إلا ابتدأنا، حتى مرت فتية من بني هاشم فيهم الحسن والحسين، فلما رأهم التزمهم وانهملت عيناه، فقلنا: ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه، قال: إنا أهل بيت اختار لنا الله الآخرة على الدنيا، وإنه سيلقى أهل بيتي من بعدي تطريداً وتشريداً في البلاد، حتى ترتفع آيات سود من المشرق فيسألون الحق فلا يعطونه، ثم يطلبونه فلا يعطونه، ثم يسألونه فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون. فمن أدركه منكم أو من أعقابكم فليأت إمام أهل بيتي ولو حياً على الثلج، فإنها آيات هدى يدفعونها إلى رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه إسمي وإسم أبيه إسم أبي، فيملك الأرض فيملؤها قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً». ورواه البزار ٤ / ٣١٠، ٣٥٤، الداني / ٩٢، كابين شيبه بتفاوت يسير، نحوه جامع السيوطي: ٣ / ١٠١، وزوائد ابن ماجه / ٥٢٧، المعجم الأوسط: ٦ / ٣٢٧ والسنن في الفتن: ٥ / ١٠٢٩، بروايتين وفيه:

«بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: يحجى قوم من هاهنا وأشار بيده نحو المشرق أصحاب آيات سود يسألون الحق فلا يعطونه، مرتين أو ثلاثاً، فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوها فلا يقبلونه، حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فيملؤها عدلاً كما ملؤها ظلماً. فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حياً على الثلج».

وقال نقاد الحديث عن رواية زائدة التي فيها: واسم أبيه إسم أبي: إنها زيادة في الحديث زادها زائدة بن قدامة.

ورواه من مصادرنا: دلائل الإمامة/٢٣٣ و٢٣٥، بعدة روايات عن ابن مسعود، كابين حماد بتفاوت يسير. ومناقب أمير المؤمنين لمحمد بن سليمان: ٢/١١٠، بنحوه عن ابن مسعود، وملاحم ابن طاووس/٥٢، عن ابن حماد، وفي/١٦١، عن فتن زكريا، وكشف الغمة: ٣/٢٦٢، عن أربعين أبي نعيم. وفي/٢٦٨، عن البيان للشافعي. والعدد القوية / ٩٠، كرواية دلائل الإمامة الثانية بتفاوت يسير، والثالثة، وإثبات الهداة: ٣/٥٩٥، عن كشف الغمة، والبحار: ٥١/٨٢، عن كشف الغمة، و: ٥١/٨٣ عن أربعين الحافظ أبي نعيم. الخ.

«لكن أدق نصوصه حديث الإمام الباقر عليه السلام الذي رواه النعماني/٢٧٣، عن أبي خالد

الكابلي، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: كأني يقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق فلا يعطونه، ثم يطلبونه فلا يعطونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم، فيعطون ما سألوه فلا يقبلونه حتى يقوموا، ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم. قتلاهم شهداء. أما إني لو أدركت ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر». والنتيجة: أن هذا الحديث المعروف بحديث الرايات السود، متواتر بالمعنى، لأنه روي عن صحابة متعددين بطرق متعددة، يعلم منها أن مضمونه صدر عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخبر عن ظلامه أهل بيته عليهم السلام وأنها تستمر حتى يأتي قوم من المشرق يمهدون لمهديهم: فيظهر ويسلمونه رايتهم، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

#### ٨ . سينقذ الله العرب بيد أهل البيت عليهم السلام

أخبر النبي صلى الله عليه وآله بأن الله عز وجل سينقذ قريشاً والأمة بأهل بيته عليهم السلام، ففي كمال الدين/٢٣٠: «قال علي لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله أمتنا الهداة أم من غيرنا؟ قال: بل منا الهداة إلى الله إلى يوم القيامة، بنا استنقذهم الله عز وجل من ضلالة الشرك، وبنا يستنقذهم من ضلالة الفتنة، وبنا يصحبون إخواناً بعد ضلالة الفتنة، كما بنا أصبحوا إخواناً بعد ضلالة الشرك. وبنا يختم الله كما بنا فتح الله». وفي أمالي المفيد/٢٨٨، عن علي عليه السلام قال: «لما نزلت على النبي صلى الله عليه وآله: إذا جاء نصر الله والفتح، قال لي: يا علي إنه قد جاء نصر الله والفتح، فإذا رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا. يا علي إن الله قد كتب على المؤمنين الجهاد في الفتنة من بعدي كما كتب عليهم جهاد المشركين معي، فقلت: يا رسول الله وما الفتنة التي كتب علينا فيها الجهاد؟ قال: فتنة قوم يشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وهم مخالفون لستتي وطاعنون في ديني! فقلت: فعلام نقاتلهم يا رسول الله وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله؟ فقال: على إحداثهم في دينهم، وفراقهم لأمري، واستحلالهم دماء عترتي! قال فقلت: يا رسول الله إنك كنت وعدتني الشهادة فسل الله تعالى أن

يعجلها لي! فقال: أجل، قد كنت وعدتك الشهادة فكيف صبرك إذا خضبت هذه من هذا، وأومى إلى رأسي ولحيتي؟ فقلت: يا رسول الله أما إذا بينت لي ما بينت فليس بموطن صبر، ولكنه موطن بشرى وشكر. فقال: أجل فأعد للخصومة فإنك مخاصم أمي. قلت: يا رسول الله أرشدني الفلج، قال: إذا رأيت قوماً قد عدلوا عن الهدى إلى الضلال فخاصمهم، فإن الهدى من الله والضلال من الشيطان.

يا علي إن الهدى هو اتباع أمر الله دون الهوى والرأي! وكأنك يقوم قد تأولوا القرآن، وأخذوا بالشبهات، واستحلوا الخمر بالنبيذ، والبخس بالزكاة، والسحت بالهدية! قلت: يا رسول الله فما هم إذا فعلوا ذلك، أهم أهل ردة أم أهل فتنة؟ قال: هم أهل فتنة يعمهون فيها إلى أن يدرکہم العدل!

فقلت: يا رسول الله العدل منا أم من غيرنا؟ فقال: بل منا، بنا يفتح الله وبنا يختم وبنا ألف الله بين القلوب بعد الشرك، وبنا يؤلف الله بين القلوب بعد الفتنة، فقلت: الحمد لله على ما وهب لنا من فضله».

ومنها: في كنز العمال: ١٩٦/١٦، من وصية النبي ﷺ: «يا علي إن القوم سيفتنون ويفتخرون بأحسابهم وأموالهم، ويزكون أنفسهم، ويمنون بدينهم على ربهم، ويتمنون رحمته ويأمنون عقابه، ويستحلون حرامه بالمشتبهات الكاذبة، فيستحلون الخمر بالنبيذ، والسحت بالهدية، والربا بالبيع... إلى أن يتقدم الله بنا أهل البيت عند ظهورنا.. يا علي: بنا فتح الله الإسلام وبنا يختمه، وبنا أهلك الأوثان ومن يعبدها، وبنا يقصم كل جبار وكل منافق، حتى إنا لنقتل في الحق مثل من قُتل في الباطل. يا علي: إنا مثل هذه الأمة مثل حديقة أطعمت فوجاً عاماً، ثم فوجاً عاماً، فلعل آخرها فوجاً أن يكون أثبتها أصلاً، وأحسنها فرعاً، وأحلاها جنياً، وأكثرها خيراً وأوسعها عدلاً، وأطولها ملكاً».

وكان الإمام الصادق عليه السلام في الكافي: ٢٦٦/٨: «إذا ذكر رسول الله ﷺ قال: بأبي وأمي وقومي وعشيرتي! عجب للعرب كيف لا تحملنا على رؤوسها، والله عز وجل يقول في كتابه: وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا! فبرسول الله ﷺ أنقذوا».

وفي المسترشد لمحمد بن جرير الطبري الشيعي/٣٧٤، والإحتجاج للطبرسي:  
٩٣/١ والإمامة والسياسة: ١٨/١، من حديث طويل عن السقيفة: «أن أبا بكر دعا  
علياً إلى البيعة فامتنع وقال: إني لأخو رسول الله ﷺ لا يقو لها غيري إلا كذاب،  
وأنا والله أحق بهذا الأمر منكم وأنتم أولى بالبيعة لي، إنكم أخذتم هذا الأمر  
من العرب بالحجة وتأخذونه منا أهل البيت غضباً وظلماً! احتججتكم على  
العرب بأنكم أولى الناس بهذا الأمر منهم بقرابة رسول الله ﷺ فأعطوكم المقادة  
وسلموا لكم الأمر، فأنا أحتج عليكم بما احتججتكم به على العرب، فنحن والله  
أولى بمحمد ﷺ منكم، فأنصفونا من أنفسكم إن كنتم تؤمنون بالله، واعرفوا  
لنا من هذا الأمر ما عرفته لكم العرب، وإلا فبوؤوا بالظلم وأنتم تعلمون!

فقال أبو عبيدة بن الجراح: يا أبا الحسن أبو بكر أقوى على هذا الأمر، وأشد  
احتمالاً، فأرض به وسلم له، وأنت بهذا الأمر خليك وبه حقيق في فضلك وقرابتك  
وسابقتك! فقال لهم علي: أنا أحق بهذا الأمر منه وأنتم أولى بالبيعة لي! أخذتم  
هذا الأمر من الأنصار واحتججتكم عليهم بالقرابة من رسول الله ﷺ وتأخذونه  
منا أهل البيت غضباً، أستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لمكانكم  
من رسول الله ﷺ، فأعطوكم المقادة وسلموا لكم الإمارة. وأنا أحتج عليكم  
بمثل ما احتججتكم على الأنصار، أنا أولى برسول الله حياً وميتاً، وأنا وصيه  
وزيره ومستودع سره وعلمه، وأنا الصديق الأكبر والفاروق الأعظم، أول من  
آمن به وصدقه، وأحسنكم بلاءً في جهاد المشركين، وأعرفكم بالكتاب والسنة،  
وأفقهكم في الدين، وأعلمكم بعواقب الأمور، وأذربكم لساناً وأثبتكم جناناً،  
فعلام تنازعونا هذا الأمر!

أنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم، واعرفوا لنا الأمر مثل ما عرفته لكم  
الأنصار، وإلا فبوؤوا بالظلم والعدوان وأنتم تعلمون.

فقال عمر: إنك لست متروكاً حتى تباع طوعاً أو كرهاً! فقال علي: إحلب  
حلباً لك شطره، أشدد له اليوم ليرد عليك غداً! إذا والله لا أقبل قولك، ولا

أحفل بمقامك ولا أبايع! فقال أبو بكر: مهلاً يا أبا الحسن، ما نشك فيك ولا نُكرهك! فقام أبو عبيدة إلى علي فقال: يا ابن عم لسنا ندفع قرابتك ولا سابقتك ولا علمك ولا نصرتك، ولكنك حدث السنن، وكان لعلي يومئذ ثلاث وثلاثون سنة، وأبو بكر شيخ من مشايخ قومك وهو أحمل لثقل هذا الأمر، وقد مضى الأمر بما فيه فسلم له، فإن عمرك الله يسلموا هذا الأمر إليك، ولا يختلف فيك اثنان. فقال علي عليه السلام: يا معشر قريش، الله الله، لا تخرجوا سلطان محمد صلى الله عليه وآله من بيته إلى بيوتكم، فإنكم إن تدفَعونا أهل البيت عن مقامه في الناس وحقه تؤزروا! والله إنه لفينا لا فيكم، فلا تتبعوا الهوى فتزادوا من الحق بعداً، وتفسدوا قديمكم بشر من حديثكم.. وكثر الكلام في هذا المعنى وارتفع الصوت وخشي عمر أن يصغي الناس إلى قول علي، ففسح المجلس وقال: إن الله يقلب القلوب، ولا تزال يا أبا الحسن ترغب عن قول الجماعة، فانصرفوا يومهم ذلك».

#### ٩. تحذيرات النبي صلى الله عليه وآله للعرب من الطغيان

روى البخاري: ١٠٩/٤، ١٧٦، ١٠٩/٨، ١٠٤/٨: «عن زينب ابنة جحش أن النبي صلى الله عليه وآله دخل عليها فزَعاً يقول: لا إله إلا الله، ويُلُّ للعرب من شرٍ قد اقترَب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلَّقَ بإصبعه الإبهام والتي تليها! قالت زينب فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث».

وفي البخاري: ٨٨/٨: «قال أبو هريرة: سمعت الصادق المصدوق يقول: هلكة أمتي علي بيدي غَلَمَةٍ من قريش. فقال مروان: لعنة الله عليهم غلمة! فقال أبو هريرة: لو شئت أن أقول بني فلان وبني فلان لفعلت! فكنت أخرج مع جدي إلى بني مروان حين ملكوا بالشام، فإذا رأهم غلماناً أحداً قال لنا: عسى هؤلاء أن يكونوا منهم! قلنا أنت أعلم».

وفي مسند أحمد: ٣٩٠/٢، عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ويُلُّ للعرب من شرٍ قد اقترَب! فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، يبيع قوم دينهم

بعرض من الدنيا قليل المتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر».

وفي مسند أحمد: ٣١٩/١: «إذا رأيت الأمة ولدت ربتها أو ربها، ورأيت أصحاب الشاء تطاولوا بالبنين، ورأيت الحفاة الجياع العالة، كانوا رؤوس الناس، فذلك من معالم الساعة وأساطرها. قال: يا رسول الله ﷺ ومن أصحاب الشاء والحفاة الجياع العالة؟ قال: العرب».

وفي الكافي: ١٠٣/٨: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا يَمَعَتَ اللَّهِ كُفْرًا؟ قال: ما تقولون في ذلك؟ قلت: نقول: هم الأفجران من قريش: بنو أمية، وبنو المغيرة، قال: هي والله قريش قاطبة. إن الله تبارك وتعالى خاطب نبيه ﷺ فقال إني فضلت قريشاً على العرب، وأتممت عليهم نعمتي وبعثت إليهم رسولي، فبدلوا نعمتي كُفْرًا، وَأَطَلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ».

#### ١٠. رفض الأئمة عليهم السلام تعصب العرب ضد الشعوب الأخرى

مَيَّرَ الحكام القرشيون العرب على غيرهم من الشعوب، واصر أهل البيت عليهم السلام على المساواة بينهم وجوز تزويجهم من بعضهم. واشتكى الموالى إلى علي عليه السلام، فعن الإمام الصادق عليه السلام «الكافي: ٣١٨/٥»: «أنت الموالى أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: نشكو إليك هؤلاء العرب إن رسول الله ﷺ كان يعطينا معهم العطايا بالسوية، وزوج سلمان وبلالاً وصهيباً، وأبوا علينا هؤلاء وقالوا لا نفعل! فذهب إليهم أمير المؤمنين عليه السلام فكلّمهم فيهم فصاح الأعراب: أبينا ذلك يا أبا الحسن أبينا ذلك! فخرج وهو مغضب يجرداء وهو يقول: يا معشر الموالى إن هؤلاء قد صيروكم بمنزلة اليهود والنصارى يتزوجون إليكم ولا يزوجونكم، ولا يعطونكم مثل ما يأخذون، فاتجروا بارك الله لكم، فإني قد سمعت رسول الله يقول: الرزق عشرة أجزاء، تسعة أجزاء في التجارة، وواحدة في غيرها».

وفي الكافي: ٣٤٥/٥: «لقي هشام بن الحكم بعض الخوارج فقال: يا هشام ما تقول في العجم، يجوز أن يتزوجوا في العرب؟ قال: نعم. قال: فالعرب يتزوجوا



من قريش؟ قال: نعم، قال: فقريش يتزوجوا في بني هاشم؟ قال: نعم. قال: عمن أخذت هذا؟ قال: عن جعفر بن محمد عليه السلام سمعته يقول: أتكافأ دماؤكم، ولا تتكافأ فروجكم؟!«

وقال الكاظم عليه السلام كما في الخصال/١٢٣: «الناس ثلاثة: عربي ومولى وعلج، فأما العرب فنحن، وأما المولى فمن والانا، وأما العلج فمن تبرأ منا وناصبنا».

وفي الكافي: ٢٢٦/٨، عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «كان عند أبي الحسن موسى عليه السلام رجل من قريش فجعل يذكر قريشاً والعرب، فقال له أبو الحسن عليه السلام عند ذلك: دع هذا، الناس ثلاثة: عربي ومولى وعلج، فنحن العرب، وشيعتنا الموالي، ومن لم يكن على مثل ما نحن عليه فهو علج! فقال القرشي: تقول هذا يا أبا الحسن، فأين أفخاذ قريش والعرب؟! فقال أبو الحسن: هو ما قلت لك!»

الإمام الصادق عليه السلام «الكافي: ١٦٦/٨»: «نحن بنو هاشم، وشيعتنا العرب وسائر الناس الأعراب... نحن قريش، وشيعتنا العرب، وسائر الناس علوج الروم».

وقال الصادق عليه السلام «الكافي: ٣١٦/٨»: «والله لا يجنبنا من العرب والعجم إلا أهل البيوتات والشرف والمعدن، ولا يبغضنا من هؤلاء وهؤلاء إلا كل دَنَسٍ مُلصَقٍ».



## الفصل الثالث

# اليهود في الجزيرة العربية

### ١. هاجر اليهود إلى الجزيرة ينتظرون النبي الموعود

هاجر جماعات من اليهود مع أحبارهم بعد المسيح ﷺ إلى الجزيرة العربية، بانتظار النبي الأخير الذي وعدهم أنبياءهم ﷺ بأنه سيظهر فيها.

قال إسحاق بن عمار «الكافي: ٣١٠/٨»: «سألت أبا عبد الله ﷺ عن قول الله تبارك وتعالى: وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَسْتَفْتِحُوا عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ؟ قال: كانوا قوماً فيما بين محمد وعيسى صلى الله عليه وآله، وكانوا يتوعدون أهل الأصنام بالنبي ﷺ ويقولون: ليخرجن نبي فليكسرن أصنامكم، وليفعلن بكم وليفعلن، فلما خرج رسول الله ﷺ كفروا به».

وفي الكافي: ٣٠٨/٨، عن الإمام الصادق ﷺ قال: «كانت اليهود تجحد في كتبها أن مهاجر محمد ﷺ ما بين عير وأحد، فخرجوا يطلبون الموضع فمروا بجبل يسمى حداد فقالوا: حداد وأحد سواء، فتفرقوا عنده فنزل بعضهم بتيلاء وبعضهم بفدك وبعضهم بخير، فاشتاق الذين بتيلاء إلى بعض إخوانهم، فمر بهم أعرابي من قيس فتكأروا منه وقال لهم أمرت بكم ما بين عير وأحد، فقال له: إذا مررت بهما فأذناً بهما، فلما توسط بهم أرض المدينة قال لهم: ذلك عير وهذا أحد، فنزلوا عن ظهر إبله وقالوا: قد أصبنا بغيتنا، فلا حاجة لنا في إبلك فاذهب حيث شئت! وكتبوا إلى إخوانهم الذين بفدك وخير: أنا قد أصبنا الموضع فهلموا إلينا، فكتبوا إليهم: أنا قد استقرت بنا الدار واتخذنا الأموال وما أقربنا منكم، فإذا كان ذلك

فما أسرعنا إليكم. فاتخذوا بأرض المدينة الأموال، فلما كثرت أموالهم بلغ تُبَّعُ فغزاهم فتحصنوا منه فحاصروهم، وكانوا يَرُقُّونَ لضعفاء أصحاب تُبَّعٍ فيلقون إليهم بالليل التمر والشعير، فبلغ ذلك تُبَّعُ فرَقَّ لهم وآمنهم، فنزلوا إليه فقال لهم: إني قد استطبت بلادكم ولا أراني إلا مقيماً فيكم فقالوا له: إنه ليس ذاك لك، إنها مهاجر نبي وليس ذلك لأحد حتى يكون ذلك فقال لهم: إني مخلف فيكم من أسرتي من إذا كان ذلك ساعده ونصره، فخلف حين الأوس والخزرج، فلما كثروا بها كانوا يتناولون أموال اليهود وكانت اليهود تقول لهم: أما لو قد بعث محمد ليخرجنكم من ديارنا وأموالنا، فلما بعث الله عز وجل محمداً ﷺ آمنت به الأنصار وكفرت به اليهود وهو قول الله عز وجل: وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ.

أقول: يدل هذا الحديث على أن اليهود كانوا في المدينة قبل الأوس والخزرج، وقد تحالفوا، لكن الأنصار صاروا أقوى منهم لمحيطهم العربي، فاحتاج اليهود إلى أن يتحالفوا معهم ويكونوا في جوارهم.

وفي المحاضر ٢٧٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إن الله تعالى أخبر رسوله ﷺ بما كان من إيمان الأمم السابقة. وإن اليهود قبل ظهوره كانوا يستفتحون على أعدائهم بذكره والصلاة عليه، وكان الله عز وجل أمر اليهود في أيام موسى وبعده إذا دهمهم أمرٌ ودهمتهم داهية أن يدعوا الله بمحمد وآله ﷺ، وكانوا يفعلون ذلك ويستنصرون به، حتى كانت اليهود من أهل المدينة قبل ظهور النبي ﷺ بسنين كثيرة يفعلون ذلك، ويكفون البلاء والداهية الدهياء».

وفي تفسير القمي: ٣٢/٨: «فكانت اليهود يقولون للعرب قبل مجيئ النبي ﷺ: أيها العرب هذا أوان نبي يخرج بمكة ويكون هجرته بالمدينة، وهو آخر الأنبياء وأفضلهم، في عينيه حمرة وبين كتفيه خاتم النبوة، يلبس الشملة ويحترى بالكسرة والتميرات، ويركب الحمار عُزَيَّةً، وهو الضحوك القتال، يضع سيفه على عاتقه ولا يبالي بمن لاقى. يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر، وليقتلنكم الله به يا معشر العرب قتل

عاد، فلما بعث الله نبيه بهذه الصفة حسدوه وكفروا به كما قال الله: وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ.

اليهود في الجزيرة العربية

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: وكانت اليهود قبل ظهور محمد عليه السلام بعشر سنين تعاديهم أسد وغطفان ويقصدون أذاهم، وكانوا يستدفعون شرورهم وبلاءهم بسؤالهم ربهم بمحمد وآله الطيبين، حتى قصدتهم في بعض الأوقات أسد وغطفان في ثلاثة آلاف فارس إلى بعض قرى اليهود حوالي المدينة، فتلقاهم اليهود وهم ثلاث مائة فارس، ودعوا الله بمحمد وآله الطيبين الطاهرين فهزموهم وقطعوهم... فلما ظهر محمد عليه السلام حسدوه، إذ كان من العرب، فكذبوه!»

وفي الدر المنثور: ٨٨/١: «كانت يهود بني قريظة والنضير قبل أن يبعث محمد يستفتحون الله به يدعون على الذين كفروا ويقولون: اللهم إنا نستنصرك بحق النبي الأمي إلا نصرتنا عليهم، فينصرون!» والإستفتاح على العدو: طلب النصر عليه، ويشمل الإستعانة عليه بأحد، أو شيء، أو دعاء.

وجبل حَدَدٍ «معجم البلدان: ٢٢٩/٢» «مطل على تيباء.. قال النابغة: ساق الرفيدات من جَوْشٍ ومن حَدَدٍ» واحتمل المجلسي تصحيفه عن حداد، وقد يكون الشاعر خففه. هذا، وقول أهل البيت عليهم السلام إن هجرة اليهود إلى الجزيرة كانت بعد المسيح عليه السلام يرد ما زعمه بعض الكتاب الغربيين من أنه كان في الجزيرة مواطنون يهود كأبناء إسماعيل عليه السلام. كما أن تَبَعًا ملك اليمن والعرب، كان بعد عيسى عليه السلام وقد أسكن الأنصار في المدينة، فكثروا فهابهم اليهود وتحالفوا معهم.

## ٢. أخبر اليهود العرب بولادة النبي الموعود صلى الله عليه وآله

اشتهر خبر الخاخام يوسف اليهودي من مكة، ففي كمال الدين ١٩٦، عن علي بن إبراهيم عن رجاله: «كان بمكة يهودي يقال له يوسف، فلما رأى النجوم يقذف بها وتتحرك قال: هذا نبي قد ولد في هذه الليلة، وهو الذي نجده في كتبنا

أنه إذا ولد وهو آخر الأنبياء، رُجمت الشياطين وحجبوا عن السماء.

فلما أصبح جاء إلى نادي قريش فقال: يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود؟ قالوا: لا. قال: أخطأكم والتوراة، ولد إذاً بفلسطين، وهو آخر الأنبياء وأفضلهم! فتفرق القوم فلما رجعوا إلى منازلهم أخبر كل رجل منهم أهله بما قال اليهودي فقالوا: لقد ولد لعبد الله بن عبد المطلب ابنٌ في هذه الليلة، فأخبروا بذلك يوسف اليهودي فقال لهم: قبل أن أسألكم أو بعده؟ قالوا: قبل ذلك، قال: فاعرضوه عليّ، فمشوا إلى باب أمنة فقالوا: أخرجي ابنك بنظر إليه هذا اليهودي، فأخرجته في قماطه فنظر في عينيه، وكشف عن كتفيه فرأى شامة سوداء بين كتفيه وعليها شعرات، فلما نظر إليه وقع على الأرض مغشياً عليه، فتعجب منه قريش وضحكوا منه فقال: أتضحكون يا معشر قريش، هذا نبي السيف، ليبرنكم، وقد ذهبت النبوة من بني إسرائيل إلى آخر الأبد... الخ».

كما انتشر بين العرب خبر بحيرا الراهب الآتي، وإخباره بنبوّة نبينا ﷺ وتحذيره عمه أباطال من خطر اليهود عليه! ومن جهة أخرى: ملأت أذان الأوس والخزرج بشائر حلفائهم اليهود بالنبي ﷺ، فكان ذلك سبب إيمانهم به. وروت المصادر قصة أسعد بن زرارة، أحد زعماء الأوس، لما ذهب إلى مكة ليتحالف مع قريش ضد الخزرج، فرأى النبي ﷺ وأسلم:

قال الطبرسي في إعلام الوري: ١٣٨/١: «وكان أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج يسمعون من اليهود الذين كانوا بينهم النضير وقريظة وقينقاع، أن هذا أوان نبي يخرج بمكة يكون مهاجرة بالمدينة، لنقتلنكم به يا معشر العرب..»

فلما سمع أسعد هذا قال له: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله... والله يا رسول الله لقد كنا نسمع من اليهود خبرك ويبشروننا بمخرجك، ويخبروننا بصفتك، وأرجو أن تكون دارنا دار هجرتك وعندنا مقامك، فقد أعلمنا اليهود ذلك، فالحمد لله الذي ساقني إليك، والله ما جئت إلا لطلب الحلف على قومنا، وقد آتانا الله بأفضل مما أتيت له!»!

### ٣. سبب معاداة اليهود للنبي ﷺ أنه من بني إسماعيل!

صرح اليهود بأن سبب عداوتهم للنبي ﷺ أنه من غيرهم وهم يريدونه منهم! وقد أغمي على الحاخام يوسف لما ولد ﷺ لأن النبوة كما قال: ذهبت من بني إسرائيل إلى الأبد! «وقالوا: إنها كانت الرسل من بني إسرائيل، فما بال هذا من بني إسماعيل!» أسباب النزول/١٧.

وطلبوا منه ﷺ أن يعلن أنه رسولٌ خاص لهم ليؤمنوا به! ففي أمالي الصدوق/ ٢٥٤، عن علي بن الحسين: «جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد، أنت الذي تزعم أنك رسول الله، وأنت الذي يوحى إليك كما أوحى إلى موسى بن عمران؟ فسكت النبي ﷺ ساعة، ثم قال: نعم، أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا خاتم النبيين وإمام المتقين ورسول رب العالمين.

قالوا: إلى من، إلى العرب أم إلى العجم أم إلينا؟ فأنزل الله عز وجل هذه الآية: **قُلْ «يا محمد» يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً.**

ونشط اليهود من أول بعثة النبي ﷺ في تعليم قريش الخطط لعدائه ﷺ وقتله! فكانوا يتبادلون معهم المشورة. ففي تفسير الطبري: ٢٣٨/١٥: «بعث قريش النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء».

وتطور تعاونهم حتى وصل إلى تحشيد الأحزاب لغزو المدينة واستئصال محمد وبني عبد المطلب، بزعمهم. ثم واصلوا عملهم مع قريش بعد هزيمة الأحزاب، وكانوا يضعون الخطط لقتله ﷺ وأخذ خلافته، وإبعاد عترته!

لذا يجب علينا في دراسة السيرة رصد نشاط اليهود في حياة النبي ﷺ وتأثيرهم على قادة قريش، ورصد مجموعة الصحابة الذين كانوا يدرسون عندهم، ويتصلون بهم وقد ابتكر لهم النبي ﷺ إسم «المتهوِّكين» وحذر المسلمين منهم!

وقوله تعالى يكشف اتفاقية سرية بين قريش واليهود ضد النبي ﷺ! قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آذَنُوا عَلَىٰ آذَانِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ. محمد: ٢٥-٢٦.

وقد بقي اليهود في جزيرة العرب خمسة قرون، وتكلموا العربية، وكان العرب يحترمونهم ويرجعون إليهم في مسائل التنبؤ بالمستقبل، واستمر ذلك في الصحابة حتى بعد بعثة النبي ﷺ!

فقد كانت عائشة زوجة النبي ﷺ وأبوها معجبين بالثقافة اليهودية! روى مالك في الموطأ: ٩٤٣/٢: «أن أبا بكر دخل على عائشة وهي تشتكي ويهودية ترقبها! فقال أبو بكر: إرقبها بكتاب الله». فهي تثق بدعاء العجوز اليهودية أكثر مما تثق بنفسها وما علمها النبي ﷺ! وسواء قصد أبوها: إرقبها بكتاب الله، القرآن، أو التوراة، فهو يعلن أن اليهودية بمستوى أن ترقى زوجة النبي ﷺ! وقد قلد فقهاء السلطة عائشة وأفتوا بأنه يجوز للمسلم أن يسترقى اليهودي! والخلاصة: أن اليهود كانوا مقرين ولهم كلمتهم في «دار الخلافة» في المدينة، وفي «بلاط الخلافة» بالشام. وكان حاخاماتهم مستشارين ثقافيين وسياسيين للخليفة، فأثروا في سياسة الدولة وفي ثقافة الأمة تأثيراً كبيراً!

#### ٤. كتب النبي ﷺ عهداً مع اليهود للتعايش

عندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، كتب مع فئات اليهود معاهدة تعايش: أما بنو قينقاع الصاغة، فنقضوا الصلح، فسار إليهم النبي ﷺ بعد عشرين يوماً من وقعة بدر، فتحصنوا فحاصرهم خمسة عشر يوماً حتى نزلوا على حكمه فأوثقهم كتافاً، ووهبهم لخليفهم المناقق عبدالله بن سلول، وأمرهم أن يخرجوا من المدينة، فخرجوا إلى أذرعات الشام، وكانوا ست مئة مقاتل. وأما بنو النضير، فتأمروا على النبي ﷺ ليقتلوه ونزلت فيهم سورة الحشر، فبعث

إليهم أن أخرجوا من المدينة ولا تساكفوني بها، فأرسل إليهم عبدالله بن أبي، أن لا تخرجوا من دياركم، فإن معي ألفين يموتون دونكم وينصركم بنو قريظة وحلفاؤكم من غطفان، فبعث رئيسهم حبي بن أخطب إلى النبي ﷺ: إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك! فكبر رسول الله ﷺ وكبر أصحابه! وأمر علياً عليه السلام بالمسير إليهم فحاصروهم وقتل نخبة فرسانهم، ولم ينصرهم عبدالله بن أبي، ولا بنو قريظة، ولا حلفاؤهم من غطفان! وبعد أيام من الحصار قالوا للنبي ﷺ: نخرج من بلادك فأعطنا أموالنا فقال: لا، ولكن تخرجون ولكم ما حملت الإبل، فخرجوا إلى وادي القرى والشام. وأما بنو قريظة، فبقوا على صلحهم مع النبي ﷺ حتى ذهب زعماؤهم إلى مكة وتحالفوا مع أبي سفيان لغزو المدينة في حرب الأحزاب، ثم تجولوا على قبائل نجد والجزيرة يخثونهم على حرب النبي ﷺ، ويعدونهم بتمر خبير. وعندما حاصر الأحزاب المدينة مزق بنو قريظة عهدهم مع النبي ﷺ لكنهم طلبوا من الأحزاب رهائن حتى لا يذهبوا ويتركوهم وحدهم مقابل النبي، فلم يعطوهم، ولما انهزم الأحزاب سار إليهم النبي ﷺ فحاصروهم حتى نزلوا على حكم حليفهم سعد بن معاذ، فحكم بقتل من حرض منهم وكانوا ثلاث مئة. وأما يهود خيبر، فكانوا أكبر قوة لليهود، وقد شاركوها في مؤامراتهم على النبي ﷺ فقصدهم في السنة السابعة للهجرة، وأخضعهم وانتصر عليهم.





## الفصل الرابع

### مكانة الكعبة عند العرب

#### ١. بَيَّاتُ اللَّهِ الْكَعْبَةَ لِإِبْرَاهِيمَ وَذُرِّيَّتِهِ لِلْبَيْتِ وَسَمَاهُمُ الْأُمَّةَ الْمُسْلِمَةَ

فقد استجاب الله دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لما بنيا البيت فقالا: رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

وهذه الأمة من ذرية إسماعيل عليه السلام لا تنطبق إلا على النبي والأئمة من آل عليه السلام. وقد روى الثقفى في الغارات: ٢٠٠/١، رسالة علي عليه السلام لمعاوية، وفيها: «ولكل نبي دعوة في خاصة نفسه وذريته وأهله. قال إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهما يرفعان القواعد من البيت: رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ، فنحن الأمة المسلمة. وقالوا: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ. فنحن أهل هذه الدعوة ورسول الله صلى الله عليه وآله منا ونحن منه، بعضنا من بعض وبعضنا أولى ببعض في الولاية والميراث: ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».

وفي الكافي: ١٤/٥ أن الإمام الصادق عليه السلام حصر الأمة المأذون لها بالدعوة في قوله تعالى: وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ بِالْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ من ذرية إبراهيم عليه السلام فقال: «ثم أخبر عن هذه الأمة ومن هي وأنها من ذرية إبراهيم وذرية إسماعيل عليهما السلام من سكان الحرم، ممن لم يعبدوا غير الله قط! الذين وجبت لهم الدعوة دعوة إبراهيم وإسماعيل من أهل المسجد الذين أخبر عنهم في كتابه أنه أذهب عنهم الرجس».

وفي كتاب سليم/٤٠٦: «إنا أهل بيت دعا الله لنا أبونا إبراهيم عليه السلام فقال: فَاجْعَلْ أَقْبَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ، فَإِنَا عَنِ اللَّهِ بِذَلِكَ خَاصَةٌ. وَنَحْنُ الَّذِينَ عَنِ اللَّهِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.. إلى آخر السورة، فرسول الله الشاهد علينا، ونحن شهداء الله على خلقه، وحججه في أرضه».

وفي الكافي: ٣٩٢/١ أن الإمام الباقر عليه السلام: «نظر إلى الناس يطوفون حول الكعبة فقال: هكذا كانوا يطوفون في الجاهلية! إنما أمروا أن يطوفوا بها، ثم ينفروا إلينا فيعلمونا ولايتهم ومودتهم، ويعرضوا علينا نصرتهم! ثم قرأ هذه الآية: فَاجْعَلْ أَقْبَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ». أي لم يقل: إليها!

وفي تفسير العياشي: ٢٣٣/٢، عنه عليه السلام قال: «ينبغي للناس أن يحجوا هذا البيت ويعظموه لتعظيم الله إياه، وأن يلقونا حيث كنا، نحن الأدلاء على الله».

وفي دعائم الإسلام: ٣١/١، عن الإمام الصادق عليه السلام: «لم يكن من الأمم السالفة والقرون الخالية والأسلاف الماضية ولا سمع به أحد أشد ظلماً من هذه الأمة، فإنهم يزعمون أنه لافرق بينهم وبين أهل بيت نبيهم صلى الله عليه وآله ولا فضل لهم عليهم، فمن زعم ذلك من الناس فقد أعظم على الله الفرية وارتكب بهتاناً عظيماً وإثماً مبيهاً! وهو بذلك القول برئ من محمد وآل محمد حتى يتوب ويرجع إلى الحق بالإقرار بالفضل لمن فضله الله عز وجل عليه... فأصحاب دعوة إبراهيم وإسماعيل رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام، ومن كان متولياً هؤلاء من ولد إبراهيم وإسماعيل فهو من أهل دعوتها، لأن جميع ولد إسماعيل قد عبدوا الأصنام، غير رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين وكانت دعوة إبراهيم وإسماعيل لهم».

يقصد عليه السلام أصول هذا الفرع وهو فرع عبد المطلب إلى إسماعيل عليه السلام.

## ٢. أولياء الكعبة هم إبراهيم وذريته المنصوص عليهم ﷺ

قال الله تعالى: **جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**. **إِغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**. المائدة: ٩٧-٩٨.

إِنَّ أَوْلَ بَيْتٍ وَضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بَنَيْتَهُ مَبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ. آل عمران: ٩٦-٩٧.

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ. وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ. لِنَبِّهَهُدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْبَائِسِ الْفَقِيرِ. ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُؤْتُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ. ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَجَلَتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ السَّمَاءُ فَتَخَفَطَنُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ. ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ. لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ. وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ. الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمُ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُصِيبِي الصَّلَاةَ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاَهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لَهَا لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَتَالَهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ. الحج: ٢٥-٣٧.

## ٣. الإمامة عهد الله لإبراهيم وإسماعيل وبعض ذريتهما ﷺ

قال الله تعالى: **وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**. وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مَكَاةً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا

الْعَذَابِ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ. الأنفال: ٣٤-٣٥.

وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا تَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ. وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَنُحَدِّثُكَ مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ. وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ يَا اللَّهُ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ الرَّحِيمُ. رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ. إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. البقرة: ١٢٤-١٣١.

#### ٤. نصوص التوراة عن إسكان إبراهيم ذريته في مكة

تقول التوراة الموجودة إن سارة حسدت ضرثها هاجر، فطلبت من إبراهيم <sup>عليه السلام</sup> أن يطردها مع طفلها! فطردهما إلى برية سيناء، ثم سكننا في برية فاران، أي مكة!

وتؤكد توراتهم أن عهد الله تعالى بالإمامة والخلافة في الأرض، إنما كان لإبراهيم وابنه إسحاق وذريته، ولا يشمل إسماعيل وذريته أبداً!

تقول الفقرات ٢٥/ -٣٠ من العهد القديم: «قال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده. وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً. اثني عشر رئيساً يلد. وأجعله أمة كبيرة. ولكن عهدي أقيم مع إسحاق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية... ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمرح، فقالت

لإبراهيم: أطرده هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق. فقبح الكلام جداً في عيني إبراهيم لسبب ابنه، فقال الله لإبراهيم: لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك. في كل ما تقول لك سارة إسمع لقولها، لأنه بإسحق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك.

فبكر إبراهيم صباحاً وأخذ خبزاً وقربة ماء وأعطاهما لهاجر، واضعاً إياهما على كتفها والولد وصرفها، فمضت وتاهت في برية بئر سبع، ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار ومضت وجلست مقابله بعيداً نحو رمية قوس، لأنها قالت لا أنظر موت الولد فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت فسمع الله صوت الغلام، ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: مالك يا هاجر لا تخافي، لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو، قومي إحمل الغلام وشدي يدك به، لأنني سأجعله أمة عظيمة. وفتح الله عينها فأبصرت بئر ماء فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام، وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس وسكن في برية فاران، وأخذت له أمة زوجة من أرض مصر».

وفي نص آخر: «وبعد أن حملت سارة نظرت إلى سيدتها باحتقار، لأنها كانت عاقراً، فطردها سيدتها، ولاقاها ملاك الرب في الطريق وأمرها أن ترجع إلى سيدتها وإلى بيت إبراهيم، ووعدها بأنها ستلد ابناً تسميه إسماعيل، وأنه يكون أباً لجمهور من الناس وأنه سيسكن البرية كحمار وحشي!» قاموس الكتاب المقدس/ ٧٤ تك: ٥١٦-١٤

وفي سفر التثنية/ إصحاح: ٣٣: «وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته، فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم».

وفي سفر حيقوق/ إصحاح: ٣: «الله جاء من تيبان، والقدوس من جبل فاران. سلاه. جلاله غطى السماوات. والأرض امتلأت من تسيبحة. وكان لمعان كالنور. له من يده شعاع. وهناك استتار قدرته».

وسيناء: محل نزول الوحي على موسى. وسعير: محل بعثة عيسى. وفاران: جبال مكة

التي تالأت بنوة محمد ﷺ! وهي حجة واضحة لنبينا محمد ﷺ.

وفي التوراة والإنجيل / ١١٤٠ موقع: arabicbible: «ستيتين في صحاري بلاد العرب يا قوافل الدنانين. فاحلوا يا أهل تيماء الماء للعثشان واستقبلوا الهارين بالخبز. لأنهم قد فروا من السيف المسلول والقوس المتوتر ومن وطيس المعركة. لأنه هذا ما قاله لي الرب: في غضون سنة مماثلة لسنة الأجير يفنى كل مجد قيदार، وتكون بقية الرماة الأبطال من أبناء قيदार قلة. لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم». هذا كل ما أوردته توراتهم عن سكن إسماعيل ﷺ في مكة، وقد أهملت عن عمد تجديد إبراهيم وإسماعيل ﷺ ببناء الكعبة! لأنه يكشف التخطيط الرباني للأمة الآخرة من ذرية إسماعيل ﷺ، وإخبار بأن الله سينقل النبوة اليهم.

#### ٥. وفرة أحاديث أهل البيت ﷺ في الكعبة وإبراهيم وإسماعيل ﷺ

أما أحاديث أهل البيت ﷺ فينبت مكانة الكعبة، وأن أصلها كان قبل آدم ﷺ، وأنها نزلت على آدم ﷺ ياقوته حمراء وكانت قواعدها زبرجدة خضراء، ثم عفيت بعد نوح، فأمر الله تعالى إبراهيم ﷺ أن يسكن عندها طفله إسماعيل وأمه هاجر ﷺ، وبعث جبرئيل ﷺ فاحترف بئراً لشرابهم وشراب الحاج.

ثم أمر الله إبراهيم ﷺ أن يحدد بناءها مع ابنه إسماعيل ﷺ عندما صار يافعاً فجددناها، وأمره أن يدعو الناس إلى حجها، ويريم مناسكهم، فدعا الناس واستجابوا له وحج بهم، ثم أمره الله تعالى أن يذبح إسماعيل فأطاعه، وفداه الله بكيش كما قص القرآن.

وتزوج إسماعيل ﷺ من قبيلة جرهم العربية، ثم توفيت أمه هاجر ﷺ فدفنها في المسجد عند الكعبة، وأمره الله أن يجعل حول قبرها حجراً لئلا يدوسه الناس، وأدخله في المطاف!

كما بينت الأحاديث تقديس العرب للكعبة، والتزامهم بالعمرة في رجب والحج في ذي الحجة.. إلى عشرات العناوين والتفصيلات عن الكعبة ومكانتها،

وعن آل إبراهيم عليهم السلام. الكافي: ٢٠١/٤، علل الشرائع: ٥٨٦/٢ وتفسير القمي: ٦٠/١.  
وروت شبيهاً بها مصادر السنة كالبخاري: ١١٤/٤. لكنها تأثرت بالإسرائيليات.

### ٦ . عقيدة العرب بالكعبة

يتعجب الإنسان كيف استطاع إبراهيم صلوات الله عليه أن يجمع العرب على تقديس الكعبة والحج إليها، مع أنه لم يكن حاكماً عليهم ولا كان يعيش بينهم!  
فلا بد من القول بوجود إعجاز رباني في الأمر، وجه العرب إلى البيت الذي بناه هذا  
القدّيس الباطني، الذي أحرقه نمرود فلم يحترق!

وقد نصت على ذلك أحاديث النبي وأهل بيته عليهم السلام، في تفسير قوله تعالى: وَأَذِّنْ فِي  
النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ. لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا  
اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ. ثُمَّ  
لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدْوَهُمْ وَلِيَلْطَافُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ.

وقد أسمع الله دعوة إبراهيم عليه السلام حتى لمن كانوا في أصلاب آبائهم: قال الإمام  
الصادق عليه السلام «الكافي/٢٠٥/٤»: «فقال: أيها الناس إني إبراهيم خليل الله، إن الله يأمركم  
أن تحجوا هذا البيت فحجوه، فأجابه من يحج إلى يوم القيامة، وكان أول من أجابه  
من أهل اليمن.»

وقال الإمام الباقر عليه السلام «علل الشرائع/٤٢٠/٢»: «صار بإزاء أبي قبيس فنادى في الناس  
بالحج، فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، إلى أن تقوم الساعة.»  
وروى نحوه الحاكم وصححه: ٣٨٩/٢: «يا أيها الناس كتب عليكم الحج حج البيت  
العتيق، فسمعه من بين السماء والأرض.»

وسرعان ما تحققت المعجزة وصارت مكة موسماً في ذي الحجة وفي رجب، ومجمعاً  
لقبائل العرب وسوقاً رأوا فيه المنافع التي قال الله عنها: لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ. وكان  
إسماعيل وأبناؤه، وأصهاره من قبيلة جرهم، يخدمون الحجاج ويعلمونهم الحج  
والعمرة.

وكان ملوك التبابعة يحترمون الكعبة، قال الإمام الصادق عليه السلام «الكافي ٢١٥/٤»: «إن تَبَعًا لما أن جاء من قبل العراق وجاء معه العلماء وأبناء الأنبياء، فلما انتهى إلى هذا الوادي لهذيل أناه أناس من بعض القبائل فقالوا: إنك تأتي أهل بلدة قد لعبوا بالناس زماناً طويلاً حتى اتخذوا بلادهم حرماً وبَيَّنَّتهم رباً أو ربَّة! فقال: إن كان كما تقولون قتلت مقاتليهم وسببت ذريتهم وهدمت بنيتهم. قال: فسالت عيناه حتى وقعتا على خديه! قال: فدعى العلماء وأبناء الأنبياء فقال: أنظروني وأخبروني لما أصابني هذا؟ قال: فأبوا أن يخبروه حتى عزم عليهم قالوا: حدثنا بأي شيء حدثت نفسك؟ قال: حدثت نفسي أن أقتل مقاتليهم وأسبي ذريتهم وأهدم بنيتهم! فقالوا: إنا لا نرى الذي أصابك إلا لذلك، قال: ولم هذا؟ قالوا: لأن البلد حَرَمَ الله والبيت بيت الله، وسكانه ذرية إبراهيم خليل الرحمن. فقال: صدقتم فما نَحْرَحي مما وقعت فيه؟ قالوا: تُحدث نفسك بغير ذلك، فعسى الله أن يرد عليك، قال: فحدثت نفسه بخير، فرجعت حدقتاه حتى ثبتتا مكانها قال: فدعى بالقوم الذين أشاروا عليه بهدمها فقتلهم، ثم أتى البيت وكساه وأطعم الطعام ثلاثين يوماً، كل يوم مائة جزور، حتى حملت الجفان إلى السباع في رؤوس الجبال، ونثرت الأعلاف في الأودية للوحوش، ثم انصرف من مكة إلى المدينة فأنزل بها قوماً من أهل اليمن من غسان وهم الأنصار».

وكانت بعض قبائل العرب لا تحج البيت وهم الغساسنة في الشام وغيرهم ممن تنصروا، ونصاري نجران، وقسم من طيء على مشارف الشام، وكان القياصرة ومن والاهم يبذلون جهداً ليشنوا العرب عن الحج إلى الكعبة. وكان من أهداف طليحة الأسدي الذي ادعى النبوة، وهاجم المدينة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بستين يوماً، بعشرين ألف مقاتل، فنهض علي عليه السلام وتلاميذه وهاجمهم ليلاً، وقتل قائدهم وهزمهم. وقال عليه السلام عن تلك الفترة: «حتى رأيت راجعة من الناس قد رجعت من الإسلام تدعو إلى محق دين محمد صلى الله عليه وسلم وملة إبراهيم عليه السلام».



أى يريدون إزالة الإسلام، وحتى الحج إلى الكعبة الذي بقي من ملة إبراهيم عليه السلام! كشف المحجة / ١٧٦، راجع قراءة جديدة في حروب الردة للمؤلف.

وكان قيصر يؤيد ردة بني أسد ومن معهم من طىء، لأنه كان يتهيأ لحرب النبي ﷺ ويخصرُ دولة الغساسنة، وأبا عامر الفاسق وجماعته في المدينة، والأكيدر الكندي في دومة الجندل، وقد وثق ملك الشام الغساني علاقته بطىء حتى تنصر عدي بن حاتم، وأهدى قيصر سيوفاً ثمينة لصنمي طىء، فأرسل النبي ﷺ عليه السلام وجاه بأسرى من طىء! فلا بد أن قيصر أشجع طليحة على حملته! ومع ذلك، فإن أكثرية قبائل العرب وجمهرتها كانت تؤمن بالكعبة وتحج إليها.

### ٧. أما الأكاسرة الفرس فكان بعضهم يقدسون الكعبة

ذكر المسعودي في مروج الذهب: ٢٦٥/١ وغيره من المؤرخين، أن ساسان بن بابك ملك الفرس حج إلى الكعبة وكان يعتقد بها، وكان يدعى أنه من ذرية إبراهيم عليه السلام، قال: «وكانت الفرس تهدي إلى الكعبة أموالاً في صدر الزمان وجواهر، وقد كان ساسان بن بابك هذا، أهدى غزاليين من ذهب وجوهر أو سيوفاً وذهباً كثيراً». حتى غلبت خزاعة جرهما فرمى الحارث بن مضااض الغزاليين في زمزم، ودفنها فضاء أثرهما، حتى استخرجها عبد المطلب عليه السلام. وقد يكون ساسان أهدى إلى الكعبة لكسب قلوب قبائل العرب، لأن الأكاسرة المتأخرين كانوا لا يقدسونها.



## الفصل الخامس

### آباء النبي ﷺ موحدون لكن السلطة كَفَرْتَهُمْ !

#### ١. لماذا أصر «الخلفاء» على تكفير آباء النبي ﷺ

السبب: أنهم إذا اعترفوا بأن آباء النبي ﷺ مؤمنون، فهم ورثة إسماعيل وإبراهيم ﷺ، فيكون الوارث عبدالمطلب ثم النبي ﷺ ثم أبو طالب وعلي ﷺ فلا يبقى لخلفاء قريش شيء! لذلك اخترعوا أن يساووا بين آباء النبي ﷺ وآبائهم الذين قاوموه وكفروا به، فقالوا إنهم جميعاً كفار ولا أحد أولى بوراثته النبي ﷺ، فكل قرشي مثل كل هاشمي له الحق أن يرث سلطانه ﷺ!

وهم صادقون بحق آبائهم، فتاريخهم غير مشرف وأكثرهم لعنهم النبي ﷺ. وقد وصل عدوانهم إلى أوجه فزعموا أن النبي ﷺ قال إن آباءه كفار في النار! وكذب عليه أنس فقال إن رجلاً سأله، صحيح مسلم ١/١٣٣: «يا رسول الله، أين أبي؟ قال: في النار. فلما قفى دعاه فقال: إن أبي وأباك في النار!»

وقال السهيلي في الروض الأنف: ١/١٩٤: «وفي الصحيح أيضاً أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: استأذنت ربي في زيارة قبر أُمِّي فأذن لي، واستأذنته أن أستغفر لها، فلم يأذن لي. وفي مسند البزار من حديث بريدة أنه حين أراد أن يستغفر لأمه، ضرب جبريل في صدره وقال له: لا تستغفر لمن كان مشركاً، فرجع وهو حزين».

فانظر إلى هذه الخسونة التي وصفوا بها الله الرحمن الرحيم، ورسوله ﷺ!

والعجيب أن أكثرهم صحح أحاديث الطعن في آباء النبي ﷺ ولم يردّها إلا قليل من علمائهم المتأخرين!

قال الصالحى في سبيل الهدى: ٢٦٠/٨: «قال السهيلي في الروض الأنف بعد إيراده حديث مسلم: وليس لنا نحن أن نقول ذلك في أبيه صلى الله عليه وسلم: لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات. وقال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وسئل القاضي أبو بكر بن العربي أحد الأئمة المالكية رحمهم الله عن رجل قال: إن أبا النبي صلى الله عليه وسلم في النار؟ فأجاب: بأن من قال ذلك فهو ملعون لقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. قال: ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه إنه في النار!»

وعلى قوله فمسلم صاحب الصحيح ملعون لأنه نسب ذلك إلى رسول الله ﷺ. ومن العجيب أن الطاعنين أنفسهم اعترفوا ببطان قولهم، حيث روي أن الله تعالى اختار بني هاشم وميزهم على قريش، ولا يمكن أن يختارهم وهم كفار! وقد عقد الهيثمي باباً في «مجمع الزوائد ٢١٥/٨» في كرامة أصل النبي ﷺ روى فيه عن ابن عباس ووثقه أن معنى قوله تعالى: وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ: من صلب نبي إلى نبي حتى صرت نبياً. فدل ذلك على أن كل آبائه مؤمنون أنبياء، ولو لأنفسهم! ثم روى غضب النبي ﷺ لقول أحدهم: «إن مثل محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط التنن! وقول أحدهم: إنما مثل محمد نخلة نبتت في الكبا» المزبلة! فقال رحمهم الله: أيها الناس من أنا؟ قالوا أنت رسول الله، قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. ألا إن الله عز وجل خلق خلقه، ثم فرقه ففرقتين فجعلني في خير الفريقين، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً، فأنا خيرهم بيتاً و خيرهم نفساً».

وفي الدر المنثور: ٢٩٤/٣ والمستدرک: ٧٣/٤ والخصال: ٣٦: «قسم الله تبارك وتعالى أهل الأرض قسمين فجعلني في خيرهما، ثم قسم النصف الآخر على ثلاثة، فكنت خير الثلاثة، ثم اختار العرب من الناس، ثم اختار قريشاً من العرب، ثم اختار بني

هاشم من قريش، ثم اختار بني عبد المطلب من بني هاشم، ثم اختارني من بني عبد المطلب».

ورد النبي ﷺ على حقد القرشيين رداً عنيفاً قاصماً، فقال لهم وهو على المنبر: فليسألني الطاعن بأسرتي: ابنُ مَنْ هو؟! فسأله صحابي عن أبيه، فقال له: إن أباك فلان الراعي! وكانت أول مرة يَجِبُهُ فيها أحداً بمثل هذا! لكن القرشيين لا يرتدعون ولا تنكسر أعينهم، فقد أصروا على الإنتقاص من آباءه ﷺ لينفوا وراثتهم لإبراهيم عليه السلام! راجع: العقائد الإسلامية: ٢٧٥/٣.

## ٢. تفرد مذهبنا بعقيدة إيمان آباء النبي ﷺ

قال المفيد في أوائل المقالات/٤٥: «اتفقت الإمامية على أن آباء رسول الله ﷺ من لدن آدم إلى عبد الله بن عبد المطلب عليه السلام مؤمنون بالله عز وجل موحدون له. واحتجوا في ذلك بالقرآن والأخبار، قال الله عز وجل: الَّذِي يَزَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِ. وقال رسول الله ﷺ: لم يزل ينقلني من أصلاب الطاهرين، إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا. وأجمعوا على أن عمه أباطال مات مؤمناً، وأن أمنة بنت وهب كانت على التوحيد، وأنها تحشر في جملة المؤمنين». قال أبو حيان «البحر المحيط: ٤٧/٧»: «ذهبت الرافضة إلى أن آباء النبي كانوا مؤمنين».

وقد وافقنا غيره من علمائهم فصاروا رافضة في هذا الموضوع، مثل الماوردي، والرازي في كتابه أسرار التنزيل، والسنوسي، والقاضي عياض، والتلمساني شارح الشفاء، وألف السيوطي رسائل لإثبات إيمانهم. الصحيح: ١٨٦/٢. والصحيح عندي أن آباءه ﷺ كانوا على دين إبراهيم عليه السلام، وأن الله كلفهم بالخنيفية ولم يكلفهم باليهودية ولا المسيحية، وقد ثبتوا على خنيفية إبراهيم عليه السلام، بينما انحرفت عنها قبائل قريش الأخرى. والأدلة على ذلك عديدة، منها ما رواه الأصمغ بن نباتة عليه السلام: «سمعت

أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: والله ما عبدَ أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف، صنماً قط! قيل له: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به». كمال الدين / ١٧٤.

ويؤيده ما رواه البخاري: ٩٨/٢: «لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب! فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب: آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله! فقال رسول الله ﷺ أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فأنزل الله تعالى فيه: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ». ومع أن رواية البخاري عندنا مكذوبة، لكننا نستشهد باعترافها بأن أبا طالب قال إنه على ملة عبد المطلب، أي ملة إبراهيم عليه السلام.

وفي تفسير ابن عطية: ٢٩٣/٤: «أنا على ملة عبد المطلب والأشياخ». «وغوه تفسير الثعلبي: ١٠٠/٥ وأسباب النزول / ١٧٨». ويبدو أن كلمة الأشياخ أضافها رواة السلطة وقصدتهم بهم أشياخ قريش، لا أشياخ أبي طالب بمعنى آبائه عليهم السلام.

وقد رووا أن أشياخ قريش سألوا أبا طالب: هل أسلم؟ فكان يقول لهم: أنا على ملة عبد المطلب أو ملة إبراهيم عليه السلام، ليخفف من عدائهم إذا قال لهم إنه أسلم.

ومما يدل على كذب رواية البخاري أن أبا جهل لم يحضر وفاة أبي طالب، وأن آية: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ.. لم تنزل يومها بل هي من سورة التوبة التي نزلت في رجوع النبي ﷺ من تبوك في السنة التاسعة، أي بعد وفاة أبي طالب عليه السلام بأكثر من عشر سنين.

وفي كمال الدين / ١٧١: «كان عبد المطلب وأبو طالب عليهما السلام من أعرف العلماء وأعلمهم بشأن النبي ﷺ وكانا يكتمان ذلك عن الجهال وأهل الكفر والضلال».

وفي الكافي: ٤٤٤/١ من خطبة للإمام الصادق عليه السلام: «تبشّر به كلُّ أمة من بعدها،

ويدفعه كل أب إلى أب من ظهر إلى ظهر، لم يخلطه في عنصره سفاح، ولم ينجسه في ولادته نكاح، من لدن آدم إلى أبيه عبدالله، في خير فرقة، وأكرم سبط، وأمنع رهط، وأكلأ حمل، وأودع حجر».

آيات النبي ﷺ

### جدُّ النبي ﷺ هاشم وعبد المطلب

#### ١. تفوُّق هاشم جد النبي ﷺ على قريش

فقد أسس هاشم ﷺ رحلتي الشتاء والصيف. قال أبو نصر البخاري في كتابه سرّ السلسلة العلوية ٣: «أول من رفع الله تعالى من قريش قبل النبوة أربعة: هاشم، والمطلب، وعبد شمس، ونوفل. خرج هاشم في ألف من قريش إلى الشام، فأخذ من قيصر ملك الروم عهداً لقريش ليتجروا في بلاده. وخرج المطلب إلى اليمن فأخذ من ملوك اليمن عهداً لهم، وركب نوفل البحر فأخذ لهم من النجاشي عهداً». «كان هاشم يُدعى القمر، ويسمى زادُ الركب». عمدة الطالب/٢٥.

«وكان يقال لهاشم والمطلب: البدران لجألهما». الكامل لابن الأثير: ١٧/٢.

«وكان هاشم أول من سنَّ الرحلتين، فكان يرحل في الشتاء إلى اليمن، وإلى الحبشة فيكرمه النجاشي، ويرحل في الصيف إلى الشام وبها مات، وربما وصل إلى أنقرة فيدخل على قيصر فيكرمه. ومن خصال بني هاشم ما عبر عنها علي بن أبي طالب: خصصنا بخمس: فصاحة، وصباحة، وسباحة، وندجة، وحظوة».

قبائل العرب لكحالة: ١٢٠٧/٣، في مصادره ابن خلدون: ٣٢٨/٢ والطبري: ٢٣/٥ و٤٨/٩.

وقد منَّ الله على قريش بفعل هاشم ﷺ فقال: لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف. فلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ. الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ.

لكن قريشاً لا تشكر نعم ربها، ولذلك روى أن النبي ﷺ كان يقرأ السورة فيقول: ويلٌ أمكم قريش، رحلة الشتاء والصيف! في موضع: لإيلاف قريش».

تاريخ دمشق ٢٣/٢٢٨، الزوائد ٧/١٤٣، كبير الطبراني ٢٤/١٧٨ وأحمد ٦/٤٦٠.

وأسس هاشم إطعام الحجيج: «إنما سمي هاشماً لهشمه الثريد للحاج، وكانت

إليه الوفادة والرفادة، وفيه يقول مطرود بن كعب الخزاعي:

عمرو العلي هَشَمَ الثريد لقومه ورجال مكة مُسْتَنُونَ عجافٌ.»

«أصاب الناس سنة جدب شديد، فخرج هاشم إلى الشام، وقيل بلغه ذلك وهو بغزة من الشام، فاشترى دقيقاً وكعكاً، وقدم به مكة في الموسم فهشم الخبز والكعك ونحر الجزر، وجعله ثريداً وأطعم الناس حتى أشبعهم، فسمى بذلك هاشماً، وكان يقال له: أبو البطحاء وسيد البطحاء». الطبري: ٨/٢ واليعقوبي: ٢٤٥/١.

وفي العدد القوية/١٤٠: «كان لهاشم خمسة بنين: عبد المطلب وأسد ونضلة وصيفي وأبو صيفي. وسُمِّيَ هاشماً لهشمه الثريد للناس في زمن المسغبة، وكنيته أبو نضلة، وإسمه عمرو العلي. قال ابن الزبير:»

كانت قريش بيضة فتفلقت  
والرايشون وليس يوجد رايش  
والخالطون فقيرهم بغنيهم  
عمرو العلي هشم الثريد لقومه  
فالمخ خالصها لعبد مناف  
والقائلون هلم للأضياف  
حتى يكون فقيرهم كالكافي  
ورجال مكة مستنون عجاف

البيت  
الذي  
هو  
المشهور

## ٢. أمية وهاشم يشبهان قابيل وهابيل

نصت أحاديث أهل البيت عليهم السلام على أن الله تعالى أمر آدم أن يوصي لابنه الأصغر هابيل عليه السلام، فأوصى له فحسده قابيل، فتباهلا بالقربان فتقبل الله قربان هابيل دون قابيل، فزاد حسد قابيل لأخيه حتى قتله!

ففي تفسير العياشي: ٣١٢/١: «عن سليمان بن خالد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك إنهم يزعمون أن قابيل إنما قتل هابيل لأنها تغايرت على أختها؟ فقال له: يا سليمان تقول هذا! أما تستحي أن تروى هذا على نبي الله آدم! فقلت: جعلت فداك فميم قتل قابيل هابيل؟ فقال: في الوصية. ثم قال لي: يا سليمان إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى آدم أن يدفع الوصية وإسم الله الأعظم إلى هابيل، وكان قابيل أكبر منه، فبلغ ذلك قابيل فغضب فقال: أنا أولى بالكرامة والوصية! فأمرهما أن يقربا قرباناً

بوحى من الله إليه فعلا، فقبل الله قربان هابيل، فحسده قابيل فقتله!  
 فقلت: جعلت فداك فممن تناسل ولد آدم، هل كانت أنثى غير حواء، وهل  
 كان ذكر غير آدم؟ فقال: يا سليمان إن الله تبارك وتعالى رزق آدم من حواء قابيل  
 وكان بكر ولده، ومن بعده هابيل، فلما أدرك قابيل ما يدرك الرجال أظهر الله له  
 جنية وأوحى إلى آدم أن يزوجها قابيل ففعل ذلك آدم، ورضي بها قابيل وقنع،  
 فلما أدرك هابيل ما يدرك الرجال أظهر الله له حوراء، وأوحى الله إلى آدم أن  
 يزوجها من هابيل ففعل ذلك.

فقتل هابيل والحوراء حامل فولدت الحوراء غلاماً فسماه آدم هبة الله، فأوحى  
 الله إلى آدم أن ادفع إليه الوصية واسم الله الأعظم.

وولدت حواء غلاماً فسماه آدم شيث بن آدم، فلما أدرك ما يدرك الرجال  
 أهبط الله له حوراء وأوحى إلى آدم أن يزوجها من شيث ابن آدم، ففعل فولدت  
 الحوراء جارية فسماها آدم حورة، فلما أدركت الجارية زوج آدم حورة بنت شيث  
 من هبة الله بن هابيل فنسل آدم منهما. فمات هبة الله بن هابيل فأوحى الله إلى  
 آدم أن ادفع الوصية واسم الله الأعظم، وما أظهرتك عليه من علم النبوة، وما  
 علمتك من الأسماء إلى شيث بن آدم. فهذا حديثهم يا سليمان».

أقول: إن حال هاشم وأخيه أمية شبيهة بحال قابيل وهابيل، فقد اتفق  
 المؤرخون على نُبُل هاشم عليه السلام وتميزه، وأن أباه عبدمناف أوصى له بمفتاح البيت  
 ومواريث إسماعيل عليه السلام: «وكان مناف وصّى إلى هاشم، ودفع إليه مفتاح البيت  
 وسقاية الحاج، وقوس إسماعيل». العدد القوية/١٤٠.

وقال الطبري: ١٣/٢: «وولي هاشم بعد أبيه عبدمناف، السقاية والرفادة». وروت المصادر كلها أن أخاه أمية حسده وعاداه، ودعاه إلى المنافرة! ومعنى  
 المنافرة أن يحتكم المتنافران إلى كاهن أو حكيم يقبلان بحكمه!

قال الطبري: ١٧/٢: «فحسده أمية بن عبد شمس بن عبدمناف، وكان ذا مال  
 فتكلف أن يصنع صنيع هاشم فعجز عنه، فشمت به ناس من قريش، فغضب



ونال من هاشم ودعاه إلى المنافرة! فكره هاشم ذلك لسنه وقدره، ولم تدعهُ قريش وأحفظوه، قال فيني أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق، تنحرها ببطن مكة، والجلاء عن مكة عشر سنين. فرضي بذلك أمية وجعلها بينهما الكاهن الخزاعي، فنفر هاشماً عليه «حكّم هاشم أنه أفضل» فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها من حضره، وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين، فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمّية.. وتوارث ذلك بنوهما».

وروى الطبري: ١٣/٢، أنها تنافرا إلى النجاشي ملك الحبشة و«أن عبد شمس وهاشماً توأمان وإن أحدهما ولد قبل صاحبه وإصبع له ملتصقة بجبهة صاحبه، فنحيت عنها فسال من ذلك دم، فتطير من ذلك فقيل: تكون بينهما دماء!»

وروى ابن عساکر: ٢٢٠/٩ قصة المعمر البيهقي مع معاوية: «قال معاوية: إني لأحب أن ألقى رجلاً قد أتت عليه سن وقد رأى الناس، يجربنا عما رأى، فقال بعض جلسائه: ذلك رجل يحضر موت! فأرسل إليه فأتى به فقال له... فأخبرني هل رأيت هاشماً؟ قال: نعم رأيت رجلاً طويلاً حسن الوجه، بين عينيه غرة بركة. قال: فهل رأيت أمية؟ قال: نعم رأيت رجلاً قصيراً أعمى، يقال إن في وجهه لشرراً أو شؤماً! قال: فهل رأيت محمداً؟ قال: من محمد؟ قال: رسول الله، قال: ويحك ألا فخّمته كما فخّمه الله فقلت رسول الله ﷺ! قال: فأخبرني ما كانت صناعتك؟ قال: كنت رجلاً تاجراً. قال: فما بلغت تجارتك؟ قال: كنت لا أشترى عيباً، ولا أرد ربحاً! قال له: سلني قال: أسألك أن تدخلني الجنة!»

وقالوا: «مات هاشم بغزة وعمره خمس وعشرون سنة وذلك الثبت». «معجم البلدان: ٤/٣٠٢، ٣٠٤». وفي طبقات ابن سعد: ٧٨/١: «فاشتكى، فأقاموا عليه حتى مات، فدفنوه بغزة، ورجعوا بتركته إلى ولده».

لكن الظاهر أن عمره ﷺ كان في الستينات كما يشير قول الراوي: ودعاه إلى المنافرة فكره هاشم ذلك لسنه وقدره. ويؤيد قولنا أنه أنشأ علاقات مع ملوك عصره، وكانت له سفرات إلى الحبشة والشام واليمن، ووصل إلى أنقرة فأكرمه قيصر.

والمرجح أن أعداءه سقوه السم لأنه أول رجل من أولاد إسماعيل عليه السلام كانت له زعامة مطلقة في العرب واحترام من ملوك عصره. وكان لحاسده أمية علاقات باليهود، فقد يكون دبر سُمّه على يد أصدقائه اليهود.

قال ابن قتيبة في المعارف/٣١٩: «كان أمية بن عبد شمس خرج إلى الشام فأقام بها عشر سنين، فوقع على أمةٍ لِلْحَمِّ يهودية من أهل صفورية يقال لها ترنا، وكان لها زوج من أهل صفورية يهودي، فولدت له ذكوان فادعاه أمية واستلحقه، وكناه أبا عمرو ثم قدم به مكة، فلذلك قال النبي صلى الله عليه وآله لعقبة يوم أمر بقتله: إنما أنت يهودي من أهل صفورية!»

وفي رواية: «فقال عقبة: يا محمد ناشدتك بالله والرحم! فقال له صلى الله عليه وآله: وهل أنت إلا عالج من أهل صفورية! لأنت في الميلاد أكبر من أبيك الذي تدعى له». وفي المنق/٩٧: «فخلف أبو عمرو على امرأة أبيه بعده، فأولدها أبان، وهو أبو معيط! ويقال استلحق ذكوان أيضاً أبان».

وروى ذلك ابن قتيبة في المعارف/٣١٩، وقال: «ولاه عمر على صدقات بني تغلب. وولاه عثمان الكوفة، بعد سعد بن أبي وقاص، فصلّى بأهلها وهو سكران!» راجع: الطبقات/١: ٧٥، المنق/٩٧، الطبري: ٣٧١/١ و١٣/٢، ابن الأثير: ١٦/٢، النزاع والتخاصم/٤٩، إمتاع الأسماع: ٦/١٠، سبل الهدى: ٢٧١/١، السيرة الحلبية: ٧/١، المنتظم: ٢١٢/٢، أعلام النبوة/٢٥١، نهاية الإرب/٣٢٥٣، أنساب الأشراف/٣٩، معجم ما استعجم: ٨٣٧/٣، العدد القوية/١٤٠ وشيخ المضيرة/١٥٩.

### ٣. عبد المطلب عليه بهاء الملوك وسيماء الأنبياء عليه السلام

تشهد سيرة آباء النبي صلى الله عليه وآله خاصة عبد المطلب وأبي طالب، بأنهم من كبار المؤمنين، وأنهم الخط الوارث لإبراهيم وإسماعيل عليه السلام، فلم يعبدوا الأصنام، بل كانوا يفتخرون بأنهم على ملة أبيهم إبراهيم وإسماعيل. وقد ميزهم الله تعالى حتى في شكلهم فورّثهم جمال إبراهيم عليه السلام! ولما رأى

أبرهة عبدالمطلب: «فجعل ينظر في وجهه، فراقه حسنه وجماله وهيئته فقال له: هل كان في آبائك مثل هذا النور الذي أراه لك والجمال؟ قال: نعم أيها الملك، كل آبائي كان لهم هذا الجمال والنور والبهاء. فقال له أبرهة: لقد فقتم الملوك فخراً وشرفاً، ويحق لك أن تكون سيد قومك. ثم أجلسه معه على سريريه». أمالي الطوسي/ ٨٠.

وفي أمالي الطوسي/ ٦٨٢: «سرير أبرهة لما دخل عليه عبدالمطلب، انحنى ومال!»  
«أول من خضب بالسواد من العرب. وكان أبيض مديد القامة». الأعلام: ١٥٤/٤.

#### ٤. وُزّت عبدالمطلب بهاءه إلى أولاده!

قال اليعقوبي: ١٧٢: «كان لكل واحد من ولد عبدالمطلب شرف وذكر وفضل وقدر ومجد. وحج عامر بن مالك ملاعب الأسنة البيت فقال: رجال كأنهم جمالٌ جون دُهم» فقال: هؤلاء تُمنع مكة!

وحج أكثم بن صيفي في ناس من بني تميم فرآهم يخترقون البطحاء كأنهم أبرجة الفضة، يلحفون الأرض بحبراتهم «جيبهم الطويلة»! فقال: يا بني تميم إذا أحب الله أن ينشئ دولة أنبت لها مثل هؤلاء، هؤلاء غرس الله لا غرس الرجال». وفي المنمق/ ٣٤: «لم يكن في العرب عدة بني عبدالمطلب أشرف منهم ولا أجسم ليس منهم رجل إلا أشم العرينين، يشرب أنفه قبل شفثيه، ويأكل الجذع ويشرب الفرق». «يأكل الخروف الصغير، ويشرب سطل المخيض».

#### ٥. آيات عبدالمطلب ﷺ في زمزم

ظهر ماء زمزم لهاجر وإسماعيل ﷺ بمعجزة، وكان نبعاً صغيراً، ثم كثر الواردون عليه، فشكى إسماعيل لأبيه ﷺ قلة الماء فأمره الله أن يحفر بئراً فحفره، ونزل جبرئيل ﷺ وأمره أن يسمي ويضرب في زوايا البئر الأربعة، فضرب إبراهيم فانفجرت أربع عيون فقال جبرئيل ﷺ: «إشرب يا إبراهيم وادع لولدك فيها بالبركة، وخرج إبراهيم وجبرئيل ﷺ جميعاً من البئر فقال له: أفض عليك يا إبراهيم وطف حول البيت، فهذه سقيا سقاها الله ولد إسماعيل». الكافي: ٢٠٤/٤.

فزمزم سُقياً الله تعالى لبني إسماعيل ﷺ خاصة ومنهم تصل إلى الناس .  
 وبعد قرون غاض ماء زمزم، حتى أعاده الله تعالى على يد عبد المطلب ﷺ،  
 فحسده زعماء قريش وأرادوا أن يأخذوه منه! وأجبروه على الإحتكام إلى كاهنة  
 في مشارف الشام فذهب معهم، وفي الطريق نفذ ماؤهم فأظهر الله له آية ونبع  
 الماء من تحت خف ناقته، فسلموا له لكن مؤقتاً، كما سلم اليهود لمريم ﷺ مؤقتاً!  
 قال السيوطي في الدر المنثور: ٢٢٠/٣: «وأخرج الأزرقى والبيهقي في الدلائل  
 عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال عبد المطلب إني لائم في الحجر  
 إذ أتاني آت فقال إحفر طيبة... فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته فقاموا إليه  
 فقالوا: يا عبد المطلب إنها بئر إسماعيل، وإن لنا فيها حقاً فأشركنا معك فيها،  
 فقال: ما أنا بفاعل إن هذا الأمر خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم. قالوا:  
 فأنصفنا فإننا غير تاركك حتى نحاكمك. قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم  
 أحاكمكم. قالوا: كاهنة من سعد هذيل. قال: نعم، وكانت بأشرف الشام  
 فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبدمناف، وركب من كل ركب من قريش  
 نفر، والأرض إذ ذاك مفاوز، فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض المفاوز، بين الحجاز  
 والشام في ماء عبد المطلب وأصحابه، فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة، فاستسقوا  
 ممن معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا: إنا في مفازة نخشى فيها على  
 أنفسنا مثل ما أصابكم، فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم وما يتخوف على  
 نفسه وأصحابه قال: ماذا ترون؟ قالوا: ما رأينا إلا تبع لرأيك فمرنا بما شئت.  
 قال: فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم لنفسه لما بكم الآن من القوة، وكلما مات  
 رجل دفنه أصحابه في حفرته ثم واروه، حتى يكون آخركم رجلاً، فضيعة رجل  
 واحد أيسر من ضيعة ركب جميعاً! قالوا: سمعنا ما أردت. فقام كل رجل منهم  
 يحفر حفرته ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه:  
 والله إن إلقاءنا بأيدينا لعجز، ما نبتغي لأنفسنا حيلة! عسى الله أن يرزقنا ماء  
 ببعض البلاد، إرحلوا فارتحلوا حتى فرغوا ومن معهم من قريش ينظرون إليهم

وما هم فاعلون، فقام عبد المطلب إلى راحلته فركبها، فلما انبعثت انفجرت من تحت خفها عين من ماء عذب! فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرّب وشرّبوا واستقوا حتى ملؤوا أسقيتهم، ثم دعا القبائل التي معه من قريش فقال: هلمّ الماء، قد سقانا الله تعالى، فاشربوا واستقوا! فقالت: القبائل التي نازعته: قد والله قضى الله لك يا عبد المطلب علينا! والله لا نخاصمك في زمزم فارجع إلى سقائتك راشدًا! فرجع ورجعوا معه، ولم يمشوا إلى الكاهنة، وخلوا بينه وبين زمزم. روته عامة المصادر، مثل ابن سعد: ٨٣/١، يعقوبي: ٢٤٨/١، ابن إسحاق: ٥/١، ابن هشام: ٩٤/١، ابن كثير: ١٦٩/١، الحلبية: ٥٥/١ وابن الأثير: ١٣/٢.

وقوله: فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه. قد يكون بمعنى هتفوا تعجباً كالتكبير، وقد يكون التكبير موجوداً من حنيفة إبراهيم ﷺ فأظهره الإسلام.

#### ٦. رؤيا عبد المطلب كرؤيا أشعيا النبي ﷺ

في الكافي: ٢١٩/٤ عن الإمام الصادق ﷺ قال: «كان في الكعبة غزالان من ذهب وخمسة أسياف، فلما غلبت خزاعة جرهم على الحرم ألقّت جرهم الأسياف والغزالين في بئر زمزم، وألقوا فيها الحجارة وطموها وعمّوا أثرها، فلما غلب قصي على خزاعة لم يعرفوا موضع زمزم، وعمي عليهم موضعها، فلما غلب عبد المطلب ﷺ وكان يفرش له في فناء الكعبة ولم يكن يفرش لأحد هناك غيره، فبينما هو نائم في ظل الكعبة فرأى في منامه آتاه آت فقال له: إحفر برة، قال: وما برة؟ ثم أتاه في اليوم الثاني فقال: إحفر طيبة، ثم أتاه في اليوم الثالث فقال: إحفر المصونة، قال: وما المصونة؟ ثم أتاه في اليوم الرابع فقال: إحفر زمزم لا تنزع ولا تئذم، سقّي الحجيج الأعظم، عند الغراب الأعصم، عند قرية النمل.

وكان عند زمزم حجرٌ يخرج منه النمل فيقع عليه الغراب الأعصم في كل يوم يلتقط النمل، فلما رأى عبد المطلب هذا عرف موضع زمزم، فقال لقريش: إني أمرت في أربع ليالٍ في حفر زمزم، وهي مأثرتنا وعزنا فهلّموا نحفرها، فلم يجيبوه إلى ذلك، فأقبل

يحفرها هو بنفسه، وكان له ابن واحد وهو الحارث وكان يعينه على الحفر، فلما صعب ذلك عليه تقدم إلى باب الكعبة ثم رفع يديه ودعا الله عز وجل ونذر له إن رزقه عشر بنين أن ينحر أحبهم إليه تقريباً إلى الله عز وجل، فلما حفر وبلغ الطويّ طويّاً إسماعيل، وعلم أنه قد وقع على الماء، كَبَّرَ وكبرت قريش وقالوا: يا أبا الحارث هذه مآثرتنا ولنا فيها نصيب، قال لهم: لم تعينوني على حفرها، هي لي ولولدي إلى آخر الأبد». ونحوه ابن إسحاق: ٣/١، ابن هشام: ٩٢/١.

وفي الكافي: ٢٢٠/٤ عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «لما احتفر عبد المطلب زمزم وانتهى إلى قعرها، خرجت عليه من إحدى جوانب البئر رائحة منتنة أفضعته، فأبى أن ينشي، وخرج ابنه الحارث عنه، ثم حفر حتى أمعن فوجد في قعرها عيناً تخرج عليه برائحة المسك.

#### رؤيا عبد المطلب وهو في داخل زمزم:

ثم احتفر فلم يحفر إلا ذراعاً، حتى تجلاه النوم فرأى رجلاً طويل الباع، حسن الشعر، جميل الوجه، جيد الثوب، طيب الرائحة، وهو يقول: إحفر تغنم، وجدّ تسلّم، ولا تدخرها للمقسم، الأسياف لغيرك، والبئر لك، أنت أعظم العرب قدراً، ومنك يخرج نبيها ووليها، والأسباط النجباء الحكماء العلماء البصراء، والسيوف لهم، وليسوا اليوم منك ولا لك، ولكن في القرن الثاني منك. بهم ينير الله الأرض، ويخرج الشياطين من أقطارها، ويذلها في عزها ويهلكها بعد قوتها، ويذل الأوثان، ويقتل عبّادها حيث كانوا، ثم يبقى بعده نسل من نسلك هو أخوه ووزيره ودونه في السن.. لا يعصيه حرفاً، ولا يكتمه شيئاً ويشاوره في كل أمر هجم عليه.

#### وجد عبد المطلب أسياًفاً بجنبه:

واستعيا عنها عبد المطلب «عن الحفر» فوجد ثلاثة عشر سيفاً مستندة إلى جنبه، فأخذها وأراد أن يشب فقال: وكيف ولم أبلغ الماء! ثم حفر فلم يحفر شبراً حتى بداله قرن الغزال ورأسه فاستخرجه، وفيه طُبع: لا إله إلا الله، محمد رسول الله

علي ولي الله، فلان خليفة الله «المهدي عليه السلام».

فسأل الراوي الإمام الكاظم عليه السلام: فلان متى كان قبله أو بعده؟ قال: لم ينجى بعد ولا جاء شيء من أشراطه. فخرج عبد المطلب وقد استخرج الماء وأدرك وهو يصعد، فإذا أسود له ذنب طويل يسبقه بداراً إلى فوق، فضربه فقطع أكثر ذنبه ثم طلبه ففاته، وفلان «المهدي عليه السلام» قاتله إن شاء الله.

### تكملة الرؤيا في حجر الكعبة:

و[كان] من رأي عبد المطلب عليه السلام أن يبطل الرؤيا التي رآها في البئر، ويضرب السيوف صفائح البيت، فأتاه الله بالنوم فغشيه وهو في حجر الكعبة، فرأى ذلك الرجل بعينه وهو يقول: يا شيبة الحمد أحمد ربك، فإنه سيجعلك لسان الأرض وتتبعك قريش خوفاً ورهبة وطمعاً، ضع السيوف في مواضعها.

### ثم جاءه في منامه:

واستيقظ عبد المطلب فأجابه «الملاك» إنه يأتي في النوم فإن يكن من ربي فهو أحب إليّ، وإن يكن من شيطان فأظنه مقطوع الذنب، فلم ير شيئاً ولم يسمع كلاماً. فلما أن كان الليل أتاه في منامه بعدة من رجال وصبيان فقالوا له: نحن أتباع ولدك، ونحن من سكان السماء السادسة. السيوف ليست لك: تزوج في مخزوم تقوّ، واضرب بعدد في بطون العرب، فإن لم يكن معك مال فلك حسب، فادفع هذه الثلاثة عشر سيفاً إلى وُلْدِ المخزومية ولا يبان لك أكثر من هذا، وسيف لك منها واحد، سيقع من يدك فلا تجد له أثراً، إلا أن يستجنه جبل كذا وكذا، فيكون من أشراط قائم آل محمد.

فانتبه عبد المطلب وانطلق والسيوف على رقبته، فأتى ناحية من نواحي مكة، ففقد منها سيفاً كان أرقها عنده، فيظهر من ثمّ.

ثم دخل معتمراً وطاف بها على رقبته والغزاليين، أحداً وعشرين طوافاً، وقريش تنظر إليه وهو يقول: اللهم صدق وعدك فأثبت لي قولي، وانشر ذكرني وشد عضدي، وكان هذا ترداد كلامه، وما طاف حول البيت بعد رؤياه في البئر بيت شعر حتى مات. ولكن قد ارتجز على بنه يوم أراد نحر عبد الله، فدفع الأسياف جميعها إلى بني

المخزومية إلى الزبير وإلى أبي طالب وإلى عبدالله، فصار لأبي طالب من ذلك أربعة أسياف: سيف لأبي طالب، وسيف لعلي، وسيف لجعفر، وسيف لطالب، وكان للزبير سيفان، وكان لعبدالله سيفان، ثم عادت فصارت لعلي الأربعة الباقية: اثنين من فاطمة واثنين من أولادها، فطاح سيف جعفر يوم أصيب فلم يُدْر في يد من وقع حتى الساعة. ونحن نقول: لا يقع سيف من أسيافنا في يد غيرنا إلا رجل يعين به معنا، إلا صار فحماً.

قال: وإن منها لواحداً في ناحية يخرج كما تخرج الحية فيبين منه ذراع وما يشبهه فتبرق له الأرض مراراً، ثم يغيب، فإذا كان الليل فعل مثل ذلك، فهذا دأبه حتى يجيئ صاحبه، ولو شئت أن أسمى مكانه لسميته، ولكن أخاف عليكم من أن أسميه فسموه، فينسب إلى غير ما هو عليه».

#### ٧. شرح رؤيا عبدالمطلب

قوله: وانتهى إلى قعرها: يدل على أن حفرها القديم كان معلوماً وقعرها واسعاً. وخرج ابنه الحارث عنه: أي لم يتحمل الرائحة الكريهة، فكأن الله أراد أن يبقى عبدالمطلب وحده، ليخصه بآياته. حتى تجلاه النوم: بعدما وجد عيناً برائحة المسك. فرأى رجلاً طويل الباع: هو الملاك الذي رآه بعدها في حجر الكعبة، وكأنه لا يأتي إلا في النوم: فأتاه الله بالنوم فغشيه وهو في حجر الكعبة، فرأى ذلك الرجل بعينه.

ومنك يخرج نبيها ووليها والأسباط النجباء... هذه بشارة لعبدالمطلب رضي الله عنه بالنبي والأئمة من ذريته ﷺ وقد ساء له محمداً ﷺ.

ومعنى: ليسوا اليوم منك، أنهم ليسوا نفس أولادك الموجودين، ولا أنهم يولدون لك مباشرة، بل هم من ذريتك في القرن الثاني.

والسيوف لهم: رمز القوة والنصرة والتأييد الإلهي. وعددها ثلاثة عشر، وهي رمز لأسهم هؤلاء من نصرة النبي ﷺ. وسيف طالب يدل على إيمانه رضي الله



عنه ونصرته للنبي ﷺ، وليس فيها سيف لعقيل عليه السلام.

يبقى بعده نسل من نسلك هو أخوه ووزيره: هذه بشارة له بولده علي عليه السلام.

واستعيا عنها: أي تعب فأراد ترك الحفر، لكنه عاود الحفر فوجد غزال الذهب.

وفيه طبع: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله، فلان خليفة الله: هذه بشارة

له بالنبي بإسمه ﷺ وعلي باسمه عليه السلام، والمهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً

باسمهم عليه السلام. وهو يدل على أن عبد المطلب سماه محمداً ﷺ بإلهام ربه عز وجل.

فيذا أسود له ذنب طويل: كانت زمزم واسعة ومنحدرها متدرج، تشبه عين المغراس

في المدينة، وقد نزلت إليها في درج. ورأى عبد المطلب وهو صاعد منها ثعباناً أسود

فصره فقطع أكثر ذنبه ولم يقتل، وهو يرمز إلى أعداء أولاده عليه السلام.

وقوله: وفلان «المهدي عليه السلام» قاتله إن شاء الله: يظهر أنه من كلام الإمام الكاظم عليه السلام.

أن يبطل الرؤيا التي رآها في البئر: أراد عبد المطلب أن لا يعمل بروياه، وأن يستعمل

السيوف في صنع باب الكعبة.

فلما أن كان الليل آتاه في منامه بعدة من رجال وصبيان: أي آتاه نفس الرجل ومعه

جماعة، وهم ملائكة، ومعنى أنهم من السماء السادسة، ومن أتباع النبي ﷺ: أنهم

أنصار خاصون له سيأتون في المستقبل لنصرته ﷺ.

فقالوا له: تزوج في مخزوم تقسو: أي تكلم هؤلاء الملائكة من أتباع النبي ﷺ،

وأمره أن يتزوج فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، أم عبدالله والد

النبي ﷺ وأم شقيقه أبي طالب والزبير، وهذا يدل على مكانتها عند الله تعالى.

واضرب بعد في بطون العرب: أي تزوج غيرها أيضاً من قبائل العرب الأخرى.

فدفع الأسياف جميعها إلى بني المخزومية: وهي سهمهم من نصرته النبي ﷺ.

وسيف لك منها واحد، سيقع من يدك فلا تجد له أثراً: هو سيف المهدي عليه السلام وكان

أرق السيوف، أي أمضاها، وقد أمره أن يحمل الأسياف ويخرج من مكة، ففقد

السيف في ناحية من مكة. وكان خروج عبد المطلب من مكة رمز لهجرة النبي ﷺ.

وفقدانه السيف ليجنه الجبل ويحفظه للمهدي عليه السلام.

فيظهر من تَمَّ: أي يظهر السيف من هناك لنصرة المهدي عليه السلام عند خروجه فيأخذه، وهو رمز قوته التي يعطيه إياها الله تعالى، وهو نفسه السيف الذي يخرج في جبل في مكة ويلمع، ثم يغيب حتى يظهر صاحبه المهدي عليه السلام، وقد ورد في علامة المهدي عليه السلام: «وخرج صاحب هذا الأمر من المدينة إلى مكة بتراث رسول الله صلى الله عليه وآله. فقلت: ما تراث رسول الله؟ قال: سيف رسول الله ودرعه وعمامته وبرده وقضيبه ورايته ولأمته وسرجه، حتى ينزل مكة فيخرج السيف من غمده، ويلبس الدرع وينشر الراية والبردة والعمامة ويتناول القضيب بيده، ويستأذن الله في ظهوره». الكافي: ٢٢٤/٨.

ولكن أخاف عليكم من أن أسميه فتسموه، فينسب إلى غير ما هو عليه: أي أخاف أسمى الذي عنده السيف الآن، وهو الإمام الكاظم عليه السلام نفسه، لثلاثي يقال ذلك، فيتصور السلطان أنه يريد الخروج عليه.

لا يقع سيف من أسيافنا في يد غيرنا إلا رجل يعين به معنا إلا صار فحماً: هذا يؤكد أن السيوف بمعنى نصرتهم عليهم السلام وفي كل واحد منها سر، فإذا وقع في يد مخالف لهم، بطل سره وتحول إلى فحم.

أقول: هذه الآيات والكرامات، وهذه الرؤيا، كافية لأن يعتقد المنصف بأن عبد المطلب عليه السلام من كبار الأولياء. لكن حسد قريش منعهم من الإقرار!  
وفي الكافي: ٤٤٧/٨ قال الإمام الصادق عليه السلام: «يبعث عبد المطلب أمة وحده، عليه بهاء الملوك، وسياء الأنبياء عليهم السلام، وذلك أنه أول من قال بالبداء».

ومعناه أنه على درجة عالية من الإيمان والتسليم المطلق لله تعالى فيما يفعله حتى لو كان بخلاف توقعنا. فقد أنبأه الله أنه سيدفع جيش أبرهة، فأخبر أهل مكة وأبرهة بذلك، وفي نفس الوقت دعا ربه أن يدفع عن بيته، ثم خاطبه قائلاً:  
إن كنت تاركهم وقبـ لمتنا فأمرنا بذاك

أي إني مسلمٌ لأمرك ومؤمن بك، حتى لو لم تفعل ما أخبرتني به!

## ٨. آية عبد المطلب مع ثقيف

روى المؤرخون جميعاً أنه كان لعبد المطلب بئر في الطائف يسمى ذا الهرم، حفره بعد زمزم، وكان مع بستانه بيد ثقيف، فأخذوه وأنكروه، ونافروه إلى سطح الكاهن، فظهرت له آية في الطريق كما ظهرت في مخاصمة قريش له في زمزم.

قال اليعقوبي: ٢٤٨/١: «وكان عبد المطلب لما حفر زمزم صار إلى الطائف فاحترف بها بئراً يقال لها ذو الهرم، فكان يأتي أحياناً فيقيم بذلك الماء، فأتى مرة فوجد به حين من قيس عيلان، وهم بنو كلاب وبنو الرباب، فقال عبد المطلب: الماء مائي وأنا أحق به، وقال القيسيون: الماء ماؤنا ونحن أحق به. قال: فإني أنا فركم إلى من شئتم يحكم بيني وبينكم، فنافروه إلى سطح الغساني، وكان كاهن العرب يتنافرون إليه، فتعاهد القوم وتعاهدوا على أن سطوحاً إن قضى بالماء لعبد المطلب فعلى كلاب وبنو الرباب مائة من الإبل لعبد المطلب، وعشرون لسطيح، وإن قضى سطوح بالماء للحين، فعلى عبد المطلب مائة من الإبل للقوم وعشرون لسطيح، فانطلقوا وانطلق عبد المطلب بعشرة نفر من قريش فيهم حرب بن أمية فجعل عبد المطلب لا ينزل منزلاً إلا نحر جزوراً وأطعم الناس، فقال القيسيون: إن هذا الرجل عظيم الشأن جليل القدر شريف الفعل، وإنا نخشى أن يطمع حاكمنا بهذا فيقضي له بالماء، فانظروا لا ترضى بقول سطوح حتى نخبيء له خبأ، فإن أخبرنا ما هو رضينا بحكمه وإلا لم نرض به. فبينما عبد المطلب في بعض الطريق إذ فني ماؤه وماء أصحابه، فاستسقى القيسيين من فضل مائهم فأبوا أن يسقوهم، وقالوا: أنتم الذين تخاصموننا وتنازعوننا في مائنا، والله لا نسقيكم! فقال عبد المطلب: أهلك عشرة من قريش وأنا حي! لأطلبن لهم الماء حتى ينقطع خيط عنقي وأبلي عذراً، فركب راحلته وأخذ الفلاة فينا هو فيها، إذ بركت راحلته وبصر به القوم، فقالوا: هلك عبد المطلب! فقال القرشيون: كلا والله هو أكرم على الله من أن يهلكه وإنما مضى لصلة الرحم، فاتتهوا إليه وراحلته تفحص بكررتها على ماء عذب روي، قد ساح على ظهر الأرض، فلما رأى القيسيون ذلك أهرقوا أسقيتهم، وأقبلوا نحوهم ليأخذوا من الماء، فقال القرشيون: كلا والله،

ألستم الذين منعتمونا فضل ماءكم؟ فقال عبد المطلب: خلوا القوم، فإن الماء لا يمنع! فقال القيسيون: هذا رجل شريف سيد، وقد خشينا أن يقضى له علينا، فلما وصلوا إلى سطيح قالوا: إنا قد خباناً لك خبياً، وأخذ إنسان منهم تمرة في يده فقال: فأخبرنا ما هو؟ فقال: خبانتم لي ما طال فسمك، ثم أبتع فما هلك، ألقى التمرة من يدك.. قالوا: إقض بيننا! قال: قد قضيت. اختصمتم أنتم وعبد المطلب في ماء بالطائف يقال له ذو الهرم، فالماء ماء عبد المطلب، ولا حق لكم فيه، فأدوا إلى عبد المطلب مائة من الإبل وإلى سطيح عشرين، ففعلوا.

وانطلق عبد المطلب ينحر ويطعم، حتى دخل مكة، فنادى مناديه: يا معشر أهل مكة إن عبد المطلب يسألکم بالرحم، لما قام كل رجل منكم حدثه نفسه أن يغنيني عن هذا الغرم، فأخذ مثل ما حدثته نفسه. فقاموا وأخذوا من بعير واثنين وثلاثة على قدر ما حدثت كل امرئ منهم نفسه، وفضلت بعد ذلك جزائر، فقال عبد المطلب لابنه أبي طالب: أي بني! قد أطعمت الناس، فانطلق بهذه الجزائر، فانحرها على أبي قبيس، حتى يأكلها الطير والسباع، ففعل أبو طالب ذلك، فأصابها الطير والسباع. قال أبو طالب:

ونطعم حتى يأكل الطير فضلنا إذا جعلت أيدي المفيضين ترعُدُ.

ورواه البلاذري في أنساب الأشراف: ٧٤/١، الميداني في مجمع الأمثال: ٤٧/١، الحموي في معجم

البلدان: ٤٠٣/٥، ابن حبيب في المنق/ ٩٤ وابن سعد في الطبقات: ٨٧/١.

## ٩. آيات عبد المطلب ﷺ في غزو أبرهة للكعبة

### كعبة نجران بدل الكعبة

بنى نصارى نجران كنيسة ودعوا العرب إلى حجها. ففي معجم البلدان: ٢٦٨/٥: «كعبة نجران هذه، يقال بيعة بناها بنو عبد الملك بن الديان الحارثي على بناء الكعبة، وعظموها مضاهاة للكعبة، وسموها كعبة نجران، وكان فيها أساقفة مقيمون، وهم الذين جاؤوا إلى النبي ﷺ ودعاهم إلى المباحلة».

«كان لآل عبد المدان بن الديان سادة بني الحارث بن كعب، وكان بناؤه مربعاً

مستوي الأضلاع والأقطار مرتفعاً من الأرض، يُصعد إليه بدرجة على مثال بناء الكعبة، فكانوا يحجونه هم وطوائف من العرب، ممن يحل الأشهر الحرم، ولا يحجون الكعبة، وتحججه خثعم قاطبة.

وكان أهل ثلاثة بيوتات يتبارون في البيع وزَيَّها: آل المنذر بالحيرة، وغسان بالشام، وبنو الحارث بن كعب بنجران، ويعتمدون بيناتها المواضع الكثيرة الشجر والرياض والمياه، وكانوا يجعلون في حيطانها وسقوفها الفسافس والذهب. وكان على ذلك بنو الحارث إلى أن أتى الله بالإسلام، فجاء النبي ﷺ منهم العاقب والسيد وغيرهما للمباهلة، فاستعفوا منها». معجم ما استعجم: ٦٠٣/٢.

وبنو عبدالمدان كانوا حكام نجران وقساوستها، وكانوا يهوداً فتنصروا.

### كعبة صنعاء بدل الكعبة

وبنى أبرهة حاكم اليمن كعبةً بصنعاء ودعا الناس للحج إليها، ثم قصد بجيشه الكعبة ليهدمها! قال تعالى: **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّبٍ. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ. تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ.**

قال في معجم البلدان ٤٢٧/٣ و٤٩٤: «بنى أبرهة بصنعاء القُلَيْس وأخذ الناس بالحج إليه، وبناه بناء عجيبياً.. مدينة لم يَرَ الناس أحسن منها، ونقشها بالذهب والفضة والزجاج والفسيفساء، وألوان الأصباغ، وصنوف الجواهر، وجعل فيها خشباً له رؤوس كرؤوس الناس، ولككها بأنواع الأصباغ، وجعل لخارج القبة بُرنساً، فإذا كان يوم عيدها كشف البرنس عنها فيتلاً لأرغامها مع ألوان أصباغها، حتى تكاد تلمع البصر.

الصنعاني قال: رأيت مكتوباً على باب القُلَيْس وهي الكنيسة التي بناها أبرهة على باب صنعاء بالمسند: بنيت هذا لك من مالك ليذكر فيه إسمك، وأنا عبدك.

ولما استتم أبرهة ببناء القليس كتب إلى النجاشي: إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم بين مثلها الملك كان قبلك ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب.

قال عبد الرحمن بن محمد: سميت القُلَيْس لارتفاع بنائها وعلوها، ومنه القلانس

لأنها في أعلى الرؤوس.. وكان أبرهة قد استذل أهل اليمن في هذه الكنيسة وجشمهم فيها أنواعاً من السخر، وكان ينقل إليها آلات البناء كالرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب، من قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام، وكان من موضع هذه الكنيسة على فراسخ، وكان فيه بقايا من آثار ملكهم، فاستعان بذلك على ما أراه من بناء هذه الكنيسة وبهجتها وبهائها، ونصب فيها صلباناً من الذهب والفضة، ومنابر من العاج والأبنوس.

فبقيت من ذلك العهد بها فيها من العدد والآلات من الذهب والفضة ذات القيمة الوافرة والقناطير من المال، لا يستطيع أحد أن يأخذ منه شيئاً، إلى زمان أبي العباس السفاح، فذكر له أمرها فبعث إليها خاله الربيع بن زياد الحارثي عامله على اليمن، وأصحابه رجالاً من أهل الحزم والجلد، حتى استخرج ما كان فيها من الآلات والأموال، وخربها حتى عفى رسمها وانقطع خبرها، وكان الذي يصيب من يريدها من الجن منسوباً إلى كَعَيْتٍ وامراته، صنان كانا بتلك الكنيسة بنيت عليهما! فلما كُسر كَعَيْتٍ وامراته أصيب الذي كسرهما بجذام، فافتتن بذلك رعاع اليمن وقالوا: أصابه كعيت!

أقول: لعل قصر بلقيس كان في غير مأرب، لأنهم قالوا إنه على بعد فراسخ من صنعاء أي قليلة، ومأرب على فراسخ كثيرة، كما يدل النص على طمع الدوانيقي وحرصه على جمع المال، ولهذا سمي أبا الدوانيقي.

وقد ذكروا أن رجلاً من العرب دخل كعبة أبرهة وأحدث فيها، فغضب أبرهة وحلف أن يهدم الكعبة في مكة وخرج بجيشه إليها، ولا يبعد أن تكون القصة مكذوبة من أبرهة لتبرر غزوه للكعبة ليهدمها ويجبر العرب على حج قُتَيْبِيس! راجع عن كعبة صنعاء: تاريخ الطبري: ١/٥٥٠، تفسيره: ٣٠/٣٨٦ وابن خلدون: ٢/٦١٨.

#### ١٠. عبد المطلب وأصحاب الفيل

في الكافي: ٤/٢١٦ عن هشام بن سالم، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لما أقبل

صاحب الحبشة بالفيل يريد هدم الكعبة، مروا ببابل لعبد المطلب فاستاقوها، فتوجه عبد المطلب إلى صاحبهم يسأله رد إبله عليه، فاستأذن عليه فأذن له وقيل له: إن هذا شريف قريش أو عظيم قريش، وهو رجل له عقل ومروءة، فأكرمه وأدناه، ثم قال لترجمانه: سله ما حاجتك؟ فقال له: إن أصحابك مروا ببابل لي فاستاقوها فأحببت أن تردها عليّ، قال: فتعجب من سؤاله إياه رد الإبل وقال: هذا الذي زعمتم أنه عظيم قريش وذكرتم عقله، يدع أن يسألني أن أنصرف عن بيته الذي يعبده! أما لو سألتني أن أنصرف عن هدّة لأنصرفت له عنه! فأخبره الترجمان بمقالة الملك فقال له عبد المطلب: إن لذلك البيت رباً يمنع، وإنما سألتك رد إبلي لحاجتي إليها، فأمر بردها عليه.

ومضى عبد المطلب حتى لقي الفيل على طرف الحرم، فقال له: محمود! فحرك رأسه فقال له: أتدري لما جئ بك؟ فقال برأسه: لا، فقال: جاؤوا بك لتهدم بيت ربك أفتفعل؟ فقال برأسه: لا. قال: فانصرف عنه عبد المطلب.

وجاؤوا بالفيل ليدخل الحرم، فلما انتهى إلى طرف الحرم امتنع من الدخول فضر به فامتنع، فأداروا به نواحي الحرم كلها، كل ذلك يمتنع عليهم فلم يدخل! وبعث الله عليهم الطير كالخطاطيف في مناقيرها حجر كالعدسة أو نحوها، فكانت تحاذي برأس الرجل ثم ترسلها على رأسه فتخرج من دبره، حتى لم يبق منه أحد إلا رجل هرب! فجعل يحدث الناس بما رأى إذا طلع عليه طائر منها فرفع رأسه فقال: هذا الطير منها، وجاء الطير حتى حاذى برأسه ثم ألقاها عليه فخرجت من دبره فمات!

وفي الطبقات: ٩٢/١ والطبري: ٥٥٧/١: «فأمر برد إبله عليه، فلما قبضها قلدها النعال وأشعرها وجعلها هدياً وبثها في الحرم، لكي يصاب منها شيء فيغضب رب الحرم! وأوفى عبد المطلب على حراء، ومعه عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، ومطعم بن عدي، وأبو مسعود الثقفي، فقال عبد المطلب:

لأهْمَ إِنْ الْمَرْءَ يَمْنَعُ      رَحْلَهُ فَا مَنَعَ حَلَالِكَ  
لَا يَغْلِبَنَّ صَليْبَهُمْ      وَمَحَالَهُمْ عَدُوًّا مَحَالِكَ

ونزل عبد المطلب من حراء، فأقبل عليه رجلان من الحبشة فقبلا رأسه وقالوا له: أنت كنت أعلم».

آباء النبي ﷺ موحدون

وفي كنز الفوائد ٨١/، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لما ظهرت الحبشة باليمن وجّه يكسوم ملك الحبشة بقائدين من قواده، يقال لأحدهما أبرهة والآخر أرباط في عشرة من الفيلة كل فيل في عشرة آلاف، لهدم بيت الله الحرام، فلما صاروا ببعض الطريق وقع بأسهم بينهم واختلفوا، فقتل أبرهة أرباط واستولى على الحيش، فلما قارب مكة طرد أصحابه غيراً لعبد المطلب بن هاشم، فصار عبد المطلب إلى أبرهة، وكان ترجمان أبرهة والمستولي عليه ابن داية لعبد المطلب، فقال الترجمان لأبرهة: هذا سيد العرب وديانها فأجلّه وأعظمه، ثم قال لكاتبه: سله ما حاجته؟ فسأله فقال: إن أصحاب الملك طردوا لي نعيماً! فأمر بردها ثم أقبل على الترجمان فقال: قل له عجباً لقوم سودوك ورأسوك عليهم حيث تسألني في غير لك، وقد جئت لأهدم شرفك ومجدك، ولو سألتني الرجوع عنه لفعلت! فقال: أيها الملك إن هذه العير لي وأنا ربها فسألتك إطلاقها، وإن لهذه البئنة رباً يدفع عنها! قال: فإني غاد لهدمها حتى أنظر ماذا يفعل! فلما انصرف عبد المطلب حلّ أبرهة بجيشه، فإذا هاتف يهتف في السحر الأكبر: يا أهل مكة أتاكم أهل عكة بححفل جرار يملأ الأندار ملء الجفار، فعليهم لعنة الجبار! فأنشأ عبد المطلب:

أيهما الداعي لقد أسمعني	كلّما قلت وما بي من صمم
إن للبيت لرباً مانعاً	من يُرده بأثامٍ يصظم
رامه تُبْع في أجناده	حميرٍ والحَي من آل إرم
هلكت بالبغي فيه جرهم	بعد ظنمٍ وجديسٍ وجتم
وكذاك الأمر فيمن كاده	ليس أمر الله بالأمر الأمم
نحن آل الله فيما قد خلا	لم يزل ذاك على عهد ائبرهم



لم يزل الله فينا حجةً      يدفع الله بها عنها النقم  
نعرف الله وفينا شيمة      صلة الرحم ونوفي بالذمم  
ولنا في كل دور كرة      نعرف الدين وطوراً في العجم  
فإذا ما بلغ الدور إلى      منتهى الوقت أتى طينراً القدم  
بكتاب فصلت آياته      فيه تبيان أحاديث الأمم

فلما أصبح عبدالمطلب جمع بنيه وأرسل الحارث ابنه الأكبر إلى أعلى جبل أبي قبيس فقال: أنظر يا بني ماذا يأتيك من قبل البحر؟ فرجع فلم ير شيئاً، فأرسل واحداً بعد آخر من ولده، فلم يأت أحد منهم عن البحر بخبر. فدعا ولده عبدالله وإنه لغلام حين أيفع وعليه ذؤابه تضرب إلى عجزه، فقال له: إذهب فداك أبي وأمي فاعلُ أبا قبيس وانظر ماذا ترى يجيء من البحر؟ فنزل مسرعاً فقال:

يا سيد النادي، رأيت سحاباً من قبل البحر مُقبلاً، يُسْفِلُ تارةً ويرتفع أخرى! إن قلت غيباً قلت، وإن قلت جهاماً خلته، يرتفع تارةً، وينحدر أخرى!

البيت  
الوصف  
الوصف

فنادى عبدالمطلب: يا معشر قريش، أدخلوا منازلكم فقد أتاكم الله بالنصر من عنده، فأقبلت الطير الأبايل في منقار كل طير حجر وفي رجله حجران، فكان الطائر الواحد يقتل ثلاثة من أصحاب أبرهة! كان يلقي الحجر في قمة رأس الرجل فيخرج من دبره! وقد قص الله تبارك وتعالى نبأهم فقال سبحانه: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ». أقول: هذه الفقرة الوحيدة التي وصلت إلينا من كلام عبدالله والدينين عليه السلام، وهي تدل على أدبه وبلاغته سلام الله عليه، فخطابه لأبيه عبدالمطلب ميمز بتعبيره واحترامه، ثم وصف سرب طيور الأبايل بأنها سحاب، قد يكون غيباً فيه مطر، أو جهاماً أي غيباً أفرغ مطره. العين: ٣/٣٩٧.

ثم وصف سربها بأنه يسفل ثم يرتفع، ثم وصفه بأنه يرتفع ثم ينحدر، وهذا من أبلغ الوصف. وقد فهم عليه أبوه عليه السلام، وعرف أنها الطيور الموعودة له من ربه، في منامه أو بهاتف من الملائكة هاتفه، سلام الله عليهم.

وقالوا إنها أشبه بطائر السنونو، قد تكون ملائكة عذاب على شكل طيور. هذا، وقد روى في البحار: ٢٣٣/٦٢ هلاك أبرهة فقال: «وأصيب أبرهة حتى تساقط أنملة أنملة، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر! حتى انصدع صدره عن قلبه، وانفلت وزيره وطائرٌ يخلق فوقه حتى بلغ النجاشي، فقص عليه القصة، فلما انتهى وقع عليه الحجر، فخرّ ميتاً بإذن الله بين يديه!» ومعناه أن وزير أبرهة ذهب إلى أثيوبيا ليخبر النجاشي، فتبعه طائر الأبايل وصبر عليه حتى أكمل القصة للملك، فرماه بالقبلة الربانية، وهي حجر السَّجِّيل!

#### ١١. تعاضم حسد قريش لعبدالمطلب ﷺ

لما ظهرت آية الأبايل بجيش أبرهة، سطع إسم الكعبة وعبدالمطلب في بلاد العرب وخارجها، وتوافد العرب إلى الحج أكثر من السابق، معتزين بحجهم إلى الكعبة، متبركين بوارث إبراهيم ولي الله عبدالمطلب ﷺ، وتولى سقايتهم من زمزم التي وهبها له الله، وضيافتهم بشريد أبيه هاشم المشهور. وصار عبدالمطلب سيد العرب بلا منازع، فزاد الحسد في صدور زعماء قريش! وبعد سنتين من هلاك أبرهة حكم اليمن ابنه مسروق، وبعد سنتين من حكمه نجح سيف بن ذي يزن باستقدام كتيبة من كسرى، وقاتل مسروق بن أبرهة فقتله، ودخل صنعاء فاتحاً، وتَوَجَّ الجيش الفارسي ابن ذي يزن ملكاً على اليمن. روى الصدوق عليه السلام في كمال الدين/١٧٦: «لما ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة وذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وآله بستين، أتاه وفد العرب وأشرفها وشعراؤها بالتهنئة، تمدحه وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بشار قومه، فأتاه وفد من قريش ومعهم عبدالمطلب بن هاشم، وأميه بن عبد شمس، وعبدالله بن جدعان، وأسد بن خويلد بن عبد العزى، ووهب بن عبدمناف، في أناس من وجوه قريش قدموا عليه صنعاء». في حديث طويل، ذكر فيه

احترام سيف بن ذي يزن لعبدالمطلب احتراماً خاصاً، وإخباره بقرب عصر نبي في مكة وتمنى لو يدرکه لينصره، فقال له: «إذا ولد بهامة، غلام بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، ولكم به الدعامة إلى يوم القيامة. فقال له عبدالمطلب: أبيت اللعن، لقد أبتُ بخبر ما أب بمثله وافد، ولولا هبة الملك وإجلاله وإعظامه لسألته «جزيته» عن مسأَره إياي ما ازدادَ به سروراً، فقال ابن ذي يزن: هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد فيه، إسمه محمد، يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه، وقد ولد سراراً والله باعته جهاراً، وجاعل له منا أنصاراً ليعز بهم أوليائه، ويذل بهم أعداءه.. فهل أحسست شيئاً مما ذكرته؟ فقال: كان لي ابن وكنيت به معجباً وعليه رقيقاً، فزوجته بكريمة من كرائم قومي إسمها أمنة بنت وهب، فجاءت بغلام سميت محمداً، مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه. فقال ابن ذي يزن: إن الذي قلتُ لك كما قلتُ لك، فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود، فإنهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً». والمنمق/٤٢٦. راجع: الأخبار الطوال/٦٣، اليعقوبي: ١٦٥/١ و٩/٢ والطبقات: ٥٣٣/٥.

## ١٢. أسس حلف الفضول لمنع الإعتداء على الحجاج

أعداء النبي وآله ﷺ هم أعداء أجدادهم قبل الإسلام! وقد قال ﷺ: «الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا». البخاري: ١٢٢/٤. ورويناه عن الإمام الصادق عليه السلام بلفظ أدق: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، فمن كان له في الجاهلية أصل فله في الإسلام أصل». الكافي: ١٧٧/٨. وعندما تحسن وضع قريش الإقتصادي، بفضل رحلتي الشتاء والصيف، وتعاضم موسم الحج إلى الكعبة بعد آية أصحاب الفيل، ازدحمت مكة في الموسم، وكثرت تعديبات القرشيين على الحجاج والتجار الوافدين إلى مكة! وكانت المشكلة أمام عبدالمطلب أنه إذا أراد منع الظلم وقفت قبيلة الظالم معه تناصره! فرأى أن ينشئ حلفاً قبلياً ليمنع قبيلة الظالم أن تنصره، فأسس حلف الفضول، وكان أصل هذا الحلف لأخوال أبناء إسماعيل عليه السلام.

ففي أنساب الأشراف/١٣: «كان في جرهم رجال يردون المظالم، يقال لهم فضيل وفضال ومفضل وفضل، فتحالفوا على ذلك».

آباء النبي ﷺ موحدون

وروى اليعقوبي أن قريشاً بدأت بتشكيل حلف ضد عبد المطلب، وروى أن الحلفين عبد المطلب كان السابق، مما يدل على أن الحلفين كانا متزامنين.

قال اليعقوبي: ٢٤٨/١: «ولما رأت قريش أن عبد المطلب قد حاز الفخر، طلبت أن يحالف بعضها بعضاً ليعزوا، وكان أول من طلب ذلك بنو عبد الدار لما رأت حال عبد المطلب، فمشت بنو عبد الدار إلى بني سهم فقالوا: إمتعنونا من بني عبد مناف... فتطيب بنو عبد مناف وأسد وزهرة وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر، [وخزاعة] فسموا حلف المطيين. فلما سمعت بذلك بنو سهم ذبحوا بقرة وقالوا: من أدخل يده في دمها ولعق منه فهو منا! فأدخلت أيديها بنو سهم، وبنو عبد الدار، وبنو مخزوم، وبنو جمح، وبنو عدي، فسموا اللعقة».

قال ابن بكار: «كان بنو سهم وبنو جمح أهل بغي وعدوان، فأكثروا من ذلك».

شرح النهج: ٢٢٤/١٥.

وكانت خزاعة هي ركن حلف عبد المطلب، قال في المنمق/٨٧: «وكتبوا كتاباً كتبه لهم أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة، وكان بنو زهرة بكرمون عبد المطلب لصهره فكان الكتاب: هذا ما تحالف عليه عبد المطلب ورجالات بني عمرو من خزاعة ومن معهم من أسلم ومالك، تحالفوا على التناصر والمؤاساة، حلفاً جامعاً غير مفرق، الأشياخ على الأشياخ، والأصاغر على الأكابر، والشاهد على الغائب، تعاهدوا وتعاقدوا ما شرقت الشمس على ثبير، وما حن بفلاة بعير. عقده عبد المطلب بن هاشم، ورجال بني عمرو فصاروا يداً دون بني النضر، فعلى عبد المطلب النصر لهم على كل طالب وتر في بر أو بحر أو سهل أو وعر، وعلى بني عمرو النصر لعبد المطلب وولده على جميع العرب، في الشرق أو الغرب أو الحزن أو السهب، وجعلوا الله على ذلك كفيلاً، وكفى بالله حميلاً. ثم علقوا الكتاب في الكعبة، فقال عبد المطلب:

سأوصي زبيراً إن توافت منيتي      بامساك ما بيني وبين بني عمرو  
وأن يحفظ الحلف الذي سن شيخه      ولا يلحدن فيه بظلم ولاغدر  
هم حفظوا الإلّ القديم وحالفوا      أباك فكانوا دون قومك من فهر  
وفي تصديق ذلك قول عمرو بن سالم للنبي ﷺ حين أغارت عليهم بنو بكر فقتلوا  
من قتلوا من خزاعة:

لا هُمّ إني ناشدُ محمداً      حلف أبينا وأبيه الأتدا».

وجدد الزبير بن عبدالمطلب حلف الفضول وحضره النبي ﷺ، وروت ذلك  
عامّة المصادر كمحمد بن حبيب في كتابه المنمق/١٨٦، عن حكيم بن حزام قال:  
«كان حلف الفضول منصرف قريش من الفجار وبينه وبين الفيل عشرون سنة،  
ورسول الله صلى الله عليه يومئذ ابن عشرين سنة، قالوا: وكان الفجار في شوال وكان  
الحلف في ذي القعدة، وكان هذا الحلف أشرف حلف جرى، وكان أول من تكلم فيه  
ودعا إليه الزبير بن عبدالمطلب، وذلك أن الرجل من العرب أو غيرها من العجم ممن  
كان يقدم بالتجارة ربما ظلم بمكة، وكان الذي جرّ ذلك أن رجلاً من بني زبيد قدم  
بسلة فباعها من العاص بن وائل السهمي فظلمه ثمنها، فناشده الزبيدي في حقه  
فلم يعطه، فأتى الزبيدي الأحلاف: عبدالدار ومخزوماً وجمح وسهماً وعدياً، فأبوا  
أن يعينوه وزبروه وزجروه! فلما رأى الزبيدي الشر وافى على أبي قبيس قبل طلوع  
الشمس، وقريش في أنديتهم حول الكعبة وصاح:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته      بيطن مكة نائي الدار والنفر  
ومحرمٍ أشعث لم يقض عمرته      يا للرجال وبين الحجر والحجر  
إن الحرام لمن تمّت كرامته      ولا حرام لشوب الفاجر الغدر

قال فمشى في ذلك الزبير بن عبدالمطلب وقال: ما لهذا مترك، فاجتمعت  
بنو هاشم وزهرة وتيم في دار عبدالله بن جدعان، فصنع لهم طعاماً، فتحالفوا في ذي  
القعدة في شهر حرام، قياماً يتماسحون سعداً، وتعاقدوا وتعاهدوا بالله قائلين لنكونن

مع المظلوم حتى يؤدي إليه حقه ما بل بحر صوفة وفي التأسّي في المعاش .  
فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول، وقال الزبير بن عبد المطلب فيه:

حلفتُ لنعقدنُ حلفاً عليهم      وإن كنا جميعاً أهل دار

نسميه الفضولَ إذا عقدنا      يعزُّبه الغريبُ لذي الجوار

ويعلم من حوالي البيت أنا      أباة الضيم فمَنع كل عار

«ذكر قاسم بن ثابت في غريب الحديث أن رجلاً من خثعم قدم مكة حاجاً أو معتمراً، ومعه ابنة له يقال لها القُتُول، من أوضاع نساء العالمين، فاعتصبها منه نبيه بن الحجاج وغيبها عنه، فقال الخثعمي: من يعديني على هذا الرجل؟ فقيل له عليك بحلف الفضول، فوقف عند الكعبة ونادى: يا لِحلف الفضول! فإذا هم يعنقون إليه من كل جانب وقد انتضوا أسيافهم يقولون: جاءك الغوث فما لك؟! فقال: إن نبيها ظلمني في بنتي وانتزعها مني قسراً. فساروا معه حتى وقفوا على باب داره فخرج إليهم فقالوا له: أخرج الجارية ويحك، فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه! فقال: أفعل ولكن متعوني بها الليلة! فقالوا: قبحك الله، ولا شخب لقحة، فأخرجها إليهم».

«وكان الزبير بن عبد المطلب شجاعاً ألباً، وجميلاً بهياً، وكان خطيباً شاعراً، وسيداً جواداً... وبنو هاشم هم الذين ردوا على الزبيدي ثمن بضاعته، وكانت عند العاص بن وائل، وأخذوا للبارقي ثمن سلعته من أبي بن خلف الجمحي. وهم الذين انتزعوا من نبيه بن الحجاج قتول الحسناء». شرح النهج: ٢٠٥/٢٠٣/١٥.

وقال اليعقوبي: ١٧/٢: «حضر رسول الله ﷺ حلف الفضول وقد جاوز العشرين، وقال بعد ما بعثه الله: حضرت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما يسرني به حُر النعم، ولو دعيت إليه اليوم لأجبت. وكان سبب حلف الفضول أن قريشاً تحالفت أحلافاً كثيرة على الحمية والمنعة، فتحالفت المطييون وهم بنو عبدمناف وبنو أسد وبنو زهرة وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر، على أن لا يسلموا الكعبة ما أقام حراء وثبير وما بلّ بحر صوفة. وصنعت عاتكة بنت عبد المطلب

طيباً فغمسوا أيديهم فيه... فتذمت قريش فقاموا فتحالفوا ألا يظلم غريب ولا غيره،  
وأن يؤخذ للمظلوم من الظالم». وابن هشام: ٨٥/١ والمنمق/١٨٧.

لقد أمضى النبي ﷺ هذا الحلف وتبناه، ودعا به الإمام الحسين عليه السلام لما منعوا دفن  
أخيه عند جده ﷺ، ثم دعا به ما أراد معاوية أن يصادر أمواله. أنساب الأشراف/١٣.

### ١٣. سن عبدالمطلب سنناً فأجراها الله في الإسلام

روى في الخصال/٣١٣: «عن النبي ﷺ قال: يا علي إن عبدالمطلب سنن في الجاهلية  
خمس سنن أجراها الله له في الاسلام، حرم نساء الآباء على الأبناء فأنزل الله عزوجل:  
وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ. ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس وتصدق به فأنزل الله عزوجل:  
وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ. الآية.. ولما حفر زمزم سهاها سقاية الحاج، فأنزل  
الله: أَجْعَلْنُمُ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَرَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ. الآية. وسن في  
القتل مائة من الإبل فأجرى الله عزوجل ذلك في الاسلام، ولم يكن للطواف عدد  
عند قريش فسن فيهم عبدالمطلب سبعة أشواط، فأجرى الله ذلك في الاسلام.  
يا علي إن عبدالمطلب كان لا يستقسم بالأزلام، ولا يعبد الأصنام، ولا يأكل ما ذبح  
على النصب، ويقول: أنا على دين أبي إبراهيم عليه السلام».

النص  
الذي  
هو  
مقتبس

وقال اليعقوبي رحمه الله: ١٠٧/٢: «وكان عبدالمطلب جد رسول الله ﷺ يكفله، وعبدالمطلب  
يومئذ سيد قريش غير مدافع، قد أعطاه الله من الشرف ما لم يعط أحداً، وسقاه زمزم  
وذا الهرم «بئر في الطائف» وحكمته قريش في أمواليها، وأطعم في المحل حتى أطعم  
الطير والوحوش في الجبال. قال أبو طالب:

وَنُطْعِمُ حَتَّى تَأْكُلَ الطَيْرُ فَضْلَنَا إِذَا جُعِلَتْ أَيْدِي الْمَفِضِينَ تَرَعُدُ

ورفض عبادة الأصنام ووحد الله عزوجل، ووفى بالنذر، وسن سنناً نزل القرآن  
بأكثرها، وجاءت السنة من رسول الله بها وهي: الوفاء بالنذور، ومائة من الإبل في  
الدية، وألا تنكح ذات محرم، ولا تؤتى البيوت من ظهورها، وقطع يد السارق،  
والنهى عن قتل المؤودة، والمباهلة، وتحريم الخمر، وتحريم الزناء، والحد عليه،

والقرعة، وألا يطوف أحد بالبيت عرباناً، وإضافة الضيف، وألا ينفقوا إذا حجوا إلا من طيب أموالهم، وتعظيم الأشهر الحرم، ونفي ذوات الرايات».

١٤. وهذا يكفي لمن كان له قلب!

آباء النبي ﷺ موحدون

لقد أغمضوا عيونهم عن كرامات عبد المطلب وآياته، في حفر زمزم، وفي هجوم أصحاب الفيل، وإخباره بنبوته حفيده ﷺ، واقتخار النبي ﷺ يوم حنين بنبوته وبجده عبد المطلب! البخاري: ٢٨/٤. وفي الواحدة منها كفاية لمن كان له قلب. بل زعموا أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن أبيه؟ فقال: إن أبي وأباك في النار. مسلم: ١٣٢/١. وحاشا أباه من النار، وحاشاه ﷺ من هذه الجلافة!

١٥. عبد المطلب: إبراهيم الثاني

«وخرجوا هارين يطلبون الشعاب، ومنهم من طلب الجبال، ومنهم من ركب البحر، قال: فعند ذلك قالوا لعبد المطلب: ما يمنعك أن تهرب مع الناس؟ قال: أستحيي من الله أن أهرب عن بيته وحرمه، فوالله لا برحت من مكاني ولا نأيت عن بيت ربي، حتى يحكم الله بما يشاء.. قال: فلما نظر عبد المطلب إلى الكعبة خالية قال: «اللهم أنت أنيس المستوحشين ولا وحشة معك، فالبيت بيتك والحرم حرمك والدار دارك، ونحن جيرانك، تمنع عنه ما تشاء». البحار: ٦٦/١٥. ولما ظهرت آياته في حملة أصحاب الفيل، سماه المنصفون من قريش إبراهيم الثاني: «فكانت قريش تقول: عبد المطلب إبراهيم الثاني». تاريخ يعقوبي: ١٠/١.

١٦. نَدَّر عبد المطلب ﷺ أحد أبنائه قرباناً للكعبة!

كان عرب الجزيرة وعرب العراق يقدسون صنم العزى أكثر من غيره، ويقدمون له القرابين: «وكان للعزى منحراً ينحرون فيه هداياهم، يقال له الغنغب... قال الشاعر: والراقصات إلى منى بالغنغب». معجم البلدان: ١٨٥/٤. وفي أحد: «نادى المشركون بشعارهم: يا للعزى يا هُبل، وأوجعوا في المسلمين قتلاً ذريعاً، وولّى من ولى منهم يومئذ، وثبت رسول الله ﷺ». الطبقات: ٤٢/٢.



وكانت حروباً بين المناذرة التابعين للفرس في العراق، والغساسنة التابعين للروم في الشام، وكان المنذر بن ماء السماء وثنياً، فأسر ابن ملك الغساسنة الحارث بن شمر في حربه معه، فذبحه قرباناً للعزى! خطب الشام: ٦٧/١.

وفي المفصل في تاريخ العرب: ٢٣٩/١١: «وقد كان آل لحم ملوك الحيرة، وبنحرون الأسرى قرباناً للعزى. وقد زعم بعض المؤرخين السريان أن المنذر بن ماء السماء ضحى بأربع مائة راهبة للعزى!»

في هذا الجو، نذر عبد المطلب ﷺ تعالى إذا رزقه عشرة أبناء، أن يذبح أحدهم قرباناً له هدياً للكعبة، فكان عمله مقابلةً لعبادة الأصنام والنصارى ودعوة لهم أن يعبدوا رب بيت إبراهيم ﷺ، ويقدموا قربانهم له وليس للعزى!

أما الإشكال الذي نراه في عمله فسببه عدم معرفتنا لمستنده الشرعي في نذره أن يذبح ابنه، ثم مستنده في طريقة وفائه به بالقرعة بينه وبين الإبل. لكن ما ثبت عن شخصيته ﷺ وإيمانه العميق وإلهام الله تعالى إياه بحفر زمزم، وظهور المعجزة له لما أرادت قريش أخذها منه، وإخباره بآية أصحاب الفيل، وغير ذلك من آياته يدل على أنه ما نذر ولا تحلل من نذره، إلا بحجة من ربه تعالى.

روى في دعائم الإسلام: ٥٢٢/٢ عن الإمام الصادق ﷺ أنه تجب القرعة فيما أشكل وذكر القرعة في قصة يونس ﷺ، وفي كفالة مريم ﷺ، وقصة عبد المطلب: «نذر ذبح من يولد له فولد له فولد له عبد الله أبو رسول الله ﷺ، فألقى الله عليه محبته، فألقى عليه السهام وعلى إبل ينحرفها يتقرب بها مكانه، فلم تنزل السهام تقع عليه وهو يزيد حتى بلغت مائة، فوقع السهم على الإبل فأعاد السهام مراراً وهي تقع على الإبل، فقال: الآن علمت أن ربي قد رضي ونحرفها».

١٧. افتخر النبي ﷺ بجديهِ ﷺ فقال: أنا ابن الذبيحين

روى الصدوق في العيون: ٢/ ١٨٩ عن علي بن فضال أنه سأل الإمام الرضا ﷺ عن معنى قول النبي ﷺ: أنا ابن الذبيحين فقال: «يعني إسماعيل بن إبراهيم الخليل،

وعبد الله بن عبد المطلب. أما إسماعيل فهو الغلام الحليم الذي بشر الله به إبراهيم: فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي السَّمَاءِ آيَاتٍ مُّجْتَمِعَةً فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ، وَلَمْ يُقَلْ لَهُ يَا بَتِ افْعَلْ مَا رَأَيْتَ. سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ.

فلما عزم على ذبحه فداه الله بذبح عظيم بكبش أملح، يأكل في سواد ويشرب في سواد وينظر في سواد، ويمشي في سواد، ويبول ويبر في سواد، وكان يرتع قبل ذلك في رياض الجنة أربعين عاماً، وما خرج من رحم أمثى، وإنما قال الله جل وعز له كن فكان، ليفدي به إسماعيل، فكل ما يذبح بمنى فهو فدية لإسماعيل إلى يوم القيامة. فهذا أحد الذبيحين.

وأما الآخر فإن عبد المطلب كان تعلق بحلقة باب الكعبة، ودعا الله عز وجل أن يرزقه عشرة بنين، ونذر الله عز وجل أن يذبح واحداً منهم متى أجاز الله دعوته فلما بلغوا عشرة قال: قد وفى الله لي فألفين الله عز وجل، فأدخل ولده الكعبة وأسهم بينهم فخرج سهم عبدالله أبي رسول الله وكان أحب ولده إليه، ثم أجالها ثانية فخرج سهم عبدالله، ثم أجالها ثالثة فخرج سهم عبدالله، فأخذه وحبسه وعزم على ذبحه، فاجتمعت قريش ومنعته من ذلك، واجتمع نساء عبد المطلب يبكين ويصحن، فقالت له ابنته عاتكة: يا أبتاه أعذر فيما بينك وبين الله عز وجل في قتل ابنك. قال: فكيف أعذر يا بنية فإنك مباركة؟ قالت: أعمد إلى تلك السوائم التي لك في الحرم فاضرب بالقداح على ابنك وعلى الإبل وأعط ربك حتى يرضى. فبعث عبد المطلب إلى إبله فأحضرها وعزل منها عشراً وضرب السهام فخرج سهم عبدالله، فما زال يزيد عشراً عشراً حتى بلغت مائة، فضرب فخرج السهم على الإبل، فكبرت قريش تكبيرة ارتجت لها جبال تهامة، فقال عبد المطلب: لا، حتى أضرب بالقداح ثلاث مرات، فضرب ثلاثاً كل ذلك يخرج السهم على الإبل، فلما كان في الثالثة اجتذبه الزبير وأبو طالب وإخوانه من تحت رجله، فحملوه وقد انسلخت جلدة خده الذي كان على الأرض، وأقبلوا يرفعونه ويقبلونه، ويمسحون عنه

التراب. وأمر عبد المطلب أن تنحر الإبل بالحزورة، ولا يمتع أحد منها وكانت مائة». وأضاف الصدوق عليه السلام: «ولولا أن عبد المطلب كان حُجَّةً وأن عزمه على ذبح ابنه عبد الله شبيهٌ بعزم إبراهيم على ذبح ابنه إسماعيل عليه السلام، لما افتخر النبي صلى الله عليه وآله بالانتساب إليها، لأجل أنها الذبيحان في قوله صلى الله عليه وآله: أنا ابن الذبيحين.

والعلة التي من أجلها رفع الله عز وجل الذبح عن إسماعيل هي العلة التي من أجلها رفع الذبح عن عبد الله وهي كون النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام في صلبها. فببركة النبي والأئمة عليهم السلام رفع الله الذبح عنها، فلم تجر السنة في الناس بقتل أولادهم». وفي الفقيه: ٣٦٨/٤: «يا علي أنا ابن الذبيحين. يا علي أنا دعوة أبي إبراهيم عليه السلام».

وتدل الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام «الفقيه: ٨٩/٣» على أن الله تعالى نهى عبد المطلب عن ذبح ولده وأمره بالقرعة، وقد يكون ذلك بعد كلام عاتكة، قال عليه السلام: «أول من سوهم عليه مريم بنت عمران، وهو قول الله عز وجل: وَمَا كُنْتُمْ لَدَيْهَا إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ، والسهم ستة، ثم استهموا في يونس عليه السلام لما ركب مع القوم فوقت السفينة في اللجة، فاستهموا فوقع السهم على يونس ثلاث مرات قال: فمضى يونس إلى صدر السفينة، فإذا الحوت فاتح فاه فرمى نفسه.

ثم كان عند عبد المطلب تسعة بنين، فنذر في العاشر إن رزقه الله غلاماً أن يذبحه فلما ولد عبد الله لم يكن يقدر أن يذبحه ورسول الله صلى الله عليه وآله في صلبه، فجاء بعشر من الإبل فساهم عليها وعلى عبد الله، فخرجت السهام على عبد الله فزاد عشراً، فلم تزل السهام تخرج على عبد الله ويزيد عشراً، فلما أن خرجت مائة خرجت السهام على الإبل فقال عبد المطلب: ما أنصفت ربي فأعاد السهام ثلاثاً، فخرجت على الإبل فقال: الآن علمت أن ربي قد رضي، فتحرها».

ومعناه أن الله تعالى نهاه عن ذبحه بالإلهام، وأمره أن يفديه بما استقرت عليه القرعة. ونلاحظ في هذا الموضوع أن النبي صلى الله عليه وآله ضحى في حجة الوداع بمئة ناقة، وهي عدد فداء جده عبد الله عليه السلام، وأشرك فيها علياً عليه السلام لشراكته في وراثته عبد المطلب عليه السلام.

## ١٨. الذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق

زعم أهل الكتاب أن الذبيح إسحاق عليه السلام، وأن الله فداه وأرسل جبرئيل عليه السلام بكبش وأمره أن يذبحه بدله.

آباء النبي صلى الله عليه وسلم موحدون

قال في تفسير الكاشف: ٣٥٢/٦: «ولا مصدر لهذا القول إلا إسرائيليات كعب الأخبار، وحسد اليهود لأبناء إسماعيل، وليس هذا بكثير على بني إسرائيل».

أقول: إن الأدلة على أن الذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق عليه السلام، كثيرة: الأول: أن توراتهم وتلمودهم ومصادرهم لم تذكر أن الذبيح إسحاق عليه السلام، وإنما هو قول حاخاماتهم، خاصة كعب الأخبار، وقد نسبوه إلى عمر وعلي وابن عباس وغيرهم. وعدم ذكره في مصادرهم دليل على أن الذبيح ليس إسحاق عليه السلام، وإلا لذكرته مصادرهم بشكل واسع، وجعلوا مكانه مزاراً وافتخروا به. فالصحيح أنهم ادعوه بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن بقصة ذبح إسماعيل عليه السلام. الثاني: صحح العلماء حديث: أنا ابن الذبيحين. رواه الحاكم: ٥٥٤/٢. صححه الذهبي، السرخسي: ١٤١/٨. بدائع الصنائع: ٨٥/٥. تخريج الأحاديث: ١٧٧/٣. وفيض القدير: ٧٦٢/٣.

الثالث: قال جمهور علماء المسلمين إن الذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق عليه السلام. قال المعجلوني في كشف الخفاء: ١٩٩/١: «إسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين».

وقال الطوسي في أماليه/٤٥٧: «قال أبو المفضل «الشياني»: اختلف الناس في الذبيح وقول النبي صلى الله عليه وسلم: أنا ابن الذبيحين، يعني إسماعيل وعبدالله أباه عليه السلام. والعرب مجمعة أن الذبيح هو إسماعيل. وأنا أقول: اختلفت روايات العامة والخاصة في الذبيح من هو؟ والصحيح أنه إسماعيل لمكان الخبر، ولإجماع علماء أهل البيت عليهم السلام على أنه إسماعيل». الرابع: صحح الصدوق في معاني الأخبار/٣٩١: «عن داود بن كثير الرقي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أيها كان أكبر إسماعيل أو إسحاق، وأيها كان الذبيح؟

فقال: كان إسماعيل أكبر من إسحاق بخمس سنين، وكان الذبيح إسماعيل، وكانت مكة منزل إسماعيل، وإنما أراد إبراهيم أن يذبح إسماعيل أيام الموسم بمكة. قال: وكان بين بشارة الله لإبراهيم بإسماعيل وبين بشارته بإسحاق عليه السلام خمس سنين، أما تسمع لقول إبراهيم عليه السلام حيث يقول: رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ. إنما سأل الله عز وجل أن يرزقه غلاماً من الصالحين، وقال في سورة الصافات: فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ، يعني إسماعيل من هاجر. فقال: ففدى إسماعيل بكبش عظيم. فقال أبو عبد الله عليه السلام: ثم قال: وَبَشِّرْهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ. وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ، يعني بذلك إسماعيل قبل البشارة بإسحاق. فمن زعم أن إسحاق أكبر من إسماعيل وأن الذبيح إسحاق، فقد كذب بما أنزل الله عز وجل في القرآن من نبيها».

فقد استدل الإمام عليه السلام بنص الآيات وسياقها، وأن الذبيح الغلام الذي دعا إبراهيم عليه السلام ربه أن يهبه له فوهبه وهو إسماعيل، ثم رزقه بعده إسحاق فقال: وَبَشِّرْهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ، فكيف يبشره بأنه نبي، ثم يأمره بذبحه!

وهذه آياته في سياقها: وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَّهْدِينِ. رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ. فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ. فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا بَنِيَّ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ. فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ. وَنَادَيْنَاهُ أَتَىٰ إِبْرَاهِيمَ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ. وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ. سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ. كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ. وَبَشِّرْهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ. وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ. الصافات: ٩٩-١١٣.

وفي الكاشف: ٣٥٢/٦: فإنه يدل بصرحة على أن المبشر به والساعي والذبيح صفات لموصوف واحد، وهو الولد البكر لإبراهيم، وبكر إبراهيم هو إسماعيل باتفاق المسلمين والنصارى واليهود، فلقد جاء في التوراة الإصحاح ١٦ الآية ١٥ من سفر التكوين ما نصه بالحرف: «وكان إبراهيم ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام». أي إبراهيم.

وإذا عطفنا على هذا ما جاء في التوراة من السفر المذكور الإصحاح ١٧ الآية ١٧

وما بعدها: إن الله لما بشر إبراهيم بإسحاق من سارة سقط على وجهه، وقال في قلبه: هل يولد لي وأنا ابن مائة سنة وسارة بنت تسعين؟ إذا جمعنا بين الآيتين تكون حصيلتهما أن إسماعيل هو الولد البكر، وأنه يكبر اسحق بأربعة عشر عاماً، وبيننا أن البكر هو الذبيح».

الخامس: في كتاب أضواء على المسيحية للدكتور شلبي/٦٦: «يقول برنابا: فكلم الله حيثنذ إبراهيم قائلاً: خذ ابنك البكر واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة. والبكر هو إسماعيل عليه السلام، وقد ولد إسحاق عليه السلام بعده بسبع سنين».

السادس: قوله تعالى: «وَبَشِّرْنَا بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ». حيث جاءت هذه البشارة لإبراهيم بإسحاق جزءاً له على طاعته لله في ذبح ولده البكر، فلا بد وهذه هي الحال، أن يكون زمن إسحاق متأخراً عن زمن الذبيح». تفسير الكاشف/٦/٣٥٢.

السابع: قوله تعالى في الآية ٧١ من سورة هود: «فَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ»، فإن الله بشر سارة بإسحاق وبولده يعقوب في آن واحد، فكيف يأمر بذبح إسحاق بعد أن بشر به وينسله؟ وما ذا تقول سارة عندما تسمع الأمر بذبح وليدها بعد أن سمعت البشارة به وبولده!

الثامن: نسبوا إلى علي عليه السلام من أن الذبيح هو إسحاق، والصحيح أنه إسماعيل عليه السلام. ففي أمالي الطوسي/٣٣٨، عن الإمام الرضا عليه السلام، عن آبائه عن علي عليه السلام قال: الذبيح إسماعيل.

وبذلك يتضح أن القول بأن الذبيح إسحاق مكذوب، أو تصحيف في الإسم.

## ١٩. النبي ﷺ وارث عبد المطلب

### اختار الله بني عبد المطلب من العالم:

كان النبي ﷺ يجهر بأن الله تعالى اختار من العالم بني عبد المطلب فقال ﷺ: «قسم الله تبارك وتعالى أهل الأرض قسمين فجعلني في خيرهما، ثم قسم النصف الآخر على ثلاثة فكانت خير الثلاثة، ثم اختار العرب من الناس،

ثم اختار قريشاً من العرب، ثم اختار بني هاشم من قريش، ثم اختار بني عبدالمطلب من بني هاشم، ثم اختارني من بني عبدالمطلب». الحاصل ٣٦ وغيره.

وكان ﷺ يفتخر بنبوته وجده عبدالمطلب ﷺ!

ففي حنين هرب المسلمون مع أنهم كانوا اثني عشر ألفاً! وثبت النبي ﷺ وبنو هاشم، وافتخر بنبوته وبجده عبدالمطلب: «كان القوم قد كمنوا في شعاب الوادي ومضايقه فما راعنا إلا كئائب الرجال، فانهزم بنو سليم وكانوا على المقدمة وانهزم من وراءهم، وبقي علي ﷺ ومعه الراية، فقال مالك بن عوف: أروني محمداً، فأروه إياه فحمل عليه فلقيه أيمن بن عبيدة وهو ابن أم أيمن فالتقيا فقتله مالك.. فقام النبي ﷺ في ركاب سرجه حتى أشرف عليهم وقال: الآن حمى الوطيس: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب».

وفي صحيح بخاري: ٢٨/٤: «نزل فجعل يقول: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب.

قال فما رؤي من الناس يومئذ أشد منه».

وبنو عبدالمطلب لا يفرون أبداً!

الليث  
الشيبي  
العمري

وعليهم قامت معارك الإسلام! فقد كانوا أبطال بدر، وثبتوا في أحد وخيبر وغيرها، في حين فرَّ الجميع. وفي حنين: «انهزموا بأجمعهم فلم يبق منهم مع النبي ﷺ إلا عشرة أنفس، تسعة من بني هاشم خاصة وعاشرهم أيمن بن أم أيمن، فقتل أيمن وثبت تسعة نفر الهاشميون حتى تاب إلى رسول الله ﷺ من كان انهزم، فرجعوا أولاً فأولاً». الإرشاد: ١٤٠/١.

بعثه الله لبني عبدالمطلب خاصة وللناس عامة:

قال لهم: «يا بني عبدالمطلب إن الله بعثني إلى الخلق كافة وبعثني إليكم خاصة، فقال عزوجل: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ. أنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان، تملكون بهما العرب والعجم، وتتقاد لكم بهما الأمم، وتدخلون بهما الجنة وتنجون بهما من النار: شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويؤازرني عليه وعلى القيام به، يكن

أخي ووصيي ووزيرِي ووارثي وخليفتي من بعدي». الإرشاد: ٤٩/١  
ومسند الشاميين: ٦٦/٢.

آباء النبي ﷺ موحدون

وكان النبي ﷺ محولاً من بني عبد المطلب:

فَعندما طلب أسرى خيبر من النبي ﷺ أن يُطلق سراحهم، قال لهم: «أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لله ولكم. وقالت الأنصار: ما كان لنا فهو لله ولرسوله فردت الأنصار ما كان في أيديها من الذراري والأموال». أمالي الصدوق/٥٩١.

وَعَدَّهم النبي ﷺ الشفاعة وكان يميزهم عن غيرهم:

قال ﷺ: «يا بني عبد المطلب إن الصدقة لا تحل لي ولا لكم، ولكني قد وعدت الشفاعة» قال أبو عبد الله عليه السلام: «إشهدوا لقد وعدتها» فما ظنكم يا بني عبد المطلب إذا أخذت بحلقة باب الجنة، أتروني مؤثراً عليكم غيركم». التهذيب: ٥٨/٤.

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «كان رسول الله ﷺ يصنع بمن مات من بني هاشم خاصة شيئاً لا يصنعه بأحد من المسلمين! كان إذا صلى على الهاشمي ونضح قبره بالماء، وضع كفه على القبر حتى ترى أصابعه في الطين، فكان الغريب يقدم أو المسافر من أهل المدينة فيرى القبر الجديد عليه أثر كف رسول الله ﷺ، فيقول: من مات من آل محمد ﷺ». الكافي: ٢٠٠/٣ والتهذيب: ٤٦٠/١.

وأكرم الله بني هاشم فشرَّع لهم ميزانية خاصة:

وهي الخمس فقال تعالى: **وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّائِكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ لِلْجَمْعِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**. ومع ذلك حرموهم منه!

قال ابن قدامة: ٥١٩/٢: «لأنعلم خلافاً في أن بني هاشم لا تحل لهم الصدقة المفروضة، وقد قال النبي ﷺ: إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد إنما هي أوساخ الناس. وعن أبي هريرة قال: أخذ الحسن تمره من تمر الصدقة فقال النبي ﷺ: كَيْفَ كَيْفٌ، ليطرحها! وقال: أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة! متفق عليه».



وفي الكافي: ٥٤٠/١ عن الإمام الكاظم عليه السلام: «وإنما جعل الله هذا الخمس خاصة لهم دون مساكين الناس وأبناء سبيلهم، عوضاً لهم من صدقات الناس، تنزيهاً من الله لقرباتهم برسول الله صلى الله عليه وآله، وكرامةً من الله لهم عن أوساخ الناس، فجعل لهم خاصة من عنده ما يغنيهم به عن أن يصيرهم في موضع الذل والمسكنة..»

وهؤلاء الذين جعل الله لهم الخمس هم قرابة النبي صلى الله عليه وآله الذين ذكرهم الله فقال: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، وهم بنو عبد المطلب الذكر منهم والأنثى، ليس فيهم من أهل بيوتات قريش ولا من العرب أحد».

وحذرهم النبي صلى الله عليه وآله أن يغتروا بنسبهم ويتركوا العمل:

قال الإمام الباقر عليه السلام: «قام رسول الله صلى الله عليه وآله على الصفا فقال: يا بني هاشم، يا بني عبد المطلب إني رسول الله إليكم وإني شفيق عليكم، وإن لي عملي ولكل رجل منكم عمله، لا تقولوا إن محمداً منا وسندخل مدخله، فلا والله ما أوليائي منكم ولا من غيركم يا بني عبد المطلب إلا المتقون. ألا فلا أعرفكم يوم القيامة تأتون تحملون الدنيا على ظهوركم ويأتون الناس يحملون الآخرة، ألا إني قد أعذرت إليكم فيما بيني وبينكم، وفيما بيني وبين الله عز وجل فيكم». الكافي: ١٨٢/٨.

وأتم النبي صلى الله عليه وآله الحججة عليهم فأوصاهم بطاعة علي عليه السلام:

فعن الإمام زين العابدين، في حديث وفاة النبي صلى الله عليه وآله: «قال علي عليه السلام: فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وإن رأسه ليثقل ضعفاً وهو يقول ويسمع أقصى أهل البيت وأدناهم: إن أخي ووصيي ووزيري وخليفتي في أهلي علي بن أبي طالب، يقضي ديني وينجز موعدتي. يا بني هاشم يا بني عبد المطلب، لا تبغضوا علياً، ولا تحالفوا أمره فتضلوا، ولا تحسدوه وترغبوا عنه فتكفروا». أمالي الطوسي/٦٠٠.

وكان حقد اليهود وقريش على كل بني عبد المطلب عليهم السلام:

قال أمير المؤمنين عليه السلام لحاخام يهودي: «وأما الخامسة يا أبا اليهود، فإن قريشاً والعرب تجمعت وعقدت بينها عقداً وميثاقاً، لا ترجع من وجهها حتى تقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وتقتلنا معه معاشر بني عبد المطلب، ثم أقبلت بحدها وحديدها حتى

أناخت علينا بالمدينة، واثقة بأنفسها فيما توجهت له». الخصال/ ٣٦٨.

### وصححو حديث أبناء عبد المطلب سادة أهل الجنة:

فقد رواه ابن ماجه ١٣٦٨/٢ عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة: أنا وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي». والحاكم: ٢١١/٣. وصححه على شرط مسلم، وتاريخ بغداد: ٤٣٤/٩ وفيه: نحن سبعة بنو عبد المطلب سادات أهل الجنة، أنا وعلي أخي وعمي حمزة وجعفر والحسن والحسين والمهدي». وتلخيص المشابه: ١٩٧/١، الفردوس: ٥٢/١، البيان للشافعي/ ٤٨٨ وغيرها. وفي كتاب سُلَيْم بن قيس رضي الله عنه: ٢٤٥: «كانت قريش إذا جلست في مجالسها فرأت رجلاً من أهل البيت عليه السلام قطعت حديثها، فبينما هي جالسة إذ قال رجل منهم ما مثل محمد في أهل البيت إلا كمثل نخلة نبتت في كُناسة! فبلغ ذلك رسول الله فغضب ثم خرج فأتى المنبر فجلس عليه حتى اجتمع الناس، ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال..». وأورد خطبة طويلة في فضله وفضل أهل بيته عليهم السلام جاء فيها: «ألا ونحن بنو عبد المطلب سادة أهل الجنة، أنا وعلي وجعفر وحمزة والحسن والحسين وفاطمة والمهدي». ورواه أمالي الصدوق/ ٣٨٤، غيبة الطوسي/ ١١٣، العمدة/ ٥٢ و٤٣ والطرائف: ١٧٦/١.

وفي دلائل الإمامة/ ٢٥٦، عن الأصمغ بن نباتة، قال: «كنا مع علي بالبصرة وهو على بغلة رسول الله ﷺ وقد اجتمع هو وأصحاب محمد فقال: ألا أخبركم بأفضل خلق الله عند الله يوم يجمع الرسل؟ قلنا: بلى يا أمير المؤمنين، قال: أفضل الرسل محمد وإن أفضل الخلق بعدهم الأوصياء، وأفضل الأوصياء أنا، وأفضل الناس بعد الرسل والأوصياء الأسباط، وإن خير الأسباط سبط نبيكم، يعني الحسن والحسين. وإن أفضل الخلق بعد الأسباط الشهداء، وإن أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب، قال ذلك النبي ﷺ، وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين مخضبان بكرامة خص الله عز وجل بها نبيكم، والمهدي منا في آخر الزمان، لم يكن في أمة من الأمم مهدي ينتظر غيره».

أقول: كفى بهذا الحديث الشريف حجة ودليلاً على مكانة هؤلاء العظماء من أبناء عبدالمطلب عليه السلام، فهو يفضح كل ما رووه من تفضيل زيد وعمرو عليهم!

٢٠. وكان عبدالمطلب شاعراً، وكذا أبوطالب عليه السلام

وتقدمت له أبيات في غزو أبرهة للكعبة، وكلها إيمان و يقين بالنصر، وفيها نبوءة بنبوة حفيده عليه السلام وبدولة العدل الإلهي على يد ولده المهدي عليه السلام! قال:

نحن آل الله فيما قد خلا	لم يزل ذلك على عهد أئمتهم
لم يزل لله فينا حجة	يدفع الله بها عنها النقم
نعرف الله وفينا شيمه	صلة الرحم ونوفي بالذمم
ولنا في كل دور كرهة	نعرف الدين وطوراً في العجم
في إذا ما بلغ الدور إلى	منتهى الوقت أتى طيرُ القدم
بكتاب فصلت آياته	فيه تبيان أحاديث الأمم

وطير القدم مثلُ ضربه عبدالمطلب عليه السلام لأصحاب ولده الإمام المهدي عليه السلام الذين يجمعهم الله له في ليلة من أقاصي العالم، ليكونوا وزراءه.

فقد روى علي بن يقطين عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «من أعز أخاه في الله وأهان أعداءه في الله، وتولى ما استطاع نصيحته، أولئك يتقلبون في رحمة الله، ومثلهم مثل طير يأتي بأرض الحبشة في كل صيفة يقال له «الْقَدَم» فيبيض ويفرخ بها، فإذا كان وقت الشتاء صاح بفراخه فاجتمعوا إليه وخرجوا معه من أرض الحبشة، فإذا قام قائمنا اجتمع أولياؤنا من كل أوب! ثم تمثل بقول عبدالمطلب:

في إذا ما بلغ الدور إلى	منتهى الوقت أتى طيرُ القدم
بكتاب فصلت آياته	فيه تبيان أحاديث الأمم

مستدرك الوسائل: ١٣٧/١٣ وجامع أحاديث الشيعة: ٢٩٧/١٧.

وفي أمالي الصدوق/٢٤٣: «قال الريان بن الصلت: أنشدني الرضا عليه السلام لعبدالمطلب:

الصلوات  
السلامة  
على  
أهل  
البيت  
الطيبين  
الطاهرين

يعيب الناس كلهم زماناً وما لزماننا عيب سوانا  
 نعيب زماننا والعيب فينا ولونطق الزمان بنا هجانا  
 وأن الذئب يترك لحم ذئب ويأكل بعضنا بعضاً عيانا  
 لبسنا للخداع مسوك طيب وويل للغريب إذا أتانا»  
 وعيون أخبار الرضا ١٩٠/٢.

## ٢١. أولاد عبدالمطلب عشرة، والعباس

قال الإمام الباقر عليه السلام كما في الخصال ٤٥٢: «سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن ولد عبدالمطلب فقال: عشرة والعباس! وخيرهم: عبدالله، وأبو طالب، والزيبر، وحزرة. وذرية عبدالله وأبي طالب خير البشر، وشذ من أبناء عبدالمطلب أبو لهب إلى النار.

وفي تاريخ يعقوبي: ١١/٢: «وكان لعبدالمطلب من الولد الذكور عشرة، ومن الإناث أربع: عبدالله أبو رسول الله صلى الله عليه وآله. وأبو طالب وهو عبدمناف. والزيبر وهو أبو الطاهر. وعبدالكعبة وهو المقوم. وأمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وهي أم أم حكيم البيضاء. وعاتكة وبرة وأروى وأميمة بنات عبدالمطلب. والحارث وهو أكبر ولد عبدالمطلب وبه كان يكنى. وقثم. وأمهما صفية بنت جندب بن حجر بن زباب بن حبيب بن سؤدة بن عامر بن صعصعة. وحزرة وهو أبو يعلى أسد الله وأسد رسول الله، وأمه هالة بنت وهيب بن عبدمناف بن زهرة، وهي أم صفية بنت عبدالمطلب. والعباس، وضرار، أمها نتيبة بنت جناب بن كليب بن النمر بن قاسط. وأبو لهب وهو عبدالعزى، وأمه لُبَيْنى بنت هاجر بن عبدمناف بن ضاطر الخزاعي. والغيداق وهو حجل وإنما سمي الغيداق لأنه كان أجود قريش وأطعمهم للطعام، وأمه ممنعة بنت عمرو بن مالك بن نوفل الخزاعي. فهؤلاء أعمام رسول الله وعاته».

والسؤال هنا: ما معنى قول النبي صلى الله عليه وآله: عشرة والعباس؟

والجواب: أن العباس عبدٌ لثلاثة من إخوته من بني عبدالمطلب،  
ولذا عدّه رسول الله ﷺ وحده، لأنه عبد لإخوته، لأن أمه أمة لهم أحلّواها لأبيهما  
عبدالمطلب لتخدمه، فحملت منه بالعباس.

ففي «الكافي: ٢٥٩/٨»: «توفي مولى لرسول الله ﷺ لم يخلف وارثاً فخاصم فيه ولد  
العباس أبا عبد الله ﷺ وكان هشام بن عبد الملك قد حج في تلك السنة، فجلس لهم  
فقال داود بن علي: الولاء لنا. وقال أبو عبد الله ﷺ: بل الولاء لي. فقال داود بن علي:  
إن أباك قاتل معاوية. فقال: إن كان أبي قاتل معاوية فقد كان حظ أبيك فيه الأوفر ثم  
فرّ بخيانتته. وقال: والله لأطوقنك غداً طوق الحمامة، فقال له داود بن علي: كلامك هذا  
أهون علي من بكرة في وادي الأزرق، فقال: أما إنه واد ليس لك ولا لأبيك فيه حق!  
قال فقال هشام: إذا كان غداً جلست لكم، فلما أن كان من الغد خرج  
أبو عبد الله ومعه كتاب في كرباسة، وجلس لهم هشام، فوضع أبو عبد الله ﷺ الكتاب  
بين يديه، فلما أن قرأه قال: أعدوا لي جندل الخزاعي وعكاشة الضمري، وكانا شيخين  
قد أدركا الجاهلية، فرمى بالكتاب إليهما فقال: تعرفان هذه الخطوط؟ قالوا: نعم، هذا  
خط العاص بن أمية، وهذا خط فلان وفلان لفلان من قريش. وهذا خط حرب بن  
أمية، فقال هشام: يا أبا عبد الله أرى خطوط أجدادي عندكم؟ فقال: نعم، قال: فقد  
قضيت بالولاء لك، قال: فخرج وهو يقول:

إن عادت العقرب عدنا لها      وكانت النعل لها حاضرة

قال فقلت: ما هذا الكتاب جعلت فداك؟ قال: فإن تبيّلة كانت أمةً لأم الزبير  
وأبي طالب وعبد الله، فأخذها عبدالمطلب فأولدها فلاناً، فقال له الزبير: هذه الجارية  
ورثناها من أمنا، وابنتك هذا عبد لنا، فتحمل عليه ببطون قريش، قال فقال: قد  
أجبتك على خلة على أن لا يتصدر ابنك هذا في مجلس، ولا يضرب معنا بسهم. فكتب  
عليه كتاباً وأشهد عليه، فهو هذا الكتاب».

أقول: معنى ذلك أن العباس وأولاده مضافاً إلى أنهم من الطلقاء الذين لا تحل لهم  
الخلافة، فهم عبيد لأبناء عبدالمطلب: الزبير، وأبي طالب، وعبد الله، الذين كانت أم

العباس أمةً لأهمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم «دلائل النبوة» ٩٩» وقد أحلواها لأبيهم فتزوجها، فَوُلِدَها تبعاً لها ملكٌ لهم، لأنهم أحلواها لأبيهم ولم يبيعوها.

ونلاحظ أن المؤرخين «تاريخ دمشق ٢٦/٢٧٦» قالوا إن أم العباس نتيلة بنت جناب، ثم قالوا: وقيل أو يقال: ابنة مالك بن خباب بن كليب، من بني النمر بن قاسط. وزعموا أن ابنها ضاع فنذرت أن تكسوا الكعبة حريراً. لكن هذه القصة لأم ضرار بن عبد المطلب، سرقوها وجعلوها لأم العباس!

وقد رواها ابن حبيب في المنق/٣٦، والبلاذري في أنساب الأشراف: ٩٠/١، قالاً: «كان ضرار بن عبد المطلب من فتيان قريش، جمالاً، وعقلاً، وهيبة، وسخاء، وإن أمه نتيلة أضلته فكاد عقلها يذهب جزعاً عليه، وكانت كثيرة المال، فجعلت تنشئ في المواسم وتقول:

أضللت أبيض كالخفاف للفتية الغرّ بني مناف  
ثم لعمري منتهى الأضياف سنٌّ لفهر سُنَّة الإيلاف  
في القرحين القروالأضياف

فجعلت لمن جاء به هنيذة، ونذرت أن تكسو البيت إن رده الله عليها. فمر بها حسان بن ثابت حاجاً في نفر من قومه، فرأى جزعها عليه فقال:

وأم ضرار تنشئ الناس والهأ فيالبي النجار ما ذا أضلَّت  
ولوأن ما تلتق نتيلة غدوة بأركان رضوى مثله ما استقلَّت  
فأتاها به رجل من جذام فوفت له بجعلها وكست البيت ثياباً بيضاً وقالت:

الحمد لله وليّ الحمدٍ قد ردّ ذوالعرش عليّ وُلدي  
من بعد أن جَوَلْتُ في مَعَدٍ أشكره ثم أفي بعهدي.

فقد أخذوا قصة أم ضرار بن عبد المطلب ونسبوا إلى أم العباس!



## الفصل السادس

# والده عبدالله ووالدته آمنة عليها السلام ومولده المبارك

### ١. قلة الروايات عن والدي النبي صلى الله عليه وآله

وسببه أن حكومات قريش قررت أن تنشر في المسلمين أن آباء النبي صلى الله عليه وآله وأسرته كلهم كفار، ومنعت أن يروي المسلمون سيرتهم ومناقبهم.

وقد بينا في مقدمة هذه السيرة، أن الحكومات تبنت سياسة إبادة كنوز السيرة وعلوم الإسلام، وإحراق كتب شيعة أهل البيت عليهم السلام، ويكفي مثلاً على ذلك: كُتب جابر بن يزيد الجعفي، وكُتب أحمد ابن عقدة، وكُتب سليمان الأعمش، وهم علماء موثقون عندنا وعندهم! فقد أحرقوها أو فقدت في أيام تشريدهم وتلاميذهم! وقد بلغت مؤلفاتهم نحو أربع مئة ألف حديث، أي مئتي مجلدًا!

قال مسلم في مقدمة صحيحه: ١٥/١: «الجاحل بن مليح يقول: سمعت جابراً يقول: عندي سبعون ألف حديث عن أبي جعفر عليه السلام» عن النبي صلى عليه وسلم كلها!

### ٢. تكريم خاص لوالدي النبي صلى الله عليه وآله وأسرته

في الكافي: ٤٤٦/١، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «نزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد، إن ربك يقرؤك السلام ويقول: إني قد حرمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك، فالصلب صلب أبيك عبدالله بن عبدالمطلب، والبطن الذي حملك فآمنة بنت وهب، وأما حجر كفلك فحجر أبي طالب. وفي رواية ابن فضال: وفاطمة بنت أسد».

وأضافت رواية الخصال/٢٩٣: «وفي بيت آواك وهو عبدمناف بن عبدالمطلب أبو طالب، وفي أخ كان لك في الجاهلية. قيل: يا رسول الله من هذا الأخ؟ فقال: كان أنسي وكنت أنسه، وكان سخياً يطعم الطعام.

آباء النبي ﷺ وروادون

قال مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه: إسم هذا الأخ الجلاس بن علقمة». أقول: هؤلاء كلهم من أهل الجنة ﷺ، وهذه الشفاعة كرامة خاصة أهداها الله إلى نبيه ﷺ بتكريمهم من أجله ورفع درجاتهم في الجنة. وليس معناها كما تخيل البعض أنهم بدونها من أهل النار.

### ٣. افتخر النبي ﷺ بأمه وجداته عليهما السلام

وقد روى في الكافي: ٥٠/٥ افتخار النبي ﷺ بأمه وجداته، قال الإمام الصادق عليه السلام: «أغار المشركون على سرح المدينة فنأدى فيها مناد: يا سوء صباحاه! فسمعها رسول الله ﷺ في الخيل، فركب فرسه في طلب العدو، وكان أول أصحابه لحقه: أبو قتادة على فرس له، كان تحت رسول الله ﷺ سرح دفناه ليف ليس فيه أثر ولا بطر، فطلب العدو فلم يلقوا أحداً، وتتبع الخيل فقال أبو قتادة: يا رسول الله إن العدو قد انصرف، فإن رأيت أن نستبق؟ فقال: نعم، فاستبقوا فخرج رسول الله ﷺ سابقاً عليهم، ثم أقبل عليهم فقال: أنا ابن العواتك من قريش، إنه هو الجواد البحر، يعني فرسه».

وقد افتخر بأمهاته ﷺ كما افتخر بجده عبدالمطلب عليه السلام، ولا يمكن أن يفتخر بمشركين أو مشركات من أهل النار.

وفسر المحقق البحراني العواتك فقال في الحدائق: ٣٥٦/٢٢: «جَمْعُ عاتكة وهي المرأة المجرمة بالطيب، وكان هذا الإسم لثلاث نسوة من أمهاته ﷺ: إحداهن عاتكة بنت هلال، أم عبدمناف بن قصي، والثانية عاتكة بنت مرة بن هلال، أم هاشم بن عبدمناف، والثالثة عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال، أم وهب أبي أمية أم النبي ﷺ، فالأولى من العواتك عمه الثانية، والثانية عمه الثالثة. قيل: وبنو سليم كانوا يفتخرون بهذه الولادة. وقيل: العواتك في جدات



النبي ﷺ تسع، ثلاث من بني سليم وهن المذكورات، والبواقي من غيرهم».

#### ٤. عبدالله والد النبي ﷺ من كبار أولياء الله

قال الفتال النيسابوي/١٣٨: «إعلم أن الطائفة المحقة قد اجتمعت على أن أبا طالب وعبدالله بن عبدالمطلب وأمنة بنت وهب عليها السلام، كانوا مؤمنين».

وقد ركز الأئمة عليهم السلام المكانة الدينية لعبدالله وأمنة وعبدالمطلب رضي الله عنهم. قال داود الرقي وهو من كبار أصحاب الإمام الصادق عليه السلام: «الكافي: ٤/٥٤٤»: «دخلت على أبي عبدالله عليه السلام ولي على رجل مال قد خفت تَوَاهُ «ذهابه» فشكوت إليه ذلك، فقال لي: إذا صرت بمكة فطف عن عبدالمطلب طوافاً وصل ركعتين عنه، وطُف عن أبي طالب طوافاً وصل عنه ركعتين، وطف عن عبدالله طوافاً وصل عنه ركعتين، وطف عن آمنة طوافاً وصل عنها ركعتين، وطف عن فاطمة بنت أسد طوافاً وصل عنها ركعتين، ثم ادع أن يرد عليك مالك».

قال ففعلت ذلك ثم خرجت من باب الصفا، وإذا غريمي واقف يقول: يا داود حبستني! تعال إقبض مالك».

الكتاب  
التاريخ  
العشرون  
عشر

#### ٥. تزوج والد النبي ﷺ وهو في سن السابعة عشرة

«قال محمد بن مسعود الكازروني في كتاب المتقى: ولد عبدالله لأربع وعشرين سنة مضت من ملك كسرى أنوشروان، فبلغ سبع عشرة سنة ثم تزوج آمنة، فلما حملت برسول الله ﷺ توفي، وذلك أن عبدالله بن عبدالمطلب خرج إلى الشام في غير من عيرات قريش يحملون تجارات، ففرغوا من تجارتهم ثم انصرفوا، فمروا بالمدينة وعبدالله بن عبدالمطلب يومئذ مريض، فقال: أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار، فأقام عندهم مريضاً شهراً، ومضى أصحابه فقدموا مكة فسألهم عبدالمطلب عن عبدالله، فقالوا خلفناه عند أخواله بني عدي بن النجار وهو مريض، فبعث إليه عبدالمطلب أعظم ولده الحارث فوجده قد توفي في دار النابغة، فرجع إلى أبيه فأخبره، فوجد عليه عبدالمطلب وإخوته وأخواته وجداً

شديداً، ورسول الله ﷺ يومئذ حمل، ولعبد الله يوم توفي خمس وعشرون سنة». بحار الأنوار: ١٢٤/١٥.

ويؤيده ما تقدم عن الإمام الصادق عليه السلام في أصحاب الفيل: «فدعا ولده عبد الله وإنه لغلام حين أيفع، وعليه ذؤابه تضرب إلى عجزه، فقال له: اذهب فداك أبي وأمي فأعلُ أبا قبيس، وانظر ماذا ترى يجيء من البحر».

وعام الفيل هو عام ولادة النبي ﷺ وهذا يعني أن أباه كان شاباً في أول شبابه، فلا تصح رواية أنه كان ابن خمس وعشرين سنة أو ثلاثين. «فقال له: إذهب فداك أبي وأمي فأعلُ أبا قبيس وانظر ماذا ترى يجيء من البحر؟ فنزل مسرعاً فقال: يا سيد النادي، رأيت سحاباً من قِبل البحر مُقبلاً، يُسفلُ تارةً ويرتفع أخرى! إن قلت غيماً قلته وإن قلت جهاماً خلته، يرتفع تارةً، وينحدر أخرى!

فنادى عبد المطلب: يا معشر قريش، أدخلوا منازلكم فقد أتاكم الله بالنصر». وقد كانت عادتهم التزويج المبكر، ففي إكمال الدين ١٩٦: «لما بلغ عبد الله بن عبد المطلب زوجته عبد المطلب آمنة بنت وهب الزهري، فلما تزوج بها حملت برسول الله ﷺ».

وقال البعقوبي: ٩/٢: «وكان تزويج عبد الله بن عبد المطلب لآمنة بنت وهب بعد حفر زمزم بعشر سنين، وقيل بضع عشرة سنة. وبين فداء عبد المطلب لابنه وبين تزويجه إياه سنة.. وكان بين تزويج أبي رسول الله ﷺ لأمه وبين مولده على ما روى جعفر بن محمد عشرة أشهر، وقال بعضهم سنة وثمانية أشهر».

### ٦. خطب عبد المطلب لابنه عبد الله، وخطب لنفسه

روى المؤرخون أن عبد المطلب رضي الله عنه خطب في مجلس واحد آمنة بنت وهب لابنه عبد الله رضي الله عنه، وخطب لنفسه بنت عمها هالة بنت أهيب. ففي تاريخ دمشق: ٤١٨/٣: «أن عبد المطلب خرج إلى اليمن فلقيه رجل من

اليهود له علم، فنظر إلى عبد المطلب فقال: أرى منك شيئين، فقال عبد المطلب: وإني أريك ما لم يكن عورة، فقال لا أريد العورة، أريد أن أنظر إلى أنفك وإلى كفيك فقال: أنظر، فقال له: أبسط كفيك فبسطهما فقال: أما في أحد كفيك ملك، وأما أنفك فإن فيه النبوة، ولا يتم ذلك إلا في بني زهرة، هل لك في شاعة؟ قال: لا. قال فتزوج في بني زهرة. قال: فلما رجع عبد المطلب تزوج هالة بنت وهيب، وزوج عبدالله أمينة بنت وهب».

قال الحاكم: ١٩٢/٣: «كانت في حجر عمها أهيب بن عبد مناف بن زهرة، وإن عبد المطلب بن هاشم جاء بابنه عبدالله بن عبد المطلب أبي رسول الله ﷺ فتزوج عبدالله أمينة بنت وهب، وتزوج عبد المطلب هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة، وهي أم حمزة بن عبد المطلب في مجلس واحد، وكان «حمزة» قريب السن من رسول الله ﷺ وأخاه من الرضاعة».

وروى ابن شاذان في الفضائل ٦٧، عن الواقدي أن عقيل بن أبي وقاص أجرى عقد قران عبدالله بأمينة ﷺ فقال لوهب: «يا أبا الوداح زوجت كريمتك أمينة من ابن سيدنا عبد المطلب على صداق أربعة آلاف درهم بيض هجرية جياذ وخمس مائة مثقال ذهب أحمر؟ قال: نعم. ثم قال: يا عبدالله قبلت بهذا الصداق يا أيها السيد الخاطب، قال: نعم. ثم دعا لهما بالخير والكرامة، ثم أمر وهب أن تقدم المائدة فقدمت مائدة خضرة، فأتى من الطعام الحار والبارد والحلو والحامض فأكلوا وشربوا. قال ونثر عبد المطلب على ولده قيمة ألف درهم من النثار، وكان متخذاً من مسك بنادق، ومن عنبر، ومن سكر ومن كافور. ونثر ذهب بقيمة ألف درهم عنبر».

أقول: والرواية طويلة، ذكرت أن عبدالله دخل بعروسه في ذلك اليوم، ولا بد أن يكون المخاطب عم أمينة أهيب أخ وهب لأنه كان وليها، وكان أبوها وهب توفي، كما تقدم. على أن هذه الرواية ربما كانت موضوعة.

## ٧ . حملت به أمه في منى في بيت أبيه عبدالمطلب

في الكافي: ٤٣٩/١: «حملت به أمه في أيام التشريق، عند الجمرة الوسطى، وكانت في منزل عبدالله بن عبدالمطلب».

عبدالله بن عبدالمطلب

وقال السهيلي: ١٨٣/١: «قال الزبير» بن بكار: «كان مولده في رمضان. وهذا القول موافق لقول من قال إن أمه حملت به في أيام التشريق. وذكروا أن الفيل جاء مكة في المحرم، وأنه ولد بعد مجئ الفيل بخمسين يوماً. وهو الأكثر والأشهر».

والتفق عليه أن ولادته ﷺ في ربيع الأول، فلا يمكن أن يكون حمله في أيام التشريق في ذي الحجة. ولعل سبب الإشتباه أن عرس عبدالله كان في بيت أبيه عبدالمطلب في منى عند الجمرة، وهو البيت الذي بايع فيه الأنصار بيعة العقبة، فاشتبه الراوي وأضاف إليه الزمان، وتصور أنه كان في أيام التشريق.

ويؤيد ما قلناه الروايات التي ذكرت مكان الحمل به دون زمانه، كقول الإمام الباقر ﷺ «الكافي ٢٠٩/٤»: «أراد أن يذبحه، أي إسماعيل في الموضع الذي حملت أم رسول الله ﷺ عند الجمرة الوسطى، فلم يزل مضربهم يتوارثون به كابر عن كابر، حتى كان آخر من ارتحل منه علي بن الحسين ﷺ في شئ كان بين بني هاشم وبين بني أمية، فارتحل فضرب بالعرين».

## ٨ . المرأة التي عرضت نفسها على عبدالله

رووا أن كاهنةً رأت النور في غرة والد النبي ﷺ فطلبت منه أن يتزوجها لتحمل منه، ولعله خبر صحيح لأن توقع ولادة النبي الموعود كان منتشرًا. قال الطبري: ٦/٢: «خرج عبدالمطلب بعبدالله ليزوجه ومر به على كاهنة من خشع يقال لها فاطمة بنت مر، متهودة من أهل ثبالة، قد قرأت الكتب، فرأت في وجهه نوراً، فقالت له: يا فتى هل لك أن تقع عليّ الآن وأعطيك مائة من الإبل.. فمضى به فزوجه أمانة بنت وهب بن عبدمناف بن زهرة».

وقال ابن سعد: ٩٥/١: «المرأة التي عرضت نفسها على عبدالله بن عبدالمطلب: وقد اختلف علينا فيها، فمنهم من يقول كانت قتيلة بنت نوفل بن أسد بن عبدالعزى بن قصي أخت ورقة بن نوفل.. وكانت تنظر وتعتاف» تتفرس «فمر بها عبدالله بن عبدالمطلب فدعته يستبضع منها، ولزمت طرف ثوبه، فأبى.. ومنهم من يقول كانت فاطمة بنت ممر الخثعمية».

وقال في الروض الأنف: ١٧٨/١: «وفي غريب ابن قتيبة: أن التي عرضت نفسها عليه هي: ليلي العدوية».

### ٩. توفي عبدالله في المدينة وهو شاب

قال ابن سعد: ٩٩/١: «خرج عبدالله بن عبدالمطلب إلى الشام إلى غزة، في غير من عيرات قريش يحملون تجارات، ففرغوا من تجارتهم ثم انصرفوا، فمروا بالمدينة وعبدالله بن عبدالمطلب يومئذ مريض، فقال: أنا أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار، فأقام عندهم مريضاً شهراً، ومضى أصحابه فقدموا مكة فسألهم عبدالمطلب عن عبدالله فقالوا: خلفناه عند أخواله بني عدي بن النجار وهو مريض فبعث إليه عبدالمطلب أكبر ولده الحارث فوجده قد توفي، ودفن في دار النابغة وهو رجل من بني عدي بن النجار في الدار التي إذا دخلتها فالدويرة عن يسارك، وأخبره أخواله بمرضه وقيامهم عليه وما لولا من أمره، وأنهم قبروه. فرجع إلى أبيه فأخبره فوجد عليه عبدالمطلب وإخوته وأخواته وجداً شديداً». وفي رواية أن أباه عبدالمطلب أرسله إلى المدينة ليمتار لهم تمراً.

### ١٠. ما ورثه النبي ﷺ من أبيه وأمه ﷺ

قال البلاذري في أنساب الأشراف: ٩٦/١: «ورث رسول الله ﷺ من أبيه أم أيمن واسمها بركة فأعتقها، وخمسة أجمال أوارك «تأكل الأراك» وقطعة غنم، وسيفاً مأثوراً وورقاً «سيفاً قديماً ونقداً» فكانت أم أيمن تحضنه ويسميها أمي. وقال بعض الرواة: ورث أم أيمن من أمه، فأعتقها».

وورث النبي عن أبيه غلامه شقران الذي شارك في تجهيزه. تاريخ دمشق: ٤/٢٧١.

### ١١. آمنة بنت وهب من كرائم العرب

قال الطبري: ٥/٢: « فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة، ووهب يومئذ سيد بني زهرة سنأ وشرفاً، فزوجه آمنة بنت وهب، وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً، وهي ليرة بنت عبد العزى ».

وتقدم في رواية الصدوق عليه السلام «كمال الدين ١٧٦» أن سيف بن ذي يزن كان يتوقع ظهور النبي صلى الله عليه وآله وأنه قال لعبد المطلب: «هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد فيه، إسمه محمد، يموت أبوه وأمه ويكلفه جده وعمه، وقد ولد سراراً والله باعته جهاراً، وجاعل له منا أنصاراً، ليعز بهم أولياؤه، ويذل بهم أعداءه.. فهل أحسست شيئاً مما ذكرته؟ فقال: كان لي ابن وكنت به معجباً وعليه رفيقاً، فزوجته بكريمة من كرائم قومي، إسمها آمنة بنت وهب، فجاءت بغلام سميته محمداً، مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه. فقال ابن ذي يزن: إن الذي قلت لك كما قلت لك، فاحتفظ بابنتك واحذر عليه اليهود، فإنهم له أعداء». والمنمق ٤٢٦. راجع: الأخبار الطوال ٦٣، اليعقوبي ١٦٥/١ و٩/٢، الطبقات: ٥/٥٣٣.

### ١٢. تحدثت آمنة عن حملها برسول الله صلى الله عليه وآله

قال الصدوق في كمال الدين ١٩٦: «لما بلغ عبدالله بن عبد المطلب زوجه عبد المطلب آمنة بنت وهب الزهري، فلما تزوج بها حملت برسول الله صلى الله عليه وآله، فروي عنها أنها قالت: لما حملت به لم أشعر بالحمل ولم يصبني ما يصيب النساء من ثقل الحمل، فرأيت في نومي كأن أتاني فقال لي: قد حملت بخير الأنام، فلما حان وقت الولادة خف علي ذلك حتى وضعته، وهو يتقي الأرض بيده وركبته، وسمعت قائلاً يقول: وضعت خير البشر فعوذني بالواحد الصمد من شر كل باغ وحاسد. فولد رسول الله صلى الله عليه وآله عام الفيل لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول يوم الإثنين. فقالت آمنة: لما سقط إلى الأرض اتقى الأرض بيديه

وركبتيه ورفع رأسه إلى السماء، وخرج مني نور أضواء ما بين السماء والأرض.  
ورُميت الشياطين بالنجوم وحجبوا عن السماء، ورأت قریش الشهب والنجوم  
تسير في السماء ففزعوا لذلك وقالوا: هذا قيام الساعة، فاجتمعوا إلى الوليد بن المغيرة  
فأخبروه بذلك، وكان شيخاً كبيراً مجرباً فقال: أنظروا إلى هذه النجوم التي تهتدوا بها  
في البر والبحر، فإن كانت قد زالت فهو قيام الساعة وإن كانت هذه ثابتة فهو لأمر  
قد حدث.

وأبصرت الشياطين ذلك فاجتمعوا إلى إبليس فأخبروه أنهم قد منعوا من السماء  
ورموا بالشهب، فقال: أطلبوا فإن أمراً قد حدث، فجالوا في الدنيا ورجعوا وقالوا: لم  
نر شيئاً، فقال: أنا لهذا، فخرق ما بين المشرق والمغرب فلما انتهى إلى الحرم وجد الحرم  
مخفوفاً بالملائكة، فلما أراد أن يدخل صاح به جبرئيل عليه السلام فقال: إخسأ يا ملعون، فجاء  
من قبل حراء فصار مثل الصُرد [العصفور] قال: يا جبرئيل ما هذا؟ قال: هذا نبي  
قد ولد وهو خير الأنبياء، قال: هل لي فيه نصيب؟ قال: لا، قال: ففي أمته؟ قال: بلى،  
قال: قد رضيت.

وفي الكافي: ٥٤/١، ٣٠٢/٨ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كان حيث طَلَّقَتْ أَمَنَةُ بِنْتُ  
وَهَبٍ وَأَخَذَهَا الْمَخَاضُ بِالنَّبِيِّ ﷺ حَضَرَتْهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ امْرَأَةٌ أَبِي طَالِبٍ فَلَمْ تَزَلْ  
مَعَهَا حَتَّى وَضَعَتْ. لَمَّا وَلَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتُحَّحَ لِأَمَنَةَ بِيَاضِ فَارَسٍ وَقُصُورِ الشَّامِ،  
فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا لِلْأُخْرَى: هَلْ تَرِينَ مَا أَرَى؟ فَقَالَتْ: وَمَا تَرِينَ؟ قَالَتْ: هَذَا النُّورُ  
الَّذِي قَدْ سَطَعَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ! فَبَيْنَمَا هُمَا كَذَلِكَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا أَبُو طَالِبٍ  
فَقَالَ لَهَا: مَا لَكِ مِنْ أَيْ شَيْءٍ تَعْجَبَانِ؟ فَأَخْبَرَتْهُ فَاطِمَةُ بِالنُّورِ الَّذِي قَدْ رَأَتْ، فَقَالَ لَهَا  
أَبُو طَالِبٍ: أَلَا أَبْشُرُكَ؟ فَقَالَتْ: بَلَى، فَقَالَ: أَمَا إِنَّكَ سَتَلِدِينَ غُلَامًا يَكُونُ وَصِيَّ هَذَا  
الْمَوْلُودِ».

وفي الكافي: ٤٥٢/١: «إصبري سبتاً أبشرك بمثله إلا النبوة، وقال: السبت ثلاثون  
سنة. وكان بين رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام ثلاثون سنة».  
يدل هذا على أن أباطال وعبدالمطلب يعلمان بنبوة النبي ﷺ وإمامة علي عليه السلام.

### ١٣. وُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ

قال رواية السلطنة إن النبي ﷺ ولد يوم الإثنين، وقال أهل البيت عليهم السلام: «وُلِدَ يوم الجمعة فجراً، ففي قرب الإسناد/٢٩٩، عن علي بن جعفر قال: «جاء رجل إلى أخي «موسى بن جعفر عليه السلام» فقال له: جعلت فداك، إنني أريد الخروج فادع لي. قال: ومتى تخرج؟ قال: يوم الإثنين. فقال له: ولم تخرج يوم الإثنين؟ قال: أطلب فيه البركة، لأن رسول الله ﷺ وُلِدَ يوم الإثنين. فقال: كذبوا! وُلِدَ رسول الله ﷺ يوم الجمعة، وما من يوم أعظم شؤماً من يوم الإثنين، يوم مات فيه رسول الله ﷺ وانقطع فيه وحي السماء، وظلمنا فيه حقنا! ألا أدلك على يوم سهّل لأن الله تبارك وتعالى لداود فيه الحديد؟ فقال الرجل: بلى جعلت فداك. قال: أخرج يوم الثلاثاء».

وفي الحدائق الناضرة: ٤٢٣/١٧ ملخصاً: «كان مولده بمكة في شعب أبي طالب يوم الجمعة بعد طلوع الفجر، سابع عشر شهر ربيع الأول عام الفيل، وهذا هو المشهور بين أصحابنا رضوان الله عليهم. وقيل لاثنتي عشرة مضت من الشهر، وقيل اليوم العاشر منه، وقيل الثاني. وبعث ﷺ في اليوم السابع والعشرين من رجب، وله أربعون سنة. وقُبض بالمدينة يوم الإثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة عشر من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة. ونقل في الدروس قولاً بأنه قبض لاثنتي عشرة من شهر ربيع الأول، واختاره الكليني.. وذكر جمع من أصحابنا منهم الشيخ في التهذيب والعلامة في المنتهى أنه قبض مسموماً».

وقال الكليني في الكافي: ٤٣٩/١: «وُلِدَتْ في شعب أبي طالب في دار محمد بن يوسف، في الزاوية القصوى عن يسارك وأنت داخل الدار، وقد أخرجت الخيزران ذلك البيت فصيرته مسجداً يصلي الناس فيه...»

وتوفي أبوه عبدالله بن عبد المطلب بالمدينة عند أخواله وهو ابن شهرين، وماتت أمه أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب وهو ابن أربع سنين، ومات عبد المطلب وللنبي ﷺ نحو ثمان



سنين، وتزوج خديجة، وهو ابن بضع وعشرين سنة».

«الدار التي اشتراها محمد بن يوسف أخو الحجاج من ورثة عقيل بن أبي طالب بمائة ألف دينار، ثم صيرتها الخيزران أم الرشيد مسجداً يصلي فيه الناس ويزورونه ويتبركون به، وبقي على حالته تلك، فلما أخذ الوهابيون مكة في عصرنا هذا هدموه ومنعوا من زيارته! على عادتهم في المنع من التبرك بآثار الأنبياء والصالحين، وجعلوه مربوطاً للدواب». أعيان الشيعة: ٢١٩/١ والصحيح: ٦٨/٢.

أقول: إسم المكان شعب أبي طالب عليه السلام، أو شعب بني هاشم، ويسمونه الآن شعب علي عليه السلام، وقد رأيتُه سنة ١٩٦١ ميلادية وكان واضح المعالم، وفي يسار مدخله بيت عبدالله والدة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو مكان مولده الشريف، وكان يومها مكتبة باسم: مكتبة مكة، ثم أراد مشايخهم هدمه فمنعتهم الحكومة خوفاً من المسلمين، فأبقوا خالياً إلى يومنا هذا سنة ١٤٣٨، ينتظرون فرصة لهدمه!

ورأيت يومها بيت أبي طالب عليه السلام داخل الشعب إلى اليمين، في مكان مرتفع، وقد جعلوه مدرسة باسم: مدرسة النجاح، ثم أزالوه مع البيوت، وأزالوا أكثر الجبلين اللذين يقع الشعب بينهما.

وفي الجهة الغربية مقابل شعب أبي طالب، بيت خديجة عليها السلام وكان في سوق الليل أو سوق الذهب، ويسمى: مولد فاطمة الزهراء عليها السلام، وجعلوه مدرسة للبنات، ثم أزالوه فيما أزالوا، بل أمعنوا في أذاهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فجعلوه مرافق!

فكان هؤلاء الوهابية عداوة مع آثار النبي وآله الأطهار عليهم السلام فهم يبادرون إلى إزالتها حتى لو كانت مساجد أو مملوكة للناس! لكنهم حافظوا على حصن عدو الإسلام اليهودي كعب بن الأشرف، الذي حاول اغتيال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبقوه بسوره وساحته وبئر، وغرفة العشرة، بعهدة بلدية المدينة المنورة، جنب حديقة البلدية العامة! وتجسد صورته في شبكة النت!

البيت  
النبي  
عليه السلام

#### ١٤ . بعض الآيات الربانية عند ولادته ﷺ

قال الإمام الباقر عليه السلام «الكافي: ٣٠٠/٨»: «لما ولد النبي ﷺ جاء رجل من أهل الكتاب «الحاخام يوسف» إلى ملأ من قريش فيهم هشام بن المغيرة، والوليد بن المغيرة، والعاص بن هشام، وأبو وجزة بن أبي عمرو بن أمية، وعتبة بن ربيعة، فقال: أولد فيكم مولوداً الليلة؟ فقالوا: لا، قال: فولد إذا بفلسطين غلام اسمه أحمد به شامة كلون الخنزير الأدكن، ويكون هلاك أهل الكتاب واليهود على يديه، قد أخطاكم والله يا معشر قريش! فتفرقوا وسألوا فأخبروا أنه ولد لعبدالله بن عبدالمطلب غلام، فطلبوا الرجل فلقيه فقالوا: إنه قد ولد فينا والله غلام! قال: قبل أن أقول لكم أو بعدما قلت لكم؟ قالوا: قبل أن تقول لنا، قال: فانطلقوا بنا إليه حتى ننظر إليه، فانطلقوا حتى أتوا أمه فقالوا: أخرجي ابنك حتى ننظر إليه، فقالت: إن ابني والله لقد سقط وما سقط كما يسقط الصبيان، لقد اتقى الأرض بيديه ورفع رأسه إلى السماء فنظر إليها، ثم خرج منه نور حتى نظرت إلى قصور بصرى، وسمعت هاتفاً في الجو يقول: لقد ولدته سيد الأمة، فإذا وضعته فقولي: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، وسميه محمداً، قال: فأخرجيه، فأخرجته فنظر إليه ثم قلبه ونظر إلى الشامة بين كتفيه فخرّ مغشياً عليه! فأخذوا الغلام فأدخلوه إلى أمه وقالوا: بارك الله لك فيه. فلما خرجوا أفاق فقالوا له: ما لك وبلك؟ قال: ذهبت نبوة بني إسرائيل إلى يوم القيامة، هذا والله من يبيهم! ففرحت قريش بذلك، فلما رأهم قد فرحوا قال: قد فرحتهم! أما والله ليسطون بكم سطوةً يتحدث بها أهل المشرق والمغرب».

وفي أسالي الصدوق/٣٦٠، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كان إبليس لعنة الله يخرق السماوات السبع، فلما ولد عيسى عليه السلام حجب عن ثلاث سماوات. وكان يخرق أربع سماوات، فلما ولد رسول الله ﷺ حجب عن السبع كلها، ورميت الشياطين بالنجوم، وقالت قريش: هذا قيام الساعة الذي كنا نسمع أهل الكتب يذكرونه! وقال عمرو بن أمية، وكان من أजर أهل الجاهلية: أنظروا

هذه النجوم التي يهتدى بها، ويعرف بها أزمان الشتاء والصيف، فإن كان رمي بها فهو هلاك كل شيء، وإن كانت ثبتت ورمي بغيرها، فهو أمر حدث!

وأصبحت الأصنام كلها صبيحة مولد النبي ﷺ ليس منها صنم إلا وهو منكبٌ على وجهه، وارتجس في تلك الليلة إيوان كسرى، وسقطت منه أربعة عشر شرفة، وغاضت بحيرة ساوة، وفاض وادي السأوة، وخدمت نيران فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، ورأى المؤيدان «عالم المجوس» في تلك الليلة في المنام إبلاً صعباً تقود خيلاً عراباً، قد قطعت دجلة وانسربت في بلادهم، وانقصم طاق الملك كسرى من وسطه، وانخرقت عليه دجلة العوراء، وانتشر في تلك الليلة نور من قبل الحجاز، ثم استطار حتى بلغ المشرق، ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح مُنكَّساً، والملك مُخْرَساً لا يتكلم يومه ذلك.

واتنزع عِلْمُ الكهنة وبطل سحر السحرة، ولم تبق كاهنة في العرب إلا حجبت عن صاحبها، وعظمت قريش في العرب، وسموا آل الله عز وجل. قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: إنها سموا آل الله عز وجل، لأنهم في بيت الله الحرام. وقالت أمنة: إن ابني والله سقط فاتقى الأرض بيده، ثم رفع رأسه إلى السماء فنظر إليها، ثم خرج مني نور أضاء له كل شيء، وسمعت في الضوء قائلاً يقول: إنك قد ولدت سيد الناس فسميه محمداً، وأتى به عبد المطلب لينظر إليه وقد بلغه ما قالت أمه، فأخذ فوضعه في حجره، ثم قال:

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأردان

قد ساد في المهدي على الغلمان

ثم عوده بأركان الكعبة وقال فيه أشعاراً.

قال: وصاح إبليس لعنه الله في أبالسته فاجتمعوا إليه فقالوا: ما الذي أفرعك يا سيدنا؟ فقال لهم: ويلكم، لقد أنكرت السماء والأرض منذ الليلة، لقد حدث في الأرض حدث عظيمٌ ما حدث مثله منذ رفع عيسى بن مريم، فاخرجوا وانظروا ما هذا الحدث الذي قد حدث، فافترقوا ثم اجتمعوا إليه فقالوا: ما وجدنا شيئاً!

فقال إبليس: أنا لهذا الأمر. ثم انغمس في الدنيا فجأها حتى انتهى إلى الحرم فوجد الحرم محفوظاً بالملائكة، فذهب ليدخل فصاحوا به فرجع، ثم صار مثل الصر وهو العصفور فدخل من قبل حراء فقال له جبرئيل: وراءك لعنك الله. فقال له: حرف أسألك عنه يا جبرئيل، ما هذا الحدث الذي حدث منذ الليلة في الأرض؟ فقال له: ولد محمد ﷺ! فقال له: هل لي فيه نصيب؟ قال: لا. قال: ففي أمته؟ قال: نعم. قال: رضيت».

عبد الله والدة أمته

وفي دعائم الإسلام: ١٤٢/٢ في قوله تعالى في سورة الجن: وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا: «عن علي عليه السلام قال: كنا مع رسول الله ذات ليلة إذ رمى نجم فاستضاء، فقال رسول الله ﷺ للقوم: ما كنتم تقولون في وقت الجاهلية إذا رأيتم مثل هذا؟ قالوا: كنا نقول: مات عظيم وولد عظيم، فقال: فإنه لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياة أحد، ولكن ربنا إذا قضى أمراً سبَّح حملة العرش فقالوا: قضى ربنا بكذا، فيسمع ذلك أهل السماء التي تليهم فيقولون ذلك حتى يبلغ ذلك أهل السماء الدنيا. فستترق الشياطين السمع، فربما اعتقلوا شيئاً فأتوا به الكهنة، فيزيدون وينقصون، فتخطئ الكهنة وتصيب.

ثم إن الله منع السماء هذه النجوم فانقطعت الكهانة فلا كهانة، وتلا قول الله عز وجل: إلامن استترق السمع فأتبعه شهابٌ مبيدٌ. وقوله جل ثناؤه: وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا».

#### ١٥. نَسَبُ طَاهِرُ شَامِخٍ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَدَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

في الصحيح: ٦٣/٢: «هو أبو القاسم محمد ﷺ بن عبد الله، بن عبد المطلب شيبه الحمد، بن هاشم، بن عبدمناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن نضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان. قالوا: إن هذا هو المتفق عليه من نسبه الشريف، أما ما فوقه ففيه اختلاف

كثير، غير أن مما لا شك فيه هو أن نسب عدنان ينتهي إلى إسماعيل عليه السلام.  
وروي أنه عليه السلام قال: إذا بلغ نسبي إلى عدنان فأمسكوا».

وفي نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب: ١٠/٨: «أما عمود نسب النبي عليه السلام فعلى ما ذكره ابن إسحاق في السيرة وتبعه عليه ابن هشام... ثم أكمل النسب فقال: بن عدنان، بن أدد، بن مقوم، بن ناحور، بن تارخ، بن يعرب، بن يشجب، بن نابت، بن إسماعيل، بن إبراهيم، بن تارخ وهو أزر، بن تاخور بن شارخ، بن أرغو، بن فالغ، بن عابر، بن شالغ، بن أرفخشذ، بن سام، بن نوح، بن لامك، بن متوشلخ، بن أخنوخ وهو إدريس، بن يرد، بن مهلائيل، بن قنين، بن يافت بن شيث، بن آدم عليه السلام. والإتفاق على هذا النسب الشريف إلى عدنان. وفيما بعد عدنان إلى إسماعيل فيه خلاف كثير».

وفي شعب الإيمان للبيهقي: ١٣٧/٢: «نسبة رسول الله عليه السلام صحيحة إلى عدنان، وما وراء ذلك فليس فيه شيء يعتمد.. وذلك لاختلاف النسابين في ذلك، منهم من يزيد ومنهم من ينقص، ومنهم من يُغَيَّر».

أقول: اتفق المؤرخون على أسماء أجداد النبي عليه السلام إلى عدنان، وهم واحد وعشرون جداً، ثم ذكروا ثمانية أجداد إلى إبراهيم عليه السلام، وسبعاً وعشرين جداً إلى آدم عليه السلام، لكن هذا لا يتفق مع المدة التي رووها، وهي ٦٠٠ سنة إلى عيسى عليه السلام، ثم ١٢٧٠ سنة إلى موسى عليه السلام، ثم ٥٠٠ سنة إلى إبراهيم عليه السلام، خاصة إذا افترضنا لكل ثلاثة آباء قرناً.

وقد بنوا كلامهم وكتبهم على رواية اليهود بأن عمر الأرض سبعة آلاف سنة! وروى العياشي: ٣١/٨ عن الصادق عليه السلام أن الله أسكن في الأرض الملائكة والجن قبل آدم، وأنه قدر لآدم عشرة آلاف عام. لكنها ضعيفة لا يعتمد عليها.

وروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال لأبي حمزة الثمالي: «أتظن أن الله لم يخلق خلقاً سواكم؟ بلى والله لقد خلق الله ألف ألف آدم، وألف ألف عالم، وأنت والله في آخر تلك العوالم». مشارق أنوار اليقين/ ٦٠.

وأقوال المؤرخين في عمر الإنسان على الأرض كلها ظنونٌ ليس فيها علم ولا اطمئنان، وكذا قول علماء الطبيعة إن عمر الإنسان على الأرض ملايين السنين.

ومعنى قوله ﷺ: إذا بلغ نسبي إلى عدنان فأمسكوا، أن ما بأيديكم بعد عدنان غير دقيق، ولعل معناه أن معلوماتكم عن التاريخ خطأ، وتصحيحها متشعب ولم يؤمر به النبي ﷺ! راجع الإختصاص: ٥٠، البحار: ٨٦/٥٤، ابن خلدون: ٢ ق: ٣٨١ و٢٩٨، الحاكم: ٥٩٨/٢، كشف الخفاء: ٣١٤/٢، تفسير الرازي: ١٧٩/١٩ وقصة الحضارة مجلد: ٣٤.

### ١٦. رضاع النبي ﷺ من أمه آمنه ؓ

أكثر المؤرخون والمحدثون من الرواية في رضاع النبي ﷺ، وضاعت الحقيقة لتفاوت مروياتهم ووجود المكذوب فيها. فقالوا: إن أمه لم ترضعه لأنها كانت قليلة اللبن، أو أرضعته أياماً قليلة، ثم أرضعته ثوية أمة أبي لهب أياماً، ثم جاءت حليلة! وقصدهم بذلك مدح أبي لهب والظعن في أسرة النبي ﷺ ولذا قالوا: إن المرضعات زهدن فيه لأنه يتيم، مع أنه جده عبد المطلب رئيس قريش والعرب، ومطعم الحجيج، والناس تنافس للتعامل معه! والصحيح أن أمه ﷺ أرضعته مدة سنة أو أكثر، ثم أعطته إلى حليلة لينشأ في باديتهم قرب الطائف، كما كانت عادة أهل مكة.

قال الشهيد الثاني ﷺ في شرح اللمعة: ١٦٥/٥ والمسالك: ٣٧٦/١: «قال النبي ﷺ: أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد، وارتضعت من بني زهرة». فافتخر بالرضاع كما افتخر بالنسب، وهذه القبائل أفصح العرب. وفي الإختصاص/١٨٧، أن أعرابياً سأله: «يا رسول الله من أدبك؟ قال: الله أدبني وأنا أفصح العرب، بيد أني من قريش، وربيت في حجر من هوازن». ورواه من السنين: النووي في المجموع: ٢٢٧/١٨، ابن حجر في تلخيص الحبير: ١٣/٤ والمهذب في فقه الشافعي للشرازي: ١٤٥/٣.

فرضاعه الأول ﷺ من أمه آمنه بنت وهب ؓ هو الأصل والمؤثر في شخصيته. ورضاعه الثاني من حليلة تكميل أو إضافة! فقله ﷺ: ارتضعت

من بني زهرة، معناه رضاعاً كاملاً عرفاً، لمدة سنة ونحوها.  
وتعجب من كثرة روايتهم: «أنا أفصح من نطق بالضاد، بيد أي من قريش واسترضعت في بني سعد». وقلة روايتهم حديث رضاعه من أمه ﷺ، وكذلك كثرة روايتهم افتخاره بنشأته في بني سعد، كالذي رواه الطبراني في الكبير: ٣٦٠/٦: «عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، أنا أعرب العرب، ولدتني قريش ونشأت في بني سعد بن بكر، فأني يأتيني اللحن». والسيوطي في الصغير: ٤١١/١ والخصائص: ٦٣/١ والعجلوني: ٢٠٦/١ وابن قتيبة في المعارف: ١٣٢، ابن منظور: ٩٩/٣ والفتاوى: ٩١/١ و١٢٦. والظاهر أنه ﷺ كرر ذلك في مناسبات عديدة، ليدعن العرب لقبوته، ففي معاني الأخبار/ ٣٢٠: «عن محمد بن إبراهيم التيمي قال: كنا عند رسول الله ﷺ فنشأت سحابة فقالوا: يا رسول الله هذه سحابة ناشئة. فقال: كيف ترون قواعدها؟ قالوا: يا رسول الله ما أحسنها وأشد تمكنها، قال: كيف ترون بواسقها؟ قالوا: يا رسول الله ما أحسنها وأشد تراكمها. قال: كيف ترون جونها؟ قالوا: يا رسول الله ما أحسنه وأشد سواده. قال: فكيف ترون رحاها؟ قالوا: يا رسول الله ما أحسنها وأشد استدارتها. قال: فكيف ترون برقعها أخفوا أم وميضاً أم يشق شقاً؟ قالوا: يا رسول الله بل يشق شقاً، فقال رسول الله: الحيا. فقالوا: يا رسول الله ما أفصحك، وما رأينا الذي هو أفصح منك! فقال: وما يمنعني من ذلك، وبلساني نزل القرآن بلسان عربي مبين.  
ثم روى الصدوق ﷺ تفسيره عن أبي عبيد قال: «القواعد: هي أصولها المعترضة في آفاق السماء، وأحسبها تشبه بقواعد البيت وهي حيطانه، والواحدة قاعدة، قال الله عز وجل: وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ. وأما البواسق ففروعها المستطيلة إلى وسط السماء إلى الأفق الآخر، وكذلك كل طويل فهو باسق، قال الله عز وجل: وَالنَّخْلُ بِأَسْقَاتِهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ. والجون هو الأسود اليمحومي وجمعه جون. وأما قوله: فكيف ترون رحاها، فإن رحاها استدارة السحابة في السماء ولهذا قيل: رحا الحرب، وهو الموضع الذي يستدار فيه لها، والحقو الإعتراض من البرق في نواحي الغيم وفي لغتان، ويقال: خفا البرق يخفو خفواً ويخفى خفياً. والوميض: أن يلمع قليلاً

ثم يسكن، وليس له اعتراض، وأما الذي يشق شقاً فاستطالته في الجو إلى وسط السماء، من غير أن يأخذ يميناً ولا شمالاً. قال مصنف هذا الكتاب: والحيا: المطر».

### ١٧. نشأته في البادية ورضاعه من حليلة

تناقضت روايتهم في كيفية أخذ حليلة له ومدة إرضاعها إياه! ولم أجد ما يطمأن اليه في ذلك عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، والمؤكد أن عبد المطلب عليه السلام سلمه إلى زوجها الحارث السعدي، فأخذه إلى منازلهم في بادية الطائف، وأرضعته حليلة مدة من الزمن، وأعادته إلى جده فأكرمهم.

ومن المقولات الكاذبة قولهم إنه عليه السلام كان يتبياً فزهدت فيه المرضعات، مع أنه حفيد عبد المطلب زعيم العرب! وكذلك قولهم إن ثوية أو ثويبة مولاة أبي هب أرضعته عليه السلام! وغرضهم تخفيف العذاب عن أبي هب «البخاري: ١٢٥/٦» لأنه حليف أعداء النبي عليه السلام الذين حكموا من بعده!

وقال الكراجكي رحمته الله في كنز الفوائد/٧٢: «وشرف الله تعالى حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية برضاعه وخصها بتريته، وكانت ذات عقل وفضل، فروت من آياته ما يبهر عقول السامعين، وأغناها الله ببركته في الدنيا والدين، وكان لا يرضع إلا من ثديها اليمين. قال ابن عباس: ألهم العدل حتى في رضاعه، لأنه علم أن له شريكاً، فنافسه عدلاً منه عليه السلام! قالت حليلة: ولم أرق قط ما يرى للأطفال، طهارة ونظافة، وإنما كان له وقت واحد ثم لا يعود إلى وقته من الغد، وما كان شئ أبغض إليه من أن يرى جسده مكشوفاً، فكنت إذا كشفته يصيح حتى أستر عليه.. وكان بنو سعيد يزورن البركات بمقامه معهم وسكناه بينهم، حتى أنهم كانوا إذا عرض لدواجم يؤس أتواها إليه ليمسها بيده، فيزول ما بها وتعود إلى أحسن حالها! ولم يزل كذلك إلى أن ردهت حليلة إلى أهله، فاشتمل عليه جده عبد المطلب بحبه التحف ويمنحه الطرف، ويعد قريشاً به ويخبرهم بما يكون من حاله، إلى أن دنت وفاته فوضعه في حجر أبي طالب وأوصاه به،



وأمره بحياطته ورعايته، وعرفه ما يكون من أمره».

وفي المناقب: ٣٢/١: «وروي عن حليلة أنه جلس محمد وهو ابن ثلاثة أشهر، ولعب مع الصبيان وهو ابن تسعة، وطلب مني أن يسير مع الغنم يرعى وهو ابن عشرة، وناضل الغلمان بالنبل وهو ابن خمسة عشر، وصارع الغلمان وهو ابن ثلاثين «شهرًا» ثم رددته إلى جده».

وحدث المناقب الآنف إنها أعادته وعمره ثلاثون شهرًا أي سنتين ونصفًا. قريب من قول ابن الجوزي في عيون التاريخ: ١٨/١: «ثم أرضعته حليلة بنت عبد الله السعدية، ووردته إلى أمه بعد سنتين وشهرين».

لكن في رواية العدد القوية/١٢٢ والمناقب: ١٤٩/١ عن كتاب العروس وتاريخ الطبري: «ثم أرضعته حليلة السعدية، فلبث فيهم خمس سنين».

وفي صفوة الصفوة/٢٧: «وقال ابن قتبية: لبث فيهم خمس سنين.. فكان عند أمه أمانة إلى أن بلغ ست سنين، ثم خرجت به إلى المدينة إلى أخواله بني عدي بن النجار تزورهم به ومعها أم أيمن تحضنه فأقامت به عندهم شهرًا، ثم رجعت به إلى مكة، فتوفيت بالأبواء، فقبرها هنالك».

وفي تاريخ الذهبي: ٤٦/١: «ثم أرضعته حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية وأخذته معها إلى أرضها، فأقام معها في بني سعد نحو أربع سنين، ثم ردتها إلى أمه».

وروي ابن سعد أنها جاءت به بعد أربع سنين لما جاء الملكان وشقا صدره، ثم عادت به فبقي سنة! لكن خبر شق الصدر عندنا مكذوب. والمرجح عندنا: أن أمه عليها السلام أرضعته سنة أو نحوها، ثم أخذته حليلة السعدية فبقي عندها في بني سعد نحو أربع سنين. ويحتمل أن تكون حليلة في مدة وجوده عندها، تأتي به إلى أمه فيبقى أيامًا أو شهرًا، ثم تاخذه، لأن مكان حليلة قرب الطائف وهو على بعد يومين أو أقل من مكة، وهذه مسافة قريبة يومها.

## ١٨ . وفاؤه ﷺ لحليمة وأولادها

روي أن حليمة السعدية توفيت قبل هجرته ﷺ فبكى لها .  
وفي الكافي: ١٦١/٢ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن رسول الله ﷺ أتته أخت له من الرضاعة، فلما نظر إليها سرَّ بها وبسط ملحفته لها فأجلسها عليها، ثم أقبل يحدثها ويضحك في وجهها، ثم قامت وذهبت وجاء أخوها فلم يصنع به ما صنع بها، فقبل له يا رسول الله صنعت بأخته ما لم تصنع به وهو رجل؟ فقال: لأنها كانت أبرُّ بوالديها منه» .  
وفي جواهر العقود: ١٦١/٢: «روي أن وفد هوازن قدموا على النبي ﷺ فكلموه في سبي أو طاس: فقال رجل من بني سعد: يا محمد، إننا لو كنا ملحنًا للحارث بن أبي شمر «أي أرضعنا لملك الشام» أو للنعمان بن المنذر «ملك الحيرة» ثم نزل منزلك هذا منا لحفظ ذلك لنا، وأنت خير المكفولين فاحفظ ذلك. وإنها قالوا له ذلك لأن حليمة التي أرضعت النبي كانت من بني سعد» .

وفي البحار: ٢٦٢/٢٢: «لم يكن لرسول الله ﷺ قرابة من جهة أمه إلا من الرضاعة فإن أمه آمنة بنت وهب لم يكن لها أخ ولا أخت. إلا أن بني زهرة يقولون: نحن أخواله لأن آمنة منهم، ولم يكن لأبويه عبدالله وآمنة ولد غيره.. وكان له خالة من الرضاعة يقال لها سلمى، وهي أخت حليمة بنت أبي ذؤيب، وله أخوان من الرضاعة عبدالله بن الحارث وأنيسة بن الحارث، أبوهما الحارث بن عبدالعزيز بن سعد بن بكر بن هوازن» .

وسميتها الرواية الشيماء، وسماها في الفضائل/٨٧: حُرَّة، وروى قصتها مع الحجاج، قال: «لما وردت حرة بنت حليمة السعدية على الحجاج بن يوسف الثقفي فمثلت بين يديه قال لها: الله جاء بك، فقد قيل عنك إنك تفضلين علياً على أبي بكر وعمر وعثمان؟! فقالت: لقد كذب الذي قال إنني أفضله على هؤلاء خاصة؟ قال: وعلى من غير هؤلاء؟ قالت: أفضله على آدم ونوح ولوط وإبراهيم وعلى موسى وداود وسليمان وعيسى بن مريم! فقال لها: ويلك أقول

لك إنك تفضليته على الصحابة وتزيدين عليهم سبعة من الأنبياء من أولي العزم من الرسل؟ إن لم تأت ببيان ما قلت وإلا ضربت عنقك! فقالت: ما أنا مفضلته على هؤلاء الأنبياء، ولكن الله عز وجل فضله عليهم في القرآن.. الخ.».

أقول: لعل هذه ابنة الشيباء أخت النبي ﷺ من الرضاعة، فلو كانت نفسها لكان عمرها في زمن الحجاج أكثر من مئة سنة!

هذا، وقد رووا كثيراً من معجزاته ﷺ في رضاعه ونشأته في بني سعد، وبعضها مقبول، وأكثرها مرسل، وبعضها مردود، كحديث شق الصدر.

### ١٩. زيارة النبي ﷺ قبري والديه عبدالله وآمنة ﷺ

كان قبر عبدالله والدينينا ﷺ في المدينة المنورة مزاراً إلى الأمام، بناه المسلمون من قديم وأخرهم سلاطين مصر والدولة العثمانية، وقد زرت في سنة ١٩٦٤ وسنة ١٩٦٥ ميلادية، وكان بيتاً داخل سوق المدينة غربي المسجد، وكانت واجهة بابه الخارجي وعتبته أحجاراً، نقشت عليها كتيبة بالعربية والتركية. وقد أقفله مشايخ الوهابية يومها مقدمة لهدمه!

أما الآن فأزالوه ودخل مكانه في توسعة ساحة المسجد النبوي، ولم يبق له أثر! كما أن قبر والدته آمنة ﷺ في الأبواء في طريق مكة، كان مزاراً للأوفياء لنبينهم وأسرته ﷺ، ويعرف مكانه اليوم باسم «الخريبة» في منطقة الفرع.

قال في مراصد الإطلاع: ١٩/١: «الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة، بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً. وبالأبواء قبر آمنة أم النبي.».

وقد أفتى فقهاؤنا باستحباب زيارة قبر والديه ﷺ، وهذا نص زيارة أمه آمنة ﷺ: «السلام عليك أيتها الطاهرة المطهرة، السلام عليك يا من خصها الله بأعلى الشرف، السلام عليك يا من سطع من جبينها نور سيد الأنبياء فأضاءت به الأرض والسماء. السلام عليك يا من نزلت لأجلها الملائكة وضربت لها حجب الجنة. السلام عليك يا من نزلت لخدمتها الحور العين وسقنتها من شراب الجنة وبشرنا

بولادة خير الأنبياء. السلام عليك يا أم رسول الله، السلام عليك يا أم حبيب الله. فهنيئاً لك بما آتاك الله من فضله، والسلام عليك وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته».

عبدالله بن عبدالمطلب

وشذ الوهابية عن كافة المسلمين فحرموا زيارة قبر أم النبي ﷺ وعاقبوا من زاره!  
ثم طغوا وفجّروا القبر بالديناميت!

وكتب عبدالحسين البصري في شبكة الموسوعة الشيعية: ٢٠٠٠/٣/٢٨ موضوعاً بعنوان «ديناميت السلفية»! قال فيه:

«للتاريخ فقط، ولتبقى صفحة سوداء في وجة خوارج العصر، نؤرخ لحدث وقع أصاب كبد رسول الله ﷺ، ألا وهو تفجير قبر آمنه بنت وهب أم رسول الله ﷺ، الواقع في الأبواء وذلك في الثامن من مارس سنة ٢٠٠٠ ميلادي!

ألا لعنة الله على القوم الظالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». ثم كتب في رد مزاعم الوهابيين بأن زيارة قبر أمته ﷺ شرك بالله تعالى!

### ٢٠. ظلم المسلمين لنبيهم في والديه ﷺ!

قال الحموي في معجم البلدان: ٧٩/١: «وبالأبواء قبر أمّنة بنت وهب أم النبي وكان السبب في دفنها هناك أن عبد الله والد رسول الله ﷺ كان قد خرج إلى المدينة يمتار تمرأفمات بالمدينة، فكانت زوجته أمّنة بنت وهب بن عبدمناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، تخرج في كل عام إلى المدينة تزور قبره، فلما أتى على رسول الله ﷺ ست سنين خرجت زائرة لبقبره ومعها عبدالمطلب وأم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ فلما صارت بالأبواء منصرفة إلى مكة ماتت بها، ويقال إن أباطالب زار أخواله بني النجار بالمدينة، وحمل معه أمّنة أم رسول الله، فلما رجع منصرفاً إلى مكة، ماتت أمّنة بالأبواء».

وقال ابن سعد: ١١٦/١: «فتزلت به في دار النابغة فأقامت به عندهم شهراً. فكان رسول الله ﷺ يذكر أموراً كانت في مقامه ذلك: لما نظر إلى أطم بني عدي

بن النجار عرفه وقال: كنت ألاعب أنيسة جارية من الأنصار على هذا الأطم، وكنت مع غلمان من أخوالي نظير طائر أكان يقع عليه. ونظر إلى الدار فقال: هاهنا نزلت بي أمي وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله بن عبد المطلب، وأحسنت العموم في بئر بني عدي بن النجار.

وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إليه، فقالت أم أيمن: فسمعت أحدهم يقول هو نبي هذه الأمة وهذه دار هجرته، فوعيت ذلك كله من كلامه، ثم رجعت به أمه إلى مكة فلما كانوا بالأبواء توفيت أمينة بنت وهب فقبرها هناك، فرجعت به أم أيمن على البعيرين اللذين قدموا عليهما مكة، وكانت تحضنه مع أمه ثم بعد أن ماتت. فلما مرَّ رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية بالأبواء قال: إن الله قد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه، فاتاه رسول الله ﷺ فأصلحه وبكى عنده، وبكى المسلمون لبكاء رسول الله ﷺ.

أقول: زعم أتباع مذاهب الخلافة أن والده النبي ﷺ كافرة وأنها في جهنم! وزعموا أنه استأذن ربه في زيارة قبرها وهو في طريقه إلى الحديبية فأذن له، فبكى وأجهش بالبكاء طويلاً وأبكى المسلمين معه، لكنه استأذن ربه أن يستغفر لها فلم يأذن له، وأبقاها في نار جهنم والنبي ﷺ يرى عذابها!

ففي شرح مسند أبي حنيفة للقاري/ ٣٣٥: «فمكث طويلاً ثم اشتد بكأؤه حتى ظننا أنه لا يسكن.. قال: استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي، فاستأذنته في الشفاعة فأبى! فبكيت رحمة لها!»

وفي تفسير الطبري/ ٥٨/١١: «وقف على قبر أمه حتى سخنت عليه الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها حتى نزلت: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْحَجِيرِ»

وفي السيرة الحلبيية: ١٧٣/١: «وفي رواية إن جبريل ضرب في صدره قال: لا تستغفر لمن مات مشركاً، فما روى باكياً أكثر منه يومئذ!»

وقال محمد ناصر الألباني في أحكام الجنائز/ ١٨٧: «عن أبي هريرة قال:

زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي!« وصحیح مسلم: ٦٥/٣ وأبو داود: ٧٢/٢.

وهكذا صوروا الرحمن الرحيم عز وجل خشناً قاسياً، لا يرحم عواطف نبيه الإنسانية تجاه والدته، ولا يعبا ببيكائه وحرقة عليها، ولا يسمح له أن يقول: اللهم اغفر لها! فالمهم عندهم أن يكون آباء النبي ﷺ وأمهاته في النار! حتى لا يكونوا مؤمنين فيرثوا إسماعيل عليه السلام وتكون الخلافة في عترة النبي ﷺ! ومن تناقضهم أنهم كذبوا أنفسهم، فرووا أن هذه الآية نزلت قبل الحديدية وأن سبب نزولها غير هذا! ثم كذبوا أنفسهم في موضع آخر فرووا أن النبي ﷺ شفع لعمه أبي طالب فنقله من قعر جهنم إلى ضحضاحها! صحیح بخاري: ٢٤٧/٤!

ثم كذبوا أنفسهم فرووا في قوله تعالى: **فِيَوْمِئِذٍ أَجْرُهُمْ** وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ **»** قال ﷺ: أجورهم: يدخلهم الجنة، ويزيدهم من فضله: الشفاعة فيمن وجبت لهم النار، ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا». الدر المنثور: ٢٤٩/٢.

وروى ابن ماجه: ١٢١٥/٢: **«يُصَفُّ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُفُوفًا فَيَمُرُّ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عَلَى الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ أَمَا تَذَكَّرُ يَوْمَ اسْتَسْقَيْتَ فَسَقَيْتَكَ شَرْبَةً؟ قَالَ: فَيَشْفَعُ لَهُ. وَيَمُرُّ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: أَمَا تَذَكَّرُ يَوْمَ نَاوَلْتِكَ طَهْوَرًا؟ فَيَشْفَعُ لَهُ! فتراهم عندما يصلون إلى والدي النبي ﷺ وأجداده وعمه أبي طالب عليه السلام يضيقون رحمة الله وشفاعة نبيه ﷺ حتى لا تشملهم، ويقلدون اليهود فينسبون إلى الله تعالى الشدة والقسوة على رسوله ﷺ! والسبب: أنهم بحاجة إلى تكفير أسرتهم، ليرثوا سلطانه، ويبعدوا عترته عليه السلام!**

## ٢١. أم أيمن حاضنة النبي ﷺ وخادمة فاطمة عليها السلام

١. كانت أم أيمن حاضنة النبي ﷺ، ورثها من أبيه فأعتقها: «ورث خمسة أجمال أو أراك «يرعون الأراك» وقطيعه غنم، وسيفاً مائوراً «تاريخياً» وورقاً «نقداً». المناقب: ١٤٧/١ والطبقات: ١٠٠/١». «كان إسمها بركة، فأعتقها ورَّوجها

عبيد الخزرجي بمكة، فولدت له أيمن فمات زوجها فزوجها النبي ﷺ من زيد، فولدت له أسامة، أسود يشبهها، فأسامة وأيمن أخوان لأم». البحار: ٢٢/٢٦٣.

كانت جارية سوداء نوبية «كتاب سليم/٣٨٩» «فلما ولدت أمنة النبي بعدما توفي أبوه، حضنته أم أيمن حتى كبر، ثم أعتقتها النبي ﷺ ثم أنكحها زيد بن حارثة. توفيت بعد النبي ﷺ بخمسة أشهر». قاموس الرجال: ١٢/١٩٣.

روي أن النبي ﷺ قال: «من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة، فليتزوج أم أيمن، فتزوجها زيد بن حارثة، فولدت له أسامة بن زيد». الطبقات: ٨/٢٢٤.

وكانت أم أيمن تخطئ في العربية: «قالت يوم حنين: سبت الله أقدامكم، فقال النبي ﷺ: أسكتي يا أم أيمن فإنك عسراء اللسان». الطبقات: ٨/٢٢٥.

٢. لما توفيت أمنة والدة النبي ﷺ في رجوعها من المدينة: «فرجعت به أم أيمن على البعيرين اللذين قدموا عليهما مكة، وكانت تحضنه مع أمه، ثم بعد أن ماتت». الطبقات: ١/١١٦.

٣. في الطبقات: ١/١١٧ وتاريخ دمشق: ٣/٨٥: «قال عبد المطلب لأم أيمن وكانت تحضن رسول الله: يا بركة لا تغفلي عن ابني، فإني وجدته مع غلمان قريباً من السدرة، وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني هذا نبي هذه الأمة.

وكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلا قال: عليّ بابني فيؤتى به إليه، فلما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أباطال بحفظ رسول الله ﷺ وحياته».

٤. قالت أم أيمن عن النبي ﷺ: «ما رأيته شكى، صغيراً ولا كبيراً، جوعاً ولا عطشاً كان يغدو فيشرب من زمزم، فأعرض عليه الغداء فيقول: لا أريده أنا شبعان». «الطبقات: ١/١٦٨». وقالت: «رأيتُه وهو ابن ثمان سنين يبكي خلف سرير عبد المطلب، حتى دفن بالحجون». الطبقات: ١/١١٩ والبحار: ١٥/١٦٢.

٥. كان النبي ﷺ يقول لها: يا أمّة، ويزورها في بيتها. «الطبقات: ٨/٢٢٣». ويثق بها، فقد وضع عندها أمانات الناس: «فلما أراد الهجرة سلمها إلى أم أيمن، وأمر عليّاً ﷺ أن يردها». الحدائق الناضرة: ٢١/٤٣٣.

٦. وكذبوا على النبي ﷺ بأنه كان يبول في إناء فشربت أم أيمن بوله، قالوا أنه بال ذات مرة في قدهح وكان تحت سريره، قالت أم أيمن: «فقمتم من الليل وأنا عطشانة فشربت ما فيها وأنا لا أشعر، فلما أصبح النبي ﷺ قال: يا أم أيمن قومي فأهريقي ما في تلك الفخارة. قلت: قد والله شربت ما فيها! قال فضحك النبي ﷺ ثم قال: لن تشتكي بطنك». نيل الأوطان: ١٠٦/١ والمناقب: ١٠٨/١.

وضعه في مجمع الزوائد لكنه صحح مثله: ٢٧٠/٨: «كان للنبي صلى الله عليه وسلم قدهح من عيدان يبول فيه ويضعه تحت سريره فقام فطلبه فلم يجده فسأل فقال أين القدهح قالوا شربته سُرّة خادم أم سلمة، التي قدمت معها من أرض الحبشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد احتظرت من النار بحظار».

وجوّز ذلك الشافعي وغيره وحكموا بطهارة بول النبي ﷺ. المعتبر: ٤١٠/١.

وروي أن أم أيمن: «ما مرضت حتى كان مرضها الذي ماتت فيه». نيل الأوطان: ١٠٦/١.

لكنها رواية مكذوبة ولعلها من أجل تبرير عمل بعضهم! «راجع مسند المجدد ٤١».

لأن بيت النبي ﷺ كان فيه كنيف، وفيه بيت للنار وللتنور، أي مطبخ. وفيه غرفة كبيرة يستقبل فيها الناس تفتح على المسجد، وفيه غرفة لابنته فاطمة عليها السلام، وغرفة للخادم. قال علي عليه السلام: «النوادير ٢٠٠ و ٢٢٧»: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يتنقع وبين يديه ناس، غطى رأسه ثم دفنه، وإذا أراد أن ييزق فعل مثل ذلك، وكان إذا أراد الكنيف غطى رأسه».

وقال عليه السلام: «علمني رسول الله ﷺ إذا دخلت الكنيف أن أقول: اللهم إني أعوذ بك من الخبيث والخبائث المخبيث، النجس الرجس الشيطان الرجيم».

فقد كانت الكنف منشرة، ولهذا نردُّ حديث أنه كان يبول في إناء من فخار أو عيدان، وأن فلانة أو فلانة شربت بوله ﷺ.

وكذا نردُّ حديث عائشة الذي يزعم أن بيت النبي ﷺ كان مدة بلا كنيف! قالت: «البخاري: ١٥٥/٣»: «فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع متبرزننا، لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريباً من بيوتنا وأمرنا أمر



العرب الأول في البرية». فهذا يصحح في بيت أبيها، وليس في بيت النبي ﷺ.  
 روى البيهقي: ٩٢/١: «عن ابن عمر: دخلت بيت حفصة فحانت مني التفاتة فرأيت  
 كيف رسول الله ﷺ مستقبل القبلة». وقد توهم عبدالله في جهته.  
 ولهذا لا يصح ما رواه البخاري: ٤٥/١: «إن أزواج النبي كن يخرجن بالليل إذا  
 تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أفيح، فكان عمر يقول للنبي أجب نساءك، فلم يكن  
 رسول الله يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي ليلة من الليالي عشاء وكانت  
 امرأة طويلة فناداها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة، حرصاً على أن ينزل الحجاب فأنزل  
 الله الحجاب».

فهو موضوع لإثبات أن آية حجب نساء النبي ﷺ نزلت بطلب عمر: «وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ  
 مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ».

٧. وهاجرت أم أيمن مع ابنها أيمن وصغيرها أسامة، فقد واعدهم علي عليه السلام: «أن  
 يتسللوا ويتخفوا إذا ملأ الليل بطن كل واد، إلى ذي طوى» فوافوه هناك، ومعهم عدد  
 من مستضعفي المسلمين. أمالي الطوسي/٤٦٩ وسبل الهدى: ٢٦٧/٣.

٨. وكانت تعيش في المدينة مع زوجها زيد وتساعد الزهراء في عمل البيت،  
 ففي أمالي الطوسي/٦٦٩، عن علي عليه السلام قال: «زارنا رسول الله ﷺ وقد أهدت لنا أم أيمن  
 لبناً وزبداً وتمراً، فقدمناه فأكل منه ثم قام النبي ﷺ إلى زاوية البيت فصلى ركعات،  
 فلما كان في آخر سجوده بكى بكاءً شديداً، فلم يسأله أحد منا إجلالاً له، فقام  
 الحسين عليه السلام ففقد في حجره وقال له: يا أبت لقد دخلت بيتنا فما سرنا بشيء كسرورنا  
 بدخولك، ثم بكيت بكاءً غمنا فلم بكيت؟ فقال: يا بني أتاني جبرئيل أنفاً فأخبرني  
 أنكم قتلى، وأن مصارعكم شتى! فقال: يا أبت فما لمن يزور قبورنا على تشتتها؟ فقال:  
 يا بني، أولئك طوائف من أمتي يزورونكم يلتمسون بذلك البركة، وحقيق علي أن  
 آتيهم يوم القيامة حتى أخلصهم من أهوال الساعة من ذنوبهم، ويسكنهم الله الجنة».  
 ٩. لما تزوجت فاطمة رضي الله عنها أمر النبي ﷺ أم أيمن فكانت تساعدها، وروت عدة  
 أحاديث في سيرتها، وسيرة العترة الطاهرة عليهم السلام.

منها: عن ولادة الحسين عليه السلام وفضل تربته وأنها من بطحاء الجنة، وأنها أظهر بقاع الأرض، وأعظمها حرمة. السجود على الأرض للأحمدي/ ١٤٠/ والبحار: ١١٤/٩٨.

ومنها: معجزة الرحي: وقد رواها الجميع وأن الزهراء عليها السلام شكت إلى أبيها عليه السلام ما تلقى من الرحي. «المجموع ٣٧٤/١٩ وشرح مغني ابن قدامة ١٤٦/٨».

وقالت: «مضيت ذات يوم إلى منزل سيدتي ومولاتي فاطمة لأزورها في منزلها وكان يوماً حاراً من أيام الصيف، فأتيت إلى باب دارها وإذا أنا بالباب مغلق، فنظرت من شق الباب وإذا بفاطمة نائمة عند الرحي ورأيت الرحي تدور وتطحن البر، وهي تدور من غير يد تديرها، والمهد أيضاً إلى جنبها والحسين نائم فيه والمهد يهتز ولم أر من يهزه! ورأيت كفاً تسبح لله قريباً من كف فاطمة. قالت أم أيمن: فتعجبت من ذلك فتركتها ومضيت إلى سيدي رسول الله صلى الله عليه وآله وقلت: يا رسول الله إني رأيت اليوم عجباً ما رأيت مثله أبداً. فقال لي: ما رأيت يا أم أيمن؟ فقلت: إني قصدت منزل فاطمة فلقيت الباب مغلقاً فإذا أنا بالرحي تطحن البر وهي تدور من غير يد، ورأيت مهد الحسين يهتز من غير يد تهزه ورأيت كفاً يسبح لله قريباً من كف فاطمة! فقال: يا أم أيمن إعلمي أن فاطمة صائمة، وهي متعبة والزمان قيص، فألقى الله عليها النعاس فنامت، فسبحان من لا ينام، فوكل الله ملكاً يطحن عنها قوت عياها وأرسل ملكاً آخر، يهز مهد ولدها الحسين لثلاثين يوماً عن نومها، ووكل الله تعالى ملكاً آخر يسبح الله عز وجل قريباً من كف فاطمة ثواب تسبيحه لها، لأن فاطمة لم تفت عن ذكر الله عز وجل فإذا نامت جعل الله ثواب تسبيح ذلك الملك لفاطمة». مدينة المعاجز: ٤٧/٤.

١٠. أكرم الله أم أيمن ببركة الزهراء عليها السلام: «خرجت إلى مكة لما توفيت فاطمة قالت: لا أرى المدينة بعدها! فأصابها عطش شديد في الجحفة حتى خافت على نفسها، فكسرت عينها نحو السماء ثم قالت: يا رب أعطشني وأنا خادمة بنت نبيك؟ قال: فنزل إليها دلو من ماء الجنة فشربت». المناقب: ١١٦/١.

١١. كانت طيبة بسيطة وأخبر النبي صلى الله عليه وآله أنها من أهل الجنة، وكانت تعرف

إمامة علي عليه السلام ولا تعرف إمامة بقية الأئمة عليهم السلام.

وقد سألتها النبي صلى الله عليه وآله يوماً عن علي عليه السلام: «أتم أخي؟» قالت: وكيف يكون أخوك وقد أنكحته ابنتك؟ قال: فإنه كذلك». الطبقات: ٢٣/٨.

وفي الكافي: ٤٠٥/٢: «عن إسماعيل الجعفي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الدين الذي لا يسع العباد جهله؟ فقال: الدين واسع، ولكن الخوارج ضيقوا على أنفسهم من جهلهم! قلت: جعلت فداك فأحدثك بديني الذي أنا عليه؟ فقال: بلى، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، والإقرار بما جاء من عند الله، وأتولاكم وأبرأ من عدوكم، ومن ركب رقابكم وتأمركم عليكم وظلمكم حاكم. فقال: ما جهلت شيئاً، هو والله الذي نحن عليه. قلت: فهل سلم أحد لا يعرف هذا الأمر؟ فقال: لا إلا المستضعفين. قلت: من هم؟ قال: نساؤكم وأولادكم، ثم قال: أرأيت أم أيمن، فإني أشهد أنها من أهل الجنة، وما كانت تعرف ما أتمم عليه».

يعني كانت قاصرة الذهن أو شبه قاصرة عن إدراك منظومة الأئمة عليهم السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله، ومع ذلك فهي من أهل الجنة لأن الله تعالى يطلب من الشخص قدر ما آتاه من الإدراك والتعقل: لا يَكْفُلُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا.

١٢. أمّ النبي صلى الله عليه وآله في مرض وفاته أسامة بن زيد على جيش لغزو الروم الذين قتلوا أباه زيداً. وكان أسامة في السابعة عشرة من عمره «الفصول للجصاص/١٥٩» وأمره النبي صلى الله عليه وآله بالمسير ولعن من تخلف عنه، وكان ذلك: «لأربع ليال بقين من صفر سنة ١١ من الهجرة وعسكر بالجرف. فلم يبق أحد من المهاجرين الأولين والأنصار إلا اشتد لذلك وتهاى للخروج، منهم أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص». المراجعات: ٣٦٨ مستدرک سفينة البحار: ٣٦/٥ و٢٠٩.

وقال ابن حجر في فتح الباري: ١١٥/٨، وهو من كبار أئمة السلطنة: «وقد أنكر ابن تيمية في كتاب الرد على ابن المطهر أن يكون أبو بكر وعمر في بعث أسامة، ومستند ما ذكرناه ما أخرجه الواقدي بأسانيد في المغازي، وذكره ابن سعد أواخر الترجمة النبوية بغير إسناد، وذكره ابن إسحاق في السيرة المشهورة ولفظه: بدأ برسول الله صلى الله عليه وآله وجعه

يوم الأربعاء فأصبح يوم الخميس فعقد لأسامة فقال: أغز في سبيل الله وسر إلى موضع مقتل أبيك، فقد ولتلك هذا الجيش. فذكر القصة وفيها: لم يبق أحد من المهاجرين الأولين إلا انتدب في تلك الغزوة منهم أبو بكر وعمر.. وعند الواقدي أن عدة ذلك الجيش كانت ثلاثة آلاف فيهم سبعائة من قريش.

وكان هدف النبي ﷺ أن يخلي المدينة لعلي عليه السلام ويبعد عنها الطامعين في خلافته وقد عملوا للتأثير على أم أيمن، فطلبت من النبي ﷺ أن يؤخر إرسال أسامة لأنه قلق عليه فلم يقبل ﷺ وأكد أمره له بالمسير بالجيش.

ثم أشاعوا اعتراضهم على تأمير أسامة على شيوخ قريش والأصهار، وهو شاب أسود ابن سبع عشرة سنة! فغضب النبي ﷺ وخرج وهو مريض وصعد المنبر ومدح أسامة وأمره بالحركة، ولعن من تخلف عنه!

فتحرك أسامة فعاد القرشيون إلى أم أيمن، فأرسلت إلى ولدها أن لا يتحرك بجيشه لأن حال النبي ﷺ قد ثقلت! فاستغلوا بساطتها رحمها الله.

١٣. لكنها عندما توفي النبي ﷺ استنكرت مسارعتهم إلى السقيفة وبيعتهم بأب بكر، فجاءت اليهم وقالت: «يا أبابكر، ما أسرع ما أبدتكم حسدكم لآل محمد! فأمر بها عمر فأخرجت من المسجد». كتاب سليم/١٥٧ و٣٨٩.

١٤. عندما صادوا تركة النبي ﷺ، واحتجت الزهراء عليها السلام على أبي بكر، طلب منها شهوداً. قال الإمام الصادق عليه السلام: «فجاءت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر، فقالت يا أبابكر منعنتي عن ميراثي من رسول الله ﷺ وأخرجت وكيلي من فديك، وقد جعلها لي رسول الله ﷺ بأمر الله. فقال لها هاتي على ذلك شهوداً، فجاءت بأم أيمن فقالت: لا أشهد حتى أحتج يا أبابكر عليك بما قال رسول الله ﷺ، فقالت: أنشدك الله ألسنت تعلم أن رسول الله ﷺ قال: إن أم أيمن من أهل الجنة؟ قال بلى. قالت: فأشهد أن الله أوحى إلى رسول الله ﷺ: وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ، فجعل فديك لفاطمة بأمر الله. وجاء علي عليه السلام فشهد بمثل ذلك، فكتب لها كتاباً بفيديك ودفعه إليها، فدخل عمر فقال: ما هذا الكتاب؟

فقال أبو بكر: إن فاطمة ادعت في فذك وشهدت لها أم أيمن وعلي فكتبت لها بفذك، فأخذ عمر الكتاب من فاطمة فمزقه « تفسير القمي: ١٥٥/٢ ونحوه العياشي: ٢٧٨/٢.

١٥ . كانت أم أيمن ثقة الزهراء عليها السلام قال الصادق عليه السلام: «لما نعي إلى فاطمة نفسها أرسلت إلى أم أيمن وكانت أوثق نساؤها عندها وفي نفسها». علل الشرائع: ١٨٧/١.

١٦ . «اشترى عبد المطلب أم أيمن من جيش أبرهة، وتوفيت بعد النبي صلى الله عليه وآله بشهور قليلة فتح الباري: ٧٠/٧ وكانت في السبعينات. لكن رواية الخلافة أخرجوا وفاتها عشر سنين ليقولوا إنها رضيت على أبي بكر وعمر ومدحته وقالت يوم قتل: اليوم وهى الإسلام». تاريخ البخاري الصغير: ٨٨/١ وتاريخ دمشق: ٣٠٢/٤.

١٧ . أيمن بن عبيد أفضل من أخيه أسامة بن زيد، فقد استشهد أيمن دفاعاً عن النبي صلى الله عليه وآله في حنين لما فرّ عنه المسلمون، وهاجمه عوف بن مالك زعيم هوازن ليقته: فاعترضه أيمن: «فالتقيا فقتله مالك». ولم يصل إلى النبي صلى الله عليه وآله. المناقب: ١٨١/١، تاريخ دمشق: ٢٥٧/٤، ذخائر العقبى: ١٩٨/١ وكبير الطبراني: ٢٨٨/١.

قال المفيد في الإرشاد: ١٤٠/١ ونحوه الإستيعاب: ٨١٣/٢: «لم يبق منهم مع النبي صلى الله عليه وآله إلا عشرة أنفس، تسعة من بني هاشم خاصة وعاشرهم أيمن بن أم أيمن، فقتل أيمن عليه السلام وثبت تسعة نفر الهاشميون، حتى تاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من كان انهزم. وقال العباس بن عبد المطلب في هذا المقام:

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة      وقد فر من قد فر عنه فأقشعوا

وقولي إذا ما الفضل شد بسيفه      على القوم أخرى يا بني ليرجعوا

وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه      لما ناله في الله لا يتوجع

يعني به أيمن بن أم أيمن».

١٨ . أما أسامة بن زيد ابن أم أيمن فعاش في كنف النبي وعترته صلى الله عليه وآله. وكان أسود قوي البنية وقد أمره النبي صلى الله عليه وآله على سرية، ثم أمره في مرض وفاته على جيش من ثلاثة آلاف مقاتل، وكان في الثامنة عشرة أو السابعة عشرة. وعاد من معسكره في الجرف بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ولم يبايع أبابكر حتى بايع علي عليه السلام. وتوفي أسامة زمن معاوية سنة ٥٤ هجرية.

## الفصل السابع

### في كفالة جده الحنون ، وبيت عمه الحنون عليه السلام

#### ١. في كفالة جده الحنون عبدالمطلب

في الكافي: ٤٤٨/١، عن الإمام الصادق عليه السلام: «كان عبدالمطلب يُفرش له بفناء الكعبة، لا يُفرش لأحد غيره، وكان له وُلْدٌ يقومون على رأسه فيمنعون من دنا منه، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وهو طفل يدرج حتى جلس على فخذه، فأهوى بعضهم إليه لينحيه عنه، فقال له عبدالمطلب: دع ابني فإن الملك قد أتاه!»

وفي رواية كمال الدين ١٧١، عن ابن عباس، قال: «دعوا ابني فوالله إن له لشأناً عظيماً، إني أرى أنه سيأتي عليكم يوم وهو سيدكم، إني أرى غرته غرة تسود الناس، ثم يحمله فيجلسه معه ويمسح ظهره ويقبله ويقول: ما رأيت قبلة أطيب منه ولا أظهر قط، ولا جسداً ألين منه، ولا أطيب منه. ثم يلتفت إلى أبي طالب وذلك أن عبدالله وأباطالب لأُم واحدة، فيقول: يا أباطالب إن لهذا الغلام لشأناً عظيماً فاحفظه واستمسك به، فإنه فردٌ وحيدٌ، وكن له كالأم، لا يوصل إليه بشئ يكرهه، ثم يحمله على عنقه فيطوف به أسبوعاً.

وكانت هذه حاله حتى أدركت عبدالمطلب الوفاة، فبعث إلى أبي طالب، ومحمد على صدره وهو في غمرات الموت، وهو يبكي ويلتفت إلى أبي طالب ويقول: يا أباطالب أنظر أن تكون حافظاً لهذا الوحيد الذي لم يشم رائحة أبيه، ولا ذاق شفقة أمه، أنظر يا أباطالب أن يكون من جسدي بمنزلة كبدي، فإني قد تركت بني كلهم وأوصيتك به، لأنك من أم

أبيه. يا أبا طالب إن أدركت أيامه فاعلم أني كنت من أبصر الناس وأعلم الناس به، فإن استطعت أن تتبعه فافعل، وانصره بلسانك ويدك ومالك، فإنه والله سيسودكم ويملك ما لم يملك أحد من بني آبائي. يا أبا طالب ما أعلم أحداً من آبائك مات عنه أبوه على حال أبيه، ولا أمه على حال أمه، فاحفظه لوحده، هل قبلت وصيتي فيه؟ فقال: نعم قد قبلت والله عليّ بذلك شهيد، فقال عبد المطلب: فمدّ يدك إليّ فمد يده إليه فضرب يده على يده ثم قال عبد المطلب: الآن خفّ عليّ الموت!

ثم لم يزل يقبله ويقول: أشهد أني لم أقبل أحداً من ولدي أطيب ريحاً منك، ولا أحس وجهاً منك، ويتمنى أن يكون قد بقي حتى يدرك زمانه!

فمات عبد المطلب وهو عليه السلام ابن ثمان سنين، فضمه أبو طالب إلى نفسه لا يفارقه ساعة من ليل ولا نهار، وكان ينام معه لا يأتمن عليه أحداً!

قال اليعقوبي: ١٢/٢، «أوصى لأبي طالب برسول الله صلى الله عليه وآله وبزمزم، وقال له:

وصيك يا عبدمناف بعدي	بمفرد بعدي أبيه فرد
فارقته وهو ضجيع المهد	فكنت كالأم له في الوجد
تدنيه من أحشائها والكبد	فأنت من أرجى بطني عندي

لدفع ضيم أولشدد عقد

وتوفي عبد المطلب ولرسول الله صلى الله عليه وآله ثمان سنين، ولعبد المطلب مائة وعشرون سنة وقيل مائة وأربعون سنة، وأعظمت قريش موته، وغُسل بالماء والسدر، وكانت قريش أول من غسل الموتى بالسدر، ولُفَّ في حلتين من حلل اليمن قيمتهما ألف مثقال ذهب، وطرح عليه المسك حتى ستره، وحمل على أيدي الرجال عدة أيام، إعظماً وإكراماً وإكباراً لتغيبه في التراب!

واحتبى «جلس» ابنه بفناء الكعبة لما غيب عبد المطلب، واحتبى ابن جدعان التيمي من ناحية، والوليد بن ربيعة المخزومي، فادعى كل واحد الرئاسة.

## ٢. استسقى به جده عبدالمطلب فسقاهم الله تعالى

قال اليعقوبي: ١٢/٢: «كان أصحاب الكتاب لايزالون يقولون لعبدالمطلب في رسول الله منذ ولد، فيعظم بذلك ابتهاج عبدالمطلب، فقال: أما والله لئن نَقَسْتَنِي قريش الماء، يعني ماء سقاه الله من زمزم، وذئ الهرم «بئر» لتنفسني غداً الشرف العظيم، والبناء الكريم، والعز الباقي، والسناء العالي، إلى آخر الدهر ويوم الحشر! وتوالت على قريش سنون مجدبة حتى ذهب الزرع وقحل الضرع ففرعوا وقالوا: قد سقانا الله بك مرة بعد أخرى، فادع الله أن يسقينا، وسمعوا صوتاً ينادي من بعض جبال مكة: معشر قريش إن النبي الأمي منكم، وهذا أو ان تَوَكَّفْه، ألا فانظروا منكم رجلاً عظماً جساماً له سنٌّ يدعو إليه وشرفٌ يعظم عليه، فليخرج هو وولده ليمسوا من الماء ويلتمسوا من الطيب ويستلموا الركن، وليدع الرجل وليؤمّن القوم، فخصبتم ما شئتم إذن وعُثتم!

فلم يبق أحد بمكة إلا قال: هذا شيبية الحمد، هذا شيبية الحمد! فخرج عبدالمطلب ومعه رسول الله وهو يومئذ مشدود الإزار، فقال عبدالمطلب: اللهم سادّ الحلة، وكاشف الكربة، أنت عالمٌ غير مُعلم، مسؤولٌ غير مُبَحَّل، وهؤلاء عبداؤك وإماؤك بعذرات حرمك، يشكون إليك سنيهم التي أقحلت الضرع، وأذهبت الزرع، فاسمعنّ اللهم، وأمطرنّ غيثاً مريعاً مغدقاً. فما راموا حتى انفجرت السماء بهائها، وكظ الوادي بثجه»، وفي ذلك يقول بعض قريش:

بشيبية الحمد أسقى الله بلدتنا      وقد فقدنا الكرى واجلوذّ المطر

منأ من الله بالميمون طائرُهُ      وخير من بُشرت يوماً به مضر

مبارك الأمر يستسقى الغمام به      ما في الأنام له عدلٌ ولا حَظَر

وقد اشتهرت رواية رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم، وفيها: «قام فاعتضد ابن ابنه محمداً فرفعه على عاتقه، وهو يومئذ غلام قد أيفع أو كرب، ثم قال... فورب الكعبة ما راموا حتى انفجرت السماء



بهاؤها... فسمعت شيخان قريش وجلتها: عبدالله بن جدعان، وحرب بن أمية، وهشام بن المغيرة يقولون لعبدالمطلب: هنيئاً لك سيد البطحاء! الدعاء للطبراني/٦٠٦، معجمه الكبير: ٢٦٠/٢٤، مجمع الزوائد: ٢١٤/٢، شرح النهج: ٢٧١/٧ وغيرها. ومعنى: قد أيفع أو كرب: أنه كان صبيماً يافعاً قارب البلوغ، فكان يبدو كبير السن للناظرة، وإن كان سنه أصغر من ذلك ﷺ.

وكان جده يعتمد عليه في المهمات! ففي الكافي: ٤٤٧/١، عن الإمام الصادق ﷺ قال: «كان عبدالمطلب أرسل رسول الله ﷺ إلى رعاته في إبل قد نذت له ليجمعها فأبطأ عليه، فأخذ بحلقة باب الكعبة وجعل يقول: يا رب أتهلك ألك إن تفعل فأمر ما بدا لك! فجاء رسول الله ﷺ بالإبل، وقد وجه عبدالمطلب في كل طريق وفي كل شعب في طلبه.. ولما رأى رسول الله ﷺ أخذه فقبله وقال: يا بني لا وجهتك بعد هذا في شيء، فإني أخاف أن تُغتال فتقتل».

وقال البيهقي: ١٠/٢: «رجع من بني سعد ابن أربع سنين أو خمس وهو في خلق ابن عشر وقوته».

### ٣. عاش صباه وشبابه في بيت عمه الحنون أبي طالب ﷺ

«توفي عبدالمطلب في شهر ربيع الأول وللنبي ﷺ ثماني سنين من عمره، فكفله أبو طالب أحسن كفالة». كنز الفوائد/٧٢.

«فكان خير كافل، وكان أبو طالب سيداً شريفاً مطاعاً مهيباً... وخرج به إلى بصرى من أرض الشام وهو ابن تسع سنين، وقال: والله لا أكلك إلى غيري! وربته فاطمة بنت أسد بن هاشم امرأة أبي طالب وأم أولاده جميعاً، يروى عن رسول الله ﷺ لما توفيت وكانت مسلمة فاضلة أنه قال: اليوم ماتت أمي! وكفنها بقميصه ونزل في قبرها واضطجع في لحدها، فقيل له: يا رسول الله لقد اشتد جزعك على فاطمة! قال: إنها كانت أمي، إن كانت لتُجيع صبيانها وتشبعني، وتشعثهم وتدهني، وكانت أمي». تاريخ البيهقي: ١٣/٢.

وفي أمالي الصدوق/٣٩٠، عن ابن عباس: «قال: يا فاطمة أنا محمد سيد ولد آدم ولا

فخر، فإن أتاك منكر ونكير فسألك: من ربك؟ فقولي: الله ربي ومحمد نبيي، والإسلام ديني، والقرآن كتابي، وابني إمامي ووليي. ثم قال: اللهم ثبت فاطمة بالقول الثابت. وروى أنه ﷺ قال: يا علي أدخل، يا حسن أدخل، فدخلوا القبر، فلما فرغ مما احتاج إليه قال له: يا علي أخرج، يا حسن أخرج فخرجا، ثم زحف النبي ﷺ حتى صار عند رأسها، ثم قال: يا فاطمة أنا محمد سيد ولد آدم ولا فخر، فإن أتاك منكر ونكير فسألك: من ربك؟ فقولي: الله ربي ومحمد نبيي، والإسلام ديني، والقرآن كتابي، وابني إمامي ووليي».

أقول: توفيت فاطمة بنت أسد عليها السلام في شوال في السنة الرابعة أو الخامسة، فدعا النبي ﷺ سبطه الحسن وعمره نحو سنتين، لينزل في قبرها إيداناً بمكانته، ولعله إشارة إلى أن هذه بقعته عليه السلام. مستدرك سفينة البحار: ٢٠٧/٥ و٢٠٦/٨.

وفي الحدائق الناضرة: ٦٣٤/٢٢ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كانت أول امرأة هاجرت إلى رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة على قدميها!»

وروى الحاكم: ١٠٨/٣: «لما ماتت فاطمة بنت أسد كفنها رسول الله ﷺ في قميصه وصلى عليها وكبر عليها سبعين تكبيرة، ونزل في قبرها فجعل يومي في نواحي القبر كأنه يوسعه ويسوي عليها، وخرج من قبرها وعيناه تذرفان وحشى في قبرها. فلما ذهب قال له عمر بن الخطاب: يا رسول الله رأيتك فعلت على هذه المرأة شيئاً لم تفعله على أحد! فقال: يا عمر إن هذه المرأة كانت أمي التي ولدتنني! إن أباطالب كان يصنع الصنيع وتكون له المأدبة، وكان يجمعنا على طعامه، فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيبنا فأعود فيه. وإن جبريل أخبرني عن ربي عز وجل أنها من أهل الجنة، وأخبرني جبريل أن الله تعالى أمر سبعين ألفاً من الملائكة يصلون عليها!» وعقد في مجمع الزوائد: ٢٥٦/٩ باباً: مناقب فاطمة بنت أسد رضي الله عنها.

#### ٤. واستسقى به عمه أبو طالب فسقاهاهم الله تعالى

اشتهر قول أبي طالب ﷺ في مدح النبي ﷺ في قصيدته اللامية العصماء:

وأبيضٌ يُستسقى الغمامُ بوجهه      ثمأل اليتامى عصمة للأرامل

وروا أن النبي ﷺ طلب أن يُنشدوه القصيدة، كما في بدائع الصنائع: ٢٨٣/١،

البخاري: ١٥/٢، أحمد: ٩٣/٢، وأمالي المفيد: ٣٠١. قال: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال:

والله يا رسول الله لقد أتيناك وما لنا بغير يئط، ولا غنم يغط، ثم أنشأ يقول:

أتيناك يا خير البرية كلها      لترحمنا مما لقينا من الأزل

أتيناك والعدراءُ يدمى لُبائها      وقد سُغلت أم الصبي عن الطفل

وألقي بكفيه الفتى استكانةً      من الجوع ضعفاً ما يُمَرُّ وما يُحلي

ولا شئ مما يأكل الناس عندنا      سوى المحتظل العاميِّ والعلهر الفئسل

وليس لنا إلا إليك فرارن      وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقال رسول الله لأصحابه: إن هذا الأعرابي يشكو قلة المطر وقحطاً شديداً!

الشيخ  
الترمذي  
العلهي

ثم قام يجرداه حتى صعده المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وكان مما حذر به أن

قال: الحمد لله الذي علا في السماء فكان عالياً، وفي الأرض قريباً دانياً، أقرب إلينا

من جبل الوريد. ورفع يديه إلى السماء وقال: اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً، مريئاً مريعاً،

غدقاً طبقاً، عاجلاً غير راث، نافعاً غير ضائر، تملأ به الضرع، وتنبث به الزرع،

وتحيي به الأرض بعد موتها. فما رد يديه إلى نحره حتى أحدق السحاب بالمدينة

كالإكليل والتفت السماء بأردافها، وجاء أهل البطاح يضحجون يا رسول الله: الغرق

الغرق، فقال رسول الله ﷺ: اللهم حوالينا ولا علينا، فانجاب السحاب عن السماء،

فضحك رسول الله ﷺ وقال: لله در أبي طالب، لو كان حياً لقرت عيناه، من ينشدنا

قوله؟ فقام عمر فقال: عسى أردت يا رسول الله:

وما حملت من ناقة فوق رحلها      أبطر وأوفى ذمةً من محمد

فقال رسول الله ﷺ: ليس هذا من قول أبي طالب، بل من قول حسان بن ثابت،

فقام علي بن أبي طالب فقال: كأنك أردت يا رسول الله قوله:

وأبيضُ يُستسقى الغمامُ بوجهه      ربيعُ اليتامى عصمةٌ للأراملِ  
يلوذُ به الهلاكُ من آلِ هاشمٍ      فهم عنده في نعمةٍ وفواضلِ  
كذبتهم وبيت الله نُبزي محمداً      ولما نطاعنُ دونه ونقاتلِ  
وُسلمه حتى نُصرِّع حوله      ونذهل عن أبنائنا والمحلائلِ

في حياة جده الحسن

فقال رسول الله ﷺ: أجل. فقام رجل من بني كنانة فقال:

لك الحمد والحمد من شكز      سقينا بوجه النبي المطر  
دعا الله خالقه دعوةً      وأشخص منه إليه البصر  
ولم يك إلا كقلب الرداء      وأسرع حتى أتانا المطر  
دفاق العزائل جم البعاق      أغاث به الله غلياً مُضِر  
فكان كما قاله عمه      أبو طالب ذا رواء غزِر  
به الله يسقي صيوب الغمام      فهذا العيان وذاك الخبر

فقال رسول الله ﷺ: بوأك الله يا كناني بكل بيت قلته بيتاً في الجنة».

وستأتي لامية أبي طالب، وقول ابن كثير إنها أبلغ من المعلقات السبع!

وقال ابن حجر في فتح الباري: ٤١٢/٢: «قال السهيلي: فإن قيل: كيف قال أبو طالب يستسقى الغمام بوجهه، ولم يره قط استسقى، إنما كان ذلك منه بعد الهجرة؟ وأجاب بما حاصله: أن أباطالب أشار إلى ما وقع في زمن عبد المطلب حيث استسقى لقريش والنبي ﷺ معه غلام... وهذا البيت من أبيات في قصيدة لأبي طالب ذكرها ابن إسحاق في السيرة بطولها، وهي أكثر من ثمانين بيتاً، قالها لما تمالأت قريش على النبي، ونفروا عنه من يريد الإسلام».

وفي خزانة الأدب: ٦١٧/٢: «قال السهيلي في الروض الأنف: إن أباطالب قد شاهد من ذلك في حياة عبد المطلب، ما دلّه على ما قال».

وقول السهيلي والبغدادي صحيح، فقد أجذبت قريش فشكت إلى عبد المطلب فاستسقى بالنبي ﷺ، ثم أجذبت فشكت إلى أبي طالب فاستسقى بالنبي ﷺ،

وإنها حذفوه من السيرة حسداً لأبي طالب ﷺ وأولاده!

وقال عنها في المناقب: ١١٩/١: «والسبب في ذلك أنه كان قحط في زمن أبي طالب فقالت قريش: إعتمدوا اللات والعزى، وقال آخرون إعتمدوا مناة الثالثة الأخرى، فقال ورقة بن نوفل: أنى تؤفكون وفيكم بقية إبراهيم وسلالة إسماعيل أبوطالب فاستسقوه، فخرج أبوطالب وحوله أغيلمة من بني عبدالمطلب، وسطهم غلام كأنه شمس دجئة «مشرقة» تجلت عنها غمامة، فأسند ظهره إلى الكعبة ولاذ بإصبعه، وبصبصت الأغيلمة حوله، فأقبل السحاب في الحال. فأنشأ أبوطالب اللامية!»  
وروى آخرون هذه المعجزة بتفصيل، كفخار بن معد في كتابه: الحججة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب/٣١١، والصالحي في سبيل الهدى: ١٣٧/٢، والذهبي في تاريخه: ٥٢/١، بسند صحيح عندهم، عن أبان بن تغلب، عن جلهمة بن عرفطة قال:

«إني لبالقاع من نمره، إذ أقبلت غير من أعلى نجد، فلما حاذت الكعبة إذا غلام قد رمى بنفسه عن عجز بعير، فجاء حتى تعلق بأستار الكعبة، ثم نادى يا رب البنية أجرني! وإذا شيخ وسيم قسيم عليه بهاء الملك ووقار الحكماء، فقال: ما شأنك يا غلام فأنا من آل الله وأجير من استجار به؟ قال: إن أبي مات وأنا صغير وإن هذا استعبدني وقد كنت أسمع أن لله بيتاً يمنع من الظلم، فلما رأيت استجرت به. فقال له القرشي: قد أجرتك يا غلام قال: وحسب الله يد الجندي إلى عنقه. قال جلهمة: فحدثت بهذا الحديث عمرو بن خارجة وكان قعدد الحي، فقال: إن لهذا الشيخ ابناً يعني أباطالب. قال: فهويت رحلي نحو تهامة أكسع بها الحدود وأعلوا بها الكدان حتى انتهيت إلى المسجد الحرام، وإذا قريش عزين، قد ارتفعت لهم ضوضاء يستسقون فقاتل منهم يقول: اعتمدوا اللات والعزى! وقائل يقول: اعتمدوا مناة الثالثة الأخرى. وقال شيخ وسيم قسيم حسن الوجه جيد الرأي: أنى تؤفكون وفيكم باقية إبراهيم وسلالة إسماعيل؟ قالوا له: كأنك عنيت أباطالب! قال: إيها. فقاموا بأجمعهم وقمت معهم فدققنا عليه بابه فخرج إلينا رجل حسن الوجه مصفر، عليه إزار قد اتشح به، فثاروا إليه فقالوا: يا أباطالب قحط الوادي وأجذب العباد، فهلم فاستسق، فقال: رويدكم

الكتاب  
التاريخ  
المعتمد

زوال الشمس وهبوب الريح، فلما زاغت الشمس أو كادت، خرج أبو طالب معه غلام كأنه دَجَنٌ ﴿سَاءَ لِحَسَنِهِ﴾ تجلت عنه سحابة قماء، وحوله أغيلمة، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة، ولاذ بإصبعه الغلام، وبصصت الأغيلمة حوله، وما في السماء قزعة فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا، وأعدق واغدودق، وانفجر له الوادي، وأخصب النادي والبادي! وفي ذلك يقول أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه      ربيع اليتامى عصمة للأرامل

تطيف به الهلاك من آل هاشم      فهم عنده في نعمة وفواضل

وميزان عدل لا يخيس شعيرة      ووزان صدق وزنه غير عائل

أقول: كفى بهذا الحديث وهذه القصيدة دليلاً على إيمان أبي طالب عليه السلام بنبوة النبي صلى الله عليه وآله من صغره! ولكن الذهبي وأمثاله من أتباع القرشيين والأمويين أشربوا في قلوبهم الإعراض عن عترة نبيهم صلى الله عليه وآله، بل كرههم!

#### ٥. حديث بَجِيرَا الرَّاهِبِ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وَعَمَهُ فِي الشَّامِ

قال علي بن يوسف الحلبي رحمته الله في العدد القوية/١١٨: «وخرج مع عمه أبي طالب في تجارة إلى الشام وله تسع سنين، وقيل اثنتا عشرة سنة». وفي الخرائج: ٧١٨ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «فلما انتهى به إلى بصرى وفيها راهب لم يكن يكلم أهل مكة إذا مروا به، ورأى علامة رسول الله صلى الله عليه وآله في الركب، رأى غمامة تظله في مسيره، ونزل تحت شجرة قريبة من صومعته فتنتت أغصان الشجرة عليه والغمامة على رأسه بحالها، فصنع لهم طعاماً فاجتمعوا عليه وتخلف محمد صلى الله عليه وآله، فلما نظر بحيرا إليهم ولم ير الصفة التي يعرف قال: فهل تخلف منكم أحد؟ قالوا: لا واللوات والعزى إلا صبي، فاستحضره فلما لحظ إليه نظر إلى أشياء من جسده قد كان يعرفها من صفته فلما تفرقوا قال: يا غلام أتخبرني عن أشياء أسألك عنها؟ قال: سل. قال: أنشدك باللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه! وإنما أراد أن يعرف لأنه سمعهم يملفون بهما، فذكروا أن

النبي ﷺ قال له: لا تسألني باللات والعزى، فإني والله لم أبغض بغضها شيئاً قط! قال: فبالله إلا أخبرتني عما أسألك عنه؟ قال: فجعل يسأله عن حاله في نومه وهيبته وأموره، فجعل رسول الله ﷺ يخبره، فكان يجدها موافقة لما عنده.

فقال له: إكشف عن ظهرك فكشف عن ظهره، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على الموضع الذي يجده عنده، فأخذه الإفكل وهو الرعدة، واهتز الديراني فقال: من أبو هذا الغلام؟ قال أبو طالب: هو ابني. قال: لا والله لا يكون أبوه حياً. قال أبو طالب: إنه ابن أخي. قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وهو ابن شهرين. قال: صدقت. قال: فارجع بابن أخيك إلى بلادك واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأته وعرفوا منه الذي عرفت ليبيغينه شراً! فخرج أبو طالب فرده إلى مكة.

وفي رواية كمال الدين/١٨٧: «لما بلغ رسول الله ﷺ، أراد أبو طالب أن يخرج إلى الشام في غير قريش، فجاء رسول الله ﷺ وتشبث بالزمام وقال: يا عم على من تخلفني لا على أمّ ولا على أب؟! وقد كانت أمه توفيت فرقاً له أبو طالب ورحمه وأخرجه معه... فلما نظر إليه بحيرى قال: من هذا الغلام؟ قالوا: ابن هذا وأشاروا إلى أبي طالب.. فقال بحيرى: رُدّ هذا الغلام إلى بلاده، فإنه إن علمت به اليهود ما أعلم منه قتلوه! فإن لهذا شأنًا من الشأن، هذا نبي هذه الأمة، هذا نبي السيف».

وفي قرب الإسناد/٢١٣، من حديث للإمام الكاظم عليه السلام مع حاخامات اليهود: «قالوا: إننا نجد في التوراة أن الله تبارك وتعالى أتى إبراهيم وولده الكتاب والحكم والنبوة وجعل لهم الملك والإمامة، وهكذا وجدنا ذرية الأنبياء لا تتعداهم النبوة والخلافة والوصية، فما بالكم قد تعداكم ذلك وثبت في غيركم، ولنلقاكم مستضعفين مقهورين لا تُرَقب فيكم ذمة نبيكم؟! فدمعت عينا أبي عبدالله عليه السلام ثم قال: نعم لم تنزل أمناء الله مضطهدة مقهورة مقتولة بغير حق، والظلمة غالبية، وقليل من عباد الله الشكور! قالوا: صدقت، فما أعطي نبيكم من الآيات اللاتي نفت الشك عن قلوب من أرسل إليهم؟ قلت: آيات كثيرة أعدها إن شاء الله...»

ومن ذلك: أنه توجه إلى الشام قبل مبعثه مع نفر من قريش، فلما كان بحيال بحيراء

الراهب نزلوا بفناء ديره، وكان عالماً بالكتب وقد كان قرأ في التوراة مرور النبي ﷺ به وعرف أو أن ذلك، فأمر فدعى إلى طعامه، فأقبل يطلب الصفة في القوم فلم يجدها، فقال: هل بقي في رحالكم أحد؟ فقالوا: غلامٌ يتيم. فقام بحيراء الراهب فاطَّلَع فإذا هو برسول الله ﷺ نائم وقد أظلمت سحابة! فقال للقوم: أدعوا هذا اليتيم، ففعلوا وبحيراء مشرف عليه، وهو يسير والسحابة قد أظلمت فأخبر القوم بشأنه، وأنه سيبعث فيهم رسولاً، وما يكون من حاله وأمره! فكان القوم بعد ذلك يهابونه ويجلونه، فلما قدموا أخبروا قريشاً بذلك، وكان عند خديجة بنت خويلد فرغبت في تزويجه وهي سيدة نساء قريش».

وفي كمال الدين ١٨٢/١: «لما فارقه بحيرى بكى بكاء شديداً وأخذ يقول: يا ابن أمانة كأي بك وقد رمتك العرب بوترها، وقد قطعك الأقارب! ولو علموا لكنت لهم بمنزلة الأولاد، ثم التفت إليّ وقال: أما أنت ياعم فارع فيه قرابتك الموصولة..».

وفي العدد القوية ١٣٢، أن بحيرا قال للنبي ﷺ: «يا من بذكره تعمر المساجد، كأي بك قد قدمت الأجناد والخيال الجياد، وتبعك العرب والعجم طوعاً وكرهاً، وكأي باللات والعزى قد كسرتهم، وقد صار البيت العتيق لا يملكه غيرك، تضع مفاتيحه حيث تريد، كم من بطل من قريش والعرب تصرعه، معك مفاتيح الجنان والنيران، ومعك الذبح الأكبر وهلاك الأصنام! أنت الذي لا تقوم الساعة حتى يدخل الملوك كلها في دينك صاغرة قمته! فلم يزل يقبل رجليه مرة ويديه مرة ويقول: لئن أدركت زمانك لأضربن بين يديك بالسيف ضرب الزند بالزند. أنت سيد ولد آدم وسيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين. والله لقد بكت له البيع والأصنام والشياطين، فهي باكية إلى يوم القيامة! وأنت دعوة إبراهيم وبشرى عيسى، أنت المقدس المطهر من أنجاس الجاهلية!»  
أقول: روى ابن هشام قصة بحيرا ١١٦/١ وحذف منها ما يتعلق بإيمان أبي طالب ﷺ!  
وفي رواية ابن إسحاق ٥٥/٢: «فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن، فأسرغ به إلى



بلاده. فخرج به عمه أبوطالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام. فزعموا فيها يتحدث الناس أن زبيراً وتامماً ودريساً، وهم نفر من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله ﷺ في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب أشياء فأرادوه، فردهم عنه بحيرا، وذكرهم الله عز وجل وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا لم يخلصوا إليه، حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما قال، فتركوه وانصرفوا! فقال أبوطالب في ذلك من الشعر يذكر مسيره برسول الله ﷺ وما أرادوا منه أولئك نفر، وما قال بحيرا:

إن ابن أمنة النبي محمداً	عندي بمثل منازل الأولاد
لما تعلق بالزمام رحمته	والعيس قد قلّصن بالأزواد
فارفصّ من عينيّ دمعَ ذارُفٍ	مثلُ الجمان مفترقُ الأفراد
راعت فيه قرابةً موصولة	وحفظت فيه وصية الأجداد
وأمرته بالسير بين عمومية	بيض الوجوه مصالت الأجداد
ساروا لأبعد طيبة معلومة	فلقد تباعدَ طيبة المرتاد
حتى إذا ما القوم بصرى عاينوا	لاقوا على شرفٍ من المرصاد
حبراً فأخبرهم حديثاً صادقاً	عنه وردّ معاشر الحساد
قوماً يهوداً قد رأوا ما قدرأى	ظل الغمام وعزّذي الأكباد
ساروا لقتل محمد فنهاهم	عنه وأجهد أحسن الإجهاد
فثنى زبيرٌ بحيراً فانشى	في القوم بعد تجادل وبعاد
ونهى دريساً فانتهى عن قوله	حبر يوافق أمره برشاد

وقال أبوطالب أيضاً:

ألم ترني من بعد هيّ همته	كأن لا يراني راجعاً لمعاد
بأحمد لما أن شددت مطيبي	برحلي وقد ودعته بسلام
بكي حزناً والعيس قد فصلت بنا	وأخذت بالكفين فضل زمام

ذَكَرْتُ أَبَاهُ ثُمَّ رَقَرْتُ عِبْرَةً  
 فَقَلْتُ تَرُوحُ رَاشِدًا فِي عُمُومَةٍ  
 فَرَحْنَا مَعَ الْعَيْرِ الَّتِي رَاحَ أَهْلُهَا  
 فَلَمَّا هَبَطْنَا أَرْضَ بَصْرَى تَشَوْفُوا  
 فَجَادَ بِحَيْرٍ عِنْدَ ذَلِكَ حَاشِدًا  
 فَقَالَ اجْمَعُوا أَصْحَابَكُمْ لَطَعَامِنَا  
 يَتِيمٍ، فَقَالَ ادْعُوهُ إِنْ طَعَامِنَا  
 فَلَمَّا رَأَاهُ مَقْبَلًا نَحْوَ دَارِهِ  
 حَنَّا رَأْسَهُ شَبَهَ السُّجُودَ وَضَمَّهُ  
 وَأَقْبَلَ رُكْبَ يَطْلُبُونَ الَّذِي رَأَى  
 فَتَارَ إِلَيْهِمْ خَشِيَةً لِعِرَامِهِمْ  
 دَرِيْسًا وَمَتَامًا وَقَدْ كَانَ فِيهِمْ  
 فَجَاءُوا وَقَدْ هُمُوا بِقَتْلِ مُحَمَّدٍ  
 بِنَاوِيلِهِ التُّورَةَ حَتَّى تَفْرُقُوا  
 فَذَلِكَ مِنْ أَعْلَامِهِ وَبَيَانِهِ  
 وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ أَيْضًا:

بَكَى طَرِبًا لَمَّا رَأَانَا مُحَمَّدٍ  
 فَبِتُّ مِجَافِيْنِي تَهْلُلُ دَمْعُهُ  
 فَقَلْتُ لَهُ قَرَبَ قَعُودِكَ وَارْتَحَلْ  
 وَخَلْ زَمَامَ الْعَيْسَى وَارْتَحَلْ بِنَا  
 وَرَحْ رَاحًا فِي الرَّاشِدِينَ مَشِيْعًا  
 فَرَحْنَا مَعَ الْعَيْرِ الَّتِي رَاحَ رُكْبُهَا

تَجُودُ مِنَ الْعَيْنِينَ ذَاتَ سَجَامِ  
 مَوَاسِينَ فِي الْبَاسَاءِ غَيْرِ لَثَامِ  
 شَامِي الْهَوَى وَالْأَصْلَ غَيْرِ شَامِي  
 لَنَا فَوْقَ دُورٍ يَنْظُرُونَ بِسَامِ  
 لَنَا بِشَرَابٍ طَيِّبٍ وَطَعَامِ  
 فَقَلْنَا جَمَعْنَا الْقَوْمَ غَيْرِ غِلَامِ  
 كَثِيرٍ عَلَيْهِ الْيَوْمَ غَيْرِ حَرَامِ  
 يُوْقِيهِ حَرَّ الشَّمْسِ ظِلَّ غَمَامِ  
 إِلَى نَحْرِهِ وَالصَّدْرَ أَيَّ ضَمَامِ  
 بِحَيْرٍ مِنَ الْأَعْلَامِ وَسَطِ خِيَامِ  
 وَكَانُوا ذَوِي دَهْيٍ مَعَ وَعِرَامِ  
 زَبِيرًا وَكُلَّ الْقَوْمِ غَيْرِ نِيَامِ  
 فَرَدَّهُمْ عَنْهُ بِحَسَنِ خِصَامِ  
 وَقَالَ لَهُمْ: مَا أَنْتُمْ بِطَغَامِ  
 وَلَيْسَ نَهَارٌ وَاضِحٌ كِظْلَامِ

كَأَنَّ لَا يِرَانِي رَاجِعًا لِمَعَادِ  
 وَقَرَبْتَهُ مِنْ مِضْجَعِي وَوَسَادِي  
 وَلَا تَحْشَى مَنِي جَفْوَةً بِيْلَادِي  
 عَلَيَّ عِزْمَةً مِنْ أَمْرِنَا وَرِشَادِ  
 الَّذِي رَحِمَ فِي الْقَوْمِ غَيْرِ مَعَادِ  
 يُؤْمُونَ مِنْ غُورِي أَرْضِ إِبَادِ

في فضائل حمزة الخليلي

فما رجعوا حتى رأوا من محمد  
وحتى رأوا حبار كل مدينة  
زبيراً وتامماً وقد كان شاهداً  
فقال لهم قولوا بحيرا وأيقنوا  
كما قال للرهط الذين تهودوا  
فقال ولم يملك له النصح رده  
فإنى أخاف الحاسدين وإنه  
أحاديث تجلو غم كل فؤاد  
سجوداً له من عصبه وفراد  
دريساً وهموا كلهم بفساد  
له بعد تكذيب وطول بعاد  
وجاهدتهم في الله كل جهاد  
فإن له أرصاد كل مضاد  
أخوال الكتب مكتوب بكل مداد»

وابن عساکر: ١٠/٣، سبل الهدى: ١٤٢/٢ ودلائل النبوة: ٢٩/٢ وغيرها.

### ٦. شاعت نبوءة بحيرا عند العرب

قال الله تعالى: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ.. (الأعراف: ١٥٧) وقال: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الْأَنْعَامَ: ٢٠. وقال: وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَي مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ..الصف: ٦. وقال: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ... ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ... «آخر سورة الفتح». وغيرها من الآيات.

وقد شاعت وذاعت قصص علماء النصارى واليهود في مكة والجزيرة، واتفقت الرواية على أن بحيرا راهب النصراني واسمه نسطور «تاريخ دمشق: ١٠/٣» قد آمن بالنبي ﷺ عندما رآه وكلمه وكان في الثانية عشرة من عمره أو دونها، وأن أحبار اليهود أرادوا قتله ﷺ فنهاهم بحيرا كما ذكر أبو طالب في شعره، وأقنعهم بأنهم إن أرادوا فسيمنعهم الله تعالى لأنه قضى أن يكون النبي الخاتم ﷺ. وفي الخرائج: ٧١/١ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «فنشأ رسول الله في حجر أبي طالب، فبينما هو غلام يجيء بين الصفا والمروة إذ نظر إليه رجل من أهل الكتاب فقال: ما اسمك؟ قال: إسمي محمد. قال: ابن من؟ قال: ابن عبد الله.

قال: ابن من؟ قال: ابن عبد المطلب. قال: فما اسم هذه وأشار إلى السماء؟ قال السماء. قال: فما اسم هذه وأشار إلى الأرض؟ قال: الأرض. قال فمن ربهما؟ قال: الله. قال: فهل لهما رب غير الله؟ قال: لا».

في كفاة جده الحنون

أقول: إحتفظ عندك أن علماء اليهود والنصارى كانوا يعرفون النبي ﷺ، كما نصت الآيات وتواترت الأحاديث والأخبار، وأنهم بشروا به قبل ولادته، وعرفوا يوم ولادته من علامات النجوم، ثم عرفوه بصفته لما رأوه، وأخبروا عمه أباطالب وغيره، وشاع ذلك وذاع في مكة وبين العرب!

يضاف إلى ذلك ما دل على أنه ﷺ كان نبياً يرافقه ملك من طفولته، وأن جده عبد المطلب وعمه أباطالب ﷺ كان يعرفان أن سيبعث نبياً، وسيكذبه قومه ويحاولون قتله فيهاجر، ويحاربونه فينصره الله ويخضع له العرب.

إحتفظ هذه الحقائق، لأنك ستري أن رواة الحكومات يظهرونها أحياناً، ويطمسونها أحياناً! فقد طمسوها عند حديث عائشة في كيفية بدء الوحي! وطمسوها لينفوا وجود صحابة قرشيين منافقين، بحجة أنه لم يكن للنبي ﷺ دولة تجذب أحداً ليسلم طمعاً، مع أن خبر نبوته ﷺ كان يستهوي مغمورين في قبائلهم لاتباعه طمعاً بموقع في دولته! فهو ابن عبد المطلب زعيم العرب، وقد شهد له علماء اليهود والنصارى بأنه سيحكم العرب، وهو يعد الناس بأنه سيملك كنوز كسرى وقيصر! فمن الطبيعي أن يطمع عديدون في موقع في دولته ليخرج من فقره ومهانته!

وهؤلاء الأشخاص أخطر على الإسلام من المنافقين العاديين، لأنهم أصحاب طموح سياسي، ولذلك سماهم الله تعالى «مرضى القلوب» وذكرهم في أوائل سور القرآن فقال في المدثر: وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً... وَلَيَقُولُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا... «المدثر ٣١». ثم تحدث عنهم في اثنتي عشرة آية! ووصفهم بأنهم وقحون، يفرون في الحرب، ويحملون النبي ﷺ مسؤولية الهزيمة، لأنه لم يشركهم في القيادة!

قال عنهم في آيات أحد: **وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَفِّفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَاتَلْنَا هَاهُنَا! آل عمران: ١٥٤.**

وكاد القرآن أن يسميهم لما وصفهم بأنهم كانوا في مكة مستعجلين ليقاتل النبي قريشاً ببني هاشم الشجعان ليقطفوا هم الثمار، لكنهم لما كتب القتال في بدر نكصوا وخوفوا النبي ﷺ من قريش! فذكرهم الله بنفاقهم في مكة وقال: **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً.. النساء: ٧٧.**

قال الطبري: ٢٣٣/٥: **«نزلت في قوم من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا قد آمنوا به وصدقوه قبل أن يفرض عليهم الجهاد... فلما فرض عليهم القتال شقَّ عليهم!»**  
وفي برهان الزركشي: ٤٢٢/١: **«فَقَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُورُ يُفْقَهُوْنَ حَدِيثًا! هذه الإشارة للفريق الذين نافقوا، من القوم الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ.»**

وقال ابن حجر: **«نزلت في عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص وهما من بني زهرة، وقدامة بن مظعون، والمقداد بن الأسود، وذلك أنهم استأذنوا في قتال كفار مكة لما يلقون منهم من الأذى فقال: لم أؤمر بالقتال، فلما هاجر إلى المدينة وأذن بالقتال، كره بعضهم ذلك!»** أسباب النزول: ٩١٨/٢. والحاكم: ٦٦/٢. وصححه بشرط بخاري..  
وفسرهما النسائي: ٣/٦ والبيهقي: ١١/٩. بابين عوف وأصحابه.

وكذبوا على المقداد ﷺ فجعلوه منهم، مع أنهم رووا قوله للنبي ﷺ: **«يا رسول الله إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: فَادَّهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ، ولكن إمض ونحن معك! فكانه سُرِّيَ عن رسول الله.»** البخاري: ١٨٧/٥.

ومعناه أن النبي ﷺ غضب من أهل آية: **كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ،** وليس من المقداد ﷺ!  
قال الرازي: ١٨٤/١٠: **«والأولى حمل الآية على المنافقين، لأنه تعالى ذكر بعد هذه الآية قوله: وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ، ولا شك أن من هذا كلام المنافقين... فالمعطوف في المنافقين وجب أن يكون المعطوف عليهم فيهم أيضاً.»**

## الفصل الثامن

### زواجه صلى الله عليه وآله بخديجة عليها السلام

#### سبب زواج النبي صلى الله عليه وآله بخديجة عليها السلام

##### ١. سمعت خديجة بكراماته صلى الله عليه وآله فخطبته

ففي تفسير الإمام العسكري عليه السلام ١٥٥/ : « كان يسافر إلى الشام مضارباً لخديجة بنت خويلد، وكان من مكة إلى بيت المقدس مسيرة شهر، فكانوا في حمارة القيظ يصيبهم حر تلك البوادي، وربما عصفت عليهم فيها الرياح، وسفت عليهم الرمال والتراب، وكان الله تعالى في تلك الأحوال يبعث لرسول الله صلى الله عليه وآله غمامة تظله فوق رأسه، تقف بوقوفه وتزول بزواله، إن تقدمت وإن تأخر تأخرت، وإن تيامن تيامنت وإن تياسر تياسرت، فكانت تكفُّ عنه حر الشمس من فوقه، وكانت تلك الرياح المثيرة لتلك الرمال والتراب، تُسفيها في وجوه قريش ووجوه رواحلهم، حتى إذا دنت من محمد صلى الله عليه وآله هدأت وسكنت، ولم تحمل شيئاً من رمل ولا تراب، وهبَّت عليه ريحٌ باردة لينة، حتى كانت قوافل قريش يقول قائلها: جوار محمد أفضل من خيمة! فكانوا يلوذون به ويتقربون إليه، فكان الرُّوح يصيبهم بقربه، وإن كانت الغمامة مقصورة عليه. وكان إذا اختلط بتلك القوافل غرباء، فإذا الغمامة تسير في موضع بعيد منهم».

وفي شرح الأخبار ١/ ١٨٣: « ولما انتهى إليها عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما قد فشا واستفاض عنه من الخبر، أرسلت إليه في أن تعطيه مالاً يتجر لها به إلى الشام، ففعل... ووربح في تلك التجارة ما لم

يربح أحد مثله، فلما قدم بذلك على خديجة قالت لغلामها ميسرة: ما أعظم أمانة محمد وبركته، ما برحت في تجارة قط كربحي فيما أبضعته معه. فقال لها ميسرة: وأعظم من ذلك ما سمعته فيه ورأيت منه! قالت: وما هو؟ فأخبرها بخبر الراهب وخبر الغمامة». وفي سيرة ابن إسحاق: ٥٩/٢ وابن هشام: ١٢١/١: «فلما أخبرها ميسرة عما أخبرها به بعثت إلى رسول الله ﷺ.. يا ابن عم إني قد رغبت فيك لقرابتك مني وشرفك في قومك، وسطنتك فيهم، وأمانتك عندهم، وحسن خلقك، وصدق حديثك». وفي مسأّر الشيعة للمفيد: ٤٩: «وفي اليوم العاشر منه «ربيع الأول» تزوج النبي ﷺ بخديجة بنت خويلد أم المؤمنين، لخمس وعشرين سنة من مولده».

## ٢. خطب أبو طالب خديجة للنبي ﷺ

في الكافي: ٣٧٤/٥ والفتاوى: ٣٩٧/٣ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لما أراد رسول الله ﷺ أن يتزوج خديجة بنت خويلد، أقبل أبو طالب في أهل بيته ومعه نفر من قريش، حتى دخل على ورقة بن نوفل عم خديجة، فابتدأ أبو طالب بالكلام فقال: الحمد لرب هذا البيت، الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسما عيل، وأنزلنا حرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه. ثم إن ابن أخي هذا يعني رسول الله ﷺ، ممن لا يوزن برجل من قريش إلا رجح به، ولا يقاس به رجل إلا عظم عنه، ولا عدل له في الخلق، وإن كان مقلّاً في المال فإن المال رفقاً جارٍ وظلٌّ زائل، وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة، وقد جئتكم لنخطبها إليكم برضاها وأمرها، والمهر عليّ في مالي، الذي سألتموه عاجله وآجله. وله ورب هذا البيت حظ عظيم ودين شائع ورأي كامل.

ثم سكت أبو طالب، وتكلم عمها وتلجج وقصّر عن جواب أبي طالب، وأدركه القطع والبهر! وكان رجلاً من القسيسين، فقالت خديجة مبتدئة: يا عمها إنك وإن كنت أولى بنفسي مني في الشهود، فلست أولى بي من نفسي، قد زوجتك يا محمد نفسي والمهر عليّ في مالي، فأمر عمك فلينحر ناقة فليؤم بها وادخل على أهلِكَ! قال

أبو طالب: إشهدوا عليها بقبولها محمداً، وضمانها المهر في مالها! فقال بعض قريش: يا عجباه، المهر على النساء للرجال!

فغضب أبو طالب غضباً شديداً وقام على قدميه، وكان ممن يباه به الرجال ويكره غضبه، فقال: إذا كانوا مثل ابن أخي هذا طلبت الرجال بأعلى الأثمان وأعظم المهر، وإذا كانوا أمثالكم لم يزوجوا إلا بالمهر الغالي! ونحروا أبو طالب ناقة، ودخل رسول الله ﷺ بأهله. وقال رجل من قريش يقال له عبدالله بن غنم:

هنيئاً مريئاً يا خديجة قد جرت لك الطير فيما كان منك بأسعد  
تزوجته خير البرية كلها ومن ذا الذي في الناس مثل محمد  
به بشر البران عيسى بن مريم وموسى بن عمران فيا قرب موعد  
أقرت به الكتاب قدماً بأنه رسول من البطحاء هاد ومهتد»

أقول: نص الحديث على أن الشاعر قرشي، لكن علماء الرجال ترجوا لعبدالله بن غنم الأشعري أو الأزدي، ويظهر أنه صحابي وقد قال شعره بعد الإسلام.

### ٣. وهبت خديجة كل أموالها إلى النبي ﷺ

وذلك كما وهبت سارة كل أموالها لإبراهيم عليه السلام، فقد فسر ابن عباس قوله تعالى: وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى: «فأغناك بهال خديجة، ثم زادك من فضله فجعل دعائك مستجاباً، حتى لودعوت على حجر أن يجعله الله لك ذهباً لنقل عينه إلى مرادك، وأتاك بالطعام حيث لا طعام، وأتاك بالماء حيث لا ماء، وأغاثك بالملائكة حيث لا مغيث، فأظفرك بهم على أعدائك». معاني الأخبار/٥٣. وعمدة القاري: ٢٩٩/١٩. وفي البحار: ٧١/١٦: «يا معاشر العرب إن خديجة تشهدكم على أنها قد وهبت نفسها ومالها، وعبيدها، وخدمها، وجميع ما ملكت يمينها، والمواشي، والصدقات، والهدايا، لمحمد ﷺ».

وفسر الإمام الرضا عليه السلام آية: وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى «العيون: ١٧٧/٢» بأنه جعله مستجاب الدعوة، والآية مطلقة تشمل مال خديجة والغنائم التي أحلها الله له، وغيرها.



#### ٤. وصار بيت خديجة عليها السلام بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ويقع في الجهة المقابلة لشعب بني هاشم، وهو في سوق الليل معروف بمولد فاطمة عليها السلام، وقد زرته في السبعينات ميلادية حتى هدمه الوهابية وأزالوه، في حملتهم على آثار النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأثار الإسلام!

ولما كتبت قريش صحيفة مقاطعة بني هاشم ليسلموهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيقتلوه اضطر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يترك بيته ويدخل مع بني هاشم في شعب أبي طالب، وتحملت خديجة عليها السلام معه سنوات المحاصرة، فأرسل الله جبرئيل ليقرئها السلام ويسليها عن فقدان بيتها، ويبشرها بأن الله تعالى بني لها بيتاً في الجنة.

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يذكرها كل عمره ويمدحها، ولما فتح مكة نصب خيمته على قبرها، فكانت عائشة تحسدها وتغار منها: «قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت في الجنة!» صحيح بخاري: ١٩٥/٨.

وفي فتح الباري: ١٠٢/٧: «عن هشام بن عروة: ما حسدت امرأة قط ما حسدت خديجة، حين بشرها النبي ببيت».

وهذا ينسجم مع طبيعة المرأة واهتمامها ببيتها، وحسدها لضرتها إذا كان بيتها أحسن، فكيف إذا بناه الله تعالى لخديجة عليها السلام وأرسل جبرئيل عليه السلام يبشرها به! فهو يستحق من عائشة أعلى درجات الحسد، كما قالت!

ولم تذكر عائشة هنا صفة بيت خديجة، لكنها بعد ذلك هونت من شأنه وقالت إنه بيت من قصب وسعف نخل! فنسب بعض الرواة وصفه بأنه بيت من قصب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم! لكن بعضهم أبقاه على النص النبوي بأنه من لؤلؤة ولا صخب فيه ولا نصب. فقد قال الإمام الباقر عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة عليها السلام: إن جبرئيل عليه السلام عهد إلي أن بيت أمك خديجة في الجنة بين بيت مريم ابنة عمران وبين بيت آسية امرأة فرعون، من لؤلؤة جوفاء لا صخب فيه ولا نصب». شرح الأخبار: ١٧/٣.

وكذلك هي بيوت كبار الأولياء من ياقوت ومرجان، ففي نظم درر السمطين للحفني/١٨٣، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ٦٦٦/١ عن أبي سعيد الخدري أن

النبي ﷺ: «مر في السماء السابعة، قال: فرأيت فيها لمريم ولأم موسى، ولآسية امرأة فرعون، ولخديجة بنت خويلد، قصوراً من الياقوت، ولفاطمة بنت محمد سبعين قصراً من مرجان أحمر، مكللة باللؤلؤ».

وروى عددٌ من مصادرهم حديث بيت خديجة ﷺ بدون قصب كما رويناها! ففي فضائل الصحابة للنسائي/٧٥: «بشر رسول الله خديجة بيت في الجنة لا صخب فيه ولا نصب». وسنن النسائي: ٩٤/٥، الجامع الصغير: ٢٤٧/٢ وتاريخ الذهبي: ٢٣٨/١.

لكن عائشة جعلت بيت خديجة كوخاً من قصب! «بشر خديجة بيت من الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»! صحيح بخاري: ٢٠٣/٢.

وبينت سبب القصب «فتح الباري: ٢٧/١» فقالت: «ماتت خديجة قبل أن تفرض الصلاة، فقال النبي: رأيت لخديجة بيتاً من قصب، لا صخب فيه ولا نصب». وفي مسند أبي يعلى: ٤١/٤ من حديث المعراج، أن النبي ﷺ: «سئل عن خديجة لأنها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن؟ فقال: أبصرتها على نهر من أنهار الجنة في بيت من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»!

وصحح في مجمع الزوائد: ٤١٦/٩: «ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن!» فبيت خديجة ﷺ من قصب لأنها لم تصل، وبيت عائشة من لؤلؤ لأنها صلّت! لكن الصلاة بأمناء عائشة فرضت في أول البعثة، وروى الجميع أن خديجة ﷺ كانت تصلي مع النبي ﷺ إلى أن توفيت قبيل هجرته! فكيف قلت: لم تصل! إنها فضيحة حسد عائشة لخديجة ﷺ على بيتها في الجنة، فجعلته من قصب، وأنكرت صلاة خديجة، وأخرت تشريع الصلاة إلى ما بعد موت خديجة! وجاء المعدرون ومنهم البخاري «فتح الباري: ١٠٤/٧» ليغطوا حسد عائشة، فجعلوها معنى بيت القصب: قضبان الذهب! لكن اللغة العربية تأبى ذلك، فالقصب نبات، ولم يرد وصفاً لقصور الجنة في أي حديث صحيح!

## ٥. كان النبي ﷺ يمدح خديجة عليها السلام

وهدفه أن يعرف المسلمين قدرها، وكانت عائشة تعلن حسدها لها، فيغضب النبي ﷺ عليها! ففي السيرة الحلبية: ٤٠١/٣: «قالت له وقد مدح خديجة: ما تذكر من عجوز حمراء الشدين، قد أبدلك الله خيراً منها! فغضب رسول الله ﷺ وقال: والله ما أبدلني الله خيراً منها!»

وقال ابن إسحاق: ٢٢٨/٥: «أهدي لرسول الله ﷺ جزوراً لحماً، فأخذ عظمًا منها فتناول به يده فقال له: إذهب به إلى فلانة» صديقة خديجة «فقالت له عائشة: لكأنه ليس في الأرض امرأة إلا خديجة! فقام رسول الله مغضباً فلبث ما شاء الله، ثم رجع فإذا أم رومان فقالت: يا رسول الله ما لك ولعائشة إنها حدّث وأنت أحق من تجاوز عنها، فأخذ بشدق عائشة وقال: أأنت القائلة: كأنها ليس على الأرض امرأة إلا خديجة! والله لقد آمنت بي إذ كفر قومك ورزقت مني الولد وحرمتموه!»

وفي العمدة/٣٩٤، أنه ﷺ طرد عائشة! «فقال ﷺ: قومي عني فقامت إلى ناحية من البيت». ولعلها تكلمت بعد قيامها فأخذ بشدقها! ولم تبين الرواية كيف أخذ بشدقها، هل سدّه ليسكتها، أم ضغط عليه تأديباً لها!

وفي الخصال/٤٠٥، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «دخل رسول الله ﷺ منزله فإذا عائشة مقبلة على فاطمة تصايحها وهي تقول: والله يا بنت خديجة ما ترين إلا لأن أملك علينا فضلاً، وأي فضل كان لها علينا، ما هي إلا كبعضنا! فسمع مقالتها لفاطمة، فلما رأت فاطمة رسول الله ﷺ بكت فقال: ما يبكيك يا بنت محمد؟ قالت: ذكرت أُمي فتنقصتها فبكيت! فغضب رسول الله ﷺ ثم قال: مه يا حمراء فإن الله تبارك وتعالى بارك في الودود الولود، وإن خديجة رحمها الله ولدت مني طاهراً وهو عبد الله وهو المطهر، وولدت مني القاسم وفاطمة [وأم كلثوم ورقية وزينب] وأنت ممن أعقم الله رحمها، فلم تلدي شيئاً!»

أقول: وضعنا أسماء البنات الثلاث بين معقوفين، لأنه يوجد خلاف في أنهن بناته ﷺ أو ربائبه، وقوله ﷺ: أعقم الله رحمها، يدل على أن الله تعالى حصر ذريته بفاطمة عليها السلام. لكن رغم توبيخ النبي ﷺ لعائشة ونهبها واصلت حسدها لخديجة! ولها

البيت  
الذي  
أخذ  
بشدقها

قصص في حساسيتها منها مع فاطمة عليها السلام، لكن سلوك فاطمة الرباني فرض على عائشة احترامها فكانت تقول: «ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة من فاطمة إلا أن يكون الذي ولدها». الإستيعاب: ١٨٩٦/٤، الزوائد: ٢٠١/٩، وصححه. «كان بينهما شيء فقالت عائشة: يارسول الله سلها فإنها لا تكذب». أبويعلى: ١٥٣/٨.

## زواجه بخديجة

### ٦. عائشة متهمة ولا تقبل شهادة المتهم

فلا يجوز قبول روايات عائشة في خديجة عليها السلام، بعد اعترافها بحسدها المفرط لها، ولا قول حكيم بن حزام المتعصب لعائشة، قال: «كان عمر رسول الله يوم تزوج خديجة خمساً وعشرين سنة، وعمرها أربعون سنة. بيننا قال ابن عباس: كان عمرها ثمانياً وعشرين سنة، رواهما ابن عساكر! وقال ابن جرير: كان ابن سبع وثلاثين سنة، وكذا نقل البيهقي عن الحاكم، وكان عمرها إذ ذاك خمساً وثلاثين، وقيل خمساً وعشرين سنة». سيرة ابن كثير: ٢٦٥/١.

### ٧. أحل الله لنبيه صلى الله عليه وسلم من النساء ما شاء

لكنه لم يتزوج إلا لمصلحة الإسلام ولا تزوج على خديجة. ففي الكافي: ٣٨٩/٥ أن أبا بكر الحضرمي سأل الإمام الباقر عليه السلام: «عن قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُوزَهُنَّ؟ كم أحل له من النساء؟ قال: ما شاء من شيء. قلت: قوله عزوجل: وَأَمْرًاؤُا مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ؟ فقال: لا تحل الهبة إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأما لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يصلح نكاح إلا بمهر. قلت: رأيت قول الله عزوجل: لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ؟ فقال: إنما عني به لا يحل لك النساء التي حرم الله في هذه الآية: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ.. إلى آخرها، ولو كان الأمر كما تقولون كان قد أحل لكم ما لم يحل له، لأن أحدكم يستبدل كلها أراد ولكن ليس الأمر كما يقولون. إن الله عزوجل أحل لنبيه صلى الله عليه وسلم أن ينكح من النساء ما أراد إلا ما حرم عليه في هذه الآية».

ثم روى تسمية نساء النبي ﷺ فقال: «عائشة، وحفصة، وأم حبيب بنت أبي سفيان بن حرب، وزينب بنت جحش، وسودة بنت زمعة، وميمونة بنت الحارث، وصفية بنت حي بن أخطب، وأم سلمة بنت أبي أمية، وجويرية بنت الحارث. وكانت عائشة من تيم، وحفصة من عدي، وأم سلمة من بني مخزوم، وسودة من بني أسد بن عبد العزى، وزينب بنت جحش من بني أسد وعدادها من بني أمية، وأم حبيب بنت أبي سفيان من بني أمية، وميمونة بنت الحارث من بني هلال، وصفية بنت حي بن أخطب. ومات ﷺ عن تسع نساء وكان له سواهن التي وهبت نفسها للنبي ﷺ وخديجة بنت خويلد أم ولده، وزينب بنت أبي الجون التي خدعت، والكندية».

#### ٨. اشتهر وفاء النبي ﷺ لخديجة ﷺ

ونشرت ذلك عائشة وهي تتحدث عن غيرها منها، قال ابن البطريق في العمدة/٣٩٤: «عن أم رومان «أم عائشة» قالت: كان لرسول الله جارة قد أوصته خديجة أن يتعاهدها، فحضر عنده شئ من المأكول فأمر بإعطائها وقال: هذه أمرتني خديجة بأن أتعاهدها فقالت عائشة: وكنت أحسدها لكثرة ذكره لها».

وعندما أفاء الله على رسوله ﷺ أموال بني النضير ومنها فذك، أمره الله أن يفي لخديجة فيعطي فذكاً لابنتها فاطمة ﷺ. ونزل قوله تعالى: وَأَبِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْيَتَامَىٰ وَابْنِ السَّبِيلِ. «إن الله يأمرك أن تؤتي ذا القربى حقه. قال: يا جبرئيل ومن قريبي، وما حقهم؟ قال: أعط فاطمة حوائط فذك، واكتب لها كتاباً. وهي من ميراثها من أمها خديجة». قصص الأنبياء/٣٤٥ والمناقب/١/١٢٢.

وقد أجمع المسلمون على أن أموال بني النضير كانت خالصة للنبي ﷺ، وفيها نزل قوله تعالى: وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَا كَرٍّ اللَّهُ يُسَيِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ. الكافي: ٥٣٩/١، المعتبس: ٦٣٣/٢ والبخاري: ٢٢٧/٣ و ٢٠٩/٤.

## ٩. وكانت خديجة أما لعلي ﷺ

فقد ربته وأحبه كما أحبه النبي ﷺ ووفت بذلك لفاطمة بنت أسد في تربيتها للنبي ﷺ، وقد أرسله النبي ﷺ يوماً في مهمة فتأخر فتخوف عليه فذهبت خديجة تبحث عنه! «وافقد علياً ﷺ ذات يوم فلم يعلم مكانه حتى أمسى فاشتد غمه به، فرأت أثر الغم عليه خديجة رضوان الله عليها، فقالت: يا رسول الله ما هذا الغم الذي أراه عليك؟ قال: غاب علي منذ اليوم فما أدري ما ضنعه به.. فخرجت خديجة في الليل تلمس خبر علي، فوافقته فأعلمته باعتمام رسول الله ﷺ بغيبته، وألفته مقبلاً إليه، فسبقت به تبشيره فقام قائماً فحمد الله تعالى رافعاً يديه». شرح الأخبار: ٢/٢٠٥ وتفسير فرات/٥٤٧.

وفي مناقب ابن سليمان: ١/٣٠٤: «قالت خديجة: فمضيت فأخبرت رسول الله ﷺ فإذا هو قائم يقول: اللهم فرج غمي بأخي علي، فإذا بعلي قد جاء فتعانقا».

## ١٠. عظموا أمر عائشة على باقي نساء النبي ﷺ

قال العلامة الحلبي في منهاج الكرامة/٧٥: «وعظموا أمر عائشة على باقي نسوانه، مع أنه ﷺ كان يكثر من ذكر خديجة بنت خويلد، وقالت له عائشة: إنك تكثر من ذكرها وقد أبدلك الله خيراً منها. وأذاعت سر رسول الله ﷺ. وقال لها النبي ﷺ: إنك تقاتلين علياً وأنت ظالمة. ثم إنها خالفت أمر الله تعالى في قوله: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ، وخرجت في ملأ من الناس تقاتل علياً ﷺ على غير ذنب، لأن المسلمين أجمعوا على قتل عثمان وكانت هي كل وقت تأمر بقتله وتقول: أقتلوا عثماناً قتل الله نعثلاً! فلما بلغها قتله فرحت بذلك، ثم سألت: من تولى الخلافة؟ فقالوا: علي، فخرجت لقتاله على دم عثمان. فأبي ذنب كان لعلي ﷺ على ذلك؟ وكيف استجاز طلحة والزبير مطاوعتها على ذلك؟ وبأي وجه يلقون رسول الله ﷺ مع أن الواحد منا لو تحدث مع امرأة غيره وأخرجها من منزلها وسافر بها كان أشد الناس عداوة!»!

## ١١. أنفق النبي ﷺ على المؤمنين من أموال خديجة ؓ

ففي أمالي الطوسي/٦٣: «إن رسول الله قال: ما نفعتي مال قط مثلما نفعتي مال خديجة، وكان رسول الله يفك من مالها الغارم والعاني، ويحمل الكّل، ويعطي في النّائبة، ويرفد فقراء أصحابه إذ كان بمكة، ويحمل من أراد منهم الهجرة. وكانت قريش إذا رحلت غيرها في الرحلتين يعني رحلة الشتاء والصيف، كانت طائفة من العير لخديجة، وكانت أكثر قريش مالاً، وكان ﷺ ينفق منه ما شاء في حياتها، ثم ورثها هو وولدها بعد مماتها».

وروى البخاري: ٨٠/٥ قول عمر لأسماء بنت عميس: «سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله منكم! فغضبت وقالت: كلا والله كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم، وكنا في دار أو في أرض البعداء البغضاء بالحبشة وذلك في الله وفي رسوله ﷺ! وأيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شرباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ ونحن كنا نؤذي ونُخاف. قال لها ﷺ: ليس بأحق بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أتم أهل السفينة هجرتان».

## ١٢. كانت خديجة ؓ أجمل زوجات النبي ﷺ

وقد ورّثت حسننها لابنتها وأحفادها، ففي المناقب: ١٧٠/٣ عن الإمام الحسن ؓ قال: «صوّر الله عز وجل علي بن أبي طالب في ظهر أبي طالب على صورة محمد، فكان علي بن أبي طالب أشبه الناس برسول الله ﷺ، وكان الحسين بن علي أشبه الناس بفاطمة ؓ، وكنت أنا أشبه الناس بخديجة الكبرى ؓ».

## ١٣. بنات النبي ﷺ أم ربايته؟

المشهور أن زينب وأم كلثوم بنات النبي ﷺ من خديجة ؓ ويوجد قول قوي بأنهن بنات أخت خديجة، وقد توفيت أمهن فربتهن خالتهن خديجة، فعُرفن ببنات محمد ﷺ! وأن خديجة لم تتزوج قبل النبي ﷺ، وأن عمرها عند زواجها كان بضعاً وعشرين، وكان عمرها لما ماتت خمسين سنة، حسب رواية البيهقي.

وقد تبنى هذا الرأي بعض كتاب السيرة القدماء والمعاصرين فقال إنهن ربائب. قال في المناقب: ١٣٨/١: «وروى أحمد البلاذري، وأبو القاسم الكوفي في كتابيها، والمرضى في الشافي، وأبو جعفر في التلخيص: أن النبي ﷺ تزوج بها وكانت عذراء، يؤكد ذلك ما ذكر في كتابي الأنوار والبدع، أن أم كلثوم وزينب كانتا ابنتي هالة أخت خديجة».

#### زواجه بخديجة

وقد ألف الباحث السيد جعفر مرتضى كتاب: «بنات النبي ﷺ أم ربائبه؟» تجده في: <http://www.aqaed.com/shialib/books/all/banat/index.html> وذكر فيه تناقض روايتهم في تاريخ زواج النبي ﷺ وفي ولادة أولاده، وزواج بناته، فبعضها ذكر أنه ﷺ تزوج بها قبل البعثة بثلاث سنين، وبعضها قال إن أولاده منها ولدوا جميعاً بعد البعثة، إلا ولده عبد المطلب، وبعضها ذكر أن آية: **إِنَّ سَائِبِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**، نزلت بعد موت ابنه القاسم، الذي كان أكبر أولاده.

كما استدلت بنصوص على أن زينب هي بنت أخت خديجة ﷺ من زوجها أبي هند المخزومي، ومنها نص كتاب الإستغاثة، ونص المناقب المتقدم. واستدل بقول النبي ﷺ لعلي: «يا علي، أوتيت ثلاثاً لم يؤتمن أحدٌ ولا أنا: أوتيت صهراً مثلي، ولم أوت أنا مثلي!» فدل على أن علياً صهره الوحيد. وقول ابن عمر في صحيح بخاري: ١٥٧/٥: «أما عثمان فكان الله عفا عنه، وأما أنتم فكرهتم أن تعفوا عنه! وأما علي فابن عم رسول الله وختنه، وأشار بيده فقال: هذا بيته حيث ترون». فذكر الصهر لعلي ولم يذكره لعثمان!

ويؤيد هذا الرأي ما رواه الحاكم: ٢٠٠/٢ وصححه على شرط الشيخين: عن عروة، عن خالته عائشة في زينب بنت النبي ﷺ وكان زوجها الربيع بن العاص الأموي أسيراً في بدر، فأرسلت فداء فأطلقه النبي ﷺ ووعده الربيع أن يأذن لها بالهجرة، فأذن لها وخرج بها من مكة زيد بن حارثة وأبوراغ وأخ زوجها فمئنته قريش، وضرب ناقتها هبار بن الأسود، فوقعت زينب وأسقطت جنينها ثم سمحت لها قريش فهاجرت. قال عروة إن عائشة روت القصة وقالت: «فكان



رسول الله يقول: هي أفضل بناتي، أصيبت فيّ. فبلغ ذلك علي بن الحسين فأنطلق إلى عروة فقال: ما حديثٌ بلغني عنك تحدّثه تنتقص فيه حق فاطمة عليها السلام! فقال: والله ما أحب أن لي ما بين المشرق والمغرب وأني أنتقص فاطمة حقاً هو لها! وأما بعدُ فلك أن لا أحدث به أبداً! قال عروة: وإنما كان هذا قبل نزول آية: **أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ**. ومعناه أن الإمام زين العابدين عليه السلام ونسخ عروة على روايته أن النبي صلى الله عليه وآله قال إن زينب أفضل بناته، فتتصل عروة ووعد أن لا يرويه، مع أنه قول خالته عائشة! ثم قال معتذراً عنها: وإنما كان هذا قبل نزول آية: **أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ**. ومعناه أن النبي صلى الله عليه وآله عبّر عن زينب بابنته قبل أن تنزل آية تحريم تسمية المتبني إنبأً وقد نزل ذلك في سورة الأحزاب سنة خمس للهجرة، أما بعدها فلم يقل عن زينب: بنتي لأنها كانت متبناة! فهذا حديث صحيح بشرط الشيخين يشهد بأن زينب ربيبة! فالقول بأنهن ربائب قوي علمياً، لكنه يحتاج إلى مؤيدات أخرى لينهض في مقابل النصوص على أنهن بنات النبي صلى الله عليه وآله من خديجة. قال أبو الفتح الكراجكي في كتابه: **التمجيب من أغلاط العامة** ١٠٧: «ومن عجيب أمرهم مثل هذا: قولهم: إن عثمان بن عفان ذو النورين، واعتقادهم من نحلته هذا بأنه تزوج بابنتين كانتا فيما زعموا لرسول الله من خديجة بنت خويلد، وقد اختلفت الأقوال فيها، فمن قائل: أنها ربيبتها وأنها ابنتا خديجة من سواه. ومن قائل: إنها ابنتا أخت خديجة من أمها، وإن خديجة ربتها لما ماتت أختها في حياتها، وقال إن اسم أبيها هالة. ومن قال إنها ابنتا النبي يعلم أنها ليستا كفاطمة البتول عليها السلام في منزلتها، ولا يدانيانها في مرتبتها، فيسمون عثمان لأجل تزويجه بهما، (مع ما روي من أنه قتل إحداهما): ذا النورين، ولا يقولون: إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ذو النورين، وهو أبو السبطين السيدين الإمامين الشهيدين الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، وشنفي العرش، وريحانتي نبي الرحمة، ولدي ابنته فاطمة البتول سيدة نساء العالمين، والأئمة الهادين، صلوات الله عليهم أجمعين».

## الفصل التاسع

### ولادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

#### ١. قالوا إن ولادة علي عليه السلام في الكعبة متواترة عندهم، ثم أنكروها!

قال الحاكم في المستدرک: ٤٨٣/٣هـ: «تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، في جوف الكعبة».

وقال في أعيان الشيعة: ٣٢٣/١: «ورد أنه عليه السلام ولد في جوف الكعبة أعزها الله، في يوم الجمعة في الثالث عشر من شهر رجب، وأن هذه فضيلة اختصه الله بها، لم تكن لأحد قبله ولا بعده. وقد صرح بذلك عدد كبير من العلماء ورواة الأثر، ونظمها الشعراء والأدباء، وذلك مستفيض عند شيعة أهل البيت عليهم السلام، كما أنه كذلك في كتب غيرهم، حتى لقد قال الحاكم وغيره: تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد الخ. قال السيد الحميري المتوفى سنة ١٧٣:

ولدته في حرم الإله وأمنه      والبيت حيث فناؤه والمسجد  
بيضاء طاهرة الثياب كريمة      طابت وطاب وليدها والمولد  
في ليلة غابت نحوس نجومها      وبدا مع القمر المنير الأسعد  
مالف في خرق القوابل مثله      إلا ابن أمانة النبي محمد

وقال في الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام: ٩٨/١: «لكن نفوس شائتي علي عليه السلام قد نفست عليه هذه الفضيلة التي اختصه الله بها، فحاولت تجاهل كل أقوال العلماء والمؤرخين ورواة الحديث والأثر، والضرب بها عرض الجدار! حيث نجدهم وبكل جرأة ولا مبالاة، يثبتون

ذلك لرجل آخر غير علي عليه السلام، بل ويحاولون التشكيك في ما ثبت لعلي أيضاً، حتى لقد قال في كتاب النور: حكيم بن حزام ولد في جوف الكعبة، ولا يعرف ذلك لغيره! وأما ما روي من أن علياً ولد فيها فضعيف عند العلماء!

وقال المعتزلي في شرح النهج: ١٤/١: «كثير من الشيعة يزعمون أنه ولد في الكعبة والمحدثون لا يعترفون بذلك، ويزعمون أن المولود في الكعبة حكيم بن حزام».

أقول: أول من ادعى ولادة حكيم في الكعبة ابن عمه الزبير بن بكار، في كتابه: جهمرة نسب قريش: ٣٥٣/١، قال: «دخلت أم حكيم بن حزام الكعبة مع نسوة من قريش وهي حامل متم بحكيم بن حزام، فضر بها المخاض في الكعبة، فأُتيت بنطع حيث أعجلتها الولادة، فولدت حكيم بن حزام في الكعبة على النطع». ويكفي لرده أنه لم يروه إلا الزبيريون، وبغضهم لعلي عليه السلام مشهور للعام والخاص.

قال أبو الفرج في مقاتل الطالبين/٣١٥، عن عبدالله بن الزبير: «وهو الذي بقي أربعين جمعة لا يصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خطبته، حتى التاث عليه الناس، فقال: إن له أهل بيت سوء إذا صليت عليه أو ذكرته أتلعوا أعناقهم واثروا أبو الذكروه وفرحوا بذلك، فلا أحب أن أقر عينهم بذكره!» وهذا من غرائب النصب والحقد!

## ٢. رواية يزيد بن قعنب

وتدل شهادة الحاكم: ٤٨٣/٣ بأن ولادة علي عليه السلام في الكعبة متواترة عند الجميع، على أن السلطة غيبت نصوصها، ونشرت بدلها كذبة ابن بكار الزبيري لمصلحة ابن عمه حكيم بن حزام، وكلاهما من النواصب!

وقد ذكرنا في المقدمة أن السلطة أبادت أحاديث جابر بن يزيد الجعفي وكانت سبعين ألف حديث، وأحاديث ابن عقدة وكانت أكثر من ثلاث مائة ألف حديث! هذا، وقد رويت كيفيات لولادته عليه السلام في الكعبة، ولعل أصحابها رواية يزيد بن قعنب، التي رواها سعيد بن جبیر عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال ابن قعنب «أمالي الصدوق/١٩٤»: «كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب وفريق من بني عبد العزى

بإزاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام وكانت حاملة به لتسعة أشهر وقد أخذها الطلق، فقالت: رب إني مؤمنة بك وبها جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل عليه السلام وأنه بني البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت، وبحق المولود الذي في بطني لما يسرت علي ولادتي. قال يزيد بن قعنب: فرأينا البيت وقد انفتح من ظهره ودخلت فاطمة فيه، وغابت عن أبصارنا والتزق الحائط، فرمنا أن يفتح لنا قفل الباب فلم يفتح، فعلمنا أن ذلك أمر من أمر الله عز وجل.

ثم خرجت بعد الرابع وبيدها أمير المؤمنين عليه السلام، ثم قالت: إني فضلت علي من تقدمني من النساء، لأن آسية بنت مزاحم عبدت الله عز وجل سرأ في موضع لا يحب أن يعبد الله فيه إلا اضطراراً، وإن مريم بنت عمران هزت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطباً جنياً، وإني دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها، فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف: يا فاطمة سمه علياً فهو علي والله العلي الأعلى، يقول: إني شققت إسمه من إسمي، وأدبته بأدي، ووقفته على غامض علمي، وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي، ويقدسني ويمجدني، فطوبى لمن أحبه وأطاعه، وويل لمن أبغضه وعصاه! ورويت لولادته عليه السلام كيفية أخرى عن الإمام زين العابدين عليه السلام عن زيدة بنت قربة بن العجلان من بني ساعدة «مناقب ابن المغازي/ ٢٥» قال عليه السلام: «كنت جالساً مع أبي ونحن زائران قبر جدنا عليه السلام وهناك نسوان كثيرة، إذ أقبلت امرأة منهن فقلت لها: من أنت يرحمك الله؟ قالت: أنا زيدة بنت قربة بن العجلان من بني ساعدة، فقلت لها: فهل عندك شيء تُحدثينا؟ فقالت: إي والله حدثتني أمي أم عمارة بنت عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان الساعدي، أنها كانت ذات يوم في نساء من العرب إذ أقبل أبو طالب كئيباً حزيناً فقلت له: ما شأنك يا أبا طالب؟ قال: إن فاطمة بنت أسد في شدة المخاض، ثم وضع يديه على وجهه، فبينما هو كذلك إذ أقبل محمد عليه السلام فقال له: ما شأنك يا عم؟ فقال: إن فاطمة بنت أسد تشتكي

المخاض، فأخذ بيده وجاء وهي معه فجاء بها إلى الكعبة فأجلسها في الكعبة، ثم قال أجلسني على اسم الله! قال فَطَلِقَتْ طَلْقَةً فولدت غلاماً مسروراً نظيفاً منظفاً لم أر كحُسن وجهه، فسماه أبو طالب علياً وحمله النبي ﷺ حتى أذاه إلى منزلها! قال علي بن الحسين ﷺ: فوالله ما سمعتُ بشيء قط إلا وهذا أحسنُ منه».

فرواية ابن قعنب تذكر أن فاطمة بنت أسد ﷺ جاءت وحدها إلى الكعبة، ودعت الله تعالى، فانشق لها الجدار ودخلت.

وهذه الرواية تذكر أن أبا طالب جاء إلى المسجد الحرام فرآه النبي ﷺ فشكا له أن زوجته تشتكي المخاض، فجاء بها النبي ﷺ إلى الكعبة، وولدت فيها.

ويمكن الجمع بينهما بأن دعاءها عند الكعبة عندما أتى بها النبي ﷺ.

وتوجد رواية بكيفية ثالثة، وإذا لم يمكن الجمع بينهما، فالمرجح رواية ابن قعنب بن عتاب التميمي، وقد وثقوه وذكروا أنه كان فارساً، ويظهر أنه ابن عم الحر بن يزيد الرياحي، الذي استشهد مع الحسين ﷺ. أنساب الأشراف: ١٥٩/١٢.

وفي المناقب: ٥٩/٣: «علي ﷺ أول هاشمي ولد من هاشميين، وأول من ولد في الكعبة، وأول من آمن، وأول من صلى، وأول من بايع، وأول منجاهد، وأول من تعلم من النبي ﷺ، وأول من صنف».

### ٣. دلالة ولادة علي في الكعبة

في ولادته ﷺ في الكعبة إشارة ربانية مهمة إلى مكانته عند الله تعالى، وإن كان هو ﷺ أفضل من الكعبة الشريفة، كما قال الشهيد نور الله التستري في إحقاق الحق/١٩٨: «على أن الكلام في تشرف الكعبة بولادته فيها، لا في تشرفه بولادته في الكعبة، فإنه ﷺ هو الكعبة الحقيقية لأهل الإتياب، وقبله إقبال المقبلين إلى الله، كما روى عنه ﷺ أنه قال: نحن كعبة الله، ونحن قبله الله». نهج الإيمان/٥٦٩.

### ٤. إسم علي وإسم حيدرة

في أمالي الطوسي/٣: «عن مكحول قال: لما كان يوم خيبر خرج رجل من اليهود يقال له مرحب، وكان طويل القامة عظيم الهامة، وكانت اليهود تقدمه لشجاعته ويساره.

قال: فخرج في ذلك اليوم إلى أصحاب رسول الله ﷺ فما واقفه قرن إلا قال: أنا مرحب، ثم حمل عليه فلم يثبت له. قال: وكانت له ظئر وكانت كاهنته، وكانت تعجب بشبابه وعظم خلقته، وكانت تقول له: قاتل كل من قاتلك وغالب كل من غالبك، إلا من تسمى عليك بحيدرة، فإنك إن وقفت له هلكت. قال: فلما كثر مناوشته، وبُعِل الناس بمقامه شكوا ذلك إلى النبي ﷺ سألوه أن يُخرج إليه علياً فدعا النبي ﷺ علياً عليه السلام وقال له: يا علي إكفني مرحباً، فخرج إليه أمير المؤمنين، فلما بصر به مرحب أسرع إليه فلم يره يعبأ به، فأنكر ذلك وأحجم عنه، ثم أقدم وهو يقول: أنا الذي سمتني أمي مرحباً.

فأقبل علي عليه السلام بالسيف، وهو يقول: أنا الذي سمتني أمي حيدرة.

فلما سمعها منه مرحب هرب ولم يقف خوفاً مما حذرت منه ظئره، فتمثل له إبليس في صورة حبر من أحبار اليهود، فقال: إلى أين يا مرحب؟ فقال: قد تسمى عليّ هذا القرن بحيدرة! فقال له إبليس: فما حيدرة؟ فقال: إن فلانة ظئري كانت تحذرنني من مبارزة رجل اسمه حيدرة وتقول: إنه قاتلك.

فقال له إبليس: شوهاً لك، لو لم يكن حيدرة إلا هذا وحده لما كان مثلك يرجع عن مثله، تأخذ بقول النساء وهن يخطئن أكثر مما يصبن، وحيدرة في الدنيا كثير، فارجع فلعلك تقتله، فإن قتلته سدت قومك، وأنا في ظهرك أستصرخ اليهود لك. فرده فوالله ما كان إلا كفواق ناقة حتى ضربه علي عليه السلام ضربة سقط منها لوجهه وانهمز اليهود وهم يقولون: قتل مرحب، قتل مرحب!.

أقول: يظهر أن أمه سمته حيدرة وسماه أبوه علياً بتوجيه النبي ﷺ. وحيدرة بالعربية الأسد، وورد أن اسمه عليه السلام عند اليهود هيدار، ففي الروضة لابن شاذان/٢٢٢، أن إسم النبي ﷺ: «في التوراة: ميد ميد، وإسم وصيه: إلبا، واسمه في الإنجيل: حياطا، وإسم وصيه فيها: هيدار»

وفي معاني الأخبار/٥٨، عن الإمام الباقر عليه السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له: «إسمي في الإنجيل إلبا، وفي التوراة برئ، وفي الزبور أري، وعند الهند كبرك،

وعند الروم بطريسا، وعند الفرس جبتر، وعند الترك بثير، وعند الزنج حير، وعند الكهنة بوي، وعند الحبشة بثيرك، وعند أمي حيدرة، وعند ظفري ميمون، وعند العرب علي، وعند الأرمن فريق، وعند أبي ظهير».

وفي الفضائل لابن ساذان/١٧٥: «وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: لعلي سبعة عشر اسماً. فقال ابن عباس أخبرنا ما هي يا رسول الله؟ فقال: إسمه عند العرب علي، وعند أمه حيدرة، وفي التوراة إلبا، وفي الإنجيل برياً، وفي الزبور قرياً، وعند الروم بطرسيا، وعند الفرس نيروز، وعند العجم شميا، وعند الديلم فريقيا، وعند الكروور شيعيا، وعند الزبح حيم، وعند الحبشة تير، وعند الترك حميرا، وعند الأرمن كركر، وعند المؤمنين السحاب، وعند الكافرين الموت الأحمر، وعند المسلمين عد، وعند المنافقين وعيد، وعندني طاهر مطهر، وهو جنب الله، ونفس الله، ويمين الله عز وجل».

وربما وجد ارتباط بين هيدار وقيدار، ففي قاموس الكتاب المقدس/٧٥١: «قيدار: إسم سامي، معناه قدير أو أسود، وهو ابن إسما عيل الثاني «تك ٢٥: ١٣» وهو أب لأشهر قبائل العرب، وتسمى بلادهم أيضاً: قيدار».

### ٥. ولد علي عليه السلام قبل البعثة بعشرين

كان عمر أمير المؤمنين عليه السلام لما بعث النبي ﷺ عشر سنين، لكنه كان جسمه بنية الخمسة عشر، ووعقل أكبر من سنه بكثير، ويكفي دليلاً عليه أن النبي ﷺ كلفه بدعوة بني هاشم وإعداد الطعام لهم.

قال العلامة في تذكرة الفقهاء: ١٩٦/٦: «يوم الثالث عشر منه، ولد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الكعبة قبل النبوة باثنتي عشرة سنة». والصحيح عشرة سنين. وقال في الكافي: ٥٢/١: «ولد أمير المؤمنين عليه السلام بعد عام الفيل بثلاثين سنة وقتل عليه السلام في شهر رمضان لتسع بقين منه ليلة الأحد سنة أربعين من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة، بقي بعد قبض النبي ﷺ ثلاثين سنة».

وتواترت في مصادر السنين رواية ابن عفيف الكندي، قال: «أول شئ علمتُ

من أمر رسول الله ﷺ قدمت مكة في عمومة لي، فأرشدنا على العباس بن عبد المطلب، فانتهينا إليه وهو جالس في زمزم فجلسنا إليه فيينا نحن عنده، أقبل رجل من باب الصفا أبيض تعلوه حمرة، له وفرة جعله إلى أطراف أذنيه، أشم أفتى الأنف براق الثنايا أدعج العينين، كث اللحية دقيق المسربة، شثن الكفين والقدمين، عليه ثوبان أبيضان، كأنه القمر ليلة البدر، يمشي عن يمينه غلام أمرد حسن الوجه، مراهق أو محتلم، تفقوهم امرأة قد سترت محاسنها، حتى قصد نحو الحجر فاستلمه، ثم استلمه الغلام، واستلمت المرأة، ثم طاف بالبيت سبعاً، والغلام والمرأة يطوفون معه، ثم استلم الركن ورفع يديه وكبر، وقام الغلام عن يمينه ورفع يديه وكبر، وقامت المرأة خلفها ورفعت يديها وكبرت، وأطال القنوت ثم ركع فأطال الركوع، ثم رفع رأسه من الركوع فقنت وهو قائم، ثم سجد وسجد الغلام والمرأة معه، يصنعان مثلما يصنع يتبعانه. قال: فرأينا شيئاً لم نكن نعرفه بمكة فأنكرنا، فأقبلنا على العباس فقلنا: يا أبا الفضل إن هذا الدين لم نكن نعرفه فيكم، أشيء حدث؟ قال: أجل والله، أما تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا ابن أخي محمد بن عبدالله، والغلام علي بن أبي طالب، والمرأة خديجة بنت خويلد. أما والله ما على ظهر الأرض أحد يعبد الله على هذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة». والطبراني الكبير: ١٠/١٨٣، شرح النهج: ١٣/٢٢٥، شواهد التنزيل: ٢/٣٠٢، تاريخ دمشق: ٣/٢٦٥، سيرالذهبي: ١/٤٦٣، ما نزل من القرآن في علي لابن مردويه/٤٩، الحاكم: ٣/١٨٢، الإستهيعاب: ٣/١٠٩٦، الفصول المختارة/٢٧٣.

وفي رواية أحمد: ١/٢٠٩ أنه رآهم في موسم الحج في منى خرجوا من خيمة وصلوا. وفي رواية: «وهو يزعم أنه ستفتح عليه كنوز كسرى وقيصر».

### ٦. أخذ النبي ﷺ علياً عليه السلام وهو طفل فرباه ليكون له عضداً

في المناقب: ٢/٢٩: «ذكر أبو القاسم في أخبار أبي رافع من ثلاثة طرق، أن النبي ﷺ حين تزوج خديجة قال لعمه أبي طالب: إني أحب أن تدفع إلي بعض



ولذلك يعينني على أمري ويكفيني، وأشكر لك بلاك عندي.

فقال أبو طالب: خذ أيهم شئت، فأخذ علياً عليه السلام.

وقال علي عليه السلام: «وقد علمتم موضع من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة. وضعني في حجره وأنا ولد يضمنني إلى صدره، ويكفني إلى فراشه، ويمسني جسده ويشمني عرقه. وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه. وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلية في فعل. ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق الكارم، ويعلمه محاسن أخلاق العالم ليله ونهاره. ولقد كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالإقتداء به. ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة.

ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال هذا الشيطان أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي ولكنك وزير، وإنك لعلي خير». نهج البلاغة: ١٥٨/٢.

وهذا النص الصحيح يبطل قولهم إن أبا طالب صلى الله عليه وآله كان فقيراً لا يملك قوت أولاده فأشفق عليه النبي صلى الله عليه وآله والعباس، فأخذوا بعض أولاده ليخففوا عائلته! فأخذ محمد صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام وأخذ العباس جعفرأ! وقد أفاض رواة السلطة العباسية في ذلك، وأخذته منهم بعض مصادرنا لأن ظاهره المديح!

وأصله رواية ابن هشام: ١٦٢/١، عن ابن إسحاق، عن مجاهد بن جبر المتوفى سنة ١٠٣، قال: «كان من نعم الله على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما صنع الله له وأراد به من الخير، أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب في عيال كثير فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعمة العباس وكان من أيسر بني هاشم: يا أبا الفضل إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه نخفف عنه من عياله آخذ من بنيه رجلاً وتأخذ أنت رجلاً فنكفلها عنه. فقال

الكتاب  
الزيتون  
المتن

العباس: نعم، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى تنكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لها أبو طالب: إذا تركتني لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما. فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرأً فضمه إليه، فلم يزل علي مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبياً فاتبعه وصدقته، وأخذ العباس جعفرأً، ولم يزل جعفر مع العباس حتى أسلم واستغنى عنه.

والطبري: ٥٧/٢، الحاكم: ٥٧٦/٣، مجمع الزوائد: ١٥٣/٨، الإستيعاب: ٣٧/١، تفسير الثعلبي: ٨٤/٥، مجالس نعلب/١٥، تاريخ دمشق: ٢٨٣/٢٦، وشرح النهج ١٩٨/١٣، ومن مصادرنا: علل الشرائع: ١٦٩/١، كشف الغمة: ٧٧/١، روضة الواعظين/٨٦، المناقب: ٢٧/٢، العمدة/٦٣، ذخائر العقبى/٥٨، عمدة الطالب/٥٩، بحار الأنوار: ٢٤/٣٥... الخ. فالرواية إنها هي قول مجاهد بن جبر، مولى بني مخزوم، وعنه أخذها الجميع، وظهرها مدح لعلي عليه السلام بأن فقر أبيه كان السبب في أن يريه النبي ﷺ!

بل رووا عنه عليه السلام أنه قال: «أبي ساد فقيراً، وما ساد فقير قبله». اليعقوبي: ١٤/٢. لكن كيف كان أبو طالب فقيراً، وهو يطعم الحجيج ويسقيهم! وهو ابن عبد المطلب الذي ورثه سقاية الحجيج ورفادتهم؟!

وقد روى مادحوا العباس أن أبا طالب اقترض منه عشرة آلاف درهم، وأنفقها على الحجيج، وفي السنة الثانية اقترض أربعة عشر ألفاً. تاريخ دمشق: ٢٨٣/٢٦. فالذي ينفق الألوف لا يعجز عن نفقة بيته وهي لا تزيد عن ٥٠٠ درهم في السنة! وما يردُّ كلامهم أيضاً أننا لم نسمع شيئاً عن طالب عند حمزة، ولا عن جعفر عند العباس! ولا سمعنا شيئاً عن هذه الأزمة الشديدة على قريش، التي تفرد بذكرها مجاهد، الذي هو صاحب ابن عباس، وهو عباسي الهوى!

إن غرضهم إثبات فقر أبي طالب عليه السلام وغنى العباس، وإنفاقه عليه وعلى أولاده، وأن يقولوا إن أبا طالب عجز عن نفقات الرفادة والسقاية التي ورثه إياها عبد المطلب، فاشترها منه العباس. وأن يجعلوا نشأة علي عليه السلام عند النبي ﷺ مصادفة! راجع: تاريخ دمشق: ٢٨٣/٢٦، المستطرف: ٢٨٩/١، أخبار مكة:

والراوي الثاني لهذه القصة فهو ابن سلام، قال: «لما أمَّعَرَ أبو طالب قالت له بنو هاشم: دعنا فليأخذ كل رجل منا رجلاً من ولدك. قال: إصنعوا ما أحببتهم إذا خليتهم لي عقيلاً، فأخذ النبي علياً.. فكان أبو طالب يُدان لسقاية الحاج حتى أعوزه ذلك، فقال لأخيه العباس بن عبد المطلب وكان أكثر بني هاشم مالاً في الجاهلية: يا أخي قد رأيت ما دخل عليّ وقد حضر الموسم ولا بد لهذه السقاية من أن تقام للحاج، فأسلفني عشرة آلاف درهم فأسلفه العباس إياها، فأقام أبو طالب تلك السنة بها وبها احتال «هياً» فلما كانت السنة الثانية وأُفِدَ الموسم «قرب» قال لأخيه العباس: يا أخي إن الموسم قد حضر ولا بد للسقاية من أن تقام، فأسلفني أربعة عشر ألف درهم، فقال: إني قد أسلفتك عام أول عشرة آلاف درهم، ورجوتُ ألا يأتي عليك هذا الموسم حتى تؤديها فعجزت عنها، وأنت تطلب العام أكثر منها، وترجو زعمت ألا يأتي عليك الموسم حتى تؤديها، فأنت عنها أعجز اليوم! ها هنا أمرٌ لك فيه فرج: أدفع إليك هذه الأربعة عشر ألف، فإن جاء موسم قابل ولم توف حقي الأول وهذا، فولاية السقاية ليّ، فأقوم بها وأكفيك هذه المؤنة إذ عجزت عنها! فأنعم له أبو طالب بذلك فقال: ليحضر هذا الأمر بنو فاطمة ولا أريد سائر بني هاشم، ففعل أبو طالب وأعاره العباس الأربعة عشر ألف بمحضر منهم ورضاً، فلما كان الموسم العام المقبل لم يكن بد من إقامة السقاية، فقال العباس لأبي طالب: قد أفد الحج وليس لدفع حقي إلي وجه، وأنت لاتقدر أن تقيم السقاية فدعني وولايتهَا أكفكها وأبريك من حقي ففعل، فكان العباس بن عبد المطلب يليها وأبو طالب حيٌّ ثم تم لهم ذلك إلى اليوم».

أقول: صاحب هذا الكلام محمد بن سلام الجمحي، وهو من أتباع المتوكل، توفي سنة ٢٣١، ولم يسنده إلى أحد حتى إلى مجاهد تلميذ ابن عباس! والرواية موظفة لإثبات أن العباسيين اشتروا السقاية من أبي طالب، بعد أن أوصى له بها عبد المطلب! والصحيح: أنه لما توفي أبو طالب وهاجر النبي ﷺ وحمزة وعلي وجعفر، بقي العباس في مكة فتصدى للسقاية، ولما فتح النبي ﷺ مكة سكت عن السقاية!

بل رووا أنه ﷺ كره أن يشرب من سقاية العباس، لأنه كان يضع في الماء عبناً أو زيبياً: «عطش النبي ﷺ حول الكعبة فاستسقى، فأتي بنبيذ من السقاية فشمه ففطّب! فقال عليّ بذنوبٍ من زمزم، فصب عليه ثم شرب». فتح الباري: ٣٤/١٠.

ولما افتخر العباس بالسقاية، نزل قوله تعالى: **أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَشْكُرُونَ عِنْدَ اللَّهِ**. الكافي: ٢٠٣/٨.

**والنتيجة:** أن علياً ﷺ ولد قبل زواج النبي ﷺ بنحو سنتين حسب رواية أبي رافع «المناقب ٢/٢٩»: «ذكر أبو القاسم في أخبار أبي رافع من ثلاثة طرق، أن النبي ﷺ حين تزوج خديجة قال لعمه أي طالب: إني أحب أن تدفع إليّ بعض ولدك يعينني على أمري ويكفيني، وأشكر لك بلاك عندي. فقال أبو طالب: خذ أيهم شئت، فأخذ علياً ﷺ».

### ولاية أمير المؤمنين

وبدل قوله ﷺ: «وضعني في حجره وأنا ولد يضمنني إلى صدره ويكفني إلى فراشه، ويمسني جسده ويشمني عرفه. وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه». على أنه كان في السنة الثالثة أو نحوها.

وقالت أمه فاطمة رضي الله عنها كما في رواية ابن قعب كشف اليقين/٢٣: «فولدت علياً ولرسول الله ﷺ ثلاثون سنة، فأحبه رسول الله ﷺ حباً شديداً وقال لي: إجعلني مهده بقرب فراشي. وكان ﷺ يلبى أكثر تربيته، وكان يطهر علياً في وقت غسله، ويوجره اللبن عند شربه، ويجرك مهده عند نومه، ويناغيه في يقطته، ويحمله على صدره ويقول: هذا أخي ووليي وناصري وصفي وذخري وكهفي وصهري ووصيي وزوج كريمتي وأميني على وصيتي وخليفتي. وكان يحمله دائماً، ويطوف به جبال مكة وشعابها وأوديتها».

ومعناه أنه ﷺ اهتم بعلي ﷺ من أول ولادته، فكان يربيه ويطعمه وهو مع أمه في بيت أبي طالب، ثم طلبه من عمه أبي طالب ﷺ وكان في نحو السنتين. ويكون عمره ﷺ عند البعثة عشر سنين «فولدت علياً ولرسول الله ﷺ ثلاثون سنة» وعاش معه ثلاثاً وثلاثين، وبعده ثلاثين سنة.

## الفصل العاشر

### مقدمات بعثة النبي ﷺ

#### ١. حَكَمْتُهُ قَرِيشٌ فِي وَضْعِ الْحَجْرِ قَبْلَ بَعْتِهِ ﷺ

في الكافي: ٢١٧/٤ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن قريشاً في الجاهلية هدموا البيت فلما أرادوا بناء حيل بينهم وبينه وألقى في روعهم الرعب، حتى قال قائل منهم: ليأت كل رجل منكم بأطيب ماله، ولا تأتوا بهال اكتسبتموه من قطعة رحم أو حرام، ففعلوا فحُلِّي بينهم وبين بنائه، فبنوه حتى انتهوا إلى موضع الحجر الأسود فتشاجروا فيه أيهم يضع الحجر الأسود في موضعه حتى كاد أن يكون بينهم شر، فحكّموا أول من يدخل من باب المسجد، فدخل رسول الله ﷺ فلما أتاهاهم أمر بثوب فبسط ثم وضع الحجر في وسطه، ثم أخذت القبائل بجوانب الثوب فرفعوه، ثم تناوله ﷺ فوضعه في موضعه، فخصه الله به».

وفي الكافي: ٢١٧/٤ عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً قال: «إنما هدمت قريش الكعبة لأن السيل كان يأتيهم من أعلى مكة فيدخلها فانصدعت، وسرق من الكعبة غزال من ذهب رجلاه من جوهر، وكان حائطها قصيراً، وكان ذلك قبل مبعث النبي ﷺ بثلاثين سنة... فلما بلغ البناء إلى موضع الحجر الأسود تشاجرت قريش في موضعه، فقال كل قبيلة: نحن أولى به نحن نضعه فلما كثر بينهم تراصوا بقضاء من يدخل من باب بني شيبه، فطلع رسول الله ﷺ فقالوا: هذا الأمين قد جاء! فحكّموه فبسط رداءه وقال بعضهم كساء طاروني كان له، ووضع الحجر فيه ثم قال: يأتي من كل ربع من قريش رجل، فكانوا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس،

والأسود بن المطلب من بني أسد بن عبد العزى، وأبو حذيفة بن المغيرة من بني مخزوم، وقيس بن عدي من بني سهم، فرفعه ووضع النبي ﷺ في موضعه». والبيهقي: ٧٢/٥، فتح الباري: ٣٥١/٢، الطيالسي: ١٨، وأئبل ابن أبي عاصم/ ٤٤، الإستيعاب: ٣٥/١، التنبيه والإشراف/ ١٩٧، تاريخ الذهبي: ٦٦/١، النهاية: ١٧١/٥، والشفا: ١٣٤/١. وذكر اليعقوبي: ١٩/٢ أن عمر النبي ﷺ كان خمساً وعشرين سنة. «كانت قريش تسمى رسول الله قبل أن ينزل عليه الوحي: الأمين». ابن هشام: ١٢٤/١.

## ٢. قبل الأربعين كان ﷺ نبياً وكان يصلي معه علي وخديجة ﷺ

بحث العلماء عبادة نبينا ﷺ قبل بعثته، وهل كان يعبد الله تعالى حسب شريعة عيسى ﷺ أم لا؟ «البحار ٢٧٢/١٨» والصحيح أنه ﷺ وأجداده ﷺ كانوا فرعاً مستقلاً، مكلفين بحنيفية إبراهيم ﷺ دون غيره من الأنبياء ﷺ، وأن قريشاً انحرفت عن ملة إبراهيم ﷺ وثبت عليها آباؤه وأخيار أسرته ﷺ، ويدل عليه: ١- قول الفتال النيسابوري في روضة الواعظين/ ٥٢: «إعلم أن الطائفة قد اجتمعت على أن رسول الله ﷺ كان رسولاً نبياً مستخفياً، بصوم ويصلي على خلاف ما كانت قريش تفعله، مذ كلفه الله تعالى. فإذا أتت أربعون سنة أمر الله عز وجل جبرئيل ﷺ أن يهبط إليه بإظهار الرسالة وذلك في يوم السابع والعشرين من شهر الله الأصم. فاجتاز بميكائيل ﷺ فقال: أين تريد؟ فقال له: قد بعث الله جل وعز نبياً نبي الرحمة وأمرني أن أهبط إليه بالرسالة فقال له ميكائيل: فأجى معك قال له: نعم، فنزلا ووجد رسول الله نائماً بالأبطح بين أمير المؤمنين وجعفر بن أبي طالب ﷺ فجلس جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجله، ولم ينبهه جبرئيل إعظماً له، فقال ميكائيل لجبرئيل: إلى أيهم بعثت؟ قال: إلى الأوسط، فأراد أن ينبهه فمنعه جبرئيل ثم انتبه النبي ﷺ فأدى إليه جبرئيل الرسالة عن الله تعالى. فلما نهض جبرئيل ليقوم أخذ رسول الله ﷺ بثوبه. ثم قال: ما اسمك؟ قال له جبرئيل. ثم نهض رسول الله ليلحق بغنمه، فما مر

بشجرة ولامدرة إلا سلمت عليه وهنأته. ثم كان جبرئيل عليه السلام يأتيه فلا يدنو منه إلا بعد أن يستأذن عليه، فأتاه يوماً وهو بأعلى مكة فغمز بعقبه بناحية الوادي فانفجرت عين، فتوضأ جبرئيل وتوضأ الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم صلى الظهر وهي أول صلاة فرضها الله عز وجل، وصلى أمير المؤمنين تلك الصلاة مع رسول الله، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم في يومه إلى خديجة فأخبرها، فتوضأت وصلت صلاة العصر من ذلك اليوم.

٢- قال الأصمغ بن نباتة: «سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: والله ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قط! قيل له: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به». كمال الدين ١٧٤/.

٣- تدل آيات تجديد إبراهيم عليه السلام للكعبة وإسكانه إسما عيل وذريته عليهم السلام فيها، على أنهم فرع مستقل عن بني إسرائيل ونبوتهم، وامتداد مباشر لإبراهيم ليهدوا الناس إلى حج البيت والطواف به والصلاة عنده، بانتظار النبي الموعود منهم: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مِنَ التَّائِبِينَ وَتَهْوِ إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ. إبراهيم: ٣٧.

وقال تعالى: وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. البقرة: ١٢٧-١٢٩.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ. البقرة: ١٣٥-١٣٦. إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا.. آل عمران: ٦٨.

٤- تقدم في الفصل الأول أن النبي صلى الله عليه وسلم كان نبياً قبل آدم، فوضع الله نوره في صلب آدم، ثم ما زال ينقله من صلب طاهر إلى رحم مطهر، حتى أولده من أبويه المؤمنين الطاهرين عبد الله وآمنة عليهما السلام.

٥- تقدم قول أمير المؤمنين عليه السلام يصف النبي صلى الله عليه وآله: «ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فظيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ويعلمه محاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره». فهو نص على أنه صلى الله عليه وآله كان نبياً من فطامه على الأقل، وأن كبيراً من الملائكة كان معه ينوّه ويعلمه، ثم بعث في الأربعين رسولاً.

٦- قال الإمام الباقر عليه السلام في الرسول والنبي والمحدث «الكافي: ١٧٦/١»: «الرسول الذي يأتيه جبرئيل قُبلاً «مواجهة» فيراه ويكلمه فهذا الرسول، وأما النبي فهو الذي يرى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام ونحو ما كان رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من أسباب النبوة قبل الوحي، حتى أتاه جبرئيل عليه السلام من عند الله بالرسالة. وكان محمد صلى الله عليه وآله حين جمع له النبوة وجاءته الرسالة من عند الله يجيؤه بها جبرئيل ويكلمه بها قُبلاً. ومن الأنبياء عليهم السلام من جمع له النبوة ويرى في منامه ويأتيه الروح ويكلمه ويحدثه، من غير أن يكون يرى في اليقظة. وأما المحدث فهو الذي يُحدّث فيسمع، ولا يُعاین، ولا يرى في منامه».

٧- نصت أحاديث أهل البيت عليهم السلام على أن جبرئيل جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله عندما كان في سن السابعة والثلاثين، وأخبره أنه سيكون رسولاً، وعلمه الوضوء والصلاة وأن خديجة وعلياً عليهما السلام صدقاه، وكانا يصليان معه.

ففي إعلام الوري: ١٠٢/١: «ذكر مبدأ المبعث: ذكر علي بن إبراهيم بن هاشم، وهو من أجل رواة أصحابنا في كتابه: أن النبي صلى الله عليه وآله لما أتى له سبع وثلاثون سنة كان يرى في نومه كأن آتياً أتاه فيقول: يا رسول الله، فينكر ذلك، فلما طال عليه الأمر وكان بين الجبال يرعى غنماً لأبي طالب، فنظر إلى شخص يقول له: يا رسول الله. فقال له: من أنت؟ قال: جبرئيل أرسلني الله إليك ليتخذك رسولاً، فأخبر رسول الله خديجة بذلك، وكانت خديجة قد انتهى إليها خبر اليهودي، وخبر بحيراء، وما حدثت به آمنة أمه، فقالت: يا محمد إني لأرجو أن تكون كذلك. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يكتب ذلك، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام وأنزل عليه ماء من السماء فقال: يا محمد قم توضأ للصلاة، فعلمه جبرئيل الوضوء على الوجه



واليدنين من المرفق ومسح الرأس والرجلين إلى الكعبين، وعلمه السجود والركوع. فلما تم له أربعون سنة أمره بالصلاة وعلمه حدودها، ولم ينزل عليه أوقاتها، فكان رسول الله يصلي ركعتين ركعتين في كل وقت.

وكان علي بن أبي طالب عليه السلام يألفه ويكون معه في حجته وذهابه لا يفارقه، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يصلي، فلما نظر إليه يصلي قال: يا أبا القاسم ما هذا؟ قال: هذه الصلاة التي أمرني الله بها، فدعاه إلى الإسلام فأسلم وصلى معه وأسلمت خديجة، فكان لا يصلي إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وخديجة خلفه.

فلما أتى لذلك أيام دخل أبو طالب إلى منزل رسول الله ومع جعفر، فنظر إلى رسول الله وعلي بجنبه يصليان، فقال لجعفر: يا جعفر صل جناح ابن عمك فوق جعفر بن أبي طالب من الجانب الآخر، فلما وقف جعفر على يساره بدر رسول الله صلى الله عليه وآله من بينهما وتقدم». وفي المناقب: ٤١٦: «وأنشأ أبو طالب في ذلك يقول:

إن علياً وجعفرأ ثقتي      عند مُلِمِّ الزمان والكُربِ  
والله لا أخذل النبي ولا      يخذله من بَيِّ ذو حسب  
لاتخذلا وانصرا ابن عمكما      أخي لأمي من بينهم وأبي»

وفي فوائد أبي الفتح الكراجكي رحمته الله ١١٦: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله في ابتداء طروق الوحي إليه كلما هتف به هاتف، أو سمع من حوله رجفة راجف، أو رأى رؤياً أو سمع كلاماً، يخبر بذلك خديجة وعلياً عليهما السلام ويستسرهما هذه الحال، فكانت خديجة تثبته وتصبره، وكان علي يهنيه ويبشره ويقول له: والله يا ابن العم ما كذب عبد المطلب فيك، ولقد صدقت الكهان فيما نسبته إليك.

ولم يزل كذلك إلى أن أمر بالتبليغ، فكان أول من آمن به من النساء خديجة عليها السلام، ومن الذكور أمير المؤمنين علي عليه السلام.

٨- وفي أمالي الطوسي/ ٢٦٠: «عبد الله بن نجدي قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يصلي معه أحد من الناس ثلاث سنين». ورواه الشريف المرتضى في الفصول المختارة/ ٢٦١، وروى عن معاذة العدوية قالت: «سمعت

علياً عليه السلام يخطب على منبر البصرة، فسمعته يقول: أنا الصديق الأكبر، آمنت قبل أن يؤمن أبوبكر، وأسلمت قبل أن يسلم. وعن أبي البخترى قال عليه السلام: صليت قبل الناس سبع سنين».

### ٢. وروى الجميع أنه صلى وعلياً سبعاً قبل الناس

روت مصادر الشيعة والسنة بسند صحيح، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو وخديجة وعلي سبع سنين قبل الناس. والظاهر أنه يقصد أربع سنوات قبل الرسالة، وثلاث سنوات بعدها، حتى أمره الله بالدعوة العامة.

روى الخطيب في المتفق: ١٤١/٣ عن أبي أيوب: «قال عليه السلام: صلت الملائكة عليّ وعلى علي سبع سنين، وذلك أنه لم يصل معي أحد قبله». وفي تاريخ دمشق: ٣٩/٤٢: «ولم ترفع شهادة أن لا إله إلا الله من الأرض إلى السماء، إلا مني ومن علي». كما رووا قول علي عليه السلام صليت قبل الناس بسبع سنين، وطرقه تصل إلى حد التواتر فمن مصادرنا: رواه في الخصال: ٤٠١: «أنا عبدالله وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقوها بعدي إلا كذاب، صليت قبل الناس بسبع سنين».

وفي روضة الواعظين/ ٨٥: «اللهم إني لا أعلم أحداً أسلم قبلي من هذه الأمة غير نبيها، صليت قبل أن يصلي أحد سبعاً... بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الإثنين وأسلمت يوم الثلاثاء. عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة سبع سنين، إن أول صلاة ركعنا فيها صلاة العصر، قلت يا رسول الله: ما هذا؟ قال: أمرت به». وفي أسالي الطوسي/ ٣٤١، عن الإمام الرضا عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إني لأعرف حجراً كان يسلم عليّ بمكة قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن».

وفي كشف اليقين/ ١٦٧: «ومن كتاب مسند أحمد بن حنبل، عن عبدالله بن عباس قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: أنا عبدالله وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقوها غيري إلا كاذب مفتر، ولقد صليت قبل الناس بسبع سنين. ومن مسند أحمد: عن ابن أبي ليلى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الصديقون ثلاثة:

حبيب النجار مؤمن آل ياسين الذي قال: يَا قَوْمِ أَتَيْتُمَا الْمُتَسَلِّمِينَ . وحز قيل مؤمن آل فرعون الذي قال: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ. وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم». والفصول المختارة: ٢٦٠/٢، الغدير: ٣١٤/٢ و١٢١/٣ والصحيح من السيرة: ٤٥٠/٤. ومن مصادر غيرنا: ابن ماجة: ٤٤٨/١، المحاكم: ١١١/٣ وصحاحه. ومجمع الزوائد: ١٠٢/٩، بعدة روايات، ابن أبي شيبة: ٤٩٨/٧، الضحاك في الأحاد والمثاني: ١٤٨/١، النسائي: ١٠٦/٥، الثعلبي في تفسيره: ٨٥/٥، الطبري في الرياض النضرة: ٢٠٩/٢ وابن أبي عاصم في السنة/ ٥٨٤.

وفي سنن النسائي: ١٠٧/٥: «ما أعرّف أحداً من هذه الأمة بعد نبينا -مباشرة- غيري، عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة بسبع سنين». وقال في شرح النهج: ٢٠٠/١٣: «أنا الصديق الأكبر، وأنا الفاروق الأول، أسلمت قبل إسلام أبي بكر، وصليت قبل صلاته بسبع سنين. كأنه ﷺ لم يرتض أن يذكر عمر، ولا رآه أهلاً للمقايسة بينه وبينه، وذلك لأن إسلام عمر كان متأخراً!» أقول: كان نزول جبرئيل ﷺ على رسول الله ﷺ متعدداً قبل الأربعين، إلى أن نزل بالقرآن في الأربعين، وكان ﷺ يخبر علياً وخدمته ﷺ ويدعوهما إلى الإيمان بعد نزول جبرئيل ﷺ. وفي المرة الأخيرة في غار حراء كان علي وخدمته معه ﷺ كما روى ذلك السنة والشعبة، ودعاها أيضاً بعده فأمنا.

#### ٤. وروى الجميع ما يدل على نبوته ﷺ قبل رسالته!

ففي دلائل النبوة للبيهقي: ١٧/٢ و٤٢٤ ومسلم: ٥٨/٧: «عن علي رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ بمكة فخرج في بعض نواحيها، فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال له: السلام عليك يا رسول الله... قال رسول الله: إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن». وفي فيض القدير: ٢٥/٣: «قيل هو الحجر الأسود، وقيل البارز بزقاق المرفق، وعليه أهل مكة سلفاً وخلفاً». وأضافت رواية الترمذي: ٢٥٣/٥ وغيره: كان يسلم عليّ ليالي بعثت. ويبدو أنها زيادة من الراوي.

## ٥. زعموا أن إسرائيل نزل عليه قبل جبرئيل

اهتم رواة السلطة بأمرين جعلوهما أصليين في البعثة، وأخضعوا لهما ما روي!  
الأول: أن نبوته ورسالته ﷺ كانتا معاً، وأنه قبل الأربعين كان شخصاً عادياً!  
وافتروا عليه بأنه كان يذبح للأصنام، ويأكل مما ذُبح لها!

وغاية ما رووه أنه ﷺ كان يتعبد قبيل البعثة في حراء، ويرى الرؤيا الصادقة!  
والثاني: جعلوا حديث عائشة في البخاري عن بدء الوحي، وحيّاً منزلاً، بكل  
ما فيه من عنف جبرئيل ﷺ وعدم منطقيته، وغطه وعكه النبي ﷺ أي ضربه  
إياه حتى كاد يخنقه، ثم تركه مذعوراً خائفاً شاكاً في نبوته! فعاد النبي ﷺ إلى  
بيته وهو يرتجف وشكى إلى زوجته فأخذته إلى قسيس من أقاربها، فامتحنه  
وطمأنه بأنه نبي! ثم زعمت الرواية أن الوحي انقطع عنه فعاد اليه الشك،  
وحاول أن يتحرر مراراً من خوف الفضيحة، لكن جبرئيل منعه!

وقد أعرضوا عن آيات القرآن وأنه رآه في أفق ميين، لأنها تخالف حديث  
عائشة، وأعرضوا عن أحاديث صلاة النبي ﷺ وعلي ﷺ قبل الناس سبع سنين  
وثلاث سنين، مع أنها عندهم صحيحة، لأنها تعارض رواية عائشة!  
ثم اخترعوا أن النبي ﷺ كان في الأربعين، وكان ينزل عليه إسرائيل ﷺ ثلاث  
سنين، قبل أن ينزل جبرئيل ﷺ!

قال ابن كثير في سيرته: ٣٨٨/١: «قال الإمام أحمد... عن عامر الشعبي، أن  
رسول الله نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن نبوته إسرائيل ثلاث  
سنين، فكان يعلمه الكلمة والشئ ولم ينزل القرآن، فلما مضت ثلاث سنين قرن  
بنبوته جبريل فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة، عشراً بمكة وعشرراً بالمدينة،  
فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة.

فهذا إسناد صحيح إلى الشعبي... وحديث عائشة لا ينافي هذا فإنه يجوز أن  
يكون أول أمره الرؤيا، ثم وكل به إسرائيل فحكّت عائشة ما جرى له مع  
جبريل ولم تحك ما جرى له مع إسرائيل، اختصاراً للحديث، أو لم تكن وقفت

على قصة إسرائيل». والإتقان: ١٢٨/١، الإستيعاب: ٣٦/١، الدر المنثور ٣٠٢/٣ وعمدة القاري: ٤٠/١ وغيرها.

فقبلوا كلام عامر الشعبي غير المسند لأنه ينسجم مع رواية عائشة! وافترض الماوردي من عند نفسه: «ستة أحوال نُقلَ فيهن إلى منزلة بعد منزلة حتى بلغ غايتها» فعقد في أعلام النبوة/٣٠٨، فصلاً بعنوان: «تَدْرُجُهُ ﷺ في أحوال النبوة» لكنه جعلها كلها مراحل للخروج من شكه بنبوته إلى اليقين! قال: «تدرجت إليه أحواله في النبوة حتى علم أنه نبي مبعوث ورسول مبلغ!» وهو ككلام الشعبي تخيلٌ بلا دليل!

أما سبب اختيارهم لإسرافيل وميكائيل بدل جبرئيل ﷺ «عبدالرزاق: ٥٩٩/٣» فمن أجل إرضاء اليهود الذين يعادون جبرئيل ﷺ، لأنه نزل بعذابهم! روى ابن حجر في العجائب: ٢٩٢/١ عن عمر، أن اليهود قالوا له: «يا ابن الخطاب ما أحد أحب إلينا منك إنك تأتينا وتغشانا». قالوا عدونا جبريل وسلمنا ميكائيل! ثم روى أن اليهود قالوا: «لو أن ميكائيل الذي ينزل عليكم اتبعناكم، فإنه ينزل بالرحمة والغيث، وإن جبريل ينزل بالنقمة والعذاب، وهو لنا عدو!»



## الفصل الحادي عشر

### كيف بدأت بعثة النبي ﷺ

#### ١. رواية أهل البيت عليهم السلام عن البعثة وابتداء الوحي

كان النبي ﷺ يعتكف لعبادة ربه عز وجل في جبل حراء في ضاحية مكة، وهو محل اعتكاف أجداده الطاهرين عليهم السلام، وله قمتان متصلتان بقمته الدنيا وفيها غار حراء، والعليا لا يمكن صعودها مشياً، وفيها لون أبيض يميز الجبل.

ويمتاز غار حراء بأن المصلي فيه يرى الكعبة، مع أنها في واديين جبال، لأنه أعلى من الجبال التي حولها، فكأنه مخلوقٌ للعبادة مع استقبال الكعبة ومشاهدتها!  
ويسمى المعتكف في جبل حراء مُتَحَنِّفًا أي عابداً لله على ملة إبراهيم الحنيفة، والحنيف المائل إلى الخير، ويقابله الجنيف المائل إلى الشر.

وقال بعضهم يتحنت بالثاء، لكن اللغويين قالوا: «لا أعرف يتحنت إنها هو يتحنف من الحنيفة دين إبراهيم عليه السلام». عمدة القاري: ٤٩/١.

ويعتزل المعتكف الناس شهراً أو أياماً، يعبد الله تعالى ويتأمل في آلائه. وكان عبد المطلب عليه السلام يعتكف بحراء، وكان نبيناً عليه السلام يعتكف شهراً في السنة، ويعود إلى مكة فلا يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة.

قال في فتح الباري: ٢١٣/١٢: «مما بقي عندهم من أمور الشرع على سنن الإعتكاف... إنها لم ينازعوها النبي ﷺ في غار حراء مع مزيد الفضل فيه على غيره، لأن جده عبد المطلب أول من

كان يخلو فيه من قريش، وكانوا يعظمونه لجلالته وكبر سنه، فقبه على ذلك من كان يتأله، فكان ﷺ يخلو بمكان جده وسلّم له ذلك أعمامه».

وروي أن إبراهيم عليه السلام بنى الكعبة من أربعة جبال، ففي تاريخ دمشق: ٣٤٨/٢: «فلما كان إبراهيم أراه الله تعالى مكانة البيت، فأتبع منه أثراً قديماً، فبناه من طور زيتا، وطور سينا، ومن جبل لبنان، ومن أحد، وجعل قواعده من حراء».

وأقسم أبو طالب عليه السلام بالمتعبدين بحراء والزائرين له، فقال في لاميته:

ولما رأيت القوم لا ودّ فيهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل  
أعوذ برب الناس من كل طاعن علينا بسوء أو ملجّح بباطل  
وشور ومن أرسى ثبيراً مكانه وراق ليرقى في حراء ونازل  
وبالبيت حق البيت من بطن مكة وبالله إن الله ليس بغافل

سيرة ابن هشام: ١٥٤/١ و١٧٦

وأوضح نص في بدء بعثته ﷺ ما قاله علي عليه السلام في أطول خطبه التي تسمى القاصعة:  
«ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة. ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال هذا الشيطان أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي، ولكنك وزير، وإنك لعلّ خير». نهج البلاغة: ١٥٧/٢ ومصادر نهج البلاغة: ٢٣/٣.  
وقوله عليه السلام: «ولقد سمعت رنة الشيطان.. يظهر أن ذلك في أول بعثته ﷺ أيام اعتكافه وأن علياً عليه السلام كان حاضراً معه كما روي، وقد يكون ذلك في مرة أخرى بعدها.  
قال الجاحظ في العثمانية: ٣٠٥: «فجاور في حراء في شهر رمضان، ومعه أهله وخديجة، وعلي بن أبي طالب، وخادم».

وفي السيرة الحلبية: ٣٨٣/١: «كان يخرج لجواره ومعه أهله، أي عياله التي هي خديجة، إما مع أولادها أو بدونهم».  
وفي دلائل البيهقي: ١٤/٢ وإمتاع الأسعاع: ٢٤/٣: «وخرج معه بأهله».

لكن بعضهم تعمد تغيب علي عليه السلام حتى عن أخذ الزاد له! قال البخاري: ٦٧/٨:  
«ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها».

ومعنى رنة إبليس: صوت حزنه ورعبه. وروى أنه: «رَنَّ أربع رنات: يوم لعن  
ويوم أهبط إلى الأرض، ويوم بعث النبي صلى الله عليه وآله، ويوم الغدير». قرب الإسناد: ٩.

وأضاف لها في الخصال/٢٦٣: «وحين أنزلت أم الكتاب».

وفي الطبراني الكبير: ٩/١٢: «لما افتتح النبي صلى الله عليه وآله مكة رَنَّ إبليس».

وفي شرح النهج: ٢٠٩/١٣ عن علي عليه السلام، أن الشيطان رَنَّ: «صبيحة الليلة التي  
أسري فيها بالنبي صلى الله عليه وآله وهو بالحجر، ولما بابعه الأنصار ليلة العقبة».

وقال أهل البيت عليهم السلام إن الوحي بدأ في أفق مبين، لا لبس فيه ولا خوف،  
واستمر كذلك تصديقاً لقوله تعالى: وَلَقَدْ رَأَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ. وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ.

ففي تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ١٥٥: «وأما تسليم الجبال والصخور  
والأحجار عليه، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لما ترك التجارة إلى الشام، وتصدق بكل ما

رزقه الله تعالى من تلك التجارات، كان يغدو كل يوم إلى حراء يصعده، وينظر  
من قلله إلى آثار رحمة الله عز وجل، وأنواع عجائب رحمته وبدائع حكمته، وينظر

إلى أكناف السماء وأقطار الأرض، والبحار والمفاوز والفيافي، فيعتبر بتلك  
الأثار، ويتذكر بتلك الآيات ويعبد الله حق عبادته.

فلما استكمل أربعين سنة، نظر الله عز وجل إلى قلبه فوجده أفضل القلوب،  
وأجلها وأطوعها وأخشعها وأخضعها، فأذن لأبواب السماء ففتحت،

ومحمد صلى الله عليه وآله ينظر إليها، وأذن للملائكة فنزلوا ومحمد صلى الله عليه وآله ينظر إليهم، وأمر  
بالرحمة فأنزلت عليه من لدن ساق العرش إلى رأس محمد صلى الله عليه وآله وغمرته، ونظر إلى

جبرئيل الروح الأمين المطوق بالنور، وطاووس الملائكة هبط إليه وأخذ بضبعه  
وهزه، وقال: يا محمد اقرأ. قال: وما أقرأ؟ قال: يا محمد: **إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ.**

**خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْبَرُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ.**  
ثم أوحى إليه ربه عز وجل ما أوحى إليه، ثم صعد جبرئيل إلى العلو.



ونزل محمد ﷺ من الجبل وقد غشيه من تعظيم جلال الله، وورد عليه من كبير شأنه ما ركب به الحمى والنافض، وقد اشتد عليه ما يخافه من تكذيب قريش في خبره، ونسبتهم إياه إلى الجنون، وأنه يعتره شيطان، وكان من أول أمره أعقل خليقة الله وأكرم براياه، وأبغض الأشياء إليه الشيطان وأفعال المجانين وأقوالهم.

فأراد الله عز وجل أن يشرح صدره ويشجع قلبه، فأنطق الجبال والصخور والمدر، وكلما وصل إلى شئ منها ناداه: السلام عليك يا محمد، السلام عليك يا ولي الله، السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا حبيب الله، أبشر فإن الله عز وجل قد فضلك وجَمَلَك وزَيَّنَك وأكرمك، فوق الخلائق أجمعين من الأولين والآخرين. لا يحزنك قول قريش: إنك مجنون وعن الدين مفتون، فإن الفاضل من فضله رب العالمين، والكريم من كرمه خالق الخلق أجمعين، فلا يضيقن صدرك من تكذيب قريش وعتاة العرب لك، فسوف يبلغك ربك أقصى منتهى الكرامات، ويرفعك إلى أرفع الدرجات».

وهذا وأمثاله أحاديث صريحة في أن بعثة النبي ﷺ كانت في أفق مبين، وبصيرة ويقين، فلا رعب فيها ولا غط، ولا ريب ولا شك، ولا ورقة بن نوفل، ولا عداساً، ولا نسطوراً، ولا شكاً في النبوة وذهاباً إلى الجبل للإنتحار! فكل ذلك مكذوبات من المشركين، وإن قبلتها عائشة ومن صدقها!

فانظر إلى هذه الصورة الرائعة المنسجمة مع القرآن والعقل وأفعال الله تعالى الحكيمة، وقارنها بالأساطير التي سطرها الكتب، التي عظموها وعصموها! كما تدل على أن الصلاة كانت قياماً وسجوداً بلا ركوع، ثم أمر الله بالركوع، ثم فرضت على المسلمين بصيغتها الفعلية في المعراج، في السنة الثانية.

## ٢. طامات عائشة التي تبنتها السلطة

قالت عائشة: إن الوحي بدأ في جَوْ عفيف مبهم، بعكس قول أهل البيت ﷺ! وقد افتتح البخاري صحيحه بروايتها وكررها في كتابه أربع مرات! ولا يمكننا قبولها لأنها

تخالف القرآن والعقل، وتقول إن النبي ﷺ كان شاكراً في نبوته! وأنه أمره بأمر غير معقول، ثم اعتدى عليه الملاك وغطه بعنف وخنقه وكاد أن يقتله!

قال بخاري في صحيحه: ٦٧/٨: «عن عائشة أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤياً إلا جاءت مثل فلق الصبح، فكان يأتي حِراءَ فيتحنَّث فيه، وهو التبعذ الليلي ذوات العدد ویتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ، فقال له النبي ﷺ: ما أنا بقارئ، قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد! ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ! فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد! ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ! فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد! ثم أرسلني فقال: اقرأ باسم ربك! ثم أرسلني فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق.. حتى بلغ ما لم يعلم.

فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة مالي؟! وأخبرها الخبر وقال: قد خشيت على نفسي! فقالت له: كلا، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة أخو أبيها، وكان امرءاً تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبري فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: أي ابن عم إسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره النبي ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً أكون حياً حين يخرجك قومك؟ فقال رسول الله: أو محرجي هم؟ فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بها جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزراً، ثم لم ينشب ورقه أن توفي! وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ فيسما بلغنا حزناً غداً منه مراراً كي

يتردى من رؤس شواحق الجبال! فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه! تبدى له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جأشه وتقرُّ نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غداً لمثل ذلك! فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك!»!

قال النووي: ١٩٩/٣ والعيني: ٥٠/١: «غطه وغطه وعصره وخنقه وغمزه، كله بمعنى واحد!» راجع كتابنا: ألف سؤال وإشكال: ١٨٠/٢ - مسألة: ١٤٠.

### ٣. الموقف الشرعي من رواية عائشة

١- أيها نصدق: قول الله تعالى: وَلَقَدْ رَأَىٰ بِالْأَفْقِ الشَّيْبَانَ، أم قول عائشة إنه رآه في أفق قرعب وشك مريب، فاحتاج إلى نصراني ليهدي من رعبه وشكه؟!!

٢- وكيف نصدق الغط والخنق، وأن النبي ﷺ لم يعرف جبرئيل ولا فهم كلامه! فعاد إلى مكة مرعوباً شاكياً إلى زوجته ﷺ، فطمأنته، لكنه بقي شاكياً فأخذته إلى طيب هو القسيس ورقة بن نوفل وعرضته عليه، كما تأخذ المرأة زوجها إلى فوال، فطمأنها بأنة نبي فاطمأنت!

لكن الوحي انقطع عنه فعاد إليه شكه وإحباطه، فقرر أن يتحرر، وذهب مراراً لينفذ قراره من فوق الجبل! لكن جبرئيل جاءه من بعيد، ومنعه من الإنتحار، لكنه عاود محاولات الإنتحار مراراً!

فأين هذا من قوله تعالى: قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي. وقوله تعالى: إِنِّي لَإِيحَافُ لَدَيْ الْمُرْسَلِينَ. وما هذا الرعب، والشك، وقرار الإنتحار!

٣- بشرت الأنبياء ﷺ بنبينا ﷺ، وتواترت الأخبار بأن اليهود والنصارى وأسرته عرفوا نبوته! فكيف لم يعرفها هو حتى بعد نزول الوحي عليه؟!!

٤- روينا «الكافي ٣٧٤/٥» عن الإمام الصادق ﷺ أن أبا طالب تكلم في خطبة خديجة ﷺ ولما أراد ورقة أن يتكلم: «تلجلج وقصُر عن جواب أبي طالب وأدركه القطع والبهر!» فأين شخصية ورقة الضعيفة مما زعمته له رواية عائشة.

٥- ألا يكفي لرد هذه الرواية ما صححوه من أن النبي ﷺ عبد الله مع عليٍّ سبع سنين قبل بعثته، وأنه كان نبياً وآدم بين الروح والجسد! مجمع الزوائد: ٢٢٣/٨، أحمد: ٦٦/٤، ٥٩/٥، ٣٧٩، الحاكم: ٦٠٩/٢، ابن شيبه: ٤٣٨/٨، الطبراني الأوسط: ٢٧٢٧/٤، الكبير: ٧٣/١٢، أحاد الضحاك: ٣٤٧/٥، الدر المنثور: ١٨٤/٥، العجلوني: ١٢٩/٢، ١٣٢، الأهودي: ٥٦/١٠، المعني: ١٢٤/٣ فتح القدير: ٢٦٧/٤ والباقلاني: ٥٨/.

٦- الوضع المنطقي لجبرئيل عليه السلام لما نزل على رسول الله ﷺ: أن يسلم عليه ويعرفه أنه رسول ربه عز وجل إليه، وأنه اختاره رسولاً وأنه سينزل عليه قرآناً، ثم يشرح له مهمته. وأن يكون ذلك في جو اطمئنان ويقين وخشوع، كما نصت رواية أهل البيت عليه السلام، وليس بالتعامل الخشن الذي نسبوه إلى الله تعالى، والذي يشبه أكاذيب اليهود عن عنف ربهم مع أنبيائه عليه السلام! العنف الذي يشبه روايات كهان العرب المصابين بالعُصاب عندما يأتيهم جنُّهم!

٧- كيف يأمره جبرئيل عليه السلام بأن يقرأ ولا يفسر له ما يقرأ؟ وهل رأيت عاقلاً يأمر أحداً بأمر لا يفهمه ولا يفسره له، بل يضره ويخنقه إن لم يفعل؟!

٨- وكل هذه الطامات في كفة، وعزم النبي ﷺ على أن يتحرر في كفة! فكيف يقبلون هذه الفرية على النبي ﷺ كقوله وحاشاه: «لا تتحدث بهذا قريش عني أبداً! فلا عمدنَّ إلى حالق من الجبل، ولأطرحن نفسي منه فلاقتلنها ولأستريحن! فما زلت واقفاً ما أتقدم أمامي ولا أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي، فبلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك، ثم انصرف عني فانصرفت راجعاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذهام مضيئاً إليها فقالت: يا أبا القاسم أين كنت، فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلي». إلى آخر هذه الخرافة التي تبنتها عائشة فحيرت فيها أتباعها!

٩- كان تبنيهم لهذه الرواية سبباً لافتراء أعداء الإسلام على النبي ﷺ بأنه كان يشك في نبوته، وإن القسيس ورقة بعثه نبياً، وليس الله تعالى!

١٠ - حاولوا أن ينفوا أن النبي ﷺ قرر الإنتحار، فوجدوا في حديث البخاري عبارة: «حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزناً غداً منه مراراً كي يتردى» فقالوا إن قوله: فيما بلغنا، قول الزهري وليس قول عائشة! فتح الباري: ٣١٦/١٢.

فجعلوه في رقة إمامهم الزهري، لينقذوا إمامتهم عائشة! لكن ابن مردويه رواه قطعة واحدة عن عائشة بدون «فيما بلغنا» كما شهد ابن حجر! ثم ذكر ابن حجر/١١٨، روايات أخرى في أن النبي ﷺ ذهب لينتحر! راجع الطبقات: ١٩٦/١، الطبري: ٤٧/٢، تفسيره: ٣٠ / ٣١٧، تفسير الصنعاني: ٣٢٧/٣ وابن كثير: ٢٦٥/٤.

لقد افتضحوا فنسبوا إلى نبيهم ﷺ ما لا يقبلون نسبه إلى أنفسهم وأثمهم! ونسبوا إلى ربهم أنه ظالمٌ يبعث إلى نبيه بأسلوب مبهم مرعب! فتعالى عما يصفون! وأخيراً يتضح لك خطأ قولها: «وكان يكتب الكتاب العبري فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب». والإنجيل لم يكن بالعبرية، بل بالسريانية.

#### ٤. رووا نحو ما روينا، وأعرضوا عنه لأجل عائشة!

ففي دلائل البيهقي: ١٦٠/٢ عن محمد بن إسحاق، قال: «وكانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدق بها جاء به، ثم إن جبريل أتى رسول الله ﷺ حين افترضت عليه الصلاة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت له عين من ماء مزن، فتوضأ جبريل ومحمد، ثم صليا ركعتين وسجداً أربع سجعات، ثم رجع النبي قد أقر الله عينه وطابت نفسه وجاءه ما يجب من الله، فأخذ بيد خديجة حتى أتى بها العين فتوضأ كما توضأ جبريل، ثم ركع ركعتين وأربع سجعات هو وخديجة، ثم كان هو وخديجة يصليان سرّاً.

قال ابن إسحاق: ثم إن علي بن أبي طالب جاء بعد ذلك بيوم فوجدهما يصليان فقال علي: ما هذا يا محمد؟ فقال رسول الله: دين الله الذي اصطفى لنفسه وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له وإلى عبادته وكفر باللات والعزى! فقال علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض أمراً حتى أحدث به أباطال. وكره

رسول الله أن يفشي عليه سره قبل أن يستعلن أمره، فقال له: يا علي إذا لم تُسلم فإتكم، فمكث علي تلك الليلة.

ثم إن الله تبارك وتعالى أوقع في قلب علي الإسلام فأصبح غادياً إلى رسول الله حتى جاءه فقال: ماذا عرضت عليّ يا محمد؟ فقال له رسول الله: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى وتبرأ من الأنداد، ففعل عليّ وأسلم. فمكث علي يأتيه على خوف من أبي طالب، وكنتم علي إسلامه ولم يظهره. وأسلم ابن حارثة، فمكثا قريباً من شهر يختلف علي إلى رسول الله ﷺ. وكان مما أنعم الله على علي أنه كان في حجر رسول الله قبل الإسلام». وتاريخ الذهبي: ١٣٥/١، أسد الغابة: ١٦/٤، سيرة ابن كثير: ٤٢٨/١، وسبل الهدى: ٣٠٠/٢.

وهذه تؤيد رواية أهل البيت عليهم السلام، وتبطل رواية عائشة! وروى شبيباً بها القرطبي: ٨٧/١٧، وتنوير الحوالك: ١٧/١٦ وفيه: «فرفعت رأسي فإذا جبريل صافاً قدميه بين السماء والأرض يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل، فجعلت لا أصرف بصري إلى ناحية إلا رأيتَه كذلك!»  
لكنهم لا يحبون هذه الأحاديث، لأنها تكذب العنف والغط والخنق! فقد أشربوا في قلوبهم تصديق هذه التخيلات الإسرائيلية وعُصَاب الكُفَّان!  
ثم ضخموا فترة انقطاع الوحي، لتتوافق مع هذه التخيلات!



## الفصل الثاني عشر

### المرحلة الأولى دعوة بني هاشم خاصة

#### ١. نزل خبر بعثة النبي ﷺ كالصاعقة على زعماء قريش!

انتشر في مكة خبر أن محمداً أعلن نبوته، فكان كالصاعقة على زعماء قريش لأن برأيهم حركة من بني هاشم لفرض رئاستهم على قريش والعرب، وانقلاباً على صيغة التوافق في تقسيم مناصب الشرف، وهي: رئاسة قريش، ورايتها، وسقاية الحجاج ورفادتهم! وتركزت أنظارهم على أبي طالب شيخ بني هاشم، لمعرفة موقفه، وهو صاحب شخصية قوية، وكان يومها في نحو الخامسة والسبعين، لأنه توفي قبيل الهجرة وعمره سبع وثمانون. الطبقات: ١٢٤/١.

وزاد من تخوفهم أنهم سمعوا من اليهود ومن عبد المطلب أن نبياً سيبعث من ذريته، وكان يتوقع أن يكون حفيده محمداً، وأوصى به إلى أبي طالب وشدد عليه الوصية بحفظه وإكرامه، فرباه أبو طالب وآثره على أولاده. وقد اشتهر حب أبي طالب له، وتغنى في شعره بفضلته وآياته، وشهادة بحيرا الراهب بأنه نبي.

ويبدو أن علياً عليه السلام أخبر أباه بأن الملاك نزل على محمد ﷺ فذهب أبو طالب إلى بيت النبي وسأله: «يا ابن أخي، الله أرسلك؟ قال: نعم. قال: فأرني آية. قال: أدع لي تلك الشجرة، فدعاها فأقبلت حتى سجدت بين يديه ثم انصرفت. فقال أبو طالب: أشهد أنك صادق، يا علي صل جناح ابن عمك». أمالي الصدوق/٧١١.

وحرص زعماء قريش على معرفة حقيقة موقف أبي طالب، وتخوفوا لما بلغهم أن النبي ﷺ أمره ربه أن يدعو عشيرته الأقربين فدعا بني هاشم، وأخبرهم أن الله بعثه اليهم خاصة ثم إلى الناس عامة، وأمره أن يتخذ منهم من يبايعه على نصرته أماً ووزيراً ووصياً وخليفة، فاستجاب له الفتى علي بن أبي طالب، فأعلنه أخاه ووزيره وخليفته، وأمر بني هاشم بطاعته! وكان ذلك نبأ عظيماً على زعماء قريش كما وصفه الله تعالى في سورة النبأ، حيث اعتبروا أن بني هاشم أعلنوا مشروعهم في النبوة، وقرروا حماية محمد، وقد اتخذ وزيراً ووصياً له منهم.

لقد قرر زعماء قريش بالإجماع قتل محمد لأن عمله خيانة عظمى، فيجب على عمه أن يسلمه اليهم ليقتلوه!

ولم يتضمن قرارهم أن يسألوه عن دليله أو معجزته! فلا يهمهم أن يكون عنده ذلك أو لا يكون! لأن مجرد ادعائه النبوة مؤامرة على بقية القبائل!

وكان قرارهم غريباً فيه جلافة البداوة وخباثة اليهود! لكن الشيطان زين لهم فذهبوا إلى أبي طالب وطلبوا منه تسليم ابن أخيه لهم ليقتلوه!

فغضب أبو طالب وأعلن حمايته له وحذرهم إن مسّوا منه شعرة! فسكتوا لأنهم يعرفون شجاعة بني هاشم، وأنهم لا يسلمونهم محمداً إلا بحرب!

لكنهم لم يتراجعوا فقاموا بشن حملات افتراء وسخرية من النبي ﷺ وقرآنه ووصيه الذي اختاره، فكانوا يقولون: «هذا صفي محمد من بين أهله، ويتغامزون بعلي بن أبي طالب». «المناقب: ٨/٣». وأخذوا يعملون لاغتياله ﷺ ويرصدون من يستجيب لدعوته! وفي المقابل قام أبو طالب ﷺ بتوحيد بني هاشم لحمايته ﷺ، وجعل حول النبي ﷺ ثلاث حلقات أمنية كما يدل حديث إسلام أبي ذر بن جهم، فعندما طلب اللقاء بالنبي ﷺ حقق معه أبو طالب ﷺ وواعده اليوم الثاني، وفي اليوم الثاني أخذه إلى حمزة، فحقق معه وسلمه إلى جعفر بن أبي طالب، فحقق معه جعفر وسلمه إلى علي بن أبي طالب، فحقق معه، ثم أدخله على النبي ﷺ!



## ٢. استمرت العاصفة ثلاث سنين حتى أهلك الله المستهزئين

استمرت هذه المرحلة الصعبة الخطرة ثلاث سنين، حتى أراح الله من طريق رسوله ﷺ عناة المستهزئين في يوم واحد، وأمره أن يصدع بالدعوة.

فقد قال الإمام الباقر عليه السلام كمال الدين/٣٢٨: «ما أجاب رسول الله ﷺ أحدٌ قبل علي بن أبي طالب وخديجة رضي الله عنها، ولقد مكث رسول الله ﷺ بمكة ثلاث سنين مختفياً خائفاً يترقب، ويخاف قومه والناس».

وفي تفسير القمي: ٣٧٧/٨: «فَاصْذَعَ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ» «الحجر: ٩٤-٩٥» فإنها نزلت بمكة بعد أن نُبئ رسول الله ﷺ بثلاث سنين... أنزل الله عليه: فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْمَرُ... دخل أبو طالب إلى النبي ﷺ وهو يصلي وعليه بجمعه وكان مع أبي طالب جعفر، فقال له أبو طالب: صل جناح ابن عمك، فوقف جعفر على يسار رسول الله فبدر رسول الله من بينها، فكان رسول الله ﷺ يصلي وعليه جعفر وزيد بن حارثة وخديجة يأتمون به. فلما أتى لذلك ثلاث سنين أنزل الله عليه: فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ. والمستهزؤون برسول الله ﷺ خمسة: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن طلائة الخزاعي».

وفي تفسير العياشي: ٢٥٣/٢ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إكتم رسول الله ﷺ بمكة سنين ليس يظهر، وعليه معه وخديجة. ثم أمره الله أن يصدع بها يؤمر فظهر رسول الله فجعل يعرض نفسه على قبائل العرب».

وفي سيرة ابن إسحاق: ١٢٦/٢: «ثم إن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يصدع بها جاء به، وأن ينادي الناس بأمره، وأن يدعو إلى الله تعالى، وكان ربما أخفى الشيء واستتر به، إلى أن أمر بإظهاره ثلاث سنين من مبعثه».

وفي سيرة ابن هشام: ١٦٩/١: «وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين فيما بلغني من مبعثه، ثم قال الله تعالى له: فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ».

وفي الإستيعاب لابن عبد البر: ٣٤/١: «ثم نبأه الله تعالى وهو ابن أربعين سنة، وكان أول يوم أوحى الله تعالى إليه فيه يوم الإثنين، فأمر رسول الله ﷺ أمره ثلاث سنين أو نحوها، ثم أمره الله تعالى بإظهار دينه والدعاء إليه، فأظهره بعد ثلاث سنين من مبعثه».

وروى الصدوق وغيره أن هذه المرحلة كانت خمس سنين، ففي كمال الدين ٣٤٤/١، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «اكتتم رسول الله ﷺ بمكة مختفياً خائفاً خمس سنين ليس يظهر أمره، وعلي عليه السلام معه وخديجة، ثم أمره الله عز وجل أن يصدع بما أمر به، فظهر رسول الله ﷺ وأظهر أمره». والمناقب: ١٥٠/١ ونحوه غيبة الطوسي ٣٣٢/١. وقد يكون المعنى أن اختفاءه ﷺ انتهى بعد ثلاث وصدع بدعوته علناً، ثم استمر الخوف عليه من الإغتيال خمس سنين.

فالمجمع عليه أنه ﷺ في السنين الثلاث الأولى لم يدع غير بني هاشم. ولم أجد نصاً يذكر أنه جلس في المسجد في هذه المدة، فقد هدده عتاة المستهزئين بأنه إن دعا الناس فسيفقتلونه، وأخيراً أئذروه إلى يوم معين ليعلنن تراجعهم عن نبوته ﷺ وإلا قتلوه، فكفاه الله شرهم وقتلهم، وأنزل عليه: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وبسبب ما تقدم قالت بعض الأحاديث السننية والشيعية إن سنوات البعثة في مكة عشر سنوات، فاستثنت الثلاث الأولى، لأنها خاصة ببني هاشم.

ففي الكافي: ٧/٥ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن الله عز وجل بعث رسوله ﷺ بالإسلام إلى الناس عشر سنين، فأبوا أن يقبلوا حتى أمره بالقتال. فالخير في السيف وتحت السيف. والأمر يعود كما بدأ». يقصد ظهور المهدي عليه السلام.

### ٣. الإنجازات الرسولية في هذه المرحلة

١. توالى نزول القرآن، وكان النبي ﷺ يتلوه على المسلمين، ويوصله إلى المشركين فيستهزئون به، وكانت بعض الآيات تنزل جواباً لهم.

٢. آمن له علي وخديجة عليه السلام وعمه أبو طالب وابنه جعفر وعمه حمزة ومولاه

- زيد رضي الله عنهم، وأمره الله أن يدعو عشيرته الأقربين ويتخذ منهم وصياً، ففعل.
٣. أخبر عن نبوته فشاع خبرها، واستتفرت قريش ضده، وبدأت حملتها.
٤. نهض أبو طالب عليه السلام لنصرته، وحشد معه كل بني هاشم، وشذ منهم أبو لهب، واستخفى النبي صلى الله عليه وآله من فراعنة قريش وشياطينهم.
٥. آمن له أفراد من قبائل قريش وغفار والحلفاء والعبيد، سرّاً على تخوف.
٦. كان للنبي صلى الله عليه وآله لقاءات بزعماء قريش لإقامة الحجّة عليهم، لكنها قليلة.

#### ٤. معنى السرية في المرحلة الأولى للدعوة

السرية التي يضخمونها في هذه المرحلة، إنها كانت في أسماء المسلمين الجدد الذين لا يستطيعون إعلان إسلامهم خوفاً من قريش، أو الذين أمرهم النبي صلى الله عليه وآله بإخفاء إسلامهم لمصلحة الدعوة، كأبي طالب وحمزة.

أما النبوة فلم تبق سرية لأنه خبرها انتشر من أول يوم، ومكة صغيرة: ٤٠ ألفاً. كما أن نزول القرآن كان متواصلاً والنبي صلى الله عليه وآله يتلوّه ويوصل آياته إلى قريش وغيرها. وقد نزلت في هذه السنوات سور عديدة.

قال ابن النديم في الفهرست/٢٨، والزر كشي في البرهان: ١٩٣/١: «أول ما نزل من القرآن بمكة: إقرأ باسم ربك، ثم نون، ثم والقلم، ثم يا أيها المزمل، ثم المدثر، ثم تبت يدا أبي لهب، ثم إذا الشمس كورت، ثم سبح اسم ربك الأعلى، ثم والليل إذا يغشى، ثم والفجر، ثم والضحى، ثم ألم نشرح، ثم والعشر، ثم والعاديات، ثم إنا أعطيناك الكوثر، ثم ألهاكم التكاثر، ثم رأيت الذي، ثم قل يا أيها الكافرون، ثم سورة الفيل، ثم الفلق، ثم الناس، ثم قل هو الله أحد، ثم والنجم إذا هوى، ثم عبس».

وردّت بعض السور مقولات المشركين، ووصفت عاصفتهم على النبي صلى الله عليه وآله لما بلغهم خبر نبوته! ففي سورة القلم نقرأ قوله تعالى: فَلَا تَطْعَمُ الْمُكَذِّبِينَ. وَذَوُلُو تَذْهَبُونَ. وَيَذْهَبُونَ. وَلَا تَطْعَمُ كُلَّ حَلَالٍ مَهِينٍ. هَمَّازٌ مَشَاءٌ يَنْبِئُ بِمَتَاعِ الْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَيْمٍ...

وفي سورة المزمل نقرأ: وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَنْقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا. وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ

وَمَهْلَهُمْ قَلِيلًا...

وفي سورة المائدة: دَرَبِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيدًا. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا. وَبَيْنَ شُهُودًا. وَمَهْدَتْ لَهُ تَمِيمًا. ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ. كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا. سَأَرْهَقَهُ صَعُودًا..

وفي سورة التكاوير جواب الذين قالوا إنه ﷺ مجنون: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ. مَطَّاعٌ نَدْرَ أَمِينٍ. وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ. وَقَدْ رَأَى بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ. وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ.

وفي الرسائل جواب من سخرُوا من الصلاة: وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ. وَيُلْهُؤْنَ بِأَيْمَانِهِمْ لِلْمُكَذِّبِينَ. فَبِأَيِّ حَدِيثٍ نَعَدُهُ يُؤْمِنُونَ.

وفي سورة قاف جواب تكذيبهم للنبوة: بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ. فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ.

#### ٥. آية المستهزئين تكشف تخبط رواة السلطة وكذبهم!

اتفق المفسرون والمحدثون على أن آيات: فَأَصْدَعُ بِمَا تَوْمَرُوا عَرِضَ عَنِ الشَّرِكِينَ. إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ. نزلت بعد ثلاث سنين من البعثة، فبدأ النبي ﷺ مرحلة جديدة هي مرحلة الإعلان والصدع بالدعوة لكل الناس، بعد أن أزال الله من طريقه العقبة الأساسية وأهلك المستهزئين الخمسة في يوم واحد!

فكل نص مبني على وجود أحد منهم بعد ذلك التاريخ خطأ أو مكذوب! وبه يظهر عوار عدد من نصوص رواة السلطة:

فمنها: روايتهم التي تتنافى مع الخطر الشديد والحيلة التي كان فيها النبي ﷺ في تلك الفترة، مثل إيمان أبي بكر وغيره، لأنه لو صح ذلك لرووا ردة فعل قريش كردة فعلها على إسلام أبي ذر، وخالد بن سعيد، وعمار بن ياسر والديه، وخباب بن الأرت، وغيرهم ممن أسلم في تلك الفترة!

ومنها: زعمهم أن النبي ﷺ صدع بدعوته العامة من السنة الأولى، وأنه عندما أمره الله في سورة الشعراء: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ.. صعد على الصفا ونادى

كل قريش يا آل فلان ويا آل فلان.. الخ. والصحيح أنه دعا بني هاشم فقط، وأن دعوته العامة بدأت بعد ثلاث سنين، بعد هلاك المستهزين.

ومنها: تضخيم دار الأرقم، وأن النبي ﷺ كان يلتقي فيها بالمسلمين قبل السنة الثالثة، وقد جعلوا أحداثاً وقعت بعد السنة الثالثة في دار الأرقم، ومنها سورة عبس التي ربطوها بابن أم مكتوم مع أنها نزلت قبل إسلامه!  
ومنها أن عمر جاء إلى النبي ﷺ في دار الأرقم وأعز الله به الإسلام بعد ذلته، وتكاملوا أربعين رجلاً فخرجوا يتحدثون قريشاً، فخافت قريش وسكتت!

ومنها: خطأ ما رواه بخاري: ٢٤٢/٤ من حمية العاص بن وائل لعمر عندما أسلم لأن العاص أحد المستهزين الستة الذين هلكوا في السنة الثالثة، وعمر أسلم في السنة السادسة بعد هجرة المسلمين إلى الحبشة، كما نص عليه ابن هشام: ٢٢٩/١ وغيره، قال: «كان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة».  
وكان هلاك المستهزين ومنهم العاص بن وائل، قبل ذلك بسنوات!

ومنها: أن من المتفق عليه أن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى، كان أحد المستهزين وهلك في السنة الثالثة، لكنهم رويوا أنه بكى على أولاده الذين قتلوا في بدر! قال ابن هشام: ٤٧٤/٢: «وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده: زمعة بن الأسود، وعقيل بن الأسود، والحارث بن زمعة وكان يجب أن يبكي على بنه... الخ». والطبري: ١٦١/٢، ابن كثير: ٤٨٠/٢. راجع: الصحيح: ١٧١/٣.

ومنها: تخليطهم أو كذبهم في سبب نزول السور والآيات، فتراهم يذكرون إسم أحد المستهزين الخمسة في سورة نزلت بعد سورة الحجر مع أنه هلك عند نزولها! بل ذكروا بعضهم في معركة بدر وبعدها!

لذلك وجب أن نرد روايات أسباب النزول إلا قليلاً منها كآية: **وَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ الْمُتَقَدِّمَةَ..** فقد أجمعوا على أنها نزلت في السنة الثالثة، وأن سورة صاد نزلت بعد أن صدع ﷺ بدعوته، وجاء زعماء قريش إلى أبي طالب ﷺ فدعاهم إلى الإسلام!

ففي الكافي: ٦٤٩/٢ بسند صحيح عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «أقبل أبو جهل بن هشام

ومعه قوم من قريش، فدخلوا على أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك قد آذانا وأذى آلهتنا، فادعه ومره فليكف عن آلهتنا ونكف عن إلهه، قال فبعث أبو طالب إلى رسول الله ﷺ فدعاه، فلما دخل النبي ﷺ لم ير في البيت إلا مشركاً فقال: السلام على من اتبع الهدى، ثم جلس، فخبّره أبو طالب بما جاؤوا له، فقال: أو هل لهم في كلمة خير لهم من هذا، يسودون بها العرب ويظؤون أعناقهم؟ فقال أبو جهل: نعم، وما هذه الكلمة؟ فقال: تقولون لا إله إلا الله. قال: فوضعوا أصابعهم في آذانهم وخرجوا هُرَاباً، وهم يقولون: ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق! فأنزل الله تعالى في قوله: صَادِقَاتٌ لِّلَّذِينَ آمَنْنَ يَدْعُنَهُنَّ إِلَى الْبَيْتِ لِيُخْبِرُنَّهُنَّ وَهُنَّ يُخْبِرُنَّهُمْ سَبَّحْنَ لِلَّهِ مِمَّا قَدَرُوا فِئْتَنَةً مِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَدْرُسُونَ فَذَكَرَ أَبُو تَالِبٍ إِلَى أَبِي طَالِبٍ هُوَ أَبُو جَهْلٍ الَّذِي وَرِثَ زِعَامَةَ بَنِي نَجْرُومَ بَعْدَ هَلَاكِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ، وَبَعْدَ مَجِيئِهِ نَزَلَتْ سُورَةُ صَادِقَاتٍ عَلَى كَلَامِهِ، فَلَا تَصِحُّ الرِّوَايَاتُ الَّتِي تَذَكُرُ أَنَّ الْوَلِيدَ كَانَ حَيًّا عِنْدَ نَزْوِهَا.

ومنها: خلطهم في الروايات التي تذكر أن النبي ﷺ كان يذهب إلى أفنية قريش ويدعوهم إلى الإسلام قبل هلاك المستهزئين، كالذي رواه الحاكم: ٥٧٧/٣ وأبو يعلى: ١٧٦/١٢ ومجمع الزوائد: ١٤/٦ وصححه: «جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك يأتينا في أفنيتنا وفي نادينا فيسمعنا ما يؤذينا به، فإن رأيت أن تكفه عنا فافعل... فقال له أبو طالب: يا ابن أخي والله ما علمت إن كنت لي لمطاعاً وقد جاء قومك يزعمون أنك تأتيهم في كعبتهم وفي ناديتهم تسمعهم ما يؤذيهم، فإن رأيت أن تكف عنهم؟ فحلقت ببصره إلى السماء فقال: والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار. فقال أبو طالب: والله ما كذب ابن أخي قط، إرجعوا راشدين».

فالحديث مسوق لتعذير قريش في شكايتهما من النبي ﷺ، والوقت المزعوم لهذا الحديث قبل انتهاء الثلاث سنوات، وهذا لا يصح، لأنه ﷺ لم يذهب إلى نواديهم قبل ذلك أبداً، بل نشك في ذهابه اليهم بعدها، لأنه كان يدعو إلى ربه في

المسجد وحوله، وكان يقصد القبائل في موسم الحج، ويطلب منهم النصرة. وأخيراً، فإن سبب جعلهم بعض هؤلاء الخمسة أحياء بعد هلاكهم أن أولادهم وأقاربهم صاروا حكاماً وشركاء في دولة «الخلافة» كعمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، وزمعة بن الأسود من أسد عبد العزى، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث الزهري، وأقارب الحارث بن طلائة الخزاعي، فأراد الرواة إظهار مكانة آبائهم حتى في كفرهم، فكذبوا، ولا حافظة لكذب!

### ٦. تخطب الكتاب المعاصرين في مراحل الدعوة تبعاً لرواة السلطة

اشتهر عند الكتاب المعاصرين تقسيم مراحل دعوة النبي ﷺ في مكة إلى المرحلة السرية، ثم مرحلة دار أبي الأرقم، ثم مراحل الإضطهاد والهجرة إلى الحبشة والمدينة. فقلدوا الحكومات التي غيبت مراحل هامة من السيرة لتحذف أدوار بني هاشم والعترة النبوية ﷺ! غيبوا المرحلة الأولى حيث بعثه الله تعالى إلى بني هاشم خاصة، مع أنهم أنفسهم رووا قوله ﷺ: «يا بني عبد المطلب إني بعثت إليكم خاصة، وإلى الناس عامة». تفسير ابن كثير: ٣/٣٦٢ وتفسير مقاتل: ٢/٤٦٦.

وروينا: «مكث رسول الله ﷺ بمكة بعد ما جاءه الوحي عن الله تبارك وتعالى ثلاثة عشر سنة، منها ثلاث سنين مختلفياً خائفاً لا يظهر حتى أمره الله أن يصدع بها أمر به، فأظهر حينئذ الدعوة». غيبة الطوسي/٣٣٣.

كما أهمل كتاب السيرة مرحلة ما قبل محاصرة النبي ﷺ وبني هاشم في شعب أبي طالب وما بعدها، وكان الحصار في السنة الخامسة، واستمر بضع سنوات! كما أهملوا مرحلتين تقدمتا في حديث النبي ﷺ من مصادرهم: «صَلَّتْ الملائكة عليَّ وعلى عليٍّ سبع سنين، وذلك أنه لم يصل معي أحد قبله».

وقول علي عليه السلام: «صليت مع النبي ﷺ قبل الناس ثلاث سنين، وسبع سنين».

وكذا مرحلة ما قبل الإسراء والمعراج في السنة الثانية للبعثة، وما بعدها.

ومرحلة ما قبل وفاة أبي طالب ﷺ وما بعدها، حيث فقد النبي ﷺ ناصره وحاميه

القوي، اضطر أن يذهب إلى الطائف ليطلب من ثقيف حمايته من قريش، ثم كان أحياناً يختبئ مع علي عليه السلام من قريش في الحجون.

ومرحلة ما قبل بيعة الأنصار سرّاً للنبي صلى الله عليه وآله في موسم الحج، وما بعدها... وكذا مرحلة الثلاث سنين التي زعموا أن الله بعث فيها إسرافيل إلى النبي صلى الله عليه وآله يعلمه ويوجهه، ولم ينزل عليه قرآناً حتى أنزله مع جبرئيل عليه السلام.

أهملوا كل ذلك وغيبوه، وركزوا على مرحلة السرية بمفهوم خاطئ، ومرحلة دار أبي الأرقم بتضخيم خيالي! كما كذبوا في انتعاش النبي صلى الله عليه وآله بإسلام أبي بكر وإنفاقه عليه عند فقره! وقوة الإسلام بعمر وإعزازه بعد ذلته! مع أن راوياً واحداً لم يرو أن أبا بكر أوصل صاع طحين إلى النبي صلى الله عليه وآله في سنوات الحصار يوم وصل بهم الأمر إلى أن أكلوا ورق الشجر من الجوع، ومص أطفالهم الرمل من العطش! ولا روى أين كان عمر عند تهديد قريش للنبي صلى الله عليه وآله واستنفاذها بعد أبي طالب لقتله، حتى اضطر لطلب حماية ثقيف، واضطر لأن يختبئ في الحجون! إن إهمالهم لهذه المراحل، خاصة مرحلة دعوة الأقرين، واختراعهم أدواراً افترضوها لزيد وعمرو... يضع يدك على غرضهم من التحريف، ويجعلك تشك فيما يروونه من أدوار مناقبية لمن صاروا حكاماً فيما بعد، ويجعلك تدقق في النصوص لتكشف الأدوار التي غيبوها لعلي وحمزة وجعفر وغيرهم من بني هاشم، ومعهم كبار الصحابة السابقون الأولون: أبوذر، وعمار، والمقداد، وأبو سلمة، وخالد بن سعيد، وخباب، ومصعب، وسلمان، رضوان الله عليهم!





## الفصل الثالث عشر

### دعوة النبي ﷺ عشيرته واستنصار قريش ضدهم

#### ١. بعد بعثته أمره الله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ

بعد بعثت مباشرة أمره الله بدعوة بني هاشم، وأنزل عليه من سورة الشعراء: وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ... وَمَا أَهْلَكُنَا مِنْ قَرْنٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ. ذَكَرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ. وَمَا نَنْزَلُكَ بِهِ الشَّيَاطِينَ. وَمَا يَنْتَبِعِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ. إِيَّاهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ. فَلَاتَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ. وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَأخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ أَنْتَ عَاكِفٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَزَالُ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ.

فجمعهم النبي ﷺ وكانوا أربعين رجلاً، ودعاهم إلى الإسلام واختار منهم وزيره ووصيه وخليفته، كما أمره ربه. وفي هذه المدة دوى خبر البعثة في أندية قريش حتى جاءهم خبر اجتماع بني هاشم وأن محمداً ﷺ طلب منهم وزيراً يبايعه على نصرته، فاستجاب له ابن عمه علي فاتخذه وزيراً ووصياً وخليفة! فرأوا ذلك نبأً عظيماً يؤكد أن نبوة بني هاشم مشروع هاشمي لحكم العرب، فقررروا بالإجماع العمل لقتل النبي ﷺ!

وقد عبّر صاحب الصحيح: ٥٩/٣ بتعبير يوهم أن دعوة العشيرة الأقربين كان في المرحلة العلنية، قال: «بعد السنوات الثلاث الأولى بدأت مرحلة جديدة وخطيرة وصعبة هي مرحلة الدعوة العلنية إلى الله تعالى. وقد بدأت أولاً على نطاق ضيق نسبياً حيث نزل عليه

قوله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ». انتهى.

لكن آية إنذار العشيرة نزلت في أول البعثة، وأثارهم اختياره وصياً منهم! وكفى بحديث إسلام أبي ذر دليلاً على خطورة السنوات الأولى على حياته ﷺ. أما آية المستهزين فنزلت بعد ثلاث سنين.

## ٢. غَيَّبَتِ الْحُكُومَاتُ حَدِيثَ الدَّارِ

وقد روته المصادر الأصلية، وصححه علماء الجرح والتعديل، وألفوا فيه كتباً وفصولاً، وعرف بإسم حديث الدار، وحديث الوصية، لكن أتباع الحكومات أفنوا بأنه: يجب إنكاره، ومنعه من التداول تحت طائلة العقوبة القصوى!

قال المفيد ﷺ في الإرشاد: ٤٩/١: «أجمع على صحته نقاد الآثار، حين جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب في دار أبي طالب وهم أربعون رجلاً يوماً، يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً فيما ذكره الرواة، وأمر أن يُصنع لهم فخذ شاة مع مُد من البر، ويُعدَّ لهم صاعٌ من اللبن، وقد كان الرجل منهم معروفاً بأكل الجذعة «الذبيحة» في مقام واحد، وشرب الفرق «السطل» من الشراب في ذلك المقام. وأراد ﷺ بإعداد قليل الطعام والشراب لجماعتهم إظهار الآفة لهم في شبعهم وريمهم مما كان لا يشبع الواحد منهم ولا يرويه. ثم أمر بتقديمه لهم فأكلت الجماعة كلها من ذلك اليسير حتى تملأوا منه، فلم ييسن ما أكلوه منه وشربوه فيه فبهروهم بذلك، وبين لهم آفة نبوته وعلامة صدقه برهان الله تعالى فيه.

ثم قال لهم بعد أن شبعوا من الطعام ورووا من الشراب: يا بني عبد المطلب، إن الله بعثني إلى الخلق كافة، وبعثني إليكم خاصة، فقال عز وجل: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان، تملكون بهما العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الأمم، وتدخلون بهما الجنة، وتنجون بهما من النار، شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويؤازرني عليه وعلى القيام به، يكن أخي ووصي ووزير ووارثي وخليفتي

من بعدي. فلم يجب أحد منهم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فقامت بين يديه من بينهم وأنا إذ ذاك أصغرهم سنناً وأحشهم ساقاً وأرمصهم عيناً، فقلت: أنا يا رسول الله أوأزرك على هذا الأمر. فقال: أجلس، ثم أعاد القول على القوم ثانية فقصموا، وقمت فقلت مثل مقالتي الأولى، فقال: أجلس. ثم أعاد على القوم مقالته الثالثة فلم ينطق أحد منهم بحرف، فقلت: أنا أوأزرك يا رسول الله على هذا الأمر، فقال: أجلس، فأنت أخي ووصي ووزير ووارثي وخليفتي من بعدي. فنهض القوم وهم يقولون لأبي طالب: يا أبا طالب، ليهنك اليوم إن دخلت في دين ابن أخيك، فقد جعل ابنك أميراً عليك! وهذه منقبة جليلة اختص بها أمير المؤمنين عليه السلام ولم يشركه فيها أحد من المهاجرين الأولين ولا الأنصار، ولا أحد من أهل الإسلام، وليس لغيره عدلٌ لها من الفضل ولا مقارب على حال».

وفي رواية روضة الواعظين/ ٥٢: «قال لهم: إني بعثت إلى الأسود والأبيض والأحمر، وإن الله عز وجل أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، وإني لا أملك لكم من الله حظاً إلا أن تقولوا: لا إله إلا الله. فقال أبو هب لعنه الله: لهذا دعوتنا؟! ثم تفرقوا عنه، فأنزل الله تعالى: تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَتَبَّ.. الخ. ثم دعاهم دفعة ثانية فأطعمهم وسقاهم كالدفعة الأولى، ثم قال لهم: يا بني عبد المطلب: أطيعوني تكونوا ملوك الأرض وحكامها، وما بعث الله نبياً إلا جعل له وصياً وأخاً ووزيراً فأياكم يكون أخي ووزير ووصي ووارثي وقاضي ديني؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام وهو أصغر القوم سنناً: أنا يا رسول الله، فلذلك كان وصيه.

وروي أنه جمعهم خمسة وأربعون رجلاً منهم أبو هب، فظن أبو هب أنه يريد أن ينزع عما دعاهم إليه فقام إليه، فقال له: يا محمد، هؤلاء عمومتك وبنو عمك قد اجتمعوا فتكلم واعلم أن قومك ليست لهم بالعرب طاقة، فقام عليه السلام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الرائد لا يكذب أهله. والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم حقاً خاصة وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن كما تعلمون، ولتجزون بالإحسان إحساناً، وبالسوء سوءاً، وإنها الجنة أبداً

والنار أبداً. إنكم أول من أنذرتهم».

فقد طلب منهم أن يؤمنوا به، وأن يبایعه رجل على نصرته ويتفرغ معه للدعوة، فيتخذونه وزيراً وأخاً ووصياً وخليفةً. وكان أبو طالب وحمزة يومها مسلمين لكنها سكتا لأن النبي ﷺ أمرهما أن يكتبا إياها، فلو أعلننا لأعلنت قريش الحرب عليهم. أما جعفر فكان مسلماً، ولعله سكت لجيب علي ﷺ لأنه يعلم ميل النبي ﷺ إليه، فلما أعلن عليُّ قبوله أعلنه النبي ﷺ وزيراً وخليفة، فأخبر بذلك أنه يعيش بعده!

**لكن المخالفين للنبي في أهل بيته، لا يجبون رؤية وجه الحديث ولا سماع صوته!**  
لأنه نصُّ على أن النبي ﷺ اتخذ علياً ﷺ بأمر ربه وصياً وخليفة! وهو ينقض ما بنوا عليه أمرهم بعد وفاته من أنه لم يوص إلى أحد وترك الأمر لهم!  
لذا منعوا رواية هذا حديث الدار أو حرفوه، كالطبري حيث رواه في تاريخه: ٢١٧/٢ بنص المفيد المتقدم، ثم كتبه في تفسيره: ١٤٨/١٩ فقال: «فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخي وكذا وكذا! قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت وإني لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً، وأخمشهم ساقاً: أنا يا نبي الله أكون وزيرك. فأخذ برقبتي، ثم قال: إن هذا أخي وكذا وكذا، فاسمعوا له وأطيعوا، قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع!»!

وتبعه ابن كثير في تفسيره: ٣٦٤/٣ والنهاية: ٥٣/٣ فلم ينقل من تاريخ الطبري كما هي عادته، واختار تفسيره لأن الحديث فيه محرف!

أما ابن تيمية فقال في منهاج السنة/٢٩٩: «فإن هذا الحديث ليس في شيء من كتب المسلمين التي يستفيدون منها علم النقل: لا في الصحاح ولا في المسانيد. والسنن والمغازي والتفسير التي يذكر فيها الإسناد الذي يحتج به، وإذا كان في بعض كتب التفسير التي ينقل فيها الصحيح والضعيف، مثل تفسير الثعلبي والواحدي والبخاري، بل وابن جرير وابن أبي حاتم، لم يكن مجرد رواية واحد

من هؤلاء دليلاً على صحته باتفاق أهل العلم، فإنه إذا عرف أن تلك المنقولات فيها صحيح وضعيف، فلا بد من بيان أن هذا المنقول من قسم الصحيح دون الضعيف. وهذا الحديث غايته أن يوجد في بعض كتب التفسير التي فيها الغث والسمين، وفيها أحاديث كثيرة موضوعة مكذوبة».

لكن ابن تيمية معروف بأنه ينفي الواضحات ويرد الأحاديث الصحيحة، ويكفي في هذا الحديث أنه رواه عدد وفير من أئمة الحديث مثل: ابن إسحاق، والنسائي، والبزار، وسعيد بن منصور، والطبراني في الأوسط، والحاكم في المستدرک، وابن حنبل، وابن مردويه، وأبي حاتم، والطحاوي، وأبي نعيم، والبغوي، والمقدسي، وابن عساکر، والبيهقي في الدلائل.. الخ.

وقد أشكل بعضهم بوجود الراوي أبي مريم الأنصاري فيه، وهو عن عبد الغفار بن القاسم، وهو شيخ شعبة بن الحجاج الذي يقبونه بأمر المؤمنين في الحديث وكان يوثقه ويمدحه.

وأشكل بعضهم بريعة بن ناجذ الأزدي في طريق له، لكن وثقه الألباني في صحيحه: ٥٨٢/٤. راجع تناقضات الألباني: ٢١٢/٢ وحديث الدار للميلاني والصحيح: ٣/١٥٨.

وأما محمد حسنين هيكل فأورده سليماً في كتابه: حياة محمد، في الطبعة الأولى في صفحة ١٠٤، ثم حرفه في الطبعة الثانية صفحة ١٣٩، لقاء شراء الوهابية ألف نسخة من كتابه بخمس مائة جنيه! راجع: فلسفة التوحيد والولاية/١٧٩ للشيخ مغنية.

### ٣. خلافة علي عليه السلام كانت محسومة من أول البعثة

وقد اتضح ذلك من آية: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، ومن حديث الدار. وكانت محسومة من يوم كان النبي ﷺ يعرض نفسه على قبائل العرب، ويطلب منهم أن يحموه ليلبغ رسالة ربه، فيطلبون منه أن تكون لهم خلافته، فيجيبهم إن الأمر لله وقد اختار له أهلاً، وعليهم أن لا ينازعوا الأمر أهله! قال ابن هشام: ٢٨٩/٢: «أتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله عز وجل،

وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم يقال له ببحرة بن فراس: والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال له: أرايت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيقون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر إلى الله، يضعه حيث يشاء. قال فقال له: أنهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا! لا حاجة لنا بأمرك! فأبوا عليه». وكانت الخلافة محسومة بعشرات الأحاديث النبوية، التي صرح فيها بمكانة علي عليه السلام وأوصى به الأمة بعده.

وكانت محسومة برفعه بيده في حجة الوداع وقوله: من كنت مولاه فعلي مولاه! وكانت محسومة بأعماله وأقواله العديدة، في مرض وفاته. لكن قريشاً لا تريد أن تنقع، ثم أتباعها الذين عاندوا مثلها، أو أحسنوا فيها الظن.

#### ٤. النبأ العظيم وصية محمد صلى الله عليه وآله لابن عمه

اتفق الرواة على أن سورة النبأ نزلت في الثلاث سنوات الأولى، ويؤيد ذلك أنها لا تتضمن إلّا عن التساؤل عن النبأ العظيم الذي حيرهم! قال تعالى: عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ. عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ. الَّذِي هُوَ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ. كَلَّا سَيَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ. أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا. وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا. وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا.. الخ. «النبأ: ٩-١» فقد كانت البعثة عند نزولها في أولها، وكان زعماء قريش يتساءلون عن النبأ العظيم، وهو عندهم أن بني هاشم انشقوا على قريش، وادعى ابنهم النبوة واختار ابن عمه خليفة له، ولم يحسب لهم حساباً، وكان غير بني هاشم لا وجود لهم! فرزعا بطون قريش لا يهمهم مضمون دعوة النبي صلى الله عليه وآله ولا معجزاته، لأنهم لا يفهمون من النبوة إلا أنها انشقاق بني هاشم على قريش!

كما أنهم حساسون فيمن يستخلفه للنبوة، هل هو من بني هاشم أو من غيرهم؟ وقد أرادوا التأكد، فكلفوا أبا سفيان بأن يستطلع الأمر، كما روى في المناقب ٢٧٦/٢ عن تفسير القطان، بسند صحيح عندهم، عن وكيع، عن سفيان،

عن السدي، عن عبد خير، عن علي عليه السلام قال: «أقبل صخر بن حرب حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد هذا الأمر بعدك لنا أم لِن؟ قال: يا صخر، الأمر بعدي لمن هو بمنزلة هارون من موسى! قال: فأنزل الله تعالى: عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ. الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ. منهم المصدق بولايته وخلافته ومنهم المكذب بها! ثم قال: كَلَّا. وردَّ عليهم: سَيَعْلَمُونَ: خلافته بعدك أنها حق. ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ: يقول: يعرفون ولايته وخلافته إذ يُسألون عنها في قبورهم فلا يبقى ميت في شرق ولا غرب ولا في بر ولا في بحر إلا ومنكر ونكير يسألانه عن الولاية لأمر المؤمنين بعد الموت يقولان للميت: من ربك، وما دينك، ومن نبيك، ومن إمامك؟!»

وفي الكافي: ٢٠٧/٨ عن الإمام الباقر عليه السلام قال له الشاهلي: «جعلت فداك إن الشيعة يسألونك عن تفسير هذه الآية: عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ. قال فقال: هي في أمير المؤمنين صلوات الله عليه، كان أمير المؤمنين يقول: ما الله عز وجل آية هي أكبر مني، ولا الله من نبأ أعظم مني.»

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٩/٨: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: يا علي أنت حجة الله، وأنت باب الله، وأنت الطريق إلى الله، وأنت النبا العظيم، وأنت الصراط المستقيم.»  
وفي المناقب: ٢٧٧/٢: «قال السوسي:

إذا نادى صوارمه سيوفاً فليس لها سوى نعم جواب  
طعام سيوفه مهج الأعادي وفيض دم الرقاب لها شراب  
وبين سنانه والدرع صلح وبين البيض والبيض اصطحاب  
هو النبا العظيم وفلك نوح وباب الله وانقطع الخطاب

وفي المزار للمفيد: ٧٨: «السلام عليك يا سيد الوصيين، السلام عليك يا حجة الله على الخلق أجمعين، السلام عليك أيها النبا العظيم الذي هم فيه مختلفون وعنه مسؤولون.» وفي عيون المعجزات: ١٣٦: «من ألقاه عليه السلام: النبا العظيم.»  
وورد عن أهل البيت عليهم السلام أن معنى: كَلَّا سَيَعْلَمُونَ. أنهم سيعلمون عند ظهور الإمام المهدي عليه السلام، ثم يعلمون يوم القيامة أن الإسلام حق بإمامة العتره عليهم السلام.

راجع: معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٣٧٧/٥ وتفسير القمي: ٤٠١/٢.

أقول: هذا هو التفسير الصحيح للنبا العظيم، وهذا الذي أرقّ القرشيين وتساءلوا عنه واختلفوا فيه، وتداولوا الموقف منه. وليس النبا العظيم الآخرة، كما زعم بعضهم فإن لسان حال المشركين: فليقل محمد إنه يوجد خمسون آخرة! ولا هو القرآن، فلينزل عليه خمسون قرآناً! ولا هو سب أصنامهم، فإنما هي أحجار نصبوها، وهم مستعدون أن يبيعوها بثمن جيد!

بل ليس النبا العظيم النبوة بنفسها، فهم مستعدون لأن «يقبلوا» النبوة على صعوبتها عليهم، لكن بشرط أن يعطيهم القيادة بعده!

أما قيادة بني هاشم بعده، فهي الكفر العظيم والنبا العظيم!

قال الإمام الصادق عليه السلام: «النَّبَأُ الْعَظِيمُ: الْوَلَايَةُ». الكافي: ٤١٨/١.

وقد فسر أتباع الخلافة النبا العظيم بالقيامة أو القرآن، بدون مستند إلا أقوال مفسري الدولة الأموية! فقال مجاهد هو القيامة وروي عن قتادة، وقال قتادة هو القرآن، وروي عن ابن زيد، والحسن البصري! «عبدالرزاق: ٣٤٢/٣ والطبري: ٤٠٣/٤». فتراهم أبعدوا تساؤل قريش واختلافهم عن أحداث البعثة!

ونلاحظ أنهم روهوا رباطها بالبعثة، لكنهم أعرضوا عنها! قال الطبري: ٣/٣٠: «عن الحسن قال: لما بعث النبي جعلوا يتساءلون بينهم فأنزل الله: عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ. عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ، يعني الخبر العظيم!»

والعجيب أن بعض مفسرينا ترددوا بين التفسيرين! قال في جوامع الجامع: ٧١٠/٣: «وهو نبا يوم القيامة والبعث، أو أمر الرسالة ولوازمها».

ووافق بعضهم مفسري الحكومات، ففي الميزان: ٢٢٣/١٧ النبا العظيم في سورة صادبالقرآن، قال: «وهو أوفق بسياق الآيات السابقة المرتبطة بأمر القرآن» ثم فسره في سورة النبا: ١٦٣/٢٠ بالقيامة وقال: «في بعض الأخبار أن النبا العظيم علي عليه السلام وهو من البطن».

وتبعه صاحب تفسير الأمثل: ٥٥٥/١٤ و ٣١٧/١٩ وعقد عنواناً: «الولاية والنبأ



العظيم» ذكر فيه أن تفسير النبأ العظيم بالولاية من الباطن، وأورد بعض رواياته وحاول أن يجمع بينه وبين تفسير النبأ العظيم بالمعاد!

وقد فاتهم أن الذي كان يؤرق زعماء قريش ويتساءلون عنه إنما هو نبأ بعثة النبي واتخاذ وصياً من بني هاشم، فهذا هو الظاهر الأنسب بالسياق، وليس من الباطن! أما القرآن والقيامة وكل عقائد الإسلام، فكانت أقل وقعاً عليهم من النبوة والوصاية، فكيف تصير ظاهراً، وتصير النبوة والإمامة بعدها باطناً.

بل كيف تكون أحاديث أهل البيت عليهم السلام الصريحة المستفيضة تفسيراً بالباطن؟!!



## الفصل الرابع عشر

### أبو طالب عليه السلام يوحّد بني هاشم لحماية النبي صلى الله عليه وآله

#### ١. أبو طالب يقف في وجه قريش بقوة

قال الإمام الصادق عليه السلام: «الكافي ٤٤٩/١»: «إن مثَّلَ أبي طالب مثلُ أصحاب الكهف، أسروا الإيمان وأظهروا الشرك، فأتاهم الله أجرهم مرتين. قيل له: إنهم يزعمون أن أبا طالب كان كافراً؟ فقال: كذبوا كيف يكون كافراً وهو يقول:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خُطَّ في أول الكتب!»!

أقول: تواترت أحاديث أهل البيت عليهم السلام بإسلام أبي طالب رضي الله عنه، وشعره صريح بإسلامه، وقد صنّف العلماء في إيمانه رسائل وكتباً مفردة. وتقدم أنه كان يؤمن بنبوة النبي صلى الله عليه وآله قبل بعثته وينتظر ذلك، وعندما بعثه الله تعالى آمن به، وواجه عاصفة قريش ضده، فقد جاء زعماء قريش إليه يطلبون منه أن يراجع محمد صلى الله عليه وآله عن نبوته، أو يسلمه اليهم ليقتلوه!

فردهم أبو طالب وهددهم، وأقنع بني هاشم بحماية النبي صلى الله عليه وآله من قريش، مستفيداً من نفوذه وشجاعة بني هاشم ومجدهم، وقد استخدم شاعريته في بعث حمايتهم، ولعل أول شعر قاله في ذلك:

«حتى متى نحن على فترةٍ      يا هاشماً والقوم في جَحْفَلٍ  
تدعون بالخيل على رقبة      منألدى خوفٍ وفي معزلٍ

كالجرة السوداء تغلّو بها  
عليهم الترك على رعلية  
ياقوم ذودوا عن جماهيركم  
حديد خمس هزّ خده  
عريض سبّ هبّ خصرؤه  
فكم قد شهدت الحرب في فتية  
لا متنحين إذا جثتهم

فلما استجاب لأبي طالب بنو هاشم وبنو المطلب، وثق بأمره في نصرته رسول الله ﷺ،  
وجهر في مقاومة بطون قريش، وقال:

معنا الرسول رسول المليك  
بضرب يذيب بدون النهاب  
أذب وأحمي رسول المليك  
وما إن أدب لأعدائه  
ولكن أوزير لهم سامياً

ولما رأى من قومه ما سره من حذبهم معه، جعل يمدحهم ويذكر قديمهم، ويذكر  
فضل رسول الله ﷺ فيهم ليشتد لهم رأيهم فيه، فقال:

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر  
وإن حصلت أشراف عبدمنافها  
وإن فخرت يوماً فيان محمداً  
تداعت قريش غثها وسميئها  
وكتنا قديماً لا نقرّ ظلامه  
وغمي حماها كل يوم كريمة  
فعبدمنافٍ سرّها وصميئها  
ففي هاشم أشرافها وقديئها  
هو المصطفى من سرها وكرميها  
علينا فلم تظفرو طاشت حلومها  
إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها  
ونضرب عن أحجارها من يرومها

المناقب والمثالب للقاضي النعمان المغربي/٨٦، سيرة ابن إسحاق: ٢/١٢٩ وغيره.

## ٢. وشد أبو لهب فحاول أبوطالب تحريك شهامته فقال :

«عجبت لحلمٍ يالبن شبيبةٍ حادثٍ  
يقولون شايغ من أراد محمداً  
أصاميمٍ إمّا حاسدٌ ذو خيانة  
فلا تتركن الدهر منه ذمامه  
ولا تتركنه ما حييت وأطعمن  
تذود العدى من ذروة هاشمية  
فإن له قربي لديك قريبة  
ولكنه من هاشم من صميمها  
وزاحم جميع الناس عنه وكن له  
فإن غضبت منه قريش فقل لها  
فما بالنا تعشون منا ظلامه  
وما قومنا بالقوم يخشون ظلمنا  
ولكننا أهل الحفاظ والنهي

ابن إسحاق: ٤/١٨٩.

لكن أبا لهب ساء توفيقه فانضم إلى أعداء النبي ﷺ، فذمه أبوطالب!  
قال ابن إسحاق: ١٣١/٢: «أقبل أبوطالب على أبي لهب حين ظافر عليه قومه  
ونصب العداوة لرسول الله ﷺ مع من نصب له، وكان أبو لهب للخزاعية،  
وكان أبوطالب وعبدالله أبو رسول الله ﷺ والزبير لفاطمة بنت عمرو بن عاتذ بن  
عمران بن مخزوم، فغمزه أبوطالب بأمر له يقال لها سماحيج، وأغلظ له في القول:  
مستعرض الأقسام يخبزهم عذري وما أن جنت من عذر

فاجعل فلانة وابنها عوضاً  
واسمع نواذر من حديث صادق  
إننا بنو أم الزبير وفحلها  
حرّمت منا صاحباً ومؤازراً  
لكرائم الأكفاء والصهر  
تهوين مثل جنادل الصخر  
حملت بنا للطيب والظّهر  
وأخاً على السراء والضّر»  
ثم قال أبو طالب في شعر قاله حين أجمع لذلك من نصرة رسول الله ﷺ والدفاع  
عنه، على ما كان من عداوة قومه ورفاقهم له:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم  
حتى أوَسَدَ في التراب دفيناً  
فاجهد لأمرك ما عليك غضاضة  
أبشروقرّب بذاك منك عيوناً  
ودعوتني وزعمت أنك ناصح  
فلقد صدقت وكنت ثمّ أمينا  
وعرضت ديناً قد علمت بأنه  
من خير أديان البرية ديناً  
لولا الملامة أو حذارى سبّة  
لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً

فلما قالت قريش لقد سفه أحلامنا وعاب ديننا وسب آباءنا، فوالله لا نُقرُّ بهذا أبداً!  
وقام أبو طالب دون رسول الله وكان أحب الناس إليه، فشمّر في شأنه ونادى قومه قال  
قصيدة يعوّر فيها منهم. ويقصد لاميته. ابن إسحاق: ١٣٦/٢.

### أبولهب يحاول اغتيال النبي ﷺ

«قالت قريش لأبي لهب: إن أباطال هو الحائل بيننا وبين محمد، ولو قتلته لم ينكر  
أبو طالب، وأنت برئ من دمه ونحن نؤدي الدية وتسود قومك، قال: فإني أكفيكموه،  
فنزل أبولهب إليه وتسلمت امرأته الحائض حتى وقفت على رسول الله فصاح به أبولهب  
فلم يلتفت إليه وكان لا يتقلان قدماً ولا يقدران على شئ حتى انفجر الصبح وفرغ  
النبي من الصلاة! فقال أبولهب: يا محمد أطلقنا، قال: لا أطلق عنكم أو تضمنا لي  
أنكم لا تؤذياني، قالوا: قد فعلنا، فدعا ربه فرجعا». المناقب لابن شهر آشوب: ١١٥/١.

## هلك أبو لهب بعد هزيمة قريش في بدر

قال أبو رافع: «أقبل أبو لهب بعد بدر يجير رجليه، فقال الناس هذا أبو سفيان بن حرب قد قدم، فاجتمع عليه الناس فقال له أبو لهب: هلم إلي يا ابن أخي فعندك لعمرى الخبر، فجاء حتى جلس بين يديه فقال له: يا ابن أخي خبرني خبر الناس قال: نعم والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمحنناهم أكتافنا يضعون السلاح فينا حيث شاؤوا! والله مع ذلك ما ملت الناس لقينا رجالاً بيض على خيل بلق لا والله ما تليق شيئاً يقول ما تبقى شيئاً..

فوالله ما مكث إلا سبعاً حتى مات، ولقد تركه إبناه في بيته ثلاثاً ما كيد فناؤه حتى أنتن، وكانت قريش تتقي هذه القرحة يعني العدسة كما تتقي الطاعون، حتى قال لهما رجل من قريش: ويحكما ألا تستحيان إن أباكما في بيته قد أنتن لا تدفنانه! فقالا: إنا نخشى عدوى هذه القرحة! فقال انطلقا فأنا أعينكما عليه، فوالله ما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه، ثم إنهم احتملوه إلى أعلى مكة فأسندوه إلى جدار ثم رضموا عليه الحجارة!» تاريخ دمشق: ١٧١/٦٧.

### ٣- عرضوا على أبي طالب أن يأخذ شاباً بدل النبي ﷺ!

قال ابن إسحاق: ١٣٣/٢: «ثم إن قريشاً حين عرفت أن أبا طالب أبي خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه، وإجماعه لفراقهم في ذلك وعدواتهم، مشوا إليه ومعهم عمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له فيما بلغنا: يا أبا طالب قد جئناك بفتى قريش عمارة بن الوليد، جالاً وشباباً ونهاداً، فهو لك نصره وعقله، فاتخذته ولدًا لا تنازع فيه، وخل بيننا وبين ابن أخيك، هذا الذي فارق دينك ودين آباءك، وفرق جماعة قومه وسفه أحلامهم، فإنما رجل كرجل، لنقتله، فإن ذلك أجمع للعشيرة وأفضل في عواقب الأمور مغبة. فقال لهم أبو طالب: والله ما أنصفتُموني! تعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيتكم ابن أخي تقتلونه! هذا والله لا يكون أبداً، أفلا تعلمون أن الناقة إذا فقدت ولدها لم تحن إلى غيره!

فقال له المطعم بن عدي بن نوفل بن عبدمناف: لقد أنصفتك قومك يا أبا طالب، وما أراك تريد أن تقبل ذلك منهم! فقال أبو طالب للمطعم بن عدي: والله ما أنصفتموني، ولكنك قد أجمعت على خذلاني ومظاهرة القوم عليّ، فاصنع ما بدا لك، أو كما قال أبو طالب! فحقب الأمر عند ذلك وجمعت للحرب، وتنادى القوم ونادى بعضهم بعضاً فقال أبو طالب عند ذلك، وإنه يعرض بالمطعم ويعم من خذله من بني عبدمناف، ومن عاداه من قبائل قريش، ويذكر ما سأله فيما طلبوا منه:

ألا قلت حظي من حياطتكم بكر  
من الخور حباتٍ كثير رغاؤه  
يرش على الساقين من بوله قطر  
تخلف خلف الورد ليس بلاحقٍ  
إذا ما على الفياء تحسبه وبر  
أرى أخوينا من أبينا وأمنا  
إذا سئلا قالوا إلى غيرنا الأمر  
يلي لهما أمر ولكن تجرهما  
كما جرجت من رأس ذي العلق الصخر  
وقد أصبحا منهم أكفهما صفر  
هما أغمزا للقوم في أخويهما  
هما نبذانا مثلما نبذ الجمر  
أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلاً  
فأقسمت لا ينفك منهم مجاور  
يجاوزنا ما دام من نسلنا شفر  
من الناس إلا أن يرس له ذكر  
هما اشتركا في المجد من لا أخاله  
وليداً أبوه كان عبداً لجدنا  
إلى علجة زرقاء جاش بها البحر  
وتيمٌ ومخزومٌ وزهرةٌ منهم  
وكانوا لنا مولى إذا ابتغي النصر  
فقد سفهت أحلامهم وعقولهم  
وكانوا كجفر شرما جهلت جفر».

ورواها ابن هشام: ١٧٣/١ وقال: «تركنا منها بيتين أقذع فيهما». والمناقب والمثالب للقياضي المغربي/ ٨٧. وذكر في الغدير: ٣٦١/٧ الأبيات الثلاثة التي حذفها ابن هشام:

وما ذاك إلا سؤدد خصنا به  
إله العباد واصطفانا له الفخر  
رجال تمالوا حاسدين وبغضةً  
لأهل العلى فيبينهم أبداً وتر  
وليد أبوه كان عبداً لجدنا  
إلى علجة زرقاء جاش بها البحر

يقصد أن الوليد بن المغيرة كان عبداً لهاشم، وأمه رومية وابوه ليس المغيرة! وقد صدقه القرآن فقال عن الوليد: وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَاظٍ مَهِينٍ. هَمَّازٌ مَشَاءٌ بِتَمِيمٍ. مَتَّاعٌ لِلْحَيْرِ مُعْتَدٍ أَيُّمٍ. عُنْتُ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٍ. أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ.

وقد اتفق المفسرون على أنها نزلت في الوليد، ففي تفسير الجلالين/٧٥٨، وابن إسحاق: ١٤٠/٢: «دعي في قريش وهو الوليد بن المغيرة، ادعاه أبوه بعد ثمانين عشرة سنة». وفي رواية أنه أكبر من أبيه بثمانية عشرة سنة.

وفي المناقب: ٥٢/١: روى ابن بابويه في كتاب النبوة عن زين العابدين عليه السلام: «أنه اجتمعت قريش إلى أبي طالب ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنده فقالوا: نسألك من ابن أخيك النصف، قال: وما النصف منه؟ قالوا: يكف عنا ونكف عنه فلا يكلمنا ولا نكلمه، ولا يقاتلنا ولا نقاتله. ألا إن هذه الدعوة قد بادعت بين القلوب وزرعت الشحناء وأنبت البغضاء! فقال: يا ابن أخي، أسمعت؟ قال: يا عم لو أنصفتي بنو عمي لأجابوا دعوتي وقبلوا نصيحتي! إن الله تعالى أمرني أن أدعو إلى دينه الحنيفة ملة إبراهيم، فمن أجابني فله عند الله الرضوان والخلود في الجنان، ومن عصاني قاتلته حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

فقالوا: قل له يكف عن شتم آلهتنا فلا يذكرها بسوء. فنزل «فيما بعد»: قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ. فقالوا: قل له أرسله الله إلينا خاصة أم إلى الناس كافة؟ قال: بل أرسلت إلى الناس كافة إلى الأبيض والأسود، ومن على رؤس الجبال، ومن في لجج البحار ولأدعون فارس والروم: قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا. فتجبرت قريش واستكبرت وقالت: والله لو سمعت بهذا فارس والروم لاختطفتنا من أرضنا، ولقلعت الكعبة حجراً حجراً! فنزل «فيما بعد» وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِظُفَ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُنَكِّسْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْتَبَى إِلَيْهِ مُرَمَاتٌ كُلِّ شَيْءٍ. وقوله تعالى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْغَيْلِ.



#### ٤. من هو عمارة الذي أرادوا أن يعطوه بدل النبي ﷺ؟

هو عمارة بن الوليد بن المغيرة، فأبوه الوليد رئيس المستهزئين بالنبي ﷺ ورئيس قبيلة مخزوم، والوحيد الذي وصفه الله تعالى في القرآن بالزنيماً! فقد بلغ من كيدته أنه أخذ ابنه عمارة إلى أبي طالب ليعطيه إياه بدل محمد، ويعطيهم محمداً ﷺ فيقتلونه! وكان عمارة يومها متزوجاً وله أولاد!

وتصور ابن عبد البر أنه ابن الوليد بن الوليد فيكون ابن أخ خالد «الإستيعاب: ١٥٥٧/٤» لكنه ابن الوليد الأب، وأخ خالد، كما نص عليه في شرح النهج: ٣٠٤/٦. وكان عمارة جميلاً فاتكاً ماجناً، وذكر ابن حبيب في المنمق/١٣٠، أن عمر بن الخطاب كان يخدمه في سفره فأراد أن يقتله فهرب عمر منه. وكان عمارة يشبه عمرو بن العاص في دهائه ومجونته، وقد أرسلتها قريش إلى النجاشي يطلبان منه إرجاع المسلمين المهاجرين إليهم! قال ابن أبي شيبه: ٤٦٥/٨: «وكان عمرو بن العاص رجلاً قصيراً، وكان عمارة بن الوليد رجلاً جميلاً». وذكر قصتها لما سافرا في البحر فشربا خمرًا، وأراد عمارة زوجة عمرو وألقاه في البحر ليغرقه، فنجا عمرو وعاد إلى السفينة، وأخذ يخطط لقتل عمارة، فأرسل إلى أبيه العاص: «أن اخلعني وتبرأ من جريرتي إلى بني المغيرة وسائر بني مخزوم، وخشي على أبيه أن يتبع بجريرته، فلما قدم الكتاب على العاص بن وائل، مشى إلى رجال بني المغيرة وبني مخزوم فقال: إن هذين الرجلين قد خرجا حيث علمتم، وكلاهما فاتك صاحب شر، غير مأمونين على أنفسهما، ولا أدري ما يكون منهما، وإني أبرأ إليكم من عمرو وجريرته، فقد خلعتة.

فقال عند ذلك بنو المغيرة وبنو مخزوم: وأنت تحاف عمراً على عمارة! ونحن فقد خلعنا عمارة وتبرأنا إليك من جريرته فخل بين الرجلين، قال قد فعلت! فخلعوهما وبرئ كل قوم من صاحبهم وما يجري منه». شرح النهج: ٣٠٤/٦.

ثم أوقع ابن العاص بعمارة عند النجاشي، وأثبت للنجاشي أنه يخونونه في جاريته فعاقبوه وقيل سحره، فهم على وجهه مع الوحوش حتى مات! قال العلامة في تحرير الأحكام: ٣٩٧/٥: «والسحر الذي يجب به القتل هو ما يعدُّ في

العرف سحراً، كما نقل الأموي في مغازيه أن النجاشي دعا السواحر فنفخن في إحليل عمارة بن الوليد، فهام مع الوحش فلم يزل معها إلى إمارة عمر بن الخطاب فأمسكه إنسان فقال: خَلْنِي وَإِلَا مِتُّ! فلم يُخله فها من ساعته!»  
والأموي: المؤرخ صاحب الأوزاعي الوليد بن مسلم مولى الأمويين توفي سنة ١٩٥، له مصنفات في الحديث والتاريخ والمغازي. الديباج: ٣٤/١  
وهدية العارفين: ٥٠٠/٢.

### ٥- سورة المدثر تفضح رئيس المستهزئين الوليد بن المغيرة!

أبرز من تصدى للنبي ﷺ من قريش خمسة فراعنة ساهم الله تعالى «المستهزئين» رئيسهم وعقلهم الوليد بن المغيرة المخزومي، كان يجمعهم ويضع لهم الخطط، وقد ناقشوا النبي ﷺ فأقام لهم الأدلة على نبوته وأراهم المعجزات التي طلبوها، فلم يزداهم ذلك إلا كفراً وعتواً! وكثر مجيؤهم إلى أبي طالب ليسلمهم النبي ﷺ ليقتلوه! فرفض كلامهم بشدة، وحشد بني هاشم لحماية النبي ﷺ! وتوالى نزول القرآن فاعتبروه تحدياً لهم وسباً لأهنتهم. ولما قرب موسم الحج للسنة الثانية من البعثة قام الوليد بتوحيد موقفهم أمام العرب الوافدين!  
«ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم فقال لهم: يا معشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً. قالوا فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً فنقول فيه. قال: بل أنتم فقولوا، أسمع. قالوا: نقول كاهن. قال: والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزممة الكاهن ولا سجعته. قالوا: فنقول مجنون. قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. قالوا: فنقول شاعر. قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر.

قالوا: فنقول ساحر. قال: ما هو بساحر، قد رأينا السُّحَّارَ وسحروهم فما هو بنفته ولا عقده. قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لخلالوة، وإن أصله لَعَدِيقٌ وإن فرعه لجنَّاه، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته.

فلما أقبلت العرب خرجوا يجلسون على طرفها يحذرون منه كل من قدم ويقولون: حدث عندنا ساحر، فإياكم أن يهلككم بسحره! وأنزل الله عز وجل في ذلك في الوليد بن المغيرة: ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيدًا. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا. وَبَيَّيْتُ شُهُودًا. وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا. ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ. كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لَآيَاتِنَا غَنِيْدًا. سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا. إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ. فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ نَظَرَ. ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ. ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ. فَكَانَ إِذَا سَاحَرُ يُؤْتَرُ. إِذَا هَذَا إِذَا قَوْلَ الْبَشَرِ. سَأُضِلِّيهِ سَقَرًا. وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَقَرًا. لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ. لَوَاحَةٌ لِّلْبَشَرِ. عَلَيَّهَا تِسْعَةَ عَشَرَ. «المدثر ١١-٣٠». فلم يزالوا يقولون ذلك لكل من جاء من ناحية من نواحي بلاد العرب، حتى صدروا عن الحج وأغروهم به واستنصروهم عليه، فوعدهم كثير منهم النصر، وانتشر ذلك من أمرهم في العرب. وخاف أبو طالب دهماها واجتماعها على رسول الله ﷺ للحماية في دينها، وتحريض قريش عليه واستنفاهم إليه، وأشفق من ذلك على رسول الله ﷺ إشفاقاً شديداً، فلم يرَ في دفع ذلك عنه إلا إصلاح جانب العرب له.

وكان إظهار أبي طالب ما يظهره من التمسك بدين العرب تقيةً عليه وذباً عنه، لأنه لو أظهر الإسلام كما أظهره حمزة لرفضته العرب ولم تلتفت إليه... وكان أبو طالب سيداً من سادات العرب، تعرف له حقه ولا تكاد تدخل فيما يسوءه، ولا تظاهره إلا بالمعروف وهو على دينها، فقال شعره الذي استعطف العرب به وتودد إلى أشرفها فيه، ليصر فهم عن رسول الله ﷺ وأخبرهم أنه على دينهم لم يبدله. «الناقب والمثالب ٩٢، لأبي حنيفة النعمان المغربي المتوفى: ٣٦٣، الإكتفاء: ١/٢١٨، للكلاعي الأندلسي المتوفى: ٦٣٤. وابن إسحاق: ١٣١/٢ وكلها تصرح بأن أبا طالب كان مسلماً.

## ٦- أبوطالب يطلق لاميته في بلاد العرب

قال ابن كثير في النهاية: ٧٠/٣: «قال ابن إسحاق: ولما خشي أبوطالب دهم العرب أن يركبوه مع قومه، قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها، وتودد فيها أشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في شعره أنه غير مسلم لرسول الله، ولا تاركة لشيء أبداً، حتى يهلك دونه».

ثم أورد ابن كثير القصيدة برواية ابن هشام، ورد على تشكيك بعضهم في نسبة بعض أبياتها إلى أبي طالب، قال: «قال ابن هشام: هذا ما صح لي من هذه القصيدة، وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها. قلتُ: هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً، لا يستطيع يقولها إلا من نسبت إليه، وهي أفضل من المعلقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعاً، وقد أوردها الأموي في مغازيه مطولة بزيادات أخر».

أقول: يظهر أن أباطالب عليه السلام أطلق لاميته في السنة الثانية للهجرة قبل موسم الحج رداً على إعلام قريش الكاذب وتحريضهم العرب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد جعل بعض كتّاب السيرة وقتها بعد محاصرة قريش لبني هاشم في الشعب، أو عندما عرضت قريش عليه شاباً بدل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يصح ذلك.

قال ابن حجر في فتح الباري: ٤٤٢/٣: «وأبيض يستسقى الغمام بوجهه... وهذا البيت من قصيدة لأبي طالب، ذكرها ابن إسحاق بطولها، وهي أكثر من ثمانين بيتاً، قالها لما تمالأت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونفروا عنه من يريد الإسلام».

وقال العصامي في سمط النجوم/٢٣١: «قلت: لم أظفر من هذه القصيدة إلا بنحو السبعة والثمانية الأبيات في غالب كتب السير، ولم أزل أطلبها حتى ظفرت بغالبها من تاريخ العلامة الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المسمى دول الإسلام، فنقلتها منه والله الحمد».

وقوله عجيب، لأن الذهبي أورد منها في تاريخه: ١٦٢/١ تسعة عشر بيتاً فقط! فلا بد أنهم حذفوا بقيتها من نسخته المطبوعة!

وقال ابن أبي الحديد: ٣١٥/٢ بعد أن أورد جملة من شعر أبي طالب: «فكل هذه

الأشعار قد جاءت مجئ التواتر، لأنه إن لم يكن أحادها متواترة فمجموعها يدل على أمر واحد مشترك، وهو تصديق محمد ﷺ، ومجموعها متواتر كما أن كل واحدة من قتلات علي عليه السلام الفرسان منقولة أحاداً، ومجموعها متواتر يفيدنا العلم الضروري بشجاعته، وكذلك القول فيما روي من سخاء حاتم وحلم الأحنف. قالوا: واطرخوا هذا كله جانباً: ما قولكم في القصيدة اللامية التي شهرتها كشهرة قفا نَبِك. فإن جاز الشك فيها أو في شيء من أبياتها، جاز الشك في: قفا نَبِك.

وقال الأميني في الغدير: ٣٤٠/٧: «هذه القصيدة ذكر منها ابن هشام في سيرته: ٢٨٦/١ أربعة وتسعين بيتاً وقال: هذا ما صح لي من هذه القصيدة. وذكر ابن كثير اثنين وتسعين بيتاً في تاريخه: ٥٣/٣ وفي رواية ابن هشام ثلاثة أبيات لم توجد في تاريخ ابن كثير. وأضاف الأميني: وذكرها أبو هفان العبدي في ديوان أبي طالب، في مائة وأحد عشر بيتاً، ولعلها تمام القصيدة».

وفي إرشاد الساري: ٢٢٧/٢: «قصيدة جلييلة بليغة من بحر الطويل، وعدة أبياتها مائة وعشرة أبيات، قالها لما تمالأ قريش على النبي ونفروا عنه من يريد الإسلام».

وفي عمدة القاري: ٤٣٤/٣: «قصيدة طنانة، وهي مائة بيت وعشرة أبيات أولها:

خليلي ما أذني لأول عاذلٍ بصغواءٍ في حق ولا عند باطل

وذكر منها البغدادي في خزانة الأدب: ٢٥٢/١ اثنين وأربعين بيتاً مع شرحها... وذكر الألوسي بعضها في بلوغ الإرب في أحوال العرب: ٢٣٧/١ وذكر كلمة ابن كثير المتقدمة، وقال: هي المذكورة مع شرحها في كتاب: لب لباب لسان العرب.

وذكر منها السيد زيني دحلان أبياتاً في السيرة النبوية «هامش الحلبية: ٨٨/١» وقال: قال الإمام عبد الواحد السفاقي في شرح البخاري: إن في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنه كان يعرف نبوة النبي ﷺ قبل أن يبعث لما أخبره به بحيرا الراهب وغيره من شأنه، مع ما شاهده من أحواله، ومنها الإستسقاء به في صغره ومعرفة أبي طالب بنبوته ﷺ جاءت في كثير من الأخبار، زيادة على أخذها من شعره.

قال الأميني: أنا لا أدري كيف تكون الشهادة والإعتراف بالنبوة، إن لم يكن منها

هذه الأساليب المتنوعة المذكورة في هذه الأشعار! ولو وجد واحد منها في شعر أي أحد أو نشره، لأصفق الكل على إسلامه، لكن جميعها لا يدل على إسلام أي طالب! فاعجب واعتبر». انتهى.

وقال العسكري في كتابه: أبو طالب حامي الرسول ﷺ ١٠٨/١: «وخرجها أبو هفان العبدي توفي: ٢٥٧ فيما جمعه من شعر أبي طالب، وهو معروف بديوان أبي طالب ﷺ من ٢/ إلى ١٢، طبع النجف الأشرف في مائة واحد عشر بيتاً، وخرجناها في كتابنا: الشهاب الثاقب لرجم مكفر أبي طالب ﷺ، نقلاً من كتب عديدة وفيها زيادة على جميع من ذكر القصيدة، وما ذكرناه مائة وستة عشرة بيتاً».

وقال صاحب الصحيح من السيرة: ٥٢/١٥: «وما دام أن رسول الله ﷺ يجب هذه القصيدة أن تذكر في محافل أهل الإيوان، فإنني أحب أن أثبتها هنا ليرغم بها أنف الشانئ والناصب، ولتقر بها عين رسول الله ﷺ وعين أبي طالب، وعين ابنه أسد الله الغالب، وعين من هو لشفاعته طالب». وأوردها بمئة وثمانية عشر بيتاً. ونحن نوردها برواية ابن هشام: ١٧٦/١: لأنها الرواية الرسمية، ونثبت أهم ما لم يورده من نسخة الصحيح بين معقوفين.

قال: «فلما خشي أبو طالب دهاء العرب أن يركبوه مع قومه، قال قصيدته التي تعود فيها بحرم مكة وبمكانه منها، وتودد فيها أشرف قومه، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير مُسَلَّم رسول الله ﷺ، ولا تاركة لشيء أبداً، حتى يهلك دونه، فقال:

[خَلِيلِي مَا أُذْنِي لِأَوَّلِ عَاذِلٍ بِصِغْوَاءٍ فِي حَقِّ وَلَا عِنْدَ بَاطِلٍ]  
[خَلِيلِي إِنْ الرَّأْيِ لَيْسَ بِشَرِكَةٍ وَلَا نَهْنِهِ عِنْدَ الْأُمُورِ التَّلَاتِلِ]  
وَلَمَّا رَأَيْتِ الْقَوْمَ لَا وُدَّ فِيهِمْ وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْغَرَى وَالْوَسَائِلِ  
وَقَدْ صَارْحُونَا بِالْعَدَاوَةِ وَالْأَذَى وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ الْعَدُوِّ الْمَزَائِلِ  
وَقَدْ حَالَفُوا قَوْمًا عَلَيْنَا أَظَنَّةً يَعْصُونَ غَيْظًا خَلَفْنَا بِالْأَتَامِلِ

صَبَرَتْ لَهُمْ نَفْسِي بِسَمَرَاءَ سَمَحَةٍ  
وَأَحْضَرَتْ عِنْدَ الْبَيْتِ رَهْطِي وَإِخْوَتِي  
قِيَامًا مَعًا مُسْتَقْبِلِينَ رِتَاجَهُ  
وَحَيْثُ يُبِيحُ الْأَشْعَرُونَ رِكَابَهُمْ  
مُوتَمَةً الْأَعْضَادِ أَوْ قَصْرَاتِهَا  
تَرَى الْوَدْعَ فِيهَا، وَالرَّخَامَ وَزَبْنَةَ  
أَعْوَدٍ يَرْبُتُ النَّاسُ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ  
وَمِنْ كَاشِحٍ يَسْعَى لَنَا بِمَعِيَبَةٍ  
وَتُورٍ وَمَنْ أَتَى نَيْبِرًا مَكَانَهُ  
وَبِالْبَيْتِ حَقَّ الْبَيْتِ مِنْ بَظَنِّ مَكَّةَ  
وَبِالْحَجَرِ الْمُسْوَدِ إِذْ يَتَسَخَّرُونَهُ  
وَمَوْطِي إِبْرَاهِيمَ فِي الصَّخْرِ زَطْبَةً  
وَأَشْوَاطٍ بَيْنَ الْمَرْوَتَيْنِ إِلَى الصَّفَا  
وَمَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ رَاكِبٍ  
وَبِالْمَشْعَرِ الْأَقْصَى إِذَا عَمَدُوا لَهُ  
وَتَوَقَّافِهِمْ فَنُوقَ الْحِبَالِ عَشِيَّةً  
وَلَيْلَةً جَمَعَ وَالْمَنَازِلِ مِنْ مَنَى  
وَجَمَعَ إِذَا مَا الْمُتَقَرَّبَاتُ أَجْزَنَهُ  
وَبِالْحِمْرَةِ الْكُبْرَى إِذَا صَمَدُوا هَا  
وَكِنْدَةَ إِذْ هُمْ بِالْحِصَابِ عَشِيَّةً  
خَلِيفَانِ سَدَا عَقْدَ مَا اخْتَلَفَا لَهُ  
وَخَطْمِهِمْ سُمرَ الرَّمَاحِ وَشَرْحَهُ

وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِنْ ثُرَاتِ الْمَقَاوِلِ  
وَأَمْسَكَتْ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ  
لَدَى حَيْثُ يَقْضِي حَلْفَهُ كُلُّ نَافِلٍ  
بِمُنْفَصَى السَّيُولِ مِنْ إِسَافٍ وَنَائِلٍ  
بِأَغْنَاهَا مَعْقُودَةً كَالْعَسَاكِلِ  
عَلَيْنَا بِسُوءٍ أَوْ مُلْحٍ بِبَاطِلٍ  
وَمِنْ مُلْحِقٍ فِي الدِّينِ مَا لَمْ يُحَاوِلِ  
وَرَاقٍ لَيْسَ رَقٍ فِي حِرَاءٍ وَنَازِلِ  
وَبِاللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِغَافِلٍ  
إِذَا اكْتَنَفُوهُ بِالصَّحَى وَالْأَصَائِلِ  
عَلَى قَدَمَيْهِ حَافِيًا غَيْرَ تَاعِلٍ  
وَمَا فِيهِمَا مِنْ صُورَةٍ وَمَنَائِلِ  
وَمِنْ كُلِّ ذِي نَذْرٍ وَمِنْ كُلِّ رَاجِلِ  
إِلَالٍ إِلَى مُفْضَى الشَّرَاحِ الْقَوَائِلِ  
يُعِيْمُونَ بِالْأَيْدِي صُدُورَ الرِّوَاكِ  
وَهَلْ فَوْقَهَا مِنْ حُزْمَةٍ وَمَنَازِلِ  
بِسْرَاعًا كَمَا يُخْرُجْنَ مِنْ وَقْعٍ وَإِلِ  
يُؤْمُونَ قَدْفًا رَأْسَهَا بِالْجَنَادِلِ  
تُحِيرُ بِهِمْ حُجَّاجُ بَكْرِبْنِ وَأَنْلِ  
وَرَدًا عَلَيْهِ عَاطِفَاتِ الْوَسَائِلِ  
وَتَسْبِرُفَهُ وَخَدَّ التَّعَامِ الْحَوَامِلِ

فَهَلْ بَعْدَ هَذَا مِنْ مَعَاذٍ لِعَائِدٍ  
يُطَاعُ بِنَا أَمْرُ الْعِدَا وَدَ أَنْتَا  
كَذَّبْتُمْ وَبَيَّتِ اللهُ تَشْرُكُ مَكَّةَ  
كَذَّبْتُمْ وَبَيَّتِ اللهُ نُبْرَى مُحَمَّدًا  
وَتُسْلِمُهُ حَتَّى نُصْرَعَ حَوْلَهُ  
وَيَنْهَضُ قَوْمٌ فِي الْحَدِيدِ إِلَيْكُمْ  
وَحَتَّى تَرَى ذَا الصَّغْنِ يَرْكُبُ رُذْعَهُ  
[أبيت بحمد الله ترك محمد  
وقال لي الأعداء قاتل عصابة  
انقيم على نصر النبي محمد  
وإننا لعفر الله إن جد ما أرى  
بكتفي فتى مثل الشهاب تتمدع  
شهورًا وأيامًا وحولًا مجرمًا  
وما ترك قوم لا أبأ لك سيدًا  
وما ترك قوم لا أبأ لك سيدًا  
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه  
يلوذ به الهلاك من آل هاشم  
لعنري لقد أجرى أسيد ويكره  
اجزت رحم عنا أسيدًا  
وعثمان لم يزع علينا ونفد  
أطاعا أيتا، وابن عبدي يعوهم  
كما قد لقينا من سبيع ونوقل

وَهَلْ مِنْ مُعِيدٍ يَتَّبِعِي اللهُ عَائِدٍ  
تُسَدُّ بِنَا أَبْوَابِ تَرْكٍ وَكَابِلٍ  
وَتَنْظَعْنَ إِلَّا أَمْرُكُمْ فِي بِلَالٍ  
وَلَسَا نُطَاعِينَ دُونَهُ وَنُتَاضِلِ  
وَنَذْهَلُ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَائِلِ  
نُهُوضَ الرِّوَايَا تَحْتَ ذَاتِ الصَّلَاحِ  
مِنْ الظَّفْعِ فَعَلَّ الْأَنْكَبِ الْمُتَحَامِلِ  
بمكة أسلمه لشر القبائل  
أطاعوه، وابغه من جميع الغوائل  
نقاتل عنه بالظبي والعوائل  
لَتَلْتَبَسْنَ أَسْئَافَنَا بِالْأَمَائِلِ  
أَخِي ثِقَّةَ حَامِي الْحَقِيقَةَ بَاسِلِ  
عَلَيْنَا وَتَأْتِي حِجَّةٌ بَعْدَ قَابِلِ  
يَحُوطُ الذَّمَارَ غَيْرَ ذَرْبِ مُوَائِلِ  
يحوط الذمار غير ذرب مواكل  
مِثَالِ الْيَتَامَى عِصْمَةً لِلْأَرَامِلِ  
فَهُمْ عِنْدَهُ فِي رَحْمَةٍ وَفَوَاضِلِ  
إِلَى بُغْضِنَا إِذْ جَرَّانَا لِأَكِلِ  
وخالد أجزاء مسيء لا يؤخر عاجل  
وَلَكِنْ أَطَاعَا أَمْرَتِكَ الْقَبَائِلِ  
وَمَ يَرْفَعْنَا فِيْنَا مَقَالَةَ قَائِلِ  
وَكُلَّ تَوَلَّى مُعْرِضًا لَمْ يُجَامِلِ



فَإِنْ يَلْقَيْهَا، أَوْ يُكْرِكُ اللهُ مِنْهُمَا  
وَذَلِكَ أَبُو عَمْرٍو أَبِي غَيْرِ بُغَضْنَا  
يُنَاجِي بِنَا فِي كُلِّ مُسَمًى وَمُضَبِّحٍ  
وَيُؤَلِّي لَنَا بِاللَّهِ مَا إِنْ يُغَسِّنَا  
أَصَاقَ عَلَيْهِ بُغَضْنَا كُلَّ تَلْعَةٍ  
وَسَائِلُ أبا الْوَلِيدِ مَاذَا حَبَوْتَنَا  
وَكُنْتَ امْرِيَّ بِنَا يُعَاشُ بِرَأْيِهِ  
[فلست بأبيه على ذات نفسه  
فَعُبَّةٌ لَا تَسْمَعُ بِنَا قَوْلَ كَاشِحٍ  
]وقد خفت إن لم تدرهم وترعووا  
وَمَرَّ أَبُو سُفْيَانَ عَنِّي مُعْرَضًا  
يَفِرُّ إِلَى نَجْدٍ وَيَزِدُ مِيَاهِهِ  
وَيُحْبِرُنَا فِعْلَ الْمُنَاصِحِ أَنَّهُ  
[وأعلم أن لا غافل عن مساءة  
]فيلوا علينا كلكم إن ميلكم  
أَمْطَعِمُ لَمْ أَخْذُكَ فِي يَوْمٍ بِنَجْدَةٍ  
وَلَا يَوْمَ حَضَمٍ إِذْ أَتَوَكَ أَلِدَةً  
أَمْطَعِمُ إِنْ الْقَوْمَ سَامُوكَ حُظَّةً  
جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَتَوَفَّلَا  
مِيزَانَ قِسْطٍ لَا يُحِيسُ شَعِيرَةً  
لَقَدْ سَفَهَتْ أَحْلَامُ قَوْمٍ تَبَدَّلُوا  
وَحَنُّ الصِّمِيمِ مِنْ دُؤَابَةِ هَاشِمٍ

تَكِلَ لُهُمَا صَاعًا بِصَاعِ الْمَكَابِلِ  
لِيُطِيعَتْنَا فِي أَهْلِ شَاءٍ وَجَامِلِ  
فَنَاجِ أبا عَمْرٍو بِنَا ثُمَّ خَاتِلِ  
بَلَى قَدْ تَرَاهُ جَهْرَةً غَيْرَ حَاتِلِ  
مِنَ الْأَرْضِ بَيْنَ أَخْشَبِ فَجَادِلِ  
بِسَعْيِكَ فِينَا مُعْرَضًا كَالْمَخَاتِلِ  
وَرَحْمَتِهِ فِينَا وَلَسْتَ بِجَاهِلِ  
فَعَشَ يَا بِنَ عَمِي نَاعِمًا غَيْرَ مَاحِلِ  
حَسُودٍ كَذُوبٍ مُنْغِضٍ ذِي دَعَاوِلِ  
تَلَاقِي وَتَلْقَى مِنْكَ إِحْدَى الْبَلَابِلِ  
كَمَا مَرَّ قَيْلٌ مِنْ عِظَامِ الْمَقَاوِلِ  
وَيَزُغُمُ أَيَّ لَسْتَ عَنْكُمْ بِغَافِلِ  
شَفِيقٍ وَبِحُجْنِي عَارِمَاتِ الدَّوَاخِلِ  
كَذَاكَ الْعَدُوُّ عِنْدَ حَقِّ وَبَاطِلِ  
سِوَاءِ عَلَيْنَا وَالرِّيَّاحُ بِهَاطِلِ  
وَلَا مُعْظِمُ عِنْدَ الْأُمُورِ الْجَلَانِلِ  
أُولِي جَدَلٍ مِنَ الْخُصُومِ الْمَسَاجِلِ  
وَإِنِّي مَتَى أُوَكَّلُ فَلَسْتَ بِوَائِلِ  
عُقُوبَةً شَرَّ عَاجِلًا غَيْرَ آجِلِ  
لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرُ عَائِلِ  
بَنِي خَلْفٍ قَيْضًا بِنَا وَالْعَبَاطِلِ  
وَأَلِ قُصَيِّ فِي الْخُطُوبِ الْأَوَائِلِ

[وكان لنا حوض السقاية فيهم  
 [فما أدركوا زحلاً ولا سفكوا دماً  
 وَسَهْمٌ وَمَحْرُومٌ نَمَالُوا وَالْبُؤَا  
 [وحدث بنو سهم علينا عديتهم  
 [يعضون من غيظ علينا أكفهم  
 [وشايط كانت في لؤي بن غالب  
 فَعَبِدَ مَنَافٍ أَنْتُمْ خَيْرُ قَوْمِكُمْ  
 لَعْمَرِي لَقَدْ وَهَنْتُمْ وَعَجَزْتُمْ  
 وَكُنْتُمْ حَدِيثاً حَظَبَ قِدْرٍ وَأَنْتُمْ  
 لِيَهْنِي بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ عُقُوقُنَا  
 فَإِنَّ تَكُ قَوْمًا تَنْتَبِرُ مَا صَنَعْتُمْ  
 وَسَائِظُ كَانَتْ فِي لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ  
 وَرَهْطُ نَفِيلِ شَرْمَنَ وَطِأَ الْحَصَى  
 فَأَبْلَغُ قُصَايَا أَنْ سَيْنَشُرُ أُمُرْنَا  
 وَلَوْ طَرَقَتْ لَيْلًا قُصَايَا عَظِيمَةً  
 وَلَوْ صَدَقُوا صَرَباً خِلَالَ بُيُوتِهِمْ  
 [فإن تك كعبٌ من لؤيٍ تجمعت  
 [وإن تك كعبٌ من كعبٍ كبيرة  
 [وكننا بخير قبل تسويد معشر  
 لَقَدْ سَفَهَتْ أَخْلَامُ قَوْمٍ تَبَدَّلُوا  
 فَكُلَّ صَدِيقِي وَإِنَّ أُخْتِ نَعْدَهُ  
 سِوَى أَنْ رَهْطًا مِنْ كِلَابِ بْنِ مِرَّةٍ

ونحن الذرى منهم وفوق الكواهل  
 وما خالفوا إلا شرار القبائل  
 عَلَيْنَا الْعِدَا مِنْ كُلِّ طِفْلِ وَخَابِلٍ  
 عدي بن كعب فاحتبوا في المحافل  
 بلا ترة بعد الحمى والتواصل  
 نفاهم إلينا كل صقر حلال  
 فَلَا تُشْرِكُوا فِي أَمْرِكُمْ كُلَّ وَاعِلٍ  
 وَجِئْتُمْ بِأَمْرِ مُحْطِيٍّ لِلْمَفَاصِلِ  
 أَلَنْ حِطَابٍ أَقْدَرٍ وَمَرَاجِلِ  
 وَخِذْلَانِنَا، أَوْ تَرَكْنَا فِي الْمَعَاقِلِ  
 وَتَحْتَلِيوَهَا لِقَحَّةً غَيْرَ بَاهِلِ  
 نَفَاهُمْ إِلَيْنَا كُلَّ صَقْرِ حُلَاجِلِ  
 وَالْأَمَّ حَافٍ مِنْ مَعَدٍ وَنَاعِلِ  
 وَيَشُرُ قُصَايَا بَعْدَنَا بِالتَّخَاذُلِ  
 إِذَا مَا لَجَأْنَا دُؤَيْبَهُمْ فِي الْمَدَاخِلِ  
 لَكُنَّا أَسَى عِنْدَ التَّسَاءِ الْمَطَاغِلِ  
 فلا بد يوماً مرة من تزايل  
 فلا بد يوماً أنها في مجاهل  
 هم ذبحونا بالمدى والمقاول  
 بَنِي خَلْفٍ قَيْضًا بِنَا وَالْعَايِطِلِ  
 لَعْمَرِي وَجَدْنَا غَيْبَهُ غَيْرَ ظَانِلِ  
 بَرَاءً إِلَيْنَا مِنْ مَعْقَةِ خَاذِلِ

[بني أسد لا تُظَرِقَنَّ على القذى  
[ونعم ابن أخت القوم غير مكذب  
وَهَذَا لَهُمْ حَتَّى تَبَدَّدَ جَمْعُهُمْ  
وَكَانَ لَنَا حَوْضُ السَّقَايَةِ فِيهِمْ  
شَبَابٌ مِنَ الْمُظَلِّيِّينَ وَهَاشِمٍ  
فَمَا أَدْرَكُوا دَخْلًا وَلَا سَفَكُوا دَمًا  
بِضَرْبِ تَرَى الْفَتِيَّانِ فِيهِ  
بَنِي أُمِّهِ مَحْبُوبَةٍ هِنْدِيَّةٍ  
وَلَكِنَّا نَسْلُ كِرَامًا لِسَادَةِ  
وَنِعَمَ ابْنِ أُخْتِ الْقَوْمِ غَيْرِ مُكَذِّبٍ  
أَشْتَمَ مِنَ النَّسَمِ الْبَهَائِلِ يَنْتَمِي  
لِعُغْرِي لَقَدْ كَلَّفْتُ وَجْدًا بِأَحْمَدَ  
فَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا جَمَالًا لِأَهْلِهَا  
فَسَنُ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ مُؤْمِلٍ  
حَلِيمٍ رَشِيدٍ عَادِلٍ غَيْرِ طَائِشٍ  
فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ أَجِئْتُ بِسُبَّةٍ  
لَكُنَّا اتَّبَعْنَا عَلَى كُلِّ حَالَةٍ  
[وداستكم منا رجال أعزة  
[رجال كرام غير ميلٍ فهاهم  
[وقفنا لهم حتى تبدد جمعهم  
[شباب من المظليين وهاشم  
[بضرب ترى الفتيان فيه كأنهم

إذا لم يقل بالحق مقول قائل]  
زهير حساماً مفرداً من حمائل]  
وَحُيْسِرَ عَنَا كُلِّ بَاغٍ وَجَاهِلٍ  
وَعَنُ الْكُدَى مِنْ غَالِبٍ وَالْكَوَاهِلِ  
كَبِيضِ السِّيُوفِ بَيْنَ أَيْدِي الصِّيَاقِلِ  
وَلَا خَالَفُوا إِلَّا أَشْرَ الْقَبَائِلِ  
كَأَنَّهُمْ ضَوَارِي أَسْوَدٍ فَوْقَ لَحْمِ خِرَادِلِ  
بَنِي جَمَحٍ عُبَيْدِ قَيْسِ بْنِ عَاقِلِ  
بِهِمْ نَعْيِ الْأَقْوَامِ عِنْدَ الْبَوَاطِلِ  
زُهَيْرٌ حُسَامًا مُفْرَدًا مِنْ حَمَائِلِ  
إِلَى حَسَبٍ فِي حَوْمَةِ الْمُتَجِدِ فَاضِلِ  
وَإِخْوَتِهِ ذَابَ الْمِحْبَ الْمَوَاصِلِ  
وَزَيْنًا لِسُنِّ وَالِاهِ رَبِّ الْمَشَاكِلِ  
إِذَا قَاسَهُ الْحِكَامُ عِنْدَ التَّفَاضِلِ  
يُؤَالِي إِلَهًا لَيْسَ عَنْهُ بِعَاقِلِ  
تُحَجَّرَ عَلَى أَشْيَاخِنَا فِي الْمُخَافِلِ  
مِنَ الدَّهْرِ جِدًّا غَيْرَ قَوْلِ التَّهَائِلِ  
إِذَا جَرَدُوا أَيْمَانَهُمَ بِالْمَنَاصِلِ  
إِلَى الْعِزِّ أَبَاءَ كِرَامِ الْمَخَاصِلِ  
[وحيسر عنا كل باغ وجاهل]  
[كبيض السيوف بين أيدي الصياقل]  
[ضواري أسود فوق لحم خرادل]

[ولكننا نسلُّ كرام لسادة بهم  
[سيعلم أهل الضغن أتي وأبهم  
[وأبهم مني ومنهم بسيفه يلاقي  
[ومن ذاميل الحرب مني ومنهم  
لَقَدْ عَلِمُوا أَنِ ابْتِنَا لَا مُكَذَّبَ  
فَأَصْبَحَ فِينَا أَحْمَدُ فِي أَرْوَمَةِ  
[كأني به فوق الجياد يقودها  
حَدَبْتُ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحِمِيَّتِهِ  
فَأَيَّدَهُ رَبُّ الْعِبَادِ بِنَصْرِهِ  
رِجَالٌ كِرَامٌ غَيْرُ مِيلٍ مَنَاهُمْ  
فَإِن تَكُ كَعْبٌ مِنْ لُؤَيِّ صُقَيْبَةَ  
[وَجُدْتُ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحِمِيَّتِهِ  
وَدَافَعْتُ عَنْهُ بِالذَّرَى وَالْكَلاَكِلِ  
وَأَظْهَرَ دِينًا حَقَّهُ غَيْرُ بَاطِلِ  
إِلَى الْخَيْرِ آبَاءَ كِرَامِ الْمَحَاصِلِ  
فَلَا بُدَّ يَوْمًا مَرَّةً مِنْ تَزَايِلِ  
«وَدَافَعْتُ عَنْهُ بِالذَّرَى وَالْكَلاَكِلِ»]

حماته أبو طالب

ورواها القاضي النعمان المغربي في المناقب والمثالب/٩٢، بمئة وسبعة أبيات، وقال:  
«وفشا شعر أبي طالب هذا في العرب وأمرُ رسول الله وقيام بني عبد شمس ومن  
أطاعها عليه، وانتصاب بني هاشم ومن تولاها دونه، وعلموا قديماً ما بين الفتنتين  
من البغضاء وحسد بني عبد شمس بني هاشم... فتوقف من كانوا أغروه من  
قبائل العرب برسول الله ﷺ، وكذب أكثرهم مقالهم فيه، وذكر أهل يثرب ما  
كانت اليهود خبرتهم وحدثتهم به من ظهور نبي فيهم، قد أذف وقت ظهوره  
وإخبارهم عن شأنه وأموره، فلما بلغهم أمر رسول الله تطلعت أعينهم إليه».  
وقال في شرح الأخبار: ٢٢٥/٣: «وكان إظهار أبي طالب ما أظهر من التمسك  
بدين العرب والرغبة فيه، مع تصديقه لرسول الله ﷺ وإقراره بنبوته، مما أيد الله  
به أمر محمد ﷺ لأنه لو أظهر الإسلام لرفضته العرب، ولم يعضده من عضده  
منهم على نصرته رسول الله ﷺ».

وقد شرح قصيدة أبي طالب بعض العلماء شرحاً موجزاً، كالسهيلي في الروض  
الأنف: ١٦/٢، وهو من حفاظ القرن السادس. تذكرة الحفاظ للذهبي: ١٣٤٨/٤.

وشرحها صاحب خزانة الأدب: ٥٣/٢، عبد القادر بن عمر البغدادي المتوفى سنة  
١٠٩٣ وأورد منها أربعين بيتاً، وقال: «وقد أحببت أن أوردتها هنا منتخبة مشروحة  
بشرح يوفي المعنى، محبة في النبي صلى الله عليه».

وشرح ابن إسحاق بعض مفرداتها كما نقل ابن هشام: ١٨١/١ قال: «والغياطل: من  
بني سهم بن عمرو بن هصيص، وأبوسفيان: ابن حرب بن أمية. ومطعم: ابن عدي  
بن نوفل بن عبدمناف. وزهير: ابن أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم،  
وأمه عاتكة بنت عبدالمطلب. قال ابن إسحاق: وأسيد، وبكره: عتاب بن أسيد بن  
أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبدمناف بن قصي. وعثمان: ابن عبيدالله، أخو  
طلحة بن عبيدالله التيمي. وقنفذ: ابن عمير بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد  
بن تيم بن مرة. وأبو الوليد: عتبة بن ربيعة. وأبي: الأخنس بن شريق الثقفي حليف  
بني زهرة بن كلاب. قال ابن هشام: وإنما سمى الأخنس لأنه خنس بالقوم يوم بدر،  
وإنما اسمه أبي. وهو من بني علاج وهو علاج بن أبي سلمة بن عوف بن عقدة.  
والأسود: ابن عبد يغوث بن وهب بن عبدمناف بن زهرة بن كلاب. وسبيع: ابن  
خالد، أخو بلحارث بن فهر. ونوفل: ابن خويلد بن أسد بن عبدالعزى ابن قصي وهو  
ابن العدوية، وكان من شياطين قريش، وهو الذي قرن بين أبي بكر الصديق وطلحة  
بن عبيدالله في جبل حين أسلما، فبذلك كانا يسميان القرينين، قتله علي بن أبي طالب  
يوم بدر. وأبو عمرو: قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبدمناف. وقوله: وقوم علينا  
أظنة، بنو بكر بن عبدمناة بن كنانة. فهؤلاء الذين عدد أبو طالب في شعره من العرب!»  
لكن أباطال ﷺ ذكر غيرهم أشخاصاً وقبائل!

ثم روى ابن هشام قوله ﷺ عندما استسقى في المدينة: «لو أدرك أبوطالب هذا  
اليوم لسره، فقال له بعض أصحابه: كأنك يا رسول الله أردت قوله:  
وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْعَمَاءُ بِوَجْهِهِ... بِئِمَالِ الْبَيْتَامَى عَضَمَةً لِلْأَرَامِلِ؟ قال أجل».  
وفي عمدة القاري: ٣١/٧: «لله در أبي طالب لو كان حياً لقرت عيناه».

## ٧- ملاحظات حول لامية أبي طالب ﷺ وشعره

أ. يبلغ شعر أبي طالب ﷺ الذي وصل إلينا نحو ألف بيت، وهو ثروة مهمة لم يعطه العلماء حقه في تدوين السيرة وتوثيقها! وقد رأيت قول الناصبي ابن كثير: «هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً، لا يستطيع يقولها إلا من نسبت إليه، وهي أفحل من المعلقات السبع وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعاً!»

فلماذا لم يدرسوها ويعتمدوها؟! ولا يذكرون شعر أبي طالب ﷺ إلا عند الضرورة وباختصار، تقريباً وخوفاً من الحكومات! ثم زعموا أنه مات كافراً لينفوا وراثته لعبد المطلب، فنفيُ الوراثة وتكفير آباء النبي ﷺ وأسرتَه أمرٌ مهم عندهم، لأنها تنقض أساس خلافة السقيفة!

ب. يكشف شعر أبي طالب ﷺ عن أمور وأحداث في السيرة النبوية لم يسجلها الرواة والمؤلفون، أو عتموا عليها، فمنها أن قريشاً قررت إجلاء بني هاشم من مكة إن لم يسلموهم النبي ﷺ ليقتلوه! وعملوا التنفيذ ذلك فأحبطه أبو طالب:

كَذَّبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ تُبْرَى مُحَمَّدًا  
وَلَنَا نُطَاعِنُ دُونَهُ وَنُنَاصِلِ  
وَنُسَلِّمُهُ حَتَّى نَضْرَعَ حَوْلَهُ  
وَنُدْهَلُ عَنْ أُنْبَائِنَا وَالْحَلَائِلِ  
كَذَّبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ نَشْرِكُ مَكَّةَ  
وَنَنْظَعُنُ إِلَّا أَمْرَكُمْ فِي بِلَالِ  
وَذَاكَ أَبُو عَمْرٍ وَأَبْنَى غَيْرِ بُغْضَنَا  
لِيُظْعِنَنَا فِي أَهْلِ شَاءٍ وَجَامِلِ  
يُنَاجِي بِنَا فِي كُلِّ مُنْشَى وَمُضْبِحِ  
فَنَجَّجَ أَبَا عَمْرٍ بِنَا ثُمَّ خَاتِلِ  
وَيُؤَلِّي لَنَا بِاللهِ مَا إِنْ يَغْشَنَا  
بَلَى قَدْ سَرَاهُ جَهْرَةً غَيْرَ حَائِلِ

وأبو عمرو المنافق هو: قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف، وهذا يدل على أن حساد بني هاشم من أقربائهم كبني نوفل وأمّية، كانوا مع قرار نفيتهم! ج. ومن ذلك أن أبا طالب ﷺ أشار في شعره إلى أعمال عدائية قامت بها قبائل أو شخصيات معينة، لم يكشفها الرواة! لاحظ قوله ﷺ:

لَعَمْرِي لَقَدْ أُجْرَى أَسِيدٌ وَيَكْرَهُ  
إِلَى بُغْضِنَا إِذْ جَزَانَا لِأَكْلِ

جزت رحم عنا أسيداً وخالداً  
وَعُمَّانُ لَمْ يَزِغْ عَلَيْنَا وَفُنُذُ  
أَطَاعَا أُبَيًّا، وَابْنَ عَبْدِ يَعُوثِمْ  
كَمَا قَدْ لَقِينَا مِنْ سُبَيْعٍ وَنَوْفَلِ  
فَإِنْ يُلْفِيَا، أَوْ يُنَكِّرُ اللَّهُ مِنْهُمَا  
وَمَرَّ أَبُو سُفْيَانَ عَنِّي مُعْرِضًا  
يَفِرُّ إِلَى نَجْدٍ وَبَزْدٍ مِيَاهِهِ  
وَيُحْبِرُنَا فِعْلَ الْمُنَاصِحِ أَنَّهُ  
[وأعلم أن لا غافل عن مساءة  
إفيلوا علينا كلكم إن ميلكم  
أَمْطِعُمْ لَمْ أَخْذَلْكَ فِي يَوْمِ بَحْدَةَ  
أَمْطِعُمْ إِنْ الْقَوْمُ سَامُوكَ خُطَّةً  
جَزَى اللَّهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلًا  
بِمِزَانَ قَسِطٍ لَا يُخِيشُ شَعِيرَةً  
لَقَدْ سَفَهَتْ أَخْلَامُ قَوْمٍ تَبَدَّلُوا  
وَسَهْمٌ وَمَحْرُومٌ تَمَالَوْا وَالْبُؤَا  
[وحث بنو سهم علينا عديهم  
بعضون من غيظ علينا أكفهم  
[وشأيظ كانت في لؤي بن غالب  
وَرَهْظٌ نَفِيلٌ شَرَمَنْ وَطَأَ الْحَصَى

جزاء مسئ لا يؤخر عاجل  
وَلَكِنْ أَطَاعَا أَمْرَتِكَ الْقَبَائِلِ  
وَمَنْ يَرُوقَا فِينَا مَقَالَةَ قَائِلِ  
وَكُلَّ نَوَى مُعْرِضًا لَمْ يُجَامِلِ  
نَكِلَ لَهْمَا صَاعًا بِصَاعِ الْمَكَائِلِ  
كَمَا مَرَّقَيْلٌ مِنْ عِظَامِ الْمَقَاوِلِ  
وَيَزُغُمْ أَنِّي لَسْتُ عَنْكُمْ بِعَافِلِ  
شَفِيقٌ وَيُخْفِي عَارِمَاتِ الدَّوَاخِلِ  
كذلك العدو عند حق وباطل  
سواء علينا والرياح بهاطل  
وَلَا مُعْظِمٌ عِنْدَ الْأُمُورِ الْجَلَائِلِ  
وَإِنِّي مَتَى أُوَكَّلُ فَلَسْتُ بِوَائِلِ  
عُقُوبَةَ شَرِّ عَاجِلًا غَيْرَ أَجِلِ  
لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرَ عَائِلِ  
بَنِي خَلْفٍ قَيْضًا بِنَا وَالغَيْطَائِلِ  
عَلَيْنَا الْعِدَا مِنْ كُلِّ طَيْمَلٍ وَخَامِلِ  
عدي بن كعب فاحتبوا في المحافل  
بلا ترة بعد الحمى والتواصل  
نفاهم إلينا كل صقر حلال  
وَأَلَمٌ حَافٍ مِنْ مَعَدٍ وَنَاعِلِ

ولم أجد تعبير «شر من وطأ الحصى» قبل وصف أبي طالب به لعددي، وهم قبيلة  
عمر، وكانوا قلة لكن لهم دور في عداة النبي ﷺ.

ولاحظ قوله ﷺ في قصيدة أخرى:

وليد أبوه كان عبداً لجدنا  
إلى علجة زرقاء جاش بها البحر  
وتيم ومخزوم وزهرة منهم  
فكانوا لنا مولى إذا بغى النصر  
فقد سفهت أحلامهم وعقولهم  
فكانوا كجفريئس ما صنعت جفر

والوليد هو أبو خالد بن الوليد، أحد المستهزئين الخمسة سنن البيهقي ٨/٩  
وقد أخبر أبو طالب أن أمه رومية، كانت أمة لهاشم!

د. ولاحظ قوله ﷺ في المعجزة التي ظهرت في أبي جهل: «لما جاء إلى رسول الله ﷺ وهو  
ساجد، ويده حجر يريد أن يرميه به، فلما رفع يده لصق الحجر بكفه!»

حماته أبو طالب ﷺ

أفيقوا بني غالب وانتهوا  
عن الغي من بعض ذا المنطق  
وإلا فياني إذن خائف  
بوائق في داركم تلتقي  
تكون لغيركم عبرة  
ورب المغارب والمشرق  
كما ذاق من كان من قبلكم  
ثمودٌ وعادٌ فن ذا بقي  
غداة أتاهم بها صرصر  
وناقة ذي العرش قد تستقي  
فحل عليهم بها سخطة  
من الله في ضربة الأزرق  
غداة يعرض بعرقوبها  
حساماً من الهند ذارونق  
وأعجب من ذلك في أمركم  
عجائب في الحجر المصق  
بكف الذي قام من خبثه  
إلى الصابر الصادق المتقي  
فأثبتته الله في كفه  
على رعمة الجائر الأحمق  
أصمق مخزومكم إذ غوى  
لغي الغواة ولم يصدق

كنز الفوائد/٧٥، أبو طالب حامي الرسول/٢١، ابن إسحاق: ٤/١٩٢ ولم يجزم بنسبتها إلى أبي طالب!  
فلا بد من تتبع الأحداث التي أرخها أبو طالب رضي الله عنه، أو أشار إليها،  
وفيها مفردات جديدة في السيرة، أهملها الرواة أو جهلواها، فينبغي بحث  
نصوصها ومؤيداتها، أو ما يعارضها في السيرة الحكومية الرسمية.



## الفصل الخامس عشر

### الإسراء والمعراج

#### ١- آيات الإسراء والمعراج

قال الله تعالى: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الإسراء ١.

وقال تعالى: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ. وَمَا يَنْتَظِقُ عَنْ غَهْوَىٰ. إِنَّ هُوَ إِلَّا نُجْحِي نُجْحَىٰ. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ. ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ. وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ. ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ. فَأُوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أُوْحَىٰ. مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ. أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ. وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ. عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ. إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ. مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ. لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ. النجم ١-١٨.

فمطلع سورة الإسراء في الإسراء، أما المعراج فأياته في سورة النجم.

وقال المفسرون واللغويون: السرى هو السير بالليل فقط «لسان العرب ٤/٣٨٩» لكن قوله

تعالى: أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا، يدل على أن الإسراء مطلق السير، ولذا قال: لَيْلًا.

وتبلغ أحاديث الإسراء والمعراج في مصادر الطرفين مئات الصفحات، وحرصنا هنا إيراد

مختارٍ منها، يعطي تصوراً شاملاً عن المعراج، ثم نشير إلى بعض الروايات المكذوبة فيه.

#### ٢- كان الإسراء والمعراج بالجسد والروح

مذهب عامة الشيعة أن معراج النبي ﷺ كان بروحه وجسده. قال المجلسي في روضة

المؤمنين: ٢١٨/٢: «وأما المعراج فأخباره أكثر من أن تحصى، وإنكاره كفر.. ثم حمل على عائشة

ومعاوية، لأنها أنكرا المعراج بالجسم وجعلاه بالروح»!  
 وقال النويري في نهاية الأرب: ٢٩٣/١٦: «اختلف العلماء على ثلاث مقالات،  
 ذهبت طائفة إلى أنه إسرائ بالروح وأنه رؤيا منام. وذهبت طائفة إلى أن  
 الإسرائ كان بالجسد يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح. والذي عليه  
 الأكثرون وقال به معظم السلف أنه إسرائ بالجسد وفي اليقظة. قال القاضي  
 عياض بن موسى بن عياض: وهذا هو الحق، وهو قول ابن عباس وجابر وأنس  
 وحذيفة.. وهو قول الطبري، وابن حنبل، وغيرهما، وقد أبطلوا حجج من قال  
 خلاف ذلك بأدلة يطول علينا شرحها. قال القاضي عياض: وعليه تدل الآيات،  
 إذ لو كان مناماً لقال: بروح عبده، ولم يقل: بعبده. وقوله: ما زاع البصر وما  
 طغى. ولو كان مناماً لما كانت فيه آية ولا معجزة».

### ٣- برنامج رباني لإعداد النبي ﷺ

الإسرائ: سَفَر النبي ﷺ من مكة إلى الكوفة، ثم إلى جبل الطور وبيت المقدس،  
 إشارة إلى أنه وارث آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ﷺ.  
 والمعراج: عروجه ﷺ إلى السماء، وكان ذلك في أوائل البعثة، وكأنه برنامج  
 إعداد للنبي ﷺ بأن يريه ربه ما شاء من ملكوته وآياته الكبرى.  
 ففي أمالي الصدوق/٢١٣: «عن ثابت بن دينار قال: سألت زين العابدين علي  
 بن الحسين بن علي بن أبي طالب ؑ عن الله جل جلاله هل يوصف بمكان؟  
 فقال: تعالی الله عن ذلك. قلت: فلم أسرى بنبيه محمد ﷺ إلى السماء؟ قال: ليريه  
 ملكوت السماوات وما فيها من عجائب صنعه وبدائع خلقه. قلت: فقول الله  
 عز وجل: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى؟ قال: ذلك رسول الله ﷺ دنا من  
 حجب النور، فرأى ملكوت السماوات، ثم تدلى ﷺ فنظر من تحته إلى ملكوت  
 الأرض حتى ظن أنه في القرب من الأرض كقاب قوسين أو أدنى».  
 وفي الإحتجاج: ٣٢٧/١ أن حَبْرًا قال لأمير المؤمنين ؑ: «هذا سليمان قد

سخرت له الرياح فسارت به في بلاده، غُدُّوها شهر ورواحها شهر؟ قال له ﷺ: لقد كان ذلك، ومحمد ﷺ أعطي ما هو أفضل من هذا، إنه أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مسيرة شهر، وعرج به في ملكوت السماوات مسيرة خمسين ألف عام، في أقل من ثلث ليلة، حتى انتهى إلى ساق العرش فدني بالعلم فتدلى من الجنة على رفر ف أخضر، وغشي النور بصره، فرأى عظمة ربه عز وجل بفؤاده، ولم يرها بعينه، فكان كقاب قوسين بينه وبينها، أو أدنى». أقول: هذا يدل على أن التدلي كان مرات، ومن عدة أمكنة، لمشاهدة ملكوت الأرض، ولمشاهدة آيات الله وعظمته فيها.

#### ٤- عرج بالنبي ﷺ مئة وعشرين مرة!

قال العيني في عمدة القاري: ٣٩/٤: «قيل إن الإسراء كان مرتين، مرة بروحه مناماً، ومرة بروحه وبدنه بيقظة. ومنهم من يدعي تعدد الإسراء في اليقظة أيضاً، حتى قال إنه أربع إسراآت. وزعم بعضهم أن بعضها كان بالمدينة، ووفق أبو شامة في روايات حديث الإسراء بالجمع بالتعدد، فجعله ثلاث إسراآت، مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط على البراق، ومرة من مكة إلى السماوات على البراق أيضاً. ومرة من مكة إلى بيت المقدس ثم إلى السماوات».

وقال ابن عباس: «كان المعراج مرتين، بعد النبوة بستتين، فالأول معراج العجائب والثاني معراج الكرامة». المناقب: ١٥٣/١.

ورجح في الصحيح من السيرة: ٢٥/٣ أنه مرتان، طبق رواية الكافي: ٤٤٣/١ لكن سندها غير تام، بينما صح عن أهل البيت ﷺ أنه مرات، فعن الإمام الصادق ﷺ: «عرج بالنبي ﷺ إلى السماء مائة وعشرين مرة. ما من مرة إلا وقد أوصى الله النبي ﷺ بولاية علي والأئمة ﷺ من بعده، أكثر مما أوصاه بالفرايض». بصائر الدرجات/ ٩٩، الخصال، ٦٠٠، المحاضر/ ٤٤ والفوائد الطوسية/ ١٤٠.

ومما يدل على أن المعراج وقع أيضاً في أواخر نبوته ﷺ، ما رواه الصدوق في الأمالي/ ٦٩٦،

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله حيث أسري به إلى السماء، لم يمر بخلق من خلق الله إلا رأى منه ما يحب، من البشر والطف والسرور به، حتى مر بخلق من خلق الله فلم يلتفت إليه ولم يقل له شيئاً، فوجده قابلاً عابساً فقال: يا جبرئيل، ما مررت بخلق من خلق الله إلا رأيت البشر والطف والسرور منه إلا هذا، فمن هذا؟ قال: هذا مالك خازن النار، وهكذا خلقه ربه! قال: فإني أحب أن تطلب إليه أن يريني النار. فقال له جبرئيل: إن هذا محمداً رسول الله، وقد سألتني أن أطلب إليك أن تره النار. قال: فأخرج له عنقاً منها فأراها، فما افتراً ضاحكاً حتى قبضه الله عز وجل».

ونحوه في كتاب الحسين بن سعيد/ ٩٩ وفيه: «فكشف له طبقاً من أطباقها».

#### الإسراء والمعراج

فهذا الحديث الصحيح يدل على أنه لم يضحك بعده حتى توفي فهو في أواخر حياته الشريفة، ومعرجه الأول كان في أوائل بعثته، وقد ضحك بعده في مناسبات عديدة.

#### ٥- الإسراء والمعراج من عقائد الإسلام

في أمالي الصدوق/ ٧٣٨: «دين الإمامية هو الإقرار بتوحيد الله تعالى ذكره، ونفي التشبيه عنه وتنزيهه عما لا يليق به، والإقرار بأنبياء الله ورسله وحججه وملائكته وكتبه، والإقرار بأن محمداً هو سيد الأنبياء والمرسلين... وبمعراج النبي صلى الله عليه وآله إلى السماء السابعة، ومنها إلى سدرة المنتهى، ومنها إلى حجب النور، وبمناجاة الله عز وجل إياه، وأنه عرج به بجسمه وروحه على الصحة والحقيقة لا على الرؤيا في المنام، وأن ذلك لم يكن لأن الله عز وجل في مكان هناك، لأنه متعال عن المكان، ولكنه عز وجل عرج به تشریفاً له وتعظيماً لمنزلته، وليريه ملكوت السموات كما أراه ملكوت الأرض، ويشاهد ما فيها من عظمة الله عز وجل وليخبر أمته بما شاهد في العلو من الآيات والعلامات».

وفي رسالة الاعتقادات للصدوق عليه السلام/ ٧٩: «واعتقادنا في الجنة والنار أنها مخلوقتان

وأن النبي ﷺ قد دخل الجنة، ورأى النار، حين عرج به.

إن المعراج حدثٌ ضخْمٌ، ومفرداته كثيرة، وقد تبلغ موضوعاته مائتي عنوان، وهذا طبيعي، لأنه جولة في الأرض على ربوع الأنبياء السابقين ﷺ، وجولاتٌ في الساعات السبع، أرى الله فيها رسوله ﷺ آيات ملكوته الكبرى. أراه جميع الأنبياء ﷺ، والجنة بأعلى نعيمها، وطرفاً من النار والمعذبين فيها.

وأراه مشاهد ستحدث من مستقبل أمته، وأراه الأئمة من ذريته ﷺ، وعلمه علم ما يكون. وفي كل واحد من هذه المواضيع: عناوين، وفروع، وتفاصيل.

وقد أفاضت مصادرنا في رواية أحاديث المعراج التي بينت مقام النبي ﷺ والأئمة من عترته ﷺ، ومقام شيعتهم وما يجري عليهم من اضطهاد، وما أعد الله لهم من نصر في نهاية المطاف، ودرجات عالية في الآخرة.

#### ٦- هل المسجد الأقصى مسجد القدس أو البيت المعمور؟

يوجد رأي نادر للباحث السيد جعفر مرتضى، ذكره في رسالة عن البيت المعمور، وفي كتابه الصحيح من السيرة: ١٤٧/٣ مفاده: أن المقصود بالمسجد الأقصى في آية الإسراء هو البيت المعمور في السماء وليس مسجد بيت المقدس، وأن المسجد الذي يدخله المؤمنون مرتين هو المسجد الحرام، قال:

«الظاهر أن المراد به هو المسجد الحرام، أما المسجد الأقصى الذي حصل الإسراء إليه، والذي بارك الله حوله، فهو في السماء».

واستدل على ذلك برواية أن النبي صلى بالأنبياء ﷺ في المسجد الأقصى، وهو البيت المعمور: «انتهى جبرئيل إلى البيت المعمور وهو المسجد الأقصى، فلما دنا منه أتى جبرئيل عيناً فتوضأ منها ثم قال يا محمد توضأ». اليقين لابن طاووس/ ٢٩٤.

وفي تفسير القمي: ٢٤٣/٢ ونوادر المعجزات/ ٦٦: «عن إسماعيل الجعفي قال: كنت في المسجد الحرام قاعداً وأبو جعفر ﷺ في ناحية، فرفع رأسه فنظر إلى السماء مرة وإلى الكعبة مرة، ثم قال: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى..»

وكرر ذلك ثلاث مرات، ثم التفت إليّ فقال: أي شيء يقولون أهل العراق في هذه الآية يا عراقي؟ قلت: يقولون أسري به من المسجد الحرام إلى البيت المقدس، فقال: لا، ليس كما يقولون، ولكنه أسريّ به من هذه وأشار بيده إلى الأرض، إلى هذه وأشار بيده إلى السماء، وقال: ما بينهما حرم. قال: فلما انتهى به إلى سدره المنتهى تخلف عنه جبرئيل عليه السلام فقال رسول الله ﷺ: يا جبرئيل في هذا الموضع تخذلني؟ فقال: تقدم أمامك، فوالله لقد بلغت مبلغاً لم يبلغه أحد من خلق الله قبلك. فرأيت من نور ربي وحال بيني وبينه السبحة. قلت: وما السبحة جعلت فداك؟ فأومى بوجهه إلى الأرض وأومى بيده إلى السماء وهو يقول جلال ربي ثلاث مرات. قال يا محمد! قلت: لبيك يا رب قال: فيم اختصم الملائ الأعلی؟ قال: قلت سبحانك لا علم لي إلا ما علمتني.

قال فوضع يده أي يد القدرة بين ثديي فوجدت بردها بين كتفي. قال: فلم يسألني عما مضى ولا عما بقي إلا علمته. قال: يا محمد فيم اختصم الملائ الأعلی؟ قال قلت: يا رب في الدرجات والكفارات والحسنات.

فقال: يا محمد قد انقضت نبوتك وانقطع أكلك، فمن وصيك؟ فقلت: يا رب قد بلوت خلقك فلم أر من خلقك أحداً أطوع لي من علي؟ فقال: ولي يا محمد. فقلت: يا رب إني قد بلوت خلقك فلم أر في خلقك أحداً أشد حباً لي من علي بن أبي طالب. قال: ولي يا محمد، فبشره بأنه راية الهدى وإمام أوليائي ونور لمن أطاعني، والكلمة التي ألزمتها المتقين، من أحبه فقد أحبني ومن أبغضه فقد أبغضني، مع ما أني أخصه بما لم أخص به أحداً. فقلت: يا رب أخي وصاحبي ووزير ووارثي، فقال إنه أمر قد سبق أنه مبتلى ومبتلى به، مع ما أني قد نحلته ونحلته ونحلته وأربعة أشياء عقدها بيده ولا يفصح بها عقدها.

أقول: في هذا الحديث عناصر قوة، لكن فيه عناصر خلل توجب التوقف فيه، أهمها ما يوافق المخالفين في التجسيم، أو ما يوهم التجسيم. ومنها وجود روايات تعارضه وتدل على أن المسجد الأقصى مسجد

بيت المقدس، منها ما رواه في الكافي: ٤٩١/٣ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «جاء رجل إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه وهو في مسجد الكوفة فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فرد عليه، فقال: جعلت فداك إني أردت المسجد الأقصى، فأردت أن أسلم عليك وأودعك، فقال له: وأي شيء أردت بذلك؟ فقال: الفضل جعلت فداك، قال: فبيع راحتك وكل زادك، وصل في هذا المسجد فإن الصلاة المكتوبة فيه حجة مبرورة، والنافلة عمرة مبرورة، والبركة فيه على اثني عشر ميلاً، يمينه يمن ويساره مكر، وفي وسطه عين من دهن، وعين من لبن، وعين من ماء شراب للمؤمنين، وعين من ماء طهر للمؤمنين. منه سارت سفينة نوح، وكان فيه نسر ويغوث ويعوق، وصلى فيه سبعون نبياً وسبعون وصياً، أنا أحدهم. وقال بيده في صدره: ما دعا فيه مكروب بمسألة في حاجة من الحوائج، إلا أجابه الله وفرج عنه كربته».

فلو صححت الرواية التي تسمي البيت المعمور في السماء المسجد الأقصى أوبيت المقدس، فدلتها على تعدد المسجد الأقصى أولى من دلتها على البدلية. لذلك نستقرب أن يكون المسجد الأقصى اسماً للبيت المعمور وبيت المقدس معاً.

#### ٧- علّمه الله في المعراج علم ما يكون

في الكافي: ٢٥١/١: «قال رجل لأبي جعفر عليه السلام: يا ابن رسول الله لا تغضب عليّ قال: لماذا؟ قال: لما أريد أن أسألك عنه، قال: قل. قال: ولا تغضب؟ قال: ولا أغضب. قال: أرأيت قولك في ليلة القدر تنزل الملائكة والروح فيها إلى الأوصياء يأتونهم بأمر لم يكن رسول الله ﷺ قد علمه؟ أو يأتونهم بأمر كان رسول الله يعلمه؟ وقد علمت أن رسول الله مات وليس من علمه شيء إلا وعلي عليه السلام له واع!

قال أبو جعفر عليه السلام: مالي ولك أيها الرجل ومن أدخلك عليّ؟

قال: أدخلني عليك القضاء لطلب الدين. قال: فافهم ما أقول لك: إن رسول الله لما أسري به لم يهبط حتى أعلمه الله جل ذكره علم ما قد كان وما سيكون، وكان

كثير من علمه ذلك جملاً، يأتي تفسيرها في ليلة القدر. وكذلك كان علي بن أبي طالب عليه السلام قد علم جمل العلم ويأتي تفسيره في ليالي القدر، كما كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله. قال السائل: أو ما كان في الجمل تفسير؟ قال: بلى، ولكنه إنما يأتي بالأمر من الله تعالى في ليالي القدر إلى النبي وإلى الأوصياء عليهم السلام: إفعل كذا وكذا، لأمر قد كانوا علموه، أمروا كيف يعملون فيه؟

قلت: فسر لي هذا. قال: لم يمت رسول الله صلى الله عليه وآله إلا حافظاً لجملة وتفسيره. قلت: فالذي كان يأتيه في ليالي القدر علم ما هو؟ قال: الأمر واليسر فيما كان قد علم. قال السائل: فما يحدث لهم في ليالي القدر علم سوى ما علموا؟ قال: هذا مما أمروا بكتنانه، ولا يعلم تفسير ما سألت عنه إلا الله عز وجل. قال السائل: فهل يعلم الأوصياء ما لا يعلم الأنبياء؟ قال: لا، وكيف يعلم وصي غير علم ما أوصي إليه. قال السائل: فهل يسعنا أن نقول إن أحداً من الوصاة يعلم ما لا يعلم الآخر؟ قال: لا لم يمت نبي إلا وعلمه في جوف وصيه، وإنما تنزل الملائكة والروح في ليلة القدر بالحكم الذي يحكم به بين العباد.

قال السائل: وما كانوا علموا ذلك الحكم؟ قال: بلى قد علموه، ولكنهم لا يستطيعون إمضاء شئ منه حتى يؤمروا في ليالي القدر كيف يصنعون إلى السنة المقبلة. قال السائل: يا أبا جعفر لا أستطيع إنكار هذا؟ قال أبو جعفر عليه السلام: من أنكره فليس منا. قال السائل: يا أبا جعفر أرأيت النبي صلى الله عليه وآله هل كان يأتيه في ليالي القدر شئ لم يكن علمه؟ قال: لا يحل لك أن تسأل عن هذا، أما علم ما كان وما سيكون، فليس يموت نبي ولا وصي إلا والوصي الذي بعده يعلمه، أما هذا العلم الذي تسأل عنه فإن الله عز وجل أبي أن يطلع الأوصياء عليه إلا أنفسهم.

قال السائل: يا ابن رسول الله كيف أعرف أن ليلة القدر تكون في كل سنة؟ قال: إذا أتى شهر رمضان فاقراً سورة الدخان في كل ليلة مائة مرة، فإذا أتت ليلة ثلاث وعشرين فإنك ناظر إلى تصديق الذي سألت عنه».



أقول: لا غرابة في أن يكون الله تعالى علّم نبيه ﷺ وأراه في معراجهِ كثيراً من المستقبل! لأن كل ما سيحدث في هذا الكون مخزون في علم الله تعالى الذي أحاط بكل شيء، ونحن نرى في المنام أموراً من المستقبل، ثم تحدث كما رأيناها تماماً، فكأن ذلك المنام لقطة من المستقبل المخزون!

كما يدلنا هذا الحديث الشريف العميق على أن تعليم الله تعالى لرسوله ﷺ ولأوصيائه ﷺ له نظام وأصول، في توقيته، وتدرجه، وإمضاءه، والسماح ببيانه، بما يحفظ لهم الإختيار، ويحفظ المسار الصحيح لتبليغهم رسالات ربهم. قال تعالى: **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رِصْدًا. لِيَعْلَمَ أَنْتَ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا.** الجن: ٢٦-٢٨.

#### ٨- كان الإسراء إلى المدينة وكوفان والطور وبيت المقدس

في الكافي: ٢٧٩/٨: «عن الفضل بن عمر قال: كنت عند أبي عبد الله ﷺ بالكوفة أيام قدم على أبي العباس «السفاح» فلما انتهينا إلى الكناسة قال: ها هنا صلب عمي زيد ﷺ، ثم مضى حتى انتهى إلى طاق الزياتين وهو آخر السراجين، فنزل وقال: إنزل فإن هذا الموضع كان مسجد الكوفة الأول الذي خطه آدم ﷺ، وأنا أكره أن أدخله راجباً. قال قلت: فمن غيرَه عن خطته؟ قال: أما أول ذلك الطوفان في زمن نوح ﷺ، ثم غيره أصحاب كسرى ونعمان، ثم غيرَه بعدُ زياد بن أبي سفيان. فقلت: وكانت الكوفة ومسجدها في زمن نوح ﷺ؟ فقال لي: نعم يا مفضل، وكان منزل نوح وقومه في قرية على منزل من الفرات، مما يلي غربي الكوفة، قال: وكان نوح ﷺ رجلاً نجاراً فجعله الله عز وجل نبياً وانتجبه، ونوح أول من عمل سفينة تجري على ظهر الماء.

قال: ولبت نوح ﷺ في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله عز وجل فيهزؤون به ويسخرون منه، فلما رأى ذلك منهم دعا عليهم فقال: رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا. إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا. فأوحى الله عز وجل إلى نوح أن اصنع سفينة وأوسعها وعجل عملها، فعمل نوح سفينة في مسجد الكوفة بيده، فأتى بالخشب من بُعد حتى فرغ منها.

قال: المفضل ثم انقطع حديث أبي عبد الله عليه السلام عند زوال الشمس فقام فصلي الظهر والعصر ثم انصرف من المسجد، فالتفت عن يساره وأشار بيده إلى موضع دار الدارين، وهو موضع دار ابن حكيم وذلك فرات اليوم، فقال لي: يا مفضل، هاهنا نصبت أصنام قوم نوح عليه السلام: يغوث ويعوق ونسراً.

ثم مضى حتى ركب دابته فقلت: جعلت فداك في كم عمل نوح سفينته حتى فرغ منها؟ قال: في دورين، قلت: وكم الدورين؟ قال: ثمانين سنة. قلت: وإن العامة يقولون: عملها في خمس مائة عام، فقال: كلا كيف والله يقول: **وَوَحِينَا**. قال قلت: فأخبرني عن قول الله عز وجل: **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ،** فأين كان موضعه وكيف كان؟ فقال: التنور في بيت عجوز مؤمنة في دبر قبلة ميمنة المسجد. فقلت له: فإن ذلك موضع زاوية باب الفيل اليوم. ثم قلت له: وكان بدء خروج الماء من ذلك التنور؟ فقال: نعم إن الله عز وجل أحب أن يرى قوم نوح آية، ثم إن الله تبارك وتعالى أرسل عليهم المطر فيفيض فيضاً، وفاض الفرات فيضاً، والعيون كلهن فيضاً، فغرقهم الله عز ذكره، وأنجى نوحاً ومن معه في السفينة. فقلت له: كم لبث نوح في السفينة حتى نضب الماء وخرجوا منها؟ فقال: لبثوا فيها سبعة أيام ولياليها، وطافت بالبيت أسبوعاً، ثم استوت على الجودي، وهو فرات الكوفة. فقلت له: إن مسجد الكوفة قديم؟ فقال: نعم، وهو مصلى الأنبياء عليهم السلام ولقد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله حين أسري به إلى السماء، فقال له جبرئيل: يا محمد هذا مسجد أبيك آدم، ومصلى الأنبياء عليهم السلام، فانزل فصل فيه فنزل فصل فيه.. ثم إن جبرئيل عرج به إلى السماء.

وفي رواية في تفسير القمي: ٣/٢ أن جبرئيل عليه السلام أنزل النبي صلى الله عليه وآله في المدينة فصلي فيها، وأخبره أنها مهاجرة، وصلى في طور سيناء عند قبر موسى عليه السلام، وفي بيت لحم مولد عيسى عليه السلام.

أقول: «روى الطبري: ١٤٥/٣ أن سلمان وحذيفة كانا رائدي جيش فتح العراق فارتادا لهم مكاناً لتزولهم، فخرج سلمان حتى أتى الأنبار، فسار في غربي الفرات

لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة. وخرج حذيفة في شرقي الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة، والكوفة على حصباء، وكل رملة حمراء يقال لها سهلة، وكل حصباء ورمل هكذا متخلطين فهو كوفة، فأتيا عليها وفيها دَيْرَاتُ ثلاثة: دير حرقة ودير أم عمرو ودير سلسلة، وخصاص خلال ذلك، فأعجبتهما البقعة».

وفي فتوح البلاذري: ٣٥٤/٢ أن سلمان الفارسي قال: «الكوفة قبة الإسلام، يأتي على الناس زمان لا يبقى مؤمن إلا وهو بها، أو يهوي قلبه إليها». ولا بد أن يكون عمله ﷺ بتوجيه علي عليه السلام باب مدينة علم النبي ﷺ.

#### ٩- استنفر أبو طالب ليلة الإسراء لأنه افتقد النبي ﷺ

كانت مدة المعراج الأول أقل من ثلث ليلة، حسب رواية الاحتجاج: ٣٢٧/١. وكان وقته الثلث الأخير من الليل، كما في الخرائج: ٨٥/١.

وفي تفسير العياشي، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن رسول الله ﷺ صلى العشاء الآخرة وصلى الفجر في الليلة التي أسري به فيها بمكة. وكان أبو طالب أمرعياً وجعفرأ وحمة بالتناوب لحراسته، وكان يتفقد مكانه في الليل! ولما لم يجده خاف أن يكون القرشيون قتلوه، فبعث من يبحث عنه، واستدعى شباب بني هاشم ووزع عليهم سيوفاً قصيرة أو سفاراً، وأمرهم أن يكون كل واحد منهم بجانب زعيم قرشي فإذا أمرهم فليقتل كل منهم من بجانبه من الزعماء، وأولهم أبو جهل! مناقب ابن شهرآشوب: ١٥٦/١ وروضة الواعظين: ٥٩.

وفي تاريخ اليعقوبي: ٢٦/٢: «قال لهم: إن رأيتُموني ومحمداً معي فأمسكوا حتى آتكم، وإلا فليقتل كل رجل منكم جلسه ولا تنتظروني. فوجدوه على باب أم هانئ، فأتى به بين يديه حتى وقف على قريش فعرفهم ما كان منه! فأعظموا ذلك وجلَّ في صدورهم، وعاهدوه وعاقدوه أنهم لا يؤذون رسول الله، ولا يكون منهم إليه شيء يكرهه أبداً».

وفي الخرائج للراوندي: ٨٥/١: «لما رجع من السرى نزل على أم هاني بنت أبي طالب

فأخبرها فقالت: بأبي أنت وأمي والله لئن أخبرت الناس بهذا ليكذبنك من صدقك، وكان أبو طالب قد فقدته تلك الليلة فجعل يطلبه وجمع بني هاشم، ثم أعطاهم المدي، وقال لهم: إذا رأيتموني قد دخلت وليس معي محمد فليضرب كل رجل منكم جليسه، والله لا نعيش نحن ولا هم وقد قتلوا محمداً. فخرج في طلبه وهو يقول: يا لها عظيمة إن لم يواف رسول الله مع الفجر، فتلقيه على باب أم هاني حين نزل من البراق فقال: يا ابن أخي، إنطلق فادخل بين يدي المسجد، وسل سيفه عند الحجر وقال: يا بني هاشم أخرجوا مُداكم. فقال: لو لم أره ما بقي منكم شفرٌ «أحد» أو عشنا، فاتقته قريش منذ يوم أن يغتالوه. ثم حدثهم محمد ﷺ، فقالوا: صف لنا بيت المقدس. قال: إنها دخلته ليلاً، فأناه جبرئيل فقال: أنظر إلى هناك، فنظر إلى البيت فوصفه وهو ينظر إليه، ثم نعت لهم ما كان لهم من غير ما بينهم وبين الشام».

الإسراء والمعراج

لكن ابن سعد: ٢٠٢/١ جعل الحادثة عندما جاء زعماء قريش إلى أبي طالب وعرضوا عليه أن يعطوه رجلاً بدل النبي ﷺ، ونزلت سورة صاد فاشمأزوا منها! قال: «فلما كان مساء تلك الليلة فقد رسول الله ﷺ وجاء أبو طالب وعمومته إلى منزله فلم يجدوه فجمع فتباناً من بني هاشم وبني المطلب، ثم قال: ليأخذ كل واحد منكم حديدة صارمة ثم ليتبعني فإذا دخلت المسجد فلينظر كل فتى منكم فليجلس إلى عظيم من عظمائهم فيهم ابن الحنظلية يعني أبا جهل، فإنه لم يرغب عن شر، إن كان محمد قد قتل! فقال الفتيان نفعل».

وفي الغدير: ٣٥٠/٧، عن الحجّة لفخار بن معد، عن ابن الجوزي عن الواقدي: «كان أبو طالب بن عبد المطلب لا يغيب صباح النبي ولا مساءه، ويجرسه من أعدائه ويخاف أن يغتالوه، فلما كان ذات يوم فقدته فلم يره... فلما وقف عليهم والغضب في وجهه قال لعيبه: أبرزوا ما في أيديكم فأبرز كل واحد منهم ما في يده، فلما رأوا السكاكين قالوا: ما هذا يا أبا طالب؟ قال: ما ترون، إني طلبت محمداً فلم أره منذ يومين فخفت أن تكونوا كدموه ببعض شأنكم، فأمرت

هؤلاء أن يجلسوا حيث ترون وقلت لهم: إن جئت وليس محمد معي فليضرب كل منكم صاحبه الذي إلى جنبه ولا يستأذني فيه ولو كان هاشمياً! فقالوا: وهل كنت فاعلاً؟ فقال: إي ورب هذه وأومى إلى الكعبة! فقال له المطعم بن عدي بن نوفل وكان من أحلافه: لقد كدت تأتي على قومك؟ قال: هو ذلك. ومضى به وهو يقول:

إذهب بُيِّ فما عليك غضاضةً      إذهب وقَرَّبْذاك منك عيوناً

والله لن يصلوا إليك بجمعهم      حتى أوسد في التراب دفيناً

ودعوتني وعلمت أنك ناصحي      ولقد صدقت وكنت قبل أمنيماً

وذكرت ديناً لا محالة إنه      من خير أديان البرية ديناً

فرجعت قريش على أبي طالب بالعتب والإستعطاف، وهو لا يحفل بهم!

أقول: لا يبعد أن يكون عمل أبي طالب ﷺ قد تكرر منه لحماية النبي ﷺ وتمهيد قريش.

#### ١٠- رأت قريش آيات المعراج فزادت كفراً وعتواً

في أمالي الصدوق/٥٣٢، عن الإمام الصادق ﷺ قال: «لما أسرى برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس حمله جبرئيل على البراق، فأتيا بيت المقدس وعرض عليه محارِب الأنبياء ﷺ وصلّى بها، وردّه فمرّ رسول الله ﷺ في رجوعه بعيرٍ لقريش وإذا لهم ماء في آنية وقد أضلوا بعيراً لهم وكانوا يطلبونه، فشرّب رسول الله ﷺ من ذلك الماء وأهرق باقيه! فلما أصبح رسول الله ﷺ قال لقريش: إن الله جل جلاله قد أسرى بي إلى بيت المقدس، وأراني آثار الأنبياء ﷺ ومنازلهم، وإني مررت بعيرٍ لقريش في موضع كذا وكذا وقد أضلوا بعيراً لهم، فشربت من مائهم وأهرقت باقي ذلك. فقال أبو جهل: قد أمكنتكم الفرصة منه فسلوه كم الأساطين فيها والقناديل؟ فقالوا: يا محمد إن هاهنا من قد دخل بيت المقدس، فصف لنا كم أساطينه وقناديله ومحارِبيه؟ فجاء جبرئيل فعلق صورة بيت المقدس تجاه وجهه، فجعل يخبرهم بها يسألونه عنه! فلما أخبرهم قالوا: حتى تجيء العير ونسألكم عما قلت. فقال لهم رسول الله ﷺ تصديق ذلك أن العير تطلع عليكم مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق. فلما كان من الغد

أقبلوا ينظرون إلى العقبة ويقولون: هذه الشمس تطلع الساعة، فبينما هم كذلك إذ طلعت عليهم العير حين طلع القرص يقدمها جمل أورق، فسألوهم عما قال رسول الله ﷺ فقالوا: لقد كان هذا، ضل جمل لنا في موضع كذا وكذا، ووضعنا ماء فأصبحنا وقد أهريق الماء! فلم يزدهم ذلك إلا اعتواً!

وفي الكافي: ٢٦٢/٨ عن الإمام الصادق عليه السلام: «ثم قال: هذه عير بني فلان تقدم مع طلوع الشمس يتقدمها جمل أورق أو أحر، قال: وبعثت قريش رجلاً على فرس ليردها، قال: وبلغ مع طلوع الشمس، قال قرطبة بن عبد عمرو: يالهفأ ألا أكون لك جذعاً، حين تزعم أنك أتيت بيت المقدس ورجعت من ليلتك!»  
ونحوه في الخرائج: ١٤١/١، عن علي عليه السلام، وفيه: «فلما كان اليوم الثالث خرجوا إلى باب مكة لينظروا صدق ما أخبر به محمد ﷺ قبل طلوع الشمس، فهم كذلك إذا طلعت العير عليهم بطلوع الشمس في أولها الجمل الأحمر! فتعجبوا من ذلك! وسألوا الذين كانوا مع العير فقالوا مثل ما قال محمد ﷺ في إخباره عنهم. فقالوا: هذا أيضاً من سحر محمد!»

وفي تفسير العياشي: ١٣٧/٢ في قول الله عز وجل: وَمَا تُعْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ، قال: «فأجابهم رسول الله ﷺ في كل ما سألوه عنه فلم يؤمن منهم إلا قليل، وهو قول الله تبارك وتعالى: وَمَا تُعْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ. ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: نعوذ بالله أن لا نؤمن بالله وبرسوله. آمنا بالله وبرسوله ﷺ».

### ١١- صفة البراق الذي حمل النبي ﷺ في معجازه

روى في الكافي: ٣٧٦/٨: «أتى جبرئيل رسول الله ﷺ بالبراق أصغر من البغل وأكبر من الحمار، مضطرب الأذنين، عينيه في حافره، وخطاه مد بصره، إذا انتهى إلى جبل قصرت يده وطالت رجلاه، فإذا هبط طالت يده وقصرت رجلاه، أهدب العرف الأيمن، له جناحان من خلفه».  
في أمالي الصدوق/٥٣٤: «رجلاها أطول من يديها، حَطُّوْها مَدُّ البصر، فلما

أراد النبي أن يركب امتنعت فقال جبرئيل عليه السلام: إنه محمد، فتواضعت حتى لصقت بالأرض. قال فركب فكلما هبطت ارتفعت يداها وقصرت رجلاها، وإذا صعدت ارتفعت رجلاها وقصرت يداها، فمرت به في ظلمة الليل على غير محملة، فنفرت العير من ديف البراق، فنادى رجل في آخر العير غلاماً له في أول العير: يا فلان، إن الإبل قد نفرت!

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٣٥/٨ ومسنند زيد بن علي/٤٩٧، قال عليه السلام: «هي دابة من دواب الجنة، ليست بالطويل ولا بالقصير، فلو أن الله أذن لها لجالت الدنيا في جرية واحدة، وهي أحسن الدواب لوناً».

وفي الخرائج: ٨٤/٨: «فوقه على باب خديجة ودخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمرح البراق، فخرج إليه جبرئيل عليه السلام فقال: أسكن فإننا يركبك أحب خلق الله إليه. وفي روضة الواعظين/٥٣: «ومضى إلى بيت المقدس، ثم إلى السماء الدنيا، فتلقت الملائكة وسلمت عليه، وتطيرت بين يديه، حتى انتهى إلى السماء السابعة».

وفي مسند زيد بن علي/٤٤٩: «قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: لما بدأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتعليم الأذان أتى جبريل بالبراق فاستصعب عليه، ثم أتاه بدابة يقال لها براق فاستصعبت عليه، فقال لها جبريل أسكني براقه، فما ركبك أحد أكرم على الله منه فسكنت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فركبها حتى انتهت إلى الحجاب الذي يلي الرحمن تبارك وتعالى، فخرج ملك من وراء الحجاب، فقال الله أكبر الله أكبر، قال فقلت: يا جبريل ومن هذا الملك، قال: والذي أكرمك بالنبوءة ما رأيت هذا الملك قبل ساعتى هذه! فقال: الله أكبر، الله أكبر، فنودي من وراء الحجاب: صدق». وفي صحيح البخاري: ٧٧/٤: «وأُتيتُ بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار البراق فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا، قيل من هذا؟ قال جبريل. قيل: ومن معك؟ قيل: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به».

ويفهم من دعاء إقبال الأعمال: ٥١/٢ أن الله تعالى علم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بعض أسماؤه الحسنى فسخر له البراق: وباسمك الذي سخرت به البراق لمحمد صلواتك عليه وآله.

## ١٢- النبي ﷺ سيركب البراق يوم القيامة

روى الحاكم: ١٥٣/٣، والطوسي والصدوق في أماليهما ٢٧٥/٣٥، قال النبي ﷺ: «وأبعث على البراق، خطوها عند أقصى طرفها، وتبعث فاطمة عليها السلام أمامي».

وفي الخصال: ٢٠٣: «عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ما في القيامة راكب غيرنا ونحن أربعة، فقام إليه العباس بن عبد المطلب فقال: من هم يا رسول الله؟ فقال: أما أنا فعلى البراق ووجهها كوجه الإنسان وخدها كخد الفرس، وعرفها من لؤلؤ مسموط، وأذناها زبرجدتان خضراوان، وعيناها مثل كوكب الزهرة، تتوقدان مثل النجمين المضيئين، لها شعاع مثل شعاع الشمس، ينحدر من نحرها الجمان، مطوية الحلق طويلة اليمين والرجلين، لها نفس كنفس الآدميين، تسمع الكلام وتفهمه، وهي فوق الحمار ودون البغل.

قال العباس: ومن يا رسول الله؟ قال ﷺ: وأخي صالح على ناقة الله عز وجل التي عقرها قومه، قال العباس: ومن يا رسول الله؟ قال: وعمي حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، سيد الشهداء على ناقتي العضباء، قال العباس: ومن يا رسول الله؟ قال: وأخي علي على ناقة من نواق الجنة، زمامها من لؤلؤ رطب عليها محمل من ياقوت أحمر، قضبانه من الدر الأبيض، على رأسه تاج من نور عليه حلتان خضراوان، بيده لواء الحمد وهو ينادي: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً رسول الله. فيقول الخلائق ما هذا إلا نبي مرسل أو ملك مقرب، فينادي مناد من بطنان العرش: ليس هذا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا حامل عرش، هذا علي بن أبي طالب وصي رسول رب العالمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين! ونحوه أمالي الطوسي/ ٢٥٨.

وقال الصدوق في الخصال: هذا حديث غريب لما فيه من ذكر البراق ووصفه، وذكر حمزة بن عبد المطلب.

وفي أمالي الصدوق/ ٢٧٥: «لن يركب إلا أربعة: أنا وعلي وفاطمة وصالح نبي الله».



أقول: تفاوتت الرواية في عدد الركبان فبعضها عد منهم الزهراء عليهن السلام فيكونون خمسة، ومنهم عددهم أربعة فيكون المقصود الرجال. ولم تبين الرواية مكان ركوبهم أو زمانه. على أن أسانيدنا ليست قوية.

### ١٣- ركب إبراهيم عليه السلام البراق والمهدي عليه السلام سيركبه

روى القمي في تفسيره: ٦٠/١ عن الإمام الصادق عليه السلام أن الله تعالى حمل إبراهيم على البراق إلى مكة. وروي أن المهدي عليه السلام يأتيه جبرئيل بالبراق فيركبه من المدينة إلى مكة: «فيأخذ بيده ويصافحه ويسلم عليه ويقول له: قم وبيحوه بفرس يقال له البراق فيركبه ثم يأتي إلى جبل رضوى، فيأتي محمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام فيكتبان له عهداً منشوراً يقرؤه على الناس، ثم يخرج إلى مكة والناس يجتمعون بها. قال: فيقوم رجل منه فينادي: أيها الناس هذا طلبتكم قد جاءكم يدعوكم إلى ما دعاكم إليه رسول الله. قال: فيقوم هو بنفسه فيقول: أيها الناس أنا فلان بن فلان، أنا ابن نبي الله، أدعوكم إلى ما دعاكم إليه نبي الله. فيقومون إليه ليقتلوه فيقوم ثلاث مائة وينف على الثلاث مائة فيمنعون، منه خسون من أهل الكوفة، وسائرهم من أفتاء الناس لا يعرف بعضهم بعضاً، اجتمعوا على غير ميعاد». معجم المهدي: ١٩٨/٣.

### ١٤- قميص المعراج وقميص أخذ من ماريث الأنبياء عليهم السلام

في الكافي: ٢٣٦/١ عن الإمام الصادق عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله لما عرض على عمه العباس قبول ديونه وعداته فاعتذر، ثم عرضها على علي عليه السلام فقبلها، فأمر بإحضارها، وفيه: «يا بلال عليّ بالمغفر والدرع والراية... والقميصين: القميص الذي أسري به فيه، والقميص الذي جرح فيه يوم أحد... فقال: إقبضها في حياتي».

أقول: يظهر من أحاديث المعراج أن النبي صلى الله عليه وآله ركب على وسيلة خاصة، وأنه استعمل الإسم الأعظم، وأنه لبس قميصاً خاصاً.

## ١٥- معنى سدرۃ المنتهى

روى البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «٢٤٩/٤: ثم رفعت لي سدرۃ المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، قال: هذه سدرۃ المنتهى». فسدرۃ المنتهى عند هذا الراوي شجرة سدر، لكن ثمرها نبق كبير، الواحدة منه بقدر قربة ماء كبيرة، من قلال هجر البحرين، أو هجر المدينة! وهذا تبسيط عامي لسدرۃ المنتهى، لكن أهل البيت عليهم السلام رووا أنها شجرة خاصة في عوالم أنوار الله تعالى، وأن منطقتها آخر ما يمكن أن يصل إليه مخلوق. ففي الإحتجاج: ٣٦١/١: «ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرۃ المنتهى. يعني: محمداً كان عند سدرۃ المنتهى، حيث لا يجاوزها خلق من خلق الله عز وجل». وفي المحاسن: ٣٣٤/٢: «قال أبو جعفر عليه السلام: إنها سميت سدرۃ المنتهى، لأن أعمال أهل الأرض تصعد بها الملائكة الحفظة إلى محل السدرۃ. وقال: الحفظة الكرام البررة دون السدرۃ، يكتبون ما ترفعه إليهم الملائكة من أعمال العباد في الأرض ويتنهون بها إلى محل السدرۃ».

وفي قرب الإسناد: ١٠١: «قال رسول الله ﷺ: إن الورقة منها تظل الدنيا، وعلى كل ورقة ملك يسبح الله، يخرج من أفواههم الدر والياقوت، تبصر اللؤلؤة مقدار خمس مائة عام، وما سقط من ذلك الدر والياقوت يخزنه ملائكة موكلون به يلقونه في بحر من نور، يخرجون كل ليلة جمعة إلى سدرۃ المنتهى، فلما نظروا إليّ رجبوا بي وقالوا: يا محمد مرحباً بك، فسمعت اضطراب ريح السدرۃ وخفقة أبواب الجنان، قد اهتزت فرحاً لمجيئك، فسمعت الجنان تنادي: واشوقاه إلى علي وفاطمة والحسن والحسين». وفي دلائل الإمامة: ١٠٠: «عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: لما زوج رسول الله ﷺ فاطمة من علي عليه السلام أتاه أناس من قريش فقالوا: إنك زوجت علياً بمهر قليل! فقال: ما أنا زوجت علياً ولكن الله زوج ليلة أسري بي إلى السماء، فصرت عند سدرۃ المنتهى أوحى الله إلى السدرۃ:

أن انثري ما عليك، فثرت الدر والجوهر والمرجان، فابتدر الحور العين فالتقطن، فهن يتهادين ويتفاخرن به، ويقلن: هذا من نثار فاطمة بنت محمد.

### ١٦- لم ير النبي ﷺ ربه بعينه بل رأى من آياته الكبرى

عقد في الكافي: ٩٥/١ باباً في تنزيه الله تعالى عن الخضوع لقوانين الزمان والمكان، والرؤية بالعين، وروى فيه بضعة عشر حديثاً، منها حديثان عن الكندي الفيلسوف يعقوب بن يوسف، من رسالتين بعث بهما إلى الإمام العسكري عليه السلام:

١- عن يعقوب بن إسحاق قال: «كتبت إلى أبي محمد «الحسن العسكري عليه السلام» أسأله كيف يعبد العبد ربه وهو لا يراه؟ فوقع عليه السلام: يا أبا يوسف، جل سيدي ومولاي والمنعم عليّ وعلى آبائي أن يرى. وسألته: هل رأى رسول الله ﷺ ربه؟ فوقع عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحب».

٢- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «جاء حبر إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبدته؟ قال فقال: ويحك ما كنت أعبد رباً لم أره! قال: وكيف رأيت؟ قال: ويحك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان».

٣- عن عاصم بن حميد قال: «ذاكرت أبا عبد الله عليه السلام فيما يروون من الرؤية فقال: الشمس جزء من سبعين جزءً من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزءً من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزءً من نور الحجاب، والحجاب جزء من سبعين جزءً من نور الستر، فإن كانوا صادقين فليملؤوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحب».

٤- عن صفوان بن يحيى قال: «سألني أبو قرة المحدث أن أدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام فاستأذنته في ذلك فأذن لي، فدخل عليه فسأله عن الحلال والحرام والأحكام حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد فقال أبو قرة: إنا روينا أن الله قسم الرؤية والكلام بين نبين، فقسم الكلام لموسى ولمحمد الرؤية!

فقال أبو الحسن عليه السلام: فمن المبلغ عن الله إلى الثقلين من الجن والإنس: لا تُدرِكُهُ الأبصار، ولا يُحيطون به علماً، وكَيْسَ كمثلُه شَيْءٌ، أليس محمد؟ قال: بلى. قال: كيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنه جاء من عند الله وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله فيقول: لا تدركه الأبصار، ولا يحيطون به علماً، وليس كمثلُه شيء، ثم يقول أنا رأيته بعيني وأحطت به علماً وهو على صورة البشر؟! أما تستحون! ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتي من عند الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه آخر!

قال أبو قرة: فإنه يقول: ولقد رآه نزلةً أخرى، فقال أبو الحسن عليه السلام: إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى حيث قال: ما كذب الفؤاد ما رأى، يقول: ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه، ثم أخبر بما رأى فقال: لقد رأى من آيات ربه الكبرى، فأيات الله غير الله، وقد قال الله: وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا، فإذا رآته الأبصار فقد أحاطت به العلم ووقعت المعرفة! فقال أبو قرة: فتكذب بالروايات؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها، وما أجمع المسلمون عليه أنه لا يحاط به علماً، ولا تدركه الأبصار، وليس كمثلُه شيء».

٥ - عن داود بن القاسم أبي هاشم الجعفري قال: «قلت لأبي جعفر «الإمام الجواد عليه السلام»: لا تُدرِكُهُ الأبصارُ وَهُوَ يُدرِكُ الأبصارَ؟ فقال: يا أبا هاشم أو هام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها، ولا تدركها ببصرك، وأو هام القلوب لا تدركه فكيف أبصار العيون!»

٦ - عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لما أسري بي إلى السماء، بلغ بي جبرئيل مكاناً لم يطأه قط جبرئيل. فكُشف له فأراه الله من نور عظمته ما أحب. وفي الكافي: ٤٤٣/١: «فخلى عنه فقال له: يا جبرئيل تخليني على هذه الحالة؟ فقال: إيمضه، فوالله لقد وطأت مكاناً ما وطأه بشر، وما مشى فيه بشرٌ قبلك».

٧ - وروى الصدوق في التوحيد/١١٧، بسند صحيح عن أبي الصلت الهروي قال: «قلت لعلي بن موسى الرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله، فما معنى الخبر

الذي روه أن ثواب لا إله إلا الله النظر إلى وجه الله؟ فقال ﷺ: يا أبا الصلت من وصف الله بوجهه كالوجه فقد كفر، ولكن وجه الله أنبيأؤه ورسله وحججه صلوات الله عليهم، هم الذين بهم يتوجه إلى الله وإلى دينه ومعرفته، وقال الله عز وجل: كل من عليها فان ويبقى وجه ربك. وقال عز وجل: كل شيء هالك إلا وجهه».

### ١٧. زعم أتباع السلطنة أنه رأى ربه في داره شاباً أمرداً!

قال البخاري: ٢٠٥/٨ في حديث فرض الصلاة وأن موسى ﷺ قال له إرجع وأطلب من الله تخفيف الصلاة عن أمتك: « فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت، فعلا به إلى الجبار وهو في مكانه فوضع عنه عشرأ! »

وروا أن النبي ﷺ رأى الله على صورة شاب أمرد، يلبس قبقاباً من ذهب! وتبناه ابن تيمية في منهاج السنة/٦٣٤ وفي نقض التأسيس: ٢٤١/٣، فقال: «سئل ابن عباس هل رأى محمد ربه؟ قال: نعم. قال: وكيف رآه؟ قال: في صورة شاب دونه ستر من لؤلؤ، كأن قدميه في خضرة.. وهذا يدل على أنه رآه. وأخبر أنه رآه في صورة شاب دونه ستر وقدميه في خضرة، وأن هذه الرؤية هي المعارضة بالأية والمجانب عنها بما تقدم، فيقتضي أنها رؤية عين، كما في الحديث الصحيح المرفوع عن قتادة عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت ربي في صورة شاب أمرد، له وفرة، جعد، ققط، في روضة خضراء!»

وكذلك تبناه في كتابه بيان تلبس الجهمية/٢٢٣، ونقل عن الطبراني أنه قال: «روى هذا الحديث جماعة من الأئمة الثقات عن حماد بن سلمة، عن قتادة.. ونقل عن ابن صدقة الحافظ قوله: من لم يؤمن بحديث عكرمة فهو زنديق!

ثم روى أن عبدالله بن عمر سأل ابن عباس فأجابه: نعم رآه في روضة خضراء دونه فراش من ذهب، على كرسي من ذهب، تحمله أربعة من الملائكة».

ثم قال ابن تيمية: «وعلى الروايات الثلاث اعتمد ابن خزيمة في تثبيت الرؤية حيث قال: باب ذكر الأخبار الماثورة في إثبات رؤية النبي ﷺ خالقه العزيز العليم المحتجب عن أبصار بريته قبل اليوم الذي يجزي الله كل نفس ما كسبت، وذكر أن الله

نبيه حصصاً محمداً ﷺ بالرؤية كما خصص إبراهيم ﷺ بالخلة من بين جميع الرسل والأنبياء جميعاً، وكما خصص موسى ﷺ بالكلام، كل واحد بفضيلة، كما أخبرنا عز وجل في محكم تنزيله بقوله: **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ**. البقرة ٢٥٣.

ثم اشتمل حديث هشام الدستوائي عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس، قال: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليهم وذكر حديث الحكم عن عكرمة الذي فيه صورة شاب.. فأما خبر قتادة والحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس، وخبر عبدالله بن أبي سلمة، عن ابن عباس، فبين واضح أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يثبت أن النبي ﷺ رأى ربه، وهذا من كلامه يقتضي أنه اعتمد هذه الطرق، وأنها تفيد رؤية العين لله». وزعم ابن تيمية أن كل ما في التوراة من تجسيم يطابق السنة! ولذا ردد الأحاديث التي تنفي الرؤية بالعين، وتشبث بأحاديث التجسيم حتى الضعيفة كحديث لقيط العقيلي في العماء، وحديث أم الطفيل عن معبودهم الشاب الأمرد، اللابس نعلين من ذهب، وحديث الأوعال والأسد والثور التي تحمل عرشه، كما في التوراة، وحديث طقطقة العرش وصريره وأزيره، لأن خشبه جديد كمحمل الجمل! وأنه يفضل من العرش أربع أصابع، فيقعدها فيها إلى جانبه من يجهه... إلخ.

فالتوراة في عقيدته هي الأساس، والسنة يجب أن تخضع لها، والقرآن أيضاً! وقال ابن باز «٣٦٨/٤ رقم ٢٣٣١»: «خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً! وهو حديث صحيح ولا غرابة في متنه.. الضمير في قوله: على صورته، يعود على الله، بدليل ما جاء في رواية أخرى صحيحة: على صورة الرحمن!» وقال الألباني أيضاً في فتاويه/٥٠٦: «هل أنكم تثبتون صفة الهرولة لله تعالى؟ جواب: الهرولة كالمجئ والنزول صفات ليس يوجد عندنا ما ينفيها. وأثبت له ابن باز صفة الهرولة، قال في فتاويه: ٣٧٤/٥: «ومن تقرب إلي ذراعاً

تقربت إليه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة... أما التأويل للصفات وصرها عن  
ظاهرها فهو مذهب أهل البدع من الجهمية والمعتزلة».

وروى أن الله يجلس على كرسي ويجلس حوله النبيين ﷺ: «عن أنس: قال  
رسول الله ﷺ: أتاني جبريل وفي يده كالمراة البيضاء... قال لأن ربك تبارك وتعالى  
اتخذ في الجنة وادياً من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه  
تبارك وتعالى، ثم حف كرسيه منابر من ذهب مكللة بالجوهر، ثم يجيء النبيون حتى  
يجلسوا عليها!»

ووصف البدوي أمية بن الصلت ربه وزعموا أن النبي ﷺ صدقه «الإصابة ٥٤٩»:

رجل وشور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليت مرصد  
والشمس تطلع كل آخر ليلة فجرأ وتصبح لونها يتوقد  
تأبي فما تطلع لهم في وقتها إلا معذبة، وإلا تجلُد.

وفي جزء الشعر للنابلسي/٩٠: أخرجه أحمد في المسند: ٢٥٦/١، وقد صح العلامة أحمد شاكر  
إسناده وابن أبي شيبة في المصنف: ٥٠٥/٨، برقم: ٦٠٦٤ وأبو يعلى في مسنده: ٣٦٥/٤.

وأصله رواية البخاري: «٣٠/٤ و١٧٨/٤ ومسلم: ٩٦/١»: «أتدرون أين تذهب هذه  
الشمس؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت  
العرش». أما أهل البيت ﷺ فردوا كل هذه الروايات وكل أنواع التجسيم والتشبيه.

### ١٨- أخذ الله ميثاق الأنبياء ﷺ للنبي وآله ﷺ

في الكافي: ٣٠٢/٣ عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «لما أسري برسول الله ﷺ إلى السماء فبلغ  
البيت المعمور، وحضرت الصلاة فأذن جبرئيل وأقام، فتقدم رسول الله ﷺ وصف  
الملائكة والنبيون خلف محمد ﷺ».

وفي علل الشرائع: ٨/١ عن الإمام الصادق عليه السلام: «فقال له رسول الله ﷺ: تقدم يا  
جبرئيل، فقال له: إنا لا نتقدم على الآدميين، منذ أمرنا بالسجود لآدم».

وفي الكافي: ١٢٠/٨: «عن أبي الربيع قال: حججنا مع أبي جعفر عليه السلام في السنة التي

كان حج فيها هشام بن عبد الملك، وكان معه نافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب «من علماء النصارى والسلطة» فنظر نافع إلى أبي جعفر عليه السلام في ركن البيت وقد اجتمع عليه الناس فقال نافع: يا أمير المؤمنين من هذا الذي قد تداك عليه الناس؟ فقال: هذا نبي أهل الكوفة، هذا محمد بن علي! فقال: أشهد لأتبه فلا سألته عن مسائل لا يبييني فيها إلا نبي أو ابن نبي أو وصي نبي! قال: فإذهب إليه وسله لعلك تحججه، فجاء نافع حتى اتكأ على الناس ثم أشرف على أبي جعفر عليه السلام فقال: يا محمد بن علي إني قرأت التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وقد عرفت حلالها وحرامها، وقد جئت أسألك عن مسائل لا يجب فيها إلا نبي أو وصي نبي أو ابن نبي! قال: فرجع أبو جعفر عليه السلام رأسه فقال: سل عما بدا لك. فقال: أخبرني كم بين عيسى وبين محمد من سنة؟ قال: أخبرك بقولي أو بقولك؟ قال: أخبرني بالقولين جميعاً. قال: أما في قولي فخمسة مائة سنة، وأما في قولك فست مائة سنة. قال: فأخبرني عن قول الله عز وجل لنبيه: *وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ*. من الذي سأله محمد وكان بينه وبين عيسى خمسمائة سنة؟! قال: فتلا أبو جعفر عليه السلام هذه الآية: *سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا*، فكان من الآيات التي أراها الله تبارك وتعالى محمد صلى الله عليه وسلم حيث أسرى به إلى بيت المقدس أن حشر الله عز ذكره الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين ثم أمر جبرئيل فأذن شفعاً وأقام شفعاً، وقال في أذانه: حي على خير العمل، ثم تقدم محمد فصلى بالقوم فلما انصرف قال لهم: على ما تشهدون وما كنتم تعبدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنت رسول الله أخذ على ذلك عهدنا ومواثيقنا.. فولى «نافع» من عنده وهو يقول: أنت والله أعلم الناس حقاً حقاً، فأتى هشاماً فقال له: ما صنعت؟ قال: دعني من كلامك هذا، والله أعلم الناس حقاً حقاً، وهو ابن رسول الله حقاً، ويحق لأصحابه أن يتخذوه نبياً».

أقول: نصت أكثر الأحاديث على صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالأنبيا عليهم السلام في البيت المعمور



في السماء الرابعة، وقد يوهم هذا الحديث بأن الصلاة في بيت المقدس وهو بعيد. وفي نوادر المعجزات/٧٢، ونحوه في العياشي: ١٢٨/٢ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «فلما أقام الصلاة قال: يا محمد قم فصل بهم واجهر بالقرآن إلى خلفك وزمير من الملائكة والنبين لا يعلم عددهم إلا الله، فتقدم رسول الله صلى الله عليه وآله فصلي بهم جميعاً ركعتين، فجهر بهما بالقراءة بسم الله الرحمن الرحيم، فلما سلم وانصرف من صلاته أوحى الله تعالى إليه كلمح البصر: يا محمد: وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ. قال: فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى من خلفه من الأنبياء فقال: على ما تشهدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، وأن لكل نبي منا خلفاً وصياً من أهله، ما خلا هذا فإنه لا عصبه له، يعنون بذلك عيسى بن مريم عليه السلام. ونشهد أنك سيد النبين، ونشهد أن علياً وصيك سيد الأوصياء، وعلى ذلك أخذت موثيقنا». وفي مائة منقبة لابن أحمد القمي/١٥٠، عن ابن عباس: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما عرج بي إلى السماء انتهى بي المسير مع جبرئيل إلى السماء الرابعة، فرأيت بيتاً من ياقوت أحمر فقال جبرئيل هذا هو البيت المعمور، خلقه الله تعالى قبل السماوات والأرضين بخمسين ألف عام، قم يا محمد فصلّ إليه.. ثم أمر الله تعالى حتى اجتمع جميع الرسل والأنبياء».

وروى الحاكم في المعرفة/٩٦، عن عبد الله بن عمر: «قال النبي صلى الله عليه وآله: يا عبد الله أتاني ملك فقال: يا محمد، وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا، على ما بعثوا؟ قال قلت: على ما بعثوا؟ قال على ولايتك وولاية علي بن أبي طالب! قال الحاكم: ولم نكتبه إلا عن ابن مظفر، وهو عندنا حافظ ثقة مأمون».

وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «لما أسري بي ليلة المعراج اجتمع عليّ الأنبياء في السماء فأوحى الله إلي: سلهم يا محمد بماذا بعثتم؟ قالوا: بعثنا على شهادة أن لا إله إلا الله، وعلى الإقرار بنبوتك والولاية لعلي بن أبي طالب». رواه في خصائص الوحي المبين/١٧٠، عن الإستيعاب. وفي الطرائف/١٠١، عن أبي نعيم، وفي ينابيع المودة: ٢٤٦/٢، عن أبي هريرة. ونهج الحق/١٨٣، عن ابن عبد البر وغيره. ومنهاج الكرامة/١٣٠، وفي هامشه الصراط المستقيم/١٨١، عن الثعلبي والزنجشيري في

الكشاف: ٩٤/٤ والكنجي في كفاية الطالب/١٣٦. وأورده في نحات الأرهان: ٢٦٠/٥ و١٦/٣٦٦. ورداً في: ٣٩٢/٢٠ و٣٩٦. على إنكار ابن تيمية وجود الحديث، وبحث سنده في مصادر السنة. روى القمي في تفسيره: ٢٤٦/١ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «أول من سبق من الرسل إلى بلي، محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك أنه كان أقرب الخلق إلى الله تبارك وتعالى، وكان بالمكان الذي قال له جبرئيل لما أسري به إلى السماء: تقدم يا محمد فقد وطأت موطئاً لم يطأه ملك مقرب ولا نبي مرسل! ولولا أن روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه، فكان من الله عز وجل كما قال الله: قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، أي بل أدنى».

وفي المحاضر/٢٦٦، في حديث الجالوت النصراني: «فقال رسول الله: يا جالوت، ليلة أسري بي إلى السماء أوحى الله تعالى إليّ أن: وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا.. على ما بعثوا؟ فقلت لهم: على ماذا بعثتم؟ قالوا: على نبوتك وولاية علي بن أبي طالب والأئمة من ذريتكما. ثم أوحى إليّ أن التفت إلى يمين العرش، فالتفت فإذا علي، والحسن، والحسين، وعلي، ومحمد، وجعفر، وموسى، وعلي، ومحمد، وعلي، والحسن، والمهدي، في ضحاح من نور يصلون. فقال الرب تعالى: هؤلاء الحجج أوليائي، وهذا منهم المنتقم من أعدائي. قال الجالوت فقلت: هؤلاء المذكورون في التوراة والإنجيل والزبور».

#### ١٩- حديث النبي صلى الله عليه وآله مع ملك الموت عليه السلام

في تفسير القمي: ١٦٨/٢ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أسري بي إلى السماء رأيت ملكاً من الملائكة بيده لوح من نور، لا يلتفت يميناً ولا شمالاً، مقبلاً عليه كهيئة الحزين، فقلت من هذا يا جبرئيل؟ فقال: هذا ملك الموت مشغول في قبض الأرواح. فقلت: أدنني منه يا جبرئيل لأكلمه، فأدناني منه فقلت له: يا ملك الموت، أكل من مات أو هو ميت فيما بعد أنت تقبض روحه؟ قال: نعم. قلت: وتحضرهم بنفسك؟ قال: نعم، وما الدنيا كلها عندي

فيما سخرها الله لي ومكنني منها، إلا كالدهرم في كف الرجل يقلبه كيف يشاء، وما من دار في الدنيا إلا وأدخلها في كل يوم خمس مرات، وأقول إذا بكى أهل البيت على ميتهم: لا تبكوا عليه، فإن لي إليكم عودة وعودة حتى لا يبقى منكم أحدا! فقال رسول الله ﷺ كفى بالموت طامة يا جبرئيل! فقال جبرئيل: إنها بعد الموت أطم وأعظم من الموت».

وفي الكافي: ١٣٦/٣ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «دخل رسول الله ﷺ على رجل من أصحابه وهو موجود بنفسه فقال: يا ملك الموت إرفق بصاحبي فإنه مؤمن، فقال: أبشر يا محمد فإني بكل مؤمن رفيق، واعلم يا محمد أني أقبض روح ابن آدم فيجزع أهله فأقوم في ناحية من دارهم فأقول: ما هذا الجزع! فوالله ما تعجلناه قبل أجله، وما كان لنا في قبضه من ذنب! فإن تحتسبوا وتصبروا وتؤجروا، وإن تجزعوا تأثموا وتوزروا، واعلموا أن لنا فيكم عودة ثم عودة! فالخذر الخذر إنه ليس في شرقتها ولا في غربها أهل بيت مدر ولا وبر! وأنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات، ولأنا أعلم بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم، ولو أردت قبض روح بعوضة ما قدرت عليها حتى يأمرني ربي بها! فقال رسول الله ﷺ: إنما يتصفحهم في مواقيت الصلاة، فإن كان ممن يواظب عليها عند مواقيتها لقنه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ونحى عنه ملك الموت إبليس».

وفي نوادر المعجزات، ٦٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام: «قال رسول الله ﷺ: يا علي لما عرج بي إلى السماء سلم عليّ ملك الموت ثم قال لي: يا محمد ما فعل ابن عمك علي؟ قلت: وكيف سألتني عنه يا عزرائيل؟ قال: إن الله تعالى أمرني أن أقبض أرواح الخلائق كلهم إلا أنت وابن عمك، فالله تعالى يقبض أرواحكما بيده».

#### ٢٠- آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون

في تفسير القمي: ٩٥/١، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «هذه الآية مشافهة الله تعالى لنيبيه ليلة أسري به إلى السماء، قال النبي ﷺ: انتهيت إلى محل سدرة المنتهى وإذا بورقة

منها تظل أمة من الأمم، فكنت من ربي كقاب قوسين أو أدنى، كما حكى الله عز وجل، فناداني ربي تبارك وتعالى: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ. فقلت أنا مجيباً عني وعن أمتي: وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْ كُتُبَهُ وَرُسُلُهُ لَا تَقْرَبُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. فقال الله: لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ. فقلت: رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا. وقال الله: لَا أُوَاخِذُكَ. فقلت: رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. البقرة: ٢٨٥-٢٨٦.

فقال الله تعالى: قد أعطيتك ذلك لك ولأمتك. فقال الصادق عليه السلام: ما وفد إلى الله تعالى أحد أكرم من رسول الله ﷺ، حيث سأل لأمته هذه الخصال.

وفي المحاسن: ١٣٦/١ عن الإمام الصادق عليه السلام: «قال رسول الله ﷺ: لقد أسرى بي فأوحى الله إلي من وراء الحجاب ما أوحى، وشافهني من دونه بما شافهني، فكان فيما شافهني أن قال: يا محمد، من أذل لي ولياً فقد أُرصد لي بالمحاربة، ومن حاربني حاربه، قال فقلت: يا رب ومن وليك هذا؟ فقد علمت أنه من حاربك حاربه، فقال: ذلك من أخذت ميثاقه لك ولوصيك ولورثتكما بالولاية».

### ٢١- كلم الله نبيه ﷺ في المعراج بصوت علي عليه السلام

عقيدتنا أن الله تعالى ليس كمثله شئ ولا تدركه الأبصار، ولا يخضع لقوانين المكان والزمان فهو خالفهما، ومعنى قوله: وكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا: أنه خلق صوتاً في شجرة أو في جبل، فكان موسى يسمع الصوت من جميع الجهات كما روي. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فسبحان من توحد في علوه، فليس لشيء منه امتناع، ولا له بطاعة أحد من خلقه انتفاع، إجابته للداعين سريعة، والملائكة له في السماوات والأرض مطيعة. كلم موسى تكليماً بلا جوارح وأدوات، ولا شفوة ولا لهوات، سبحانه وتعالى عن الصفات، فمن زعم أن إله الخلق محدود، فقد جهل الخالق المعبود». التوحيد للصدوق/٧٩ وفتح الباري: ٣٨٣/١٣.

ولا بد أن يكون الصوت الذي كلم الله به موسى صوتاً يحبه موسى، وقد روي أنه صوت أخيه هارون عليه السلام، وكذلك الأمر في نبينا محمد عليه السلام عندما عرج به، فقد روى الفريقان أن الله تعالى كلمه بصوت علي عليه السلام.

روى الموفق الخوارزمي في المناقب/٧٨، عن عبدالله بن عمر قال: «سمعت رسول الله وسئل بأي لغة خاطبك ربك ليلة المعراج؟ فقال: خاطبني بلغة علي بن أبي طالب فألهمني أن قلت يا رب خاطبني أنت أم علي؟ فقال يا أحمد أنا شئ ليس كالأشياء، لا آفاس بالناس، ولا أوصف بالشبهات، خلقتك من نوري وخلقت علياً من نورك، فاطلعت على سرائر قلبك فلم أجد في قلبك أحب إليك من علي بن أبي طالب. خاطبتك بلسانه كيما يطمئن قلبك». ومنهاج الكرامة/٩٠.

وفي المحتضر للحسن بن سليمان الحلي/١٤٦، عن ابن عباس من حديث المعراج: «فناداني ربي: يا أحمد! وعزتي وجلالي وجودي ومجدي وارتفاعي في علو مكاني لقد اطلعت على شرك وما استكن في صدرك فلم أجد أحداً أحب إليك من علي في شرك فخاطبتك بلسانه، لتطمئن إلى الكلام وتمهداً في الخطاب، ولو خاطبتك بلسان الجبروت لما استطعت أن تسمع».

وفي الإحتجاج: ٢٣٠/٨ عن القاسم بن معاوية قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: هؤلاء يروون حديثاً في معراجهم أنه لما أسري برسول الله رأى على العرش مكتوباً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أبو بكر الصديق! فقال: سبحان الله غيروا كل شئ حتى هذا! قلت: نعم. قال: إن الله عز وجل لما خلق العرش كتب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله علي أمير المؤمنين، ولما خلق الله عز وجل الماء كتب في مجراه: لا إله إلا الله محمد رسول الله علي أمير المؤمنين... فإذا قال أحدكم: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فليقل علي أمير المؤمنين».

وقال في الصحيح من السيرة: ١٥/٣: «وإذا كان الإسراء قد حصل قبل إسلامه بمدة طويلة، فلا يبقى مجال لتصديق ما يذكر هنا من أنه قد سمي صديقاً حينما صدق رسول الله عليه السلام في قضية الإسراء، ولا لما يذكرونه من أن ملكاً كان يكلم رسول الله

حين المعراج بصوت أبي بكر «الدر المنثور: ١٥٥/٤». وقد صرح الحفاظ بكذب طائفة من تلك الروايات. والصحيح أنه كلمة بصوت علي عليه السلام.

## ٢٢- أراه الله تعالى مكانة المؤمن عنده

في الكافي: ٣٥٢/٢ عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «لما أسري بالنبي صلى الله عليه وآله قال: يا رب ما حال المؤمن عندك؟ قال: يا محمد من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وأنا أسرع شئ إلى نصره أوليائي. وما ترددت عن شئ أنا فاعله كترددني عند وفاة المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الغنى ولو صرفته إلى غير ذلك لهلك، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الفقر ولو صرفته إلى غير ذلك لهلك. وما يتقرب إلي عبد من عبادي بشئ أحب إلي مما افترضت عليه، وإنه ليتقرب إلي بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبتة وإن سألتني أعطيتة».

## ٢٢- تشريع الصلاة في المعراج

اتفقت المصادر على أن تشريع فريضة الصلاة اليومية كان في معراج النبي صلى الله عليه وآله، ويبدو أنه في أول معراج له، ففي تهذيب الأحكام: ٦٠/٢ عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «لما أسري برسول الله صلى الله عليه وآله فبلغ البيت المعمور حضرت الصلاة فأذن جبرئيل عليه السلام وأقام فتقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وصف الملائكة والنبيون خلف رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال فقلنا له: كيف أدن؟ فقال: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة حي على الصلاة، حي على الفلاح حي على الفلاح، حي على خير العمل حي على خير العمل. الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله لا إله إلا الله.

والإقامة مثلها إلا أن فيها قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة، بين حي على

خير العمل حي على خير العمل، وبين الله أكبر الله أكبر، فأمر بها رسول الله ﷺ بلائاً، فلم يزل يؤذن بها حتى قبض الله رسوله ﷺ».

وفي نواتر المعجزات ٧٢/٢ والعياشي ١٢٨/٢: «فلما أقام الصلاة قال: يا محمد قم فصل بهم واجهر بالقرآن إلى خلفك وزمير من الملائكة والنبين لا يعلم عددهم إلا الله، فتقدم رسول الله ﷺ فصلي بهم جميعاً ركعتين، فجهر بهما بالقراءة بسم الله الرحمن الرحيم، فلما سلم وانصرف من صلاته أوحى الله تعالى إليه كلمح البصر: يا محمد: وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ. قال: فالتفت رسول الله ﷺ إلى من خلفه من الأنبياء فقال: على م تشهدون؟ قالوا: نشهد أنك سيد النبين، ونشهد أن علياً وصيك سيد الأوصياء، وعلى ذلك أخذت موثيقنا».

أقول: ما تقدم هو الأذان في مذهبنا، وقد حذف منه عمر «حي على خير العمل» لكن ابنه عبد الله كان يؤذن بها ويقول: هو الأذان الأول! «نيل الأوطان: ١٩/٢». أما أشهد أن علياً ولي الله، فنقولها استحباباً بعد الشهادة بالنبوة، لأنه يستحب كلما شهدت بالنبوة لرسول الله ﷺ أن تشهد بالولاية لعلي والعترة عليهم السلام.

قال السيد الخوئي رحمه الله «صراط النجاة: ٣/٣١٨» في جواب سؤال: هل وردت رواية من المعصوم باستحبابها؟ فقال: الرواية واردة باستحباب الشهادة بالولاية له عليه السلام متى شهد بالنبوة لا في خصوص الأذان والإقامة، ولذا لا نعدّها جزءاً منها». وقال السيد السيستاني «منهاج الصالحين/١٩١»: «الشهادة لعلي عليه السلام بالولاية وإمرة المؤمنين مكتملة للشهادة بالرسالة ومستحبة في نفسها، وإن لم تكن جزء من الأذان ولا الإقامة، وكذا الصلاة على محمد وآل محمد ﷺ عند ذكر اسمه الشريف».

كما روت مصادر الطرفين أن الله تعالى فرض على النبي ﷺ خمسين صلاة كل يوم ثم قال له موسى عليه السلام: إن أمتك لا تطيق، فاطلب من الله تعالى أن يخفف عنها فطلب النبي ﷺ من ربه فجعلها خمس صلوات.

ففي الفقيه: ١٩٨/١: «عن زيد بن علي عليه السلام قال: سألت أبي سيد العابدين عليه السلام قلت له: يا أبا أخبرني عن جدنا رسول الله ﷺ لما عرج به إلى السماء وأمره ربه عز وجل بخمسين

صلاة، كيف لم يسأله التخفيف عن أمته حتى قال له موسى بن عمران عليه السلام إرجع إلى ربك فسله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك؟ فقال: يا بني، إن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يقترح على ربه عز وجل ولا يراجع في شيء يأمره به، فلما سأله موسى عليه السلام ذلك وصار شفيحاً لأمة إليه لم يميز له رد شفاعته أخيه موسى عليه السلام، فرجع إلى ربه يسأله التخفيف إلى أن ردها إلى خمس صلوات. قال: فقلت له: يا أبة، فلم لم يرجع إلى ربه عز وجل ولم يسأله التخفيف من خمس صلوات وقد سأله موسى عليه السلام أن يرجع إلى ربه ويسأله التخفيف؟ فقال: يا بني، أراد صلى الله عليه وآله أن يحصل لأمة التخفيف مع أجر خمسين صلاة، لقول الله عز وجل: **مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**. ألا ترى أنه صلى الله عليه وآله لما هبط إلى الأرض نزل عليه جبرئيل فقال: يا محمد، إن ربك يقروك السلام ويقول: إنها خمس بخمسين: **مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**. قال فقلت له: يا أبة، أليس الله تعالى ذكره لا يوصف بمكان؟ فقال: بلى، تعالى الله عن ذلك. فقلت: فما معنى قول موسى عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: إرجع إلى ربك؟ فقال: معناه معنى قول إبراهيم عليه السلام: **إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ**، ومعنى قول موسى عليه السلام: **وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ طه/٨٤**، ومعنى قوله عز وجل: **فَقَرُّوا إِلَىٰ اللَّهِ**، يعني حجوا إلى بيت الله. يا بني، إن الكعبة بيت الله فمن حج بيت الله فقد قصد إلى الله، والمساجد بيوت الله فمن سعى إليها فقد سعى إلى الله وقصد إليه، والمصلي ما دام في صلاته فهو واقف بين يدي الله جل جلاله، وأهل موقف عرفات هم وقوف بين يدي الله عز وجل. وإن الله تبارك وتعالى بقاعاً في سبواته فمن عرج به إلى بقعة منها، فقد عرج به إليه، ألا تسمع الله عز وجل يقول: **تَنْزُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ**. ويقول عز وجل في قصة عيسى عليه السلام: **بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ**، ويقول عز وجل: **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**.

### ملاحظات

١. شرح الإمام زين العابدين عليه السلام لولده زيد رضوان الله عليه، في هذا الحديث سبب عدم اقتراح النبي صلى الله عليه وآله على ربه، وسبب قبوله اقتراح موسى عليه السلام، ثم معنى



رجوعه إلى ربه أي إلى المكان الذي كلمه منه. وقد جعله المجسمة مكان الله تعالى!  
 ٢. نلاحظ أن الشيعة والسنة رووا أن تشريع الصلاة بصورتها الفعلية تكوّن من أحداث مراسم خضوع النبي ﷺ لربه في معراجه.  
 ونلاحظ أن أحاديث أهل البيت ﷺ أكثر دقة وتفصيلاً، ومنطقية.

#### ٢٤- ردّ أهل البيت ﷺ مزامير الآخرين في تشريع الأذان

ردّت أحاديث أهل البيت ﷺ رواية السلطة بأن تشريع الأذان كان بسبب أن بعض الصحابة وهو عمر بن الخطاب أو أبي بن كعب أو عبدالله بن زيد، رأى الأذان في منامه، فاقترحه على النبي ﷺ فأدخله في الإسلام!

ففي الكافي: ٤٨٢/٣ عن عمر بن أذينة أن الإمام الصادق ﷺ قال له: «ما تروي هذه الناصبة؟ فقلت: جعلت فداك في ماذا؟ فقال: في أذانهم وركوعهم وسجودهم؟ فقلت: إنهم يقولون: إن أبي بن كعب رآه في النوم! فقال: كذبوا فإن دين الله عز وجل أعز من أن يرى في النوم! قال: فقال له سدير الصيرفي: جعلت فداك فأحدث لنا من ذلك ذكراً، فقال أبو عبدالله ﷺ: إن الله عز وجل لما عرج بنبيه إلى سواته السبع، أما أولاهن فبارك عليه، والثانية علمه فرضه، فأنزل الله محملاً من نور فيه أربعون نوعاً من أنواع النور، كانت محدقة بعرش الله تغشي أبصار الناظرين. أما واحد منها فأصفر، فمن أجل ذلك اصفرّت الصفرة، وواحد منها أحمر فمن أجل ذلك احمرت الحمرة، وواحد منها أبيض، فمن أجل ذلك ابيضّ البياض، والباقي على سائر عدد الخلق من النور والألوان، في ذلك المحمل حلق وسلاسل من فضة.

ثم عرج به إلى السماء، فنفرت الملائكة إلى أطراف السماء وخرت سجداً وقالت: سبح قدوس ما أشبه هذا النور بنور ربنا، فقال جبرئيل ﷺ: الله أكبر الله أكبر. ثم فتحت أبواب السماء، واجتمعت الملائكة فسلمت على النبي ﷺ أفواجاً.. الحديث..». وذكر فيه تشريع الأذان والصلاة.

كما روينا أن التكبيرات السبع المستحبة في أول الصلاة، جاءت من تكبير

النبي ﷺ عندما تخطى الحجب السابع. ثم من تعليمه التكبير للحسين ﷺ لما كبر أمامه يعلمه التكبير، حتى وصل إلى التكبيرة السابعة، فكبر الحسين ﷺ وانفتح لسانه. راجع: الكافي: ٤٨٧/٣، علل الشرائع: ٣٣٢/٢ والمختلف للعلامة الحلي: ١٨٦/٢.

وقد يقال: كيف يشرع الله تعالى استحباب التكبير للأمة ست مرات قبل تكبيرة الإحرام، بسبب أن الحسين ﷺ لم يفتح لسانه بالتكبير إلا في المرة السابعة؟ وجوابه: كما شرع الله تعالى وجوب السعي في الحج، بسبب سعي هاجر بن عبد مناف بين الصفا والمروة تطلب الماء! والحسين ﷺ أفضل من هاجر بن عبد مناف.

### ٢٥- أخبر الله تعالى نبيه ﷺ أنه سيمتحنه في ثلاث

في كامل الزيارات/٥٤٧، عن الإمام الصادق ﷺ قال: «لما أسري بالنبي ﷺ إلى السماء قيل له: إن الله تبارك وتعالى يختبرك في ثلاث لينظر كيف صبرك؟ قال: أسلمٌ لأمرِك يا رب، ولا قوة لي على الصبر إلا بك، فما هن؟ قيل له: أولاهن: الجوع والأثرة على نفسك وعلى أهلك، لأهل الحاجة! قال: قبلت يا رب ورضيت وسلمت، ومنك التوفيق والصبر.

وأما الثانية، فالتكذيب والخوف الشديد، وبذلك مهجتك في محاربة أهل الكفر بهالك ونفسك، والصبر على ما يصيبك منهم ومن أهل النفاق من الأذى والألم في الحرب والجراح. قال: قبلت يا رب ورضيت وسلمت، ومنك التوفيق والصبر.

وأما الثالثة، فما يلقي أهل بيتك من بعدك من القتل، أما أخوك علي فيلقى من أمتك الشتم والتعنيف والتوبيخ والحرمان والجحد والظلم، وآخر ذلك القتل، فقال: يا رب قبلت ورضيت، ومنك التوفيق والصبر.

قال: وأما ابتك فتظلم وتحرم ويؤخذ حقها غضباً الذي تجعلها لها، وتصرب وهي حامل، ويدخل عليها وعلى حريمها ومنزلها بغير إذن، ثم يمسه هوان وذل، ثم لا تجد مانعاً، وتطرح ما في بطنها من الضرب، وتموت من ذلك الضرب!

قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، قبلت يا رب وسلمت، ومنك التوفيق للصبر. ويكون لها من أخيك ابنان، يقتل أحدهما غدرًا ويسلب ويظعن، تفعل به ذلك أمتك، قلت: يا رب قبلت وسلمت، إنا لله وإنا إليه راجعون، ومنك التوفيق للصبر. وأما ابنها الآخر فتدعوه أمتك للجهاد ثم يقتلونه صبرًا، ويقتلون ولده ومن معه من أهل بيته ثم يسلبون حرمه، فيستعين بي وقد مضى القضاء مني فيه بالشهادة له ولمن معه، ويكون قتله حجة على من بين قطريها، فيبكيه أهل السماوات وأهل الأرضين جزعًا عليه، وتبكيه ملائكة لم يدركوا نصرته.

ثم أخرج من صلبه ذكرًا به أنصرك، وإن شبحه عندي تحت العرش يملأ الأرض بالعدل ويطبّقها بالقسط، يسير معه الرعب، يقتل حتى يُشك فيه.

قلت: إنا لله. فقيل: إرفع رأسك، فنظرت إلى رجل أحسن الناس صورة وأطيبهم ريحًا، والنور يسطع من بين عينيه ومن فوقه ومن تحته، فدعوته فأقبل إليّ وعليه ثياب النور وسيماء كل خير، حتى قبل بين عينيّ، ونظرت إلى الملائكة قد حفوا به لا يحصيهم إلا الله عز وجل. فقلت: يا رب لمن يغضب هذا، ولمن أعددت هؤلاء، وقد وعدتني النصر فيهم فأنا أنتظره منك.

وهؤلاء أهلي وأهل بيتي وقد أخبرتني مما يلقون من بعدي، ولئن شئت لأعطيتني النصر فيهم على من بغى عليهم، وقد سلمت وقبلت ورضيت، ومنك التوفيق والرضا، والعون على الصبر. فقيل لي: أما أخوك فجزاؤه عندي جنة المأوي نزلًا، بصبره، أفلج حجته على الخلائق يوم البعث، وأوليه حوضك يسقي منه أولياءكم ويمنع منه أعداءكم، واجعل عليه جهنم بردًا وسلامًا، يدخلها ويخرج من كان في قلبه مثقال ذرة من المودة، وأجعل منزلتكم في درجة واحدة في الجنة. وأما ابنك المخذول المقتول، وابنك المغدور المقتول صبرًا، فإنها مما أزين بهما عرشي، ولهما من الكرامة سوى ذلك مما لا يخطر على قلب بشر، لما أصابها من البلاء، فعلي فتوكل. ولكل من أتى قبره في الخلق من الكرامة، لأن زواره زوارك وزوارك زواري وعليّ كرامة زواري، وأنا أعطيه ما سأل، وأجزيه جزاء يغبطه من نظر إلى عظمتي إياه، وما

أعددت له من كرامتي.

وأما ابنتك فإني أوقفها عند عرشي فيقال لها: إن الله قد حكّمك في خلقه فمن ظلمك وظلم ولدك فأحكمني فيه بما أحببت، فإني أجيز حكومتك فيهم.. الخ.».

## ٢٦- مكانة عترة النبي ﷺ

من العناصر البارزة في أحاديث المعراج في مصادرنا والى حدّ في مصادر أتباع السلطة: المكانة الخاصة لعترة النبي ﷺ عند الله تعالى.

ويكفينا من مصادرهم الحديث الذي نص على أن إسم النبي ﷺ عند الله تعالى مقرونٌ بإسم علي والأئمة من عترته ﷺ، تفسيراً لقوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ. «الأطفال ٦٢». قال القاضي عياض في الشفاء: ١٧٤/١: «وروى ابن قانع القاضي عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله ﷺ: لما أسري بي إلى السماء إذا على العرش مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيدته بعلي! ورواه الحسكاني بطرق متعددة في شواهد التنزيل: ٢٩٨/١، في: ٢٩٣/١ و٢٩٤، عن أنس و٢٩٥، عن جابر، ٢٩٧، عن أبي الحمراء. والدر المنثور: ١٩٩/٣ عن ابن عساکر عن أبي هريرة، وفي: ١٥٣/٤، عن أنس، الخطيب في تاريخه: ١١/١٧٣، عن أبي الحمراء، كذا ابن عساکر: ١٦/٤٥٦، في: ٤٢/٣٣٦، عن جابر بن عبدالله، في: ٣٦٠، عن أبي هريرة و: ٤٧/٣٤٤، عن أنس.. الخ.

وروته مصادرنا، كالصدوق في أماليه/٢٨٤، عن أبي هريرة، وأبي الحمراء. والخزاز القمي في كفاية الأثر/٧٤، كاملاً، قال: «قال رسول الله ﷺ: لما عرج بي إلى السماء رأيت على ساق العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي ونصرتة. ورأيت اثني عشر إسماً مكتوباً بالنور فيهم علي بن أبي طالب وسبطي وبعدهما تسعة أسماء: علياً علياً ثلاث مرات، ومحمد ومحمد مرتين، وجعفر وموسى والحسن. والحجة يتلأأ من بينهم، فقلت: يا رب أسامي من هؤلاء؟ فناداني ربي جل جلاله: هم الأوصياء من ذريتك، بهم أئيب وأعاقب». ونحوه في: ١٠٥، عن أبي أمامة. وروى في كفاية الأثر/١١٦، في أحداث حرب الجمل: «نزل أبوأيوب في بعض

دور الهاشميين فجمعنا إليه ثلاثين نفساً من شيوخ أهل البصرة، فدخلنا إليه وسلمنا عليه وقلنا: إنك قاتلت مع رسول الله ﷺ ببدر وأحد المشركين، والآن جئت تقاتل المسلمين. فقال: والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: إنك تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين قلنا: آله إنك سمعت من رسول الله في علي؟ قال: سمعته يقول: علي مع الحق والحق معه، وهو الإمام والخليفة بعدي، يقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل، وابناه الحسن والحسين سبطاي من هذه الأمة، إمامان إن قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما، والأئمة بعد الحسين تسعة من صلبه، ومنهم القائم الذي يقوم في آخر الزمان كما قمت في أوله ويفتح حصون الضلالة. قلنا: فهذه التسعة من هم؟ قال: هم الأئمة بعد الحسين خلف بعد خلف. قلنا: فكم عهد إليك رسول الله ﷺ أن يكون بعده من الأئمة؟ قال: اثنا عشر. قلنا: فهل ساهم لك؟ قال: نعم إنه قال ﷺ: لما عُرج بي إلى السماء نظرت إلى ساق العرش فإذا هو مكتوب بالنور: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيدته بعلي ونصرته بعلي. ورأيت أحد عشر إسماً مكتوباً بالنور على ساق العرش بعد علي، منهم الحسن والحسين وعلياً علياً علياً ومحمداً ومحمداً، وجعفرأً باسمك؟ فنوديت: يا محمد هم الأوصياء بعدك والأئمة، فطوبى لمحبيهم والويل لمبغضهم! قلنا: فما لبني هاشم؟ قال: سمعته يقول لهم: أنتم المستضعفون من بعدي. قلنا: فمن القاسطين والناكثين والمارقين؟ قال: الناكثين الذين قاتلناهم، وسوف نقاتل القاسطين والمارقين، فإني والله لا أعر فهم غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: في الطرقات بالنهر وانات!

وروى نحوه/١٣٦، عن حذيفة بن اليمان وفي آخره: «يا محمد إنهم هم الأوصياء والأئمة بعدك، خلقتهم من طينتك، فطوبى لمن أحبهم والويل لمن أبغضهم، فبهم أنزل الغيث وبهم أئيب وأعاقب. قال حذيفة: ثم رفع رسول الله ﷺ يده إلى السماء ودعا بدعوات فسمعتة فيما يقول: اللهم اجعل العلم والفقه في عقبي وعقب عقبي، وفي زرعي وزرع زرعي». ورواه في/٢٢٤ و١٨٥ وشبيهه/٢١٦.

وطبيعي أن لا يقبل علماء السلطنة أمثال هذه الأحاديث، لأنها تحكم على السقفة بأنها مؤامرة ضد النبي ﷺ وعترته!

ونلاحظ ضعف تضعيفهم لهذه الأحاديث مما كتبه اثنان من أكبر علمائهم المتخصصين في الجرح والتعديل! فقد كتب الذهبي «ميزان الإعتدال: ١/٥٣٠»: «الحسين بن إبراهيم البابي.. وله حديث آخر واه: ابن عدي، عن عيسى بن محمد، عنه، عن حميد، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: لما عرج بي رأيت على ساق العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيدته بعلي ونصرته بعلي. وهذا اختلاق». وروى الذهبي نحوه في: ٧٦/٢، عن أشعث ابن عم الحسن بن صالح.. قال أبو نعيم الحافظ: أخبرنا أبو علي بن الصواف... حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة فساقه بنحوه... ساقه الخطيب عن أبي نعيم في ترجمة الحسن هذا. وقد روى الكسائي عن ابن فضيل وجماعة. وقال النسائي والدارقطني: متروك». انتهى. وقال ابن حجر في لسان الميزان: ٢/٢٦٨: «عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: لما عرج بي رأيت على ساق العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيدته بعلي ونصرته بعلي. وهذا اختلاق بين.. ورواه ابن عساكر في ترجمة الحسن بن أحمد ابن هشام السلمي بسنده إليه عن أبي جعفر محمد بن عبد الله البغدادي، حدثني محمد بن الحسن بباب الأبواب ثنا حميد الطويل فذكر مثله، وهو موضوع لا ريب فيه، لكني لا أدري من وضعه! وقال ابن عدي لما أخرجه: هذا حديث باطل والحسين مجهول. وقد ذكره عياض من وجه آخر رواه عن أبي الحمراء». انتهى. أقول: رأيت أنهما ضعفاً طريقتاً أو طريقتين للحديث، وغيباً الطرق العديدة الأخرى له، وهي لا تحفى على المتخصص أمثالها!

على أن تضعيفهما لأشعث ابن عم صالح بن حي لا وجه له عندهما لأنه صحابي، وابن عمه الحسن بن حي إمام عندهما، وقد شهد الطبراني وأبو نعيم بأنه كان يفضل على ابن عمه الحسن بن صالح! المعجم الأوسط: ٥/٣٤٣ وحلية الأئمة: ٧/٢٥٦. ثم لم يكتفوا برد الحديث بالإستنكار والحيلة، حتى وضعوا أحاديث تزعم أن

النبي ﷺ رأى في معراجهِ أسماءَ أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ مقرونةً بإسمه الشريف! قال في ميزان الإعتدال: ١١٧/٣: «وروى علي بن جميل عن جرير... عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: لما عرج بي إلى السماء رأيت على ساق العرش مكتوباً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق، عثمان ذو النورين. تابعه شيخ مجهول يقال له معروف بن أبي معروف البلخي، عن جرير».

ونقل ابن حجر في لسان الميزان: ٢٠٩/٤، عن ابن عدي وغيره أن هذا الحديث موضوع أو مسروق! قال: «حدث بالبواطيل عن ثقات الناس ويسرق الحديث. وقال الحاكم وأبو سعيد النقاش: روى عن عيسى بن يونس وجرير بن عبد الحميد بأحاديث موضوعة. وقال أبو نعيم: روى عن جرير وغيره المناكير». انتهى.

وهذا من تغطيتهم لبطلان تكذيبهم لحديث «أيدته بعلي..» فهم يأتون بحديث موضوع في مدح خلفائهم الثلاثة ويردونه، ليردوا معه الأحاديث في حق علي ﷺ أو يجعلوه مساوياً لحديثهم المكذوب! راجع: نفحات الأزهار: ٢٣٤/٥ و٢٤٠، الشهادة بالولاية في الأذان/ ٢٩، تراثنا: ١٩/٥٩، الصحيح من السيرة: ١٥/٣ والمراجعات/ ٢٤٩.

### ٢٧- المزيد من أحاديث مقام النبي وآله ﷺ

في الكافي: ٤٦/٢: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: إن الله خلق الإسلام فجعل له عرصةً وجعل له نوراً وجعل له حصناً وجعل له ناصرًا، فأما عرصته فالقرآن، وأما نوره فالحكمة، وأما حصنه فالمعروف، وأما أنصاره فأنا وأهل بيتي وشيعتنا، فأحبوا أهل بيتي وشيعتهم وأنصارهم، فإنه لما أسري بي إلى السماء الدنيا فنسبني جبرئيل عليه السلام لأهل السماء استودع الله حبي وحب أهل بيتي وشيعتهم في قلوب الملائكة، فهو عندهم وديعة إلى يوم القيامة، ثم هبط بي إلى أهل الأرض، فنسبني إلى أهل الأرض فاستودع الله عز وجل حبي وحب أهل بيتي وشيعتهم في قلوب مؤمني أمتي، فمؤمنوا أمتي يحفظون وديعتي في أهل بيتي إلى يوم القيامة. ألا فلأن الرجل من أمتي عبد الله عز وجل عمره أيام الدنيا ثم لقي الله عز وجل مبغضاً لأهل بيتي

و شيعتي، ما فرج الله صدره إلا عن النفاق».

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٣٧/٢، عن أبيه عليه السلام: «قال رسول الله ﷺ: ما خلق الله خلقاً أفضل مني ولا أكرم عليه مني! قال علي عليه السلام: فقلت: يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرئيل؟ فقال ﷺ: يا علي إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياء المرسلين على ملائكته المقربين، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك، وإن الملائكة لخدامنا وخدام محبينا! يا علي، الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا.

يا علي، لولا نحن ما خلق الله آدم عليه السلام ولا حواء، ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض! فكيف لا نكون أفضل من الملائكة، وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسيحبه وتمجيله وتقديسه، لأن أول ما خلق الله عز وجل أرواحنا فأنطقها بتوحيده وتمجيده، ثم خلق الملائكة، فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظمت أمرنا، فسبحنا لتعلم الملائكة أنا خلق مخلوقون وأنه منزه عن صفاتنا، فسبحت الملائكة بتسييحنا ونزهته عن صفاتنا! فلما شاهدوا عظم شأننا هللنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلا الله وأنا عبيد ولسنا بأله يجب أن نعبد معه أو دونه! فقالوا: لا إله إلا الله. فلما شاهدوا كبر محلنا كبرنا لتعلم الملائكة أن الله أكبر من أن ينال عظم المحل إلا به! فلما شاهدوا ما جعله الله لنا من العزة والقوة، فقلنا: لا حول ولا قوة إلا بالله، لتعلم الملائكة أنه لا حول لنا ولا قوة إلا بالله. فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجه لنا من فرض الطاعة، قلنا: الحمد لله، لتعلم الملائكة ما يستحق الله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه، فقالت الملائكة: الحمد لله. فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله عز وجل وتسيحبه وتمجيله وتمجيده. ثم إن الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه، وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً، وكان سجدتهم لله عز وجل عبودية، ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة، وقد سجدوا لآدم كلهم



أجمعون. وإنه لما عُرج بي السماء أَدْنَجبرئيل مثنى مثنى وأقام مثنى مثنى، ثم قال لي: تقدم يا محمد، فقلت لجبرئيل: أتقدم عليك؟ قال: نعم، لأن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه وملائكته أجمعين وفضلك خاصة. قال: فتقدمت فصليت بهم ولا فخر، فلما انتهيت إلى حجب النور قال لي جبرئيل: تقدم يا محمد، وتخلّف عني، فقلت له: يا جبرئيل في مثل هذا الموضع تفارقني؟! فقال: يا محمد انتهت حدي الذي وضعني الله عز وجل فيه إلى هذا المكان، فإن تجاوزته احترقت أجنحتي بتعديّ حدود ربي جل جلاله، فزخّ بي النور زخة حتى انتهيت إلى ما شاء الله عز وجل من علو مكانه، فنوديت فقلت: لبيك ربي وسعديك تباركت وتعاليت. فنوديت: يا محمد أنت عبدي وأنا ربك، فإياي فأعبد وعلّيّ فتوكل فإنك نوري في عبادي، ورسولي إلى خلقي، وحجتي على بريتي. لك ولمن تبعك خلقت جنتي، ولمن خالفك خلقت ناري، ولأوصيائك أوجبت كرامتي، ولشيعتهم أوجبت ثوابي. فقلت: يا رب ومن أوصيائي؟ فنوديت: يا محمد أوصيائك المكتوبون على ساق عرشي. فنظرت وأنا بين يدي ربي جل جلاله إلى ساق العرش فرأيت اثني عشر نوراً في كل نور سطر أخضر عليه إسم وصيّ من أوصيائي، أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم مهدي أمتي، فقلت: يا رب هؤلاء أوصيائي بعدي؟ فنوديت: يا محمد هؤلاء أوصيائي وأحبائي وأصفيائي وحججي بعدك على بريتي، وهم أوصيائك وخلفاؤك وخير خلقي بعدك.

وعزتي وجلالي لأظهرن بهم ديني، ولأعلن بهم كلمتي، ولأظهرن الأرض بأخرهم من أعدائي، ولأملكنه مشارق الأرض ومغاربها، ولأسخرن له الرياح، ولأذلن له السحاب الصعاب، ولأرقيه في الأسباب، ولأنصرنه بجندي، ولأمدنه بملائكتي، حتى يعلن دعوتي، ويجمع الخلق على توحيدني، ثم لأديمن ملكه، ولأداولن الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة».

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٦٠/٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أسري بي إلى السماء أوحى إلى ربي جل جلاله فقال: يا محمد إني أطلعت إلى الأرض اطلاعاً فاخترتك منها فجعلتك نبياً، وشققت لك من إسمي إسماً، فأنا المحمود

وأنت محمد. ثم اطلعت الثانية فاخترت منها علياً وجعلته وصيك وخليفتك وزوج ابنتك وأباذرتك، وشققت له إسماً من أسمائي، فأنا العلي الأعلى وهو علي. وجعلت فاطمة والحسن والحسين من نوركما، ثم عرضت ولايتهم على الملائكة، فمن قبلها كان عندي المقربين.

يا محمد لو أن عبداً عبدني حتى ينقطع ويصير كالشن البالي، ثم أتاني جاحداً لولايتهم ما أسكنته جنتي ولا أطللته تحت عرشي! يا محمد أتحب أن تراهم؟ قلت: نعم يا ربي، فقال عز وجل: إرفع رأسك فرفعت رأسي فإذا أنا بأنوار علي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي، والحجة بن الحسن قائم في وسطهم كأنه كوكب دري! قلت: رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الأئمة، وهذا القائم الذي يحمل حلالي ويحرم حرامي، وبه أنتقم من أعدائي، وهو راحة لأوليائي، وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين، فيخرج اللات والعزى طريين فيحرقهما، فلفنته الناس بهما يومئذ أشد من فتنه العجل والسامري». وكمال الدين ٢٥٢/ وبعضه غيبة الطوسي/١٤٧ والععل: ٥/١.

وفي كتاب التوحيد للصدوق/١١٧: «عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: قلت لعلي بن موسى الرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه أهل الحديث إن المؤمنين يزورون ربهم من منازلهم في الجنة؟ فقال عليه السلام: يا أبا الصلت إن الله تبارك وتعالى فضل نبيه محمد صلى الله عليه وآله على جميع خلقه من النبيين والملائكة، وجعل طاعته طاعته ومتابعته متابعته، وزيارته في الدنيا والآخرة زيارته، فقال عز وجل: من يطع الرسول فقد أطاع الله. وقال: إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم. وقال النبي صلى الله عليه وآله: من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله. إن درجة النبي صلى الله عليه وآله في الجنة أرفع الدرجات، فمن زاره إلى درجته في الجنة من منزله فقد زار الله تبارك وتعالى. قال: فقلت له: يا ابن رسول الله

فما معنى الخبر الذي رووه أن ثواب لا إله إلا الله النظر إلى وجهه الله؟ فقال ﷺ: يا أبا الصلت من وصف الله بوجهه كالوجوه فقد كفر، ولكن وجه الله أنبأؤه ورسله وحججه صلوات الله عليهم، هم الذين بهم يتوجه إلى الله وإلى دينه ومعرفته، وقال الله عز وجل: كل من عليها فان ويبقى وجه ربك. وقال عز وجل: كل شيء هالك إلا وجهه. فالنظر إلى أنبياء الله ورسله وحججه ﷺ في درجاتهم ثواب عظيم للمؤمنين يوم القيامة. وقد قال النبي ﷺ: من أبغض أهل بيتي وعترتي لم يرني ولم أره يوم القيامة. وقال ﷺ: إن فيكم من لا يراني بعد أن يفارقني. يا أبا الصلت إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان، ولا تدركه الأبصار والأوهام.

فقال قلت له: يا ابن رسول الله فأخبرني عن الجنة والنار أهما اليوم مخلوقتان؟ فقال: نعم وإن رسول الله ﷺ قد دخل الجنة، ورأى النار لما عرج به إلى السماء، قال فقلت له: إن قوماً يقولون إنها اليوم مقدرتان غير مخلوقتين؟

فقال ﷺ: ما أولئك منا ولا نحن منهم. من أنكر خلق الجنة والنار فقد كذب النبي ﷺ وكذبتنا، ولا من ولا يتنا على شيء، ويخلد في نار جهنم، قال الله عز وجل: هذه جهنم التي يكذب بها، المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن.

وقال النبي ﷺ: لما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل فأدخلني الجنة فناولني من رطبها فأكلته، فتحول ذلك نطفة في صلبي، فلما أهبطت إلى الأرض وقعت خديجة فحملت بفاطمة ﷺ، ففاطمة حوراء إنسية، وكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة». والعيون: ١٠٦/٢ وأمالى الصدوق/٥٤٥.

وروى في المحاسن: ١٨٠/١ فضائل الشيعة/٣٥، مشاهدة النبي ﷺ للجنة، وتفسير قوله تعالى: ما أخفيهم من قرة أعين. وروى في المحتضر/٧٨، قول الملائكة للنبي ﷺ: «أنتم أول خلق خلقه الله... فلما خلقنا كنا نمر بأرواحكم فنسيح بتسييحكم، ونحمد بتحميدكم، ونهلل بتهلليلكم ونكبر بتكبيركم، ونقدس بتقديسكم، ونمجد بتمجيدكم».

وفي أمالي الصدوق/٧٣١: «ناداني ربي جل جلاله: يا محمد، أنت عبدي وأنا ربك،

فلي فاضع، وإياي فاعبد، وعليّ فتوكل، وبي فتق، فإني قد رضيت بك عبداً وحبیباً ورسولاً ونبیاً، وبأخيك علي خليفة... وبك وبه وبالأمّة من ولده أرحم عبادي وإمائي، وبالقائم منكم أعمار أرضي بتسيحي وتهليلي وتقديسي وتكبري وتمجيدي، وبه أظهر الأرض من أعدائي وأورها أوليائي، وبه أجعل كلمة الذين كفروا بي السفلى وكلمتي العليا، وبه أحبي عبادي وبلادي بعلمي، وله أظهر الكنوز والذخائر بمشيئتي، وإياه أظهر على الأسرار والضمائر بإرادتي، وأمهه بملائكتي لتؤيده على إنفاذ أمري وإعلان ديني، ذلك وليي حقاً، ومهدي عبادي صدقاً.

وفي نوادر المعجزات/٧٤ وأمالی الطوسي/٣٤٣ و٣٥٤، عن الإمام الحسين عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما عرج بي إلى السماء، وصرت إلى سدرة المنتهى، أوحى الله إلي: يا محمد، قد بلوت خلقي، فمن وجدت أطوعهم؟ قلت: يا رب علياً. قال: صدقت يا محمد. ثم قال: هل اخترت لأمتك خليفة من بعدك، يعلمهم ما جهلوا من كتابي ويؤدي عني؟ قلت: اللهم اختر لي فإن اختيارك خير من اختياري. قال: قد اخترت لك علياً فاتخذة لنفسك خليفة ووصياً، فإني قد نحلته علمي وحلمي، وهو أمير المؤمنين حقاً، لم ينلها أحد قبله وليس لأحد بعده». وفي أمالي الصدوق/٣٧٥، أن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وآله: «إن علياً إمام أوليائي، ونور لمن أطاعني... فلما أخبر النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام، خرّ ساجداً شكراً لله تعالى». وفي أمالي الصدوق/٤٣٣ و٥٦٣ والطرائف/٤١٣: «نادى مناد من وراء الحجاب: نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك عليّ، فاستوص به». وفيه/٧١١٥٦٦ والخصال/١١٥: «كلمني ربي جل جلاله فقال: يا محمد. فقلت: لبيك ربي. فقال: إن علياً حجتي بعدك على خلقي، وإمام أهل طاعتي». وفي أمالي المفيد/١٧٣: «نوديت: يا محمد، استوص بعلي خيراً، فإنه سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين يوم القيامة». وفي أمالي الطوسي/٢٩٥، أن الله أوحى إليه في علي عليه السلام: «إقرى علي بن أبي طالب

أمير المؤمنين السلام، فما سميت بهذا أحداً قبله ولا أسمى بهذا أحداً بعده». وفي الخرائج: ٨١١/٢. أن الله خلق ملائكة بصورة النبي ﷺ وعلي والأئمة عليهم السلام. وروى الخزاز في كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر عليهم السلام، وما بعدها عدة أحاديث عن الصحابة، في تسمية النبي ﷺ للأئمة من عترته، وأنه رأى أنوارهم ومثالهم في معراجهم.. منها قوله ﷺ: «لما عرج بي إلى السماء وبلغت سدرة المنتهى ودعني جبرئيل عليه السلام، فقلت: حبيبي جبرئيل أفي هذا المقام تفارقني؟ فقال: يا محمد إني لا أجوز هذا الموضوع فتحترق أجنحتي. ثم زج بي في النور ما شاء الله، فأوحى الله إلي: يا محمد إني اطلعت إلى الأرض اطلاعة فاخترتك منها فجعلتك نبياً ثم اطلعت ثانية فاخترت منها علياً فجعلته وصيك ووارث علمك والإمام بعدك، وأخرج من أصلابكما الذرية الطاهرة والأئمة المعصومين خزان علمي، فلولاكم ما خلقت الدنيا ولا الآخرة ولا الجنة ولا النار. يا محمد أتحب أن تراهم؟ قلت: نعم يا رب. فنوديت: يا محمد إرفع رأسك، فرفعت رأسي فإذا أنا بأنوار علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والحجة يتلألاً من بينهم كأنه كوكب دري. فقلت: يا رب من هؤلاء ومن هذا؟ قال: يا محمد هم الأئمة بعدك المطهرون من صلبك، وهو الحجة الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويشفي صدور قوم مؤمنين. قلنا: بأبائنا وأمهاتنا أنت يا رسول الله لقد قلت عجباً. فقال ﷺ: وأعجب من هذا أن قوماً يسمعون مني هذا ثم يرجعون على أعقابهم بعد إذ هداهم الله ويؤذوني فيهم، لا أنالهم الله شفاعتي».

وفي النص على الأئمة الإثني عشر/ ٧٤ و ٢٤٤، قال ﷺ: «لما عرج بي إلى السماء رأيت على ساق العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيدته بعلي ونصرته. ورأيت اثني عشر إسماً مكتوباً بالنور، فيهم علي بن أبي طالب وسبطي، وبعدهما تسعة أسماء علياً علياً ثلاث مرات، ومحمد محمد مرتين، وجعفر وموسى والحسن، والحجة يتلألاً من بينهم، فقلت: يا رب أسامي من هؤلاء؟ فناداني ربي جل جلاله: هم الأوصياء

من ذريتك، بهم أثيب وأعاقب».

وفي/١٠٥، عن أبي أمامة وفيه: «فنوديت: يا محمد هم الأئمة بعدك والأخبار من ذريتك». وفي/١١٠، عن وائلة، وفيه: «أتحب أن تراهم يا محمد؟ قلت: نعم يا رب. قال: إرفع رأسك، فرفعت رأسي فإذا أنا بأنوار الأئمة بعدي اثنا عشر نوراً، قلت: يا رب أنوار من هي؟ قال: أنوار الأئمة بعدك أمناء معصومون».

وروى في/١٣٧، تفسير قوله تعالى: وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ: «فظوبى لمن أحبهم والويل لمن أبغضهم، فبهم أنزل الغيث وبهم أثيب وأعاقب. ثم رفع رسول الله ﷺ وسلم يده إلى السماء ودعا بدعوات فسمعتة فيما يقول: اللهم اجعل العلم والفقه في عقبي، وعقب عقبي، وفي زرعي، وزرع زرعي».

وفي/١٨٥، عن أم سلمة عن النبي ﷺ: «لما أسري بي إلى السماء نظرت فإذا مكتوب على العرش: لا إله إلا الله محمد رسول الله أيده بعلي ونصرته بعلي، ورأيت أنوار علي وفاطمة والحسن والحسين وأنوار علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي، ورأيت نور الحجة يتلأأ من بينهم كأنه كوكب دري، فقلت: يا رب من هذا ومن هؤلاء؟ فنوديت يا محمد هذا نور علي وفاطمة وهذا نور سبطيك الحسن والحسين، وهذه أنوار الأئمة بعدك من ولد الحسين مطهرون معصومون، وهذا الحجة يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً».

وفي شرح الأخبار: ٤١٥/٢، أن الله تعالى أمر رسوله أن يبلغ السلام إلى علي عليه السلام. وقال في كنز الفوائد/٢٥٩: «وقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ رأى في السماء لما عرج به ملكاً على صورة أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا خبر قد انفق أصحاب الحديث على نقله، حدثني به من طريق العامة الشيخ الفقيه أبو الحسن محمد بن أحمد بن الحسن بن شاذان القمي، ونقلته من كتابه المعروف بإيضاح دقائق النواصب، وقرأته عليه بمكة في المسجد الحرام سنة اثنتي عشرة وأربعمائة قال:». وفي شرح الأخبار: ٤٦٨/٣، عن عمار، وفيه: «إني اصطفتك لنفسي وانتجتك

رسالتني، وأنت نبي ورسولي وخير خلقي، ثم الصديق الأكبر علي وصيك، خلقتك من طينتك وجعلته وزيرك، وابناك الحسن والحسين...».

### ٢٨- رأى النبي ﷺ مستقبل أهل بيته عليه السلام

في الكافي: ٤٤٤/١ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن رسول الله ﷺ قال: إن الله مثل لي أمي في الطين، وعلمني أسماءهم كما علم آدم الأسماء كلها، فمر بي أصحاب الريات فاستغفرت لعي وشيعته. إن ربي وعدني في شيعة علي خصلة. قيل: يا رسول الله وما هي؟ قال: المغفرة لمن آمن منهم، وأن لا يغادر منهم صغيرة ولا كبيرة، ولهم تبدل السيئات حسنات».

وفي قرب الإسناد/١٠١، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: لما أسري بي إلى السماء وانتهيت إلى سدرة المنتهى، قال: إن الورقة منها تظل الدنيا وعلى كل ورقة ملك يسبح الله، يخرج من أفواههم الدر والياقوت، تبصر اللؤلؤة مقدار خمسين عام، وما سقط من ذلك الدر والياقوت يخرنه ملائكة موكلون به يلقونه في بحر من نور، يخرجون كل ليلة جمعة إلى سدرة المنتهى. فلما نظروا إليّ رحبوا بي وقالوا: يا محمد مرحباً بك. فسمعت اضطراب ريح السدرة وخفقة أبواب الجنان قد اهتزت فرحاً لمجيئك، فسمعت الجنان تنادي: واشوقاه إلى علي وفاطمة والحسن والحسين».

البيت النبوي  
المعظم

### ٢٩- العنف واللامعقول والمكذوبات في أحاديث المعراج!

يلفتك في المعراج أحاديث كثيرة يغلب عليها العامية، وأحاديث فيها عنف وقسوة، وأحاديث غير معقولة، كأنها منسوخة من مقولات اليهود عن ربهم وأنبيائهم، وأحاديث فيها تجسيم وتشبيه لله تعالى بخلقه!

وقد تبعت حديث المرأة المعلقة بثديها في جهنم، لأنها لم ترضع أولادها، فلم أجد ذلك في أحاديث أهل البيت عليه السلام، لأن إرضاع الأم بنص القرآن مستحب وليس واجباً، فكيف يظلم الله تعالى المرأة التي لم ترضع ابنها؟

وكذا حديث امتحان الله للنبي ﷺ بأفداح خمر ولبن وماء، وحديث رؤية

الأنبياء ﷺ في قبورهم يصلون، وكان الآخرة فيها تكليف بالصلاة، وكان الله عنده أزمة سكن فأسكن أنبياءه ﷺ في قبورهم!  
فهذه الروايات تدل على أن العامية والعنف جاء من رواة السلطة، وقد يكون تسرب منهم شئ إلى مصادرنا. وهذه نماذج من أحاديثهم:

### ٢٠- ربط النبي ﷺ البراق لنلا يهرب!

رووا أن النبي ﷺ ربط البراق كالدابة: «عن أنس أن رسول الله قال: فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس، فربطت الدابة بالحلقة التي كان يربط بها الأنبياء، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، فقال جبريل: أصبت الفطرة». ابن شيبه: ٤٤٣/٨.  
فهو يزعم أن البراق قد يفلت من يد النبي ﷺ! وأن الأنبياء لهم مكان في القدس يربطون به دوابهم! ثم يقول إن جبرئيل ثقب الصخرة وربط رسن البراق بثقبها!

قال ابن حجر في فتح الباري: ١٦٠/٧: «ووقع في رواية بريدة عند البزار: لما كان ليلة أسري به، فأتى جبريل الصخرة التي ببيت المقدس فوضع أصبعه فيها فخرقها، فشد بها البراق. ونحوه للترمذي»!  
وروى ابن أبي شيبه: ٤٤٥/٨ نقاشاً للراوي زر بن حبيش، مع حذيفة قال: قيل لحذيفة: وربط الدابة بالحلقة التي يربط بها الأنبياء؟ فقال: أو كان يخاف أن تذهب وقد أتاه الله بها؟!«

### ٢١- إمتحان للرسول ﷺ غير معقول!

قال البخاري في صحيحه: ٢٢٤/٥: «قال أبو هريرة أتى رسول الله ﷺ ليلة أسري به بإيلياء بقدحين من خمر ولبن، فنظر إليهما فأخذ اللبن. قال جبريل: الحمد لله الذي هدك للفطرة، لو أخذت الخمر غوت أمتك»!  
وفي الإكتفاء: ٢٣٤/١: «أتى بثلاثة آنية، إناء فيه لبن وإناء فيه خمر وإناء فيه ماء،



قال: فسمعت قائلاً يقول: إن أخذ الماء ففرق وغرقت أمته، وإن أخذ الخمر فغوى وغوت أمته، وإن أخذ اللبن هدى وهديت أمته!»!

فكيف يخبره الله بين الحرام والحلال؟ وكيف يجوز أن يختار النبي ﷺ الخمر، وكيف يؤثر اختياره على أمته كلها، فتضل وتغوي، أو تغرق بالماء!

### ٣٢- أكذوبة شق صدر النبي ﷺ

زعمت أحاديث المعراج أن الله شق صدر النبي ﷺ قبل المعراج، وأخرج منه علة الشر! وهي سهم الشيطان، ثم غسله فصار سليماً! وقد تناقضت روايتهم في ذلك فزعموا أنه شق صدره وهو عند حليلة السعدية، ورووا أن ذلك كان قبيل المعراج، وبينهما نحو أربعين سنة، ثم زعموا أن شق الصدر كان أربع مرات.

قال مسلم في صحيحه: ١٠١/١: «عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ أتاه جبرئيل، وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه وصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علة فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه ثم أعاده في مكانه. وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظئره فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره. وكان ذلك هو سبب إرجاعه إلى أمه».

وقال البخاري: ٢٠٣/٨: «ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال آخرهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة فلم يرههم حتى أتوه ليلة أخرى فيها يرى قلبه وتنام عينه، ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى لبتة، حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده، حتى أتقى جوفه، ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشواً إيماناً وحكمة فحشا به صدره ولغاديدته يعني عروق حلقه، ثم أطبقه، ثم عرج

به إلى السماء الدنيا فضرب باباً من أبوابها فناداه أهل السماء: من هذا؟ فقال: جبريل. قالوا: ومن معك؟ قال: معي محمد. قال: وقد بعث إليه؟ قال: نعم. قالوا: فمرحباً به وأهلاً».

وفي عمدة القاري بشرح البخاري: ١١٦/١٦: «كان نائماً بين عمه حمزة وابن عمه جعفر بن أبي طالب. قوله: وأوسطهم: هو النبي ﷺ». وقال شاعرهم:

لقد سُقِّ صدرٌ للنبي محمد  
مراراً لتشريف وذا غاية المجد  
فأولى له التشريف فيها مؤثلاً  
لتطهيره من مضغعة في بني سعد  
وثانية كانت له وهو يافع  
وثالثة للمبعث الطيب الند  
ورابعة عند العروج لربه  
وذا باتفاق فاستمع يا أبا الرشد  
وخامسة فيها خلاف تركتها  
لفقدان تصحيح لها عند ذي النقد

نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز لرفاعة الطهطاوي ٥٦/.

وعقيدتنا أن ذلك كله مكذوب، وأن الله تعالى صفاه واصطفاه وطهره منذ خلقه في الدنيا وقبل ذلك، ولا نقبل أحاديث شق الصدر جملةً وتفصيلاً.

### ٣٣- الأنبياء يصلون في قبورهم

رووا أن النبي ﷺ رأى أنبياء يصلون في قبورهم: «قال: ليلة أسري بي مررت على موسى وهو يصلي في قبره». مسند أحمد: ٥٩/٥.

وكان الله تعالى عنده أزمة سكن في الآخرة، مع أن جتته عرضها كعرض السماوات والأرض! ثم إن الموت ينهي التكليف فلا صلاة في الآخرة، والدنيا دار عملٍ ولا حساب والآخره دار حسابٍ ولا عمل. لكن الراوي عامي -اهل!

### ٣٤- النساء المعلقات بأئدأهن!

زعموا أن النبي ﷺ قال: «ثم انطلق بي حتى مرَّ بي على نسوة معلقات بثديهن، تنهش ثديهن الحيات! قال قلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء اللاتي يمنعن أولادهن ألبانهن». تاريخ دمشق: ٣٣١/٢٩.



أمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «دخلت أنا وفاطمة على رسول الله فوجدته يبكي بكاءً شديداً، فقلت: فذاك أبي وأمي يا رسول الله ما الذي أبكاك؟ فقال: يا علي ليلة أسري بي إلى السماء، رأيت نساء من أمتي في عذاب شديد، فأنكرت شأنهن فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن. ورأيت امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغ رأسها. ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب في حلقها ورأيت امرأة معلقة بئديها. ورأيت امرأة تأكل لحم جسدها والنار توقد من تحتها. ورأيت امرأة قد شد رجلاها إلى يديها وقد سلط عليها الحيات والعقارب. ورأيت امرأة صماء عمياء خرساء في تابوت من نار، يخرج دماغ رأسها من منخرها، وبدنها متقطع من الجذام والبرص. ورأيت امرأة معلقة، برجليها تنور من نار. ورأيت امرأة تقطع لحم جسدها من مقدمها ومؤخرها بمقاريض من نار. ورأيت امرأة تحرق وجهها ويدها وهي تأكل أمعاءها. ورأيت امرأة رأسها رأس الخنزير وبدنها بدن الحمار، وعليها ألف ألف لون من العذاب. ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل في دبرها وتخرج من فيها، والملائكة يضربون رأسها وبدنها بمقامع من نار!

فقالت فاطمة عليها السلام: حبيبي وقرّة عيني، أخبرني ما كان عملهن وسيرتهن حتى وضع الله عليهن هذا العذاب؟ فقال: يا بنتي، أما المعلقة بشعرها فإنها كانت لا تغطي شعرها من الرجال. وأما المعلقة بلسانها فإنها كانت تؤذي زوجها. وأما المعلقة بئديها فإنها تمتنع من فراش زوجها. وأما المعلقة برجليها فإنها كانت تخرج من بيتها بغير إذن زوجها. وأما التي تأكل لحم جسدها فإنها كانت تزين بدنّها للناس. والتي تُشد يداها إلى رجليها وسلط عليها الحيات والعقارب فإنها كانت قدرة الوضوء قدرة الثياب وكانت لا تغتسل من الجنابة والحيض ولا تتنظف، وكانت تستهين بالصلاة.

وأما الصماء العمياء الخرساء، فإنها كانت تلد من الزنا فتعلقه في عنق زوجها. وأما التي تقررّ لحمها بالمقاريض، فإنها كانت تعرض نفسها على الرجال.

وأما التي كانت تحرق وجهها وبدنها وتأكل أمعاءها، فإنها كانت قوادة.  
وأما التي كان رأسها رأس الخنزير وبدنها بدن الحمار، فإنها كانت نامة كذابة.  
وأما التي كانت على صورة الكلب والنار تدخل في دبرها وتخرج من فيها، فإنها  
كانت قينة نواحة حاسدة. ثم قال ﷺ ويل لامرأة أغضبت زوجها، وطوبى لامرأة  
رضي عنها زوجها».

أقول: لا يكفي رواية الصدوق ﷺ لهذا الحديث للوثوق به، فهو أولاً من مروياته عن  
مشايخ بغداد، وثانياً في سنده سهل بن زياد الأدي، وقد اتهمه بعض علمائنا بأنه ضعيف  
كذاب، ووثقه جماعة من المتأخرين، لكن حتى لو صح مروياته فلا يمكن قبول الحديث  
بل لانشك في أنه موضوع. وثالثاً لا يمكن قبول منته لأنه لا يعقل أن يعاقب الله تعالى بهذا  
العذاب الزوجة التي لم ترضع ابنها كما في بعض رواياته، أو لا تطيع زوجها في المقاربة!  
«وأما المعلقة بتديبها فإنها تمتنع من فراش زوجها».

### ٣٥ - نماذج أخرى من رواياتهم المكذوبة في المعراج

١. أخرجوا وقت المعراج إلى قبيل هجرة النبي ﷺ لأجل تصحيح كلام عائشة!  
فقد قال القاري في شرح الشفا: ٢٢٢/١ و ٣٩٣: «ذكر النووي أن معظم السلف وجمهور  
المحدثين والفقهاء، على أن الإسراء والمعراج كان بعد البعثة بستة عشر شهراً». لكن  
رواة السلطة أخروه لأن عائشة قالت إن بيت خديجة في الآخرة من قصب، لأنها لم  
تصل، والصلاة شرعت في المعراج، فيكون بعد وفاتها.

قال في فتح الباري: ١٥٤/٧: «تقدم أن عائشة جازمت بأن خديجة ماتت قبل أن  
تفرض الصلاة». وتقدم أن بشارة النبي ﷺ لخديجة ﷺ: بيت في الجنة لا صخب فيه  
ولا نصب. ولا ذكر فيه للقصب! فضائل الصحابة/ ٧٥ للنسائي وسنن النسائي: ٩٤/٥، الجامع  
الصغير: ٢٤٧/٢ وتاريخ الذهبي: ٢٣٨/١.

لكن عائشة جعلته بيتاً من قصب، وبررته بأن خديجة ماتت قبل أن تصلي! قالت:  
«ماتت خديجة قبل أن تفرض الصلاة، فقال النبي ﷺ: رأيت لخديجة بيتاً من قصب،

لاصخب فيه ولا نصب». فتح الباري: ٢٧/١.

٢- أعطوا أبابكر لقب الصديق، وجعلوا سببه أن النبي ﷺ لما عُرج به أخبر المشركين فكذبوه وكذبه قسم من المسلمين! لكن أبابكر صدقه فسمي الصديق! «فحدثهم، فمن بين مُصفق وواضع يده على رأسه تعجباً وإنكاراً، وارتد ناس ممن كان آمن به، وسعى رجال إلى أبي بكر فقال: إن كان قال ذلك لقد صدق. قال: أتصدقه على ذلك؟ قال إني لأصدقه على أبعد من ذلك فسمي الصديق». تخريج الأحاديث والآثار: ٢٥٦/٢، تاريخ الخلفاء: ٢٩، عن الحاكم عن عائشة وجُوْدَة، الرياض النضرة: ٤٠٤/١، الكشاف: ٤٣٧/٢، الإستيعاب: ٩٦٦/٣، تفسير البغوي: ٩٦/٣، البيضاوي: ٤٣٠/٣، أبي حيان: ٦/٦، أبي السعود: ١٥٥/٥ وغيرها.

ولكي يصح ذلك جعلوا إسلام أبي بكر قبل المعراج! أو أخروا وقت المعراج ليكون بعد إسلام أبي بكر! لكن سعد بن أبي وقاص شهد بأن أبابكر أسلم متأخراً، فقال ابنه محمد: «قلت لأبي: أكان أبوبكر أولكم إسلاماً؟ فقال: لا، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين، ولكن كان أفضلنا إسلاماً». الطبري: ٦٠٢/٢. ورووا ما يدل على أن إسلامه كان في السنة السابعة أو بعدها، وأن شخصاً من قبيلة أسد كان يربطه هو وطلحة بحبل ويجسها ويعذبها فسميا القرينين، لأن قبيلة تيم ملحقة أو متحالفة مع بني أسد عبد العزى. الإصابة: ٧٧/٦.

وروى البخاري: ٥٩/٣ عن عائشة، أن أبابكر خرج مهاجراً خوفاً من قريش «حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة» فأجاره، وهو سيد الأحابيش القارة أي الرماة: «فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة وآمنوا أبابكر، وقالوا لابن الدغنة: مُرْ أبابكر فليعبد ربه في داره، فليصل وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن» ثم ذكرت أنه رد إلى ابن الدغنة جواره قبيل هجرته إلى المدينة.

٣. قال القاضي عياض في الشفاء: ١٧٤/١: «وروى ابن قانع القاضي عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله ﷺ: لما أسري بي إلى السماء إذا على العرش مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيده بعلي!»

فوضعوا مقابله: «ما مررت بساء إلا وجدت إسمي فيها مكتوباً: محمد رسول الله،  
أبو بكر الصديق... قال رسول الله ﷺ: ليلة أسرى به إن قومي لا يصدقوني، فقال له  
جبريل: يصدقك أبو بكر وهو الصديق». مجمع الزوائد: ٤١/٩.  
لكن بعض علمائهم اعترف بأنه من موضوعات عبدالله بن إبراهيم ومحمد بن  
عبدالله الهلالي البصري! راجع الغدير: ٣٠٣/٥ والصحيح: ٤٤/٤.  
ويطول الكلام لو أردنا استعراض رواياتهم الكثيرة الموضوعة عن المعراج.



## الفصل السادس عشر

### أول من أسلم و أول من أعلن إسلامه

#### ١- أول من أسلم وأعلن إسلامه: عليّ وخديجة عليهما السلام

أ. أول من أسلم علي وخديجة وجعفر، ثم أمر الله نبيه ﷺ أن ينذر عشيرته الأقربين: روت مصادر الطرفين متواتراً عن علي قوله ﷺ: «صليت قبل الناس بسبع سنين» «ابن ماجه: ٤٤٨، الحاكم: ١١١/٣. وفي الترمذي: ٣٠٤/٥»: «بُعث النبي ﷺ يوم الإثنين، وصلى وعلي ﷺ يوم الثلاثاء!» ورواه الحاكم: ١١٢/٣ وصححه.

وفي الأحوذى: ١٦٠/١٠: «فيه دليل على أن أول من أسلم من الذكور هو علي رضي الله عنه». ومثله أبو يعلى: ٣٤٨/١، والبده والتاريخ: ٣٠٣، عن أبي رافع.

وقال ابن عبد البر في الإستيعاب: ١٠٩٥/٣: «وروى مسلم الملائي عن أنس بن مالك قال: استنبنى النبي ﷺ يوم الإثنين وصلى عليّ يوم الثلاثاء. وقال زيد بن أرقم: أول من آمن بالله بعد رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب... الخ.»

وحسنه في مجمع الزوائد: ٢٧٤/٩: «عن ابن عباس قال: أسلم زيد بن حارثة بعد علي، فكان أول من أسلم بعده». والطبراني الكبير: ٨٤/٥، الطبري: ٦٠/٢، تهذيب الكمال: ٥٢/٥ وسيرالذهبي: ٢١٦/١. وقال ابن هشام: ١٦٣/١: «وكان أول ذكر أسلم وصلى بعد علي بن أبي طالب رضي الله عنها». وسيرالذهبي ١٣/١ وتاريخ دمشق ٣٥٣/١٩.

ب. وبعد القرن الخامس أنكر علماء السلطة أن علياً ﷺ أول من أسلم! ففي مقدمة ابن



·الصلاح/١٧٨: «قال الحاكم: لا أعلم خلافاً بين أصحاب التواريخ أن علي بن أبي طالب أولهم إسلاماً. واستنكر هذا من الحاكم!»

واستنكره علماء السلطة بعد القرن الخامس! أما قبله فكانوا متفقين مجمعين عليه!  
قال في الصحيح من السيرة: ٣١٥/٢: «إن أول من أسلم واتبع وصدق وأزر وناصر، هو أمير المؤمنين وإمام المتقين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، وعلى أبنائه الأئمة الطاهرين. وأورد العلامة الأميني في الغدير: ٩٥/٣، أقوالاً لعشرات من كبار الصحابة والتابعين وغيرهم من الأعلام، وعشرات من المصادر غير الشيعية، تؤكد أن أمير المؤمنين عليه السلام هو أول الأمة إسلاماً».

وقال المناوي في فيض القدير: ٤٦٨/٤: «علي أخى في الدنيا والآخرة: كيف وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الإثنين فأسلم وصلى يوم الثلاثاء، فمكث يصلي مستخفياً سبع سنين، كما رواه الطبراني عن أبي رافع. وفي أوسط الطبراني عن جابر مرفوعاً: مكتوب على باب الجنة لا إله إلا الله محمد رسول الله علي أخو رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي سنة! وفيه: عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وآله: أخى بين الناس وأخى بينه وبين علي. قال الإمام أحمد: ما جاء في أحد من الفضائل ما جاء في علي! وقال النيسابوري: لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأحاديث الحسان ما ورد في حق علي».

ويحق لنا هنا أن نتعجب من ابن حجر الذي يعرف حديث الدار وإنذار العشيبة الأقربين أول البعثة، وأن النبي صلى الله عليه وآله أعلن علياً عليه السلام أخاه ووزيره ووصيه، ويعرف الأحاديث الصحيحة المتقدمة في خلق نور النبي صلى الله عليه وآله ونور علي عليه السلام قبل الخلق، ويعرف حديث النبي صلى الله عليه وآله الصحيح إن الملائكة صلت عليه وعلى علي سبباً، لأنها صليا قبل الناس سبع سنين! ويعرف قول علي عليه السلام: «أنا عبد الله وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كذاب! صليت قبل الناس لسبع سنين». وأنه صحيح بشرط الشيخين!

ويعرف أنه لا يوجد حديث في إسلام أن أبابكر أول من أسلم إلا ما نسبوه إلى عمار!

وقد صرح «فتح الباري: ١٣٠/٧» بأن البخاري لم يجد حديثاً في أن إسلام أبي بكر هو الأول، إلا مانسبه إلى عمار فقال: «اكتفى بهذا الحديث لأنه لم يجد شيئاً على شرطه غيره، وفيه دلالة على قدم إسلام أبي بكر، إذ لم يذكر عمار أنه رأى مع النبي ﷺ من الرجال غيره!» فيكفي عنده لإثبات أولية إسلام أبي بكر حديث مبهم ليرد به أحاديث قوية ويقول: «قد اتفق الجمهور على أن أبا بكر أول من أسلم من الرجال». والجمهور هنا أتباع السلطنة فقط، واتفاقهم تم في القرن الخامس! ج . أما روايات أهل البيت: فأجمعت على أن علياً وخديجة ﷺ أول من أسلم، ومن ذلك ما رواه اليعقوبي: ٢٢/٢: «أتاه جبريل ﷺ ليلة السبت... وقال من رواه عن جعفر بن محمد: يوم الجمعة... وعلى جبريل جبة سندس، وأخرج له درنوفاً من درانيك الجنة فأجلسه عليه، وأعلمه أنه رسول الله ﷺ، وبلغه عن الله وعلمه: إقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. وأتاه من غد وهو متدثر فقال: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ..»

وكان أول ما افترض عليه من الصلاة الظهر، أتاه جبريل فأراه الوضوء فتوضأ رسول الله ﷺ كما توضأ جبريل ﷺ ثم صلى ليريه كيف يصلي فصلى رسول الله. ثم أتى خديجة ابنة خويلد فأخبرها فتوضأت وصلت، ثم رآه علي بن أبي طالب ففعل كما رآه يفعل... وكان أول من أسلم خديجة بنت خويلد ﷺ من النساء، وعلي بن أبي طالب ﷺ من الرجال، ثم زيد بن حارثة، ثم أبوذر، وفي قصص الأنبياء للراوندي/٣١٦: «فكان يصلي خلف رسول الله ﷺ علي وجعفر وزيد وخديجة». وفي روضة الواعظين للنيشابوري/٨٥، عن علي ﷺ قال: «إن أول صلاة ركعتنا فيها صلاة العصر، قلت يا رسول الله: ما هذا؟ قال: أمرت به. قال أبو رافع: صلى النبي غداة الإثنين وصلت خديجة آخر نهار يوم الإثنين وصلى علي يوم الثلاثاء». ورواه محمد بن سليمان في المناقب: ٢٧٨/١، بطريقين عن حبة العرنى وأنس. وذخائر العقبى/٥٩، تفسير الإمام العسكري/٤٢٩. وشرح الأخبار: ١٧٧/١، ٤٤٩، المناقب: ٧/٢، التعجب/٩٨، كنز الفوائد/١٢٥، الإحتجاج: ٣٧/١ وفيه: «بعث يوم الإثنين وصليت

معه يوم الثلاثاء، وبقيت معه أصلي سبع سنين، حتى دخل نفر في الإسلام». وروى ابن طاووس رحمته الله في كتاب الطرف/ 5 والبحار: 392/65 عن عيسى بن المستفاد، أنه سأل الإمام الكاظم عليه السلام عن بدء الإسلام فقال: «سألت أبي جعفر بن محمد عليه السلام عن بدء الإسلام كيف أسلم علي عليه السلام وكيف أسلمت خديجة عليها السلام؟ فقال لي أبي: إنها أسلما لما دعاها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا علي ويا خديجة أسلمتما الله وسلمتما له؟ قال: إن جبرئيل عندي يدعوكما إلى بيعة الإسلام، فأسلما تسلما وأطيعا تهديا، فقالا: فعلنا وأطعنا يا رسول الله، فقال: إن جبرئيل عندي يقول لكما: إن للإسلام شروطاً وموائق، فابتدأوه بها شرط الله عليكما لنفسه ولرسوله أن تقولوا: نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله إلى الناس كافة بين يدي الساعة، ونشهد أن الله يحيي ويميت ويرفع ويضع ويغني ويفقر ويفعل ما يشاء ويبعث من في القبور. قالوا: شهدنا. قال: وإسباغ الوضوء على المكاره واليدين والوجه والذراعين، ومسح الرأس ومسح الرجلين إلى الكعبين، وغسل الجنابة في الحر والبرد، وإقام الصلوات، وأخذ الزكوات من حلها ووضعها في أهلها، وحج البيت، وصوم شهر رمضان والجهاد في سبيل الله، وبر الوالدين، وصلة الرحم، والعدل في الرعية والقسم في السوية، والوقوف عند الشبهة إلى الإمام فإنه لا شبهة عنده، وطاعة ولي الأمر بعدي ومعرفته في حياتي وبعد موتي، والأئمة من بعده واحداً فواحداً، وموالات أولياء الله ومعاداة أعداء الله، والبراءة من الشيطان الرجيم وحزبه وأشياعه... والحياة على ديني وسنتي ودين وصبي وستته، إلى يوم القيامة، والموت على مثل ذلك، غير شاققة لأمانته ولا متعدية ولا متأخرة عنه، وترك شرب الخمر، وملاحاة الناس. يا خديجة فهمت ما شرط عليك ربك؟ قالت: نعم وأمنت وصدقت ورضيت وسلمت. قال علي: وأنا على ذلك. فقال: يا علي تباع على ما شرطت عليك؟ قال: نعم...».

## ٢- إسلام جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

أ. أخبر الله نبيه ﷺ أن جعفر بن أبي طالب ﷺ نشأ على الفطرة وحنيفية إبراهيم ﷺ ففي علل الشرائع: ٥٥٨/٢ عن الإمام الباقر ﷺ قال: «أوحى الله تعالى إلى رسول الله ﷺ إني شكرت لجعفر بن أبي طالب أربع خصال، فدعاه النبي ﷺ فأخبره فقال: لولا أن الله تبارك وتعالى أخبرك ما أخبرتك: ما شربت خمراً قط لأنني علمت أني إن شربتها زال عقلي، وما كذبت قط لأن الكذب ينقص المروءة، وما زينت قط لأنني خفت أني إذا عملت عمل بي، وما عبدت صنماً قط لأنني علمت أنه لا يضر ولا ينفع! قال: فضرب النبي ﷺ على عاتقه وقال: حقُّ الله تعالى أن يجعل لك جناحين تطير بهما مع الملائكة في الجنة!»

ب. روى الصدوق في أماليه/ ٥٩٧، عن الإمام الصادق ﷺ، قال: «أول جماعة كانت أن رسول الله ﷺ كان يصلي وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب معه، إذ مرَّ أبو طالب به وجعفر معه، فقال: يا بني صلِّ جناح ابن عمك. فلما أحسسه رسول الله ﷺ تقدمهما، وانصرف أبو طالب مسروراً، وهو يقول:

إن علياً وجعفرأ ثقتي      عند مهم الأمور والكر  
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما      أخي لأمي من بينهم وأبي  
والله لا يخذل النبي ولا      يخذله من بني ذو حسب

قال: فكانت أول جماعة جُمعت، ذلك اليوم».

والحدائق الناضرة: ٩١/١١، صححه، روضة الواعظين/ ٨٦، كنز الفوائد/ ٧٩ و١٢٤، المناقب: ٣٠١/١، الطرائف/ ٣٠٥، عمدة الطالب/ ٢٣، حلية الأبرار/ ٦٩، البحار/ ٣٥/١٧٤، إيمان أبي طالب للشيخ المفيد/ ٣٩، الفصول المختارة/ ١٧١، الوسائل: ٢٨٨/٨، جامع أحاديث الشيعة: ٤٠٦/٦، الغدير: ٣٥٦/٧ و٣٩٦، إعلام الوري: ١٠٣/١، كشف الغمة: ٨٦/١، نهج الإيمان/ ٣٧٦، راجع الغدير: ٣٩٦/٧، مناقب محمد بن سليمان: ١٢٩/١، تأويل الآيات: ٢٧١/١، بتفاوت وشبيهه به الكافي: ٤٥٠/١، عن علي ﷺ، وأبو هلال العسكري في الأوائل/ ٥١،

ونحوه النكت لابن حبيب: ٤/٤٣٧، العثمانية للجاحظ/٣١٤، أبو حيان: ٨/٤٨٩، والآلوسي: ٣٠/١٨٣ و الإسكافي في نقض العثمانية.

ورواه أبو الفتح الكراجكي في كنز الفوائد/١٢٤، بسنده عن أبي صفو بن صلصال بن الدهمس، قال: «كنت أنصر النبي ﷺ مع أبي طالب قبل إسلامي، فإني يوماً لجالس بالقرب من منزل أبي طالب في شدة القيض، إذ خرج أبو طالب إليّ شبيهاً بالملهوف فقال لي: يا أبا الغضنفر هل رأيت هذين الغلامين؟ يعني النبي وعلياً. فقلت: ما رأيتهما مذ جلست! فقال: قم بنا في الطلب فلست آمن قريشاً أن تكون اغتالتهما! قال فمضينا حتى خرجنا من أبيات مكة، ثم صرنا إلى جبل من جبالها فاسترقتنا قلته، فإذا النبي وعلي عن يمينه، وهما قاثمان بإزاء عين الشمس يركعان ويسجدان. قال: فقال أبو طالب لجعفر ابنه: صل جناح ابن عمك، فقام إلى جنب علي فأحس بهما النبي ﷺ فتقدمهما، وأقبلوا على أمرهم حتى فرغوا مما كانوا فيه، ثم أقبلوا ونحن نأمرأت السرور يتردد في وجه أبي طالب ثم انبعث يقول: إن علياً وجعفرأ ثقتي.. الأبيات». وهذا يدل على أن أبا طالب وجعفرأ كانا مسلمين قبل ذلك، لأن جعفرأ دخل مباشرة في الصلاة، ولأن أبا طالب شهد نبوة النبي ﷺ، ولم يصل معهم لأن النبي ﷺ أمره أن يكتم إسلامه، فلو أظهره لما استطاع أن يجمي النبي ﷺ. وكذا حمزة كان مسلماً يكتم إيمانه، كما يدل حديث إسلام أبي ذر.

ج. حذف بعض رواة السلطة أبيات أبي طالب ﷺ من الحديث لأن فيها تصريحاً

بإسلامه وإيمانه بنبوة النبي ﷺ، وهو يردُّ زعمهم بأنه مات مشركاً! وزادوا فيه أن النبي ﷺ دعا أبا طالب ليصلي معهم فرفض، وقال كلمة سخرية من الصلاة كان يقولها المشركون الطلقاء!

ففي تاريخ بغداد: ٢٧١/٢ عن علي بن عيسى قال: «بيناً أنا مع النبي ﷺ في حيرٍ «محوطة» لأبي طالب، أشرف علينا أبو طالب فبصر به النبي ﷺ فقال: يا عم ألا تنزل فتصلي معنا؟ قال: ابن أخي إني لأعلم أنك على حق ولكنني أكره أن أسجد فتعلوني إستي! ولكن إنزل يا جعفر فصل جناح ابن عمك. فنزل جعفر فصلى عن يسار النبي ﷺ فلما

قضى النبي صلواته التفت إلى جعفر فقال: أما إن الله قد وصلك بجناحين تطير  
بهما في الجنة كما وصلت جناح ابن عمك.

قال الشيخ أبو بكر: تفرد برواية هذا الحديث عن سفيان الثوري ابن أخته  
سيف بن محمد، ولا نعلم رواه عنه إلا السمتي». ورواه في تاريخ دمشق: ١٦٤/٥٤،  
خيثمة/٢٠٦، طبقات الحنابلة ٣٠٩/١، اللالكاني: ١٤٢٠/٨. ورده الذهبي في ميزان الإعتدال:  
٢٥٧/٢، لأنه يثبت إسلام جعفرين أبي طالب عليهما السلام قبل أبي بكر!

د. في المناقب: ١/١٧٦: «سنة ثمان في جمادى الأولى وقعة مؤتة، وهم ثلاثة آلاف.  
في كتاب أبان قال الصادق عليه السلام: إنه استعمل عليهم جعفرأفان قتل فزيد، فإن قتل  
فابن رواحة، ثم خرجوا حتى نزلوا معان، فبلغهم أن هرقل قد نزل بمأرب في مائة  
الف من الروم ومائة ألف من المستعربة، فانحازوا إلى أرض يقال لها المشارف،  
ونسبت السيوف المشرفية إليها لأنها طبعت لسليمان بن داود عليه السلام، فاختلفوا في  
القتال أو في إخبار النبي صلى الله عليه وآله بكثرتهم فقال ابن رواحة: ما نقاتل الناس بكثرة  
وإنما نقاتلهم بهذا الدين! فلحقوا جموعهم بقري البلقاء، ثم انحازوا إلى مؤتة.  
وفي البخاري: نعى النبي صلى الله عليه وآله جعفرأ، وزيدأ، وابن رواحة، قبل أن يجيء  
خبرهم وعيناه تذرطان. زيد بن أرقم: حارب جعفر على أشقره حتى عقر، وهو  
أول من عقر فرسه في الإسلام، فحارب راجلاً حتى قتل. عن الباقر عليه السلام قال:  
أصيب يومئذ جعفر وبه خمسون جراحة، خمس وعشرون منها في وجهه».  
وفي الكافي: ١/٤٩ عن الإمام الباقر عليه السلام: «لما كان يوم مؤتة كان جعفر على فرسه  
فلما التقوا نزل عن فرسه فعرقبها بالسيف، وكان أول من عرقب في الإسلام».  
وفي التنبيه والإشراف/٢٣٠، للمسعودي أن هرقل: «يومئذ مقيم بأطاكية وعلى  
الروم تبادوقس البطريق، وعلى متنصرة العرب من غسان وقضاة وغيرهم  
شرحبيل بن عمرو الغساني، فقتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب بعد أن  
عرقب فرسه، وهو أول فرس عرقبت في الإسلام، وجرح نيفاً وتسعين جراحة  
كلها في مقدمه، وقتل عبدالله بن رواحة، ورجع خالد بن الوليد بالناس».

هد. عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن النبي صلى الله عليه وآله حين جاءته وفاة جعفر بن أبي طالب وزيد بن جابر كان إذا دخل بيته كثر بكأؤه عليها جداً ويقول: كانا نجدثاني ويونساني فذهبا جميعاً. ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله من واقعة أحد إلى المدينة سمع من كل دار قتل من أهلها قتيلاً نوحاً وبكاءً، ولم يسمع من دار حمزة عمه، فقال: لكن حمزة لا بواكي له! فألى أهل المدينة أن لا ينوحوا على ميت ولا يبكوه حتى يبدووا بحمزة فينوحوا عليه ويبكوه، فهم إلى اليوم على ذلك». الفقيه: ١٨٣/١.

### ٢- كان أبو طالب وحمزة يخفيان إسلامهما

أ. كان أبو طالب كأبيه عبد المطلب رضوان الله عليهما، يعرف أن محمداً صلى الله عليه وآله هو النبي الموعود من ذرية إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ويؤمن به من صغره ويحبه ويحرسه. أما حمزة رضي الله عنه فذكر رواية السلطة أنه أسلم في السنة الثالثة أو الرابعة عندما شتم أبو جهل النبي صلى الله عليه وآله فغضب وانتصر للنبي صلى الله عليه وآله وضرب أبا جهل وأعلن إسلامه. لكن الصحيح أنه يومئذ أعلن، وأنه أسلم أول بعثة النبي صلى الله عليه وآله ووقف إلى جنبه في مواجهة قريش، ووقاه بنفسه مع أبي طالب وعلي وجعفر وزيد بن حارثة، كما يدل حديث إسلام أبي ذر رضي الله عنه الآتي، وأن أبا طالب رتب نظام حراسة مشددة حول النبي صلى الله عليه وآله وكان يدقق في من يريد لقاءه.

فقد روى الكليني في الكافي: ٢٩٧/٨ والصدوق في الأمالي/٥٦٧، حديث إسلام أبي ذر وإصراره أن يرى النبي صلى الله عليه وآله حتى قال له أبو طالب: «قم معي، فتبعته فدفعتني إلى بيت فيه حمزة فسلمت عليه وجلست فقال لي: ما حاجتك؟ فقلت: هذا النبي المبعوث فيكم؟ فقال: وما حاجتك إليه؟ قلت: أؤمن به وأصدقه وأعرض عليه نفسي ولا يأمرني بشيء إلا أطعته، فقال: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ قال: فشهدت قال: فدفعني حمزة إلى بيت فيه جعفر...».

أقول: آمن أبو ذر بنبوة النبي صلى الله عليه وآله قبل أن يراه، لأن الله أنطق له الذئب، كما يأتي.

ب. أعلن حمزة إسلامه يوم نأر للنبي ﷺ، وتحدى قريشاً في ناديمهم، وضرب أبا جهل زعيم بني مخزوم! فقد روى ابن إسحاق: ١٥١/٢ وابن هشام: ١٨٨/١: «أن أبا جهل اعترض رسول الله ﷺ عند الصفا فأذاه وشتمه، ونال منه ما يكره من العيب لدينه والتضعيف له، فلم يكلمه رسول الله ﷺ ومولاه لعبد الله بن جدعان التيمي في مسكن لها فوق الصفا تسمع ذلك، ثم انصرف عنه، فعمد إلى ناد لقريش عند الكعبة فجلس معهم. ولم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحاً قوسه راجعاً من قنص له، وكان إذا رجع لم يرجع إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لا يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحذت معهم، وكان أعز قريش وأشدها شكيمة، وكان يومئذ مشركاً على دين قومه «في الظاهر» فلما مر بالمولاة وقد قام رسول الله ﷺ فرجع إلى بيته، فقالت له: يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك من أبي الحكم أنفأ قبيل؟ وجده هاهنا فأذاه وشتمه وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد! فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله عز وجل به من كرامته، فخرج سريعاً لا يقف على أحد - كما كان يصنع حين يريد الطواف بالبيت - مُعداً لأبي جهل أن يقع به، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس وضره بها ضربة شجه بها شجة منكرة! وقامت رجال من قريش من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه فقالوا: ما نراك يا حمزة إلا قد صبأت! قال حمزة: وما يمنعني منه وقد استبان لي منه ذلك، وأنا أشهد أنه رسول الله وأن الذي يقول حق، فوالله لا أنزع، فامنعوني إن كنتم صادقين! فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإني والله لقد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً!»

وقال في الصحيح من السيرة: ١٥٣/٣: «قوله الأخير: وما يمنعني وقد استبان لي منه أنه رسول الله والذي يقول حق: أنه لم يكن في إسلامه منطلقاً من عاطفته التي أثيرت وحسب، وإنما سبقت ذلك قناعة كاملة مما شاهده عن قرب...



وبعد إسلام حمزة بن عبد المطلب بدأت تتراجع قريش وتلين من موقفها، وتدخل في مفاوضات معه ﷺ، وتعطيه بعض ما يريد، لأنها رأت أن المسلمين يزيد عددهم ويكثر، فكلمه عتبة فابى ﷺ كل عرضهم». البدء والتاريخ: ٩٨/٥.

ج. تعصب رواة قريش على بني هاشم، فجردوا حمزة من فضيلة سبقه إلى الإسلام، وقرنوا به عمر وكأنه شجاع مقاتل مثله، وخففوا من تمثيل هند بجثمان حمزة ومحاولتها أكل كبده، أو أنكروا ذلك. كما خففوا من جريمة قاتله وحشي غلام هند، ونسبوا إليه أنه قتل مسيلمة الكذاب فغفر الله له قتله حمزة!

ثم افتروا على حمزة بأنه كان يشرب الخمر صحيح بخاري ٨٠/٣ و ٤١/٤ وأنه سكر يوماً وجاء إلى جملين لعلي ﷺ فشق بطنيهما وأخذ كبديهما، وجلس يشرب الخمر وجارته تغنيه! فشكوه إلى النبي ﷺ فجاء مع علي وزيد، فستهم حمزة! فتركه النبي ﷺ لما رآه سكراناً! وقد فند ذلك في الصحيح من السيرة: ٢٩٠/٥.

د. كان علي وحمزة بطلا معركة بدر التي غيرت موازين القوى بين النبي ﷺ والمشركين. فقد سأل أمية بن خلف: «من المَعْلَمُ بريشة نعامة في صدره؟ قلت ذلك حمزة عم النبي ﷺ». قال: ذاك فعل بنا الأفاعيل منذ اليوم». الحاكم: ١١٧/٢.

هـ. وفي معركة أحد انتصر المسلمون في الجولة الأولى، ببطولة علي وحمزة، ثم خالفوا النبي ﷺ فانهمزوا، وثبت النبي ﷺ وعلي وحمزة، فقتل حمزة ﷺ.

قال في الإرشاد: ٨٣/٢: «وكانت هند بنت عتبة جعلت لوحشي جعلاً على أن يقتل رسول الله ﷺ أو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أو حمزة بن عبد المطلب، فقال لها: أما محمد فلا حيلة لي فيه لأن أصحابه يطيفون به، وأما علي فإنه إذا قاتل كان أحذر من الذئب، وأما حمزة فلإني أطمع فيه لأنه إذا غضب لم يبصر بين يديه. وكان حمزة يومئذ قد أعلم بريشة نعامة في صدره، فكمن له وحشي في أصل شجرة، فراه حمزة فبدر إليه بالسيف فضربه ضربة أخطأت رأسه، قال وحشي: وهزرت حربتي حتى إذا تمكنت منه رميته فأصبت في أربيته «أسفل بطنه» فأنفذته، وتركته حتى إذا برد

صرت إليه فأخذت حربتي، وشغل عني وعنه المسلمون بهزيمتهم. وجاءت هند فأمرت بشق بطن حمزة، وقطع كبده، والتمثيل به، فجدعوا أنفه وأذنيه، ومثلوا به».

وفي تفسير القمي: ١١٧/١: «فقطعت مذاكيره وقطعت أذنيه وجعلتها خرصين وشدتها في عنقها، وقطعت يديه ورجليه».

وفي شرح النهج: ٢٧١/١٤: «كانت هند بنت عتبة أول من مثل بأصحاب النبي وأمرت النساء بالمثلة وبجدع الأنوف والآذان، فلم تبق امرأة إلا عليها معضدان ومسكتان وخَدَمَتان!»

والمعضد ما يلبس في العضد، والمسكة سوار يلبس في ذراع اليد، والخدمة الخللخال يلبس في الساق.

وفي مسند أحمد: ٤٦٣/١، ابن أبي شيبه: ٤٩٢/٨، وفتح الباري: ٢٧٢/٧: «وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها! فقال رسول الله ﷺ: أأكلت منه شيئاً؟ قالوا: لا. قال ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة النار».

وفي تفسير البغوي: ٩١/٣: «فمضغتها ثم استرطبتها لتأكلها، فلم تلبث في بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: أما إنها لو أكلتها لم تدخل النار أبداً، إن حمزة أكرم على الله تعالى من أن يدخل شيئاً من جسده النار».

قال الحافظ ابن عقيل في النصائح الكافية: ١١٢: «كانت شديدة العداوة للنبي ﷺ بمكة، ولما تجهز مشركوا قريش لغزوة أحد، خرجت معهم تحرض المشركين على القتال. ولما مروا بالأبواء حيث قبر أم النبي ﷺ آمنه بنت وهب، أشارت على المشركين بنيش قبرها وقالت: لو نبشتم قبر أم محمد، فإن أسر منكم أحداً فديتكم كل إنسان بإرب من آرابها أي جزء من أجزائها! فقال بعض قريش: لا يفتح هذا الباب!»

وقال المحامي أحمد حسين يعقوب في مذبحه كربلاء: ٧٤/٤: «خذ على سبيل المثال: أم معاوية هند بنت عتبة، وهي امرأة والمرأة على الغالب ترمز للرحمة وتجنح

للموادعة، لكن هنداً لم تكتف بأن يخرج زوجها وابناها لمعركة أحد، بل أصرت على الخروج بنفسها وحملت نساء البطون على الخروج، لتشهد العنف والدم على الطبيعة! لقد تيقنت من قتل حمزة عم النبي ﷺ لكنها لم تكتف بقتله بل سارت بخطى ثابتة حتى وقفت بجانب جثته، وبأعصاب باردة شقت بطن حمزة وهو ميت واستخرجت كبده، وحاولت أن تأكله! ثم قطعت أذنيه وأنفه ومثلت به أشنع تمثيل! فإذا كانت المرأة منهم تفعل بضحتها هكذا، فكيف يفعل أبوسفيان ومعاوية وذريتهم بضحاياهم؟! هذه هي البيئة الدموية التي تربى فيها يزيد مهندس مذبحه كربلاء! فأبوه معاوية وجده أبوسفيان وجدته هند! لقد ورث العنف والتنكيل بخصومه كابرأ عن كابر.

وفي شرح الأخبار للقاضي المغربي: ٢٨١/١: «مضى رسول الله ﷺ يلتمس حمزة، فوجده وقد بقروا بطنه عن كبده! فقال حين رآه: أما إنه لولاً أن تحزن صفيه ويكون سنة بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير! ثم قال: والله ما وقفت موقفاً قط أغيظ لي من هذا الموقف! فهبط جبرئيل فقال: يا محمد إنه مكتوب في أهل السماوات إن حمزة أسد الله وأسد رسوله.

ثم أمر به صلوات الله عليه فسجى بردة ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى حمزة فيصلي عليه وعليهم، حتى صلى اثنين وسبعين صلاة. ثم أمر به دفن في مصرعه، وأمر بالقتلى كذلك أن يدفنوا في مصارعهم وقال: أنا أشهد على هؤلاء أنه ما من أحد يجرح في الله إلا والله عز وجل يبعثه يوم القيامة بدم جرحه، اللون لون الدم والريح ريح المسك».

و. روي أن وحشياً أسلم وأن النبي ﷺ سأله كيف قتل حمزة، ثم قال له: «عَيَّب

وجحك عني، فإني لا أستطيع أن أرى قاتل حمزة»! شرح الأخبار: ٢٦٨/١.

وروي أنه حسن إسلامه وجاهده «ذخائر العقبى/ ١٧٨» وأن الله قد يتوب عليه، ففي الكافي: ٣٨١/٢: «عن حمزة بن الطيار قال: قال لي أبو عبد الله ﷺ: الناس على ستة أصناف، قال قلت: أتأذن لي أن أكتبها؟ قال: نعم. قلت: ما أكتب؟ قال: اكتب أهل الوعيد من أهل الجنة وأهل النار. وَاخْرُوتْ وَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا. قال قلت:

مَنْ هُوَ لَاءٌ؟ قَالَ: وَحِشِي مِنْهُمْ. قَالَ: وَآخَرُونَ مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَامًا يَعْذِبُهُمْ وَإِمَامًا يَنْتُوبُ عَلَيْهِمْ. قَالَ: وَابْتِ: إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَضْعِفُونَ حِيلَةً إِلَى الْكُفْرِ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا إِلَى الْإِيمَانِ» فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ. قَالَ: وَابْتِ: أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ قَالَ قُلْتُ: وَمَا أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ؟ قَالَ: قَوْمٌ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ، فَإِنْ أَدْخَلَهُمُ النَّارَ فَبِذُنُوبِهِمْ، وَإِنْ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ فَبِرَحْمَتِهِ. ز. مِنْ زِيَارَةِ قَبْرِ حَمْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَمَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَيْرَ الشُّهَدَاءِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَسَدَ اللَّهِ وَأَسَدَ رَسُولِهِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ جَاهَدْتَ فِي اللَّهِ، وَنَصَحْتَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَجَدْتَ بِنَفْسِكَ، وَطَلَبْتَ مَا عِنْدَ اللَّهِ وَرَغِبْتَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ. كَامِلُ الزِّيَارَاتِ/٦٢.

ح. فِي كَشْفِ الْإِرْتِيَابِ/٥٥: «هَدَمُوا جَمِيعَ مَا بِالْمَدِينَةِ وَنَوَاحِيهَا مِنَ الْقُبَابِ وَالْأَضْرَحَةِ وَالْمَزَارَاتِ، فَهَدَمُوا قَبَةَ أُمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ رَضِيَ اللَّهُ بِالْبَقِيْعِ، وَمَعَهُمُ الْعَبَّاسُ عَمَّ النَّبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَجَدَرَانَهَا، وَأَزَالُوا الصَّنَدُوقَ وَالْقَفْصَ الْمَوْضُوعِينَ عَلَى قُبُورِهِمْ، وَصَرَفُوا عَلَى ذَلِكَ أَلْفَ رِيَالٍ مَجِيدِي.. وَهَدَمُوا قُبَابَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَمْنَةَ أَبِي النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.. وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ هَدَمُوا قَبَةَ حَمْزَةَ عَمَّ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَشُهَدَاءَ أَحَدٍ حَتَّى أَصْبَحَ مَشْهَدَ حَمْزَةَ وَالشُّهَدَاءِ وَالْجَامِعِ الَّذِي بَجَانِبِهِ، وَتَلِكَ الْأَبْنِيَّةُ كُلُّهَا أَثْرًا بَعْدَ عَيْنٍ، وَلَا يَرَى الزَّائِرُ لِقَبْرِ حَمْزَةَ الْيَوْمَ إِلَّا قَبْرًا فِي بَرِيَّةٍ، عَلَى رَأْسِ تَلٍّ مِنَ التَّرَابِ!»

#### ٤- زيد بن حارثة الذي اختار النبي ﷺ على أبيه!

فِي تَفْسِيرِ الْقَمِي: ١٧٢/٢، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ سَبَبُ نَزُولِ ذَلِكَ «وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ..» أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا تَزَوَّجَ بِخَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ خَرَجَ إِلَى سُوقِ عَكَازٍ فِي تِجَارَةِ لَهَا، وَرَأَى زَيْدًا يَبِيعُ، وَرَأَاهُ غُلَامًا كَيْسًا حَصِيْفًا فَاشْتَرَاهُ، فَلَمَّا نُبِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ، وَكَانَ يَدْعَى زَيْدَ مَوْلَى مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا بَلَغَ حَارِثَةَ بْنَ شَرَاهِيلَ الْكَلْبِيَّ خَبَرَ وَلَدَهُ زَيْدًا، فَدَمَّ مَكَّةَ وَكَانَ رَجُلًا جَلِيلًا، فَأَتَى أَبَاطَالَبَ فَقَالَ: يَا أَبَاطَالَبُ إِنَّ ابْنِي وَقَعَ عَلَيْهِ السَّبِيُّ وَبَلَغَنِي أَنَّهُ صَارَ إِلَى ابْنِ أَخِيكَ، فَسَلِّهِ إِمَامًا أَنْ يَبِيعَهُ وَإِمَامًا

أن يفاديه وإما أن يعتقه . فكلم أبو طالب رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : هو حرٌّ فليذهب كيف يشاء ، فقام حارثة فأخذ بيد زيد فقال له : يا بني الحق بشرفك وحسبك ، فقال زيد : لست أفارق رسول الله ﷺ أبداً فقال له أبوه : فتدع حسبك ونسبك وتكون عبداً لقريش ؟ فقال زيد : لست أفارق رسول الله ﷺ ما دمت حياً ! فغضب أبوه فقال : يا معشر قريش إشهدوا أني قد برئت منه وليس هو ابني ! فقال رسول الله ﷺ : إشهدوا أن زيدا ابني أرثه ويرثني ، فكان يدعى زيد بن محمد ، فكان رسول الله ﷺ يحبه وسماه زيد الحب ، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة زوجه زينب بنت جحش . وسيأتي طلاقه لها ، وتزويج الله رسوله ﷺ بها .

#### ٥- أبوذر الغفاري رضي الله عنه رابع المسلمين المعلنين إسلامهم

أ. كان أبوذر قبل الإسلام يصلي بهداية فطرته ! قال : «صليت قبل الناس بأربع

سنين ، قلت له : من كنت تعبد ؟ قال : إله السماء» . دلائل النبوة : ٤ / ١٣٠٧ .

«قلت : يا أباذر أين كنت تتوجه ؟ قال : كنت أتوجه حيث وجهني الله ، كنت أصلي من أول الليل فإذا كان آخر الليل ألقيت هذا ، حتى كأنما أنا خفاء حتى تعلقني الشمس» . الطبراني الأوسط : ٣ / ٢٤٦ .

وفي الكافي : ٢٩٧ / ٨ ، وأمالي الصدوق / ٥٦٧ ، عن الإمام الصادق عليه السلام : «قال لرجل من أصحابه : ألا أخبرك كيف كان سبب إسلام سلمان وأبي ذر رحمة الله عليهما ؟ فقال الرجل وأخطأ : أما إسلام سلمان فقد علمت ، فأخبرني كيف كان سبب إسلام أبي ذر ؟ فقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام : إن أباذر رضي الله عنه كان في بطن مَرَّ «واد قرب مكة» يرعى غنماً له ، فأتى ذئب عن يمين غنمه فهش بعصاه على الذئب ، فجاء الذئب عن شماله فهش عليه أبوذر ، ثم قال له أبوذر : ما رأيت ذئباً أحبب منك ولا شراً ! فقال له الذئب : شرٌّ والله مني أهل مكة بعث الله عز وجل إليهم نبياً فكذبوه وشتموه ! فوقع في أذن أبي ذر فقال لامرأته : هلمي مزودي وإداوتي وعصاي ، ثم خرج على رجليه يريد مكة ليعلم خبر الذئب وما أتاه به ! حتى بلغ مكة فدخلها في ساعة حارة وقد تعب ونصب ،

فأتى زمزم وقد عطش فاغترف دلواً فخرج لبن! فقال في نفسه: هذا والله يدلني على أن ما خبرني الذئب وما جئت له حق، فشرب وجاء إلى جانب من جوانب المسجد، فإذا حلقة من قريش فجلس إليهم فرأهم يشتمون النبي ﷺ كما قال الذئب! فما زالوا في ذلك من ذكر النبي ﷺ والشتم له حتى جاء أبو طالب من آخر النهار، فلما رأوه قال بعضهم لبعض: كُفوا فقد جاء عمه! قال فكفوا فلما دنا منهم أكرموه وعظموه، فلم يزل أبو طالب متكلمهم وخطيبهم إلى أن تفرقوا. فلما قام أبو طالب تبعته فالتفت إلي فقال: ما حاجتك؟ فقلت: هذا النبي المبعوث فيكم. قال: وما حاجتك إليه؟ فقال له أبوذر: أو من به وأصدقه وأعرض عليه نفسي، ولا يأمرني بشيء إلا أطعته. فقال أبو طالب: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ قال فقلت: نعم، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فقال قال: وتفضل؟ قلت: نعم قال: فتعال غداً في هذا الوقت إليّ حتى أدفعك إليه، قال: بنتُ تلك الليلة في المسجد حتى إذا كان الغد جلست معهم، فما زالوا في ذكر النبي ﷺ وشتمه حتى إذا طلع أبو طالب، فلما رأوه قال بعضهم لبعض: أمسكوا فقد جاء عمه! فأمسكوا، فلما قام أبو طالب تبعته فالتفت إلي فقال: ما حاجتك؟ «فأعاد عليه ما قاله» فقال: قم معي فتبعته فدفعني إلى بيت فيه حمزة فسلمت عليه وجلست، فقال لي: ما حاجتك؟ فقلت: هذا النبي المبعوث فيكم؟ فقال: وما حاجتك إليه؟ قلت: أو من به وأصدقه وأعرض عليه نفسي ولا يأمرني بشيء إلا أطعته، فقال: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ قال: فشهدت قال: فدفعني حمزة إلى بيت فيه جعفر فسلمت عليه وجلست فقال لي جعفر: ما حاجتك؟ فقلت: هذا النبي المبعوث فيكم قال: وما حاجتك إليه؟ فقلت: أو من به وأصدقه وأعرض عليه نفسي ولا يأمرني بشيء إلا أطعته فقال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله؟ قال فشهدت فدفعني إلى بيت فيه علي سلمت وجلست فقال: ما حاجتك؟ فقلت: هذا النبي المبعوث فيكم؟ قال: وما حاجتك إليه؟ قلت: أو من به وأصدقه

وأعرض عليه نفسي ولا يأمرني بشيء إلا أطعته، فقال: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ قال: فشهدت فدفعني إلى بيت فيه رسول الله فسلمت وجلست فقال لي رسول الله ﷺ: ما حاجتك؟ قلت: النبي المبعوث فيكم؟ قال: وما حاجتك إليه؟ قلت: أؤمن به وأصدق به ولا يأمرني بشيء إلا أطعته، فقال: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقال لي رسول الله ﷺ: يا أباذر إنطلق إلى بلادك فإنك تجد ابن عم لك قد مات وليس له وارث غيرك، فخذ ماله وأقم عند أهلك حتى يظهر أمرنا! قال: فرجع أبوذر فأخذ المال وأقام عند أهله حتى ظهر أمر رسول الله ﷺ. فقال أبو عبد الله عليه السلام: هذا حديث أبيذر وإسلامه رضي الله عنه وأما حديث سلمان فقد سمعته! فقال: جعلت فداك حديثي بحديث سلمان، فقال: قد سمعته، ولم يحدثه لسوء أدبه».

وفي رواية الصدوق: «قال أبوذر: فانطلقت إلى بلادي فإذا ابن عم لي قد مات وخلف مالا كثيراً في ذلك الوقت الذي أخبرني فيه رسول الله ﷺ، فاحتويت على ماله، وبقيت ببلادي حتى ظهر أمر رسول الله ﷺ فأتيته».

وفي قصص الأنبياء للراوندي/٣٠٤: «فلما انصرفت إلى قومي أخبرتهم بذلك، فأسلم بعضهم وقال بعضهم: إذا دخل رسول الله أسلمنا، فلما قدم أسلم بقيتهم». أقول: يدل هذا الحديث على أن أباطال وحمزة وجعفرأ وعلياً عليهم السلام قد أسلموا من أول الأمر، وأحاطوا بالنبى ﷺ وحرصوه، ودعوا الناس إلى الإيمان به بأساليب متنوعة تتناسب مع كل واحد منهم، ودوره الذي حدده له النبى ﷺ.

لكن زعماء قريش الذين عادوا النبى ﷺ وأسرتة وحاربوه ثم أبعدها عترته عن خلافته، يريدون حذف أي دور لعترته في دعوته!

وقد روت مصادر السلطة إسلام أبي ذر عليه السلام بصيغ متفاوتة، أشهرها رواية البخاري: ٢٤١٤/٤ قال: «عن ابن عباس قال: لما بلغ أباذر مبعث النبى ﷺ قال لأخيه: إركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبى يأتيه الخير من السماء، واسمع من قوله ثم أئني. فانطلق الأخ حتى قدمه وسمع من قوله ﷺ ثم رجع إلى أبي ذر

فقال له: رأيتهُ يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاماً ما هو بالشعر. فقال: ما شفيتني مما أردت! فتزود وحمل سِنَّةً له فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد، فالتمس النبي ﷺ ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل، فرآه عليٌّ فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد، وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي ﷺ حتى أمسى فعاد إلى مضجعه، فمر به عليٌّ فقال: أما نال للرجل أن يعلم منزله! فأقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء! حتى إذا كان يوم الثالث فعاد على عليٍّ مثل ذلك فأقام معه، ثم قال: ألا تحدثني ما الذي أقدمك؟ قال: إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني ففعلت، ففعل فأخبره، قال: فإنه حق وهو رسول الله، فإذا أصبحت فاتبعني فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك، فقممت كأني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ففعل، فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه، فسمع من قوله وأسلم مكانه، فقال له النبي إرجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري. قال: والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم! فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباس فأكب عليه، قال: ويلكم أستم تعلمون أنه من غفار وأن طريق تجاركم إلى الشام فأنقذه منهم، ثم عاد من الغد لثلثها فضربوه وثاروا إليه، فأكبَّ العباس عليه.

ب- لم يرو بخاري شيئاً من كرامات أبي ذرٍّ ﷺ مثل أنه كان موحداً على الفطرة، وكان يصلي لربه كما هداه، وقد رواه البيهقي وغيره، وأن الله أكرم أبادر بأن كلمه الذئب، وأرشدته إلى النبي ﷺ كما رواه الكليني، ولا روى بخاري كرامة شعبة وريه بقاء زمزم، كما رواه مسلم وغيره.. الخ. كما حذف بخاري ذكر أبي طالب وحمزة وجعفر من روايته! ثم اختار روايته عن ابن عباس مع أنه لم يكن مولوداً عندما أسلم أبو ذر، ولا أسند روايته إلى أبي ذر أو من عاصره وسمع منه!



وكذا غيَّب بخاري العديد من أحاديث أبي ذر رضي الله عنه وفيها الصحيح على شرطه!  
وهذا ليس عجيباً، فقد كان بخاري يعتاش من مال المتوكل، ويطبق سياسته  
في طمس ذكر أبي طالب وإسلامه، وتقيص مكانة عتره النبي صلى الله عليه وآله ومن الأهم  
كأبي ذر رضي الله عنه! وقد زعم بخاري أن العباس خلَّص أباذر مرتين من أيدي قريش!

**ج- يظهر تعصب بخاري ضد أبي ذر رضي الله عنه عندما تقارن ما رواه عنه في صحيحه  
بما أهمله من الصحيح على شرطه، كجهاده مع النبي صلى الله عليه وآله في كل حروبه، وشهادات  
النبي العظيمة فيه، وموقفه من السقيفة، وجهاده عشرين سنة في فتوح الشام  
وفلسطين لبنان وقبرص ومصر، وجهره بموالاته أهل البيت عليهم السلام، وروايته أحاديث  
النبي صلى الله عليه وآله فيهم وفي مخالفهم، وثورته على معاوية وعثمان، ونفي معاوية له إلى بر  
الشام، ونفي عثمان له إلى الربذة، وموته فيها غريباً وحيداً، وصلاة ركب من الصالحين  
عليه، فيهم مالك الأشر رضي الله عنه كما أخبر النبي صلى الله عليه وآله.**

وغاية ما رواه البخاري قول أبي ذر: ٢٥/٨: «لو وضعت الصمصامة على هذه، وأشار  
إلى قفاه، ثم ظننت أنى أفذ كلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن تميزوا عليّ،  
لأنفدتها». وكنتم أنه قال ذلك لما منعه عثمان من التحديث!  
بل زور البخاري عن عمد نفي عثمان له إلى الربذة بأنه كان بسبب خلافٍ بسيطٍ مع  
معاوية في تفسير قوله تعالى: وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَتَّبِعُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ  
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. فشكاه معاوية إلى عثمان فجاء أبوذر إلى المدينة: «فكثر عليّ الناس حتى  
كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان فقال لي: إن شئت تنحيت فكننت قريباً.  
فذاك الذي أنزلني هذا المنزل» أي الربذة. ١١١/٢ و٢٠٣/٥.

**د- ثم روى بخاري أن النبي صلى الله عليه وآله ذم أباذر، وقال له: إنك امرؤ فيك جاهلية!  
«١٣/١٣ و١٢٣/٧ و٨٥/٧». وأمره أن يطيع الحاكم بعده حتى لو كان عبداً حبشياً: «اسمع  
وأطع ولو لحبشي كأن رأسه زبيبة»: ١٧١/١. أي وجهه كالزبيبة السوداء.  
وروى عن أبي ذر أحاديث عديدة لتأييد مكذوبات رواة السلطة، منها أن النبي**

حكم بأن التوحيد كافٍ لدخول الجنة حتى بدون إيمان بالنبي ﷺ، وحتى لوزني وسرق، على رغم أنف أبي ذر! «٦٩/٤ و ٨١/٧ و ٤٣/٧ و ١٣٧ و ١٧٦ و ١٩٦/٨ و «وحدث أن الشمس تستأذن بالسجود تحت العرش فلا يؤذن لها! «٧٥/٤ و ٣٠/٦ و ١٣٦/٨ و ١٧٨». وأن المسجد الحرام كان أول بيت وضعه الله للناس قبلة، ثم وضع المسجد الأقصى بعده بأربعين يوماً! ١١٧/٤ و ١٣٦.

وحدث أن جبرئيل شق صدر النبي ﷺ وغسله بماء من طست من ذهب، ثم عرج به! «٩١/١ و ١٦٧/٢ و ١٠٦/٤». ثم روى عنه أحاديث عادية: ٨٢/٣ و ١٢١/٤ و ١٥٦/٥ و ٢٤٢/٦ و ١٠٥/٧ و ٨١/٨ و ٢١٩/٨ و ٢١٦/٨.

بينها روت مصادرنا ومصادر السلطة الكثير الوفير المهم عن أبي ذر، وكتب العلماء فيه بحثاً ضافية وكتباً خاصة، وكتبنا عنه موجزاً في ترجمة معاوية وأبيه.

هـ - روى مسلم: ١٥٢/٧ قصة إسلام أبي ذر بخلاف رواية بخاري، وفيها أنه صلى قبل الإسلام بثلاث سنين، ودخل مكة فسأل: أين هذا الذي تدعونه الصابئ؟ وأنهم اجتمعوا عليه وضربوه وأدموه فغسل عنه الدماء بماء زمزم، وبقي شهراً لم ير النبي ﷺ ولم يكن له طعام إلا ماء زمزم حتى سمن، ثم رأى النبي ﷺ جاء للطواف مع أبي بكر فسلم عليه، واستأذن أبو بكر من النبي ﷺ أن يضيفه فأطعمه من زبيب الطائف! وأسلم ورجع إلى قومه يدعوهم...

قال ابن حجر: ١٣٢/٧: «أخرج مسلم قصة إسلام أبي ذر من طريق عبدالله بن الصامت عنه، وفيها مغايرة كثيرة لسياق ابن عباس.. ويمكن التوفيق بينهما بأنه لقيه أولاً مع علي، ثم لقيه في الطواف أو بالعكس... وقال القرطبي: في التوفيق بين الروایتين تكلفٌ شديد، ولا سيما أن في حديث عبدالله بن الصامت أن أبا ذر أقام ثلاثين لا زاد له، وفي حديث ابن عباس أنه كان معه زاد وقرية ماء.. إلخ».

وصدق القرطبي، فرواياتهم في إسلامه متناقضة لا يمكن الجمع بينها!

و- شهد أهل البيت عليهم السلام وأبوذر رضي الله عنه أنه رابع المسلمين الذين أعلنوا إسلامهم، وهم علي وجعفر وزيد وأبوذر. ففي الفوائد الرجالية: ١٥٣/٢ في حديث نفي عثمان لأبي ذر: «فقال أبوذر: أجل والله لقد رأيتني رابع أربعة مع رسول الله صلى الله عليه وآله ما أسلم غيرنا، وما أسلم أبو بكر ولا عمر. فقال علي رضي الله عنه: والله لقد رأيتيه وهو رابع الإسلام». وروى عنه الطيالسي/١٥٧، والحارث/٣٠٤ والآحاد والمثاني/٢٣٠/٢ «كنت رابع الإسلام أسلم قبلي ثلاثة نفر وأنا الرابع» وابن حبان: ٨٣/١٦. كبير الطبراني: ١٤٧/٢، الحاكم: ٣٤١/٣، الزوائد: ٣٢٧/٩، ووثقه. وبه يظهر تعصب بخاري وابن حجر. وقال أبو نعيم في حلية الأولياء: ١٥٦/١: «هو العابد الزهيد، القانت الوحيد، رابع الإسلام، ورافض الأزلام، قبل نزول الشرع والأحكام، تعبد قبل الدعوة بالشهور والأعوام، وأول من حيا الرسول بتحية الإسلام، لم يكن تأخذه في الحق لائمة اللوام، ولا تفزعه سطوة الولاة والحكام، أول من تكلم في علم البقاء، وثبت على المشقة والعناء، وحفظ العهود والوصايا، وصبر على المحن والرزايا، واعتزل مخالطة البرايا، إلى أن حل بساحة المنايا، أبوذر الغفاري رضي الله عنه، خدم الرسول، وتعلم الأصول، ونبذ الفضول».

لكنهم لم يتركوا حديثه بدون تخريب، فجعلوه رابع النبي صلى الله عليه وآله وأبي بكر وبلال، وكذبوا عليه بأنه قال: «لم يسلم قبلي إلا النبي وأبو بكر وبلال». الحاكم ٣٤٢/٣ «وحذفوا علياً وخديجة وجعفرأ وزيداً وحمزة وأباطالب! مع أنهم رووا حديثاً صحيحاً متواتراً عن عفيف الكندي سمي فيه الثلاثة الذين قبله، قال: «كنت امرأ تاجراً وكنت صديقاً للعباس بن عبد المطلب في الجاهلية فقدمت لتجارة فنزلت على العباس بن عبد المطلب بمنى، فجاء رجل فنظر إلى الشمس حين مالت فقام يصلي، ثم جاءت امرأة فقامت تصلي، ثم جاء غلام حين راحق الحلم فقام يصلي، فقلت للعباس: من هذا؟ فقال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي، يزعم أنه نبي ولم يتابعه على أمره غير هذه المرأة وهذا الغلام. وهذه المرأة خديجة بنت خويلد امرأته، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب. قال عفيف الكندي وأسلم وحسن إسلامه:

لوددت أني كنت أسلمت يومئذ فيكون لي ربع الإسلام». الحاكم: ١٨٣/٣،  
ابن كثير: ٤٣٠/١ وغيرهما.

وقد شطح ابن حبان فقال في صحيحه: ٨٣/١٦: «قول أبي ذر كنت رابع الإسلام:  
أراد من قومه، لأن في ذلك الوقت أسلم الخلق من قريش وغيرهم!»

ز- لم يهتم أتباع مذاهب السلطنة بأبي ذر رضي الله عنه، معشار ما اهتموا بأصاغر  
الصحابة، ولو كان لأحد ممن يحبونهم عشر ما له من المناقب، للمؤا به كتبهم!  
روى في الكافي: ٥٨٧/٢ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن أباذر أتى  
رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده جبرئيل عليه السلام في صورة دحية الكلبي وقد استخلاه  
رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما رأهما انصرف عنهما ولم يقطع كلامهما، فقال جبرئيل: يا  
محمد هذا أبوذر قد مرّ بنا ولم يسلم علينا، أما لو سلم لرددنا عليه، يا محمد إن له  
دعاء يدعو به، معروفاً عند أهل السماء، فسله عنه إذا عرجت إلى السماء.

فلما ارتفع جبرئيل جاء أبوذر إلى النبي فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما منعك يا  
أباذر أن تكون سلمت علينا حين مررت بنا؟ فقال: ظننت يا رسول الله أن الذي  
معك دحية الكلبي قد استخيلته لبعض شأنك، فقال: ذاك جبرئيل عليه السلام يا أباذر،  
وقد قال: أما لو سلم علينا لرددنا عليه، فلما علم أبوذر أنه كان جبرئيل عليه السلام دخله  
من الندامة حيث لم يسلم عليه ما شاء الله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما هذا  
الدعاء الذي تدعو به، فقد أخبرني جبرئيل عليه السلام أن لك دعاء تدعو به معروفاً  
في السماء؟ فقال: نعم يا رسول الله أقول: اللهم إني أسألك الأمن والإيمان بك،  
والتصديق بنبيك، والعافية من جميع البلاء، والشكر على العافية، والغنى عن  
شرار الناس». وفي رجال الطوسي: ١٠٧/١: «وسله عن كلمات يقولهن إذا أصبح».

وفي الخصال/٤٤٨: «عن عبدالعزيز القراطيسي قال: دخلت على أبي  
عبدالله عليه السلام فذكرت له شيئاً من أمر الشيعة ومن أقاويلهم، فقال: يا  
عبدالعزیز، الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم له عشر مراقي، تُرتقى منه  
مركاتٌ بعد مراقبة، فلا يقولن صاحب الواحدة لصاحب الثانية لست على

شئ، ولا يقولن صاحب الثانية لصاحب الثالثة لست على شئ، حتى انتهى إلى العاشرة. قال: وكان سلمان في العاشرة، وأبوذر في التاسعة، والمقداد في الثامنة. يا عبدالعزيز: لا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، إذا رأيت الذي هو دونك فقدرت أن ترفعه إلى درجتك رفعاً رقيقاً فافعل، ولا تحملن عليه ما لا يطيقه فتكسره، فإنه من كسر مؤمناً فعليه جبره، لأنك إذا ذهبت تحمل الفصيل حمل البازل فسخته».

وفي الخصال ٤٢، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كان أكثر عبادة أبي ذر رحمة الله عليه: التفكير والإعتبار».

وفي الكافي ٢٥٠/٣ عن علي بن إبراهيم رفعه، قال: «لما مات ابن أبي ذر، مسح أبوذر القبر بيده ثم قال: رحمك الله يا ذر، والله إن كنت بي باراً، ولقد قبضت وإني عنك لراض، أما والله ما بي فقدك وما عليّ من غضاضة، ومالي إلى أحد سوى الله من حاجة، ولولا هول المطلع لسرني أن أكون مكانك، ولقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك! والله ما بكيت لك ولكن بكيت عليك، فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك؟ ثم قال: اللهم إني قد وهبت له ما افترضت عليه من حقي فهب له ما افترضت عليه من حقي، فأنت أحق بالجوود مني».

وفي الكافي ٤٥٨/٢ عن الإمام الصادق عليه السلام: «جاء رجل إلى أبي ذر فقال: يا أباذر ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم عمرتم الدنيا وأخربتم الآخرة، فتكروهون أن تنقلوا من عمران إلى خراب! فقال له: فكيف ترى قدومنا على الله؟ فقال: أما المحسن منكم فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسئ منكم فكالآبق يرد على مولاه! قال: فكيف ترى حالنا عند الله؟ قال: أعرضوا أعمالكم على الكتاب، إن الله يقول: إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ. وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ. قال فقال الرجل: فأين رحمة الله؟ قال: رحمة الله قريب من المحسنين».

وفي كامل الزيارات ١٥٣، عن عروة قال: «سمعت أباذر وهو يومئذ قد أخرجه عثمان إلى الربذة، فقال له الناس: يا أباذر أبشر فهذا قليل في الله تعالى، فقال: ما أيسر هذا، ولكن كيف أنتم إذا قتل الحسين بن علي عليه السلام قتلاً، أو قال ذبحاً! والله لا يكون

في الإسلام أعظم قتيلاً منه، وإن الله سيسل سيفه على هذه الأمة لا يغمده أبداً،  
ويبعث قائماً من ذريته فينتقم من الناس!

وإنكم لو تعلمون ما يدخل على أهل البحار وسكان الجبال في الغياض والآكام  
وأهل السماء من قتله لبيكنم والله حتى تزهق أنفسكم! وما من ساء يمر به  
روح الحسين عليه السلام إلا فزع له سبعون ألف ملك يقومون قياماً ترعد مفاصلهم إلى  
يوم القيامة! وما من سحابة تمر وترعد وتبرق إلا لعنت قاتله، وما من يوم إلا  
تعرض روحه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيلتقيان. «فقير... غني بولاية علي

### ٦- إسلام عمرو بن عبسة السلمي أخ أبي ذر لأمه

ذكرت بعض الروايات أن أبازر أسلم هو وأخوه أنيس وأمه رملة بنت الوقعة  
الغفارية، وعدد من قبيلته بني غفار. أعيان الشيعة: ٢٢٥/٤ والأحوذى: ٣٥٠/١٠.

وذكروا له أخاً من أمه هو عمرو بن عبسة السلمي. تهذيب الكمال: ٢٩٤/٣٣.

قال الطبري: ٦١/٢: «اجتمع أصحابنا على أن أول أهل القبلة استجاب  
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خديجة بنت خويلد، ثم اختلّف عندنا في ثلاثة نفر، في أبي بكر  
وعلي وزيد بن حارثة، أيهم أسلم أول، قال الواقدي: أسلم معهم خالد بن سعد  
بن العاص خامساً، وأسلم أبوذر قالوا رابعاً أو خامساً، وأسلم عمرو بن عبسة  
السلمي، فيقال رابعاً أو خامساً. قال: فإننا اختلف عندنا في هؤلاء النفر أيهم  
أسلم أول، وفي ذلك روايات كثيرة». وشبهه به تاريخ يعقوبي: ٢٣/٢.

وروى الحاكم: ١٤٨/٤ عن عمرو بن عبسة السلمي، قال: «أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في  
أول ما بعث وهو بمكة، وهو حينئذ مستخف».

وروى أحمد: ١١٢/٤ عن ابن عبسة: «إني كنت في الجاهلية أرى الناس على ضلالة  
ولا أرى الأوثان شيئاً، ثم سمعت عن رجل يخبر أخبار مكة ويحدث أحاديث،  
فركبت راحلتي حتى قدمت مكة فإذا أنا برسول الله مستخف، وإذا قومه عليه  
جرأء، فتلظفت له فدخلت عليه فقلت: ما أنت؟ قال أنا نبي الله، فقلت: وما

نبي الله؟ قال: رسول الله. قال قلت: آله أرسلك؟ قال: نعم. قلت: بأي شيء أرسلك؟ قال: بأن يوحد الله ولا يشرك به شيء وكسر الأوثان وصللة الرحم. فقلت له: من معك على هذا؟ قال: حُرٌّ وعبد، أو عبد وحر، وإذ معه أبو بكر بن أبي حنيفة وبلال مولى أبي بكر. قلت إني متبعك. قال: إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فالحق بي. قال: فرجعت إلى أهلي وقد أسلمت فخرج رسول الله مهاجراً إلى المدينة، فجعلت أتحبّر الأخبار حتى جاء رغبة من يثرب فقلت: ما هذا المكي الذي أتاكم؟ قالوا: أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك وحيل بينهم وبينه، وتركنا الناس سراعاً إليه.

قال عمرو بن عبسة: فركبت راحلتي حتى قدمت عليه المدينة فدخلت عليه فقلت: يا رسول الله أتعرفني؟ قال: نعم، أأنت الذي أتيتني بمكة؟ قال قلت: بلى، فقلت: يا رسول الله علمني مما علمك الله وأجمل. قال: إذا صليت الصبح فاقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت فلا تصل حتى ترتفع، فإنها تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار، فإذا ارتفعت قيد رمح أو رمحين فصل، فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر، فإذا صليت العصر فاقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس، فإنها تغرب حين تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار. قلت: يا نبي الله أخبرني عن الوضوء. قال: ما منكم من أحد يقرب وضوءه ثم يتمضمض ويستنشق وينتشر إلا خرجت خطاياها من فمه وخياشيمه مع الماء حين ينتشر، ثم يغسل وجهه كما أمره الله تعالى إلا خرجت خطاياها وجهه من أطراف لحيته من الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرجت خطايا يديه من أطراف أنامله، ثم يمسح رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين كما أمره الله عز وجل إلا خرجت خطايا قدميه من أطراف أصابعه مع الماء، ثم يقوم فيحمد الله عز وجل ويشي عليه بالذي هو له أهل، ثم يركع ركعتين إلا خرج من ذنبه كهيته يوم ولدته أمه! قال أبو أمامة: يا عمرو بن عبسة أنظر ما تقول! أسمع هذا من رسول الله؟! أعطى هذا الرجل كله في مقامه؟! قال فقال عمرو بن عبسة: يا أبا أمامة لقد كبرت

سني ورق عظمي واقرب أجلى وما بي من حاجة أن أكذب على الله عز وجل وعلى رسوله! لو لم أسمع من رسول الله إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً، لقد سمعته سبع مرات أو أكثر من ذلك! وبعضه الطبقات: ٢١٧/٤ وهو عندي محل شك.

وكان عمرو بن عبسة يقول: «رأيت النبي ﷺ وهو نازل بعكاظ فقلت: من معك على هذا الأمر؟ فقال: رجlan أبو بكر وبلال، فأسلمت. ولقد رأيتني وأنا ربيع الإسلام». أحمد: ١١٢/٤، المستدرک: ٢٨٥، ٦٦/٣ و١٦٤/١. وتهذيب الكمال: ١٢١/٢٢، الطيالسي: ١٥٧/١، ابن خزيمة: ١٢٩/١ والأحاديث الطوال: ٣٦.

وقال ابن سعد في الطبقات: ٢١٩/٤: «لما أسلم عمرو بن عبسة بمكة، رجع إلى بلاد قومه بني سليم، وكان ينزل بصفّة وحاذة، وهي من أرض بني سليم، فلم يزل مقيماً هناك حتى مضت بدر وأحد والخندق والحديبية وخيبر، ثم قدم على رسول الله بعد ذلك المدينة». وفي الطبقات: ٤٠٣/٧: «ثم خرج بعد وفاة رسول الله ﷺ إلى الشام فنزلها إلى أن مات بها». راجع معجم البلدان: ٣٨٦/٤.

أقول: كلامه عن الصلاة، وعن كيفية إسلامه يوجب الشك في صدقه، ولعله زار أمه وأخويه أباذر وأنيساً، فوجدهم مسلمين فأسلم، ثم عاد إلى موطنه في بني سليم في أطراف نجد، وبقي هناك ولم يهاجر. ومما يزيد الشك في صدقه أنه جعل إسلام أبي بكر قبل كل الناس، وإسلام بلال مع أبي بكر، ولم يقل به أحدا!

#### ٧- قالوا أبو بكر أول من أسلم وقال سعد أسلم بعد خمسين

قالوا إن علياً كان صغيراً لم يبلغ الحلم عندما أسلم، وكان أبو بكر شاباً! وردهم المأمون بأن النبي ﷺ دعاه إلى الإسلام بأمر ربه، فهو كبير وإن كان صغيراً! ثم قالوا إن أبا بكر أسلم قبل علي ﷺ وبالغوا في شجاعته وثروته، وعدادوا أناساً أسلموا على يده! لكن سعد بن أبي وقاص شهد بأن أبا بكر أسلم متأخراً. قال ابنه محمد: «قلت لأبي: أكان أبو بكر أولكم إسلاماً؟ فقال: لا، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين، ولكن كان أفضلنا إسلاماً». الطبري: ٦٠/٢.



وروى ابن أبي شيبة: ٤٤٨/٨ عن هشام بن عروة قال: «أسلم أبو بكر يوم أسلم وله أربعون ألف درهم.. أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله وأبو بكر وبلال وخباب وصهيب وعمار وسمية أم عمار، فأما رسول الله فمنعه عمه، وأما أبو بكر فمنعه قومه، وأخذ الآخرون فألبسوا أذراع الحديد ثم صهروهم...».

وهذا لا يصح عن أول البعثة، لأن مرحلة دعوة العشرة الأقربين امتدت ثلاث سنين وكان الخوف فيها شديداً، فلو أسلم أبو بكر في تلك الفترة، لكان لقريش ردة فعل كما في إسلام أبي ذر وعمار.

كما لا يصح قوله: منعه قبيلته، في أبي بكر، لأن نوفل بن خويلد من بني أسد عبدالعزيز كان يربط أبا بكر بحبل هو وطلحة ويحبسهما، فسميا القرينين. وكان خويلد يدعى أسد قريش فقتله علي عليه السلام في بدر. «الحاكم ٣/٣٦٩». وكان عثمان بن عبيد الله أيضاً يربطها بحبل. «الإصابة ٦/٧٧». ولم تحمها قبيلتها تيم.

وروا أن أبا بكر هاجر إلى اليمن لخوفه على نفسه، فوجد ابن الدغنة وهو رئيس الأحابيش القارة، أي الرماة! فحماه وأرجعه معه إلى مكة، وأعلن قريش أنه يجيره فبلت، في قصة طويلة كررها البخاري: ٥٨/٣ وابن هشام: ٢٤٩/١.

#### ٨- خامس المسلمين خالد بن سعيد بن العاص الأموي

أ- شاء الله عز وجل أن يجعل من أبناء أبي أحيحة مسلمين مؤمنين! وأبو أحيحة هو سعيد بن العاص الأموي، من كبار فراعنة قريش وأثريائهم، ومعنى الأُحِيحَة الضغينة في الصدر، ويقال كان له ابن اسمه أحيحة توفي صغيراً. وكان له خمسة أولاد ذكور وقيل ثمانية، والمعروف منهم ابنه الكبير العاص الذي شهد بدرًا مع المشركين فقتله علي عليه السلام، وخالد وعمرو وأبان، الذين أسلموا وختم الله لهم بالشهادة، وأفضلهم خالد الذي أكرمه الله برؤيا كانت سبب هدايته!

ففي الطبقات: ١٦٦/١، تاريخ دمشق: ٦٧/١٦، عن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت: «لما كان قبيل مبعث النبي صلى الله عليه وآله بينا خالد بن سعيد ذات ليلة نائم قال: رأيت كأنه

غشيت مكة ظلمة حتى لا يبصر امرؤ كفه، فيينا هو كذلك إذ خرج نور ثم علا في السماء فأضاء في البيت، ثم أضاء مكة كلها، ثم إلى نجد، ثم إلى يثرب فأضاءها حتى أني لأنظر إلى البسر «التمر» في النخل! قال فاستيقظت فقصصتها على أخي عمرو بن سعيد وكان جَزَلَ الرأي «راجحه» فقال: يا أخي إن هذا الأمر يكون في بني عبدالمطلب! ألا ترى أنه خرج من حفيرة أبيهم «زمزم».

قال خالد: فإنه لما هداني الله به للإسلام. قالت أم خالد: فأول من أسلم أبي، وذلك أنه ذكر رؤياه لرسول الله ﷺ فقال: يا خالد أنا والله ذلك النور، وأنا رسول الله، فقص عليه ما بعثه الله به فأسلم خالد، وأسلم عمرو». ورواه ابن حبيب في المنمق/٢٩٢، وكنز الفوائد/٩٣ وغيرها، بروايات متعددة وتفصيل.

وفي المستدرک: ٢٤٨/٣: «وأرسل أبوه في طلبه من بقي من ولده ممن لم يسلم ورافعاً مولاه، فوجده فأتوا به أباه أبا أحيحة، فأنبه وبكته وضره بصريمة في يده حتى كسرها على رأسه، ثم قال: اتبعت محمداً وأنت ترى خلاف قومه، وما جاء به من عيب أهتهم وعييه من مضى من آبائهم؟!

فقال خالد: قد صدق والله واتبعته. فغضب أبوه أبو أحيحة ونال منه وشتمه، ثم قال: إذهب يا لكع حيث شئت، والله لأمنعك القوت!

فقال خالد: إن منعني فإن الله عز وجل يرزقني ما أعيش به! فأخرجه وقال لبنية: لا يكلمه أحد منكم إلا صنعت به ما صنعت به، فانصرف خالد إلى رسول الله ﷺ فكان يكرمه ويكون معه».

وفي الطبقات: ٩٥/٤: «كان إسلام خالد بن سعيد بن العاص ثالثاً أو رابعاً، وكان ذلك ورسول الله ﷺ يدعو سراً... فضره أبو أحيحة بقراءة في يد حتى كسرها على رأسه، ثم أمر به إلى الحبس وضيق عليه وأجاعه وأعطشه، حتى لقد مكث في حر مكة ثلاثاً ما يذوق ماء، فرأى خالد فرجة فخرج فتغيب عن أبيه في نواحي مكة حتى حضر خروج أصحاب رسول الله إلى الحبشة في الهجرة الثانية». وفي المناقب: ٢٨٨/١: «استفاضت الرواية أن أول من أسلم علي، ثم خديجة،

ثم جعفر، ثم زيد، ثم أبوذر، ثم عمرو بن عبسة السلمى، ثم خالد بن سعيد بن العاص، ثم سمية أم عمار، ثم عبدة بن الحرث، ثم حزة «أعلن إسلامه» ثم خباب بن الأرت، ثم سلمان، ثم المقداد، ثم عمار، ثم عبدالله بن مسعود، في جماعة. ثم أبو بكر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن زيد، وصهيب وبلال».

وفي الأحاد والمثاني: ٣٨٧/١: «كان «خالد» جميلاً وسيماً، قتل وهو ابن نحو خمسين». وفي الإستيعاب: ٤٢٠/٢: «هاجر إلى أرض الحبشة مع امرأته الخزاعية، وولد له بها ابنه سعيد بن خالد، وابنته أم خالد... قالت.. وشهد أبي مع رسول الله عمرة القضاء وفتح مكة، وحنيناً، والطائف، وتبوك، وبعثه رسول الله على صدقات اليمن، فتوفي رسول الله وأبي باليمن».

ب- هاجر خالد إلى الحبشة، لكنه كان يتردد على النبي ﷺ ويقوم له بمهمات. فقد أرسله النبي ﷺ إلى قيصر الروم، فتأثر به كبير الأساقفة. تاريخ دمشق: ٦٧/١٦. وكان يتاجر إلى اليمن فجاء إلى النبي ﷺ بألة كالمجنون من جرش. إمتاع الأسماع: ٢١/٢. وكان إلى جانب جعفر في الهجرة، ورجع معه في السنة السابعة. الإستيعاب: ١١٧٧/٣. ولما توفي في الحبشة زوج أم حبيبة بنت أبي سفيان، فكتب النبي ﷺ للنجاشي أن يخطبها له، فوكلت خالد بن سعيد وخطبها النجاشي منه. الإستيعاب: ١٩٣٢/٤.

ج- شارك سعيد بفعالية في حروب النبي ﷺ، وأمره في فتح مكة على سرية وأرسله إلى ذي عرّة. التنبيه والإشراف/ ٢٣٣.

وكان يكتب للنبي ﷺ وهو أول من ابتداء بالبسملة. «الدر المنثور: ١١/١ ومكاتيب الرسول: ١٩٩/١». وتوسط للنبي ﷺ مع ثقيف وكتب عهدهم. الدرر: ٢٤٨/١.

د- أرسله النبي ﷺ مع علي بن أبي طالب لفتح اليمن فجعله علي بن أبي طالب قائداً مقدمته، وبرز إلى عمرو بن معدى كرب فنهاه علي بن أبي طالب، وبرز هو إليه وصاح بعمرو فهرب! ثم جاء عمرو واستأمن، وأعطى سيفه المشهور الصمصامة إلى خالد.

وذهب خالد بن الوليد بمن معه في اليمن إلى جهة، فنهاه علي عليه السلام فخالفه،  
فبعث إليه خالد بن سعيد، فأجبره على طاعة أميره. كشف الغمة: ٢٢٩/١.

ولاه النبي صلى الله عليه وآله على اليمن وكتب له كتاب الفرائض. مكاتيب النبي: ٣٠٣/١.

هـ- عندما توفي النبي صلى الله عليه وآله رجع خالد إلى المدينة وتفاجأ ببيعة أبي بكر فغضب  
«وأتى بني هاشم فقال: أنتم الظهر والبطن والشعار دون الدثار والعصا دون  
اللحا، فإذا رضيتم رضينا وإذا أسخطتم سخطنا... وبلغت أبا بكر فلم يحفل بها  
واضطغنها عليه عمر فلما ولاه أبو بكر الجند الذي استنفر إلى الشام قال له عمر:  
أتولي خالدًا وقد حبس عليك بيعته وقال لبني هاشم ما قال!». شرح النهج: ٥٨/٢.

و- كان أول الخطباء المعترضين على بيعة أبي بكر، ففي الاحتجاج: ٩٧/١  
والخصال: ٦١، عن أبان بن تغلب قال: «قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد  
الصادق: جعلت فداك هل كان أحد في أصحاب رسول الله أنكر على أبي بكر  
فعله وجلوسه مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم كان الذي أنكر على أبي بكر اثنا  
عشر رجلاً. من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص وكان من بني أمية،  
وسلمان الفارسي، وأبوذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر،  
وبريدة الأسلمي. ومن الأنصار: أبو الهيثم بن التيهان، وسهل وعثمان ابنا  
حنيف، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وأبي بن كعب، وأبو أيوب الأنصاري،  
 وغيرهم. فلما صعد المنبر تشاوروا بينهم في أمره فقال بعضهم: هلا نأتيه فننزله  
عن منبر رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال آخرون: إن فعلتم ذلك أعنتم على أنفسكم وقال  
الله عز وجل: وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ، ولكن إمضوا بنا إلى علي بن أبي طالب  
نستشيره ونستطلع أمره، فأتوا علياً عليه السلام فقالوا: يا أمير المؤمنين ضيعت نفسك  
وتركت حقاً أنت أولى به، وقد أردنا أن نأتي الرجل فننزله عن منبر رسول الله  
فإن الحق حقاك وأنت أولى بالأمر منه، فكرهنا أن ننزله من دون مشاورتك،  
فقال لهم علي: لو فعلتم ذلك ما كنتم إلا حرباً لهم، ولا كنتم إلا كالكحل في

العين أو كالملح في الزاد، وقد اتفقت عليه الأمة التاركة لقول نبيها والكاذبة على ربه! ولقد شاورت في ذلك أهل بيتي فأبوا إلا السكوت لما تعلمون من وَغَرِ صدور القوم وبغضهم لله عز وجل ولأهل بيت نبيه ﷺ، وإنهم يطالبون بثارات الجاهلية! والله لو فعلتم ذلك لشهروا سيوفهم مستعدين للحرب والقتال كما فعلوا ذلك حتى قهروني وغلبوني على نفسي ولبيوني وقالوا لي: بايع وإلا قتلناك، فلم أجد حيلة إلا أن أدفع القوم عن نفسي، وذلك أني ذكرت قول رسول الله ﷺ: يا علي، إن القوم نقضوا أمرك واستبدوا بها دونك وعصوني فيك، فعليك بالصبر حتى ينزل الأمر! ألا وإنهم سيغدرون بك لاحالة فلا تجعل لهم سبيلاً إلى إذلالك وسفك دمك، فإن الأمة ستغدر بك بعدي! كذلك أخبرني جبرئيل، عن ربي تبارك وتعالى.

ولكن إئتوا الرجل فأخبروه بما سمعتم من نبيكم ﷺ، ولا تجعلوه في الشبهة من أمره، ليكون ذلك أعظم للحجة عليه، وأبلغ في عقوبته إذا أتى ربه وقد عصى نبيه ﷺ، وخالف أمره!

ز- وقال علي عليه السلام: «فأتى رهط من أصحاب محمد ﷺ يعرضون عليّ النصره منهم خالد وأبان ابنا سعيد بن العاص، والمقداد بن الأسود الكندي، وأبوذر الغفاري، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، والزبير بن العوام، وأبوسفيان بن حرب، والبراء بن مالك الأنصاري. فقلت لهم: إن عندي من نبي الله العهد وله الوصية، وليس لي أن أخالفه ولست أجاوز أمره وما أخذه عليّ لله! لو خزموا أنفي لأقررت سمعاً وطاعة لله عز وجل، فبينما أنا على ذلك إذ قيل: قد انثال الناس على أبي بكر وأجفلوا عليه ليبايعوه، وما ظننت أنه تخلف عن جيش أسامة إذ كان النبي ﷺ قد أمره عليه وعلى صاحبه وأمر أن يجهز جيش أسامة، فلما رأيته قد تخلف وطمع في الأمارة، ورأيت انتيال الناس عليه أمسكت يدي... فلبثت ما شاء الله حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الإسلام وأظهرت ذلك يدعون إلى محو دين الله، وتغيير ملة محمد ﷺ! فخشيت إن لم أنصر الإسلام وقعدت أن أرى فيه تسليماً وهدماً تكون مصيئته عليّ أعظم من فوت ولاية أموركم، التي إنها هي متاع أيام قلائل، ثم يزول ما كان منها كما

يزول السراب، وينقشع كما ينقشع السحاب. ورأيت الناس قد امتنعوا بقعودي عن الخروج إليهم، فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فتألفته، ولولا أنني فعلت ذلك لباد الإسلام ثم نهضت في تلك الأحداث حتى انزاح الباطل، وكانت كلمة الله هي العليا، ولو كره المشركون». المسترشد/١١٠٤.

ح- عرض عليه أبو بكر الولاية فرفضها هو وإخوته، قال لهم أبو بكر: «ما أحد أحق بالعمل من عمال رسول الله ﷺ إرجعوا إلى أعمالكم، فقالوا: لا نعمل بعد رسول الله لأحد! فخرجوا إلى الشام فقتلوا عن آخرهم!» الحاكم: ٢٤٩/٣.

ثم أعلن بعض العرب عدم طاعتهم لأبي بكر، وأعلن مسيلمة الكذاب نبوته وحث أبو بكر الناس على الجهاد فتناقلوا حتى نهض علي بن أبي طالب وحثهم على جهاد مسيلمة وذات مرة قال عمر: «لَوَكَاتَ عَرَضًا قَرِيًّا.. الآية. فقال له خالد بن سعيد بن العاص: يا ابن أم عمر، أألنا تضرب أمثال المنافقين! والله لقد أسلمت وإن لبني عدي صنماً إذا جاعوا أكلوه، وإذا شبعوا استأنفوا». عين العبرة لابن طاووس/ ١٨.

ط- ولما رأى أبو بكر رفض خالد للولاية ورغبته في الجهاد، عقد له على جيش فتح الشام: «فأول لواء عقده لواء خالد بن سعيد بن العاص، ثم عزله قبل أن يسيره، وولى يزيد بن أبي سفيان فكان أول الأمراء الذين خرجوا إلى الشام».

«عن ابن عمر قال: لما عقد أبو بكر الأمراء على الشام كنت في جيش خالد بن سعيد بن العاص، فضلى بنا الصبح بذي المروة وهو على الجيوش كلها، فوالله إننا لعنده إذ أتاه أت فقال قدم يزيد بن أبي سفيان، فقال خالد بن سعيد هذا عمل عمر بن الخطاب، كلم أبا بكر في عزلي وولى يزيد بن أبي سفيان!

فقال ابن عمر فأردت أن أتكلم، ثم عزم لي على الصمت. قال: فتحولنا إلى يزيد بن أبي سفيان وصار خالد كرجل منهم، وقال محمد بن عمر: وهذا أثبت عندنا مما روي في عزل خالد وهو بالمدينة». تاريخ دمشق: ٢٤٤/٦٥.

وفي تاريخ الطبري: ٥٨٦/٢ شرح النهج: ٥٨/٢: «واضطغنها عليه عمر، فلما ولاه أبو بكر الجند الذي استنفر إلى الشام قال له عمر: أتولي خالداً وقد حبس

عليك بيعته وقال لبني هاشم ما قال».

ي- وكان خالد في الشام هو القائد الحقيقي لقوة إيمانه وشجاعته، وضعف يزيد بن أبي سفيان الشاب أمامه، فسعيد من ناحية اجتماعية ابن أبي أحيحة الأقوى والأعرق في قيادة بني أمية، من أبي سفيان وأولاده. على أن خالد لم يذهب مع يزيد بن أبي سفيان، بل اختار أن يذهب في جيش شرحبيل بن حسنة فأوصاه به أبو بكر، وربما كان ذلك بفعل تأنيب الضمير!

ففي الطبقات: ٩٨/٤: «لما عزل أبو بكر خالد بن سعيد أوصى به شرحبيل بن حسنة، وكان أحد الأمراء فقال: أنظر خالد بن سعيد فاعرف له من الحق عليك مثل ما كنت تحب أن يعرفه لك من الحق عليه لو خرج والياً عليك، وقد عرفت مكانه من الإسلام، وأن رسول الله ﷺ توفي وهو له وإل، وقد كنت وليته ثم رأيت عزله وعسى أن يكون ذلك خيراً له في دينه. ما أغبط أحداً بالأمارة! وقد خيرته في أمراء الأجناد فاختارك على غيرك على ابن عمه، فإذا نزل بك أمر تحتاج فيه إلى رأي التقي الناصح، فليكن أول من تبدأ به أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل، وليكن خالد بن سعيد ثالثاً، فإنك واجد عندهم نصحاً وخيراً. وإياك واستبداد الرأي عنهم، أو تطوي عنهم بعض الخبر.

قال محمد بن عمر: فقلت لموسى بن محمد: رأيت قول أبي بكر قد اختارك على غيرك؟ قال: أخبرني أبي أن خالد بن سعيد لما عزله أبو بكر كتب إليه أي الأمراء أحب إليك؟ فقال: ابن عمي أحب إلي في قرابته، وهذا أحب إلي في ديني، فإن هذا أخي في ديني على عهد رسول الله ﷺ وناصري على ابن عمي، فاستحب أن يكون مع شرحبيل بن حسنة».

أقول: شرحبيل صحابي عرف باسم أمه حسنة. واسم أبيه المطاع من قبيلة غوث من كندة، ولد ونشأ في مكة وتحالف مع بني زهرة، وأسلم وهاجر إلى الحبشة وكان فارساً وصديقاً لخالد بن سعيد الفارس البطل يحترمه ويناصره، ولذلك اختار خالد أن يكون معه فأعطاه قيادة الخيل، ولا بد أن تكون خططه كلها من خالد، ولذا قلنا

إن ثقل معركة أجنادين التي تم فيها فتح الأردن وفلسطين كان على خالد، وكان الروم يجمعون فيها قواتهم فنزل شرحبيل مقلبهم، ولما اقتربت المعركة جاءه من المسلمين مدد مساعد، وقد فتح جيش شرحبيل الأردن كلها عنوة أي بالحرب، إلا طبرية فصالحه أهلها، بينما فتحت المدن التي توجهت إليها الفرق الأخرى صلحاً، أي بالمحاصرة أو بالتخويف، بدون حرب كبيرة.

ك- وكان خالد رضي الله عنه يبطل معركة أجنادين التي بدأت بها هزيمة هرقل، فقد توجه جيش المسلمين إلى الشام فاجتاحوا مدينة بصرى الشام بسهولة، وصالحهم أهلها على الجزية وأن يكونوا تحت حكمهم. وكان هرقل يومها في حمص فأمر بتجميع الجيش لقتال المسلمين في «أجنادين» وهي في فلسطين قرب مدينة بيت جبرين، وجعل القيادة لابنه وخليفته، فجمعوا لهم تسعين ألف مقاتل.

قال البلاذري: ١٣٥/١: «ثم كانت وقعة أجنادين وشهدها من الروم زهاء مئة ألف سرب هرقل أكثرهم، وتجمع باقوهم من النواحي، وهرقل يومئذ مقيم بحمص». «واجتمعت الروم بأجنادين، وعليهم تدارق أخو هرقل لأبويه، وقيل كان على الروم القبقلار». الكامل: ٤١٧/٢.

«ورد علينا عباد بن سعد الحضرمي وكان قد بعثه شرحبيل بن حسنة... من بصرى يُعلم خالداً بمسير الروم إليه من أجنادين في تسعين ألف فارس» «فتوح الواقدي: ٤٨/١». وهذا يدل على أن خالداً كان قائد الجيش الميداني.

وقال ابن عبد البر في الإستيعاب: ٦٤/١: «وكانت وقعة أجنادين في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة في خلافة أبي بكر الصديق، قبل وفاة أبي بكر بدون شهر... وكان في إجنادين أمراء أربعة أبو عبيدة بن الجراح، وعمرو بن العاص، ويزيد أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، كل على جنده».

«فتواف جند المسلمين والروم بأجنادين فالتقوا يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة، فظهر المسلمون وهزم الله المشركين، وقتل خليفة هرقل». تاريخ الطبري: ٦١١/٢.



وفي رواية ابن عساكر: ٦٦/١٦: «فحملت لهم خيل علي خالد بن سعيد، وكان واقفاً في جماعة من المسلمين في ميمنة الناس يمرض الناس ويدعو الله عز وجل، ثم يقبض عليهم، فحملت طائفة منهم عليهم فنازلهم فقاتلهم قتالاً شديداً».

وورد ذكر أخيه أبان بن سعيد: «ورُمِيَ أبان بن سعيد بن العاص بنشابة فنزعها وعصبتها بعمامته فحملة أخواه خالد بن سعيد وعمرو بن سعيد فقال: لاتنزعوا عمامتي عن جرحي فإنكم إذا انتزعتموها عن جرحي تبعتها نفسي، أما والله ما أحب أنها بأقصى حجر من البلاد مكاني، فلما نزعوا العمامة مات ﷺ».

«واستشهد من المسلمين طائفة... وانتهى خبر الواقعة إلى هرقل فنخب قلبه، وملى رعباً فهرب من حمص إلى إنطاكية». معجم البلدان: ١٠٣/١.

ل- ولم يكن شر حبيبل يعجب عمر فعزله بدون سبب، بحجة أنه وجد أقوى منه! وتوفي شر حبيبل في طاعون عمواس وعمره ٦٧ سنة. تاريخ دمشق: ٤٦٤/٢٢.

م- تعدد تاريخ السلطة أن يخفي بطولات الأبطال الذين حققوا النصر للمسلمين في هاتين المعركتين لمجرد أنهم من تلاميذ علي ؑ! وفي طليعتهم خالد بن سعيد بن العاص بطل معركة أجنادين وأخواه عمرو وأبان، ومالك الأشتر بطل معركة اليرموك، وأبوذر، وهاشم بن عتبة المرقال، وغيرهم.

وكذلك دور حذيفة بن اليمان، وحجر بن عدي، وحبيب بن مظاهر، وزهير بن القين، أبطال فتوحات العراق وفارس وأرمينيا. وكذلك دور جعدة بن هبيرة قائد فتوح خراسان، وما وراء النهر!

كما أخفى تاريخ السلطة استغاثة أبي بكر وعمر بعلي ؑ في الشدائد، ونهوضه فيها، وإدارته أهم معارك الفتوحات!

ن- بعد انتصار المسلمين في أجنادين بقيادة سعيد وبطولته، ثم في معركة اليرموك ببطولة مالك الأشتر ؑ، انسحب هرقل إلى القسطنطينية وودع سوريا قائلاً: السلام عليك يا سوريا! وسقطت الشام وفلسطين وقبرص بيد المسلمين.

س- كان خالد القائد الحقيقي لجيش شربيل، وكان الأشتر الفارس الحاسم في جيش خالد وأبي عبيدة، وكان أبوذر رضي الله عنه مفتي جيش الشام وموجهه.

قال القاضي النعمان في شرح الأخبار: ١٥٦/٢: «غزا يزيد بن أبي سفيان بالناس وهو أمير على الشام فغنموا وقسموا الغنائم، ف وقعت جارية في سهم رجل من المسلمين وكانت جميلة، فذكرت ليزيد فانتزعها من الرجل! وكان أبوذر يومئذ بالشام فأتاه الرجل فشكا إليه واستعان به على يزيد ليرد الجارية إليه، فانطلق إليه معه وسأله ذلك فتلكأ عليه! فقال له أبوذر: أما والله لئن فعلت ذلك، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية ثم قام! فلحقه يزيد فقال له: أذكرك الله عز وجل أنا ذلك الرجل؟ قال: لا. فرد عليه الجارية». وفي سيرالذهبي: ٣٢٩/١ وتاريخ دمشق: ٢٥٠/٦٥: «ف وقعت جارية نفيسة في سهم رجل فاغتصبها يزيد!»

وصححه الألباني: ٣٢٩/٤، ولم يبين مناسبته! قال: «أول من يغير سنتي رجل من بني أمية! ولعل المراد بالحديث تغيير نظام اختيار الخليفة وجعله وراثته!»

وفي تقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي/٢٦٦: «كتب معاوية إلى عثمان: إن أبأذر قد حرّف قلوب أهل الشام وبغضك إليهم فما يستفتون غيره ولا يقضي بينهم إلا هو! فكتب عثمان إلى معاوية: أن احمّل أبأذر على ناب صعبة». والبحار: ٣١/٢٧٤.

ع- قُتل خالد بن سعيد بعد تحقيقه النصر في أجنادين، في ظرف مريب، وزاد من الرية تناقض روايتهم فقالوا قتل في معركة أجنادين، لكن ثبت أنه تزوج بأمر حكيم الخزاعية بعد استشهاد زوجها عكرمة بن أبي جهل في أجنادين، وقد اعتدت بعده أربعة اشهر وعشراً. وقالوا قتل في مرج الصفر، وهي قرية في حوران، وقد تناقضت روايتها في وجود معركة فيها، وفي وقتها!

وقالوا خرج يستمطر في مرج الصفر بعد انتصاره في أجنادين، أي نزع ثيابه ووقف تحت ماء المطر «فيض القدير: ٢٨٠/٥»، فباغته الروم فقتلوه! الطبري: ١٢/٦٠.

وقالوا كان غيره يستمطر فقتلهم الروم، فهرب هو بفئة من الجيش «تاريخ:

١٠٤/٢» لكنه لم يعرف عنه الهرب في المعارك! «وقالوا لما قتل الرومي خالد بن سعيد قلب ترسه وأسلم واستأمن! وقال من الرجل الذي قتلنا، فإني رأيت له نوراً ساطعاً في السماء». «تاريخ دمشق: ٨٣/١٦». والسر عند ذلك الرومي الذي أخفوا اسمه!  
ومما يوجب زيادة الشك أن السلطة أشاعت بعد قتل خالد بن سعيد، أن عمر كان رضي عنه لحسن بلائه في الفتوحات!

ف- وقد ذكر الباحث الشيخ نجاح الطائي في كتابه اغتيال أبي بكر/٦٤، بأن عمر اغتال أبا بكر وخالد بن سعيد، وخالد بن الوليد، وشر حليل بن حسنة، وأبا عبيدة وبلالاً وأصحابه المعترضين عليه... فدس اليهم السم، إذ مات أبو بكر وطيبه وواليه على مكة في يوم واحد!

ص- ولعل زواج خالد بن سعيد بأمر الحكم الخزاعية أثار عمر، «في الطبقات ٩٨/٤»: «شهد خالد بن سعيد فتح أجنادين وفحل ومرج الصفر، وكانت أم الحكيم بنت الحارث بن هشام تحت عكرمة بن أبي جهل، فقتل عنها بأجنادين، فأعدت أربعة أشهر وعشراً، وكان يزيد بن أبي سفيان يخطبها، وكان خالد بن سعيد يرسل إليها في عدتها يتعرض للخطبة فحطت إلى خالد بن سعيد فتزوجها على أربعمائة دينار، فلما نزل المسلمون مرج الصفر أراد خالد أن يعرس بأمر حكيم فجعلت تقول لو أخرجت الدخول حتى يفض الله هذه الجموع، فقال خالد: إن نفسي تحدثني أي أصاب في جموعهم. قالت: فدونك. فأعرس بها عند القنطرة التي بالصر، فيها سميت قنطرة أم حكيم، وأول عليها في صبح مدخله فدعا أصحابه على طعام، فما فرغوا من الطعام حتى صفّت الروم صفوفها صفوفاً خلف صفوف، وبرز رجل منهم معلم يدعو إلى البراز، فبرز إليه أبو جندل بن سهيل بن عمرو العامري فنهاه أبو عبيدة، فبرز حبيب بن مسلمة فقتله حبيب ورجع إلى موضعه، وبرز خالد بن سعيد فقاتل فقتل، وشدت أم حكيم بنت الحارث عليها ثيابها وعدت وإن عليها لدرعاً والخلوق في وجهها... وقتلت أم حكيم يومئذ سبعة بعمود الفسطاط الذي بات فيه خالد بن سعيد معرضاً بها. وكانت وقعة مرج الصفر في المحرم سنة أربع عشرة، في خلافة عمر بن الخطاب». انتهى.

ويظهر أنها كانت من فاضلات النساء، فقد هرب زوجها عكرمة بن أبي جهل عند فتح مكة فأسلمت هي وبايعت النبي ﷺ، وأخذت منه أماناً لزوجها ولحقت به إلى اليمن وجاءت به إلى النبي ﷺ فأسلم، وكانت مع زوجها عكرمة في فوح الشام، وبعد شهادته تزوجت بخالد بن سعيد، ويعد شهادته «فتزوجه عمر بن الخطاب، فولدت له فاطمة بنت عمر». تاريخ دمشق: ٢٢٥/٧٠. راجع الكافي: ٥٧٢/٥. الموطأ: ٥٤٥/٢، المستدرک: ٢٤١/٣، فتح الباري: ٩/٨، التوابين لابن قدامة/١٢٣ والطبقات: ٥٠/٥.

### ٩- من أوائل المسلمين عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب

أ- في الخصال/٤٥٢، عن الإمام الباقر عليه السلام، عن جابر قال: «سئل رسول الله ﷺ عن ولد عبدالمطلب فقال: عشرة، والعباس! قال الصدوق: وهم عبدالله، وأبو طالب والزبير، وحزمة، والحارث وهو أسنهم، والغدياق، والمقوم، وحجل، وعبد العزى وهو أبو هب، وضرار، والعباس». وفي جواهر العقود للأسيوطي: ٣٩٦/١: «وأجمعوا على تحريم الصدقة المفروضة على بني هاشم، وهم خمس بطون: آل علي، وآل عباس، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل الحارث بن عبدالمطلب. واختلفوا في بني المطلب فحرمها مالك وأحمد في أظهر روايته، وجوزها أبو حنيفة». وذكر الشيخ الطوسي أن ذرية عبدالمطلب انحصرت بأولاد أبي طالب، والحارث، والعباس، وأبي هب، ولا عقب للباقرين. الخلاف: ٥٤٠/٣.

ب- أسلم من أعمام النبي ﷺ أبو طالب وحماه ونصره، وكذا حمزة، وأسلم عبيدة بن الحارث ابن عم النبي ﷺ في أوائل البعثة، وكان أكبر سنناً من النبي ﷺ. ولم يسلم العباس إلا بعد أن أخذ أسيراً في بدر، وشذ أبو هب إلى النار. «كان عبيدة» مربوطاً أسمر حسن الوجه». الطبقات: ٥٠/٣. وكان مسلماً صادقاً، ففي المرحلة الأولى من الدعوة عندما تكالبت قريش على قتل النبي ﷺ تعاهد هو وحزمة وعلي وجعفر، على نصرة النبي ﷺ وبذل أرواحهم دونه فنزل فيهم قرآن.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديثه مع حبر يهودي: «قد علم من حضر ممن ترى ومن غاب من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أن الموت عندي بمنزلة الشربة الباردة في اليوم الشديد الحر، من ذي العطش الصدي! ولقد كنت عاهدت الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله أنا وعمي حمزة، وأخي جعفر، وابن عمي عبدة، على أمر وفينا به لله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله، فتقدمني أصحابي وتحلفت بعدهم، لما أراد الله عز وجل فأنزل الله فينا: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا. حمزة، وجعفر، وعبدة، وأنا والله والمنتظر يا أخ اليهود، وما بدلت تبديلاً». الحاصل ٣٧٦.

وقد طبق الإمام الصادق عليه السلام هذه الآية على الشيعة الذين صدقوا ووفوا بولاية أهل البيت عليهم السلام فقال لأبي بصير عليه السلام «الكافي: ٣٤/٨»: «يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه فقال: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا، إنكم وفيتم بما أخذ الله عليه ميثاقكم من ولايتنا، وإنكم لم تبدلوا بنا غيرنا، ولو لم تفعلوا لغيركم الله كما غيرهم حيث يقول جل ذكره: وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِتَّجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ».

ج- هاجر عبدة مع النبي صلى الله عليه وآله، وأمره النبي صلى الله عليه وآله على سرية بعثها لاعتراض قافلة قريش، وكانت أول سرية حسب قول ابن إسحاق والبخاري، والثانية حسب قول غيرهما، والأولى كانت بقيادة حمزة.

قال ابن عبد البر في الإستيعاب: ٣١٣/١: «وكانت هجرته إلى المدينة مع أخويه الطفيل والحصين بن الحارث بن المطلب، ومعه مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب، ونزلوا على عبدالله بن سلمة العجلاني. وكان لعبدة بن الحارث قدر ومنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وآله. قال ابن إسحاق: أول سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وآله مع عبدة بن الحارث في ربيع الأول سنة اثنتين في ثمانين ركباً، ويقال في ستين من المهاجرين ليس فيها من الأنصار أحد، وبلغ سيف البحر حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة، فلقي بها جمعاً من قريش، ولم يكن بينهم قتال».

د- وفي معركة بدر: «فلبس عتبة درعه وتقدم هو وأخوه شيبه وابنه الوليد وقال: يا محمد أخرج الينا أكفءنا من قريش، فتناولت الأنصار لمبارزتهم فدفعهم، وأمر علياً عليه السلام وحمزة وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وهو ابن سبعين سنة بالبراز، وقال: قاتلوا على حركم الذي بعث الله به نبيكم، إذ جاؤوا بباطلهم ليطفؤا نور الله، فلما رأوهم قالوا: أكفء كرام.

فقتل علي الوليد وحمزة عتبة وأصابته فخذ عبيدة ضربة، فحمله علي وحمزة إلى رسول الله فقال: يا رسول الله ألسنتُ شهيداً؟ قال: بلى أنت أول شهيد من أهل بيتي، فمات بالصفراء». المناقب: ١٦٢/١.

ه- قال أمير المؤمنين عليه السلام في جوابه على رسالة معاوية: «ثم أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله بقتال المشركين فكان يقدم أهل بيته إلى حر الأسنة والسيوف، حتى قتل عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب يوم بدر، وقتل حمزة يوم أحد، وقتل جعفر بمؤتة وزيد بن حارثة، وأسلم الناس نبيهم يوم حنين غير العباس عمه، وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عمه، وأراد من لو شئت يا معاوية ذكرت اسمه، مثل الذي أرادوا من الشهادة مع رسول الله صلى الله عليه وآله، إلا أن أجلاً أجلت ومنية أخرت، والله ولي الإحسان إليهم والمنان على أهل بيتي بما أسلفوا من الصالحات. وقد أنزل الله تعالى في كتابه فضلهم يوم حنين فقال: **ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ**، وإنما عنانا بذلك دون غيرنا، فتذكر في الفضل غيرنا وتدعنا! فلم لا تذكر فيه من استشهد في الله ورسوله منا؟ وما ذاك إلا لحسدك إيانا وبغيتك علينا، كما أن تلك عادتك فينا! فهل سمعت يا معاوية بأهل بيت نبي في سالف الأمم أصبر على الضراء والأواء وحين البأس والمواطن الكريمة، من هؤلاء النفر الذين عددتهم من أهل بيتي. وفي المهاجرين والأنصار خير كثير جزاهم الله بأحسن أعمالهم». مناقب الخوارزمي: ٢٥٧.

و- في المناقب للضاقي النعمان ١٤٦: «وقد قطع عتبة رجل عبيدة فمات بعد منصرف رسول الله صلى الله عليه وآله، بالصفراء، رحمة الله عليه».

وفي الإستيعاب: ٣/٣١٣: «فمات بالصفراء على ليلة من بدر، ويروى أن رسول الله لما نزل بأصحابه بالتارين قال له أصحابه: إنا نجد ريح المسك! قال: وما يمنعكم وهاهنا قبر أبي معاوية».

وفي وفاة الوفا: ٢/١٠٦٤: «بذفران مسجد يتبرك به على يسار من سلكه إلى ينبع... أمام حراه قبر قديم محكم البناء... قبر عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب».

ولا بد أن الوهابية أزالهم الله، أزالوه فيما أزالوا من معالم الإسلام!

### ١٠- إسلام عمار ووالديه ياسر وسمية رضي الله عنهم

أ- اتفق رواة السيرة على أن عائلة ياسر من أول المسلمين، وكانوا حلفاء لبني مخزوم، وقد يكون إسلامهم في السنوات الثلاث الأولى يوم كان رئيس بني مخزوم الوليد بن المغيرة، لكن لا تجده ذكرأ في رواية إسلامهم وتعذيبهم، بل الذي عذبهم وقتل ياسراً وسمية هو أبو جهل الذي صار رئيس بني مخزوم بعد هلاك الوليد، وقد هلك مع بقية المستهزين في السنة الثالثة. نعم، يحتمل أن يكونوا أسلموا سرأ وكتموا إسلامهم، أو لم ينكشف إلى ما بعد هلاك الوليد.

إن ظروف السنوات الثلاث الأولى للبعثة، التي ختمت بقوله تعالى: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِينَ. يدل على أنها المرحلة الأصبعب والأخطر على حياة النبي ﷺ وبني هاشم، وكل من أسلم، حتى كفاه فراعنة قريش الخمسة فأهلكهم في يوم واحد في يوم نزول آية: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ!

ولم يثبت أن أحداً أظهر إسلامه في تلك المدة من غير بني هاشم، إلا أبوذر الغفاري ﷺ فتعرض للأذى والضرب! وقد يكون أسلم في تلك الفترة المقداد وخباب بن الأرت وبلال وعبدالله بن مسعود وآل ياسر، وكانوا يخفون إسلامهم حتى اكتشفه أبو جهل فعذبهم وقتل سمية.

ولهذا لا يصح ما ذكروه عن إسلام أبي بكر كقول ابن هشام: ١/١٦٤: «فلما أسلم أبو بكر أظهر إسلامه ودعا إلى الله ورسوله». ثم عدد من دعاهم: عثمان، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة، وأنهم أسلموا على يد

أبي بكر وجاء بهم إلى النبي ﷺ، وقال: «فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام فصلوا، ثم أسلم أبو عبيدة بن الجراح، وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد.. والأرقم بن أبي الأرقم.. وعثمان بن مظعون بن حبيب.. وعبيدة بن الحارث بن المطلب.. وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل.. وامرأته فاطمة بنت الخطاب.. أخت عمر بن الخطاب، وأسما بنت أبي بكر، وعائشة بنت أبي بكر وهي صغيرة، وخباب بن الأرت، حليف بني زهرة».

ومن الواضح أن قولهم: «سبقوا الناس بالإسلام فَصَلُّوا» وضعوه مقابل أن علياً أول من أسلم، وأن النبي ﷺ قال: «صلت الملائكة عليّ وعلى علي سبع سنين، وذلك أنه لم يصل معي أحد قبله».

رواه الخطيب في المتفق: ١٤١/٣، تاريخ دمشق: ٣٩/٤٢، وفيه: «لأننا كنا نصلي ليس معنا أحد يصلي غيرنا، وبلغنا آخر فيه، ولم يصعد أو ترفع شهادة أن لا إله إلا الله من الأرض إلى السماء إلا مني ومن علي بن أبي طالب».

ب- قال ابن أبي جمهور في غوالي اللثالي: ١٠٤/٢: «في الحديث أن ياسراً وابنه عماراً وأمه سمية قبض عليهم أهل مكة وعذبوهم بأنواع العذاب لأجل إسلامهم، وقالوا: لا ينجيكم منا إلا أن تنالوا محمداً وتبرؤوا من دينه! فأما عمار فإنه أعطاهم بلسانه كل ما أرادوا منه، وأما أبواه فامتنعا فقتلا، ثم أخبر رسول الله ﷺ وقال: في عمار جماعة إنه كفر! فقال ﷺ: كلا إن عماراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه. وجاء عمار وهو يبكي فقال له النبي ﷺ: ما خبرك؟ فقال: يا رسول الله ما تركت حتى نلت منك وذكرت آهتهم بخير، فصار رسول الله ﷺ يمسح عينيه، ويقول: إن عادوا لك، فعد لهم بما قلت. فأنزل الله عز وجل فيه: مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ. فقال له النبي ﷺ: يا عمار إن عادوا فعد. فقد أنزل الله عز وجل عذرك وأمرك أن تعود إن عادوا». راجع الكافي: ٢١٩/٢ وقرب الإسناد: ١٢.

«صهروهم في الشمس حتى بلغ الجهد منهم كل مبلغ فأعطوهم ما سألو.. فلما كان



العشي جاء أبو جهل فجعل يشتم سمية ويرفث، ثم طعنها فقتلها! ابن أبي شيبة: ٤٤٨/٨.

**ج- ومن كرامة عمار رضي الله عنه أن قريشاً ألقته في النار فقال النبي ﷺ: «يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنت برداً وسلاماً على إبراهيم، فلم تصله النار ولم يصله منها مكروه! وقتلت قريش أبويه ورسول الله ﷺ يقول: صبر آل ياسر، موعدكم الجنة. ما تريدون من عمار! عمار مع الحق والحق مع عمار حيث كان. عمار جلدة بين عيني وأنفي، تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار». رجال الطوسي: ١٢٧/١، الخوئي: ٢٨٤/١٣، الطبقات: ٢٤٨/٣ والذهبي: ٥٧١/٣.**

**د- تعمدت السيرة الرسمية أن تجعل أبابكر أول من أسلم، وتشيد به وتطمس أدوار من لم ترض عنهم، وأولهم بنو هاشم، وأبوذر، وعمار، وخالد بن سعيد، وخباب، والمقداد، وغيرهم من كبار الصحابة وأبطال الإسلام، الذين سبقوا أبابكر وعمر وعثمان في الإسلام والدعوة والتضحية والجهد، وشهد النبي ﷺ في حقهم شهادات عظيمة رفعت مكانتهم، ومن هؤلاء عمار بن ياسر رضي الله عنه.**

**هـ- «هاجر إلى أرض الحبشة، ثم إلى المدينة». «شهد بدرًا والمشاهد كلها وأبلى بلاء حسناً، ثم شهد اليمامة فأبلى فيها أيضاً، ويومئذ قطعت أذنه». عمدة القاري: ١٩٧/١، شرح النهج: ٣٧/٢٠ وغيرهما.**

وفي المسترشد/٦٥٧: «قال فيه النبي ﷺ: عمار جلدة بين عيني. وهذا حين ارتجز وهم ينقلون حجارة المسجد بأبيات سمعها من أمير المؤمنين:

لايستوي من يعمر المساجد      وبات فيها قائماً وقاعداً

ومن غدا عن الغبار حائدا.

يعرض بعمار، فقال له عمر: يا بن السوداء لهمت أن أغمسه في أنفك! فقال له النبي ﷺ: ما لكم ولعمار؟ عمار جلدة ما بين عيني، ثم قال لعمار: تقتلك الفئة الباغية».

**و- كان منقطعاً إلى علي رضي الله عنه من زمن النبي ﷺ قال النوبختي في فرق الشيعة/١٧: «أول فرق الشيعة وهم فرقة علي بن أبي طالب المسمون بشيعة علي في زمان النبي**

وبعدہ معروفون بانقطاعہم إلیہ والقول بإمامتہ منهم: المقداد بن الأسود،  
وسلمان الفارسي، وأبوذر جندب بن جنادة الغفاري، وعمار بن ياسر...».

وكان بذلك ينفذ أمر النبي ﷺ ففي مناقب الخوارزمي/١٩٣، ومذاهب  
الطوائف/١٠٢: «عن علقمة والأسود قالوا: أتينا أبا أيوب الأنصاري فقلنا: يا  
أبا أيوب إن الله أكرمك بنبيه ﷺ إذ أوحى إلى راحلته فبركت على بابك، وكان  
رسول الله ﷺ ضيفاً لك، فضيلة الله فضلك بها، فأخبرنا عن مخرجك مع علي  
بن أبي طالب؟ قال أبو أيوب: فإني أقسم لكما لقد كان رسول الله ﷺ في هذا  
البيت الذي أنتما فيه وما فيه غير رسول الله ﷺ وعلي جالس عن يمينه، وأنا  
جالس عن يساره، وأنس بن مالك قائم بين يديه إذ تحرك الباب فقال ﷺ:  
أنظر من الباب؟ فخرج أنس فنظر فقال: هذا عمار بن ياسر فقال ﷺ: افتح  
لعمار الطيب المطيب، ففتح أنس ودخل عمار فسلم على رسول الله فرحب به،  
ثم قال لعمار: إنه سيكون في أمتي من بعدي هنات حتى يختلف السيف فيما  
بينهم، وحتى يقتل بعضهم بعضاً، وحتى يبرأ بعضهم من بعض! فإذا رأيت  
ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يميني علي بن أبي طالب! وإن سلك الناس كلهم  
وادياً وسلك علي وادياً، فاسلك وادي علي وخل الناس طراً! إن علياً لا يردك  
عن هدى ولا يدلك على ردى. يا عمار طاعة علي طاعتي، وطاعتي طاعة الله.».

ز- وانتدب الصحابة عماراً ليسلم عريضتهم إلى عثمان، فضربه عثمان، وكاد  
يقتله! قال ابن الأعمش في الفتوح: ٣٧٢/٢: «واجتمع نفر من أصحاب النبي ﷺ ثم  
إنهم كتبوا كتاباً، وذكروا فيه كل حدث أحدثه عثمان منذ يوم ولي الخلافة إلى  
ذلك اليوم ثم إنهم خوفوه في الكتاب وأعلموه أنه إن لم ينزع عما هو عليه - لبعوه  
واستبدلوا به غيره... ثم أقبلوا على عمار بن ياسر وقالوا له: يا أبا اليقظان! هل  
لك أن تكفينا هذا الأمر وتنطلق بالكتاب إلى عثمان؟ فقال عمار: أفعله، ثم  
أخذ الكتاب وانطلق إلى عثمان، فإذا لبس ثيابه وخفيه في رجله،  
فلما خرج من باب منزله نظر إلى عمار واقفاً والكتاب في يده فقال له: حاجة يا

أبا اليقظان؟ فقال عمار: مالي حاجة، ولكننا اجتمعنا فكتبنا كتاباً نذكر فيه أموراً من أمورك لا نرضاها لك، قال: ثم دفع إليه الكتاب فأخذه عثمان فنظر فيه حتى قرأ سطرأ منه، ثم غضب ورمى به من يده، فقال له عمار: لا ترم بالكتاب وانظر فيه حسناً، فإنه كتاب أصحاب رسول الله وأنا والله ناصح لك! فقال له عثمان: كذبت يا بن سمية! فقال عمار: أنا والله ناصح لك! فقال عثمان: كذبت يا ابن سمية! فقال عمار: أنا والله ابن سمية وابن ياسر. قال: فأمر عثمان غلمانه فضربوه ضرباً شديداً حتى وقع لجنبه، ثم تقدم إليه عثمان فوطئ بطنه ومذاكيره حتى غشي عليه وأصابه الفتق، فسقط لما به لا يعقل من أمر شيئاً! قال: واتصل الخبر ببني مخزوم فأقبل هشام بن الوليد بن المغيرة في نفر من بني مخزوم فاحتملوا عماراً من موضعه ذلك وجعلوا يقولون: والله لئن مات الآن لقتلن به شيخاً عظيماً من بني أمية، ثم انطلقوا بعمار إلى منزله مغشياً عليه، فلم يصل ظهراً ولا عصرأ ولا مغرباً ولا عشاءً حتى ذهب بعض الليل، ثم أفاق بعد ذلك من غشيته فقام ففضى ما فاتته من صلواته كلها. قال: فكان هذا من إحدائه الذي نعموا عليه، فبلغ ذلك أباذر وكان مقيماً بالشام فجعل يظهر عيب عثمان هناك ويذكر منه خصالاً بيحة، فكتب معاوية بن أبي سفيان بذلك إلى عثمان... فكتب إليه عثمان: أما بعد، فقد جاءني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من أمر أبي ذر جندب بن جنادة، فإذا ورد عليك كتابي هذا فابعث به إلي واحمله على أغلظ المراكب وأوعرها، وابعث معه دليلاً يسير به الليل مع النهار حتى يغلبه النوم، فينسيه ذكري وذكرك والسلام!»!

ح- غَيْبَ رِوَاةِ السُّلْطَةِ دُورَ عِمَارٍ فِي مَوَاجِهَةِ السَّقِيْفَةِ، ثُمَّ فِي حَرْبِ الْبِيْأَمَةِ وَالْفَتْوَحَاتِ!  
عملاً بسياستهم تجاه علي عليه السلام وأصحابه وشيعته! والنصوص القليلة التي وصلتنا تدل على دوره في فتح العراق، وكان والي الكوفة، ونبه عمر إلى خطر الفرس وحته على مواجهة خطتهم! فقد روى ابن الأعمش في الفتوح: ٢٩٠/٢ ونحوه الطبري: ٢٠٩/٣، رسالة عمار التاريخية إلى عمر الخليفة، ينذره بأن الفرس جمعوا مئة وخمسين ألف جندي: «وأنهم قد تعاهدوا وتعاقدوا وتحالفوا وتكاتبوا وتواصوا وتوثقوا، على أنهم يخرجوننا من أرضنا ويأتونكم من بعدنا... فلما ورد الكتاب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وقراه وفهم ما فيه، وقعت عليه الرعدة والنفضة حتى سمع المسلمون أطيظ  
أضراسه! ثم قام عن موضعه حتى دخل المسجد وجعل ينادي: أين المهاجرون  
والأنصار! أفاجتمعوا رحمكم الله وأعينوني أعانكم الله». ثم وصفوا اجتماعهم  
وكيف وضع علي عليه السلام الخطبة، وقال عمر لا أبقاني لمعضلة ليس لها أبو الحسن،  
وكيف أطلق يده فأدار عليه جبهة فتح فارس ومدّها بقيادة من تلاميذه، وكان  
لخديفة وسلمان وعمار أدوار أساسية فيها، وحقق للمسلمين النصر الحاسم، كما  
أدار قبلها فتح بلاد الشام ومعركتها المهمتين أجنادين واليرموك، وكان لأبي ذر  
وخالد بن سعيد ومالك الأشتر الأدوار الأساسية فيها.

ط- وتنفس عمار الصعداء لما بايعت الأمة علياً عليه السلام فنهض لنصرة إمامه  
ولازمه في خلافته حتى استشهد بين يديه في صفين! وفي صفين قاتل، وناظر

عمرو بن العاص في يوم مشهود وأفحمه وفضح إمامه معاوية!  
وكان ينادي في المسلمين: «أيها الناس! والله ما أسلم القوم ولكنهم استسلموا  
وأسروا الكفر، فلما وجدوا له أعواناً أظهره!»! الجمل للمفيد/١٩، والمناقب لمحمد بن  
سليمان: ٢/٣٥٦، ووقعة صفين/٢١٦، بسند صحيح عندهم.

وفي شرح الأخبار: ١٥/٢: «دعا عمار يوم صفين بشراب، فأتي بضياح من لبن  
فشربه ثم قال: اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه. سمعت رسول الله ﷺ يقول  
لي: تقتلك الفئة الباغية، ويكون آخر زادك من الدنيا ضياح من لبن، ثم تقدم إلى  
القتال فقاتل حتى قتل رحمة الله عليه».

وفي الاحتجاج: ٢٦٦/١، عن الصادق عليه السلام: «لما قتل عمار بن ياسر ارتعدت  
فرائص خلق كثير وقالوا: قال رسول الله ﷺ: عمار تقتله الفئة الباغية، فدخل  
عمرو على معاوية وقال: يا أمير المؤمنين قد هاج الناس واضطربوا، قال:  
لماذا؟ قال: قتل عمار! فقال: قتل عمار فماذا؟ قال: أليس قال رسول الله: تقتله  
الفئة الباغية؟ فقال معاوية: دحضت في بولك! أنحن قتلناه؟ إنما قتله علي بن  
أبي طالب لما ألقاه بين رماحنا، فاتصل ذلك بعلي بن أبي طالب عليه السلام، قال: فإذا

رسول الله ﷺ هو الذي قتل حمزة لما ألقاه بين رماح المشركين!»  
 وقال الإمام الهادي عليه السلام مخاطباً جده أمير المؤمنين عليه السلام في زيارته يوم الغدير: «مولاي بك  
 ظهر الحق وقد نبذه الخلق، وأوضحت السنن بعد الدروس والطمس ولك سابقة  
 الجهاد على تصديق التنزيل، ولك فضيلة الجهاد على تحقيق التأويل، وعدوك عدو الله  
 جاحد لرسول الله، يدعو باطلاً ويحكم جائراً، ويتأمر غاصباً، ويدعو حزبه إلى النار.  
 وعمار يجاهد وينادي بين الصفين: الرواح الرواح إلى الجنة. ولما استسقى فسقى اللبن  
 كبراً وقال: قال لي رسول الله ﷺ: آخر شرابك من الدنيا ضياح من لبن وتقتلك الفئة  
 الباغية فاعترضه أبو الغادية الفزاري فقتله فعلى أبي الغادية لعنة الله ولعنة ملائكته  
 ورسله أجمعين». المزار لابن المشهدي/ ٢٧٧.



## الفصل السابع عشر

### ولادة الصديقة الزهراء عليها السلام وبقية أولاد النبي صلى الله عليه وآله

#### ١- لم تتزوج خديجة عليها السلام قبل النبي صلى الله عليه وآله

أ. من مسائل السيرة: هل كانت خديجة عليها السلام متزوجة قبل النبي صلى الله عليه وآله أم كانت باكرًا كما قال المؤرخ البلاذري وغيره. ومن الذي أشاع أنها كانت متزوجة؟  
لا نجد مستفيداً من هذه الإنتقاص من خديجة عليها السلام إلا عائشة التي تعترف أنها تغار منها غيرة شديدة، رغم أنها لم ترها!

قالت عائشة كما في البخاري: ٢٣١٧/٤: «ما غرّت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وآله ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبي صلى الله عليه وآله يكثر ذكرها، وربها ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا إلا خديجة! فيقول: إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد».

وفي رواية البخاري: ١٥٨٦/٦: «غرّت على خديجة لكثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله إياها وثناؤه عليها، وقد أوحى إلى رسول الله أن يبشرها ببيت لها في الجنة من قصب». وفي فضائل الصحابة للنسائي/٧٥: «يبشرها ببيت في الجنة» بدون قصب.

فهذه الغيرة المفرطة التي تعترف بها عائشة، يمكن أن تدفعها إلى ارتكاب أنواع من الأعمال، ومنها ادعاء أن خديجة كانت متزوجة قبل النبي صلى الله عليه وآله وأن بيتها في الجنة من قصب، لأنها لم تُصلِّ وماتت قبل أن تُشرع الصلاة، أما بيت عائشة فمن لؤلؤ ومرجان لأنها صلّت،

لكن الصلاة شُرعت في الإسراء والمعراج في أول البعثة، فاضطرت عائشة للقول: إن خديجة ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين، والمعراج كان قبل الهجرة بسنة، وبذلك غيرت تاريخ وفاة خديجة، وتاريخ المعراج لتصحيح مقولتها، ولا ضير عندها في ذلك! وفي اعتقادي أن عائشة وراء نشر روايات كثيرة تنتقص من خديجة ومارية القبطية رضي الله عنهما، فقد تحدثت عن غيرتها من مارية أيضاً واعترفت أنها أذتها هي وحفصة حتى جرعت! فاضطر النبي ﷺ لنقلها إلى بيت بعيد عنهن!

قالت عن مارية كما في الطبقات: ٣١٣/٨: «كانت جميلة من النساء جعدة، وأعجب بها رسول الله ﷺ وكان أنزلها أول ما قدم بها في بيت لحارثة بن النعمان، فكانت جارتنا فكان رسول الله عامه النهار والليل عندها، حتى فرغنا لها فجزعت! فحوها إلى العالية، فكان يختلف إليها هناك، فكان ذلك أشد علينا. ثم رزقه الله منها الولد وحرمانا منه!»

لهذا لا يمكن أن نقبل أحاديث عائشة في أي شيء يتعلق بخديجة ومارية ﷺ، كما يجب أن نتنبه إلى تحريكها أحداث السيرة تقدماً وتأخيراً وتغييراً لتوافق مقولاتها، وإلى طاعة الرواة لها لأنها بنت الرئيس، ووقوعهم في تناقضات بسبب ذلك!

فقد روي أن النبي ﷺ كان يصلي قبل البعثة وبعدها، وكانت خديجة تصلي معه ثم صححوا قول عائشة إنها لم تصلّ ولذلك كان بيتها في الجنة من قصب!

وروي أن المعراج كان في السنة الثانية، ثم صححوا قول عائشة أنه كان بعد وفاة خديجة وقبل الهجرة بسنة.

وروي أن خديجة توفيت قبل الهجرة بسنة، ثم صححوا قول عائشة أنها توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين.. وهكذا!

وقد شهد المؤرخ الثقة البلاذري، وكذا ابن شهر آشوب وغيرهما، بأن خديجة لم تزوج قبل النبي ﷺ قال في المناقب: ١٤٠ و ١٣٨/١: «روى أحمد البلاذري، وأبو القاسم الكوفي في كتابيهما، والمرتضى في الشافي، وأبو جعفر في التلخيص: أن النبي ﷺ تزوج بها

وكانت عذراء، يؤكد ذلك ما ذكر في كتابي الأنوار والبدع، أن أم كلثوم وزينب كانتا ابنتي هالة أخت خديجة.. وفي الأنوار، والكشف، واللمع، وكتاب البلاذري: أن زينب ورقية كانتا ربيتيه من جحش».

## ٢- عدد أولاد النبي ﷺ

اتفق المؤرخون على أن النبي ﷺ رزق بإبراهيم من مارية القبطية، وتوفي ابن سنة ونصف بالمدينة، وكان رزق بصيين من خديجة: القاسم وعبدالله، وتوفيا في سن الرضاع بمكة، ورزق منها بفاطمة الزهراء عليها السلام وهي الوحيدة التي عاشت بعده. وقال أكثرهم إنه رزق منها بثلاثة بنات غير فاطمة هن: زينب ورقية وأم كلثوم، وقال بعضهم إنهن ربائبه، وهن أولاد أخت خديجة، توفيت أمهن وربتهن خالتهن خديجة، وهو الرأي الراجح عندنا. وقد توفين في المدينة. واختلف الرواة كثيراً في ولادة أولاده عليه السلام قبل البعثة أو بعدها.

والمرجح عندنا رواية الكليني الصحيحة «الكافي: ٣٣٨/٨»: «ولم يولد لرسول الله ﷺ من خديجة عليها السلام على فطرة الإسلام إلا فاطمة عليها السلام».

والطيب والطاهر هما: القاسم وعبدالله، كما نص عليه ابن شهر آشوب في المناقب: ١٤٠/٨ قال: «ولد له من خديجة القاسم وعبدالله وهما: الطاهر والطيب». وفي شرح الأخبار: ١٥/٣: «ومات القاسم الطيب، وعبدالله الطاهر بمكة صغيرين».

وفي الفقيه: ٣٩٧/٣: «فأول ما حملت ولدت عبدالله بن محمد عليه السلام».

وفي الكافي: ٢١٨/٣ عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «دخل رسول الله ﷺ على خديجة حين مات القاسم ابنها وهي تبكي فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: دَرَّتْ دَرِيرَةٌ فبكيك فقال: يا خديجة، أما ترضين إذا كان يوم القيامة أن تحييني إلى باب الجنة وهو قائم فيأخذ بيدك فيدخلك الجنة وينزلك أفضلها، وذلك لكل مؤمن، إن الله عز وجل أحكم وأكرم أن يسلب المؤمن ثمرة فؤاده، ثم يعذبه بعدها أبداً». وجعل يعقوب: ٢٠/٢ الطيب والطاهر لقبين لعبدالله.



فالمرجع عندنا أن أبناءه ﷺ ثلاثة: القاسم، وعبدالله، وإبراهيم عليه السلام. وأن القاسم توفي بعد البعثة.

### زينب وأم كلثوم ورقية: بنات، أم ربائب؟

المعروف المشهور بين المسلمين أنهن بنات رسول الله ﷺ مع فاطمة الزهراء عليها السلام. ويقابله الرأي بأنهن ربائب، وأن ابنته الوحيدة فاطمة عليها السلام. وقد ألف الأخ الباحث السيد جعفر مرتضى كتاباً بأنهن ربائب، وثار عليه ثائرة البعض، فأجاب برسالة ثانية، وقد أطال الطرفان في الإثبات والرد، ورأي السيد مرتضى أقوى، وخلاصة ما قاله: «قد ذكر المقرئزي «إمتاع الأسماع ٢٩٥/٦» أن زينب كانت ربيبة لرسول الله ﷺ، وقال الطريحي: بأن البنات ربائب، ونقل ذلك عن المرتضى في الشافي، والطوسي في التلخيص، وبه قال المقدس الأردبيلي في زبدة البيان، والدلعي، والشيخ محمد حسن آل يس، والشيخ جعفر كاشف الغطاء، بالإضافة إلى الخاقاني، والجزائري، وربها المحقق الكركي، والمقدسي، والكرجكي... الخ.».

### مؤيدات لرأي السيد جعفر مرتضى

١. قال ابن شهر آشوب في المناقب: ١٤٠/١: «ولد له من خديجة القاسم وعبدالله وهما: الطاهر والطيب، وأربع بنات: زينب، ورقية، وأم كلثوم وهي آمنة، وفاطمة وهي أم أبيها. ولم يكن له ولد من غيرها إلا إبراهيم من مارية، ولد بعالية في قبيلة مازن في مشربة أم إبراهيم، ويقال ولد بالمدينة سنة ثمان من الهجرة ومات بها وله سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام وقبره بالبقيع. وفي الأنوار، والكشف، واللمع، وكتاب البلاذري: أن زينب ورقية كانتا ربيبتيه من جحش، فأما القاسم والطيب فهاتتا بمكة صغيرين.».

٢. يؤيد ذلك أن النبي ﷺ شمل بعطفه الجميع، لكنه يتعامل مع فاطمة عليها السلام كأنها بنته الوحيدة، وكأنه لا بنت له غيرها.

٣. أن النبي ﷺ أفاض في مدح فاطمة عليها السلام ومكانتها ومقامها، ولم يؤثر عنه أي كلمة

في أي من أخواتها الثلاث، توحى بمقامهن، أو بنسبتهن الصريحة إليه.

٤. ورد ذكر فاطمة عليها السلام في السيرة مع أبيها النبي صلى الله عليه وآله وأما خديجة عليها السلام، ولم يرد لواحدة منهن ذكر في ذلك. مثلاً ورد ذكر فاطمة عليها السلام مع أبيها في المسجد دونهن، وذكرها عند وفاة والدتها وأنها كانت تسأل أباهما عنها، ولم يرد ذكرهن.

٥. لعل أقوى ما يؤيد الرأي القائل بأنهن ربائب، ما رواه الحاكم ٢٠٠/٢ وصححه على شرط الشيخين: «عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما قدم المدينة خرجت ابنته زينب من مكة مع كنانة أو ابن كنانة فخرجوا في أثرها، فأدركها هبار بن الأسود، فلم يزل يطعن بعيرها برمحه حتى صرعها، وألقت ما في بطنها وأهريقته دمًا، فاشتجر فيها بنو هاشم وبنو أمية فقالت بنو أمية نحن أحق بها، وكان تحت ابن عمهم أبي العاص فكانت عند هند بنت عتبة بن ربيعة، فكانت تقول لها هند: هذا بسبب أبيك! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لزيد بن حارثة ألا تنطلق تحيثنى بزيب؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: فخذ خاتمي فأعطاه إياه، فانطلق زيد وبرك بعيره، فلم يزل يتلطف حتى لقي راعياً، فقال: لمن ترعى؟ فقال: لأبي العاص، فقال: فلمن هذه الأغنام؟ قال: لزيب بنت محمد، فسار معه شيئاً ثم قال له: هل لك أن أعطيك شيئاً تعطيه إياها ولا تذكره لأحد؟ قال: نعم، فأعطاه الخاتم فانطلق الراعي فأدخل غنمه وأعطاه الخاتم فعرفته، فقالت: من أعطاك هذا؟ قال: رجل. قالت: فأين تركته؟ قال: بمكان كذا وكذا قال فسكتت حتى إذا كان الليل خرجت إليه، فلما جاءته قال لها: إركبي بين يديه على بعيره، قالت: لا، ولكن إركب أنت بين يدي، فركب وركبت وراءه، حتى أتت. فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: هي أفضل بناتي أصيبت فيَّ. فبلغ ذلك علي بن الحسين فانطلق إلى عروة فقال: ما حديثٌ بلغني عنك تحدّثه تنتقص فيه حق فاطمة؟ فقال: والله ما أحب أن لي ما بين المشرق والمغرب وأني أنتقص فاطمة حقاً هو لها. وأما بعد فلك أن لا أحدث به أبداً. قال عروة: وإنما كان هذا قبل نزول آية: **أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ**. الأحزاب/٥.

أقول: قيل إن اعتذار عروة عن خالته، لأنها روت أن زيد بن حارثة أركب زينب خلفه ولا يناسب بنت النبي ﷺ أن تركب خلف رجل غير محرم، فاعتذر عروة بأن زيداً كان أخاها بالتبني، وكانت القصة قبل نزول آية رد التبني.

لكن الصحيح أن عروة اعتذر عن مقولة إنها خير بناتي أصيبت في، فهذا الذي فيه انتقاص لفاطمة الزهراء ﷺ، وليس ركوب زينب خلفه. فقال عروة إن خالته عائشة قالت إن النبي ﷺ قال عن زينب بنتي، وخير بناتي، قبل نزول آية: **أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ**، التي تأمر بنسبة الشخص إلى أبيه، أما بعد نزولها فلم يُعَبَّرَ عنها بأنها بنته! ومعناه أنها كانت ربيته، وكانت متبناة كما تبني زيداً! فهذا يوجب التوقف على الأقل عن القول بأنهن بنات لرسول الله ﷺ، فقد يكون ﷺ سكت عن نسبتهن اليه وجرى عليه الناس، لكن الجزم بأنهن ربائب وإن كانت قرأته قوية لكنه يحتاج إلى مزيد أدلة أقوى، لتنهض مقابل ما يعارضها. هذا، وسيأتي ذكر حياتهن في السنة الثانية من الهجرة، بعد معركة أحد.

#### حَصَرَ اللَّهُ ذرية نبيه ﷺ بفاطمة ﷺ

قال النبي ﷺ: **«يا علي: ما بعث الله عز وجل نبياً إلا وجعل ذريته من صلبه، وجعل ذريتي من صلبك، ولولاك ما كانت لي ذرية»**. الفقيه: ٣٦٥/٤.

وقال الفقيه البهوتي في كشف القناع: ٣١/٥: **«أولاد بناته ﷺ ينسبون إليه، لحديث إن ابني هذا سيد، مشيراً إلى الحسن. رواه أبو يعلى. وفي حديث: إن الله لم يبعث نبياً قط إلا جعل ذريته من صلبه غيري، فإن الله جعل ذريتي من صلب علي»**.

وقد بشر الله تعالى نبيه ﷺ بذلك، ففي الكافي: ٤٦٤/١ عن الإمام جعفر الصادق ﷺ: **«إن جبرئيل ﷺ نزل على محمد ﷺ فقال له: يا محمد إن الله يبشرك بمولود يولد من فاطمة، تقتله أمتك من بعدك، فقال: يا جبرئيل وعلى ربي السلام، لا حاجة لي في مولود يولد من فاطمة، تقتله أمتي من بعدي، فخرج ثم هبط فقال له مثل ذلك، فقال: يا جبرئيل وعلى ربي السلام، لا حاجة لي في مولود تقتله أمتي من بعدي، فخرج جبرئيل ﷺ إلى السماء ثم هبط فقال: يا محمد إن ربك يقربك السلام ويبشرك بأنه**

جاعل في ذريته الإمامة والولاية والوصية، فقال: قد رضيت. ثم أرسل إلى فاطمة أن الله يبشرني بمولود يولد لك تقتله أمتي من بعدي، فأرسلت إليه: لا حاجة لي في مولود تقتله أمتك من بعدك، فأرسل إليها إن الله قد جعل في ذريته الإمامة والولاية والوصية، فأرسلت إليه أن قد رضيت، فحملته أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلَهُ وَفَصَّالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِيحَ لِي فِي ذُرِّيَّتِي. فلولا أنه قال: أصليح لي في ذُرِّيَّتِي، لكانت ذريته كلهم أئمة».

وروى ابن حجر في الإصابة: ١٠٣/٨: «أثنى النبي ﷺ على خديجة ما لم يش على غيرها، وذلك في حديث عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة، فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوماً من الأيام، فأخذتني الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزاً قد أبدلك الله خيراً منها! فغضب ثم قال: لا والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بها إذ حرمني الناس، ورزقني منها الله الولد، دون غيرها من النساء».

وروى الصدوق في الخصال: ٤٠٥، عن الإمام الصادق عليه السلام أن عائشة انتقصت خديجة فبكت فاطمة عليها السلام. فغضب رسول الله ﷺ ثم قال: مه يا حميرا، فإن الله تبارك وتعالى بارك في الولود الودود.. وأنت ممن أعقم الله رحمه، فلم تلدي شيئاً». وفي أمالي الصدوق/٣٤٥، في كلام الله تعالى لعيسى عليه السلام: «يا عيسى، جدّ في أمري ولا تهزل، واسمع وأطع، يا بن الطاهرة الطهر البكر البتول، صدقوا النبي الأُمِّيَّ صاحب الجمل والمدرعة.. ذو النسل القليل، إنها نسله من مباركة، لها بيت في الجنة، لا صخب فيه ولا نصب».

فهذه أحاديث متظافرة عند السنة والشيعا في أن الله تعالى حصر ذرية رسوله ﷺ في فاطمة وعلي عليه السلام.

لكن النبي ﷺ يؤمن بالبداء ولا يحتتم على ربه

قال علي بن أبي طالب «دعائم الإسلام / ١٤٦»: «اعتلَّ الحسين فاشتد وجعه، فاحتلمته فاطمة عليها السلام فأتت به النبي ﷺ مستغيثة مستجيرة، فقالت: يا رسول الله، أذع الله لابنك أن يشفيه، ووضعته بين يديه، فقام عليه السلام حتى جلس عند رأسه، ثم قال: يا فاطمة يا بنية، إن الله هو الذي وهبه لك هو قادر على أن يشفيه!

فهبط عليه جبرئيل فقال: يا محمد، إن الله لم ينزل عليك سورة من القرآن إلا فيها فاء، وكل فاء من آفة، ما خلا الحمد لله، فإنه ليس فيها فاء، فادع بقدر من ماء فاقراً فيه الحمد أربعين مرة ثم صبه عليه، فإن الله يشفيه، ففعل ذلك فكأنما أنشط من عقال! وهذا يعني أن النبي ﷺ مع يقينه بوعد الله تعالى، لكنه لا يحتتم عليه. وهذا معنى الإيمان بالبداء، ويقابله ما حكاه الله عن اليهود: وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ.

التبليغ  
الشمس  
المعاني

ومعنى قول جبرئيل عليه السلام عن خلو سورة الحمد من الفاء، أن ما يبدو لنا من القرآن عادياً فإن وراءه حساباً إلهياً دقيقاً! وأن الحروف الثمانية والعشرين في القرآن ليست كحروف كتاب بشري، بل هي عوالم من العلوم والحقائق! فوجود الحرف له دلالة، وعدم وجوده، وعدده، وتوزيعه في الآية، وفي السورة، وفي كل القرآن! فحيثما كانت الفاء في سورة أو موضوع، فهي تدل على وجود آفة، وحيثما وجدت الباء والسين والقاف وغيرها، فوراؤها معانٍ!

ثم ما معنى الآفة وخلو سورة الحمد منها؟ وما معنى قراءة كلام الله الذي ليس فيه آفة على قرح ماء؟ وما تأثير تكرار القراءة؟ وهل يتغير تركيب الماء بذلك؟ فتؤثر فيزيائوه المطورة على بدن المريض وتذهب منه الآفة؟

من المؤكد أنه يوجد ارتباط بين النظام الفيزيائي والروحي للكون، وبين نظام القرآن، وأن للقرآن تأثيرات متنوعة على الروح والمادة، هي من فاعليات الله تعالى في الكون، لأن الكون فعله تعالى، والقرآن كلامه وفعله سبحانه!

ومن المؤكد أن النبي ﷺ أعطي من معرفة ذلك أقصى ما يحتمله إنسان، لأنه أفضل

مخلوق، لكنه ﷺ يعمل بالأسباب الطبيعية العادية ولا يستعمل ذلك إلا بأمر الله تعالى. فالفرق بينه وبين موسى والخضر أن الخضر أعطي العلم اللدني أو علم الباطن فهو يعمل به، وموسى أعطي الشريعة وعلم الظاهر فهو يعمل بها. ونبينا ﷺ أعطي العلمين معاً لكنه يعمل بالظاهر إلا عندما يؤمر! وهذه سنة الله تعالى، فهو لا يطلع على غيبه أحداً إلا من ارتضاه، ولا يرتضيه إلا إذا استوعب قانون العمل بالقوانين الطبيعية والغيبية، ثم يسلك من بين يديه ومن خلفه رسداً! والقرآن من أكبر تلك الوسائل، وقد كان له ترتيب نزل به جبرئيل ﷺ منجماً في بضع وعشرين سنة، وكان يلبي حاجة أحداث النبوة وصناعة الأمة، ثم صار له ترتيب ككتاب تقرأه الأجيال، كتاب من مقدمة وفصول و فقرات.

فما المانع أن يكون للقرآن ترتيب ثالث، ورابع، وخامس، أملاه النبي ﷺ على وصيه ﷺ، وادخره عنده مع عهده المعهود إلى ولده المهدي ﷺ؟ والذي يظهر الله به دينه على الدين كله، فتخضع لبراهينه العقول والأعناق. أرواحنا فداء.

وهل إذا قلنا إن النبي ﷺ رتب القرآن بأكثر من ترتيب، وإن الروايات تدل على أن النسخة المعهودة منه إلى ولده الإمام المهدي تختلف ترتيبها عن النسخة الموجودة بأيدينا.. صرنا من الكافرين بالقرآن الذي بين أيدينا، والقائلين بتحريفه؟! على أي، نحن أتباع النص الثابت عن نبينا وعترته ﷺ، وليقل الناس ما يقولون!

### سورة الكوثر بشارة ربانية بالذرية الطاهرة

في أسباب النزول/ ٣٠٧ للواحدي، وسيرة بن هشام: ٢٦٥/٢: «كان العاص بن وائل السهمي إذا ذكر رسول الله قال: دعوه فإنها هو رجل أبترا عقب له، لو هلك انقطع ذكره واسترحتم منه، فأنزل الله تعالى في ذلك: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ الْكُتُبَ. ما هو خير لك من الدنيا وما هو فيها، والكوثر العظيم من الأمر. إِنَّ شَأْنَيْكَ هُوَ الْأَبْتَرُ العاص بن وائل.»

وفي أسباب النزول/ ٣٠٦: «عن ابن عباس قال: نزلت هذه السورة في العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم.. وكانوا يسمون من ليس له ابن: أبترا،

فسمته قريش عند موت ابنه: أبتَر وصنبوراً، فأُنزل الله سبحانه: **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**. أقول: هذه الرواية لا يصح وقتها ولا بد أن يكون ذلك قبل ثلاث سنين من البعثة لأن العاص بن وائل من المستهزئين الستة الذين قتلهم الله في السنة الثالثة. كما ما فيها من أن النبي ﷺ كان يذهب إلى المسجد بحريته، فلم يكن ذلك في الثلاث سنوات الأولى. فلا بد أن تكون وفاة ابنه قبل السنة الثالثة من البعثة. وفي إمتاع الأسعاع: ٣٣٣/٥ عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «توفي القاسم بن النبي ﷺ فمر رسول الله وهو آتٍ من جنازته على العاص بن وائل وابنه عمرو بن العاص، فقال عمرو حين رأى رسول الله: إني لأشئوه، فقال العاص: لا جرم لقد أصبح أبتراً، وأنزل الله تعالى: **إِنَّ سَائِئِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**». وتفاوت الرواة في وقت قول العاص ذلك، وفي وقت ولادة القاسم وعبدالله، لكن ذلك لا يضر بالمضمون.

### ٣- سنة ولادة فاطمة الزهراء عليها السلام

وُلدت فاطمة الزهراء عليها السلام بعد معراج النبي ﷺ. «والقول الحق هو ما عليه شيعة أهل البيت تبعاً لأئمتهم عليهم السلام وأهل البيت أدرى بما فيه، وتابعهم عليه جماعة من غيرهم، وهو أنها قد ولدت في السنة الخامسة من البعثة، وتوفيت وعمرها ثمانية عشر عاماً». الصحيح من السيرة: ١٧٧/٢.

وقد اتفق معنا على ولادتها بعد البعثة عدد من رواة السلطنة، بينما قال أكثرهم إنها ولدت قبل البعثة باثنتي عشرة سنة، وقال بعضهم بسبع سنين، وقال بعضهم في سنة البعثة، وقال بعضهم بعد البعثة بسنة.

ومن أقوى الأحاديث الدالة على مذهبنا ما رويناه بسند صحيح، أن النبي ﷺ دخل الجنة في المعراج وأكل من ثمارها، فتكونت نطفة فاطمة عليها السلام.

قال الصدوق عليه السلام في التوحيد/١١٨: «قال النبي ﷺ: لما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل فأدخلني الجنة فناولني من رطبها فأكلته، فتحول ذلك نطفة في صليبي، فلما

أهبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء إنسية، وكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة». والأماي/٥٤٦. العيون: ١٠٧/٢. العلل: ١٨٣/١. الإحتجاج: ١٩١/٢. مناقب ابن سليمان: ١٩١/٢. ومعاني الأخبار: ٣٩٦. وروته مصادر غيرنا: «عن ابن عباس، وسعد بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، والإمام الصادق، وعمر بن الخطاب، وعائشة، قالت إنه ﷺ قال لها حينما سألته عن تقبيله ابنته فاطمة ﷺ: «نعم يا عائشة، لما أسري بي إلى السماء أدخلني جبرئيل الجنة فناولني منها تفاحة فأكلتها فصارت نطفة في صلبي، فلما نزلت واقعت خديجة، ففاطمة من تلك النطفة. ففاطمة حوراء إنسية، وكلما اشتقت إلى الجنة قبلتها». الصحيح من السيرة: ١٠/٣. في مصادره: تاريخ بغداد: ٨٧/٥. المواهب اللدنية: ٢٩٨/٢. مقتل الحسين للدخوارزمي: ٦٣. ذخائر العقبى: ٣٦. ميزان الإعتدال: ٢٩٧/٢. و١٦. مستدرك الحاكم: ١٦٥/٣. تلخيصه للذهبي، مجمع الزوائد: ٢٠٢/٩. ينابيع المودة: ٩٧. نزهة المجالس: ١٧٩/٢. مناقب المغازلي: ٣٥٨. البحار: ٣١٥/١٨. و٣٦٤. ونور الأبصار: ٤٤ و٤٥. وتدل الأحاديث على تعدد تناوله ﷺ من ثمار الجنة، وفي بعضها أن جبرئيل ﷺ أتاه بها وأمره أن يجتنب خديجة أربعين يوماً. مأساة الزهراء: ٣١٦/٢.

### ولدت ﷺ في العشرين من جمادى الثانية

استفاضت الرواية أنها ﷺ ولدت في العشرين من جمادى الثانية سنة خمس للبعثة. ففي دلائل الإمامة/٧٩، عن الصادق ﷺ قال: «ولدت فاطمة ﷺ في جمادى الآخرة يوم العشرين منه، سنة خمس وأربعين من مولد النبي ﷺ فأقامت بمكة ثمان سنين، وبالمدينة عشر سنين وبعد وفاة أبيها خمسة وتسعين يوماً، وقبضت في جمادى الآخرة، يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه سنة إحدى عشرة من الهجرة».

وفي أمالي الصدوق/٦٩٠، عن الفضل بن عمر: «قلت لأبي عبد الله الصادق ﷺ: كيف كانت ولادة فاطمة ﷺ؟ فقال: نعم، إن خديجة ﷺ لما تزوج بها رسول الله ﷺ هجرتها نسوة مكة فكأن لا يدخلن عليها ولا يسلمن عليها، ولا



يتركن امرأة تدخل عليها، فاستوحشت خديجة لذلك، وكان جزعها وغمها حذراً عليه ﷺ فلما حملت بفاطمة كانت تحدثها من بطنها وتصبرها، وكانت تكتم ذلك من رسول الله ﷺ، فدخل رسول الله يوماً فسمع خديجة تحدث فاطمة ﷺ فقال لها: يا خديجة من تحدثين؟ قالت: الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسي. قال: يا خديجة، هذا جبرئيل يخبرني أنها أنثى، وأنها النسلة الطاهرة الميمونة، وأن الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمة، ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه. فلم تزل خديجة ﷺ على ذلك إلى أن حضرت ولادتها، فوجهت إلى نساء قريش وبني هاشم: أن تعالين لتلين مني ما تلي النساء من النساء، فأرسلن إليها: أنت عصيتنا ولم تقبلي قولنا، وتزوجت محمداً يتيم أبي طالب فقيراً لا مال له، فلسنا نجى ولا نلي من أمرك شيئاً. فاغتمت خديجة لذلك فيبنا هي كذلك، إذ دخل عليها أربع نسوة سُمرٌ طوال كأنهن من نساء بني هاشم، ففزعت منهن لما رأتهن، فقالت إحداهن: لا تحزني يا خديجة، فإننا رسل ربك إليك ونحن أخواتك: أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم وهي رفيقتك في الجنة، وهذه مريم بنت عمران، وهذه كلثوم أخت موسى بن عمران، بعثنا الله إليك لنلي منك ما تلي النساء من النساء، فجلست واحدة عن يمينها وأخرى عن يسارها، والثالثة بين يديها، والرابعة من خلفها، فوضعت فاطمة ﷺ طاهرة مطهرة، فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها النور حتى دخل بيوتات مكة، ولم يبق في شرق الأرض ولا غربها موضع إلا أشرق فيه ذلك النور. ودخل عشر من الحور العين كل واحدة منهن معها طست من الجنة وإبريق من الجنة، وفي الإبريق ماء من الكوثر، فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها، فغسلتها بماء الكوثر، وأخرجت خرتين بيضاوين أشد بياضاً من اللبن وأطيب ريحاً من المسك والعنبر، فلفتها بواحدة وقنعتها بالثانية، ثم استنطقتها فنطقت فاطمة بالشهادتين، وقالت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن أبي رسول الله سيد الأنبياء، وأن بعلي سيد الأوصياء، وولدي سادة الأسباط، ثم سلمت عليهن، وسمت كل واحدة منهن باسمها، وأقبلن يضحكن إليها، وتباشرت الحور العين، وبشر أهل السباء بعضهم بعضاً

بولادة فاطمة عليها السلام، وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك، وقالت النسوة: خذيها يا خديجة طاهرة مطهرة زكية ميمونة، بورك فيها وفي نسلها، فتناولتها فرحة مستبشرة، وألقتها ثديا فدر عليها، فكانت فاطمة عليها السلام تنمو في اليوم كما ينمو الصبي في الشهر، وتنمو في الشهر كما ينمو الصبي في السنة». وفي تاريخ دمشق: ١٢/١٢٨، وفيه: «وكانت خديجة إذا ولدت ولدًا دفعته لمن ترضعه، فلما ولدت فاطمة عليها السلام لم تُرضعها أحداً غيرها».

وفي علل الشرائع: ١٨١/١: «عن جعفر بن محمد بن عمارة، عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن فاطمة عليها السلام لم سميت الزهراء؟ فقال: لأنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء، كما تزهر نور الكواكب لأهل الأرض». وفي روضة الواعظين: ١٤٨: «قال أبو عبد الله عليه السلام: لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عز وجل: فاطمة، والصديقة، والمباركة، والطاهرة، والزكية، والراضية، والمرضية، والمحدثّة، والزهراء».

### فاطمة استثنائية لا تقاس بها امرأة

لفاطمة الزهراء عليها السلام مقام عظيم في الإسلام بإجماع المسلمين، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحترمها احتراماً مميّزاً مقصوداً، ليفهم المسلمون مكانتها! «كان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلّى فيه ركعتين، ثم يثني بفاطمة، ثم يأتي أزواجه. وفي لفظ: ثم بدأ ببيت فاطمة عليها السلام، ثم أتى بيوت نساءه». فتح الباري: ٨٩/٨. وكان يقف لها احتراماً، ويجلسها في مجلسه ويقول: «فاطمة حوراء إنسية، فكلمنا اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة». أمالي الصدوق: ٥٤٦. وروت مصادر الفريقين فضائلها ومناقبها عليها السلام، وألف العلماء كتباً خاصة فيها. ومن فضائلها المدهشة مارواه البخاري: ٧١/٤: «بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساجد وحوله ناس من قريش المشركين، إذ جاءه عقبه بن أبي معيط بسلى جزور، فقذفه على ظهر النبي فلم يرفع رأسه، حتى جاءت فاطمة عليها السلام، فأخذت من ظهره، ودعت على من

صنع ذلك، فقال النبي: اللهم عليك الملاء من قريش، اللهم عليك أبا جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وعقبة بن أبي معيط، وأمية بن خلف، أو أبي بن خلف..». وكفى بذلك فضيلة: لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ، لأن النبي ﷺ لم يدع على قومه حتى دعت عليهم فاطمة عليها السلام، فكان دعاؤها عليهم وحيأله ﷺ من ربه، وإذناً له بالدعاء عليهم! فقد استعمل الله تعالى إلهامه لفاطمة عليها السلام بدل وحي جبرئيل عليه السلام! واستعمل إبلاغ رسوله ﷺ بعمل فاطمة عليها السلام بدل إبلاغه بقول جبرئيل عليه السلام! فأى مقام هذا لفاطمة صلوات الله عليها وعلى أبيها.

ومن فضائلها المدهشة أيضاً أنها أخبرت النبي ﷺ بمؤامرة قريش ليلة هجرته!  
«عن ابن عباس قال: إن الملاء من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وأساف ونائلة، لو قد رأينا محمداً لقد قمنا إليه قيام رجل واحد، فلم نفاقه حتى نقلته، فأقبلت ابنته فاطمة رضي الله عنها تبكي حتى دخلت على رسول الله ﷺ فقالت: هذا الملاء من قريش قد تعاقدوا عليك، لو قد رأوك لقد قاموا إليك فيقتلوك، فما منهم رجل إلا وقد عرف نصيبه من دمك! قال: يا بنية أدلي وضوءاً، فنوضاً ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه قالوا هذا هو! وخفضوا أبصارهم، وسقطت أذقانهم في صدورهم، وعقرُوا في مجالسهم فلم يرفعوا إليه بصراً، ولم يقم إليه رجل منهم، فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على رؤسهم فأخذ قبضة من التراب فقال: شأهت الوجوه، ثم حصبهم بها، فما أصاب رجلاً من ذلك الحصى حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً». مجمع الزوائد: ٢٢٨/٨ وصححه.

وقد كان تأمر المشركين لقتل النبي ﷺ في غاية السرية، فمن أين جاءت هذه المعلومة السرية للغاية إلى فاطمة عليها السلام، إلا من إلهام الله تعالى؟! ومعناه أن الله تعالى جعلها مكان جبرئيل عليه السلام في إيصال الوحي إلى رسوله ﷺ! فأى مقام عظيم هذا لبنت في الثامنة من عمرها الشريف، يوحى لها الله بتأمرهم عليه فتخبر به أباهما سيد المرسلين، ويوحى لها أن تدعو على فراعنة قريش فيدعو عليهم النبي ﷺ! فأى امرأة حول النبي ﷺ، أو في العظيما والقديسات في كل التاريخ، وصلت إلى هذا المقام الرباني العظيم!؟

## عائشة تشهد بأن فاطمة عليها السلام أصدق الناس لهجة

روى الحاكم وصححه بشرط مسلم: ٣/ ١٦٠ عن عائشة أنها قالت في فاطمة عليها السلام:  
«مارأيت أحداً كان أصدق لهجة منها، إلا أن يكون الذي ولدها».

ومع ذلك لم يقبل أبو بكر قول فاطمة عليها السلام بأن فدكاً لها أعطاه إياها النبي صلى الله عليه وآله!  
قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢٨٤: «سألت علي بن الفارقي مدرس المدرسة الغربية ببغداد فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم. قلت: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدك وهي عنده صادقة؟ فتبسم ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسنأ مع ناموسه وحرمة وقله دعابته، قال: لو أعطاه اليوم فدكاً بمجرد دعواها ل جاءت إليه غداً وادعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الإعتذار والموافقة بشيء. لأنه يكون قد أسجل على نفسه أنها صادقة فيها تدعى كائناً ما كان من غير حاجة إلى بيّنة ولا شهود. وهذا كلام صحيح، وإن كان أخرجه مخرج الدعابة والهزل».

## كانت فاطمة عليها السلام تسكن مع أبيها في مكة والمدينة

ولدت فاطمة الزهراء في بيت أبيها صلى الله عليه وآله وأمها خديجة عليها السلام الواقع بين شعب أبي طالب وسوق أبي سفيان، في سوق الذهب، ويعرف بمولد فاطمة عليها السلام. وقد ارتكب الوهابية جريمة، فأزالوه وجعلوا مكانه مرافق، غيضاً وعناداً!  
وفي سنة ولادتها عليها السلام حاصرت قريش النبي صلى الله عليه وآله وبني هاشم في شعب أبي طالب وهجرت عائلته من بيته، ففتحت الزهراء عليها السلام عينيها وهي محاصرة في الشعب، وأبوها صلى الله عليه وآله مستهدف بالقتل من قريش، يحرسه بالليل والنهار جدها أبو طالب، وابناه علي وجعفر، وعمها حمزة. ولم تر تو الطفلة المباركة من حنان أمها، فقد توفيت أمها قبل الهجرة بنحو سنة، وكان عمرها سبع سنين، حسب ترجيحنا.  
وقد رووا حالتها المؤثرة عند وفاة أمها خديجة عليها السلام، ففي أمالي الطوسي/ ١٧٥:  
«عن يزيد العجلي قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام يقول: لما توفيت

خديجة رضي الله عنها جعلت فاطمة صلوات الله عليها تلوذ برسول الله ﷺ وتدور حوله وتقول: يا أبة أين أُمِّي؟ قال: فنزل جبرئيل عليه السلام فقال له: ربك يأمرُك أن تقرِّي فاطمة السلام وتقول لها: إن أمك في بيت [من قصب] كعابه من ذهب، وعمده ياقوت أحمر، بين آسية ومريم بنت عمران، فقالت فاطمة رضي الله عنها: إن الله هو السلام، ومنه السلام، وإليه السلام».

وجعلنا [من قصب] بين معقوفين لأننا نحتمل أنها تسربت من رواية الطبراني، قال في الأوسط: ١٣٩/١: «عن فاطمة أنها قالت للنبي ﷺ: أين أمنا خديجة؟ قال في بيت [من قصب] لا لغوف فيه ولا نصب، بين مريم وآسية امرأة فرعون. قالت من هذا القصب؟ قال: لا بل من القصب المنظوم بالدر واللؤلؤ والياقوت».

ويدل هذا الحديث على أن المتبادر من القصب: القصب المعروف، ولذلك سألته فاطمة حسب الرواية. لكننا نرى أن كلمة من قصب إضافة من عائشة وقد بررتها بأن خديجة لم تُصلِّ، فلم تستحق أكثر من بيت القصب!

وقد حاول ابن حجر «فتح الباري: ١٠٤/٧» أن يصحح وصف القصب ويجعله مدحاً لبيت خديجة، وأطال في ذلك بدون طائل.

### غرفة فاطمة رضي الله عنها وبيتها في المدينة

عندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة انتظر وصول علي والفواطم خمسة عشر يوماً في بقاء، ثم دخل معهم المدينة، ونزل في بيت أبي أيوب الأنصاري.

واشترى أرضاً كانت مربد تمر، وبنى فيها مسجده وبيته، وجعل له باباً يفتح على المسجد وباباً يفتح من جهة البقيع، يفتح على غرفة استقبال كبيرة ولوازمها، وغرفة لفاطمة رضي الله عنها ولوازمها، ومن الجهة الثانية دار فيه غرفة خادمتان، وبقيّة لوزم المنزل.

وتزوج النبي ﷺ عدة زوجات بعد هجرته، لكنه لم يُسكن أيّاً منهن في بيته، بل كان يبني لكل واحدة منهن غرفةً من جهة البقيع شرقي المسجد، في مكان بعيد نسبياً عن بيته.

وكان يخدمه في بيته أنس بن مالك وغيره، وبنات أبي أيوب وغيرهن يخدمن فاطمة.

وبقيت فاطمة عليها السلام في بيته حتى تزوجت بعد نحو سنتين. وكانت تشرف عليها أم سلمة، أو بعض نساء النبي صلى الله عليه وآله.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «وخطب رسول الله صلى الله عليه وآله النساء وتزوج سودة أول دخوله المدينة، فنقل فاطمة عليها السلام إليها، ثم تزوج أم سلمة بنت أبي أمية، فقالت أم سلمة: تزوجني رسول الله صلى الله عليه وآله وفوض أمر ابنته إليّ فكنت أدلها وأودبها، وكانت والله آدب مني، وأعرف بالأشياء كلها». دلائل الإمامة/ ٨١.

أما علي عليه السلام فكان يسكن مع أمه فاطمة بنت أسد رضي الله عنها، في مكان بعيد نسيياً عن المسجد. وعندما تزوج أخذهم النبي صلى الله عليه وآله بيتاً أقرب إليه، ثم بدله ببيت قريب يفتح على المسجد، عاشت فيه فاطمة وعلي وأم علي عليهم السلام.

وقال ابن سعد في الطبقات: ٢٢/٨: «لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة نزل على أبي أيوب سنة أو نحوها، فلما تزوج علي فاطمة قال لعلي: أطلب منزلاً فطلب علي منزلاً فأصابه مستأخراً عن النبي صلى الله عليه وآله قليلاً فبنى بها فيه، فجاء النبي صلى الله عليه وآله إليها فقال: إني أريد أن أحوّك إليّ، فقالت لرسول الله: فكلم حارثة بن نعمان أن يتحول عني. فقال رسول الله: قد تحول حارثة عنا حتى استحيت منه، فبلغ ذلك حارثة فتحول وجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تحول فاطمة إليك، وهذه منازلني وهي أسقب بيوت بني النجار بك، وإنما أنا ومالي لله ولرسوله! والله يا رسول الله المال الذي تأخذ مني أحب إليّ من الذي تدع! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: صدقت، بارك الله عليك، فحولها رسول الله إلى بيت حارثة».

وبعد زواج فاطمة عليها السلام بقيت غرفتها في بيت أبيها صلى الله عليه وآله، وهي من جهة الصُفّة شمالي المسجد. وقد شرحتنا جغرافية بيت النبي وبيوت نسائه وقبره الشريف في سيرة الإمام الحسن عليه السلام من جواهر التاريخ، وفي كتيب: مصادرة قبر النبي صلى الله عليه وآله. «وقد أخبرني الثقة الشيخ محمد التبريزي أنه دخل إلى سرداب قبر النبي صلى الله عليه وآله فوجد من جهة الصفة رخامة يظهر أنها مكان غرفة فاطمة عليها السلام وأنها القبر الرمزي، وقد كتب عليها الحديث النبوي، وهو: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

فاطمة مهجة قلبي، وابناها ثمرة فؤادي، وبعلمها نور بصري، والأئمة من ولدها أمناء  
ربي جبل ممدود من السماء إلى الأرض، من اعتصم بهم نجا، ومن تخلف عنهم هوى».   
رواه الزنجشيري في المناقب ص: ٢١٣. وابن أبي الفوارس في الأربعين حديثاً، والحموي في فرائد السمطين،  
والفتال النيسابوري في روضة الواعظين ص ١٤٤ وغيرهم.

هذا، وسيأتي تفصيل خبر تزويج فاطمة بعلي عليه السلام في المدينة المنورة.



## الفصل الثامن عشر

### المرحلة الثانية، الدعوة العامة: فاصدع بما تؤمر

#### ١- عدد سكان مكة وموقع قريش في العرب

كانت بطون قريش نحو عشرين قبيلة، أشهرها: بنو هاشم بن عبدمناف، وبنو أمية بن عبد شمس بن مناف بن قصي، وبنو عبد الدار بن قصي، وبنو مخزوم بن يقظة بن مرة، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو أسد بن عبد العزى، وبنو الحارث بن فهر بن مالك، وبنو عامر بن لؤي، وبنو سهم بن عمرو، وبنو جمح بن عمرو، وبنو أنمار بن بغيض، وبنو تيم بن مرة بن كعب، وبنو عدي... إلخ.

وكان عددهم جميعاً نحو أربعين ألف نسمة، لأن غاية ما استطاعوا تجنيده في حرب الأحزاب مع أحابيشهم أربعة آلاف «عمدة القاري: ١٧٦/١٧». فلو حسبنا من كل عشرة أشخاص مقاتلاً، يكون عددهم أربعين ألفاً. ومهما زدنا فلا يصل عددهم إلى ستين ألفاً. لكن التأثير كان لبضع قبائل والباقيون تبع لها، فقد وصف ابن هشام: ٣٣١/٢ اجتماعهم في دار الندوة لبحث «مشكلة محمد ﷺ»! فقال: «اجتمع فيها أشراف قريش: من بني عبد شمس: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبوسفيان بن حرب. ومن بني نوفل بن عبدمناف: طعيمة بن عدي، وجبير بن مطعم، والحارث بن عامر بن نوفل. ومن بني عبد الدار بن قصي: النضر بن الحارث بن كلدة. ومن بني أسد بن عبد العزى: أبو البخترى بن هشام وزمعة بن الأسود بن المطلب، وحكيم بن حزام. ومن بني مخزوم: أبو جهل ابن هشام. ومن بني سهم: نبيه ومنبه ابنا الحجاج.



ومن بني جمح: أمية بن خلف.. ومن كان معهم غيرهم ممن لا يعد من قريش، فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا فأجمعوا فيه رأياً... الخ». وكان هذا الاجتماع بعد السنة الثالثة، لأنه سمي أباجهل زعيماً لمخزوم، وقد صار زعيمها بعد هلاك الوليد بن المغيرة، بعد ثلاث سنين من البعثة.

والقبائل الأهم خمسة التي اعتبروها تمثل الجميع وارتضوا أن تضع الحجر الأسود مكانه، وهم: بنو هاشم، وقد مثلهم النبي ﷺ وقال: «يأتي من كل ربيع من قريش رجل، فكانوا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، والأسود بن المطلب من بني أسد بن عبد العزى، وأبو حذيفة بن المغيرة من بني مخزوم، وقيس بن عدي من بني سهم، فرفعوه ووضعوه النبي ﷺ في موضعه». الكافي: ٢١٨/٤.

وأهم الجميع: بنو هاشم وبنو أمية، ولذا تراهم واصلوا صناعة أحداث التاريخ وكانت بقية قريش تبعاً لهم. وقد أخبر النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام أن مستقبل الأمة هو الصراع بين بني أمية وبني هاشم، كما رأينا أن وضع العالم ومستقبله الصراع بين بني إسماعيل وبني إسحاق!

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنا وآل أبي سفيان أهل بيتين تعادينا في الله! قلنا صدق الله وقالوا كذب الله! قاتل أبو سفيان رسول الله وقاتل معاوية علي بن أبي طالب! وقاتل يزيد بن معاوية الحسين بن علي والسفياني يقاتل القائم». معاني الأخبار/٣٤٦.

## ٢- رؤساء قريش عند بعثة النبي ﷺ

قال المؤرخ محمد بن حبيب في المنمق/٣٣١: «كانت الرئاسة أيام عبدمناف لعبدمناف بن قصي، وكان القائم بأمر قريش والمنظور إليه منها، ثم أفضى ذلك بعده إلى هاشم ابنه فولي ذلك بحسن القيام، فلم يكن له نظير من قريش ولا مساو. ثم صارت الرئاسة لعبدالمطلب، وفي كل قريش رؤساء، غير أنهم كانوا يعرفون لعبدالمطلب فضله وتقدمه وشرفه».

وكان أكبر أولاد عبد المطلب الحارث ثم الزبير، وكان الزبير سيداً في زمن أبيه واشتهر بحلف الفضول لرد الظلم عن الحجاج: «فكان سيداً شريفاً شاعراً، وهو أول من تكلم في حلف الفضول ودعا إليه». أنساب الأشراف/ ١١ والمنق/ ١٧١.

«فتحالفوا بالله قائلين: لا نقض هذا الحلف ما بلّ بحرٌ صوفة، وأن لا ندع بمكة مظلوماً. قال حكيم: ونظرت إلى رسول الله ﷺ قد حضر ذلك الحلف يومئذ في دار ابن جدعان، وكان الذي كتبه بينهم الزبير بن عبد المطلب». المنق/ ١٨٨.

وكان الزبير كأبيه يحب النبي ﷺ، ففي المنق/ ٣٤٩: «قال الزبير بن عبد المطلب يزفُّن «يُرَقِّصُ» النبي صلى الله عليه:

محمد بن عبدمُ عشت بعيشٍ أنعم

لا زلت في عيشٍ عم ودولة ومغتم

يغنيك عن كل عم وعشت حتى تهرم»

وفي المنق/ ٣٤: «وذكروا أن أكرم بن صيفي «رئيس بني تميم» قال: دخلت البطحاء بطحاء مكة فإذا أنا ببني عبد المطلب يخترقونها كأنهم أبرجة الفضة، وكان عماتهم نوق الرجال ألوية، يلحفون الأرض بالحبرات «ثياهم طويلة» فقال أكرم: يا بني تميم! إذا أراد الله أن ينشئ دولة أنبت لها مثل هؤلاء! هذا غرس الله لا غرس الرجال! قال هشام: لم يكن في العرب عدة بني عبد المطلب أشرف منهم ولا أجسم، ليس منهم رجل إلا أشم العرنين يشرب أنفه قبل شفثيه، ويأكل الجذع ويشرب الفرق».

وقيل له: «من تعلمت الحكم والرياسة والحلم والسياسة؟ فقال: من حليف الحلم والأدب، سيد العجم والعرب، أبي طالب بن عبد المطلب». ومعنى: يأكل الجذع ويشرب الفرق: جسيم، يأكل خروفاً، ويشرب سطل لبن. الحجة على الذهاب/ ٣٣٤. وكان أكبر زعماء قريش بعد أبي طالب: الوليد بن المغيرة رئيس مخزوم، وكان بارزاً من حياة عبد المطلب، وقد أخذه معه في وفد قريش إلى اليمن لتهنئة الملك سيف بن

ذي يزن، وكان الوفد سبعاً وعشرين شخصية فيهم غير الوليد: عتبة بن ربيعة، وعقبة بن أبي معيط، وأمّية بن خلف. كمال الدين/١٧٦ والباز: ١٤٦/١٥.

وتعددت الزعامة بعد وفاة عبد المطلب، فبرز ابنه أبو طالب عليه السلام رئيساً لبني هاشم، وزعيماً محترماً في قريش والعرب، وبرزت معه شخصيات قرشية، منهم حرب بن أمّية بن عبد شمس رئيساً لبني عبد شمس، وأبو أحيحة سعيد بن العاص بن أمّية رئيساً لهم أيضاً، وعبد يزيد بن هاشم بن المطلب رئيساً لبني المطلب، والمطعم بن عدي بن نوفل رئيساً لبني نوفل بن عبد مناف، وخويلد بن أسد، وعثمان بن الحويرث بن أسد رئيسين لبني أسد بن عبد العزى، وعكرمة بن هاشم بن عبد مناف رئيساً لبني عبد الدار، ومخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف رئيساً لبني زهرة، وعبد الله بن جدعان بن عمرو رئيساً لتيّم بن مرة، والوليد بن المغيرة رئيساً لبني مخزوم، وعمرو بن نفيل رئيساً لبني عدي، وأمّية بن خلف رئيساً لبني سهم وبني جمح، وعمرو بن عبد شمس رئيساً لبني عامر بن لؤي، وضرار بن الخطاب بن مرداس رئيساً لبني محارب بن فهر، وعبد الله أبو أبي عبيدة بن الجراح، رئيساً لبني الحارث بن فهر. المنمق لابن حبيب/٣٣١.

وكانت قريش عامة تدين بالوثنية مع بقايا الحنيفية، إلا عبد المطلب وبنوه فكانوا على حنيفية أبيهم إبراهيم عليه السلام، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «والله ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنّاً قط! قيل له: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به». كمال الدين/١٧٤.

وكان أبو طالب يقول: أنا على ملة عبد المطلب. صحيح بخاري: ٩٨/٢.

وكان في قريش ملحدون يعلنون إلحادهم، ساهم المؤرخ ابن حبيب في المنمق/٣٨٨: زنادقة قريش، وقال إنهم تعلموا الزندقة من نصارى الحيرة، وهم: الوليد بن المغيرة المخزومي، والعاص بن وائل السهمي، وصخر بن حرب، وعقبة بن أبي معيط، وأبي بن خلف، وأبو عزة، والنضر بن الحارث بن كلدة من بني عبد الدار، ونيبه ومنبه ابنا الحجاج السهميان.

### ٣- قريش معدن فراغة وأكثرهم حق عليهم القول!

سجل القرشيون رقماً قياسياً في العناد فجمعوا العناد اليهودي والبدوي فلم يقل أحد قبلهم ولا بعدهم: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا جَرَّاءَ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. الأنفال: ٣٢. أي: لا تريد نبوة بني هاشم، حتى لو كانت حقاً، فإن كانت حقاً فليهلكنا الله بعذاب من عنده، فهو خير لنا!!

«قال معاوية لرجل من اليمن: ما كان أجهل قومك حين ملكوك عليهم امرأة! فقال: أجهل من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا جَرَّاءَ مِنَ السَّمَاءِ... ولم يقولوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه». تفسير القمي: ٢٧٦/١ والصراط المستقيم: ٤٩/٣.

ولذا حكم الله عليهم بأنهم فراغة فقال لهم: إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا. فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أُخْذًا وَّيَبِلًا. المزمّل: ١٥-١٦.

وقال لهم النبي ﷺ لما وقف على قتلى بدر: «جزاكم الله من عصابة شرراً، لقد كذبتُموني صادقاً، وخونتموني أميناً! ثم التفت إلى أبي جهل بن هشام فقال: إن هذا أعتى على الله من فرعون! إن فرعون لما أيقن بالهلاك وحَدَّ الله، وهذا لما أيقن بالهلاك دعا باللات والعزى!» أمالي الطوسي: ٣١٦/١ ومجمع الزوائد: ٩١/٦.

«فرعون وقومه أخذهم الله بالسنين فطلبوا من موسى ﷺ أن يدعو لهم ربه، لكن قريشاً أخذهم الله بالحقط فما دعوا الله، ولا طلبوا من النبي ﷺ أن يدعو لهم، مع أنه أرسل لهم أحلاماً من المواد الغذائية! فأنزل الله فيهم: وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ». المؤمنون: ٧٦. مستدرک الحاكم: ٣٩٤/٢.

لكن رواية السلطة كذبوا فكذبوا القرآن، قالوا: «أتى أبو سفيان يشفع عنده ﷺ في أن يدعو الله لهم، فدعا لهم فرفع ذلك عنهم». النهاية: ١٠١/٦.

كما أن أكثر قريش أبلسوا وحق عليهم القول، فلن يؤمنوا أبداً، قال تعالى: لئنِذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ. لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ أَغْلًا فَيَهِ إِلَى الْأَذْقَابِ فَهُمْ مُمْتَحُونَ. وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ

سَدًّا فَاعْتَسَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ. وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. يس 6-11.

لكن رواية السلطنة كذبوا القرآن وقالوا لم يحقّ القول على أكثرهم، بل أسلموا وحسن إسلامهم، وصار منهم خلفاء وأئمة، ما شاء الله!

وقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام موقف «الملا من قريش» من نبوة النبي صلى الله عليه وآله والمعجزة التي طلبوها منه ورأوها بأمر أعينهم! فقال عليه السلام:

«ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي، ولكنك وزير وإنك لعلى خير. ولقد كنت معه صلى الله عليه وآله لما أتاه الملا من قريش فقالوا له: يا محمد إنك قد ادعيت عظيمًا لم يدعه أبأوك ولا أحد من بيتك، ونحن نسألك أمرًا إن أجبتنا إليه وأرئتناه علمنا أنك نبي ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب. فقال صلى الله عليه وآله: وما تسألون؟ قالوا تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك. فقال صلى الله عليه وآله: إن الله على كل شيء قدير، فإن فعل الله لكم ذلك أتؤمنون وتشهدون بالحق؟ قالوا نعم. قال: فإني سأريكم ما تطلبون، وإني لأعلم أنكم لا تفيثون إلى خير، وإن فيكم من يطرح في القلب، ومن يحزب الأحزاب. ثم قال: يا أيها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أني رسول الله فانقلعي بعروقي حتى تقفي بين يديّ بإذن الله. فوالذي بعثه بالحق لانقلعت بعروقها وجاءت ولها دوي شديد وقصف كقصف أجنحة الطير حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله مرفرفة، وألقت بغصنها الأعلى على رسول الله صلى الله عليه وآله وبيعض أغصانها على منكبي، وكنت عن يمينه صلى الله عليه وآله. فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا علواً واستكباراً: فمرها فليأتك نصفها وبقي نصفها! فأمرها بذلك فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشدّه دويًا، فكادت تلتف برسول الله صلى الله عليه وآله! فقالوا كفرًا وعتوًا: فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان، فأمره فرجع! فقلت أنا: لا إله إلا الله، فإني أول مؤمن بك يا رسول الله، وأول من أقر بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى تصديقاً بنبوتك وإجلالاً لكلمتك. فقال القوم كلهم: بل ساحر كذاب، عجيب السحر

خفيف فيه، وهل يصدقك في أمرك إلا مثل هذا! يعنوني! نهج البلاغة: ١٥٧/٢.

أقول: صدق فيهم قول رسول الله ﷺ: «فإني سأريكم ما تطلبون، وإني لأعلم أنكم لا تفتنونني إلى خير!» وهذا إخبار عن عاقبة أمرهم، فلم يفتنوا إلى خير ومنهم من قتل في بدر ورُمي في البئر ثم حزبوا الأحزاب، وبعد فتح مكة اضطهرهم إلى خلع سلاحهم، لكنهم واصلوا تأمرهم عليه ﷺ حتى أخذوا دولته واضطهدوا عترته! أقول: وما تقدم من سوء عاقبة أكثرهم لا ينافي أن النبي ﷺ أخبرهم بأنهم سيخضعون جميعاً ويقبلون دعوته ونبوته، كما في الهداية الكبرى ٦٦/٦، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «لما ظهر رسول الله ﷺ ودعا قريشاً إلى الله تعالى فنفرت قريش من ذلك وقالوا: يا ابن أبي كيشة لقد ادعت أمراً عظيماً! أتزعم أنك نبي وأن الملائكة تنزل عليك! فقد كذبت على الله وملائكته، ودخلت فيما دخل فيه السحرة والكهنة! فقال لهم النبي ﷺ: لم تجزعون يا معاشر قريش أن أدعوكم إلى الله وإلى عبادته؟ والله ما دعوتكم حتى أمرني بذلك، وما أدعوكم أن تعبدوا حجراً من دون الله ولا وثناً ولا صنماً ولا ناراً، وإنما دعوتكم أن تعبدوا من خلق هذه الأشياء كلها وخلق الخلق جميعاً، وهو ينفعكم ويضركم ويميتكم ويحييكم ويرزقكم. ثم قال: والله لتستجيبنَّ إلى هذا الذي أدعوكم إليه شتمت أم أبيت، طائعين أو كارهين، صغيركم وكبيركم! فبهذا أخبرني جبريل عن رب العالمين، وإنكم لتعلمون ما أنا بكاذب، وما بي من جنون، ولا سحر ولا كهانة، فقد أخبرتكم بما أخبرني به ربي، فاسمعوا وأطيعوا. فكان هذا من دلائله ﷺ».

#### ٤- فراعنة قريش أكثر من خمسة والمؤذون للنبي ﷺ بالعشرات

استشطا زعماء قريش غضباً بمجرد أن سمعوا خبر بعثة النبي ﷺ، وذهبوا إلى أبي طالب وطلبوا منه أن يسلمهم النبي ﷺ ليقتلوه، فردهم وجمع بني هاشم لحمايته فأجابوه، وأخذ المشركون يترصدون الفرصة لأذى النبي ﷺ وقتله. وكان بنو أمية وبنو مخزوم أسوأ من يؤذيه، ومنهم:

من بني عبد شمس: حنظلة بن أبي سفيان، وعبيدة بن سعيد بن العاص، والعاص بن سعيد بن العاص، وعقبة بن أبي معيط، وعتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وأخوه شيبه، وابنه الوليد بن عتبة بن ربيعة.

ومن بني مخزوم: «الوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام وإسمه عمرو بن هشام بن المغيرة، وأخوه العاص بن هشام، ومسعود بن أبي أمية بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، ورفاعة بن أبي رفاعه وأخواه المنذر وعبدالله، والسائب بن أبي السائب بن عابد، وأخوه حاجب، والأسود بن عبد الأسد بن هلال، وعويمر بن السائب بن عويمر. ومن بني سهم: منبه بن الحجاج بن عامر، وابنه العاص بن منبه، وأخوه نبيه بن الحجاج، وأبو العاص بن قيس، وعاصم بن أبي عوف.

ومن بني جمح: أمية بن خلف بن وهب، وابنه علي، وأوس بن معير بن لوزان. ومن بني أسد بن عبد العزى: زمعة بن الأسود، وابنه الحارث، وأخوه عقيل بن الأسود، وأبو البخترى وهو العاص بن هشام بن الحارث، ونوفل بن خويلد بن أسد، وهو ابن العدوية وكان من شياطين قريش.

ومن بني عبد الدار: النضر بن الحارث بن كلدة، وزيد بن مليص. ومن بني تميم بن مرة: عمير بن عثمان، وعثمان بن مالك.

ومن بني عامر بن لؤي: معاوية بن عامر، ومعبد بن وهب، حليفان لهم. ومن بني نوفل بن عبد مناف: الحارث بن عامر، وطعيمة بن عدي. ابن هشام ٥٢٥/٢. راجع أسماء المؤذنين للنبي ﷺ في إمتاع الأسباع للمقريزي: ٣٢٣/١٤ وكامل ابن الأثير: ٧٠٢. وأسماء الملعونين على لسان النبي ﷺ في كتابنا: ألف سؤال وإشكال: ٢٣٩/٢.

ولا يعني إهلاك الله تعالى للمستهزئين الخمسة أن غيرهم أقل عداء للنبي ﷺ والإسلام، بل يعني أنهم كانوا مانعاً من الدعوة أكثر من غيرهم، وقد يكون غيرهم أخطر منهم على المدى الطويل كأبي سفيان، الذي هو العدو الأول للإسلام، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنا وأل أبي سفيان أهل بيتين تعادينا في الله قلنا صدق الله وقالوا كذب الله..» معاني الأخبار/٣٤٦.

## ٥- المستهزون الخمسة عقبه أزاها الله من طريق الدعوة!

يعتبر النص القرآني في المستهزين ركناً في تدوين السيرة، لأنه قطعي الدلالة مجمع عليه عند المؤرخين، وأن الله تعالى أهلهم ففتح باب الدعوة لرسوله ﷺ وأمره أن يصدع بأمر ربه. والصدع: الإعلان بحزم، فقال تعالى: **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِينَ.**

وتفاوتت الرواية في عددهم من خمسة إلى سبعة عشر، لكننا اعتمدنا الخمسة لأنه المشهور والمروي عن أهل البيت عليهم السلام. وكان إهلاكهم بمعجزة ربانية، لتبدأ مرحلة جديدة في عمل النبي ﷺ: مرحلة إعلان الدعوة العامة إلى الإسلام، بعد أن كانت دعوة خاصة لبني هاشم. وكان كل واحد من المستهزين يقول قبل هلاكه: «قتلني رب محمد!» فانتشر الخوف في قريش من رب محمد ﷺ!

وكان إهلاكهم يوم تشديد إنذارهم للنبي ﷺ بالقتل إن لم يترجع عن نبوته! وعندما أخبره جبرئيل بهلاكهم: «فخرج رسول الله فقام على الحجر فقال: يا معشر قريش، يا معشر العرب، أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأمركم بخلع الأنداد والأصنام، فأجيبوني تملكوا بها العرب وتدين لكم العجم، وتكونوا ملوكاً في الجنة. فاستهزؤوا وقالوا: جُنَّ محمد بن عبد الله، ولم يجسروا عليه لموضع أبي طالب». تفسير القمي: ٣٧٧/١.

وفي الخصال/٢٧٩، عن الإمام الحسين عليه السلام: «أن أمير المؤمنين عليه السلام قال ليهودي من أبحار الشام في جواب مسأله: فأما المستهزون فقال الله عز وجل له: **إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِينَ**، فقتل الله خستهم، قد قتل كل واحد منهم بغير قتلة صاحبه في يوم واحد: أما الوليد بن المغيرة فإنه مرَّ بنبل لرجل من بني خزاعة قد راشه في الطريق فأصابته شظية منه، فانقطع أكحله حتى أدماه، فمات وهو يقول: قتلني رب محمد! وأما العاص بن وائل السهمي، فإنه خرج في حاجة له إلى كداء فتدهده تحته حجر فسقط فتقطع قطعة قطعة، فمات وهو يقول: قتلني رب محمد!



وأما الأسود بن عبد يغوث، فإنه خرج يستقبل ابنه زمعة ومعه غلام له فاستظل بشجرة تحت كداء فأتاه جبرئيل عليه السلام فأخذ رأسه فطرح به الشجرة، فقال لغلامه: إمنع هذا عني! فقال: ما أرى أحداً يصنع بك شيئاً إلا نفسك! فقتله وهو يقول: قتلني رب محمد!..

وأما الحارث بن الطلائع فإنه خرج من بيته في السموم فتحول حبشياً، فرجع إلى أهله فقال: أنا الحارث فغضبوا عليه فقتلوه، وهو يقول: قتلني رب محمد!  
وأما الأسود بن المطلب فإنه أكل حوتاً مالحاً فأصابه غلبة العطش، فلم يزل يشرب الماء حتى انشق بطنه فمات، وهو يقول: قتلني رب محمد!

كل ذلك في ساعة واحدة، وذلك أنهم كانوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا له: يا محمد ننتظر بك إلى الظهر فإن رجعت عن قولك وإلا قتلناك، فدخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم منزله فأغلق عليه بابه مغتماً بقولهم، فأتاه جبرئيل عليه السلام ساعة فقال له: يا محمد السلام يقرئك السلام وهو يقول: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ، يعني أظهر أمرك لأهل مكة وادع، وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. قال: يا جبرئيل كيف أصنع بالمستهزئين وما أوعدوني؟ قال له: إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ. قال: يا جبرئيل كانوا عندي الساعة بين يدي؟ فقال: قد كفيتهم! فأظهر أمره عند ذلك!

وهذه الرواية أوثق عندي من رواية ابن إسحاق قال: ٢٥٤/٥: «كان المستهزؤون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسة: الأسود بن عبد يغوث بن وهب، والأسود بن المطلب بن أسد، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والحارث بن الطلائع أحد خزاعة، فكانوا يهزؤون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويغمزونه، فأتاه جبرئيل فوقف به عند الكعبة وهم يطوفون به فمر به الأسود بن عبد يغوث فأشار جبرئيل إلى بطنه فمات حبناً، ومر به الأسود بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمي، ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى جرح في كعب رجله قد كان أصابه قبل ذلك بيسير فانتقض به فقتله، ومر به العاص بن وائل فأشار إلى أخصر رجله فركب إلى الطائف على حمار فربض به على شبرقة فدخلت في أخصر قدمه شوكة فقتلته، ومر به الحارث

النبوت  
الرسول  
الملك

بن الطلائفة فأشار إلى رأسه فامتعض قيحاً حتى قتله، ففيهم أنزل الله عز وجل: **إِنَّا كَفَرْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**. وابن هشام: ٢٧٧/٢. وفي فتح الباري: ٢٩٠/٨: «الأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، والعاصي بن وائل، والحارث بن قيس، والوليد بن المغيرة».

### ٦- رئيس المستهزئين الوليد بن المغيرة

أ. من صفات المستهزئين الخمسة: الإلحاد، والمادية، والتكبر، والتعقيد النفسي!  
ب. حيث أن الله تعالى الذي وسع حلمه كل شيء، قال عنهم وعن رئيسهم الوليد: **وَلَا تُطْعَمُ كُلُّ خَلَايِ مِهِينٍ. هَمَّازٍ مَسَاءً يَبِيْمٍ. مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَيْمٍ. عُنُقٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٍ. أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ. إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ. سَنَسِيْهُ عَلَى الْخُرُطُوْمِ.** وقال عز وجل: **ذُذِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيْدًا. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُوْدًا. وَبَنِينَ شُهُوْدًا. وَمَهَّدْتُ لَهُ تَهْيِيْدًا. ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيْدَ. كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِنِيْدًا. سَازُهْفُهُ صَعُوْدًا. إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ. فَقِيْلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قِيْلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ نَظَرَ. ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ. ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ. فَكَانَ إِذَا إِسْحَرِيُوْرًا.**

وكانت مهنة الوليد صناعة الدروع «البحار: ١٠١/٣١» وكان زنديقاً ملحداً لا يؤمن بشيء، وكذا العاصم بن وائل، وعدد من كبار قريش. المنتقى: ٢٨٨ وعمدة القاري: ٢٠٩/١١.  
وكان الوليد رئيس بني مخزوم، وهو الذي قاد زعماء قريش في مواجهة النبي ﷺ. وفي تفسير القمي: ٤٣٠/٢: أنه نزل فيه قوله تعالى: **كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ. أَلَمْ يَرَأَ إِسْتَعْتَفَ. إِنَّا إِلَى رَبِّكَ الرَّجْعِي. أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى. عَبْدًا إِذَا صَلَّى.**

وفي تفسير القمي: ٣٩٢/٢: «ذُذِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيْدًا.. فإنها نزلت في الوليد بن المغيرة وكان شيخاً كبيراً مجرباً من دهاء العرب، وكان من المستهزئين برسول الله ﷺ. وإنما سمي وحيداً لأنه قال لقريش: أنا أتوحد بكسوة البيت سنة وعليكم في جماعتكم سنة، وكان له مال كثير وحدائق، وكان له عشر بنين بمكة، وكان له عشرة عبيد عند كل عبد ألف دينار يتجر بها، وتلك القنطار في ذلك الزمان».

ب. وقد وصف الله تعالى الوليد بقوله: **عُتِلَّ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْنِمٌ**، لأنه كان دعياً وليس لأبيه! وفي الكشف: ١٤٢/٤: «العتل: الجافي. والزنيم: الدعي. وكان الوليد دعياً في قريش ليس من سنخهم، ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة من مولده».

وفي المنمق/١٠٤، أنه تنافر مع أسيد بن أبي العيص الأموي فقال له أسيد: «أنت رجل من كنانة من بني شجع! دخيل في قريش نزيح في بني مخزوم!»  
وسياتي طعن أبي طالب عليه السلام بنسبه. كما أن بني أمية مطعون في نسبهم، فقد قال أبو طالب عليه السلام إن أمية كان عبداً لعبد المطلب. شرح النهج: ٢٣٣/١٥.  
كما طعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نسب عقبة بن أبي معيط فقال له: «ما أنت وقريش، وهل أنت لإيهودي من صفورية!» الإحتجاج: ٤١٢/١، الإصابة: ٣٩٨/٥ والطبري: ١٥٧/٥.

ج. قال الوليد بن المغيرة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: «والله لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك! لأنني أكبر منك سنأً، وأكثر منك مالاً». المناقب: ٤٧/١ وعدد من التفسيرات  
وفي تفسير الثعلبي: ١٨٧/٤: ونزلت فيه: **وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِرَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ. اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**. وقال الوليد: «أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها! ويترك أبو مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف ونحن عظميا القرينين!» الإحتجاج ٢٦/١ وابن هشام ٢٤٢/١: «فأنزل الله: **وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ. أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ**. الزخرف: ٣١-٣٢».

د. وفي السنة الأولى لبعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا الوليد زعاء قريش إلى وليمة ليتفقوا على موقف واحد من النبي صلى الله عليه وآله وسلم! ففي الطبراني الكبير: ١٠٢/١١: «صنع لقريش طعاماً فلما أكلوا قال: ما تقولون في هذا الرجل؟ فقال بعضهم: ساحر، وقال بعضهم: ليس بساحر. وقال بعضهم: كاهن، وقال بعضهم: ليس بكاهن. وقال بعضهم: شاعر، وقال بعضهم: ليس بشاعر. وقال بعضهم: سحر يؤثر! فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر». وتقدم ذلك في فصل دعوة العشيرة الأقرين.

هـ. اقترح زعيم قريش الوليد على النبي ﷺ أن يعبدوا ربه سنة، ويعبد آلهتهم سنة! «اعترضوا الرسول الله ﷺ، منهم عتبة بن ربيعة، وأمّية بن خلف، والوليد بن المغيرة، والعاص بن سعيد، فقالوا: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد ونشترك نحن وأنت في الأمر، فإن يكن الذي نحن عليه الحق فقد أخذت بحظك منه، وإن يكن الذي أنت عليه الحق فقد أخذنا بحظنا منه، فأنزل الله تعالى: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ. لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ». أسالي المفيد/٢٤٦، أسالي الطوسي/١٩ وسيرة ابن هشام الحميري: ٢٤٣/١. وفي ذلك إخبار بأن هؤلاء لن يؤمنوا أبداً.

و. قال الوليد ومعه الملا من قريش للنبي ﷺ: «إن كنت صادقاً فسق لنا القمر فرقتين قال: إن فعلت تؤمنون؟ قالوا: نعم، فأشار إليه بإصبعه فانشق شقتين روي حراء بين فلقيه فقالوا: هذا سحر مستمر من سحر محمد! فأنزل الله تعالى: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ. وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ». المناقب: ١٠٦/١. مجمع البيان: ٣١٠/٩، الفصول المختارة: ٢٠، مقدمة فتح الباري/٣٠٠، المناقب لمحمد بن سليمان: ٤٢/١، الصحيح من السيرة: ٣٢٠٢ وجعلها في السنة الثامنة.

أقول: أفاضت التفاسير ومصادر السيرة في وصف معجزة شق القمر، وفي الخرائج: ٣١٨ أنها كانت في أول البعثة، وروي أنها مرتان. عيون الأثر: ١٤٩/١. وذكرت رواية ابن عباس في الحلية وفتح الباري: ١٣٩/٧ إسم الوليد بن المغيرة في الذين طلبوا هذه المعجزة، وهو دليل على أنها كانت قبل هلاكه في السنة الثالثة، ولا يضر وجود إسم أبي جهل لأنه كان إلى جانب الوليد، ولعل الطلب تكرر. هذا، وقد ذكر الفلكيون أن في القمر شقاً الآن، فقد يكون انشق حقيقة، ثم عاد واحداً.

ز. هاجر الأوس بسبب صراعهم مع الخزرج إلى مكة وحالفتهم قريش، فأبطل الوليد بمكيدته حلفهم، ففي المنق/٢٦٨: «خرجت الأوس جالية من الخزرج حتى نزلت على قريش بمكة فحالفتها، فلما حالفتها قال الوليد بن المغيرة: والله! ما نزل قوم قط على قوم إلا أخذوا شرفهم وورثوا ديارهم، فاقطعوا حلف الأوس، فقالوا: بأي شيء؟ قالوا: إن في القوم حشمة، فقولوا: إنا قد نسينا شيئاً لم نذكره لكم: إنا قوم إذا طاف النساء بالبيت فرأى الرجل امرأة تعجبه قبلها ولمسها بيده، فلما قالوا ذلك للأوس نفروا وقالوا: إقطعوا الحلف بيننا وبينكم فقطعوه، ثم انقطع هذا الحلف».

ح. كانت وصية الوليد لأولاده من أغرب الوصايا، ففي المنق/١٩١: «فلما حضرت الوليد الوفاة.. فدعا ولده هشاماً وخالداً والوليد والفاكه وأبا قيس وقيساً وعبد شمس وعمارة، فقال لهم: يا بني إني أوصيكم بثلاث فلا تضيعوهن: دمي في خزاعة فلا تطلتني، والله إني لأعلم أنهم منه براء ولكن أخشى أن تُسبوا به بعد اليوم! ورباي في ثقيف فلا تدعوه حتى تأخذوه، وعقري عند أبي أزيهر الدوسي فلا يفوتنكم به، وكان أبو أزيهر قد زوجه ابنة له ثم أمسكها عنه فلم يدخلها عليه حتى مات... فقال له بنوه: والله ما نعلم أحداً من العرب أوصى بنيه بشرٍّ مما أوصيت به... فلما هلك الوليد بن المغيرة وثبت بنو مخزوم على خزاعة يلتمسون عقله... وغلظ الأمر بينهم، وكان الذي أصاب الوليد سهمه رجلاً من كعب بن عمرو من خزاعة... ثم إن الناس تراءوا وعرفوا أنها يخشى القوم السُّبَّة، فأعطتهم خزاعة بعض العقل، وانصرفوا عن بعض».

وسبب طلبه ديبته من خزاعة أنه: «مرَّ بنبل لرجل من بني خزاعة قد راشه في الطريق فأصابته شظية منه فانقطع أكله حتى أدماه، فمات وهو يقول: قتلني رب محمد!» الخصال/٢٧٩.

فقد اعترف بأن رب محمد قتله، وأوصى بأخذ الدية من صاحب السهام! ونفذ ابنه خالد وصيته، فأخذوا الدية من خزاعة، وقتلوا أبا أزيهر غيلة، عندما كان ضيفاً عند حليفهم أبي سفيان! المنق/١٩٩ و٢٠٣ وابن هشام: ٢٧٨/٢.

ط. أسلم الوليد بن المغيرة في مكة، ثم ارتد مع ابن أخيه الفاكه، عمدة القاري: ١٨٧/١٨. ثم كان مع المشركين في بدر فقتله علي عليه السلام. شرح الأخبار: ٢٦٥/١ وابن هشام: ٥٢٨/٢.

وعمارة بن الوليد، هو الذي جاؤوا به إلى أبي طالب ليعطيهم النبي صلى الله عليه وآله فيقتلوه ويأخذه بدله! ثم أرسلوه مع عمرو بن العاص إلى النجاشي فاختلفا وهلك هناك. والوليد بن الوليد بن المغيرة، زعموا أنه أسلم سراً، وأن النبي صلى الله عليه وآله كان يدعو له في قنوته بعد صلح الحديبية: «يقول: اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين. اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سني يوسف». رواه بخاري: ١٩٤/١، سبع مرات!

وتوفي الوليد بن الوليد في المدينة في حياة النبي صلى الله عليه وآله، ففي الكافي: ١١٧/٥ عن الإمام الصادق عليه السلام «فقال أم سلمة «المخزومية» للنبي صلى الله عليه وآله: إن آل المغيرة قد أقاموا مناحة فأذهب إليهم؟ فأذن له، فلبست ثيابها وتهيأت وكانت من حسنها كأنها جان، وكانت إذا قامت فأرخت شعرها جلجل جسدها وعقدت بطرفيه خلخالها، فندبت ابن عمها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت:

أنعى الوليد بن الوليد      أبا الوليد فتى العشيرة  
حامي الحقيقة ماجد      يسمو إلى طلب الوتيرة  
قد كان غيثاً في السنين      وجعفرأ غدقاً وميرة

قال: فما عاب ذلك عليها النبي صلى الله عليه وآله ولا قال شيئاً.

وهشام بن الوليد بن المغيرة، كان من شخصيات قريش المؤلفة قلوبهم. «الإستيعاب: ١٥٤١/٤». وهو الذي قتل أبا أزيهر الدوسي. وهو الذي هدد عثمان عندما ضرب عمار بن ياسر رضي الله عنه حليف بني مخزوم، فقال له: «أما والله لئن مات عمار من ضربه هذا، لأقتلن به رجلاً عظيماً من بني أمية». الإمامة والسياسة: ٥١/١. وخالد بن الوليد، كان مع أبيه في عدائه للنبي صلى الله عليه وآله، وأحد الذين انتدبهم قريش لقتل النبي صلى الله عليه وآله ليلة الهجرة عندما بات علي عليه السلام في فراشه: «فلما بصر بهم

علي قد انتصوا السيوف وأقبلوا عليه بها، يقدمهم خالد بن الوليد بن المغيرة، وثب به عليٌّ فختله وهمز يده فجعل خالد يقمص قِمَاصَ البكر. أمالي الطوسي/٤٦٧.

ومعنى يقمص قِمَاصَ البكر: يصيح كالجمل الصغير. وشارك مع إخوته في بدر فنجاً، وقُتل أخوه أبو قيس، وأسر أخوه الوليد بن الوليد. شرح النهج: ٢٠٣/١٤. وكان خالد أحد قادة المشركين في أُحد، وسبباً في هزيمة المسلمين بعد انتصارهم عندما اغتتم مع عكرمة وضرار فرصةً وهاجموهم من خلفهم.

وأسلم خالد بعد صلح الحديبية هو وعمرو بن العاص لما رأيا أن ميزان القوة تحول إلى جانب النبي ﷺ فقال: إني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكرًا! «ابن هشام: ٧٤٨/٣» فجاء إلى المدينة هو وعمرو بن العاص وأسلما. وبعد فتح مكة شارك مع قريش إلى جانب النبي ﷺ في حرب حنين، وكان أول المنهزمين.

وبعد فتح الطائف وخضوع ثقيف، أراد خالد أن يستوفي ربا أبيه من ثقيف فمنعه النبي ﷺ. «المنق/٢٠٣. والحدائق: ٢٢٢/١٩»، ثم طال بهم به، فشكاه الثقيفون إلى النبي ﷺ فنزلت الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. «عمدة القاري: ٢٠١/١١ وجواهر الكلام: ٢٢٩/٢٣». فأكد النبي إلغاء ربا الجاهلية.

ي. عمل خالد مع اليهود والطلاق لأخذ خلافة النبي ﷺ، وكان في من هاجموا بيت علي وفاطمة ﷺ وهددوهم بحرق البيت عليهم إن لم يبايعوا! وأرسله أبو بكر لإخضاع مالك بن نويرة رئيس عشيرة من بني تميم، الذي عينه النبي ﷺ مسؤولاً عن صدقات قومه، فلما بلغه وفاة النبي ﷺ جاء إلى المدينة:

قال ابن شاذان في الفضائل/٧٦: «فدخل يوم الجمعة وأبو بكر على المنبر يخطب بالناس فنظر إليه وقال: أخو تميم؟ قالوا: نعم. قال: فما فعل وصي رسول الله الذي أمرني بموالاته؟ قالوا: يا أعرابي، الأمر يحدث بعده الأمر! قال: بالله ما حدث شيء وإنكم قد ختمتم الله ورسوله! ثم تقدم إلى أبي بكر وقال: من أراك هذا المنبر ووصي رسول الله جالس؟ فقال أبو بكر: أخرجوا الأعرابي البوال على عقبه من مسجد

رسول الله! فقام إليه قنفذ بن عمير وخالد بن الوليد، فلم يزالا يلكران عنقه حتى أخرجاه! فركب راحلته وأنشأ:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا  
إذ مات بكر قام عمر ومقامه  
فيأقوم ما شأني وشأن أبي بكر  
فتلك وبيت الله قاصمة الظهر  
يدب ويغشاه العشار كأنما  
يجاهد جمأ أو يقوم على قبر  
فلوقام فينا من قريش عصابة  
أقنا ولكن القيام على جمر

قال فلما استتم الأمر لأبي بكر وجه خالد بن الوليد، وقال له: قد علمت ما قاله مالك على رؤس الشهداء، ولست آمن أن يفتق علينا فتقاً لا يلتئم، فاقته! فحين أتاه خالد ركب جواده وكان فارساً يعد بألف، فخاف خالد منه فأمنه وأعطاه الموائيق، ثم غدر به بعد أن ألقى سلاحه فقتله وأعرس بامرأته في ليلته!

ك. ضخموا دور خالد في الفتوحات، ونسبوا إليه بطولات غيره، وقد بينا بعض مكدوباتهم في كتاب: قراءة جديدة في حروب الردة، والفتوحات.

ل. كان عمر بن الخطاب يبغض خالد بن الوليد، لأن خالداً كسر ساقه، فكان

عمر يخوي، أي يفحج في مشيه كل عمره. النهاية: ١٣١/٧ وتفسير الطبري: ٧٩/٢. وكان خالد يرى نفسه أنه ابن أكبر شخصية في قريش، وأن عمر مغمور ومن قبيلة مغمورة، ويرى أن عمر ن يعمل مبرطشاً أي دلال كراية حمير وإبل. «نهاية ابن الأثير» ١١٩/١ وتاج العروس ٥٨/٩. وكان عمر قبل ذلك خادماً لأخ خالد عمارة بن الوليد في سفره إلى الشام، فغضب عليه عمارة وأراد أن يقتله. المنق/ ١٣٠. وأول عمل قام به عمر لما صار خليفة أنه عزل خالداً، وكتب لأبي عبيدة بن الجراح إن لم يتراجع عن تحقره لأم عمر ونفيها من بني مخزوم، أن يعزله ويقاسمه كل ما يملك، فأبى خالد فعزله وقاسمه حتى أخذ «فردة» نعله وترك له الثانية! وعاش خالد بقية حياته في حمص، ولما مات منع عمر البكاء عليه. م. برز من أولاد خالد عبد الرحمن وكان قائداً جيش معاوية في صفين،



وأحبه أهل الشام فطلبوا من معاوية أن يجعله ولي عهده، فقتله معاوية بالسم على يد طبيب مسيحي، فجاء أخوه المهاجر من مكة وأخذ بشأره. وكان المهاجر شيعياً شهد مع علي عليه السلام حرب الجمل وصفين، وله أولاد شيعة. «الاستيعاب: ١٤٥٣/٤». وقيل مات في طاعون عمواس عشرون شخصاً من ولد الوليد بن المغيرة. لكننا نشك في موته بالطاعون، فلعله بسم معاوية، مثل بلال وأصحابه الثلاثين الذين كتبوا إلى عمر بفساد معاوية، وكان عمر يدعو عليهم في صلاته، فاستجاب الله دعاءه ودعاء معاوية وماتوا جميعاً في تلك السنة! الإستيعاب: ١٧١١/٤.

### ٧- إهلاك المستهزئين غَيْرَ مِيزَانِ الْقُوَّةِ لِصَالِحِ النَّبِيِّ ﷺ

كان إهلاك المستهزئين الخمسة قوة لأبي طالب عليه السلام، فقوى عزيمته بني هاشم في حماية النبي ﷺ. ومما يدل على ذلك موقف حمزة القوي الذي تحدى به أبا جهل رئيس مخزوم وضربه على رأسه بقوسه، وأعلن إسلامه!

وكذلك مواقف أبي طالب في حماية النبي ﷺ التي تحدى فيها قريشاً وأذلاً!

منها: ما رواه الكافي: ٤٤٩/١، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «بيننا النبي ﷺ في المسجد الحرام وعليه ثياب له جدد، فألقى المشركون عليه سلا ناقة فملئوا ثيابه بها، فدخله من ذلك ما شاء الله، فذهب إلى أبي طالب فقال له: يا عم كيف ترى حسبي فيكم؟ فقال له: وماذا يا ابن أخي؟ فأخبره الخبر، فدعا أبو طالب حمزة وأخذ السيف، وقال لحمزة: خذ السلا! «الفرث والدم» ثم توجه إلى القوم والنبي معه، فأتى قريشاً وهم حول الكعبة، فلما رأوه عرفوا الشر في وجهه، ثم قال لحمزة: أمر السلى على سببهم «سواربهم» ففعل ذلك حتى أتى على آخرهم!

ثم التفت أبو طالب إلى النبي ﷺ فقال: يا ابن أخي هذا حسبك فينا!

وروت المصادر القصة بصيغ مشابهة وفيها أبيات لأبي طالب عليه السلام، وكرواية السيد فخار بن معد في كتابه الحججة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب/٣٤٦، عن الأصعب بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «مر رسول الله ﷺ بنفر من قريش وقد نحرُوا جزوراً

وكانوا يسمونها الظهيرة ويذبحونها على النصب فلم يسلم عليهم، فلما انتهى إلى دار الندوة قالوا: يمر بنا يتيم أبي طالب فلا يسلم علينا! فأيكم يأتيه فيفسد عليه مصلاه؟ فقال عبدالله بن الزبير السهمي: أنا أفعل، فأخذ الفرث والدم فأنتهى به إلى النبي ﷺ وهو ساجد فملاً به ثيابه ومظاهره، فانصرف النبي حتى أتى عمه أباطالب فقال: يا عم من أنا؟ فقال: ولم يا بن أخ؟ فقص عليه القصة، فقال: وأين تركتمهم؟ فقال: بالأبطح، فنادى في قومه: يا آل عبدالمطلب يا آل هاشم، يا آل عبدمناف، فأقبلوا إليه من كل مكان مُلَبَّين قال: كم أنتم؟ قالوا: نحن أربعون قال: خذوا سلاحكم فأخذوا سلاحهم وانطلق بهم حتى انتهى إلى أولئك نفر، فلما رأوه أرادوا أن يفرقوا فقال لهم: ورب هذه البنية لا يقوم من منكم أحد إلا جللته بالسيف! ثم أتى إلى صفاة كانت بالأبطح فضربها ثلاث ضربات، حتى قطعها ثلاثة أفهار «أحجار» ثم قال: يا محمد سألتني من أنت ثم أنشأ يقول ويومي بيده إلى النبي ﷺ:

أنت النبي محمد	قَرْمٌ أَعْرُ مُسَوِّدٌ
لمسوّدين أكارم	طابوا وطاب المولد
نعم الأرومة أصلها	عمرو الخضم الأوحـد
هشم الربيكة في الجفان	وعيش مكة أنكـد
فجرت بذلك سنة	فيها الخبيزة تشرـد
ولنا السقاية للحجيج	بها يمات العنجـد
والمأزمان وما حوت	عرفاتها والمسجـد
أنى تضام ولم أمت	وأنا الشجاع العريـد
وبطاح مكة لا يرى	فيها نجيع أسود
وبنو أبيك كأنهم	أسدُ العرين توقـد
ولقد عهدتك صادقاً	في القول لا تتزيـد

مازلت تنطق بالصواب وأنت طفل أمرد

ثم قال: يا محمد أيهم الفاعل بك؟ فأشار النبي ﷺ إلى عبد الله بن الزبير السهمي الشاعر، فدعاه أبو طالب فوجأ أنفه حتى أدماها، ثم أمر بالفرت والدم فأمر على رؤس الملا كلهم! ثم قال: يا ابن أخ أَرْضِيت؟ ثم قال: سألتني من أنت؟ أنت محمد بن عبد الله، ثم نسبه إلى آدم، ثم قال: أنت والله أشرفهم حساباً وأرفعهم منصباً. يا معشر قريش من شاء منكم يتحرك فليفعل أنا الذي تعرفوني!

ورواه في شرح النهج: ١٤/٧٧، البحار: ٣٥/١٦٤ والغدير: ٧/٣٨٨، وثمرات الأوراق بهامش المستطرف:

٣/٢، كما في حياة أمير المؤمنين. والريكة: طعام من تمر وأقط وسمن. والنعجد: الزبيب.

وروى في التوحيد/١٥٨، تفسير الإمام الباقر عليه السلام للبيتين الأخيرين، قال: «يَكَادُ زَيْنُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمَسَّهُ نَارٌ». قال: يكاد العالم من آل محمد عليه السلام يتكلم بالعلم قبل أن يسأل. نُورٌ عَلَى نُورٍ: يعني: إماماً مؤيداً بنور العلم والحكمة في إثر إمام من آل محمد وذلك من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة. فهؤلاء الأوصياء الذين جعلهم الله عز وجل خلفاءه في أرضه وحججه على خلقه، لا تخلو الأرض في كل عصر من واحد منهم. يدل على صحة ذلك قول أبي طالب في رسول الله ﷺ: أنت الأمين محمد.. الأبيات.. يقول: ما زلت تتكلم بالعلم قبل أن يوحى إليك، وأنت طفل كما قال إبراهيم عليه السلام وهو صغير لقومه: إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ. وكما تكلم عيسى عليه السلام في المهدي فقال: إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا.. الآية..».

ومنها: ما رواه في كنز الفوائد/٧٤، قال: «ومن ذلك أن أبا جهل جاء إلى النبي ﷺ ومعه حَجَرٌ يريد أن يرميه به إذا سجد، فلما سجد رسول الله ﷺ رفع أبو جهل يده فيبست على الحجر، فرجع فقالوا له: أجبنت؟ قال: لا، ولكن رأيت بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه! وهذا الحديث مشهور وفيه يقول أبو طالب عليه السلام:

أفيقوا بني غالب وانتهوا عن الغي من بعض ذا المنطق

وإلا فإني إذن خائف بوائق في داركم تلتقي

تكون لغيركم عبرة      ورب المغارب والمشرق  
كما ذاق من كان من قبلكم      ثمود وعاد فمن ذا بقي  
غداة أتاهم بها صرصر      وناقاة ذي العرش قد تستقي  
فحل عليهم بها سخطة      من الله في ضربة الأزرق  
غداة يعرض بعرقوبها      حساما من الهند ذارونق  
وأعجب من ذلك في أمركم      عجائب في الحجر الملتصق  
بكف الذي قام من خبثه      إلى الصابر الصادق المتقي  
فأثبتته الله في كفه      على رغبة الجائر الأحمق  
أحيمق مخزومكم إذ غوى      لغبي الغواة ولم يصدق»

ورواه الحميري في قرب الإسناد/٣١٧، بسند صحيح. والإحتجاج: ٣٤٣/١، وشرح النهج: ٧٤/١٤.  
ومن عجيب ما تراه في نسخة سيرة ابن إسحاق ١٩٣/٤ أن بعضهم زعم أن هذه الأبيات لعمر بن الخطاب، مع أن عمر لم يقل الشعر! قال: «قال عمر بن الخطاب فيما يزعمون بعد إسلامه، يذكر ما رأت قريش من العبرة فيما كان أبو جهل هم به من رسول الله وقائل يقول قالها أبو طالب، والله أعلم بمن قالها!»  
ونلاحظ في شعر أبي طالب توبيخه لزعماء قريش عامة، ولأبي جهل خاصة، وهذا أشد عليهم من ضربة حمزة له في نادي قريش، مما يعني أن ميزان القوة بعد هلاك الفراعة الخمسة مال بشكل واضح لمصلحة النبي ﷺ، فقد انخزل زعماء قريش وسكتوا أمام ما فعله حمزة وما فعله أبو طالب، وما فعله علي ؑ الذي: «كان يقضم آذان صبيانهم وأنوفهم! فكانوا يرجعون باكين إلى آبائهم ويقولون: قضمنا عليّ، قضمنا علي. تفسير القمي: ١١٤/١! ويسكت الآباء على فعل علي ؑ!»  
ومنها: أن أحد أعيان بني مخزوم أسلم، فبادر بنو مخزوم ورئيسهم أبو جهل ليؤذوه، فتدخل أبو طالب ؑ وخلصه من تعذيبهم لأن أمه من بني هاشم!»  
ففي سيرة ابن إسحاق ١٤٥/٢: «عَدْتُ قريش على من أسلم منهم فأوثقوه

وآذوه، واشتد البلاء عليهم وعظمت الفتنة فيهم وزلزلوا زلزلاً شديداً، وعدت بنو  
جمح على عثمان بن مظعون، وفرَّ أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر  
بن مخزوم إلى أبي طالب ليمتنعه وكان خاله، فجاء بنو مخزوم لياخذوه فمنعهم فقالوا:  
يا أبا طالب منعت منا ابن أخيك أمتنع منا ابن أختينا؟ فقال أبو طالب: أمتنع ابن أختي  
مما أمتنع ابن أخي! فقال أبو هب - ولم يتكلم بكلام خير قط ليس يومئذ-: صدق  
أبو طالب لا يسلمه إليكم! فطمع فيه أبو طالب حين سمع منه ما سمع ورجا نصره  
والقيام معه، فقال شعراً استجلبه بذلك:

وإن امرأ أبو عتيبة عمه	لفي روضة من أن يسام المظالم
أقول له وأين مني نصيحتي	أبا معتب ثبت سوادك قائماً
ولا تقبلن الدهر ما عشت خطة	تسب بها أما هبطت المواسم
[وول سبيل العجز غيرك منهم	فإنك لم تخلق على العجز لازماً]
وحارب فإن الحرب نصف ولن ترى	أخا الحرب يعطي الضيم إلا يسالما
وولى سبيل العجز غيرك منهم	فإنك لن تلحق على العجز لازماً]
[وكيف ولم يجنوا عليك عظيمة	ولم يخذلوك غانماً أو مغارماً]
[جزى الله عنا عبد شمس ونوفلاً	وتيمماً ومخزوماً عقوقاً ومأمناً]
[بتفريقهم من بعد ود وألفة	جماعتنا كيما ينالوا المحارماً]
[كذبتهم وبيت الله يُبزي محمداً	ولما تروا يوماً لدى الشعب قائماً]]

أقول: ما بين المعقوفين من نسخة ابن هشام: ٢٤٨/١ مع أنه نقلها عن ابن إسحاق،  
وليست في نسخته التي بأيدينا، فدل على أنها ناقصة أو محرفة!  
وقال ابن هشام: «وبقي منها بيت تركناه». والبيت الذي حذفه رواه القاضي النعمان  
في المناقب/١٢٣، قال: «فقام إليهم أبو هب فقال: قد والله أكثرتم على هذا الشيخ! ما  
تزالون تؤثبون عليه في جواره من بين قومه، والله لتنتهن عنه أو لنقومن معه فيما قام  
حتى يبلغ ما أراد! فقالوا: بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة. وخافوا أن يجتمع أمره مع

أبي طالب فيعظم الأمر عليهم، ولم يكن من أبي لهب قبل ذلك خيراً. فلما سمع منه أبو طالب ما سمع طمع فيه فقال.. وروى البيت الذي حذفه ابن هشام:  
أطاعوا ابن ذكوان وقيساً وذيْسماً فضلوا وذاقوا بالجميع المياسماً.

وقال: يعني بابن ذكوان: عقبة بن أبي معيط. وذيْسَم: الوليد بن المغيرة. وقيس: قيس بن عاقل». والدَّيْسَم: ابن الذئب من الكلبة! لسان العرب: ٢٠١/١٢.  
وكان أبو طالب عليه السلام يطعن في نسب الوليد بن المغيرة، وقد صدَّقه الله تعالى فوصفه في سورة القلم بأنه: مَتَّاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٌ. عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْنِمْ. «فتح الباري ٥٠٧/٨».  
أي دعي ملحق بأبيه وليس له! العين: ٣٧٥/١.

فترك ابن هشام هذا البيت ليغطي على أصل الذين حكموا هذه الأمة المسكينة! ومنه تعرف لماذا يكرهون شعر أبي طالب عليه السلام! ويظهر أن قيس بن عاقل كان رئيس بني جمح، فقد ذمهم أبو طالب ووصفهم بأنهم عبيده. ابن هشام: ١٧٩/١.

كما يظهر أن ابن أبي معيط الأموي كان له تأثير على أبي سفيان وبني أمية عامة في عداوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ونسبوا آل معيط إلى ذكوان بن أمية، وقال عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم:  
«ما أنت وقريش، وهل أنت إلا يهودي من صفورية؟!» البكري: ١٣١/٣.

ومنها: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان أحياناً يذهب بعد هلاك المستهزئين إلى المسجد وحده بدون حراسة، كما دل حديث إعلان حمزة إسلامه عندما استفرد به أبو جهل وشمته! وكما دل تحريكهم الأولاد ليؤذوه في طريق ذهابه، أو عودته!  
روى في تفسير القمي: ١١٤/١، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سئل عن معنى قول طلحة بن أبي طلحة لما بارزه علي: يا قضم، قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان بمكة لم يجسر عليه أحد لموضع أبي طالب وأغروا به الصبيان، وكانوا إذا خرج رسول الله يرمونه بالحجارة والتراب، فشكى ذلك إلى علي فقال: بأي أنت وأمي يا رسول الله إذا خرجت فأخرجني معك، فخرج رسول الله ومعهم أمير المؤمنين فتعرض الصبيان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كعادتهم فحمل عليهم أمير المؤمنين وكان يقضمهم في وجوههم وأناقهم وأذانهم! فكانوا يرجعون باكين إلى آبائهم

ويقولون: قضمنا عليّ، قضمنا علي! فسمي لذلك: القضم».

وفي نهاية ابن الأثير: ٤٠٢/١ و ٧٨/٤: «ومنه حديث علي رضي الله عنه: كانت قريش إذا رآته قالت: إحذروا الخطم، إحذروا القضم! أي الذي يقضم الناس فيهلكهم». وفي أدب الكاتب لابن قتيبة/١٧١: «الْحَضْمُ بالفم كله، والقَضْمُ بأطراف الأسنان. قال أبو ذر رضي الله عنه: تَحَضُّمُونَ وَتَقَضُّمُونَ، وَالْمَوْعِدُ اللهُ».

ويظهر أن النبي صلّى الله عليه وآله كان أغلب الأحيان يتحرك إلى المسجد بحراسة ويصلي فيه، ويتلو القرآن بصوت هادئ أو مرتفع أحياناً، ويدعو الناس إلى الإسلام علناً. كما كان يذهب إلى القبائل في موسم الحج، وفي عمرة رجب، وسوق عكاظ، يعرض عليهم أن يذهب إلى بلادهم فيحموه حتى يبلغ رسالة ربه، فكانوا يرفضون ذلك خوفاً من قريش، أو يشرطون عليه أن يكون الأمر لهم من بعده، فيجيبهم إن الأمر لله وقد وضعه في أهله، ويطلب منهم أن يبايعوه على أن لا يئازعوا الأمر أهله.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
أَنْزَلَ هَذِهِ السُّورَةَ  
وَعَلَّمَ قُلُوبَنَا لَهَا

## الفصل التاسع عشر

### تعذيب المسلمين في مكة

#### ١. ملاحظات حول المعذبين لإسلامهم

أ. كان الخطر على من يُسلم محصوراً بعشيرته التي هو منها بالولادة أو بالتحالف أو بالعبودية، ولا شغل للمجتمع أو للعشائر الأخرى به. لذلك كانت صعوبة الإستجابة للنبي ﷺ والدخول في الإسلام، تختلف من شخص إلى آخر.

فالذين لاقوا الأذى والتعذيب لاقوه من عشائرتهم، أما الذي لا خطر عليه من عشيرته لمكانته فيها، أو لضعف مركزية شيخها، أو لقلتها وذلتها، فلم يكن عليه خطر إن أسلم.

وهناك حالات فردية مثل نوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، ابن العدوية، وقد ربط أبا بكر وطلحة وكانا يعذبها وهما من قبيلة تيم، ولا تجرؤ قبيلتهما على فك حبلهما لأنه كان فاتكاً شريراً، قال ابن سعد: ٢/٢١٥: «فلما أسلم أبو بكر وطلحة بن عبيد الله أخذهما نوفل بن خويلد ابن العدوية، فشدّهما في حبل واحد ولم يمنعها بنو تيم! وكان نوفل بن خويلد يدعى أسد قريش، فلذلك سمي أبو بكر وطلحة القرينين». راجع: ابن هشام: ١/١٨١ والإصابة: ٦/٧٧.

وهذا يدل على ضعف بني تيم المفرط! وكان ابن العدوية هذا في معركة بدر يصيح ويرعد، فقال النبي ﷺ: اللهم اكفني شر ابن العدوية، فقتله علي عليه السلام.

ب. بالغ بعض الرواة في الأذى والتعذيب الذي تعرض له بعض المسلمين الأوائل رضوان الله عليهم، وكثرت أكاذيب رواة السلطة في عدد المعذبين وأنواع تعذيبهم ومدته، ليثبتوا



فضائل للحاكم ومؤيديه!

فتراهم مثلاً يدعون أن أبا بكر أسلم قبل هلاك المستهزئين، وأن عشيرته حتمته فلم يكن بحاجة إلى جوار أحد ولا للهجرة.

ثم يتحدثون عن فضائل المعذيين في سبيل الله فيعدون أبا بكر منهم، ويقولون إن ابن العدوية كان يربطه بحبل مع طلحة فسميا القرينين. ابن هشام: ١٨١/١.

وفي الإصابة: ٧٧/٦، أن شخصاً آخر كان يربطها!

ثم يتحدثون عن فضائل الهجرة فيقولون إن أبا بكر هاجر إلى اليمن خوفاً من قريش، فأجاره رئيس الأحابيش. ابن هشام: ٢٤٩/١.

وقد انحصر تعذيب قريش للمسلمين بأفراد لا يصل عددهم إلى العشرين، كما أن الذين هاجروا إلى الحبشة لا يبلغون مئة نفر.

**ج. ومع مبالغتهم في تعذيب المسلمين أخفوا أسماء من عدَّهم، فصرت تقرأ في**

رواياتهم وصفاً لتعذيب فلان بدون إسم من ارتكب ذلك، لأنَّ المعذب وأبناءه صاروا من المسؤولين بعد النبي ﷺ فسجل رواة الحكومة جرائمهم ضد مجهول! وذكروا على حياء إسم عمر، وأنه كان يعذب جارية سوداء لأحد بني عدي!

**د. بدأت مرحلة الدعوة العامة في السنة الثالثة، وفيها بدأ تعذيب بعض المستضعفين، ولا نجد حادثة اعتداء وتعذيب لمسلم قبلها إلا على أبي ذرؓ عندما أعلن إسلامه في المسجد، ودعا قريشاً إلى الإسلام.**

وبعد أن أهلك الله المستهزئين وصدع النبي ﷺ بالدعوة العامة، أخذ بعض الشباب والعييد يسلم علناً أو يسلم سراً فيكتشفون إسلامه ويؤذونه، ويأدر أبو أحيحة إلى اضطهاد ابنه خالد بن سعيد، وأبو جهل إلى اضطهاد عائلة ياسر حليف مخزوم، ولم يرد ذكر للوليد بن المغيرة في تعذيبهم مع أنهم كانوا تحت يده، فيكون إسلامهم أو اكتشاف إسلامهم بعد موت الوليد، رئيس المستهزئين.

وقد أوجزت رواية المناقب: ٥٣/١، عن كتاب النبوة للصدوقؒ عن الإمام زين العابدينؑ، مفاوضة زعماء قريش مع النبي ﷺ وعمه أبي طالب،

الكتاب  
النبوة  
المناقب

وذكرت أن التعذيب وقع بعدها، قال عليه السلام: «اجتمعت قريش إلى أبي طالب ورسول الله ﷺ عنده فقالوا: نسألك من ابن أخيك النصف، قال: وما النصف منه؟ قالوا: يكف عنا ونكف عنه فلا يكلمنا ولا نكلمه ولا يقاتلنا ولا نقاتله، إلا أن هذه الدعوة قد باعدت بين القلوب وزرعت الشحناء وأنبت البغضاء! فقال: يا ابن أخي أسمع؟ قال: يا عم لو أنصفتي بنو عمي لأجابوا دعوتي وقبلوا نصيحتي، إن الله تعالى أمرني أن أدعو إلى دينه الحنيفية ملة إبراهيم، فمن أجابني فله عند الله الرضوان والخلود في الجنان، ومن عصاني قاتلته حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين. فقالوا: قل له يكف عن شتم آلهتنا فلا يذكرها بسوء، فنزل: **قُلْ أَقْعَبَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ**. قالوا: إن كان صادقاً فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر، فإن وجدناه صادقاً آمننا به، فنزل: **مَا كَانَتْ لَإِلَهِهِ لِيَدْرَأَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**.

قالوا: والله لنشتمنك وإلهك، فنزل: **وَأَنْطَلِقُ الْمَلَائِكَةُ أَنْ تَنْشَأُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ**. «صاد ٦/». قالوا: قل له فليعبد ما نعبد ونعبد ما يعبد، فنزلت سورة الكافرين. فقالوا قل له: أرسله الله إلينا خاصة أم إلى الناس كافة؟ قال: بل أرسلت إلى الناس كافة إلى الأبيض والأسود، ومن على رؤس الجبال ومن في لجج البحار، ولأدعون إليه فارس والروم: **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**. «الأعراف / ١٥٨». فتجبرت قريش واستكبرت وقالت: والله لو سمعت بهذا فارس والروم لاختطفتنا من أرضنا ولقلعت الكعبة حجراً حجراً، فنزل: **وَقَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَنَا كَنُحُظَّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُنَجِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا**. وقوله: **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلْنَا رَبُّنَا كَيْفَ فَعَلْنَا رَبُّنَا بِأَصْحَابِ الْبَيْتِ**. فقال مطعم بن عدي: والله يا أبا طالب لقد أنا مفك قومك وجهدوا على أن يتخلصوا مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً! فقال أبو طالب: والله ما أنصفوني ولكنك قد اجتمعت على خذلاني ومظاهرة القوم عليّ، فاصنع ما بدالك، فوثبت كل قبيلة على ما فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم.. وقدم قوم من قريش من الطائف وأنكروا ذلك. ووقعت

فتنة، فأمر النبي المسلمين أن يخرجوا إلى أرض الحبشة».

وقال ابن إسحاق: ١٢٨/٢: «ثم إن قريشاً توامروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله منهم رسوله بعمه أبي طالب».

## ٢. أسماء المعذبين

١- ٤. آل ياسر: ياسر وزوجته سمية وابناهما عمار وعبدالله. وهم من قبيلة عُنس، فرع من قبيلة مراد اليمانية، وقد سكن ياسر مكة وتحالف مع قبيلة مخزوم، فلما أسلموا قتل أبوجهل ياسر تحت التعذيب فهو أول شهيد في الإسلام، كما قتل زوجته سمية فهي أول شهيدة في الإسلام، طعنها بحربة في قلبها فقتلها! ومات ابنها عبدالله بمكة وربما من التعذيب، وشددوا العذاب على عمار بوضع الصخرة على صدره ورمسه بالماء، وقالوا لا تركك حتى تسب محمداً وتقول في اللات والعزى خيراً، ففعل فتركوه، فأتى النبي يبكي فقال: ما وراءك قال شرُّ يا رسول الله، كان الأمر كذا وكذا! قال: فكيف تجد قلبك؟ قال: أجده مطمئناً بالإيمان. فأنزل الله تعالى: **إِلَٰمَنَ أُنْكِرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ**.

وهاجر عمار وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ، واستشهد مع علي بن أبي طالب بصفين وعمره بضع وتسعون سنة! الإستيعاب: ١٠٠١/٣ و قاموس الرجال: ٢٨١/١٢.

وفي غوالي اللثالي: ١٠٤/٢: «فأما عمار فإنه أعطاهم بلسانه كل ما أرادوا منه، وأما أبواه فامتعا فقتلا.. وجاء عمار وهو يبكي فقال له النبي ﷺ: ما خبرك؟ فقال: يا رسول الله ما تركت حتى نلت منك وذكرت آهنتهم بخير، فصار رسول الله ﷺ يمسح عينيه ويقول: إن عادوا لك، فعُدْ لهم بما قلت».

وفي الكافي: ٢١٩/٢ وقرب الإسناد: ١٢، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «فأنزل الله عز وجل فيه: **مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ**. فقال له النبي ﷺ: يا عمار إن عادوا فعد. فقد أنزل الله عز وجل عذرك، وأمرك أن تعود إن عادوا».

ومن معجزات النبي ﷺ وكرامة عمار رضي الله عنه أن قريشاً ألقته في النار فقال النبي ﷺ: «يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنت برداً وسلاماً على إبراهيم! فلم تصله النار ولم يصله منها مكروه! وقتلت قريش أبويه ورسول الله ﷺ يقول: صبر آل ياسر موعدكم الجنة».

وقال رضي الله عنه في عمار: «ما تريدون من عمار! عمار مع الحق والحق مع عمار حيث كان. عمار جلدة بين عيني وأنفي، تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار». رجال الطوسي: ١٢٧/١، معجم الحديث: ٢٨٤/١٣ والطبقات: ٢٤٨/٣.

٥. حَبَابُ بن الأرت التميمي، كان أبوه من سواد الكوفة فسباه قوم من ربيعة وباعوه من سباع بن عبد العزى الخزاعي الذي قتله حمزة في أحد. ابن إسحاق: ٣٠٨/٣. وكانوا يعذبونه عذاباً شديداً فيلصقون ظهره بالرمضاء، ثم بالرضف وهي الحجارة المحاة بالنار، ولووا رأسه، فلم يجيبهم إلى شيء مما أرادوا! وهاجر وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ونزل الكوفة ومات فيها سنة ست وثلاثين، وأوصى أن يدفن بظهر الكوفة.

وأبنته أمير المؤمنين عليه السلام: «يرحم الله حباب بن الأرت فلقد أسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وقنع بالكفاف ورضي عن الله، وعاش مجاهداً». نهج البلاغة: ١٣/٤، ومعجم رجال الحديث: ٤٧/٨، الكامل: ٦٧/٢ والطبقات: ١٦٤/٣.

٦. بلال بن رباح الحبشي. كان غلاماً لأمية بن خلف الجمحي، وكان أمية يعذبه ويلقيه في الظهيرة في الرمضاء على وجهه وظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتلقى على صدره، ويقول لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعد اللات والعزى. «الكامل ٦٦/٢». وزعم رواية السلطة أن أبا بكر اشتراه واشترى غيره من العبيد المعذبين، ورد ذلك نقاد الحديث. الصحيح من السيرة: ٨٩/٣.

٧. صهيب بن سنان الرومي ولم يكن رومياً ونسب إليهم لأنهم سبوه وباعوه، وقالوا هو نمري من قبيلة نمر بن قاسط، ولعله مولا هم. الصحاح: ٨٢٧/٢.

قالوا إنه عذب عذاباً شديداً، ولما أراد الهجرة منعته قريش فافتدى نفسه منهم بهاله. وكان يحب عمر فأوصى عمر أن يصلي بالناس حتى يستخلف أهل الشورى. وتوفي بالمدينة سنة ثمان وثلاثين وعمره سبعون سنة. الكامل: ٦٨/٢.

٨. عامر بن فهيرة غلام الطفيل بن عبد الله الأزدي، والطفيل أخ عائشة لأما أم رومان، قالوا إنه عذب لإسلامه ولا يصح ذلك، وكان أسود يرعى غنماً لسيده وأخذه النبي ﷺ مع أبي بكر في هجرته، وشهد بدرأً وأحدأً، واستشهد يوم بئر معونة، وله أربعون سنة. «الكامل: ٦٨/٢». وسيأتي ذكره في هجرة النبي ﷺ.

٩. أبو فكيهة واسمه أفلح وقيل يسار، وكان عبداً لصفوان بن أمية بن خلف الجمحي، أسلم مع بلال فأخذه سيده أمية وربط في رجله حبلاً وجره، ثم ألقاه في الرمضاء، ومَرَّ به جُعل «حَسْرَة» فقال له أمية: أليس هذا ربك؟! فقال: الله ربي وربك ورب هذا، فخنقه خنقاً شديداً، ومعه أخوه أبي بن خلف يقول: زده عذاباً حتى يأتي محمد فيخلصه بسحره! وهاجر ومات قبل بدر. الكامل: ٦٨/٢.

١٠. لبينة جارية بني مؤمل بن حبيب، كان عمر يعذبها حتى يتعب فيدعها ويقول: إنني لم أدعك إلا سامة! فتقول كذلك يفعل الله بك! الكامل: ٦٩/٢.

١١. زنيرة وكانت لبني عدي وكان عمر يعذبها. وقيل كانت لبني مخزوم وكان أبو جهل يعذبها حتى عميت فقال لها: إن اللات والعزى فعلا بك. فقالت: وما يدري اللات والعزى من يعبدهما! ولكن هذا أمر من السماء وربِّي قادر على رد بصري فأصبحت من الغد وقد رد الله بصرها! فقال: هذا من سحر محمد! الكامل: ٦٩/٢.

١٢. أم عبيس، أمة لبني زهرة، كان الأسود بن عبد يغوث يعذبها. الكامل: ٧٠/٢.

١٣. مصعب بن عمير العبدي، ففي الطبقات: ١١٦/٣ والإستيعاب: ١٤٧٤/٤ أنه أسلم في دار الأرقم: «وكنتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه، فكان يختلف إلى رسول الله سراً، فبصر به عثمان بن طلحة يصلي، فأخبر به قومه وأمّه، فأخذوه وحبسوه فلم يزل محبوباً إلى أن خرج إلى أرض الحبشة».

١٤. أهمل رواة السلطة عدداً أسلموا ثم ارتدوا تحت ضغط قبائلهم أو تعذيبهم، ومنهم من خرج مع المشركين إلى بدر وقاتل معهم وقتل! لأنهم أولاد زعماء المشركين، الذين حكموا بعد النبي ﷺ أو صاروا ولاة، كأخ خالد بن الوليد! وفي إمتاع الأسماع: ١١٤/٩: «عُدَّ قوم لا عشائر لهم ولا مانع لهم، فبعضهم ارتد وبعضهم أقام على الإسلام، وبعضهم أعطى ما أريد منهم من غير اعتقاد منه للكفر، وكان قوم من الأشراف قد أسلموا ثم فتنوا، منهم سلمة بن هشام بن المغيرة، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص السهمي!»



## الفصل العشرون

### مكذوبات السلطة في دار الأرقم

#### من مكذوبات رواية السلطة في دار الأرقم

١. جعل رواية السيرة الحكومية دار الأرقم بن أبي الأرقم مرحلة في سيرة النبي ﷺ فقالوا: أسلم فلان قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وفلان في دار الأرقم، وفلان بعد دار الأرقم! وقالوا إن النبي ﷺ كان يستخفي مع أصحابه في شعاب مكة ثلاث سنين، يصلون ويعبدون ربهم، ثم اكتشفت قريش أمرهم فاشتبك معهم سعد بن أبي وقاص وجرح شخصاً منهم، لم يذكروا إسمه!

فاستخفوا بعدها في دار الأرقم المخزومي سنين، حتى أسلم عمر، فعزوا به بعد ذمهم، وخرجوا وأعلنوا إسلامهم! لكن قصة دار الأرقم مفتعلة بأصلها وفصلها!

٢. تقع دار الأرقم خلف الصفا بينها وبين شعب أبي طالب، فهي على يمين الخارج من المسجد نحو شعب أبي طالب، أو بيت خديجة ﷺ، وهي قريبة من مكان مولد النبي ﷺ الذي صار بعدها مكتبة مكة. وقد رأيتها قبل أن يهدموها وكانت مكتبة، ثم أزالوها مع الجبل المتصل بالصفا، فهي من ناحية أمنية لاتصلح للاختفاء من قريش ولا للتحصن، لأنها على مرأى الواقف في المسجد أو الذهاب إليه! فكيف تكون مقراً بعيداً عن عيون قريش!؟

٣. الأرقم من بني مخزوم، فهو أحد رعايا الوليد بن المغيرة رئيس مخزوم الذي هلك مع بقية المستهزئين في أواخر السنة الثالثة للبعثة، فصار الأرقم رعية أبي

جهل الذي صار بعد الوليد رئيس مخزوم، والذي قتل سمية وبأسراً، وعذب عماراً رضوان الله عليهم، فكيف يسكت على إسلام الأرقم، ويجهل جعل داره قرب المسجد قاعدة لمحمد ﷺ ومن آمن به؟!

٤. ثم إن الدار ليست للأرقم، بل لأبيه أبي الأرقم، ورووا أن النبي ﷺ كان في دار الأرقم فدعا الله أن يسلم أبو جهل أو عمر: «فكانت الدعوة يوم الأربعاء فأسلم عمر يوم الخميس، وكبر رسول الله ﷺ وأهل البيت تكبيرة فسمعت بأعلى مكة وخرج أبو الأرقم وهو أعمى كافر وهو يقول: اللهم اغفر لبيني غير الأرقم فإنه كفر! فقام عمر فقال: يا رسول الله على م نخفي ديننا ونحن على الحق ويظهروا دينهم وهم على الباطل؟ قال: يا عمر إنا قليل، قد رأيت ما لقينا! فقال عمر بن الخطاب: فوالذي بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلستُ فيه بالكفر إلا أظهرتُ فيه الإيمان! ثم خرج فطاف بالبيت ثم مر بقريش وهي تنتظره فقال أبو جهل بن هشام: يزعم فلان أنك صبوت؟ فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، فوثب المشركون إليه ووثب عتبة وبرك عليه فجعل يضربه وأدخل إصبعيه في عينيه، فجعل عتبة يصيح! فتنحى الناس فقام عمر وجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ بشريف من دنا منه حتى أعجز الناس! وأتبع المجالس التي كان يجالس فيها فيظهر الإيمان، ثم انصرف إلى النبي ﷺ وهو ظاهر عليهم.. فخرج رسول الله ﷺ وخرج عمر أمامه وحمزة بن عبد المطلب، حتى طاف بالبيت فصلى الظهر معلناً، ثم انصرف إلى دار الأرقم ومعه عمر. ثم انصرف عمر وحده». تاريخ دمشق: ٥٠٣/٣ والنهاية: ٤٢/٣.

وفي السيرة الحلبية: ٢١٧/٢، عن عمر أن النبي ﷺ سباه الفساروق يومئذ، لأنه فرق بين الحق والباطل! ثم ذكر: ٥٦٨/١ أن النبي ﷺ كان يستخفي في شعاب مكة ثلاث سنين فرأهم المشركون: «فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد بن أبي وقاص رجلاً منهم بلحى بعير فشججه.. ثم دخل ﷺ وأصحابه مستخفين في دار الأرقم أي بعد هذه الواقعة.. فكان



وأصحابه يقيمون الصلاة بدار الأرقم.. إلى أن أمره الله تعالى بإظهار الدين.. في السنة الرابعة وقيل مدة استخفائه أربع سنين وأعلن في الخامسة، وقيل أقاموا في تلك الدار شهراً، وهم تسعة وثلاثون!

ثم زعم الحلبي أنه بذلك يفسر كلام ابن إسحاق، مع أن ابن إسحاق لم يذكر دار الأرقم أبداً! وإنما ذكر أن عبد الله بن الأرقم أسلم مع عشان بن مظعون. ١٢٤/٢. وفي الطبقات: ٢٦٩/٣: «أسلم عمر بن الخطاب بعد أن دخل رسول الله دار الأرقم وبعد أربعين أو نيف وأربعين بين رجال ونساء قد أسلموا قبله، وقد كان رسول الله قال بالأمس: اللهم أيد الإسلام بأحب الرجلين إليك: عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام» أبي جهل «فلما أسلم عمر نزل جبريل فقال: يا محمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر!»

والنتيجة: أن دار الأرقم غير معقولة، لا في موقعها، ولا في أحداثها المروية، ولا في شخصية الأرقم صاحب البيت! وكان له أخ هو عبد الله لم يسلم ولم يهاجر معه، وبقي مع جده حتى كان من الطلقاء في فتح مكة! سيرة ابن كثير: ٦٨٧/٤.

٥. يظهر أن القصة نشأت من أن بيت أبي الأرقم قرب الصفا، وهو في طريق النبي ﷺ من بيته إلى المسجد، فلفقوا حوله القصص وجعلوه مقراً سرياً للنبي ﷺ أو مسجداً يجتمع فيه المسلمون حتى بلغوا أربعين شخصاً بعمر فأعلنوا إسلامهم! وغرضهم مدح عمر بن الخطاب وأنه أسلم قبل إسلامه، فعز به الإسلام بعد ذله ودخل مرحلة العلنية بعد مرحلته السرية. وكل ذلك لم يكن! وقد رد الصالح في سبل الهدى، ٣١٩/٢، قصة دار الأرقم، قال: ٢٣٠/٢: «وذكر إسلام عمر هنا غريب. والصحيح أنه أسلم بعد الهجرة الأولى إلى الحبشة».

٦. وروا أن عائشة قالت إن البطولة في دار الأرقم كانت لأبيها لا لعمر بن الخطاب! فقد روى في سبل الهدى: ٣١٩/٢ عن سليمان بن خيثمة، عن عائشة قصة طويلة تشهد على نفسها بالكذب، خلاصتها: أن المسلمين كانوا ثمانية عشر: «فألحَّ

البيت  
الهدى  
الهدى

أبو بكر على رسول الله في الظهور... فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله». وقام أبو بكر خطيباً «فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله ﷺ وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوهم في نواحي المسجد ضرباً شديداً، ووطئ أبو بكر وضرب ضرباً شديداً، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفين ويمرحهما لوجهه من على بطن أبي بكر، حتى ما يعرف وجهه من أنفه! وجاءت بنو تميم يتعادون «ولم تذكر اسم واحد منهم» فأجلت المشركين عن أبي بكر، وحملت بنو تميم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته، ثم رجعت بنو تميم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر، فجعل أبو حقافة وبنو تميم يكلمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلم في آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله! لكن نقول لعائشة: إن نوفل بن العدوية الأسدي وكان من شياطين قريش، ربط أبا بكر وطلحة بحبل وكان يعذبها لأنها أسلمت، فلم يجرؤ بنو تميم على فك حبلها!

٧. مشكلة هؤلاء الرواة أنهم يريدون إثبات بطولات لشخصيات السلطة،

فيقعون في التناقض ويخالفون منطق الأمور وثواب السيرة القطعية! فمن الثابت كما تقدم أن الدعوة العامة لم تكن ممكنة قبل إهلاك المستهزئين الخمسة ونزول قوله تعالى: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ. وعندما صدع النبي ﷺ بالدعوة العامة في السنة الثالثة وقفت قبائل قريش ضده ومنعت أبناءها وعبيدها من الإسلام، وكان أشدهم بنو مخزوم بقيادة أبي جهل، حتى قتل ياسراً وزوجته سمية رضي الله عنهما. ومن الثابت أن الهجرة إلى الحبشة كانت في السنة الخامسة، وحصار قريش للنبي ﷺ وبني هاشم كان في أواخر السادسة وأوائل السابعة، وأن إسلام عمر كان بعد الهجرة إلى الحبشة. فمتى كانت مرحلة دار الأرقم المزعومة؟ وكيف اكتشفت قريش تجمع المسلمين في شعاب مكة ولم ترهم في دار الأرقم الملاصقة للمسجد؟ وكيف سكنت على البطولات المزعومة لابن وقاص وابن الخطاب!؟

ولماذا لا نجد إسم الذي ضربه ابن وقاص فشجه، ولا إسم أحد من بني تيم الذين  
أنقذوا أبا بكر، وهددوا بني عبد شمس بقتل زعيمهم؟! إلى آخر المناقشات التي  
توهن أصل القصة! راجع: روضة الواعظين/٥٢، ابن هشام: ١٦٦/١ و٢٣، تاريخ دمشق: ٤٤/٤٤  
والصحيح من السيرة: ٤٣٣/٢ و٢٨٦/٧.



الكتاب  
التاريخ  
العقلى

## الفصل الحادي والعشرون

### هجرة المسلمين إلى الحبشة

#### ١. ملاحظات حول الهجرة

أ. كان السفر والهجرة طبيعياً عند المكين، فحياتهم متقومة بالسفر إلى اليمن والشام ومصر، خاصة بعد أن صار الطريق آمناً وأسس هاشم عليه السلام رحلة الصيف والشتاء وأكملها ابنه عبد المطلب عليه السلام فعقدوا اتفاقيات مع القبائل والدول لتأمين قوافل قريش وسلامتها. فمن ضاقت عليه مكة هاجر إلى الجزيرة أو الشام أو الحبشة. قال ابن خلدون: ٨/٢/٢: «وكان قريش يتعاهدونها «الحبشة» بالتجارة فيحمدونها».

ب. قال في الصحيح من السيرة: ١٢٣/٣: «نرجح أنه لم يكن سوى هجرة واحدة للجميع، عليها جعفر بن أبي طالب عليه السلام، الذي لم يكن غيره من بني هاشم، فلم يكن ثمة هجرتان... وذلك بدليل الرسالة التي وجهها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملك الحبشة مع عمرو بن أمية الضمري والتي جاء فيها: قد بعثت إليكم ابن عمي جعفر بن أبي طالب معه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك فأقرهم.. إلخ».

أقول: وهو المتعين، ويدل عليه أيضاً أن الهجرة التي كان أميرها جعفر كان فيها أكثر من ثمانين مسلماً، واستمرت بضع عشرة سنة. أما الذين ذهبوا إلى الحبشة قبلها فكانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، سافروا في شهر رجب وأقاموا شهر شعبان ورمضان ورجعوا في شوال! الطبري: ٦٨/٢، الطبقات: ١٠٦/١، الإمتاع: ٣٧/١، عيون الأثر: ١٥٧/١، سبل الهدى: ٣٦٦/٢، فتح الباري:

فهذه سفرة قصيرة للتجارة! ولعلمهم سموها هجرة من أجل عثمان الذي كان فيها يجعلوه أول المهاجرين، مع أنه لم يتعرض لتعذيب أو ضغط!  
وقد رَدَّ في الصحيح: ١٢٣/٣ مقولتهم بأن عثمان أول المهاجرين، وقال إنه عثمان بن مظعون الجمحي رضي الله عنه. ولعل النبي صلى الله عليه وسلم أرسله لاستكشاف الوضع لتهجير المضطهدين إليها، فقد كان ابن مظعون من حواربي النبي صلى الله عليه وسلم.

قال ابن هشام: ٢١٤/١: «فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة.. وكان عليهم عثمان بن مظعون».

وقد اتفق الرواة على أن ما سموه «الهجرة الأولى» كانت في شهر رجب في السنة الخامسة للهجرة وأنهم رجعوا بعد شهرين. وهم: عثمان بن عفان وامرأته بنت النبي صلى الله عليه وسلم أو ربيته، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وامرأته سهيلة بنت سهيل بن عمرو، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وعبدالرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبدالأسد وامرأته أم سلمة، وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبي حثمة، وأبو سبرة بن أبي رهم، وسهيل بن بيضاء.

وكانت هجرة جعفر وأصحابه في نفس السنة بعد الحج، مع بداية محاصرة قريش لبيبي هاشم في الشعب، أو قبلها بقليل، وهي الهجرة الوحيدة.

**ج. من أصح روايات الهجرة إلى الحبشة ما رواه السنة والشيعنة عن أم سلمة رضي الله عنها**  
قالت: «لما ضاقت علينا مكة وأوذى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسول الله لا يستطيع دفع ذلك عنهم وكان رسول الله في منعة من قومه وعمه، لا يصل إليه شئ مما يكره مما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده، حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه، فخرجنا إليها أرسلالاً حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دار إلى خير جار، أماناً على ديننا ولم نخش منه ظملاً».

فلما رأت قريش أن قد أصبنا داراً وأماناً، أجمعوا على أن يبعثوا إليه فينا ليخرجنا من

بلاده وليردنا عليهم، فبعثوا عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة فجمعوا له هدايا ولبطارقه، فلم يدعوا منهم رجلاً إلا هيّؤا له هدية على ذي حدة، وقالوا له: إنا قد قدمنا على هذا الملك في سفهاء من سفهائنا فارقوا أقوامهم في دينهم، ولم يستطعتم أن يرددهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا!

فقدما عليه فلم يبق بطريق من بطارقه إلا قدموا إليه هديته وكلموه وقالوا له: إنا قدمنا على هذا الملك في سفهاء من سفهائنا فارقوا أقوامهم في دينهم، ولم يدخلوا في دينكم، فبعثنا قومهم فيهم ليردهم الملك عليهم، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل، فقالوا: نفعل ثم قدما إلى النجاشي هداياه، وكان أحب ما يهدى إليه من مكة الأدم «الجلود». فلما أدخلوا عليه هداياه قالوا له: أيها الملك إن فتية منا سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجأوا بدين مبتدع لا نعرفه وقد لجؤوا إلى بلادك، فبعثنا إليك فيهم عشائرهم أبائهم وأعمامهم وقومهم لتردهم عليهم، فهم أعلى بهم عيناً.

فقال بطارقه: صدقوا أيها الملك، لو رددتهم عليهم كانوا هم أعلى بهم عيناً، فإنهم لم يدخلوا في دينك فتمنعهم بذلك! فغضب ثم قال: لا لعمرو الله لا أردهم عليهم حتى أدعوهم وأكلمهم، وأنظر ما أمرهم؟ قوم لجؤوا إلى بلادي واختاروا جواربي على جوار غيري، فإن كانوا كما يقولون رددتهم عليهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم ولم أخلّ بينهم وبينهم ولم أنعمهم عيناً!

فأرسل إليهم النجاشي فجمعهم، ولم يكن شئ أبغض إلى عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة من أن يسمع كلامهم! فلما جاءهم رسول النجاشي اجتمع القوم فقالوا: ماذا تقولون؟ فقالوا: وماذا نقول؟ نقول والله ما نعرف وما نحن عليه من أمر ديننا، وما جاء به نبينا ﷺ كائن في ذلك ما كان!

فلما دخلوا عليه كان الذي كلمه منهم جعفر بن أبي طالب فقال له النجاشي: ما هذا الدين الذي أنتم عليه، فارقتم دين قومكم، ولم تدخلوا في يهودية ولا نصرانية، فما هذا الدين؟ فقال جعفر: أيها الملك، كنا قوماً على الشرك

نعبد الأوثان ونأكل الميتة ونسئ الجوار، ونستحل المحارم بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها، لا نحل شيئاً ولا نحرمه! فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته، فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له، ونصل الرحم ونحسن الجوار، ونصلي ونصوم ولا نعبد غيره. فقال: هل معك شيء مما جاء به؟ وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله.

فقال له جعفر: نعم، قال: هلم فأتل علي ما جاء به فقرأ عليه صدرأ من كهيعص! فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم ثم قال: إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى! إنطلقوا راشدين، لا والله لا أردهم عليكم ولا أنعمكم عينا! فخرجا من عنده، وكان أتقى الرجلين فينا عبدالله بن أبي ربيعة،

فقال له عمرو بن العاص: والله لآتينه غداً بما أستأصل به خضراءهم! لأخبرنه أنهم يزعمون أن إله الذي يعبد عيسى بن مريم عبد! فقال له عبدالله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين: لا تفعل فإنهم وإن كانوا خالفونا، فإن لهم رحماً ولهم حقاً. فقال: والله لأفعلن! فلما كان الغد دخل عليه فقال: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسألهم عنه، فبعث إليهم ولم ينزل بنا مثلها، فقال بعضنا لبعض: ماذا تقولون له في عيسى إن هو سألكم عنه؟ فقالوا: نقول والله الذي قاله فيه والذي أمرنا نبينا أن نقوله فيه! فدخلوا عليه وعنده بطارقه فقال: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال له جعفر: نقول هو عبدالله ورسوله وكلمته وروحه ألقاها إلى مريم العذراء البتول! فلبى النجاشي يده إلى الأرض، فأخذ عويداً بين أصبعيه فقال: ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود! فتناخرت بطارقه فقال: وإن تناخرتم والله! إذهبوا فأنتم سيوم بأرضي - والسيوم الآمون - ومن سبكم عُرِّم «ثلاثاً»! ما أحب أن لي ديبراً وأني آذيت رجلاً منكم - والدبير بلسانهم الذهب -! فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فأخذ الرشوة فيه، ولا أطاع الناس في فأتطيع الناس فيه. ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها، واخرجا من بلادي!

فخرجا مقبوحين، مردود عليهما ما جاء به! فأقمنا مع خير جار في خير دار، فلم ينشب أن يخرج عليه رجل من الحبشة ينازعه في ملكه، فوالله ما علمنا حزناً قط كان أشد منه فرقاً أن يظهر ذلك الملك عليه، فيأتي ملك لا يعرف من حقنا ما كان يعرف، فجعلنا ندعو الله ونستنصره للنجاشي، فخرج إليه سائراً، فقال أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم لبعض: من رجل يخرج فيحضر الواقعة حتى ينظر على من تكون؟ فقال الزبير: وكان من أحدثهم سناً: أنا، فنفخوا له قرية فجعلها في صدره، ثم خرج يسبح عليها في النيل حتى خرج من شقه الآخر إلى جنب التقاء الناس، فحضر الواقعة فهزم الله ذلك الملك وقتله، وظهر النجاشي عليه، فجاءنا الزبير فجعل يلمح إلينا بردائه ويقول: ألا أبشروا فقد أظهر الله النجاشي! فوالله ما علمنا فرحنا بشيء قط فرحنا بظهور النجاشي.

قالت: ورجع النجاشي وقد أهلك الله عدوه ومكن له في بلاده واستوسق عليه أمر الحبشة، فكننا عنده في خير منزل، حتى قدمنا على رسول الله ﷺ. «ذاتر العقبى/٢٠٩، ابن إسحاق/٤/١٩٣، ابن هشام/١/٢٢٤، الخرائج/١/١٣٣، عن ابن مسعود رضي الله عنه مختصراً.

ورواه في إعلام الوري: ١١٥/١، وفي احتجاج جعفر: «فقال: أيها الملك سلهم أنحن عبيد لهم؟ قال عمرو: لا، بل أحرار كرام. قال: فسلمهم ألهم علينا ديون يطالبوننا بها؟ قال: لا، ما لنا عليهم ديون. قال: فلهم في أعناقنا دماء يطالبوننا بذحولها؟ قال عمرو بن العاص: لا، ما لنا في أعناقهم دماء ولا نطالبهم بذحول. قال: فما تريدون منا؟ قال عمرو: خالفونا في ديننا ودين آبائنا، وسبوا أهلتنا، وأفسدوا شباننا، وفرقوا جماعتنا، فردهم إلينا ليجتمع أمرنا. فقال جعفر: أيها الملك خالفناهم لنبي بعثه الله فينا، أمرنا بخلع الأنداد، وترك الإستقسام بالأزلام، وأمرنا بالصلاة والزكاة، وحرم الظلم والجور وسفك الدماء بغير حلها، والزنا والربا والميتة والدم، وأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى. فقال النجاشي: بهذا بعث الله عيسى بن مريم».



د. أرسلت قريش ابن العاص مرتين إلى النجاشي، وكتب النبي ﷺ وأبو طالب ﷺ

إلى النجاشي. كما في مكاتيب الرسول ﷺ: ٤٣٠/١:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحح ملك الحبشة: سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيم، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالة على طاعته، وأن تتبعني فتؤمن بي، وبالذي جاءني فإني رسول الله، وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفر أو معه نفر من المسلمين، فإذا جاؤك فأقر ودع التجبر، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا، والسلام على من اتبع الهدى». وذكر أن النجاشي إسم الملك الحبشة كقيصر وكسرى، وإسم ذلك النجاشي أصحمة ومعناه: عطية. ثم روى كتاب أبي طالب ﷺ إلى النجاشي، وفيه:

تعلّم ملك الحبش أن محمداً	نبيّ كموسى والمسيح بن مريم
أتى بالهدى مثل الذي أتياه	وكل بأمر الله يهدي ويعصم
وإنكم تتلون في كتابكم	بصدق حديث لا حديث المرجم
فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا	فإن طريق الحق ليس بمظلم
وإنك ما يأتيك منا عصابة	بفضلك إلا أرجعوا بالتكرم

الكتاب  
النجاشي  
أحمد

وذكر مصادره: ابن هشام: ٣٥٧/١، الحاكم: ٦٢٣/٢، البحار: ١٦٣/٣٥، ١٦٨/١٨، ابن أبي الحديد:

٧٥/١٤، المناقب لابن شهر آشوب: ٦٢/١ وطبعة/٤٤، الغدير: ٣٣١/٧ وإعلام الوري: ٣٠ و٥٥.

وروى الأحمدي أيضاً ٤٤٨/٢، أن النجاشي أسلم على يد جعفر وكتب إلى النبي ﷺ:

«بسم الله الرحمن الرحيم. إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحح بن أبجر. سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته، من الذي لا إله إلا هو، الذي هداني للإسلام، بلغني كتابك يا رسول الله فيها ذكرت من أمر عيسى، ففرب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروفاً «عرق التمرة» إنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادق مصدق، وقد بايعتك

وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وقد بعثت إليك بابني أرها بن الأصحم بن أبجر، فإني لا أملك إلا نفسي، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حق، والسلام عليك يا رسول الله».

وكان سفر ابن العاص بعد هجرتهم مباشرة، ففي ذخائر العقبى/٢١٣، عن ابن مسعود: «أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي فبلغ ذلك قريشاً فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد».

وقال القمي/١:١٧٦/١: «فلما بلغ قريش خروجهم بعثوا عمرو بن العاص وعمارة» وقال دحلان في سيرته: ٤١٧/١: «كان لعمر بن العاص هجرتان إلى الحبشة في شأن المهاجرين على ما يذكره التاريخ: أحدهما مع عمارة في بدء الهجرة، والثاني مع عبدالله بن ربيعة بعد بدر ورجع خائباً خاسراً».

وقال ابن هشام: ٢٢١/١: «قال أبو طالب حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوا فيه أبياتاً للنجاشي يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم»:

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفرٌ	وعمر وأعداء العدو الأقارب
وهل نال أفعال النجاشي جعفرًا	وأصحابه أم عاق ذلك شاغب
تعلم أبييت اللعن إنك ماجد	كريم فلا يشق لديك المجانب
تعلم بأن الله زادك بسطة	وأسباب خير كلها بك لازب
فإنك فيض ذو سجال غزيرة	ينال الأعادي نفعها والأقارب»

وجاء في مناظرة الإمام الحسن عليه السلام مع ابن العاص قوله عليه السلام: «وأما أنت يا عمرو الشاني اللعين الأبر... ثم كنت في كل مشهد يشهده رسول الله ﷺ من عدوه أشدهم له عداوة وأشدهم له تكديباً! ثم كنت في أصحاب السفينة الذي أتوا النجاشي في الإشاطة بدم جعفر بن أبي طالب وسائر المهاجرين فحاق المكر السوء بك، وجعل جدك الأسفل، وأبطل أمنتك وخيب سعيك، وأكذب أهدوثك وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا». الإحتجاج: ٤١٥/١.

هـ. وكتب النجاشي إسلامه عن بطارقه ووزرائه خوفاً من معارضيهم ومن

هرقل، أما الرسالة التي حملها اليه الضمري من النبي ﷺ فكانت في السنة السادسة عندما راسل ملوك العالم. «الطبقات ٢٠٧/١» وهي غير رسالته التي أرسلها اليه بيد جعفر. وكانت الحبشة أو أيوبيا، قاعدة حكم إفريقيا للروم، وكانت تدار من مصر،

وقد نشر الرومان فيها المسيحية، وتعاضمت قوة الحبشة حتى احتلت اليمن وبنى أبرهة الحبشي حاكم اليمن من قبل الروم كنيسة في صنعاء، ليصرف اليها العرب بدل الكعبة، وقصد بجيشه مكة ليهدم الكعبة، فكانت قصة أصحاب الفيل عام ولادة النبي ﷺ. وبعد جيش الفيل بستين تمكن سيف بن ذي يزن بمساعدة الفرس من تحرير اليمن من الحبشة، فضعت دولة الحبشة ونشب فيها الصراع الداخلي ثم حكمها النجاشي أصحمة، وكان عاقلاً عادلاً فأوقف تدهور الدولة.

وبعد وفاة النجاشي عاد الصراع الداخلي وضافت الأمور على أهل الحبشة فأرسلوا إلى ابن النجاشي وكان أرسله والده إلى النبي ﷺ، يطلبون منه العودة لتتويجه عليهم فلم يقبل، لأنهم أرادوا منه أن يرجع عن الإسلام!

وتقدم قول النجاشي في رسالته إلى النبي ﷺ: «وقد بعثت إليك بابني أرها بن الأصحم بن أبجر، فإني لا أملك إلا نفسي، وإن شئت أن أتيك فقلت».

وهذا يدل على أن وزراءه رؤساء القبائل الذين ساهم الروم بطارقة، لم يستجيبوا له، وأنه كان يتقيهم، فعرض على النبي ﷺ أن يترك ملك الحبشة ويأتيه، فأمره أن يبقى، وأمر جعفر بن أبي طالب أن يبقى عنده ويساعده.

أما ابنه «أرها» الذي أرسله فيبدو أنه أبو نيزر وكيل علي ﷺ في استنباط عيون ينيع، وقد سمي أكبرها باسمه: «عين أبي نيزر».

قال الحموي في معجم البلدان: ١٧٥/٤: «عين أبي نيزر.. روى يونس عن محمد بن إسحاق بن يسار أن أبا نيزر الذي تنسب إليه العين هو مولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان ابناً للنجاشي ملك الحبشة الذي هاجر إليه المسلمون، لصلبه، وأن علياً وجدته عند تاجر بمكة فاشترته منه وأعتقه، مكافأة بما صنع أبوه مع المسلمين حين هاجروا إليه. وذكروا أن الحبشة مرج عليها أمرها بعد موت النجاشي، وأنهم أرسلوا

وفدأ منهم إلى أبي نيزر وهو مع علي ليملكوه عليهم ويتوجوه ولا يختلفوا عليه، فأبى وقال: ما كنت لأطلب الملك بعد أن من الله علي بالإسلام! قال: وكان أبو نيزر من أطول الناس قامه وأحسنهم وجهاً، وقال: ولم يكن لونه كألوان الحبيشة ولكنه إذا رأيته قلت هذا رجل عربي... قال المبرد... كان أبو نيزر من أبناء بعض الملوك الأعاجم، قال: وصح عندي بعد أنه من ولد النجاشي فرغب في الإسلام صغيراً فأتى رسول الله ﷺ وكان معه في بيوته، فلما توفي رسول الله ﷺ صار مع فاطمة وولدها رضي الله عنهم».

وفي سيرة ابن إسحاق: ٢٠٢/٤: «رأيت أبا نيزر بن النجاشي، فما رأيت رجلاً قط عربياً ولا عجمياً، أعظم ولا أطول ولا أوسم منه.. الخ». ولانقبيل قولهم إن علياً ﷺ اشتراه كغلام، بل أرسله والده لنصرة النبي ﷺ فكان حليفه، ثم حليف علي ﷺ.

ز. روت المصادر مراسلات بين النبي ﷺ والنجاشي، وأنه كان بينهما هدايا متبادلة فمن ذلك: «أهدى النجاشي إلى رسول الله ﷺ قارورة من غالية، وكان أول من عمل له الغالية». عمدة القاري: ١٦٨/١٣.

«أهدى ملك الروم إلى النبي ﷺ جبة سندس فبعث بها إلى جعفر، وقال أعطها إلى أخيك النجاشي». لسان العرب: ٣٤٣/١٠، الطبقات: ٤٥٦/١ وأبو داود: ٢٥٨/٢. «أهدى النجاشي إلى رسول الله ﷺ بغلة فكان يركبها». عيون الأثر: ٤١١/٢.

«أهدى له النجاشي خفين أسودين ساذجين فلبسهما. وأهدى له خاتماً من ذهب فدعا أمانة ابنة ابنته زينب فقال: تحلي بهذا يا بنية». المناقب: ١٤٧/١ وابن ماجه: ١٨٢/١.

أرسل النجاشي مع جعفر: «بقدر من غالية وقطيفة منسوجة بالذهب هدية إلى النبي ﷺ فقدم جعفر والنبي بأرض خيبر، فأثاها بالقدح من الغالية والقطيفة فقال النبي ﷺ: لأدفعن هذه القطيفة إلى رجل يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله. فمد أصحاب النبي أعناقهم إليها، فقال النبي: يا علي خذ هذه القطيفة

إليك. فأخذها علي وأمهل حتى قدم إلى المدينة فانطلق إلى البقيع وهو سوق المدينة، فأمر صائغاً ففصل القطيفة سلكاً سلكاً فباع الذهب وكان ألف مثقال ففرقه علي في فقراء المهاجرين والأنصار، ثم رجع إلى منزله، ولم يبق له من الذهب قليل ولا كثير». دلائل الإمامة/ ١٤٤.

وأهدى له النجاشي حربة: «فكان بلال يحملها بين يديه يوم العيد، ويخرج بها في أسفاره فتركز بين يديه يصلي إليها. ويقولون هي التي تحمل المؤذنون بين يدي الخلفاء». «المنقب: ١/١٤٧». وصارت الحربة في رواياتهم ثلاثة للزبير وعمر وعلي! «فأما حربة علي فهلكت، وأما حربة عمر فصارت إلى أهله، وأما الحربة التي أمسك لنفسه، فهي التي يمشي بها مع الامام يوم العيد». تاريخ المدينة: ١٣٩/١.

وأهدى له النجاشي حلة مثل العباءة فأعطاها لعلي عليه السلام وكان يصلي فيها فجاءه سائل، فطرح الحلة إليه وأومى بيده أن يحملها. حلية الأبرار: ٢٧٩/٢.

وبعث له النبي ﷺ عوذة للصداع يضعها في قلنسوته. مكارم الأخلاق: ٤٠٣.

وأهدى النجاشي إلى النبي ﷺ ذات مرة، زنجيلاً. المرح والتعديل: ٢٢٨/٦.

وعندما ارتد المهاجر عبيد الله بن جحش، بعث النبي ﷺ إلى النجاشي أن يخطب له زوجته رملة بنت أبي سفيان، فوكلت خالد بن سعيد بن العاص وخطبها النجاشي: «ومهرها أربعة آلاف، ثم جهزها من عنده، فبعث بها إلى رسول الله مع شريحيل بن حسنة وجهازها كله من عند النجاشي». البيهقي: ٢٣٢/٧.

«لما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة قال لها إني أهديت إلى النجاشي أواقاً من مسك وحلة وإني لا أراه إلا قدمات، ولا أرى الهدية التي أهديت إليه إلا سترت، فإذا ردت فهي لك.. فكان كما قال ﷺ، فلما ردت إليه الهدية أعطى كل امرأة من نساءه أوقية من ذلك المسك وأعطى سائرته أم سلمة». كبير الطبراني: ٨١/٢٥.

وفي الخصال/ ٣٥٩، عن الإمام الرضا عن آبائه عليه السلام: «إن رسول الله ﷺ لما أتاه جبرئيل بنعي النجاشي بكى بكاء حزين عليه وقال: إن أخاكم أصحمة - وهو اسم النجاشي - مات، ثم خرج إلى الجبانة وصلى عليه، وكبر سبعمائة فخفض الله له كل مرتفع حتى

رأى جنازته، وهو بالحبشة».

وفي المناقب: ٩٣/١: «فقال المنافقون في ذلك! فجاءت الأخبار من كل جانب أنه مات في ذلك اليوم في تلك الساعة وما علم هرقل بموته إلا من تجار رأوا المدينة».

ح. دَوْن الرواة أسماء المهاجرين، ورووا أخبارهم في المهجر، وذكرت الروايات أن بعضهم رجع وشارك مع النبي ﷺ في معركة بدر وغيرها، كعمار وابن مسعود، وبعضهم كان يسافر إلى اليمن للتجارة، كخالد بن سعيد بن العاص، الذي أتى للنبي ﷺ من جرش بألة حرب تشبه المنجنيق. إمتاع الأسماع: ٢١٧/٢.

قال في الطبقات: ٢٠٧/١: «فأقام المهاجرون بأرض الحبشة عند النجاشي بأحسن جوار، فلما سمعوا بمهاجر رسول الله إلى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً ومن النساء ثمان نساء، فمات منهم رجلان بمكة، وحبس بمكة سبعة نفر. وشهد بدرأ منهم أربعة وعشرون رجلاً».

وأبقى النبي ﷺ جعفرأ إلى السنة السابعة مع بضعة عشر مهاجر حتى أحضره وأنهى الهجرة «كان جميع من قدم في السفيتين ستة عشر رجلاً». ابن هشام: ٨١٨/٣.

ط. اخترع القرشيون قصة الغرانيق والآيات الشيطانية فافتروا على النبي ﷺ أنه قرأ سورة النجم في المسجد، وأضاف إليها آيات ألقاها عليه الشيطان ومدح فيها أصنام قريش، فوصفها بقوله: «تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترجى»! وروتها مصادرهم بكثرة، وقال بخاري: ٣٢/٢: «قرأ سورة النجم فسجد بها فيما بقي أحد من القوم إلا سجد، فأخذ رجل من القوم كفاً من حصى أو تراب، فرفعه إلى وجهه وقال: يكفيني هذا!»! ورواها في أربعة مواضع: ٥٢٦.٧٠/٥.٢٣٩/٤.٣٢/٢

وانفتح خيال رواة السلطة بأن المشركين فرحوا يومها باعتراف محمد ﷺ بأله قريش وسجد لها! وأضافوا أن المسلمين المهاجرين في الحبشة سمعوا بالخبر فرجعوا إلى مكة، لكنهم وجدوا أن جبرئيل نزل ووبخ النبي ﷺ فعادوا!

وصارت هذه الفرية مادة للمستشرقين فبنوا عليها طعنهم بالنبي ﷺ وكتبوا كتاب «الآيات الشيطانية»! وقد بحثنا ذلك في كتاب: ألف سؤال وإشكال: ١٣٦/١.

## ٢. دور جعفر بن أبي طالب ﷺ المميز في الحبشة

١. لم يكن جعفر بن أبي طالب ﷺ بحاجة إلى الهجرة، لأنه مع شجاعته، محمي من أبيه وعشيرته، بل هو مجمي ويحير. كما أن إدارة أمور المهاجرين يمكن أن يقوم بها أحدهم، وفيهم شخصيات كخالد بن سعيد بن العاص. وإنما أرسله النبي ﷺ معهم وأبقاه في الحبشة إلى السنة السابعة لإدارة جبهة الروم في الدعوة، وكانت الحبشة قاعدة الروم في إفريقيا، وهذا يفسر قول النبي ﷺ عن جعفر إنه في جهاد لله بأرض الحبشة! ففي تفسير القمي ١/٢٦٤: «نظر رسول الله ﷺ إلى عبدة بن الحارث بن عبدالمطلب وكان له سبعون سنة، فقال عبدة: أما لو كان عمك حياً لعلم أني أولى بها قال منه! قال: وأي أعمامي تعني؟ قال: أبو طالب، حيث يقول:

كذبتم وبيت الله نُبزي محمداً      ولما نطاعنُ دونه ونناضل  
وننصره حتى نُصَرَ حوله      ونذهلُ عن أبنائنا والحلائل

فقال رسول الله ﷺ: أما ترى ابنه كالليث العادي بين يدي الله ورسوله، وابنه الآخر في جهاد لله بأرض الحبشة؟! فقال: يا رسول الله أسخطت عليّ في هذه الحالة؟ فقال: ما سخطت عليك، ولكن ذكرت عمي فانقبضت لذلك!

وهذا يكشف عن مكانة أبي طالب ﷺ عند النبي ﷺ فقد تأذى لمجرد تعريض ابن عمه عبدة به وتفضيله نفسه عليه، مع أنه جاهد وقطعت رجله ثم استشهد! ومع ذلك قال له لا تؤذني في عمي ولا تفضل نفسك عليه، فقد نصرني أكثر منك في حياتي، وهما ولداه وينصراني أكثر منك، هذا علي كالليث بين يدي الله ورسوله، وذلك جعفر في أرض الحبشة كل أوقاته جهاد لله تعالى!

فقد كان جعفر إذن في مهمة جهاد، يرعى شؤون المهاجرين ونشاطهم، ويوجه النجاشي في علاقته مع الروم وسياسته الداخلية مع البطارقة وهم ملوك الحبشة في

مناطقهم، وكانت الحبشة تمتد من اليمن إلى حدود مصر، وتشمل السودان!  
 وكان جعفر يزور البطارقة ويدعوهم إلى الإسلام، وجاء منهم بوفد إلى مكة  
 للقاء النبي ﷺ ومشاهدة معجزاته، ولم تجرأ قريش على التعرض له ولضيوفه!  
 ففي تفسير القمي: ١٧٦/١: «ولد للنجاشي ابن فساه محمداً. وبعث إليه «إلى  
 النبي ﷺ» ثياب وطيب وفرس، وبعث ثلاثين رجلاً من القسيسين فقال  
 لهم: أنظروا إلى كلامه وإلى مقعده ومشربه ومصلاه، فلما وافوا المدينة دعاهم  
 رسول الله ﷺ إلى الإسلام وقرأ عليهم القرآن... فلما سمعوا ذلك من  
 رسول الله ﷺ بكوا وآمنوا ورجعوا إلى النجاشي، فأخبروه خبر رسول الله،  
 وقرأوا عليه ما قرأ عليهم، فبكى النجاشي وبكى القسيسون».

وفي تفسير الطبري: ٤/٧، في قوله تعالى: وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا  
 نَصَارَى. قال: «هم الوفد الذين جاؤوا مع جعفر وأصحابه من أرض الحبشة».

ثم روى الطبري أن النجاشي بعث إلى النبي ﷺ: «اثني عشر رجلاً من الحبشة،  
 سبعة قسيسين وخمسة رهباناً ينظرون إليه ويسألونه، فلما لقوه فقرأ عليهم ما  
 أنزل الله بكوا وآمنوا، فأنزل الله عليه فيهم: ذَلِكَ يَأْتِ مِنْهُمْ قِيسِيَّةٌ وَرُهْبَانًا وَأَنْتُمْ  
 لَا تَسْتَكْبِرُونَ. وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ  
 يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ. فَأَمَنَّا ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى النجاشي، فهاجر النجاشي  
 معهم، فمات في الطريق، فصلى عليه رسول الله والمسلمون واستغفروا له».

وفي تفسير القرطبي: ٢٩٦/١٣: «قوله تعالى: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ  
 يُؤْمِنُونَ. وهم أربعون رجلاً، قدموا مع جعفر بن أبي طالب المدينة اثنان وثلاثون  
 رجلاً من الحبشة، وثمانية نفر أقبلوا من الشام وكانوا أئمة النصراني: منهم بحيراء  
 الراهب وأبرهة والأشرف وعامر وأيمن وإدريس ونافع. كذا ساهم الماوردي».

وقال ابن إسحاق: ١٩٩/٤: «ثم قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون  
 رجلاً أو قريباً من ذلك من النصراني حين ظهر خبره في الحبشة، فوجدوه في  
 المسجد فجلسوا إليه فكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول



الكعبة، فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله ﷺ عما أرادوا، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله وتلى عليهم القرآن فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره.

فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقالوا: خبيكم الله من ركب! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تظمن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم؟!!

ما نعلم ركباً أحق منكم! أو كما قالوا لهم. فقالوا: سلام عليكم لانا نجاهلكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا نألو أنفسنا خيراً!!

ثم روى ابن إسحاق، أن النجاشي بعث إلى النبي ﷺ اثني عشر رجلاً يسألونه ويأتونه بخبره، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ القرآن فبكوا وكان فيهم سبعة رهبان وخمسة قسيسين أو خمسة رهبان وسبعة قسيسين، ففيهم أنزل الله: وَإِذْ سَأَلُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ... ونحوه القرطبي: ٢٥٥/٦، ابن كثير: ٤٠٥/٣ وابن هشام: ٢٦٣/١.

«وهذا يدل على عدة وفود رتب سفرهم إلى مكة جعفر وعلي ﷺ والنجاشي وكان مجيء وفود القساوسة تحدياً كبيراً لقريش، خاصة وأنهم التقوا بالنبي ﷺ في المسجد وأسلموا على يده، واعترضهم أبو جهل فأجابه القساوسة فسكت، ولو قام بعمل ضدّهم لحماهم جعفر وعلي ﷺ، لأنهم ضيوف النبي ﷺ وبني هاشم!

كما تشير هذه الروايات وغيرها إلى أن جعفر أتى بفود علماء النصارى من الحبشة ونجران والشام، والتقوا برسول الله ﷺ وأسلم عدد منهم!

كما ورد أن علياً ﷺ سافر مرة إلى الحبشة مع جعفر، فقد كان النبي ﷺ يرسله في مهمات خاصة غير معلنة. روى في المناقب: ٢٨٩/١، عن ابن عباس قال: وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ: نزلت في أمير المؤمنين ﷺ سبق الناس كلهم بالإيمان، وصلى إلى القبلتين، وباع البيعتين ببيعة بدر وبيعة الرضوان، وهاجر المهجرتين مع جعفر من مكة إلى الحبشة، ومن الحبشة إلى المدينة». ومعناه أن هجرة علي ﷺ كانت مع جعفر في إحدى

رجعاته من الحبشة إلى مكة.

٢. تدل أحاديث جعفر في الحبشة على أنه أحدث تياراً للدخول في الإسلام، في قساوسة الحبشة والجزيرة والشام ومصر، ولا بد أن يكون إسلامهم مؤثراً على أتباعهم، وبه نفس ردة فعل الروم القوية ضد النجاشي وضد النبي ﷺ، لكنهم كانوا مشغولين بمعاركهم مع الفرس في سوريا وفلسطين ومصر.

كما نقرأ في الحبشة عن ثورة لخصوم النجاشي من وراء النيل لإسقاط حكمه، وكانت حركتهم قوية، وجيشهم كبيراً كما وصفته أم سلمة، وقد طلب المهاجرون من النجاشي أن يقاتلوا معه، فلم يقبل. الحاكم: ٣٠٠/٢.

وفي السيرة الحلبية: ٣٠١/٣ أن عمرو بن العاص أخبر جيفر بن الجلندي ملك عُمان بإسلام النجاشي فسأله: «كيف صنع قومه بملكه؟ قلت: أقروه واتبعوه. قال: والأساقفة أي رؤساء النصرانية والرهبان؟ قلت: نعم. قال أنظر يا عمرو ماتقول! إنه ليس من خصلة في رجل أفصح له أي أكثر فصيحة من كذب! قلت: وما كذبت وما نستحله في ديننا. ثم قال: ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي!»  
والظاهر أن النجاشي لم يعلن إسلامه إلا في نطاق محدود، وأن هرقل عرف بإسلامه، لكنه كان مشغولاً بحربه للفرس، ثم حرك ضد النجاشي من استطاع من الملوك «البطارقة» فقاتلوا النجاشي فنصره الله عليهم!

ثم وضع هرقل بعد انتصاره على الفرس خطة للقضاء على النبي ﷺ، كما يأتي في حرب مؤتة وتبوك.



## الفصل الثاني والعشرون

### محاصرة قريش لبني هاشم في شعب أبي طالب

#### ١. مؤتمر زعماء قريش لإجبار بني هاشم على تسليم النبي ﷺ

بعد هلاك المستهزئين الخمسة، رأى زعماء قريش أن الإسلام أخذ ينتشر في أبنائهم وعبيدهم، ولم يستطيعوا إيقافه بتهديد النبي ﷺ وتعذيب من يسلم من المستضعفين! عندها تنادت بطون قريش إلى مؤتمر في منى، للإتفاق على مقاطعة بني هاشم مقاطعة تامة، حتى يُسلموهم محمدًا ﷺ فيقتلوه!

واجتمع معهم قبيلة كنانة، وكتبوا صحيفة المقاطعة، وقعها أربعون شيخاً، وفي رواية اليعقوبي ثمانون شيخاً، على نفي بني هاشم من مكة، ومقاطعتهم حتى يسلموهم محمدًا ﷺ! وتُعرف هذه الوثيقة بالصحيفة الملعونة الأولى، لأن قريشاً كتبت بعدها في أيام حجة الوداع الصحيفة الملعونة الثانية، تعاهدت فيها على أنه إن مات محمد لا ندع خلافته تصل إلى أهل بيته! وقد روي أنهم تعاهدوا عليها في الكعبة، وأودعوها عند أبي عبيدة بن الجراح، وسيأتي خبرها. قال في المناقب: ٥٧/١: «لما رأت قريش أنه ﷺ يفشو أمره في القبائل وأن حمزة أسلم» أعلن إسلامه» وأن عمرو بن العاص رُذِّ في حاجته عند النجاشي، فأجمعوا أمرهم ومكرهم على أن يقتلوا رسول الله علانية، فلما رأى ذلك أبو طالب جمع بني عبدالمطلب، فأجمع لهم أمرهم على أن يُدخلوا رسول الله شعبهم.. وكانوا أربعين رجلاً، مؤمنهم وكافرهم، ما خلا أبا لهب». وقال ابن إسحاق: ١٤٠/٢: «فلما قدم عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة إلى

قريش، وأخبروهم بالذي قال النجاشي لمحمد وأصحابه، اشتد وجدهم وأذوا النبي ﷺ وأصحابه أذى شديداً، وضربوهم في كل طريق، وحصرهم في شعبهم، وقطعوا عنهم المائدة من الأسواق، فلم يدعوا أحداً من الناس يُدخل عليهم طعاماً ولا شيئاً مما يرفق بهم!

وكانوا يخرجون من الشعب إلى الموسم، وكانت قريش تبادرهم إلى الأسواق فيشترونها ويُعلونها عليهم! ونادى منادي الوليد بن المغيرة «وهو منادي أبي جهل» في قريش: أيها رجل وجدتموه عند طعام يشتره فزيدوا عليه!

وانطلق بهم أبو طالب فقاموا بين أستار الكعبة، فدعوا الله على ظلم قومهم لهم وقطيعتهم أرحامهم واجتماعهم على محاربتهم، وتناولهم بسفك دمايتهم، فقال أبو طالب: اللهم إن أبي قومنا إلا النصر علينا فعجل نصرنا، وحُل بينهم وبين قتل ابن أخي. ثم أقبل إلى جمع قريش وهم ينظرون إليه وإلى أصحابه فقال أبو طالب: ندعو برب هذا البيت على القاطع المنتهك للمحارم. والله لتنتهين عن الذي تريدون، أو لينزلن الله بكم في قطيعتنا بعض الذي تكرهون! فأجابوه: إنكم يا بني عبد المطلب لاصلح بيننا وبينكم ولا رحم إلا على قتل هذا الصابي السفية! ثم عمد أبو طالب فأدخل الشعب ابن أخيه وبني أبيه، ومن اتبعهم من بين مؤمن دخل لنصرة الله ونصرة رسوله، ومن بين مشرك يحمي، فدخلوا شعبهم وهو شعب أبي طالب في ناحية من مكة.

## ٢. أعطونا ابنكم لنقتله، وإلا..

كان اليهود ينكرون نبوة أنبيائهم ﷺ ثم يقتلونهم، ولم يقولوا يوماً نعترف بنبوة نبي ونقتله! لكن القرشيين قالوا حتى لو كان محمد نبياً مرسلًا من الله فلا نُؤمن به ونريد قتله، لأن موتنا أفضل من الإيمان برسول من بني هاشم: وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا جِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ! فجمعوا تكبر اليهود وجلافة البدو معاً، فهم يصرون على قتله ﷺ، ولا تمهم معجزاته!

من جهة ثانية: لامتجد قوماً أرادوا قتل شخص، لكنهم كانوا يخافون من عشيرته، فقررُوا أن يضغظوا عليهم حتى يسلموهم ابنهم بأيديهم فيقتلوه! فهو موقف يجمع: العناد، والتكبر، والجبن، والحقارة جميعاً، وصفات أخرى معها!

وقد اجتمعت كلها في محاصرتهم بني هاشم وتجويعهم إياهم مع أطفالهم، حتى يخضعوا ويسلموهم النبي ﷺ فيقتلوه!

وكانوا يرون حالة بني هاشم من الحصار أربع سنوات أو أكثر، ويسمعون تضرُّوراً أطفالهم من الجوع، لكنهم حرموا الرأفة بهم، وحرَموا أي نوع من التفاوض تحت أي ظروف! «لا يقبلوا من بني هاشم صلحاً أبداً، ولا يأخذهم بهم رأفة، حتى يسلموه للقتل!»! الدرر لابن عبد البر/٥٤، سبل الهدى: ٥٩/١٠ وعيون الأثر: ١٦٥/١.

### ٣. النبي ﷺ يخلد مكان المؤتمر وطفيان زعمائه

توجه النبي ﷺ إلى مكة فاتحاً، فأراد أن يُجَلِّد في وجدان المسلمين مؤامرة قريش ولؤمهم، فأعلن: «منزلنا إذا فتح الله تعالى علينا مكة في خيف بني كنانة، حيث تقاسموا على الكفر». السيرة الحلبية: ٢٧/٣.

ثم أكد ذلك عندما توجه إلى معركة حنين، فقال: «منزلنا غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة، حيث تقاسموا على الكفر!» البخاري: ٩٢/٥.

ثم أكد ذلك بعد سنتين في حجة الوداع، فقال ﷺ يوم التروية: «منزلنا غداً إن شاء الله تعالى بخيف بني كنانة، حيث تقاسموا على الكفر». البخاري: ١٥٨/٢.

ثم أكد ذلك عندما عاد من عرفات، فقال يوم النحر: «نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة، حيث تقاسموا على الكفر. يعني بذلك المحصب». البخاري: ٢٤٧/٤.

فقد كان هدف زعماء قريش أن يشددوا على بني هاشم ليسلموهم النبي ﷺ فيقتلوه، ولما عجزوا عن قتله، وانتصر عليهم وأقام دولة، صار هدفهم أن يعزلوهم أهل بيته عن خلافته ويأخذوا دولته!

لذلك اهتم النبي ﷺ أن يحفظ المسلمون تلك الحادثة الخطيرة التي وقعت في هذا

المكان، ويحفظوا كيد فراعنة قريش الذي فاق كيد اليهود! فقد تقاسموا باللات والعزى ومناة على قتل النبي ﷺ بأي طريقة، غيلة أو علانية، وعلى مقاطعة بني هاشم مقاطعة كاملة شاملة، حتى يسلموه لهم للقتل! وذنبه أن الله أرسله نبياً، وهم لا يريدون نبياً من بني هاشم، حتى لو كان صادقاً!

وحاصروا بني هاشم أربع سنين وأكثر، وضيقوا عليهم حتى أكل أطفالهم ورق الشجر من الجوع، ومصوا الرمل الرطب من العطش!

فكان هدف النبي ﷺ تخليد الحادثة بمكانها وزعمائها لتعرف أجيال المسلمين أن معدن الكفر في هؤلاء الذين أخضعهم في فتح مكة بسيف بني هاشم والأنصار، وأنهم سيعودون لوراثة دولة الإسلام وإبعاد عتره النبي ﷺ!

وعندما أطلق النبي ﷺ كلامه كان عدد من قادة مؤتمر الكفر قد ماتوا، لكن عدداً منهم مازالوا أحياء ينظرون ويسمعون! كسهيل بن عمرو، وأبي سفيان، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية بن خلف، وحكيم بن حزام، وصهيب بن سنان، وأبي الأعور السلمي، وغيرهم. كانوا حاضرين في حجة الوداع يسمعون كلامه، ويتعجبون من عفوه عنهم! لكنه ﷺ كان ينفذ أمر ربه، ويعلم أجيال المسلمين أن الخطر على الإسلام من قريش وحدها، فبقية القبائل تبع لها!

وفي مقابل عمله ﷺ عمِلَ زعماء قريش لينسى المسلمون الجريمة ومكانها وأشخاصها وطمست قريش بعد النبي ﷺ! ولم يحفظها إلا آل النبي ﷺ وشيعتهم، فصار خيف بني كنانة أو محصَّب منى منزل بني هاشم إلى يمين الداخل إلى منى! وقد تعجبت هذه السنة ١٤٢٩ من أن الوهابيين أقاموا رمز مسجد لمكان بيعة الأنصار للنبي ﷺ قرب جمرة العقبة، لكن لم يقيموا رمزاً لمؤتمر الكفر القرشي! كما حرصوا على إزالة شُعب أبي طالب من أساسه، ابتداءً بمكان مولد النبي ﷺ فمنعتهم الحكومة خوفاً من المسلمين، فأبقوه خرباً كتب عليه: «مكتبة مكة»!

#### ٤. أبو طالب يُحصِّن الشَّعب ويحرس النبي ﷺ !

بعد قرار قريش مقاطعة بني هاشم، وجدوا أنفسهم مضطرين لترك بيوتهم والتجمع في نقطة واحدة لحفظ حياة النبي ﷺ، فاختروا الشَّعبَ حيهم القديم: «وكان دخولهم الشعب هلال المحرم سنة سبع». الحلبية: ٢٥٠/٢.

وحصَّن أبو طالب ﷺ الشَّعب، وفرض الحراسة على رجال بني هاشم لمدخله والنقاط الضعيفة فيه من جهة الجبال والتلال المحيطة.

قال في النزاع والتخاصم/٦٧: «واجتمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهوداً ومواثيق: أن لا يقبلوا من بني هاشم أبداً صلحاً ولا تأخذهم بهم رافة حتى يسلموه للقتل! فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين واشتد عليهم البلاء والجهد، وقطعوا عنهم الأسواق، فلا تركوا طعاماً يقدم مكة ولا يبعاً إلا بادروهم إليه فاشتروه، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله!»

وفي المناقب: ٥٧/١: «كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه ونامت العيون جاءه أبو طالب فأهضه عن مضجعه وأضجع علياً ﷺ مكانه، ووكل عليه ولدهً وولد أخيه، فقال علي ﷺ: يا أبتاه إني مقتول ذات ليلة، فقال أبو طالب:

إصبرن يا بئتي فالصبر أحجى	كل حيٍّ مصيرُهُ لشعوب
قد بلوناك والبلاء شديد	لفداء النجيب وابن النجيب
لفداء الأعدزي الحسب الثاقب	والباع والفناء الرحيب
إن تصبك المنون بالنبل تبرى	فصيب منها وغير مصيب
كل حي وإن تطاول عمراً	أخذ من سهامها بنصيب

فأجابه علي ﷺ:

أنا أمرني بالصبر في نصر أحمد	ووالله ما قلتُ الذي قلتُ جازعا
ولكنني أحببت أن تر تُصرتي	وتعلم أي لم أزل لك طائعا
وسعي لوجه الله في نصر أحمد	نبي الهدى المحمود طفلاً وياافع

أقول: هذه الرواية لا تتناسب مع شجاعة علي ﷺ، لكن هدف إفهام الآخرين.

السيرات  
النبوية  
للإمام  
المصطفى  
عليه السلام

## ٥. بعد سنوات الحصار جاءت المعجزة الإلهية

«أوحى الله عز وجل إليه أنه قد بعث أَرْضَةً على الصحيفة المكتوبة بين قريش في هجران النبي ﷺ وجميع بني هاشم، المختومة بأربعين خاتماً، المعدلة عند زمعة بن الأسود، فأكلت ما كان فيها من قطعة رحم، وتركت ما كان فيها من اسم الله عز وجل». الهداية للصدوق/١٤٤.

وقال الطبرسي في إعلام الوري: ١٢٧٥/١: «فلما أتى لرسول الله ﷺ الشعب أربع سنين بعث الله على صحيفتهم القاطعة دابة الأرض فلحست جميع ما فيها من قطعة رحم وظلم وجور، وتركت إسم الله! ونزل جبرئيل ﷺ على رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، فأخبر رسول الله ﷺ أبا طالب ﷺ فقام أبو طالب ولبس ثيابه، ثم مشى حتى دخل المسجد على قريش وهم مجتمعون فيه، فلما بصروا به قالوا: قد ضجر أبو طالب وجاء الآن ليسلم ابن أخيه».

وقال ابن سعد في الطبقات: ٢٠٨/١: «وحصروا بني هاشم في شعب أبي طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع.. وقطعوا عنهم الميرة والمادة، فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم، حتى بلغهم الجهد وسمع أصوات صبيانهم من وراء الشعب. فأرسل الله عز وجل على الصحيفة دابة فأكلت كل شئ إلا اسم الله عز وجل. فأرسلوا إلى الصحيفة ففتحوها فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ فسقط في أيديهم، ونكسوا على رؤوسهم! فقال أبو طالب: علام نُحبس ونُحصر وقد بان الأمر! ثم دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة فقال: اللهم انصرنا ممن ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا! ثم انصرفوا إلى الشعب!»

## ٦. سنوات الحصار والشدائد على بني هاشم

كتب أمير المؤمنين ﷺ في جواب لمعاوية: «أما بعد، فإن أخا خولان أتاني منك بكتاب تذكر فيه محمدًا ﷺ، والحمد لله الذي صدق له الوعد، ومكن له في البلاد، وأظهره على أهل عداوته والشنآن من قومه، الذين ألبوا عليه العرب،



وهم قومه الأدنى فالأدنى، إلا قليلاً ممن عصمه الله.

كنا أهل البيت أول من آمن وصدق بها أرسل به، فأراد قوماً قتل نبينا واجتياح أصلنا وهموا بنا الهموم، وفعلوا بنا الأفاعيل، وأمسكوا منا المادة، وقطعوا عنا الميرة، ومنعونا الماء العذب، وأحلونا الخوف، واضطرونا إلى جبل وعمر، وكتبوا بينهم كتاباً أن لا يواكلونا ولا يشاربونا ولا يبايعونا ولا يناكحونا ولا نأمن فيهم، حتى ندفع إليهم نبيناً ﷺ فيقتلوه ويمثلوا به! فعزم الله على منعه والذب عن حوزته، فمؤمنا يرجو الثواب، وكافرنا يجامي عن الأصل، وأنا أول أهل بيتي إسلاماً معه، ومن أسلم بعدنا أهل البيت من قريش فحليف ممنوع، وذو عشيرة تحامي عنه». المناقب للخوارزمي/٢٥١.

وقال في إعلام الوري: ١٢٥/١: «كتبوا صحيفة بينهم إنهم يدٌ واحدة على محمد يقتلونهم غيلةً أو صراحاً، فلما بلغ ذلك أبا طالب جمع بني هاشم، ودخلوا الشعب، وكانوا أربعين رجلاً فحلف لهم أبو طالب بالكعبة والحرم والركن والمقام، إن شاكنا محمداً شوكة، لآتينَّ عليكم يا بني هاشم!

وحصن الشعب وكان يجرسه بالليل والنهار، فإذا جاء الليل يقوم بالسيف عليه ورسول الله ﷺ مضطجع، ثم يقيمه ويضعه في موضع آخر، فلا يزال الليل كله هكذا، ويوكل ولده وولد أخيه به يجرسونه بالنهار، فأصابهم الجهد!

وكان من دخل مكة من العرب لا يجسر أن يبيع من بني هاشم شيئاً! ومن باع منهم شيئاً انتهبوا ماله، وكان أبو جهل، والعاص بن وائل السهمي، والنضر بن الحارث بن كلفة، وعقبة بن أبي معيط، يخرجون إلى الطرقات التي تدخل مكة فمن رآه معه ميرة نهوه أن يبيع من بني هاشم شيئاً، ويحذرونه إن باع شيئاً منهم أن ينهبوا ماله! وختموا الصحيفة بأربعين خاتماً، ختمه كل رجل من رؤساء قريش بخاتمه وعلقوها في الكعبة، وتابعهم أبو لهب على ذلك!

فلم تزل هذه حاله فبقوا في الشعب أربع سنين، لا يأمنون إلا من موسم إلى موسم، ولا يشترتون ولا يبايعون إلا في الموسم! وكان يقوم بمكة موسمان في كل سنة: موسم

البيت  
النبينا  
العليين  
العليين

للعمرة في رجب، وموسم للحج في ذي الحجة. وكان إذا اجتمعت المواسم تخرج بنو هاشم من الشعب فيشترون ويبيعون، ثم لا يجسر أحد منهم أن يخرج إلى الموسم الثاني، فأصابهم الجهد وجاعوا، وبعثت قريش إلى أبي طالب: «إلينا محمداً حتى نقتله، ونملكك علينا!»

وقال اليعقوبي: ٣١/٢: «حصرت قريش رسول الله ﷺ وأهل بيته من بني هاشم وبني المطلب بن عبدمناف، في الشعب الذي يقال له شعب بني هاشم، بعد ست سنين من مبعثه، فأقام ومعه جميع بني هاشم وبني المطلب في الشعب ثلاث سنين «وأكثر» حتى أنفق رسول الله ﷺ ماله، وأنفق أبوطالب ماله، وأنفقت خديجة بنت خويلد مالها «الذي وصلت إليه يدها» وصاروا إلى حد الضر والفاقة».

وفي الخرائج: ٨٥/١: «فلقوا من الجوع والعري ما الله أعلم به!»

وفي السيرة الحلبية: ٥٢/٢: «جهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر!»  
وقال المحامي الأردني أحمد حسين يعقوب في كتابه: «المواجهة مع رسول الله ﷺ/١٧٥»: «وعانوا الحرمان والجوع، فأكلوا نبات الأرض، وأخذ الأطفال يُمصُّون الرمال من العطش، وكانت بطون قريش تشاهد كل هذا وتتلذذ به، دون أي إحساس بالحرج! ولكن الهاشميين لم يركعوا ولم يستسلموا، ولم يستجيبوا لبطون قريش في طلبها تسليم النبي. لقد تحملوا ما لم تتحمله قبيلة على وجه الأرض في سبيل محمد ﷺ وفي سبيل دينه ولولا صبرهم وثباتهم لقتلت البطون رسول الله ﷺ كما قتل غيره من الأنبياء وأجهضت دعوته في مهدها، ولكن الله أراد أن يظهر دينه، وأن يتحمل البطن الهاشمي أعباء مرحلة التأسيس الحاسمة».

ثم أوحى الله تعالى لنبيه ﷺ أنه أرسل حشرة أكلت صحيفة الحصار ولم تبق من كتابتها إلا إسم الله. وما أن انتهى جبريل من إلقاء تلك البشارة العظيمة حتى نهض رسول الله ﷺ فأخبر عمه بتفاصيل خبر السماء، وعلى إثر ذلك توجه النبي وأبوطالب والهاشميون جميعاً إلى مكة.

أقبلت قريش تريد الوقوف على حقيقة الأمر، وهي تظن أباطال قد جاء ليعلمن استسلامه واستسلام بني هاشم، ولكن أباطال طلب من زعماء الشرك أن يحضروا صحيفة الحصار، فلما فعلوا ذلك قال لهم: أليست هذه صحيفتكم على العهد الذي تركتموها فيه؟ فقالت زعامة البطون: نعم. فقال أبوطالب: فهل أحدثتم فيها حدثاً؟ فقالوا: اللهم لا. فقال لهم: لقد أعلمني محمد عن ربه أن الله قد بعث الأربعة فأكلت كل ما فيها إلا ذكر الله، أفرأيتم إن كان صادقاً ما تصنعون؟ فقالت زعامة البطون: نكف ونمسك. فقال أبوطالب: فإن كان كاذباً فدفعته إليكم تقتلون! فقالوا: قد أنصفت وأجملت. وفُضت الصحيفة فإذا كل ما فيها قد محي إلا مواقع اسم الله عز وجل، وبهتت زعامة الشرك وأسلم على أثر هذه المعجزة عدد من الناس، وأعلن أبوطالب أنه على الدين الحق، واهتزت شرعية الحصار والمقاطعة.

إن للهاشميين فضلاً على كل مسلم ومسلمة إلى يوم الدين، فلولا موقفهم الحاسم المشرف بقيادة أبي طالب، لتمكنت بطون قريش من قتل محمد ﷺ ولما قامت للإسلام قائمة! ومن المهازل أن تقوم السلطات التي سيطرت على مقاليد أمور المسلمين فيما بعد بتصوير أبي طالب مشركاً وتنكر كفاحه وجهاد أبنائه، وتفرض مستهتمة على المنابر، ولا تقبل شهادة من يواليهم، وتلقي في أذهان العامة والغوغاء أن الهاشميين ماتوا بموت محمد، وأنهم لم يخلقوا للقيادة، وإنما خلقوا ليكونوا أتباعاً لخلفاء بطون قريش، وأن الخلافة حق خالص للبطون، مثلما كانت النبوة حقاً خالصاً للهاشميين، وأن هذه القسمة هي القسمة العادلة، وكأن البطون هي المخولة بتوزيع فضل الله تعالى».

#### ٧. أبوطالب يؤرخ بقصائده حصار الشعب

أرَّخَ أبوطالب ﷺ محاصرة قريش للنبي ﷺ وبني هاشم، بأكثر من عشر قصائد شرح فيها إصرارهم على قتل النبي ﷺ موقفه الحاسم في مقاومتهم، ومدح النبي ﷺ وأعلن إسلامه، وهذا بعضها من سيرة ابن إسحاق ١٤١/٢ وغيرها:

«كان أبوطالب يخاف أن يغتالوا رسول الله ﷺ ليلاً أو سراً فكان رسول الله إذا

أخذ مضجعه أو رقد، بعثه أبو طالب من فراشه وجعله بينه وبين بنيه، خشية أن يقتلوه! فقال أبو طالب وهو يذكر ما طلبوا من محمد وما حشدوهم في كل موسم يمنعونهم أن يبتاعوا بعض ما يصلحهم، وذكره في الشعر:

ألا هل أتى بحجرتنا صنُّع ربنا      على نأيهم والأمر بالناس أورا  
 ألم يأتيهم أن الصحيفة أفسدت      وكل الذي لم يرضه الله مُفسد  
 وكانت أحق رقعة بأثيمة      يُقَطَّع فيها ساعد ومقلد  
 فمن يك ذا عزِّ بمكة مثله      فعزتنا في بطن مكة أتلد  
 نشأنا بها والناس فيها أقلّة      فلم ننفكك نزداد خيراً ونفجد  
 جزى الله رهطاً بالحجون تتابعوا      بنصر امرئ يهدي لخير ويرشد  
 قعوداً لدى خطم الحجون كأنهم      مقالوة، بل هم أعز وأمجد  
 أعان عليها كل صقر كأنه      إذا ما مشى في رفرع الدرع أجرد  
 جرى على جُلَى الخطوب كأنه      شهاب بكفِّ قابس يتوقد  
 من الأكرمين من لؤي بن غالب      إذا سيم خسفاً وجهه يتريد  
 عظيم الرماد سيد وابن سيد      يحض على مقري الضيوف ويحشد  
 قضاوا ما قضاوا في ليلهم ثم أصبحوا      على مهل سائر الناس رقد  
 متى شرك الأقوام في جل أمرنا      وكنا قديماً قبلها نتودد  
 وكنا قديماً لا نقر ظلامه      وندرك ما شئنا ولا نتشدد  
 فيا لقصي هل لكم في نفوسكم      وهل لكم فيما يجيء به غد  
 فإني وإياكم كما قال قائل      لديك البيان لو تكلمت أسود

ويقصد بـ«بحرينا» جعفر بن أبي طالب عليه السلام. راجع: سيرة ابن إسحاق: ١٣٨/٢، ابن هشام: ٢٣٤/١ و٢٥٣، الطبقات: ٢١٠/١، المناقب: ٥٧/١، إعلام الوری: ١٢٥/١، أنساب الأشراف: ٣١/ وأبو طالب حامي الرسول/ ٣٠.

ألا من هبّ آخر الليل معتم      طواني وأخوى النجم لم يتقحم

طواني وقد نامت عيون كثيرة  
لأحلام أقوامٍ أرادوا محمداً  
سعوا سفهاً وأقتادهم سوء رأيهم  
رجاء أمور لم ينالوا نظامها  
يرجون أن نسخى بقتل محمد  
يرجون منا خطة دون نيلها  
كذبتم وبيت الله لا تقتلونهم  
وتقطع أرحام وتنسى حليلاً  
وينهض قوم في الدروع إليكم



وقالوا خطة جوراً وحقاً  
لتخرج هاشم فيصير منها  
فمهلاً قومنا لا تركبونا  
فيندم بعضكم ويذل بعض  
فلا والراقصات بكل خرق  
طوال الدهر حتى تقتلونا  
ويعلم معشر قطعوا وعقوا  
أرادوا قتل أحمد ظالموه  
ودون محمد فتیان قوم

وبعض القول أبلج مستقيم  
بلاقع بطن مكة والحطيم  
بمظلمة لها أمر وخيم  
وليس بمفلح أبداً ظلوم  
إلى معمر مكة لا يريم  
ونقتلكم وتلتقي الخصوم  
بأنهم هم الجلد الظليم  
وليس لقتله فيهم زعيم  
هم العرنيين والعضو الصميم



ألا أبلغنا عني على ذات نأبها  
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً  
لؤياً وخُصّاً من لؤي بني كعب  
نبياً كموسى خُطِّ في أول الكتب

وأن عليه في العباد محبة  
وأن الذي أضفيتم في كتابكم  
أفيقوا أفيقوا قبل أن يحضر الثرى  
ولا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا  
وتستجلبوا حرباً عواناً وربما  
ولسنا ورب البيت نسلم أحمداً  
أليس أبونا هاشمٌ شد أزره  
ولسنا نمل الحرب حتى تملنا  
ولكننا أهل الحفاظ ذوا النهى

ولا خير فيمن خصه الله بالخَبِ  
لكم كائنٌ نحساً كراغية السقب  
ويصبح من لم يجن ذنباً كذي الذنب  
أياصرنا بعد المودة والقرب  
أمرُ على من ذاقه حلب الحرب  
على الحال من عض الزمان ولا كرب  
وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب  
ولانشتكي مما ينوب من النكب  
إذا طار أرواح الكماة من الرعب

وقوله عليه السلام: نحساً كراغية السقب، يحذرهم من يوم كأصحاب ناقة صالح عليه السلام.

ألا أبلغا عني لؤياً رسالة  
بني عمنا الأذنين تيمماً نخصهم  
أظاهرتهم قوماً علينا ولاية  
يقولون إنا إن قتلنا محمداً  
كذبتهم ورب الهدى تُدمى نحوها  
تتالونه أو تبطلون لقتله  
وتدعو بويل أنتم إن ظلمتم  
فمهلاً ولما تنتح الحرب بكرها  
وأنا متى ما نُثرها بسيوفنا  
ويعلو ربيع الأبطالين محمد  
ويأوي إليها هاشم إن هاشماً  
فإن كنتم ترجون قتل محمد

بحق وما تغني رسالة مرسل  
وإخوتنا من عبد شمس ونوفل  
وأمر غويٍ من غواة وجُهَل  
أقرت نواصي هاشم بالتذلل  
بمكة والركن العتيق المقبل  
صوارم تُفري كل عظم ومفصل  
مقاليد في يوم أغر محجل  
وتأتي تماماً أو بأخر معجل  
تجلجل فنعرك من نشاء بكلكل  
على ربوة من رأس عنقاء عيطل  
عرانين كعب آخرأ بعد أول  
فروموا بما جمعتم نفل يذبل

فإننا سنحميه بكلٍ وطمرة  
وكل رديني ظمَاءٌ كعوبه  
وذِي مِيعَةٍ نَهْدِ المَوَاكِلِ هَيْكَلِ  
وغضب كإيماض الغمامة يفصل  
بأيمان شَمِّ من ذُوَابَةِ هَاشِمِ  
ومغاورير الأبطال في كل محفل



تطاول ليلى بهم نصبٌ  
ولعبٌ قُصِي بأحلامها  
ودمعي كسَخِ السِّقَاءِ السَّرِيبِ  
وهل يرجع الحلمُ بعد اللعب  
ونؤي قَصِي بني هاشمٍ  
وقولٌ لأحمد أنت امرؤ  
خلوق الحديث ضعيف النسب  
بأحمد قد جاءهم  
بجح ولم يأتهم بالكذب



وقد كان من أمر الصحيفة عبرة  
محا الله منها كفرهم وعقوقهم  
متى ما يُجَبَّرُ غَائِبُ القومِ يعجب  
وما نقموا من ناطق الحق معرب  
وأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً  
وأسمى ابن عبد الله فينا مصدقاً  
فلا تحسبونا خاذلين محمداً  
ستمعه منا يد هاشميةً  
فلا والذي تخذى له كل نضوة  
يميناً صدقنا الله فيها ولم نكن  
نفارقه حتى نصرع حوله  
لدى غربة منا ولا متقرب  
مركبها في الناس خير مركب  
طليحٌ نجى نجلته فالمحصب  
لنحلف كذباً بالعتيق المحجب  
وما نال تكذيب النبي المقرب

ويظهر من شعر أبي طالب عليه السلام أن قريشاً كانت تريد قتل النبي صلى الله عليه وآله وإجلاء بني هاشم من مكة! وقد أحبط الله هدفها بموقف أبي طالب عليه السلام وبني هاشم.

## ٨. رواية الخلافة جعلوا لؤم قريش نبلاً!

شارك كل زعماء قريش في صحيفة المقاطعة والمحاصرة، فلم يشذ منهم زعيم عن توقيعها، ولا تهاون في تنفيذها! لكن بعد انتصار النبي ﷺ عليهم بالآية الربانية جعلت الخلافة القرشية زعماء قريش قمة في النبل والإنسانية! وزعمت أن خمسة أو سبعة منهم «تلاوموا» وقرروا «نقض الصحيفة الظالم» وعملوا وعرضوا أنفسهم لأخطار، حتى تمكنوا من نقض الصحيفة!

«وزعموا أن النبي ﷺ شكرهم صنعهم! وأوصى المسلمين أن لا تقتلوا فلاناً لأنه لم يؤذني! وفلاناً لأنه كان خيراً باراً، وبطلاً من أبطال نقض الصحيفة! وجعلوهم خمسة» «ابن إسحاق ١٤٥/٢»: هشام بن عمرو بن ربيعة، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة بن مخزوم، ومطعم بن عدي، وأبي البختری بن هشام، وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد. «ثم إن المطعم بن عدي قام إلى الصحيفة فشقها فوجد الأربعة قد أكلتها!» ونظموا في مدحهم ٣٧/٢:

«فتية بيتوا على فعل خير حمد الصبح أمره والمساء  
بالأمرأتاه بعد هشام زمعة إنه الفتى الأتاء  
وزهير والمطعم بن عدي وأبو البختری من حيث شاءوا  
نقضوا مبرم الصحيفة إذ شد دت عليه من العدا الأنداء!»

وزعموا أن شاعر النبي ﷺ رثى مطعماً، قال ابن هشام: ٢٥٥/١: «وقال حسان بن ثابت يبكي المطعم بن عدي حين مات»، ويذكر قيامه في نقض الصحيفة:

أيا عين فابكي سيد القوم واسفحي بدمع، وإن أنزفت فاسكي الدما  
وبكّي عظيم المشعرين كليهما على الناس معروفاً له ما تكلمنا  
فلو كان مجد يخلد الدهر واحداً من الناس أبقى مجده اليوم مطعماً  
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا عبيدك ما لبي مهل وأحرما  
فلو سئلت عنه معد بأسرها وقحطان أو باقي بقية جرهما



لقالوا: هو الموفى بخفصة جاره وذمته يوماً إذا ما تذبما

وقال في السيرة الحلبية: ٣٦/٢: «المطعم بن عدي مات كافراً، وأبو البحري بن هشام قتل بيدر كافراً، وزمعة بن الأسود قتل بيدر كافراً».

لكن رووا عن جبير بن مطعم، وهو من الطلقاء سير الذهبي: ٩٥/٣ أن النبي ﷺ مدح أباه، وقال في شأن أسارى بدر: «لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء التنن، لتركتهم له!» بخاري: ٢٠/٥.

وقال في سبل السلام: ٥٦/٤: «وفيه دليل على أنه يجوز ترك أخذ الفداء من الأسير والساحة به لشفاعة رجل عظيم، وأنه يكافأ المحسن وإن كان كافراً».

وقد صور ابن حجر الدور البطولي لهؤلاء «العطاء» في نقض الصحيفة والخدمة الكبرى التي قدموها للإسلام ورسوله ﷺ! فقال في الإصابة: ٤٢٦/٦، عن هشام بن عمرو بن ربيعة إنه من المؤلفة قلوبهم أعطاه النبي ﷺ من غنائم حنين! وقال: «ذكر بن إسحاق قصته في نقض الصحيفة ومخاطرته في ذلك بنفسه ﷺ»!

وقال في فتح الباري: ١٤٧/٧: «ولم يكن يأتيهم شئ من الأقوات إلا خفية، حتى كانوا يؤذون من اطلعوا على أنه أرسل إلى بعض أقاربه شيئاً من الصلوات، إلى أن قام في نقض الصحيفة نفر، من أشدهم في ذلك صنيعاً هشام بن عمرو بن الحرث العامري، فكان يصلهم وهم في الشعب، ثم مشى إلى زهير بن أبي أمية فوافقه ومشياً جميعاً إلى المطعم بن عدي وإلى زمعة بن الأسود فاجتمعوا على ذلك، فلما جلسوا بالحجر تكلموا في ذلك وأنكروه وتواطؤوا عليه فقال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل، وفي آخر الأمر أخرجوا الصحيفة فمزقوها وأبطلوا حكمها»!

وتسألهم: متى كان ذلك من سنوات الحصار؟ فيقولون لك: كان بعد ثلاث سنوات منه أو أربع! يعني بعد سنوات رقت قلوب هؤلاء النبلاء لأطفال بني هاشم، فعملوا ليل نهار حتى فكوا عنهم الحصار!

وتسألهم: وأين دور معجزة النبي ﷺ وآية الأَرْضَة الربانية؟ أليست هي السبب الذي جعل زعماء قريش يبلسون، فتجراً بنو هاشم على كسر الحصار وخرجوا من

الشعب إلى مساكنهم! فيقولون: لقد تراقف سعي أولئك الأخيار لفك الحصار مع المعجزة فاستطاعوا أن ينهوا حصار بني هاشم رغم مخالفة أبي جهل! لاحظ مكدوبات القرشيين في شهامة زعماء الشرك في رواية ابن إسحاق: «ثم إن المطعم بن عدي قام إلى الصحيفة فشقها فوجد الأَرْضَةَ قد أكلتها» فقد جعلوا شهاتهم توأماً لمعجزة النبوة، لأن أولاهم حكموا الأمة! راجع تحريفاتهم في: الإصابة: ٢٣٠/١، الدرر: ٥٧، عمدة القاري: ١١٩/١٧، الطبري: ٧٨/٢ وغيرها! والحقيقة، أنه لم يكن عند زعماء قريش ذرةٌ من النَّبْلِ، وأن الذي أفضل الحصار آية الأَرْضَةِ، فخرج بنو هاشم من الحصار برأس مرفوع وعين قوية على عدوهم! غايته أن موقف بعض زعماء المشركين أمام المعجزة كان ألين من أبي جهل.

#### ٩. لك الله يا أبطالب!

فقد ادعت الخلافة أن زعماء المشركين خدموا النبي ﷺ ونقضوا صحيفة المقاطعة فأكرمهم الله تعالى! روى البخاري: ٢٠/٥ أن النبي ﷺ قال لو كان مطعم حياً وطلب إطلاق أسرى بدر لأطلقتهم له، وقالوا: «يجوز ترك أخذ الفداء من الأسير، والسباحة به لشفاعة رجل عظيم، وأنه يكافأ المحسن وإن كان كافراً». أما أبطالب، الذي قام الإسلام بمواقفه وحميته بهاله ونفسه وأبنائه وعشيرته! فمكافأته عندهم سخرية النبي ﷺ به! قالوا إن العباس قال له: «ما أغنيت عن عمك فوالله كان يحوطك ويغضب لك! قال: هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار!»

وقد رواه بخاري: ٢٤٧/٤، وكرره متبجحاً، وفسر ضحضاح النار: ٢٠٣/٧ بأنه: «يلغ كعبيه، يغلي منه أم دماغه!» وقالوا: «إن أهل النار إذا جزعوا من حرها استغاثوا بضحضاح في النار، فإذا أتوه تلقاهم عقارب كأنهن البغال الدهم، وأفاع كأنهن البخاتي فضربنهم!» الدر المنثور: ١٢٧/٤.

لقد انتقموا من أبي طالب فجعلوه كافراً في قعر جهنم! وزعموا أن

النبي ﷺ شفع له شفاععة مضحكة! مع أن الرجل المسلم يشفع لمن سقاه شربة ماء، فيدخله الجنة «ابن ماجة ٤٩٦/٢» والمؤمنين يشفعون: «فيمن وجبت لهم النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا» «الدر المنثور: ٢٤٩/٢». أنظر للمؤلف: ألف سؤال وإشكال: ١٧٤/١.

### ١٠. كذبة المليون أوقية ذهب وأخواتها!

رافق كذبة شهامة زعماء قريش في نقض الصحيفة، أكاذيب عن مساعدتهم لبني هاشم في سنوات الحصار! كالذي رواه ابن إسحاق: ١٤٥/٢ عن هشام بن عمرو: «كان يأتي في الشعب ليلاً قد أوقر جملأ طعاماً حتى إذا أقبل في الشعب حل خطامه من رأسه، ثم ضرب جنبه فدخل الشعب عليهم، ويأتي به وقد أوقره برأ أو بزأ، فيفعل به مثل ذلك!»!

وروا عن حكيم بن حزام أنه أتى بحمل بعير حنطة لعمته خديجة رضي الله عنها، وعن أبي العاص بن أمية زوج زينب، أنه كان يوصل مواد غذائية إلى الشعب.

وقد ناقش ذلك صاحب الصحيح: ٢١١/٣ فقال ملخصاً: «لأنجد أثرأ لابن عم خديجة حكيم بن حزام الذي تدعي الروايات أنه كان يرسل الطعام لهم وهم محصورون في الشعب. فحكيم هذا كان من الذين انتدبتهم قريش لقتل رسول الله ليلة الغار، وباتوا على باب النبي ﷺ يرصدونه فرد الله كيدهم! وحكيم هذا كان يحتكر جميع الطعام الذي كان يأتي إلى المدينة على عهد رسول الله ﷺ! ومن كانت هذه نفسيته لا يكون جواداً ويعرض نفسه لخطر عداء قريش، إلا أن يكون عمله احتكاراً تجارياً لبيع المسلمين بأغلى الأثمان، ويعرض نفسه للخطر جباً بالمال!

كما لا تجد في حصار الشعب ذكراً لأبي العاص بن الربيع الأموي! الذي زعموا أنه كان يخاطر بنفسه، ويأتي لهم بالطعام من مكة».

وأكبر كذبة هنا قولهم إن أبا بكر كان أول من أسلم وكان صاحب ثروة عظيمة أنفقها على النبي ﷺ! قالت عائشة: «فخرتُ بهال أبي في الجاهلية، وكان ألف ألف أوقية». قال ابن أبي عاصم: ٢٢٥: «قال الألباني: أخرجه البخاري في الأدب المفرد: ٩٧٠ وفي أفعال

العباد ص: ٨٩، والحاكم: ٥٧٤/٤، وعنه البيهقي في الأسماء ص: ٧٨، وأحمد: ٤٩٥/٣ من طرق أخرى عن همام بن يحيى به. وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي! وقال الذهبي في سيره: ١٨٥/٢: «وأعتقد لفظة ألف الواحدة باطلة، فإنه يكون أربعين ألف درهم، وفي ذلك مفخرٌ لرجل تاجر وقد أنفق ماله في ذات الله، ولما هاجر كان قد بقي معه ستة آلاف درهم، فأخذها صحبته. أما ألف ألف أوقية، فلا تجتمع إلا لسلطان كبير».

لكن لا تصح دعوى الذهبي، لأنهم صححوا الخبر بلفظ: ألف ألف أوقية! كما لا يصح ما افترضه أن أبابكر أنفق ألف أوقية ذهباً على النبي ﷺ لأن ذلك لم يروه أحد، ولم يظهر حتى في أوقية واحدة، ولا في صاع حنطة في سنوات الحصار، ولا بدرهم يسيرة أعطها لمستضعف من المسلمين، وقد زعموا أنه اشترى بلالاً ولم يثبت، أما إنفاقه على ابن خالته مسطح فهو من مال مسطح لأنه كان يعمل معه!

فلو كان أنفق على بني هاشم في سنوات الحصار، أو أرسل اليهم شيئاً، لرواه رواة الخلافة بطرق عديدة في المسانيد والصحاح، ولما تفردت به عائشة! ولو أن عمر وأبابكر قالوا كلمة في مواجهة زعماء قريش في مكة، لردداها في خلافتها وكررا حديثها، وشرحها أتباعها، ورفعوها علماً! لقد كشفت سنوات الشُّعب أن بعض الذين ضخمهم الرواة لم يكن لهم وجود في تاريخ الإسلام، فهم غائبون في البأساء والضراء، حاضرون في الرخاء!

### ١١. علي بن أبي طالب عليه السلام منكور الفضل كأبيه!

لم يسجل رواة السلطة جهاد علي عليه السلام في سنوات الحصار، إلا لماً من حراسته للنبي ﷺ، ووصل منه شيء برواية أبي جعفر الإسكافي أحد كبار علماء المعتزلة! فقد نقل في شرح النهج: ٢٥٤/١٣، رده على الجاحظ فقال: «وهو المخصوص دون أبي بكر بالحصار في الشعب، وصاحب الخلوات برسول الله ﷺ في تلك

الظلمات، المتجرع لغصص المرار من أبي لهب وأبي جهل وغيرهما، والمصطلي لكل مكروهه، والشريك لنيبه في كل أذى، قد نهض بالحمل الثقيل وناء بالأمر الجليل. ومن الذي كان يخرج ليلاً من الشعب على هيئة السارق يخفي نفسه ويضائل شخصه، حتى يأتي إلى من يبعثه إليه أبو طالب من كبراء قريش، كمطعم بن عدي وغيره، فيحمل لبني هاشم على ظهره أعدال الدقيق والقمح وهو على أشد خوف من أعدائهم كأبي جهل وغيره، ولو ظفروا به لأراقوا دمه!

أعليُّ كان يفعل ذلك أيام الحصار في الشعب أم أبوبكر؟ ولقد كان يبيع نفسه ويطعم رسول الله ﷺ، ويظمى نفسه ويسقيه، وهو كان المعلل له إذا مرض، والمؤنس له إذا استوحش، وأبوبكر بنجوة عن ذلك لا يمسه مما يمسه ألم، ولم يلحقه مما يلحقهم مشقة، ولا يعلم بشيء من أخبارهم وأحوالهم إلا على سبيل الإجمال دون التفصيل، ثلاث سنين محرمة معاملتهم ومناكحتهم ومجالستهم، محبوسين محصورين ممنوعين من الخروج والتصرف في أنفسهم! فكيف أهمل الجاحظ هذه الفضيلة ونسي هذه الخصيصة ولا نظير لها!

الذبيحة  
التي  
أضحت  
لله



## الفصل الثالث والعشرون

### عام وفاة أبي طالب وخديجة عليهما السلام : عام الحزن

#### ١. أبوطالب عليه السلام يقود عملية كسر الحصار قبيل وفاته

عندما حذر بحيرا الراهب أباطالب أن يدخل بالنبي عليه السلام إلى دمشق خوفاً عليه من اليهود، يومها عاد أبوطالب عليه السلام بحبيبه إلى مكة فطاف حول الكعبة داعياً ربه أن يحفظ محمداً عليه السلام من كيد اليهود، وأطلق قصائده في مدحهم، وتشدد في حراسته، واستمر في ذلك أكثر من ثلاثين سنة! وما أن بعثه الله رسولاً حتى واجهته قريش بأشد من كيد اليهود، فطلبت من أبي طالب بكل وقاحة أن يسلمها إياه لتقتله! لأن ادعاءه النبوة يهدد تقاسم الزعامة في قبائل قريش، ويعني الدعوة إلى رئاسة بني هاشم!

من ذلك اليوم دخل أبوطالب عليه السلام في مواجهة ضارية مع زعماء شرسين وجبناء في آن واحد، وقاد بني هاشم بحكمة وقوة، وجمعهم حوله مؤمنهم وكافرهم، يحمون ابنهم محمداً عليه السلام بشجاعة هاشمية مميزة!

كان محمداً عليه السلام عنده أعز من أولاده ومن نفسه، فهو محبوبه المقدى، وصديقه الحميم، والنبي الصادق. وقد نجح في حمايته حتى في أشد السنوات في حصار الشعب! وكان النبي عليه السلام يواجه عمه الجليل بأدب الإبن مع أبيه، وحنان الرسول على المؤمن. وقد جاءه يوماً بعد سنوات من حصار قريش فقال له: يا عم إن الله عز وجل قد أرسل على صحيفة القوم أَرْضَةً فأكلت كل بنودها الظالمة، وأبقت منها إسم الله تعالى!

قال ابن إسحاق في سيرته: ١٤٢/٢: «فأخبر الله عز وجل بذلك رسوله ﷺ فأخبر أبا طالب، فقال أبو طالب: يا ابن أخي من حدثك هذا، وليس يدخل إلينا أحد ولا يخرج أنت إلى أحد، ولست في نفسي من أهل الكذب؟ فقال له رسول الله ﷺ أخبرني ربي هذا! فقال له عمه: إن ربك لحق وأنا أشهد أنك صادق. فجمع أبو طالب رهطه ولم يخبرهم ما أخبره به رسول الله كراهية أن يفشوا ذلك الخبر فيبلغ المشركين فيحتالوا للصحيفة بالخبث والمكر، فانطلق أبو طالب برهطه حتى دخلوا المسجد والمشركون من قريش في ظل الكعبة، فلما أبصروه تابشوا به وظنوا أن الحصر والبلاء لهمهم على أن يدفعا إليهم رسول الله ﷺ فيقتلوه!

فلما انتهى إليهم أبو طالب ورهطه رحبوا بهم وقالوا: قد آن لك أن تطيب نفسك عن قتل رجل في قتله صلاحكم وجماعتكم، وفي حياته فرقتكم وفسادكم! فقال أبو طالب: قد جئتكم في أمر لعله يكون فيه صلاح وجماعة، فاقبلوا ذلك منا. هلموا صحيفتكم التي فيها تظاهركم علينا، فجاؤوا بها ولا يشكون إلا أنهم سيدفعون رسول الله إليهم إذا نشروها، فلما جاؤوا بصحيفتهم قال أبو طالب: صحيفتكم بيني وبينكم، وإن ابن أخي قد خبرني ولم يكذبني أن الله عز وجل قد بعث على صحيفتكم الأرضة فلم يدع الله فيها إسماً إلا أكلته وبقي فيها الظلم والقطيعة والبهتان، فإن كان كاذباً فلکم علي أن أدفعه إليكم تقتلونه، وإن كان صادقاً فهل ذلك ناهيكم عن تظاهركم علينا؟ فأخذ عليهم الموائيق وأخذوا عليه! فلما نشروها فإذا هي كما قال رسول الله! وكانوا هم بالغدر أولى منهم، واستبشر أبو طالب وأصحابه، وقالوا أينما أرى بالسحر والقطيعة والبهتان». وفي رواية ابن سعد: ٢١٠/١: «إن الله قد سلط على صحيفتكم الأرضة فلحست كل ما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعة رحم، وبقي فيها كل ما ذكر به الله».

وفي الخرائج: ٨٥/١: «فما راع قريشاً إلا وبنو هاشم عنقاً واحداً، قد خرجوا من الشعب! فقالت قريش: الجوع أخرجهم! فجاؤوا حتى أتوا الحجر وجلسوا فيه، وكان لا يقعد فيه إلا فتیان قريش. فقالوا: يا أبا طالب قد آن لك أن تصالح قومك. قال: قد جئتكم بخبر، إبعثوا إلى صحيفتكم لعله أن يكون بيننا وبينكم صلح».

قال: فبعثوا إليها وهي عند أم أبي جهل، وكانت قبل في الكعبة فخافوا عليها السرق، فوضعت بين أيديهم وخواتيمهم عليها. فقال أبو طالب: هل تنكرون منها شيئاً؟ قالوا: لا. قال: إن ابن أخي حدثني ولم يكذبني قط، أن الله قد بعث على هذه الصحيفة الأَرْضة، فأكلت كل قطعة وإثم وتركت كل اسم هو الله، فإن كان صادقاً أفلعتم عن ظلمنا، وإن يكن كاذباً ندفعه إليكم فقتلتموه. فصاح الناس: نعم يا أبا طالب، ففتحت ثم أخرجت فإذا هي مُشْرَبَةٌ كما قال، فكَبَّرَ المسلمون، وامتعت وجوه المشركين. فقال أبو طالب: أتبين لكم أينأ أولى بالسحر والكهانة؟ فأسلم يومئذ عالمٌ من الناس».

وفي إعلام السورى: ١٢٧/١: «فتفرق القوم ولم يتكلم أحد. وقال عند ذلك نفر من بني عبدمناف وبني قصي ورجال من قريش ولدتهم نساء بني هاشم منهم مطعم بن عدي بن عامر بن لؤي، وكان شيخاً كبيراً كثير المال له أولاد، وأبو البخترى بن هشام، وزهير بن أمية المخزومي، في رجال من أشرفهم: نحن براء مما في هذه الصحيفة! وقال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل! وخرج النبي ﷺ من الشعب ورهطه وخالطوا الناس! ومات أبو طالب بعد ذلك بشهرين، وماتت خديجة بعد ذلك».

## ٢. أبو طالب يُودَع حبيبه ﷺ ويوصيه بالهجرة إلى المدينة

انتصر أبو طالب ﷺ في كسر الحصار، وحلَّت الفرحة قلب حامى النبي ﷺ وفاديه بنفسه وبنيه، وعاد إلى بيته في مدخل الشعب، شجرة باسقة أظلت رسول الله ﷺ أكثر من أربعين سنة، وأظلت دعوته أكثر من عشرين سنين! كان أبو طالب قرير العين بما أنعم الله على ابن أخيه وعليه، وأخذ يدير عملياته في ظروف جديدة، مليئة بالأمل، حتى مع المرض. وفي هذه المدة، نظم بقية قصائده في نصره الإسلام ورسوله ﷺ، وراسل ابنه جعفرًا في الحبشة بإحداها، يخبره بالمعجزة الربانية وفشل الحصار!



وكان يعقد الجلسات مع حبيبه الغالي ﷺ ويتداول معه أخبار قريش، ومستقبل النبي ﷺ والإسلام، والخطر الذي سيواجهه بعد وفاته.

كان يعرف أن فراعنة قريش عنيدون حاقدون، وأنه بمجرد أن يغمض عينيه سيقولون مات الذي وحّد بني هاشم لحمايته، وجاءت الفرصة لقتل محمد ﷺ! وسينفلتون كالذئاب الجائعة لدم محمد ﷺ!

كان يعرف أن قبائل العرب تخاف من قريش فلا تحمي محمد ﷺ، أو تريد الثمن من محمد ﷺ لحمايته بأن تكون لها خلافته، ومحمد ﷺ يجيبهم بأن للأمر أهلاً، ويطلب منهم أن يبايعوه على أن لا ينازعوا الأمر أهله!

لهذا لم يكن عند أبي طالب أمل إلا في المدينة وبني النجار خاصة، وقد روت المصادر: «لما حضرت أبو طالب الوفاة دعا رسول الله ﷺ فقال له: ابن أخي: إذا أنا مت فانت أحوالك من بني النجار، فإنهم أمنع الناس لما في بيوتهم». تاريخ دمشق: ٣٣٨/٦٦، الطبقات: ٥٤٣/٣ وتاريخ الذهبي: ٢٣٣/١.

كما روت المصادر أن أبا طالب ﷺ سأل النبي ﷺ ذات يوم: «هل تدري ما ائتمروا بك؟ قال: يريدون أن يسجروني أو يقتلوني أو يخرجوني! قال: من خبرك بهذا؟ قال: ربي، قال: نعم الرب ربك استوص به خيراً، قال: أنا أستوصي به؟ بل هو يستوصي بي. فنزلت: وَإِذْ يَتَكْرَمُكَ الَّذِينَ كَفَرُوا. الآية». عمدة القاري: ٢٤٦/١٨، وتفاسير الطبري: ٢٩٩/٩، ابن أبي حاتم: ١٦٨٨/٥، الثعلبي: ٣٥٠/٤ وابن كثير: ٣١٤/٢. وقال في الدر المنثور: ١٧٩/٣ وأخرج سنيد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ.

وقال في باب النقول/١١٠: «قال ابن كثير: ذكر أبي طالب فيه غريب بل منكر، لأن القصة ليلة الهجرة، وذلك بعد موت أبي طالب بثلاث سنين!»

وسبب استغرابهم: بغضهم لأبي طالب! وإلا فقد روي أن المشركين كانوا يأترون بالنبي ﷺ من أول بعثته وقرروا قتله أو سجنه أو نفيه عدة مرات، وكان الله تعالى يخبره بذلك، فيخبر عمه ويتداول الموقف، ونزلت الآية بعد ذلك.

أما قولهم «فاستوص به خيراً» فهو للطعن بأبي طالب ﷺ والصحيح ما رويهم

في قصة الصحيفة كما سيأتي: «فقال له رسول الله ﷺ أخبرني ربي هذا! فقال له عمه: إن ربك لحنى، وأنا أشهد أنك صادق». سيرة ابن إسحاق: ١٤٢/٢.

فتأمل في بغضهم لأبي طالب وللنبي ﷺ!

### ٣. جَمَعَ بني هاشم قبل وفاته وأوصاهم بالنبي ﷺ

بلغه أن زعماء قريش: «تحالفوا وتقاعدوا لئن مات أبو طالب لتجتمع قبائل قريش كلها على قتله. فجمع بني هاشم وأحلافهم من قريش، فوصاهم برسول الله ﷺ وقال: إن ابن أخي نبي كما يقول. إن محمداً نبي صادق، وأمين ناطق، وإن شأنه أعظم شأن، ومكان من ربه أعلى مكان، فأجيبوا دعوته، واجتمعوا على نصرته، وارموا عدوه من وراء حوزته، فإنه الشرف الباقي لكم مدى الدهر». وأنشأ يقول:

أوصي بنصر النبي الخير مشهده	علياً ابني وعمّ الخير عباسا
وحمة الأسد المخشي صولته	وجعفرأ أن تذودوا دونه الباسا
وهاشماً كلها أوصي بنصرته	أن يأخذوا دون حرب القوم أمراسا
كونوا فداءً لكم نفسي وما ولدت	من دون أحمد عند الروع أتراسا
بكل أبيض مصقول عوارضه	تحاله في سواد الليل مقباسا»

المناب: ٥٥/١ وروضة الواعظين/ ٥٤.

### ٤. وَصَلَّتْكَ رَجْمٌ يَا عَمَّ وَجَزَاكَ اللهُ عَنِي خَيْراً

قال ابن واضح اليعقوبي وهو مؤرخ ثبت إن خديجة توفيت قبل أبي طالب ﷺ بعد كسر الحصار بقليل، فحزن عليها النبي ﷺ حزناً عميقاً، وكان يمضي وقته في بيته، أو يزور عمه أبا طالب. وذات يوم جاءه الخبر: مات ناصرك أبو طالب وهوت الشجرة الظليلة الحانية!

قال اليعقوبي: ٣٥/٢: «توفي أبو طالب بعد خديجة ﷺ بثلاثة أيام وله ست وثمانون سنة وقيل بل تسعون سنة. ولما قيل لرسول الله ﷺ: إن أبا طالب قد

مات، عظم ذلك في قلبه، واشتد له جزعه، ثم دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرات وجبينه الأيسر ثلاث مرات ثم قال: يا عم، ربيت صغيراً، وكفلت يتيماً، ونصرت كبيراً، فجزاك الله عني خيراً. ومشى بين يدي سريره وجعل يعرضه ويقول: وصلتك رحم، وجزيت خيراً. وقال ﷺ: اجتمعت على هذه الأمة في هذه الأيام مصيبتان، لا أدري بأيهما أنا أشد جزعاً، يعني مصيبة خديجة وأبي طالب».

إن فعل النبي ﷺ بليغ، وكلامه بليغ، ورحم الله ابن واضح يعقوبي على أمانته وهو أقدم من الطبري، فقد توفي سنة ٢٨٤.

وكان موت خديجة وأبي طالب ﷺ مصيبتان على أمة الإسلام على رسول الله ﷺ لأنها مجاهدان في تأسيس هذه الأمة وحمايتها، ونصرة نبيها ومؤسسها. وروى عن الإمام الصادق ﷺ قال: «لما مات أبو طالب وقف رسول الله ﷺ على قبره فقال: جزاك الله من عم خيراً، فقد ربيتني يتيماً، ونصرتني كبيراً».

وروى ابن أبي حاتم في الدر النظيم/٢٢١، عن علي ﷺ قال: «أخبرت رسول الله ﷺ بموت أبي طالب فبكى ثم قال: إذهب فغسله وكفنه وواره، غفر الله له ورحمه، ففعلت ثم أمرني فاغتسلت ونزلت في قبره، وجعل يستغفر له، وبقي أياماً لا يخرج من بيته». أقول: كانت قريش تتأهب لقتل النبي ﷺ بمجرد وفاة أبي طالب ﷺ! ومع ذلك شارك في مراسم تشييعه في بيته القريب، وحمله معهم على سريره، وشيع جنازته إلى قبره في الحجون رغم الخطر على حياته كما روي عن الإمام الصادق ﷺ، ثم اعتكف في بيته أياماً، وهو يعالج نشاط قريش وتخطيطهم لقتله. ولعله أوكل دفنه إلى علي بسبب ظرفه الأمني ثم ذهب إلى قبره بعد ذلك.

وفي الجواهر السننية/٢١٩، عن عبدالرحمن بن كثير قال: «قلت لأبي عبدالله «الإمام الصادق ﷺ»: إن الناس يقولون إن أبا طالب في ضحاح من النار! فقال: «كذبوا ما بهذا نزل جبرئيل! قلت: وبماذا نزل جبرئيل؟ فقال أتى جبرئيل في بعض ما كان ينزل على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إن ربك يقروك السلام ويقول: إن أهل الكهف أسروا الإيमान وأظهروا الشرك فأتاهم الله أجرهم مرتين، وإن أبا طالب أسر الإيمان وأظهر

الشرك، فاتاه الله أجره مرتين. ثم قال عليه السلام: كيف يصفونه بهذا وقد نزل جبرئيل ليلة مات أبو طالب فقال: يا محمد، أخرج من مكة، فليس لك بها ناصر بعد أبي طالب». وفي الكافي: ٤٣٩/١ و٣٤١/٨ عن الصادق عليه السلام قال: «لما توفي أبو طالب أوحى الله إلى رسوله ﷺ: أخرج من القرية الظالم أهلها، فليس لك بها ناصر بعد أبي طالب». ثم روى عن الإمام العسكري عليه السلام قال: «إن الله أوحى إلى رسول الله ﷺ إني قد أيدتك بشيعتين: شيعة تنصرك سرّاً فسيدهم وأفضلهم أبو طالب، وشيعة تنصرك علانية، فسيدهم وأفضلهم علي بن أبي طالب».

وفي كمال الدين/١٧٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «والله ما عبدَ أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبدمناف، صنماً قط. قيل له: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به».

وفي البحار: ١١٦/٣٥، عن الباقر عليه السلام: «مات أبو طالب بن عبد المطلب مسلماً مؤمناً». وفي المناقب: ٦٢/١: «وقالوا: لو كان محمد نبياً لشغلته النبوة عن النساء، ولأمكنه جميع الآيات، ولأمكنه منع الموت عن أقاربه، ولما مات أبو طالب وخديجة، فنزل قوله تعالى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا يَأْذَنَ اللَّهُ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ». الرد ٣٨.

#### ٥. وفاة خديجة وأبي طالب عليه السلام قبل الهجرة بسنتين وكسر

تفاوتت الرواية في كل المصادر عن سنة وفاة خديجة وأبي طالب عليه السلام، فروي أنها قبل الهجرة بسنة وروي أنها قبلها بثلاث سنوات، والذي أطمئن إليه أنها كانت قبلها بسنتين وكسر، لأن أبا طالب عليه السلام توفي في شوال وذهب النبي ﷺ بعد وفاته مباشرة تقريباً إلى الطائف، وفي موسم الحج بعد وفاة أبي طالب كان لقاءه بستة من الأنصار، وفي السنة الثانية التقى ببضعة عشر وبايعوه بيعة العقبة الأولى، وفي السنة التالية جاءه السبعون وبايعوه بيعة العقبة الثانية، وبعدها مباشرة كانت هجرته ﷺ في ربيع الأول من السنة التالية.

وكانت وفاة خديجة عليها السلام قريباً من وفاة أبي طالب، وقد سمي النبي صلى الله عليه وآله ذلك العام: عام الحزن.

وفي الطبقات: ٢١٠/١: «لما توفي أبو طالب وخديجة بنت خويلد وكان بينهما شهر وخمسة أيام، اجتمعت على رسول الله مصيبتان فلزم بيته وأقل الخروج، ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع به».

وفي تفسير ابن كثير: ١٧٦/٤: «وخروجه صلى الله عليه وآله إلى الطائف كان بعد موت عمه، وذلك قبل الهجرة بسنة أو سنتين، كما قرره ابن إسحاق وغيره».

أقول: ما تراه في بعض الروايات من أن وفاة خديجة عليها السلام كان قبل الهجرة بثلاث سنين أو سنتين، فوجهها أنها بستين وكسر السنة.

أما رواية السنة كما في مستدرک الحاكم: ١٨٢/٣، فلا تصح.

#### ٦. سماه رسول الله صلى الله عليه وآله: عام الحزن!

في الكافي: ٤٤٠/١: «فلما فقدهما رسول الله صلى الله عليه وآله شئى المقام بمكة، ودخله حزن شديد، وشكا ذلك إلى جبرئيل عليه السلام فأوحى الله تعالى إليه: أخرج من القرية الظالم أهلها، فليس لك بمكة ناصر بعد أبي طالب، وأمره بالهجرة».

وفي عمدة القاري: ١٨٠/٨، ومناقب آل أبي طالب: ١٥٠/١: فكان النبي صلى الله عليه وآله يسمي ذلك العام عام الحزن. وفي شرح الأخبار: ١٧/٣: «وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما اغتممت بغم أيام حياة أبي طالب وخديجة، لما كان أبو طالب يدفعه عنه، وخديجة تعزیه وتصبره وتمون عليه ما يلقاه في ذات الله عزوجل».

وفي أمالي الطوسي/٤٦٣: «كان الله عزوجل يمنع نبيه صلى الله عليه وآله بعمه أبي طالب، فما كان يخلص إليه من قومه أمر يسوؤه مدة حياته، فلما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وآله بغيتها، وأصابته بعظيم من الأذى حتى تركته لقمي! فقال صلى الله عليه وآله: لأسرع ما وجدنا فقدك يا عم! وصلتك رحم، فجزيت خيراً يا عم».

ثم ماتت خديجة بعد أبي طالب بشهر فاجتمع بذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله حزنان حتى

عرف ذلك فيه. قال هند: ثم انطلق ذوو الطول والشرف من قريش إلى دار الندوة، ليأتمروا في رسول الله ﷺ، وأسروا ذلك بينهم.. إلى آخر الحديث».

### ٧. هاجمت قريش النبي ﷺ مرات لتقتله فخابت!

كانت الفترة بعد وفاة أبي طالب إلى الهجرة الأخطر على حياة رسول الله ﷺ، فقد قال ﷺ: «ما زالت قريش كاعّة عني حتى مات أبو طالب». أي منكمشة عن أذاه خوفاً من أبي طالب. إعلام الوري: ٥٣/١ والحاكم: ٦٢٢/٢.

وكتفت محاولاتها لقتله ﷺ فكانت تتجسس عن مكانه وتضع الخطط لقتله، وكان جبرئيل عليه السلام يخبره، وذات مرة أمره أن يفر ويختبئ مع علي عليه السلام في الحجون لأن بيته ﷺ كان قرب المسجد.

قال الإمام الصادق عليه السلام «الكافي: ٤٤٩/١»: «لما توفي أبو طالب نزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أخرج من مكة فليس لك فيها ناصر، وثار قريش بالنبي ﷺ فخرج هارباً حتى جاء إلى جبل بمكة يقال له الحجون، فصار إليه».

ومعنى ثاروا به: أنهم هاجموا بيته ليقتلوه!

وفي مجمع الزوائد ١٥/٦: «وعن أبي هريرة قال: لما مات أبو طالب تحينوا النبي ﷺ فقال: ما أسرع ما وجدتُ فقدك يا عم».

وقال البيهقي في تاريخه: ٣٦/٢: «واجترأت قريش على رسول الله بعد موت أبي طالب وطمعت فيه، وهموا به مرة بعد أخرى».

وفي تفسير القمي: ٤٣٧/٢: «لما مات أبو طالب عليه السلام فنأدى أبو جهل والوليد عليهما لعائن الله: هلموا فاقتلوا محمداً فقد مات الذي كان ناصره! فقال الله تعالى: فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُوا الزَّبَانِيَةَ. قال: كما دعا إلى قتل محمد رسول الله نحن أيضاً ندع الزبانية».

أقول: هذا يدل على نزول هذه الآيات مرتين، وهو كثير في القرآن.

وفي الطبري: ٨٠/٢: «وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته منه، حتى نثر بعضهم على رأسه التراب».

ولم يذكر لنا رواة السلطة أين كان عمر ومن ادعوا لهم البطولة في تلك الفترة! ولماذا ذابوا وقت الشدة كما يذوب الملح؟

### ٨. دفنها النبي ﷺ في مقبرة المعلا بالحجون

في الخصال/٢٢٥، عن الإمام الكاظم عليه السلام: «قال رسول الله ﷺ: إن الله تبارك وتعالى اختار من كل شئ أربعة: اختار من الملائكة جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليه السلام، واختار من الأنبياء أربعة للسياق: إبراهيم وداود وموسى وأنا، واختار من البيوتات أربعة، فقال: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ. واختار من البلدان أربعة فقال عز وجل: وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ. وَطُورِ سَيْنِينَ. وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ. فالتين المدينة والزيتون بيت المقدس وطور سينين الكوفة وهذا البلد الأمين مكة. واختار من النساء أربعاً: مريم وآسية وخديجة وفاطمة». وفي تاريخ يعقوبي: ٣٥/٢ وأمال الطوسي/١٧٥: «توفيت خديجة بنت خويلد في شهر رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين، ولها خمس وستون سنة، ودخل عليها رسول الله ﷺ وهي تجود بنفسها فقال: بالكُره مني ما أرى، ولعل الله أن يجعل في الكره خيراً كثيراً. إذا لقيت ضراًتك في الجنة يا خديجة فاقريهين السلام. قالت: ومن هنَّ يا رسول الله؟ قال: إن الله زوجنيك في الجنة، وزوجني مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وكلثوم أخت موسى. فقالت: بالرفاء والبنين!

ولما توفيت خديجة، جعلت فاطمة تتعلق برسول الله وهي تبكي وتقول: أين أمي أين أمي؟ فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال قل لفاطمة: إن الله تعالى بنى لأمك بيتاً في الجنة [من قصب] لانصب فيه ولا صخب. فقالت فاطمة عليه السلام: إن الله هو السلام ومنه السلام وإليه السلام».

«ودفنت خديجة بالحجون، ونزل في قبرها رسول الله ﷺ». الحاكم: ١٨٢/٣.

«ويستحب أن يزور خديجة بالحجون، وقبرها معروف هناك، قريب من سفح

الجبيل». الدروس الشرعية: ٤٦٨/١.

## ٩. الوهابيون انتقموا من خديجة!

تقع مقبرة الحجون في مكة على يسار الذاهب إلى منى، وفيها قبور أجداد النبي ﷺ، والمشهور منها قبر جده عبدالمطلب، وعمه أبي طالب، وزوجته خديجة سلام الله عليهم، وكان المسلمون منذ الجليل الأول يزورونها ويصلون ويدعون الله تعالى عندها، ويستشفون إلى الله بأصحابها، وبنوا عليها قباباً.

إلى أن جاء الوهابيون التجديون صنعة الإنكليز فهدموها بحجة أن زيارتها شرك! قال الحائري في شجرة طوبى: ١٧٥/٢، يصف هدمهم لقبرها: «وهم عند الهدم يرتجزون ويضربون الطبل ويغنون بالقوافي، ويستتهزؤون بالقبور التي هدموها! هدموا قبة مولد النبي ﷺ وقالوا هذا الموضع الذي ولدت فيه تلك المرأة ذلك المولود! وقالوا عندما هدموا قبر خديجة: طالما عبدك الناس فالآن قومي وامنعينا! ونادى بعضهم هاك يا خديجة! وقالوا: أطلعوا للقبب واهدموها واطرحوا الأصنام وارموها، حتى لا يكون لكم معبود غير الله! وهدموا مولد سيدتنا فاطمة ؑ. ودخلوا حرم النبي ﷺ. فأقدمت جماعة من الأعراب على تخريب قبور أهل بيت رسول الله ﷺ! ثم منعوا الناس عن قول يا رسول الله، ويضربونهم! وجعلوا ينادون غيرهم بلفظ: يا مشرك يا كافر!».

## ١٠. وانتقم القرشيون من أبي طالب ﷺ بعد موته!

بمجرد أن استولى الطلقاء على دولة النبي ﷺ ورفعوا شعار نبوته، صار عتاة قريش الذين كذبوه وأبغضوه وعملوا لقتله. مؤمنين دعا لهم رسول الله ﷺ بالخير، وشهد في حقهم بأنهم أبرارٌ أحياناً من أهل الجنة! أما عمه أبو طالب، ناصره وفاديه بنفسه وبأولاده وعشيرته، فأنكروا إسلامه، وغيبوا شعره الصريح بإسلامه، وغيبوا شهادات النبي ﷺ في حقه! وافتروا عليه أنه كان كافراً لم يؤمن بنبوة النبي ﷺ! ومع ذلك أفلتت أحاديث في مصادرهم تكذب افتراءهم! كالذي رواه



ابن سعد في الطبقات: ١٢٣/٨ عن علي بن أبي طالب قال: «أخبرت رسول الله ﷺ بموت أبي طالب فبكى ثم قال: إذهب فغسله وكفنه وواره، غفر الله له ورحمه. قال ففعلت ما قال وجعل رسول الله ﷺ يستغفر له أياماً، ولا يخرج من بيته».

وعلق عليه في هامش الخصائص للنسائي/٣٨: «قال البرزنجي كما في أسنى المطالب ٣٥/: أخرجه أبو داود وابن الجارود وابن خزيمة. وإنما ترك النبي المشي في جنازته اتقاء شر سفهاء قريش، وعدم صلاته لعدم مشروعية صلاة الجنازة يومئذ».

لكن المبغضين تجاهلوا هذا الحديث وأمثاله، ورووا بدله أن الله نهى نبيه عن الإستغفار لأبي طالب، وأنزل آية في ذمه آية: **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ.. الخ.**! مع أنها نزلت بعد أكثر من عشر سنين من وفاة أبي طالب ﷺ!

ثم كذبوا على لسان علي بن أبي طالب بأنه قال: «لما مات أبو طالب أتيت رسول الله فقلت إن أباطالب عمك الكافر قد مات! فقال رسول الله: إذهب فواره. فقلت: والله لا أواريه! فقال: فمن يواريه إن لم تواره فانطلق فواره، ثم لا تحدث شيئاً حتى تأتيني. فانطلقت فواريته ثم رجعت إلى رسول الله فقال: إنطلق فاغتسل ثم أتتني ففعلت، ثم أتته فلما أن أتته دعاني بدعوات ما أحب أن لي بهن ما على الأرض من شيء». وفي رواية كرروها: «إن عمك الضال قد مات!» ابن إسحاق: ٢٢٣/٤، أم الشافعي: ١٧٣/٧ الإصابة: ٢٠٠/٧ وتلخيص الحبير: ١٤٨/٥، عن أحمد، وأبي داود، والنسائي، وابن شعبة، وأبي يعلى، والبخاري، والبيهقي.. عن ناجية بن كعب عن علي.. وقال: «مدار كلام البيهقي على أنه ضعيف، ولا يبين وجه ضعفه، وقد قال الرافي إنه حديث ثابت مشهور!» أقول: ذكروا أن البيهقي ضعف ناجية لأن شعبة وجده يلعب بالشطرنج، فلم يكتب عنه! الثقات لعمر بن شاهين/٢٤٣.

وتممس الألباني في أحكام الجنائز/١٣٤، لتصحيح حديث ناجية محتجاً بتوثيق ابن حبان له، لكن ابن حبان جرحه فقال في المجروحين: ٥٧/٣: «في حديثه تخليط. قال النسائي ليس بثقة، وقال ابن عدي: يسرق الحديث. وقال الجوزجاني مذموم». ومن عجيب أمرهم أنهم نسبوا القسوة والخلافة إلى النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب ليطلعونا

بأبي طالب! ثم نقضوا كلامهم ورووا رثاء علي لأبيه عليه السلام!

قال ابن إسحاق: ٢٢٤/٢: «وقال علي بن أبي طالب يرثي أباه حين مات:

أرقت لنوح آخر الليل غردا	أباطالب مثنوى الصعاليك ذا الندى
وذا الحلم لا جلفاً ولم يك قعددا	لشيخى ينعي والرئيس المسودا
أخا الهلك خلى ثلثة سيشدها	بنوهاشم أو تستباح وتضهدا
فأمست قريش يفرحون لفقده	ولست أرى حياً لشيء مخلدا
أرادوا أموراً زينتها حلومهم	ستوردهم يوماً من الغي موردا
يرجون تكذيب النبي وقتله	وأن يفتروا بهتاً عليه وجحدا
كذبتم وبيت الله حتى نذيقكم	صدور العوالي والصقيع المهندا
ويبدؤ منا منظر ذو كريمة	إذا ما تسربلنا الحديد المسردا
فإما تبيدوننا وإما نبيدكم	وإما تروا سلم العشيرة أرشدا
وإلا فإن الحمي دون محمد	بنوهاشم خير البرية مجندا
نبي أتاه الوحي في كل حطة	فسماه ربي في الكتاب محمدا
أغر كضوء الشمس صورة وجهه	جلا الغيم عنه ضوءه فتعددا
أمين على ما استودع الله قلبه	وإن قال قولاً كان فيه مسددا

ثم لم يكتفوا بكذبة ناجية على أبي طالب! فزعموا أن النبي صلى الله عليه وآله عرض عليه الإسلام في مرض وفاته فأبى أن يقول لا إله إلا الله وقال: أخاف أن يعيروني بها! بل أنا على ملة أبي عبد المطلب! قال بخاري: ٩٨/٢ و ٢٤٧/٤: «لما حضرت أباطالب الوفاة جاء رسول الله صلى الله عليه وآله فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة. قال رسول الله لأبي طالب: يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله! فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أباطالب أترغب عن ملة عبد المطلب! فلم ينزل رسول الله صلى الله عليه وآله يعرضها عليه ويعودان

بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب! وأبى أن يقول لا إله إلا الله! فقال رسول الله: أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك. فأنزل الله تعالى فيه: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالنَّبِيِّاتِ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَسْتَفْتُونَ لِكُلِّ فِرْقٍ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَسْوَاطُ الْجَحِيمِ. ونزلت: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ. لاحظ أن البخاري زعم أن هذه الآية من سورة براءة نزلت يومئذ، وقد قال هو في صحيحه: ١١٥/٥ و١٨٥ و٢٠٢: «آخر سورة نزلت كاملة: براءة!»

لكنهم لبغضهم أبا طالب عليه السلام يتناقضون ولا يستحون! راجع الغدير: ٤٨/٨. ثم لم يكتفوا بذلك! فكذب لهم الزهري بأن علي بن الحسين عليه السلام: «أخبره أن أبا طالب توفي في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يرَّه جعفر ولا علي وورثه طالب وعقيل، وذلك لأنه لا يرث المسلم الكافر ولا يرث الكافر المسلم». الطبقات: ١٢٤/١. وغرضهم أن يلغوا ورائة النبي صلى الله عليه وآله من آبائه عليهم السلام وأعمامه لأنهم كفارٌ كغيرهم من زعماء قريش بل أسوأ! وغرضهم أن يتساووا مع بني هاشم في النبي صلى الله عليه وآله فترث قريش سلطانه دون الأنصار لأنهم غرباء، قال عمر في السقيفة: «من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته، إلا مُذَلِّ باطل أو متجانف لإثم، أو متورط في هلكة». الطبري: ٤٥٧/٢.

### ١١. معنى شفاعة النبي صلى الله عليه وآله لأبي طالب عليه السلام

ورد في حزن النبي صلى الله عليه وآله على عمه أبي طالب وتأبينه له قوله صلى الله عليه وآله: «أما والله لأشفعن لعمري شفاعة يُعجب بها أهل الثقلين». إيمان أبي طالب للمفيد/٢٥، إعلام الوری/٢٨٢، البحار: ٢٦١/٢٢ و١٢٥/٣٥ والغدير: ٣٨٦/٧.

لكنها ليست شفاعة لنجاته من النار كما زعم القرشيون، لأنه كان مسلماً مؤمناً مجاهداً، ويكفيه عمل صغير من أعماله العظيمة لدخول الجنة، بل هي شفاعة لرفع درجته في الجنة، بدليل قوله صلى الله عليه وآله: «يعجب بها أهل الثقلين».

وكذا معنى الحديث القدسي «الكافي: ٤٤٦/١» عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «نزل جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد إن ربك يقرؤك السلام ويقول: إني قد

حَرَمْتُ النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وجحر كفلك، فالصلب صلب أبيك عبدالله بن عبدالمطلب، والبطن الذي حملك فآمنة بنت وهب، وأما حجر كفلك فحجر أبي طالب. وفي رواية: وفاطمة بنت أسد».

وهذا تكريم للنبي ﷺ بتكريم من له علاقة بنشأته ونصرته ﷺ .

### ١٢. سافر النبي ﷺ إلى الطائف وطلب حماية ثقيف

في المحبر لمحمد بن حبيب البغدادي ١١/ : «توفيت خديجة رضي الله عنها بعد أبي طالب بثلاثة أيام. وخرج إلى الطائف بعد ذلك بثلاثة أشهر وثمانية أيام، وأقام بالطائف شهراً ويومين».

والأرجح عندنا ما ذكره البلاذري في أنساب الأشراف: ٢٢٧/١: «وكان خروج النبي ﷺ إلى الطائف لثلاث ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة، وقدم مكة يوم الثلاثاء لثلاث وعشرين ليلة خلت من ذي القعدة».

ولعله يفهم من قول ابن عبد البر في الدرر ٥٨/، ويناسبه الإعتبار لأنهم آذوه في الطائف وطلبوا منه الخروج، ومعناه أنه ﷺ بقي فيها بضعة أيام، والطريق من مكة رواحاً ومجئاً بضعة أيام، وروي أنه بقي يومين في نخلة قبل دخوله إلى مكة، فتكون مجموع سفرته دون الشهر.

ويناسبه أنه ﷺ كان حريصاً على لقاء وفود الحجاج في ذي القعدة وذي الحجة.

وفي المناقب: ١١٣/١: «لما دخل النبي ﷺ الطائف رأى عتبة وشيبة جالسين على سرير فقالا: هو يقوم قبلنا «أي لا نقوم للسلام عليه» فلما قرب النبي منها خر السرير ووقعا على الأرض، فقالا: عجز سحرك عن أهل مكة، فأتيت الطائف!» وفي المناقب: ٦٢/١: «فلم يقبلوه وتبعه سفهاؤهم بالأحجار ودموارجليه فخلص منهم واستظل في ظل حيلة «كرمة» منه وقال: اللهم إني أشكو إليك من ضعف قوتي وقلة حيلتي: وناصري وهواني على الناس يا أرحم الراحمين. فأنفذ عتبة وشيبة ابنا ربيعة إليه بطبق عنب على يدي غلام يدعى عداساً

وكان نصرانياً، فلما مد يده وقال: بسم الله، فقال: إن أهل هذا البلد لا يقولونها، فقال النبي ﷺ: من أين أنت؟ قال: من بلدة نينوى، فقال ﷺ: من مدينة الرجل الصالح يونس بن متى قال: وبها تعرفه؟ قال: أنا رسول الله، والله أخبرني خبر يونس، فخر عداس ساجداً لرسول الله وجعل يقبل قدميه وهما يسيلان الدماء، فقال عتبة لأخيه: قد أفسد عليك غلامك، فلما انصرف عنه سئل عن مقالته فقال: والله إنه نبي صادق، فقالوا: إن هذا رجل خداع لا يفتنك عن نصرانيتك، وقالوا: لو كان محمد نبياً لشغلته النبوة عن النساء ولأمكنه جميع الآيات ولأمكنه منع الموت عن أقاربه. ولما مات أبو طالب وخديجة فتزل: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً.

وقال يعقوبي: ٣٦٧/٢: «فعمد لثقيف بالطائف فوجد ثلاثة نفر إخوة هم يومئذ سادة ثقيف وهم: عبد ياليل بن عمرو، وحبیب بن عمرو، ومسعود بن عمرو، فعرض عليهم نفسه وشكى إليهم البلاء، فقال أحدهم: ألا إنه يسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك؟ وقال الآخر: أعجز الله أن يرسل غيرك؟ وقال الآخر: والله لا أكلمك أبداً، لئن كنت رسولاً كما تقول، لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك! وتزؤوا به وأفسوا في قومهم ما قالوه له وقعدوا له صفيين، فلما مر رسول الله ﷺ رجوه بالحجارة حتى أدموا رجله! فقال رسول الله: ما كنت أرفع قدماً ولا أضعها إلا على حجر! ووافاه بالطائف عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومعها غلام لهما نصراني ويقال له عداس، فوجهها به إلى رسول الله ﷺ فلما سمع كلامه أسلم.»

وفي الإصابة: ٣٨٥/٤: «وذكر الواقدي في قصة بدر من طريق أبي بكر بن سليمان بن أبي خيثمة، عن حكيم بن حزام قال: فإذا عداس جالس على الثنية البيضاء والناس يمرون عليها فوثب لما رأى شيبة وعتبة وأخذ بأرجلهما يقول: بأبي وأمي أنتما، والله إنه لرسول الله وما تساقان إلا إلى مصارعكم! قال: ومر به العاص بن شيبة فوجده يبكي فقال مالك؟ فقال: يبكي سيدي وسيدا هذا الوادي فيخرجان ويقاتلان رسول الله! فقال له العاص: إنه لرسول الله؟ فانتفض عداس انتفاضة شديدة واقشعر

جلده وبكى وقال: إي والله إنه لرسول الله إلى الناس كافة. وذكر الواقدي من وجه آخر أنه نهاهما عن الخروج وهما بمكة فخالفاه، فخرج معهما فقتل ببدر، قال ويقال إنه لم يقتل بها، بل رجع فمات».

### ١٣. دعاء النبي ﷺ في الطائف

في حلية الأبرار: ١٢٩/١ و١٣١: «فعمد لحائط من كرومهم، وجلس مكروباً فقال: اللهم إني أشكو إليك غربتي وكربتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، أنت رب المكروبين. اللهم إن لم يكن لك عليّ غضبٌ فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي. أعوذ بك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك. لا أحصي الثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، لك الحمد حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». ونحوه المناقب: ٦١/١. إعلام السورى: ١٣٥/١، الدرر: ٦٢، شرح النهج: ٩٦/١٤، الدعاء للطبراني: ٣١٥ وابن هشام: ٢٨٥/٢.

### كان علي عليه السلام وزيد مع النبي ﷺ في سفره إلى الطائف

ذكرت أكثر مصادرهم على أن النبي ﷺ كان وحده في سفره إلى الطائف، أو معه زيد فقط! قال في الطبقات: ٢١١/١: «فخرج إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة، وذلك في ليال بقين من شوال. فأقام بالطائف عشرة أيام».

لكن ابن أبي الحديد المعتزلي روى عن المدائني وهو إمام عندهم، أن علياً عليه السلام كان مع النبي ﷺ في سفرته تلك، قال في شرح النهج: ١٢٧/٤: «فكان معه علي وزيد بن حارثة في رواية أبي الحسن المدائني، ولم يكن معهم أبو بكر. وقال ابن إسحاق كان معه زيد بن حارثة وحده. وكان غياب النبي ﷺ في سفرة الطائف أربعين يوماً». راجع الصحيح من السيرة: ٢٦٦/٣.

### ١٤. طلب النبي ﷺ الجوار من مطعم لكسر قرار قريش

كان مطعم بن عدي بن نوفل بن عبدمناف زعيم بني نوفل، من الذين واجهوا النبي ﷺ، مع أنه من بني عبدمناف، وقد ورد ذكره في شعر أبي طالب.

وعاش مطعم سبعاً وتسعين سنة وتوفي قبل بدر. «فتح الباري ٢٤٩/٧، وأسد الغابة ٢٧١/٨» وشارك أخوه طعيمة في بدر وقتل، وشارك فيها ابنه جبير وفاوض النبي باسم قريش على أسرى بدر، وزعم رواة السلطة أن النبي ﷺ قال: «لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء التنتي لتركتهم له!» بخاري: ٢٠/٥.

وجبير هو صاحب وحشي الذي وعده أن يعتقه إن قتل محمداً أو علياً أو حمزة وشجعته هند آكلة الأكباد وجعلت له جائزة، فقتل حمزة! شرح الأخبار ٢٦٨/١، المناقب ١٦٦/١، ابن إسحاق ٣٠٢/٣، تاريخ دمشق ٤١١/٦٢ وشرح النهج ١١/١٥.

وبقي جبير على كفره حتى أسلم مع الطلقاء في فتح مكة. أسد الغابة: ٢٧١/١.

وكان يقول: «كنت أذى قريش لمحمد ﷺ». الخرائج: ١٣٠/١.

وسكن المدينة وجاء مع عثمان إلى النبي ﷺ وطلب أن يجعل لهم سهماً في الخمس لأنهم من بني عبدمناف فقالوا: يا رسول الله قسمت لإخواننا بني المطلب ولم تعطنا شيئاً وقربنا مثل قربتهم! فقال لها: «إنما بنو المطلب وبنو هاشم شئ واحد. ولم يقسم لبني عبد شمس وبني نوفل شيئاً». صحيح بخاري: ٧٩/٥.

وكان مطعم بن عدي صديقاً لبني أمية، وهذا سبب مدح رواة السلطة له بأنه عمل لنقض صحيفة المحاصرة، وأنه أجاز النبي ﷺ في رجوعه من الطائف، وقولهم إن النبي ﷺ بقي سنتين في جواره إلى أن هاجر!

والحقيقة أن النبي ﷺ كان يستطيع دخول مكة بحماية حمزة وعلي وحدهما، فضلاً عن بقية بني هاشم! بل يستطيع دخولها لأنه في شهر ذي القعدة الحرام، الذي يأمن فيه كل الناس حتى الأعداء! لكنه أراد أن يخفف غلواء قريش بعد أن اشتدت محاولاتهم لقتله بعد وفاة حاميه أبي طالب ﷺ، فيدخل مكة علناً وهو معتمر فيطوف ويسعى بحماية أحد أعدائه من زعماء قريش، فبعث إلى مطعم أن يحميه حتى يؤدي عمرته فقيل، فدخل ﷺ واعتمر، ثم رد عليه جواره!

وبذلك كسر قرار قريش وإجماعهم على قتله، وخفض من خطرهم على حياته، لأن قتله صار يعني الخلاف بين زعماء قريش أنفسهم!

وفي نفس الوقت خفف عن بني هاشم بعد أبي طالب عليه السلام، فصار من السهل عليهم إعلان حمايته بعد أن حاه مطعم وهو من زعماء المشركين!

ففي تفسير القمي: ٤٣١/٢: «لما مات أبو طالب عليه السلام نادى أبو جهل.. هلموا فاقتلوا محمداً فقد مات الذي كان ناصره فقال الله: فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَدَّ عُرْوَةَ الزَّيْتَانِيَةِ.. لأن رسول الله صلى الله عليه وآله أجاره مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، ولم يجسر عليه أحد».

وقال الطبرسي في إعلام الوري: ١٣٥/١: «قال علي بن إبراهيم بن هاشم: ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من الطائف وأشرف على مكة وهو معتمر، كره أن يدخل مكة وليس له فيها مجير، فنظر إلى رجل من قريش قد كان أسلم سرّاً فقال له: إئت الأحنس بن شريق فقل له: إن محمداً يسألك أن تجيره حتى يطوف ويسعى فإنه معتمر. فأتاه وأدى إليه ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله فقال الأحنس: إني لست من قريش، وإنما أنا حليف فيهم والحليف لا يجير على الصميم، وأخاف أن يخفروا جوارى فيكون ذلك مسبة. فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره، وكان رسول الله في شعب حراء مخفياً مع زيد فقال له: إئت سهيل بن عمرو فاسأله أن يجيرني حتى أطوف بالبيت وأسعى. فأتاه وأدى إليه قوله فقال له: لا أفعل. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إذهب إلى مطعم بن عدي فسله أن يجيرني حتى أطوف وأسعى. فجاء إليه وأخبره فقال: أين محمد؟ فكره أن يخبره بموضعه فقال: هو قريب، فقال: إئتة فقل له: إني قد أجرتك فتعال وطف واسع ما شئت. فأقبل رسول الله وقال مطعم لولده وأختانه «أصهاره» وأخيه طعيمة بن عدي: خذوا سلاحكم فإني قد أجرت محمداً، وكونوا حول الكعبة حتى يطوف ويسعى، وكانوا عشرة فأخذوا السلاح، وأقبل رسول الله حتى دخل المسجد، ورآه أبو جهل فقال: يا معشر قريش هذا محمد وحده وقد مات ناصره فشانكم به! فقال له طعيمة بن عدي: يا عم لا تتكلم، فإن أبا وهب قد أجاز محمداً! فوقف أبو جهل على مطعم بن عدي فقال: أبا وهب أم مجير أم صابئ؟ قال: بل مجير. قال: إذا لا تجفّر جوارك! فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من طوافه وسعيه جاء إلى مطعم فقال: أبا وهب قد أجرت



وأحسنست فرد عليّ جواربي. قال: وما عليك أن تقيم في جواربي؟ قال: أكره أن أقيم في جوار مشرك أكثر من يوم. قال مطعم: يا معشر قريش إن محمداً قد خرج من جواربي». أقول: ردّ صاحب الصحيح من السيرة: ٢٦٩/٣ رواية جوار مطعم للنبي ﷺ بحجة أنه: «لم يكن يقبل أن يكون لمشرك عنده يد يستحق الشكر عليها وهذه يد ولا شك». لكن لا دليل في سيرة نبينا ﷺ أو غيره من الأنبياء ﷺ على إياهم ذلك، فقد قال يوسف ﷺ لرئيس وزراء مصر: اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمْ. يوسف: ٥٥ وهذه يد على يوسف توجب الشكر دون شك.

وقال موسى ﷺ لفرعون: وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ. «الشعراء: ٢٢». ولو فعلها فرعون لكانت له يداً له على موسى ﷺ وشكره عليها. واحتج صاحب الصحيح أيضاً بأن طلب الجوار من مطعم ركوب للظالمين، والله تعالى يقول: وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ. سورة هود: ١١٣.

وجوابه: أنه ليس ركوباً، ولو سلمنا، فالضرورة والتقية أوسع من ذلك. ولم أر أحداً من فقهاءنا أفتى بحرمة طلب الجوار من كافر، أو إعطائه لكافر. وقد حث أمير المؤمنين ﷺ على الوفاء بالجوار والذمام مطلقاً، فقال في نهج البلاغة: ١٥/٢: «فتعصبوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار والوفاء بالذمام..».

ويكفي لإثبات استجارته ﷺ بمطعم أن يرويه علي بن إبراهيم والطبرسي وابن شهر آشوب «المناقب: ١٥/١» وقد أورده علماءنا على أنه من مسلمات السيرة. ونشير في الختام إلى أن حكيم بن جبير بن مطعم، كان من خاصة أصحاب الإمام زين العابدين ﷺ، فهو على العكس من جده مطعم. قال السيد الخوئي ﷺ في معجم الرجال: ١٩٥/٧: «حكيم بن جبير بن مطعم بن عدي بن عبدمناف القرشي المدني، من أصحاب السجادة ﷺ».

وفي الكشي: ٤٤/١ و ٣٣٨: «ارتد الناس بعد الحسين ﷺ إلا ثلاثة: أبو خالد الكابلي ويحيى بن أم الطويل وجبير بن مطعم، ثم إن الناس لحقوا وكثروا». وفي الإختصاص ٦١/٦١، عن الإمام الكاظم ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين

حواري رسول الله ﷺ الذين لم ينقضوا العهد ومضوا عليه؟ فيقوم سلمان والمقداد وأبوذر.. إلى أن قال: ثم ينادي أين حوارى علي بن الحسين؟ فيقوم [حكيم بن] جبير بن مطعم، ويحيى بن أم الطويل، وأبو خالد الكابلي، وسعيد بن المسيب».

### ١٥. لم يتزوج النبي ﷺ في مكة بعد خديجة ﷺ

لا يصح قولهم إن النبي ﷺ تزوج بعد وفاة خديجة ﷺ قبل الهجرة، لأنه لا يوجد نص صحيح بزواجه في تلك الفترة، ولعل السبب أنها كانت أشد الفترات خطراً على حياته ﷺ. فلا تصح رواية أن خولة بنت حكيم زوجة عثمان بن مظعون بأنها عرضت على النبي بعد وفاة خديجة ﷺ أن تخطف له فقبل، وخطبت له سودة بنت زمعة من أبيها وكان كافراً، فجاء النبي ﷺ إلى بيته وزوجه، وأن أحاها عبد بن زمعة لما عرف بزواج أخته من النبي ﷺ حثا التراب على رأسه! ولا روايتهم بأن خولة اقترحت على النبي ﷺ أن يتزوج بعائشة وقالت له: بنت أبي بكر أحب خلق الله اليك، فأرسلها لخطبتها فوافق أبو بكر وذهب رسول الله إلى بيته ف عقد عليها! وقالت عائشة إن عمرها كان يومها ست سنين، وإنه تزوجها في المدينة وقد أكملت تسع سنين. مجمع الزوائد: ٢٢٥/٩ و٢٤٦ والطبقات: ٥٧/٨.

لكنهم رويوا أن عائشة كانت متزوجة قبل النبي ﷺ: «خطب رسول الله عائشة بنت أبي بكر فقال: إني كنت أعطيتها مطعماً لابنه جبير، فدعني حتى أسألها منهم فاستلها منهم، فطلقها فتزوجها رسول الله». الطبقات: ٥٩/٨.

وروى الذهبي في تاريخه: ٢٧٩/١ أن النبي ﷺ بقي سنتين لم يتزوج بعد خديجة. وفي دلائل الامامة: ٨١، عن الصادق عليه السلام قال: «خطب رسول الله ﷺ النساء وتزوج سودة أول دخوله المدينة، فنقل فاطمة إليها ثم تزوج أم سلمة بنت أبي أمية، فقالت أم سلمة: تزوجني رسول الله وفوض أمر ابنته إلي فكنت أدها وأؤدها، وكانت والله أدب مني وأعرف بالأشياء كلها».

## ١٦. أرسله الله تعالى إلى الإنس والجن

روى الجميع أن الله تعالى صرف إلى النبي ﷺ في عودته من الطائف عند منطقة نخلة، نفرأ من الجن، وأمره أن يتلو عليهم القرآن فأمنوا.

وروي ذلك أيضاً في عودته من سوق عكاظ عند وادي حِجَّة، بكسر الميم وهي قرب مكة. قال الله تعالى: **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ. الْأَحْقَاف: ٢٩.**

وقال تعالى في سورة الجن: **قُلْ أُوْحِي إِلَيْكَ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا.**

وتدل هذه الآية وغيرها على أن الجن أصحاب مستوى ذهني عال، وأن بعضهم قد استوعب بمجرد سماع القرآن من النبي ﷺ، وتخرجوا منذرين لأقوامهم!

قال ابن هشام: ٢٨٧/٢: «ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة حين ينس من خير ثقيف، حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي، فمر به نفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى، وهم فيما ذكر لي سبعة نفر من جن أهل نصيبين فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته ولَّوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا، فقص الله خبرهم عليه ﷺ قال الله عز وجل: **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ.**»

ونخلة: موضع بين الطائف ومكة على مسير ليلة من مكة. معجم البلدان: ٢٧٨/٥. وفي تفسير القمي: ٢٩٩/٢: «تهجد بالقرآن في جوف الليل، فمر به نفر من الجن فلما سمعوا قراءة رسول الله ﷺ استمعوا له، فلما سمعوا قراءته قال بعضهم لبعض: أنصتوا. فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ فأسلموا وآمنوا وعلمهم رسول الله ﷺ شرائع الإسلام. ومنهم كانوا يعددون إلى رسول الله ﷺ في كل وقت، فأمر رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام أن يعلمهم ويفقههم، فمنهم مؤمنون ومنهم كافرون وناصبون ويهود ونصارى ومجوس، وهم ولد الجنان.

وسئل العالم عليه السلام عن مؤمني الجن أيدخلون الجنة؟ فقال لا، ولكن لله حظائر

بين الجنة والنار، يكون فيها مؤمنو الجن، وفساق الشيعة».

وروى في المحاسن: ٣٧٩/٢: «عن عمر بن يزيد قال: ضللنا سنة من السنين ونحن في طريق مكة، فأقمنا ثلاثة أيام نطلب الطريق فلم نجده، فلما أن كان في اليوم الثالث وقد نفذ ما كان معنا من الماء، عمدنا إلى ما كان معنا من ثياب الإحرام ومن الخنوط، فتحنطنا وتكفنا بإزار إحرمانا، فقام رجل من أصحابنا فنادى: يا صالح يا أبا الحسن، فأجابه مجيب من بُعد! فقلنا له: من أنت يرحمك الله؟ فقال: أنا من النفر الذي قال الله عز وجل في كتابه: وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ. ولم يبق منهم غيري، فأنا مرشد الضال إلى الطريق! قال: فلم نزل نتبع الصوت حتى خرجنا إلى الطريق».

وفي الإحتجاج: ٣٣٠/١، من حديث يهودي مع أمير المؤمنين عليه السلام: «ولقد سُحِّرَتْ لنبينا محمد صلى الله عليه وآله الشياطين بالإيمان، فأقبل إليه من الجنة تسعة من أشرافهم. وهم الذين يقول الله تبارك اسمه فيهم: وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ. وهم التسعة فأقبل إليه الجن والنجي صلى الله عليه وآله ببطن النخل فاعتذروا بأنهم ظنوا كما ظنتم أن لن يبعث الله أحداً. ولقد أقبل إليه أحد وسبعون ألفاً منهم فبايعوه على الصوم والصلاة والزكاة والحج والجهاد ونصح المسلمين، واعتذروا بأنهم قالوا على الله شططاً». راجع أيضاً المناقب: ٤٤/١، ١٩١، المحاسن: ٣٨٠/٢، الأمان/١٢٣، الحاكم: ٤٥٦/٢، ٥١٨، مجمع الزوائد: ١٠٦/٧، والبحار: ٤٤/١٠، ٧٦/١٨، ٥٥/٩٠، وفيه: «ولم يبعث الله نبياً إلى الإنس والجن قبله صلى الله عليه وآله وإنما سمياً ثقلين لعظم خطرها وجلالة شأنها».



## الفصل الرابع والعشرون

### النبى ﷺ يعرض نفسه على القبائل لحمايته من قريش

#### ١- بدأ ﷺ يعرض نفسه على القبائل من السنة الرابعة

أ. كان العرب يحجون إلى مكة في شهر ذي الحجة، ويعتصرون في رجب، ويقومون بعد الحج سوقهم المشهور سوق عكاظ. وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يلتقي بشخصياتهم ويطلب منهم أن يحموه ليبلغ رسالة ربه، لأن قريشاً منعتهم من تبليغها. ففي تفسير العياشي: ٢٥٣/٢ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «اكتتم رسول الله ﷺ بمكة سنتين ليس يظهر وعلي معه وخديجة بنت خويلد، ثم أمره الله أن يصدع بها يؤمر فظهر رسول الله ﷺ، فجعل يعرض نفسه على قبائل العرب».

وقال اليعقوبي: ٣٦/٢: «كان رسول الله يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم، ويكلم شريف كل قوم، لا يسألهم إلا أن يؤووه ويمنعوه ويقول: لا أكره أحداً منكم، إنما أريد أن تمنعوني مما يراد بي من القتل، حتى أبلغ رسالات ربي».

وفي الطبقات: ٢١٦/١: «مكث رسول الله ﷺ ثلاث سنين من أول نبوته مستخفياً ثم أعلن في الرابعة فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين، يوافي الموسم كل عام، يتتبع الحاج في منازلهم بعكاظ ومجنة وذى المجاز، يدعوهم إلى أن يمنعه حتى يبلغ رسالات ربه وهم الجنة، فلا يجد أحداً ينصره ولا يجيبه، حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ويقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتذل لكم العجم، وإذا آمنتم كنتم

ملوكاً في الجنة.. جاءنا ثلاثة أعوام بعكاظ ومجنة وبذي المجاز، يدعوننا إلى الله عز وجل، وأن نمنع له ظهره، حتى يبلغ رسالات ربه». والطبري: ٨٤/٢، وسبل الهدى: ٤٥١/٢ والحلبية: ١٥٣/٢.

وعدّ منهم القرظي في الإمتاع: ٤٩/١ خمس عشرة قبيلة، قال: «عرض نفسه على القبائل أيام الموسم ودعاهم إلى الإسلام وهم: بنو عامر، وغسان، وبنو فزارة، وبنو مرة، وبنو حنيفة، وبنو سليم، وبنو عبس، وبنو نصر، وثعلبة بن عكابة، وكندة، وکلب، وبنو الحارث بن كعب، وبنو عذرة، وقيس بن الخطيم». يضاف إليهم قبيلة ثقيف حيث قصدهم إلى الطائف، والأوس والخزرج، الذين قبلوا عرضه وبايعوه، فهاجر إليهم. وآخرون.

وقال ابن هشام: ٢٨٨/٢ إن النبي ﷺ أتى بني كندة فأبوا عليه، وأتى بني عبد الله من بني كلب فلم يقبلوا منه ما عرضه عليهم. وأتى بني حنيفة فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، فلم يكن أحد من العرب أقبح عليه رداً منهم. وذكر ابن هشام عن ابن إسحاق أن النبي ﷺ قصد سويد بن صامت، أخا بني عمرو بن عوف، وكان سويد حكيماً شاعراً، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام، فقال له سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي، فقال له رسول الله ﷺ: وما الذي معك؟ قال: مجلة لقمان، يعني حكمة لقمان، فقال له رسول الله ﷺ: إعرضها عليّ فعرضها عليه فقال له: إن هذا الكلام حسن، والذي معي أفضل من هذا، قرآن أنزله الله تعالى عليّ هو هدى ونور، فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن، ودعاه إلى الإسلام فلم يبعد منه وقال: إن هذا القول حسن، ثم انصرف عنه، فقدم المدينة على قومه، فلم يلبث أن قتله الخزرج، فإن كان رجال من قومه ليقولون: إنا لنراه قد قتل وهو مسلم، وكان قتله قبل يوم بعث.. «وهو لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له إسم وشرف، إلا تصدى له، فدعاه إلى الله وعرض عليه ما عنده».

وفي مسند أحمد: ٣٢٢/٣: أن النبي ﷺ كان معروفاً في الأمصار، فكان الرجل

يخرج من اليمن أو من مصر فيأتيه قومه فيقولون: إحدّر غلام قريش لايفتنك!  
**ب. كان يذهب إلى دعوة القبائل ومعه زيد بن حارثة، أو علي بن أبي طالب، وروت المصادر**  
**أن أبابكر بعد أن أسلم ذهب معه ذات مرة، كما في ثقات ابن حبان: ٨٠/١ عن علي قال:**  
**«لما أمر الله رسوله ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب، خرج وأنا معه وأبوبكر،**  
**حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبوبكر فسلم وقال: ممن القوم؟ قالوا:**  
**من ربيعة. قال: وأي ربيعة أنتم أمن هامتها أم من لهازمها؟ فقالوا: لا، بل من هامتها**  
**العظمى. قال أبوبكر: وأي هامتها العظمى أنتم؟ قالوا: من ذهل الأكبر. قال أبوبكر:**  
**فمنكم عوف الذي يقال له لا حرّ بوادي عوف؟ قالوا: لا. قال: فمنكم بسطام بن قيس**  
**صاحب اللواء ومنتهى الأحياء؟ قالوا: لا. قال: فمنكم جساس بن مرة حامي الذمار**  
**ومانع الجار؟ قالوا: لا. قال: فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبتها أنفسها؟ قالوا: لا.**  
**قال: فمنكم أصهار الملوك من لحم؟ قالوا: لا. قال أبوبكر: فلستم إذا ذهلاً الأكبر،**  
**أنتم ذهل الأصغر. فقام إليه غلام من بني شيبان يقال له دغفل حين بقل وجهه،**  
**فقال: على سائلنا أن نسأله! يا هذا إنك سألتنا فأخبرناك ولم نكتمك شيئاً، فمن**  
**الرجل؟ فقال أبوبكر: أنا من قريش. فقال الفتى: بخ بخ أهل الشرف والرئاسة، فمن**  
**أي القرشيين أنت؟ قال: من ولد تيم بن مرة. قال: أمكنت والله الرامي من صفاء**  
**الثغرة، فمنكم قصي الذي جمع القبائل من فهر، فكان يدعى في قريش مجعماً؟ قال:**  
**لا. قال: فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف؟ قال:**  
**لا. قال: فمن أهل الحجابة أنت؟ قال: لا. قال: فمن أهل الندوة أنت؟ قال: لا. قال:**  
**فمنكم شيبية الحمد عبدالمطلب مطعم طير السماء، الذي كأن وجهه القمر يضيء في**  
**الليلة الظلماء الداجية؟ قال: لا. قال: فمن أهل السقاية؟ قال: لا. واجتذب أبوبكر**  
**زمام الناقة فرجع إلى رسول الله فقال الغلام:**

صادف درأ السيل درأ يدفعه      يبيضه حيناً وحيناً يصدعه!

أما والله لو ثبت! قال فتبسم رسول الله ﷺ فقال علي: فقلت يا أبابكر لقد وقعت  
 من الأعرابي على باقعة «داهية»! فقال لي: أجل يا أبا الحسن، ما من طامة إلا وفوقها

طامة، والبلاء موكل بالمنطق!

قال علي: ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار فتقدم أبو بكر [وكان مقدماً في كل خير] فسلم وقال: ممن القوم؟ فقالوا: من شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما وراء هؤلاء القوم عز، هؤلاء غرر قومهم وفيهم مفروق بن عمرو، وهانئ بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك. وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالاً ولساناً، وكان غديران تسقطان على تربيته، وكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر فقال أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال مفروق: إنا لنزيد على ألف، ولن يغلب ألف من قلة. فقال أبو بكر: وكيف المنعة فيكم؟ قال مفروق: علينا الجهد ولكل قوم جد. قال أبو بكر: كيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ قال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضباً حين نلقى، وإنا لأشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله، يدينا مرة ويديل علينا أخرى. لعلك أخو قريش؟ قال أبو بكر: وقد بلغكم أنه رسول الله فيها هو ذا. قال مفروق: قد بلغنا أنه يذكر ذلك، قال: فيلى م تدعو يا أبا قريش؟ قال: أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني رسول الله وأن تؤووني وتنصروني، فإن قريشاً قد تظاهرت على أمر الله، فكذبت رسله واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد. فقال مفروق بن عمرو: إلى ما تدعوننا يا أبا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ: قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ مَا لَمْ يَنْهَى بِهِ سَبِيحًا وَإِلَى اللَّهِ تُعْجَبُونَ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ صَاحِبَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. الأنعام / ١٥١.

قال مفروق: وإلى ما تدعو يا أبا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالنَّبِيِّ يَعْظُمُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.

«النحل / ٩٠». فقال مفروق: دعوت والله يا أبا قريش إلى مكارم الأخلاق



ومحاسن الأعمال، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة، فقال: وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا. فقال هانئ: قد سمعت مقاتلك يا أبا قريش وإني أرى إن تركنا ديننا واتبعناك على دينك لمجلس جلسته إلينا، زلة في الرأي وقلّة فكر في العواقب، وإنها تكون الزلة مع العجلة، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقداً، ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر! وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثني بن حارثة فقال: وهذا المثني بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا.

فقال المثني: قد سمعت مقاتلك يا أبا قريش والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة، في تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك، وإننا أنزلنا بين ضربتين!

فقال رسول الله ﷺ: ما هاتان الضرتان؟ قال: أنهار كسرى ومياه العرب، وإننا نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى لا نحدث حدثاً ولا نؤي محدثاً، وإني أرى هذا الأمر الذي تدعو إليه مما تكرهه الملوك، فإن أحببت أن تؤيك ونصرك مما يلي مياه العرب فعلنا. فقال رسول الله ﷺ: ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله لن ينصره إلا من أحاطه الله من جميع جوانبه، أرايتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟ فقال النعمان بن شريك: اللهم نعم. قال: فتلا رسول الله ﷺ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً. وَذَاعِباً إِلَى اللَّهِ يَأْذِنُهُ سِرَاجاً مُنِيرًا. الأحزاب / ٤٥. ثم نهض قابضاً على يد أبي بكر وهو يقول: يا أبا بكر أية أخلاق في الجاهلية ما أشرفها، بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض!

ورواه السمعاني في الأنساب: ٣٨/١، ابن كثير في النهاية: ١٧٣/٣، السيرة: ١٦٠/٢، واعتبره غريباً فقال: «وأقرب من ذلك وأطول ما رواه أبو نعيم والحاكم والبيهقي».

ورواه في تاريخ دمشق: ٢٩٣/١٧، مطولاً وليس فيه مديح أبي بكر على لسان علي بقوله [وكان مقدماً في كل خير] ولذلك وضعناها بين معقوفين، لأنها من كلام الراوي. لكن الإشكال في قوله: «دفدعنا إلى مجلس الأوس والخزرج فما نهضنا حتى بايعوا رسول الله. لأن بيعة الأنصار كانت قبل هجرة النبي بستين وسنة».

أقول: هذه الرواية على ما فيها تعطي صورة عن دعوة النبي ﷺ لقبائل العرب في المواسم، كما تدل على أن وقتها في آخر الفترة المكية عندما بايع الأنصار. ج. كان النبي ﷺ يقول للذين يزورهم: «يا بني فلان إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوه ولا تشرکوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه، وأن تؤمنوا وتصدقوني وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به».

«قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا العرب وتذل لكم العجم. وإذا آمنتم كنتم ملوكاً في الجنة». «سبل الهدى: ٤٥١/٢». «هل من رجل يحملني إلى قومه فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي». تاريخ الذهبي ٢٨١/١.

«لا أكره أحداً على شيء. من رضي الذي أدعوه إليه فذلك، ومن كرهه لم أكرهه، إنما أريد منعي من القتل حتى أبلغ رسالات ربي». السيرة الحلبية: ١٥٨/٢.

«ألا رجل يعرض على قومه فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل. فاتاه رجل من همدان فقال: ممن أنت؟ فقال الرجل: من همدان، فقال: هل عند قومك من منعة؟ قال: نعم ثم إن الرجل خشي أن يخفروه قومه فأتى رسول الله فقال: آتيهم أخبرهم ثم آتيك من قابل. قال: نعم. فانطلق وجاء وفد الأنصار في رجب». السيرة الحلبية: ١٥٣/٢، مجمع الزوائد: ٣٥/٦ وفتح الباري: ١٧١/٧.

د. وكانت القبائل ترفض دعوته ﷺ لأن زعماء قريش قاموا بحملة من السنة الأولى على وفود الحجاج: «يقولون لمن أتى مكة: لا تغتروا بالخارج منا، والمدعي النبوة». مجمع البيان: ١٣١/٦، الكشاف: ٤٠٦/٢ والواحي: ٥٩٨/١.

وقد فسروا المقتسمين في سورة الحجر/٨٩، بالستة عشر الذين أرسلهم الوليد بن المغيرة إلى مداخل مكة، ليحذروا الوفود من النبي ﷺ، لكنه بعيد.

والمؤكد أن موقع قريش في العرب، ونشاطها المعادي للنبي ﷺ في موسم الحج والعمرة كانا السبب في رفض القبائل حمايته، فكانت تحييه: «أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك». «تروون أن رجلاً يصلحنا، وقد أفسد قومه». «السيرة الحلبية: ١٥٥/٢ و١٥٨ وسبل الهدى ٤٥١/٢». «يا محمد إعمد لطيتك. أي إمض لوجهك

وقصدك. ويقال: إلحق بطيتك وبنيتك، أي بحاجتك». لسان العرب: ٢٠/١٥.

هـ. وقد قبلت بعض القبائل دعوة النبي ﷺ لكنها اشترطت أن يكون لها الحكم بعده فأجابهم بأن الأمر ليس له، بل لله تعالى وقد عين له أهلاً، وكان يشترط عليهم أن لا ينازعوا الأمر أهله! «أتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم يقال له ببحرة بن فراس: والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال له: أرايت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء. قال فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا! لا حاجة لنا بأمرك! فأبوا عليه.

فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم قد كانت أدركته السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بها يكون في ذلك الموسم، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم، فقالوا: جاءنا فتى من قريش ثم أحد بنبي عبد المطلب يزعم أنه نبي يدعوننا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا. قال: فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال: يا بني عامر هل لها من تلاف، هل لذنا بها من مُطَّلَب؟! والذي نفس فلان بيده ما تقوَّ لها إسماعيلي قط وإنما لحق فأين رأيكم كان عنكم!» ابن هشام: ٢٨٩/٢ والطبري: ٨٤/٢.

وكذا قبيلة كندة الليمانية: «حدثني أبي عن أشياخ قومه أن كندة قالت له: إن ظفرت تجعل لنا الملك من بعدك؟ فقال رسول الله ﷺ: إن الملك لله يجعله حيث يشاء، فقالوا: لا حاجة لنا فيها جئتنا به». سيرة ابن كثير: ١٥٩/٢ ونحوه: ١١٤/٤.

وفي التراتيب الإدارية للفاصي: ٢/١: «كان يطوف على القبائل في أول أمره لينصروه فيقولون له ويكون لنا الأمر من بعدك؟ فيقول: إني قد منعت من ذلك».

و. أخذ ﷺ بيعة الأنصار على حمايته، وحماية أهل بيته، وأن لا ينازعوهم الأمر. ففي المناقب: ٣٠٥/١، وأوسط الطبراني: ٢٠٧/٢، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «أشهد لقد حدثني أبي عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي، قال: لما جاءت الأنصار بتابع

الليالي  
التي  
أعني

رسول الله ﷺ على العقبة قال: قم يا علي. فقال علي: على ما أبيعهم يا رسول الله؟ قال: على أن يطاع الله فلا يعصى، وعلى أن يمنعوا رسول الله وأهل بيته وذريته مما يمنعون منه أنفسهم وذرائعهم. ثم كان الذي كتب الكتاب بينهم.

وفي الكافي: ٢٦١/٨، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «وأخذ عليهم علي أن يمنعوا محمداً وذريته مما يمنعون منه أنفسهم وذرائعهم.. نجا من نجا، وهلك من هلك». وفي مناقب ابن سليمان: ١٦٥/٢: «فالتزمتها رقاب القوم ووفى بها من وفى».

وفي شرح الأخبار: ١٥٩/٢: «عن الحسن البصري أنه قال: قاتل الله معاوية سلب هذه الأمة أمرها، ونازع الأمر أهلها، واستعمل على المؤمنين علجاً، يعني زياداً». هذا، وقد ورد عن الأئمة عليهم السلام ذم الأنصار، لأنهم لم يفوا ببيعتهم لرسول الله ﷺ في حماية أهل بيته، وأن لا ينازعوهم الأمر بعده!

وفي تفسير الطبري: ٥٩/٢٨، عن قتادة: «بايعه ليلة العقبة اثنان وسبعون رجلاً من الأنصار، ذكر لنا أن بعضهم قال: هل تدرون علام يتابعون هذا الرجل؟ إنكم يتابعون على محاربة العرب كلها أو يسلموا. ذكر لنا أن رجلاً قال: يا نبي الله، إشرط لربك ولنفسك ما شئت، قال: أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوأبه شيئاً وأشترط لنفسي أن تمنعوني وأهل بيتي وذريتي مما منعتهم من أنفسهم وأبناءكم. قالوا فإذا فعلنا ذلك فما لنا يا نبي الله؟ قال: لكم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة».

وفي البخاري: ٨٨/٨، وموطأ مالك: ٤٤٥/٢، عن عباد بن الصامت: «بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في السر والعسر المنشط والمكره، وأن لا تنازع الأمر أهله». وفي فتح الباري: ٦/١٣، وعمدة القاري: ١٧٩/٢٤: «والمراد بالأمر الملك والإمارة».

وعلى ذلك كانت بيعة الحديبية! قال النووي في شرح مسلم: ٢/١٣: «وفي حديث ابن عمر وعبادة: بايعنا على السمع والطاعة، وأن لا تنازع الأمر أهله».

ز. وبعد أن نازعت قريش الأمر أهله، وأخذت دولة النبي ﷺ واضطهدت عترته، كذبت على النبي ﷺ بأنه كان يقصد بشرط عدم منازعة الأمر أهله، منازعة قريش وليس عترته! قال السيوطي في الدر المنثور: ١٨/٦: «عن علي وابن

عباس قالوا: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل بمكة ويعدهم الظهور، فإذا قالوا: لمن الملك بعدك؟ أمسك فلم يجبهم بشيء، لأنه لم يؤمر في ذلك بشيء حتى نزلت: **وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ**. «الزخرف/ ٤٤»، فكان بعدها إذا سئل قال: لقريش، فلا يجيبوه! وقبلته الأنصار على ذلك».

أقول: لاحظ أنهم زعموا أن الوحي نزل عليه: **وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ**، ومعناه أن القرآن لك ولقريش، فالخلافة لقريش! وقد جعلوا ذلك على لسان علي وابن عباس ليقولوا إن بني هاشم أنفسهم رويوا أن الملك بعد النبي ﷺ حق شرعي لقريش، وليس لبني هاشم، ولا للأنصار لأنهم بايعوا النبي ﷺ على ذلك! وهم بذلك يكذبون أنفسهم بأن النبي ﷺ لم يوصي ولا سأله أحد عن الخلافة! فالصحيح أن خلافته ﷺ كانت مطروحة من أول بعثته وأن القبائل كانت تطمع بها وتشترط عليه أن تكون لها بعده فلا يقبل، فترفض حمايته!

ثم كذبوا عليه بأنه كان يجب القبائل بأن الملك بعده لقريش! فلو صح لسألته القبائل: كيف تريد أن نحملك من قريش أن تقتلك، وتجعل لها الخلافة دوننا! ولو كان الذكر في قوله تعالى: **وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ**، يعني الخلافة، لوجب أن تكون الخلافة لكل الناس، لأنه تعالى قال: **إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**.

بل هذا الحديث من مكذوباتهم لإعطاء الشرعية لنظام «الخلافة» الذي أسسوه في السقيفة! وقد اعترف الذهبي بأنه موضوع! قال في ميزان الاعتدال: ٢/٢٥٥، في ترجمة راويه: «سيف بن عمر الضبي الأسيدي: مصنف الفتوح والردة وغير ذلك قال أبو حاتم: متروك. وقال ابن حبان: اتهم بالزندقة.. مكحول البيروتي سمعت جعفر بن أبان سمعت ابن نمير يقول: سيف الضبي تميمي. كان سيف يضع الحديث، وقد اتهم بالزندقة!»

## ٢- استمرت مفاوضة النبي ﷺ مع الأنصار بضع سنين

أ. روى الطبري في تفسيره: ٤/٤٦، والثعلبي: ٣/١٦٤، وغيرهما، في تفسير قوله **تعالى: وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا:**

«فإنها عداوة الحروب التي كانت بين الحيين من الأوس والخزرج في الجاهلية قبل الإسلام. يزعم العلماء بأيام العرب أنها تطاولت بينهم عشرين ومائة سنة. وهم أخوان لأب وأم! فلم يسمع بقوم كان بينهم من العداوة والحرب ما كان بينهم. ثم إن الله عز وجل أطفأ ذلك بالإسلام وألف بينهم برسوله محمد ﷺ فذكرهم جل ثناؤه إذ وعظهم، عظيم ما كانوا فيه في جاهليتهم من البلاء والشقاء بمعادة بعضهم بعضاً، وقتل بعضهم بعضاً، وخوف بعضهم من بعض، وما صاروا إليه بالإسلام واتباع الرسول ﷺ والإيمان به وبما جاء به من الائتلاف والاجتماع».

**ب. وكانت آخر الحروب بين الأوس والخزرج حرب بُعث، إسم حصن للأوس قبل الهجرة بخمس سنين «الحاكم: ٤٢١/٣»** وقيل بثلاث «فتح الباري: ٢/٢٦٧».

وكانوا حينذاك يتفاوضون مع النبي ﷺ، ورووا أن أياس بن معاذ الأشهلي الأوسي كان أسلم وبايع النبي ﷺ ورجع إلى قومه، فوَقعت الحرب وقُتل فيها، فعُدوه من الصحابة. «معجم السيد الخوني: ٤/١٥٩» ومعناه أن المفاوضات استمرت نحو أربع سنين، حتى بيعة العقبة التي هاجر النبي ﷺ على أثرها.

**ج. وأول من سمع من النبي ﷺ من أهل المدينة فتية فيهم أياس بن معاذ الأشهلي الأوسي كما في رجال الطوسي/٢٢، وعده صحابياً، وكبير الطبراني: ٢٧٦/١:**

«لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله ﷺ فأثامهم فجلس إليهم فقال: هل لكم إلى خير مما جئتم له؟ قالوا: وما ذلك؟ قال: أنا رسول الله بعثني إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وأنزل الله عليّ الكتاب، ثم شرع لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن. فقال إياس بن معاذ وكان غلاماً حدثاً: أي قومي، هذا والله خير مما جئتم له! قال فأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من البطحاء فضرب بها في وجه إياس وقال: دعنا منك، فلمعري لقد جئنا لغير هذا. قال فصمت إياس وقام عنهم

رسول الله ﷺ وانصرفوا إلى المدينة فكانت وقعة بعث بين الأوس والخزرج، ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك. قال محمود بن لبيد: فأخبرني من حضره من قومه عند موته أنهم لم يزوالوا يسمعونه يهلل الله ويكبره ويمجده ويسبحه حتى مات. فما كانوا يشكون أن قد مات مسلماً، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله ما سمع». والطبقات: ٤٣٧/٣، الطبري: ٨٥/٢ ووثقه مجمع الزوائد: ٣٦٦/٦.

وقيل أول من رأى النبي ﷺ: أبو الحيسر، أو سويد بن الصامت. تفسير الطبري: ٤٦/٤.

د. ثم جاء بعدهما أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس، فالتقيا بالنبي ﷺ وأسلما. قال الطبرسي في إعلام الوري: ١٣٦/١: «قال علي بن إبراهيم: قدم أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس في موسم من مواسم العرب وهما من الخزرج، وكان بين الأوس والخزرج حرب قد بغوا فيها دهرًا طويلاً، وكانوا لا يضعون السلاح لا بالليل ولا بالنهار، وكان آخر حرب بينهم يوم بعث وكانت للأوس على الخزرج، فخرج أسعد بن زرارة وذكوان إلى مكة في عمرة رجب يسألون الحلف على الأوس، وكان أسعد بن زرارة صديقاً لعتبة بن ربيعة فنزل عليه فقال له: إنه كان بيننا وبين قومنا حرب، وقد جئناك نطلب الحلف عليهم. فقال له عتبة: بعدت دارنا من داركم، ولنا شغل لا نتفرغ لشيء. قال: وما شغلكم وأنتم في حرمكم وأمنكم؟ قال له عتبة: خرج فينا رجل يدعي أنه رسول الله سَفَّه أحلامنا وسب آلهتنا وأفسد شباننا وفرق جماعتنا! فقال له أسعد: من هو منكم؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، من أوسطنا شرفاً وأعظمنا بيتاً! وكان أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج يسمعون من اليهود الذين كانوا بينهم - النضير وقرظطة وقينقاع - أن هذا أوان نبي يخرج بمكة يكون مهاجره بالمدينة، لقتلناكم به يا معشر العرب. فلما سمع ذلك أسعد وقع في قلبه ما كان سمع من اليهود، قال: فأين هو؟ قال: جالس في الحجر، وإنهم لا يخرجون من شعبهم إلا في الموسم، فلا تسمع منه ولا تكلمه، فإنه ساحر يسحرك بكلامه. وكان هذا في وقت محاصرة بني هاشم في الشعب. فقال له أسعد: فكيف أصنع وأنا معتمر، لا بد لي أن أطوف بالبيت! قال: ضع في أذنك القطن. فدخل أسعد المسجد وقد حشا أذنيه بالقطن، فطاف

بالبيت ورسول الله ﷺ جالس في الحجر مع قوم من بني هاشم، فنظر إليه نظرة فجازة! فلما كان في الشوط الثاني قال في نفسه: ما أجد أجهل مني! أيكون مثل هذا الحديث بمكة فلا أتعرفه حتى أرجع إلى قومي فأخبرهم؟ ثم أخذ القطن من أذنيه ورمى به وقال لرسول الله: أنعم صباحاً، فرفع رسول الله ﷺ رأسه إليه وقال: قد أبدلنا الله به ما هو أحسن من هذا، تحية أهل الجنة: السلام عليكم. فقال له أسعد: إن عهدك بهذا لقریب، إلى ما تدعو يا محمد؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأدعوكم إلى: أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ وَالْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكُمْ فَاصْلُوا لَهُمْ إِنْ هُمْ عَلِمُوا لَكُمْ بِمَا وَعَدُوا بِهِنَّ فَادِلُوا عَلَيْهِنَّ مَا بَالُ الْبَاطِلِ إِذْ يَبْذُرُونَ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ.

فلما سمع أسعد هذا قال له: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنا من أهل يثرب من الخزرج، وبيننا وبين إخوتنا من الأوس حبال مقطوعة، فإن وصلها الله بك فلا أجد أعز منك، ومعى رجل من قومي فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتمم الله لنا أمرنا فيك، والله يا رسول الله لقد كنا نسمع من اليهود خبرك، ويبشروننا بمخزجك ويخبروننا بصفتك، وأرجو أن تكون دارنا دار هجرتك وعندنا مقامك، فقد أعلمنا اليهود ذلك، فالحمد لله الذي ساقني إليك. والله ما جئنا إلا لنطلب الحلف على قومنا، وقد آتانا الله بأفضل مما آتينا له.

ثم أقبل ذكوان، فقال له أسعد: هذا رسول الله الذي كانت اليهود تبشرنا به وتخبرنا بصفته، فهلم فأسلم فأسلم ذكوان، ثم قال: يا رسول الله إبعث معنا رجلاً يعلمنا القرآن ويدعو الناس إلى أمرك. فقال رسول الله ﷺ لمصعب بن عمير، وكان فتى حدثاً مترفاً بين أبويه يكرمانه ويفضلانه على أولادهما ولم يخرج من مكة، فلما أسلم جفاه أبواه، وكان مع رسول الله ﷺ في الشعب حتى تغير



وأصابه الجهد فأمره رسول الله ﷺ بالخروج مع أسعد، وقد كان تعلم من القرآن كثيراً، فخرجوا إلى المدينة ومعهما مصعب بن عمير فقدموا على قومهم وأخبروهم بأمر رسول الله وخبره، فأجاب من كل بطن الرجل والرجلان، وكان مصعب نازلاً على أسعد بن زرارة، وكان يخرج في كل يوم فيطوف على مجالس الخزرج يدعوهم إلى الإسلام فيجيبه الأحداث، وكان عبدالله بن أبي شريقاً في الخزرج، وقد كان الأوس والخزرج اجتمعوا على أن يملكوه عليهم لشرفه وسخائه، وقد كانوا اتخذوا له إكليلاً احتاجوا في تمامه إلى واسطة كانوا يطلبونها، وذلك أنه لم يدخل مع قومه الخزرج في حرب بعاث، ولم يعن على الأوس وقال: هذا ظلم منكم للأوس ولا أعين على الظلم، فرضيت به الأوس والخزرج، فلما قدم أسعد كره عبدالله ما جاء به أسعد وذكوان فتر أمره، فقال أسعد لمصعب: إن خالي سعد بن معاذ من رؤساء الأوس، هو رجل عاقل شريف مطاع في بني عمرو بن عوف، فإن دخل في هذا الأمر تم لنا أمرنا فهلم نأتي محلثهم، فجاء مصعب مع أسعد إلى محلة سعد بن معاذ فقعده على بئر من آبارهم واجتمع إليه قوم من أحداثهم وهو يقرأ عليهم القرآن، فبلغ ذلك سعد بن معاذ فقال لأسيد بن حضير وكان من أشرفهم: بلغني أن أبا أمامة أسعد ابن زرارة قد جاء إلى محلثنا مع هذا القرشي يفسد شباننا فأته وانته عن ذلك! فجاء أسيد بن حضير فنظر إليه أسعد فقال لمصعب: إن هذا رجل شريف، فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتم أمرنا فاصدق الله فيه.

فلما قرب أسيد منهم قال: يا أبا أمامة يقول لك خالك: لا تأتينا في نادينا ولا تفسد شباننا واحذر الأوس على نفسك. فقال مصعب: أو تجلس فعرض عليك أمراً فإن أحببته دخلت فيه وإن كرهته نحينا عنك ما تكرهه؟ فجلس فقرأ عليه سورة من القرآن فقال: كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الأمر؟ قال: نغتسل ونلبس ثوبين طاهرين ونشهد الشهادتين ونصلي ركعتين. فرمى بنفسه مع ثيابه في البئر ثم خرج وعصر ثوبه، ثم قال: أعرض فعرض عليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالتا ثم صلى ركعتين ثم قال لأسعد: يا أبا أمامة، أنا أبعث إليك الآن

خالك، وأحتال عليه في أن يجيئك. فرجع أسيد إلى سعد بن معاذ، فلما نظر إليه سعد قال: أقسم أن أسيداً قد رجع إلينا بغير الوجه الذي ذهب من عندنا، وأتاهم سعد بن معاذ فقرأ عليه مصعب: حم. تنزيل من الرحمن الرحيم. فلما سمعها قال مصعب: والله لقد رأينا الإسلام في وجهه قبل أن يتكلم فبعث إلى منزله، وأتى بثوبين طاهرين واغتسل وشهد الشهادتين وصلى ركعتين. ثم قام وأخذ بيد مصعب وحوله إليه وقال: أظهر أمرك ولا تهابن أحداً.

ثم جاء فوقف في بني عمرو بن عوف وصاح: يا بني عمرو بن عوف، لا يبقين رجل ولا امرأة ولا بكر ولا ذات بعل ولا شيخ ولا صبي إلا خرج، فليس هذا يوم ستر ولا حجاب. فلما اجتمعوا قال: كيف حالي عنكم؟ قالوا: أنت سيدنا والمطاع فينا ولا نرد لك أمراً فمرنا بما شئت. فقال: كلام رجالكم ونسائكم وصبيانكم عليّ حرام حتى تشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فالحمد لله الذي أكرمنا بذلك، وهو الذي كانت اليهود تخبرنا به! فما بقي دار من دور بني عمرو بن عوف في ذلك اليوم إلا وفيها مسلم أو مسلمة، وحول مصعب بن عمير إليه، وقال له: أظهر أمرك وادع الناس علانية، وشاع الإسلام بالمدينة وكثر، ودخل فيه من البطنين جميعاً أشرفهم، وذلك لما كان عندهم من أخبار اليهود».

هـ. أرسل النبي ﷺ مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة قبل ثلاث سنوات من هجرته مع أسعد بن زرارة، وكان مع النبي ﷺ في الشعب خوفاً من أهله بني عبد الدار، وكان إرساله قبل بيعة العقبة الأولى بسنة أو نحوها، فلا يصح قول ابن حجر: «كان قبل الهجرة بسنة واحدة». فتح الباري: ٦٠/٣.

وكان يأتي إلى مكة ثم يرجع إلى المدينة. قال ابن هشام: ٢٩٩/٢: «ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة، وخرج من خراج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك، حتى قدموا مكة».

و. كان لمصعب دور أساسي في بناء قاعدة الإسلام في المدينة، كما كان أحد القادة في معركة أحد، فهو من بني عبد الدار الشجعان الذين لهم لواء الحرب في قريش، وقد أعطى النبي ﷺ لمصعب لواء الأنصار في أحد فأجاد القتال، وعندما انهزم المسلمون في الجولة الثانية ثبت مع النبي ﷺ وقاتل حتى استشهد ﷺ، قتله أبي بن خلف بن قميئة، وقيل ظنه رسول الله ﷺ.

«أقبل يومئذ أبي بن خلف وهو على فرس له وهو يقول: هذا ابن أبي كبشة بُؤ بذنك لا نجوتُ إن نجوتَ. ورسول الله ﷺ بين الحارث بن الصمة وسهل بن حنيف يعتمد عليها، فحمل عليه فوقاه مصعب بن عمير بنفسه فطعن مصعباً فقتله، فأخذ رسول الله ﷺ عنزة «حربة» كانت في يد سهل بن حنيف، ثم طعن أيباً في جربان الدرع، فاعتنق فرسه فانتهى إلى عسكره وهو يخور خوار الثور، فقال أبو سفيان: ويلك ما أجزعك إنما هو خدش ليس بشيء! فقال: ويلك يا ابن حرب أتدري من طعنني! إنما طعنني محمد وهو قال لي بمكة إني سأقتلك فعلمت أنه قاتلي، والله لو أن ما بي كان بجميع أهل الحجاز لقتضت عليهم! فلم يزل يخور الملعون حتى صار إلى النار». إلام الوري: ١٧٨/١ والحاكم: ٣٢٧/٢.

وقالت نسيبة بنت كعب رحمها الله: «خرجت أول النهار إلى أحد وأنا أنظر ما يصنع الناس، ومعني سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ فجعلت أبأشر القتال وأذب عن رسول الله بالسيف وأرمي بالقوس حتى خلصت إلي الجراح. أقبل بن قميئة وقد ولي الناس عن رسول الله يصيح: دلوني على محمد فلا نجوتُ إن نجا! فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه فكنت فيهم، فضر بني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان». الطبقات: ٤١٢/٨.

وفي تفسير القمي: ١١٤/١: «ونظر رسول الله ﷺ إلى رجل من كبار المهاجرين قد ألقى ترسه خلف ظهره وهو في الهزيمة فناداه: يا صاحب الترس ألق ترسك ومُر إلى النار! فرمى بترسه فقال رسول الله ﷺ: يا نسيبة خذي الترس فأخذت الترس وكانت

تقاتل المشركين، فقال رسول الله ﷺ: لمقام نسبية أفضل من مقام فلان وفلان! والذي أمره النبي ﷺ باللقاء ترسه هو عمر، وروى السرخسي في شرح السير الكبير: ٢٠٠/١، أن النبي ﷺ عندما مدح نسبية سمى جماعة ممن فروا.

وروي أن عبد بن عمير أحمأ مصعب كان مع المشركين في أحد فقتله مصعب، وأن أخاه الآخر أبا عزة الشاعر أسر يوم أحد وقتله النبي ﷺ، لأنه كان أسر يوم بدر وأطلقه النبي ﷺ بلا فداء، بشرط أن لا يعود فعاد وأسر في أحد «المخزائج: ١٤٩/١» وروى البيهقي في السنن: ٦٥/٩ وغيره، أن أبا عزة جمحي، وليس ابن عمير. وفي سيرة ابن هشام: ٤٧٢/٢: «قال أبو عزيز: مرّ بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني فقال: شد يديك به فإن أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك! قال: وكنت في رهط من الأنصار حين أقبّلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر، لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا انفحني بها، قال: فأستحي فأردها على أحدهم فيردها عليّ ما يمسهها. قال ابن هشام: وكان أبو عزيز صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث، فلما قال أخوه مصعب بن عمير لأبي اليسر وهو الذي أسره ما قال، قال له أبو عزيز: يا أخي هذه وصاتك بي؟! فقال مصعب: إنه أخي دونك! فسألت أمه عن أغلى ما فدى به قرشي؟ فقيل لها: أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها».

وقد بالغ الرواة في تصغير سنه يوم أسلم، مع أن عمره كان فوق الثلاثين، لأنه كان يوم استشهد بضعاً وأربعين سنة. عمدة القاري: ٦٠/٨.

كما بالغوا في دوره في حرب أحد، وفي عده من المعذبين في مكة، ويبدو أن أمه وأقاربه من بني عبد الدار اكتشفوا إسلامه فمنعوه من الذهاب إلى النبي ﷺ، ثم وافقوا على هجرته إلى الحبشة، ثم رجع إلى مكة وكان مع النبي ﷺ في الشعب. كما بالغوا في ترفه قبل الإسلام، وهو صحيح إلى حد.

قال ابن سعد في الطبقات: ١٢٢/٣ و١١٨: «كان مصعب بن عمير رقيق البشرة،

حسن اللِّمَّة، ليس بالقصير ولا بالطويل، قتل يوم أحد على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة وهو ابن أربعين سنة أو يزيد شيئاً، فوقف عليه رسول الله ﷺ وهو في بردة مقتول فقال: لقد رأيتك بمكة وما بها أحرق أرق حلة، ولا أحسن لمة منك، ثم أنت شعث الرأس في بردة!

ثم خرج مصعب بن عمير من المدينة مع السبعين الذين وافوا رسول الله ﷺ في العقبه الثانية من حجاج الأوس والخزرج، ورافق أسعد بن زرارة في سفره ذلك، فقدم مكة فجاء منزل رسول الله ﷺ أولاً، ولم يقرب منزله فجعل يخبر رسول الله عن الأنصار وسرعتهم إلى الإسلام، واستبطائهم رسول الله ﷺ بكل ما أخبره، وبلغ أمه أنه قد قدم فأرسلت إليه: يا عاق أتقدم بلداً أنا فيه لا تبدأ بي! فقال: ما كنت لأبدأ بأحد قبل رسول الله ﷺ فلما سلم على رسول الله ﷺ وأخبره بما أخبره، ذهب إلى أمه فقالت: إنك لعلي ما أنت عليه من الصبأة بعد؟! قال: أنا على دين رسول الله ﷺ وهو الإسلام الذي رضي الله لنفسه ولرسوله. قالت: ما شكرت ما رثيتك! مرة بأرض الحبشة ومرة بيثرب! فقال: أفر بديني أن تفتنوني! فأرادت حبسه فقال: لئن أنت حبستني لأحرصن على قتل من يتعرض لي! قالت: فاذهب لشأنك وجعلت تبكي، فقال مصعب: يا أمه إني لك ناصح عليك شفيق، فاشهدي أنه لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. قالت: والثواقب لا أدخل في دينك فيزري برأيي ويضعف عقلي، ولكني أدعك وما أنت عليه، وأقيم على ديني! قال: وأقام مصعب بن عمير مع النبي ﷺ بمكة بقية ذي الحجة والمحرم وصفر، وقدم قبل رسول الله إلى المدينة مهاجراً هلال شهر ربيع الأول، قبل مقدم رسول الله ﷺ باثنتي عشرة ليلة. وعندما انهمز المسلمون وتركوا نبيهم لسيوف المشركين ثبت معه مصعب واستشهد مع النفر الذين ثبتوا فاستشهدوا أو جرحوا، فبقي هو وعلي ﷺ وحدهما! فقاتل قتال الأبطال حتى أمره الله أن يستظل بصخرة، وعليُّ يرد عنه هجمات قريش فيقصد قائد الكتيبة فيقتله فتنهزم الكتيبة، حتى يئس الكفار وانسحبوا! وأنزل الله في وصف ذلك أربعين آية! ١٣٩-١٧٩ آل عمران.

الكتاب  
الذي  
هو  
المعنى

وفي ذلك الوقت العصيب جاءت فاطمة الزهراء عليها السلام من المدينة إلى المعركة كالصقر المنقض، وواست رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسها، وضمدت جراحه!

ثم جاء النبي صلى الله عليه وآله إلى ميدان المعركة وصلى على الشهداء ودفنهم ومنهم عمه حمزة، ومصعب بن عمير رضي الله عنهما. وروى الجميع أنه كبر على عمه حمزة سبعين تكبيرة، وروى في الطبقات: ١٢٢/٣، أنه صلى الله عليه وآله وقف على مصعب: «وهو في بردة مقتول فقال: لقد رأيتك بمكة وما بها أحدق أرق حلة ولا أحسن لمة منك ثم أنت شعث الرأس في بردة! ثم أمر به أن يقبر فنزل في قبره أخوه أبو الروم بن عمير، وعامر بن ربيعة، وسويبط بن سعد بن حرملة».

ولا يصح نزولهم في قبره لأنهم فروا من المعركة ولم يحضر وادفن شهداء أحد. ورووا أن النبي صلى الله عليه وآله وقف على قبرهم وقال: «أشهد أنكم أحياء عند الله فزورهم وسلموا عليهم، فالذي نفس محمد بيده لا يسلم عليهم أحد إلا ردوا عليه إلى يوم القيامة».

مجمع الزوائد: ١٢٣/٦.

ولم يُعقب مصعب بن عمير عليه السلام إلا ابنته زينب، وأمها حمزة أخت زينب بنت جحش. الطبقات: ٢٤١/٨، أسد الغابة: ٤٧٠/٥ والإصابة: ١٦٣/٣.



## الفصل الخامس والعشرون

### النبي ﷺ يأخذ البيعة من الأنصار استعداداً للهجرة

#### النبي ﷺ يكُون قاعدة لدعوته في المدينة

١ . بعد تكوين قاعدة الإسلام في المدينة وانتشاره بين أهلها، تواصل طلبهم من النبي أن يهاجر اليهم: قال في إعلام الوري: ١٣٦/١: «وبلغ رسول الله ﷺ أن الأوس والخزرج قد دخلوا في الإسلام، وكتب إليه مصعب بذلك، وكان كل من دخل في الإسلام من قريش ضربه قومه وعذبه، فكان رسول الله ﷺ يأمرهم أن يخرجوا إلى المدينة، فكانوا يتسللون رجلاً فرجلاً، فيصرون إلى المدينة، فينزلهم الأوس والخزرج عليهم ويواسونهم. قال: فلما قدمت الأوس والخزرج مكة جاءهم رسول الله ﷺ فقال لهم: تمنعون لي جانبي حتى أتلو عليكم كتاب ربكم وثوابكم على الله الجنة؟ قالوا: نعم يا رسول الله، فخذ لنفسك وربك ما شئت. فقال: موعدكم العقبة في الليلة الوسطى من ليالي التشريق. فلما حجوا رجعوا إلى منى، وكان فيه ممن قد أسلم بشر كثير، وكان أكثرهم مشركين على دينهم، وعبد الله بن أبي فيهم، فقال لهم رسول الله ﷺ في اليوم الثاني من أيام التشريق: فاحضروا دار عبد المطلب على العقبة، ولا تنبهوا نائماً، وليتسلل واحد فواحد. وكان رسول الله ﷺ نازلاً في دار عبد المطلب، وحزة وعلي والعباس معه، فجاءه سبعون رجلاً من الأوس والخزرج فدخلوا الدار، فلما اجتمعوا قال لهم رسول الله ﷺ: تمنعون لي جانبي حتى أتلو عليكم كتاب ربي وثوابكم على الله الجنة؟ فقال أسعد بن زرارة والبراء بن معرور وعبد الله بن حرام: نعم يا رسول الله،

فاشترط لنفسك ولربك. فقال رسول الله ﷺ: تمنعوني مما تمنعون أنفسكم، وتمنعون أهلي مما تمنعون أهليكم وأولادكم؟ قالوا: فما لنا على ذلك؟ قال: الجنة، وتملكون بها العرب في الدنيا، وتدين لكم العجم وتكونون ملوكاً. فقالوا: قد رضينا. فقام العباس بن نضلة وكان من الأوس فقال: يا معشر الأوس والخزرج تعلمون على ما تقدمون عليه؟ إنها تقدمون على حرب الأبيض والأحمر، وعلى حرب ملوك الدنيا، فإن علمتم أنه إذا أصابتكم المصيبة في أنفسكم خذلتموه وتركتموه فلا تغروه، فإن رسول الله وإن كان قومه خالفوه فهو في عز ومنعة. فقال له عبدالله بن حرام وأسعد بن زرارة وأبو الهيثم بن التيهان: مالك وللكلام! يا رسول الله، بل دَمْنَا بدمك وأنفسنا بنفسك، فاشترط لربك ولنفسك ما شئت. فقال رسول الله ﷺ: أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً يكفلون عليكم بذلك كما أخذ موسى من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً. فقالوا: اختر من شئت. فأشار جبرئيل عليه السلام إليهم فقال: هذا نقيب، وهذا نقيب، حتى اختار تسعة من الخزرج وهم: أسعد بن زرارة، والبراء بن معرور، وعبدالله بن حرام أبو جابر بن عبدالله، ورافع بن مالك، وسعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو، وعبدالله بن رواحة، وسعد بن الربيع، وعبادة بن الصامت.

وثلاثة من الأوس وهم: أبو الهيثم ابن التيهان وكان رجلاً من اليمن حليفاً في بني عمرو بن عوف، وأسيد بن حضير، وسعد بن خيثمة».

وفي المناقب: ١٥٧/١: «ثم عاد مصعب إلى مكة، وخرج من خراج من الأنصار إلى الموسم مع حجاج قومهم، فاجتمعوا في الشعب عند العقبة، ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان، في أيام التشريق بالليل فقال ﷺ: أبايعكم على الإسلام، فقال له بعضهم: نريد أن تعرفنا يا رسول الله ما الله علينا وما لك علينا وما لنا على الله؟ قال: أما ما الله عليكم فأن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً. وأما مالي عليكم فتنصروني مثل نسائكم وأبنائكم، وأن تصبروا على عض السيف وأن يقتل خياركم، قالوا: فإذا فعلنا ذلك ما لنا على الله؟ قال: أما في الدنيا فالظهور على



من عاداكم وفي الآخرة الرضوان والجنة.

فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: والذي بعثك بالحق لنمنعك بما تمنع به أزرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة، ورثناها كابراً عن كابر. فقال أبو الهيثم إن بيننا وبين الرجال حبلاً، وإنا إن قطعناها أو قطعوها فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا، فتبسم رسول الله ثم قال: بل الدم الدم والهدم الهدم، أحارب من حاربتكم وأسالم من سالمتم، ثم قال: أخرجوا لي منكم اثني عشر نقيباً، فاختاروا ثم قال: أبايكم كبيعة عيسى بن مريم للحواريين كفلاء على قومهم بما فيهم، وعلى أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم، فبايعوه على ذلك. فصرخ الشيطان في العقبة: يا أهل الجبابرة هل لكم في محمد والصبابة معه، قد اجتمعوا على حربكم!

وفي الطبقات: ٢٢٢/١: «فقال رسول الله ﷺ إن موسى أخذ من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً، فلا يجدن منكم أحد في نفسه أن يؤخذ غيره، فإنها يختار لي جبريل فلما تخيرهم قال للنقباء: أنتم كفلاء على غيركم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي؟ قالوا: نعم.»

أقول: «معنى ذلك أن نظام الإثني عشر من الدين الإلهي، وأن النبي ﷺ اعتمد النقباء الإثني عشر لضمان وفاء الأنصار ببيعتهم. وهو نظام اجتماعي للإيمان والكفر، فالنقباء الكافلون لقومهم بالبيعة اثنا عشر، والأئمة بعد النبي ﷺ اثنا عشر، والأئمة المظلون الذين يدعون إلى النار، إثنا عشر إماماً أيضاً!

٢ ذكر ابن عبد البر في الدرر/٦٦، أن العقبة الأولى كانت في الموسم قبل حرب بعث، وأن النبي ﷺ التقى فيها بستة من الخزرج فأسلموا، ورجعوا إلى المدينة فدعوا إلى الإسلام حتى انتشر فيهم، وأن العقبة الثانية كانت في العام المقبل مع اثني عشر رجلاً بايعهم رسول الله ﷺ عند العقبة على بيعة النساء، ولم يكن أمر بالقتال. ثم كانت العقبة الثالثة عندما رجع مصعب بن عمير إلى مكة وجاء معه إلى الموسم جماعة ممن أسلم من الأنصار، يريدون لقاء رسول الله ﷺ في جملة قوم كفار منهم لم يسلموا

النبي  
الرسول  
الصلوة  
والسنة

بعد فأسلموا وبايعوا، وكانوا سبعين رجلاً وامرأتين، واختار رسول الله منهم اثنا عشر نقيباً. وكانت بيعتهم على حرب الأسود والأحمر، وأخذ لنفسه واشترط عليهم لربه وجعل لهم نقيباً على الوفاء بذلك الجنة».

٣. اختار النبي ﷺ دار جده عبد المطلب ﷺ بمنى، عند جرة العقبة، مكاناً للبيعة وتقدم من تفسير القمي: ٢٧٢/١ وإعلام الوري: ١٤٢/١، قوله ﷺ: «فأخَصَّرَ وَاذَرَ عبد المطلب على العقبة ولا تنبهوا نائماً وليتسلل واحد فواحد. وكان رسول الله نازلاً في دار عبد المطلب وحمة وعلي والعباس معه، فجاءه سبعون رجلاً من الأوس والخزرج فدخلوا الدار».

لكن رواية السلطنة لم يذكرها بيت عبد المطلب وقالوا: «فواعدوا رسول الله العقبة من أواسط أيام التشريق». ابن هشام: ٢٩٩/٢ والدرر: ٦٨.

وقد تعجبت في هذه السنة ١٤٢٩ من أن الوهابيين أقاموا مسجداً صغيراً مكان بيت عبد المطلب جعلوه رمزاً لبيعة الأنصار للنبي ﷺ، ويقع قرب جرة العقبة على يمين الخارج منها إلى مكة، مع أنهم يزيلون آثار الإسلام والنبي وآله ﷺ، لكن لا ندري كيف حولوه إلى مسجد ومن أوقفه مسجداً؟! ولعلمهم استندوا إلى نص في طبقات ابن سعد: ١٢١/١ يقول إن الموضع كان مسجداً، قال: «وَعَدَهُمُ «النبي ﷺ» منى وسط أيام التشريق، ليلة النفر الأول إذا هدأت الرجل، أن يوافوه في الشعب الأيمن، إذا انحدروا من منى بأسفل العقبة، حيث المسجد اليوم». أي في زمن ابن سعد في القرن الثالث.

٤. كانت قريش في تلك السنة مستنفرة لمراقبة النبي ﷺ وبني هاشم، لأنها رأت أن بعض أهل المدينة دخلوا في الإسلام، وأن النبي ﷺ يأمر أصحابه المضطهدين في مكة بالهجرة إلى المدينة. ورغم رقابتهم استطاع النبي ﷺ أن يرتب لقاءه بالأَنْصار سرّاً، وجعله في بيت عبد المطلب في منى، وواعدهم في وقت نوم الحجاج: «فخرجوا في ثلث الليل الأول متسللين من رحلهم إلى العقبة»

ولا بد أنه رتب حراسةً عند مدخل الشعب ومدخل الدار.

قال في إعلام الوري: ١٤٣/١: «فلما اجتمعوا وبايعوا رسول الله ﷺ صاح بهم إبليس: يا معشر قريش والعرب، هذا محمد والصبابة من الأوس والخزرج على جمرة العقبة يبايعونه على حربكم! فأسمع أهل منى فهاجت قريش وأقبلوا بالسلاح! وسمع رسول الله ﷺ النداء فقال للأنصار: تفرقوا، فقالوا: يا رسول الله إن أمرتنا أن نميل عليهم بأسيا فنأعلنا، فقال رسول الله ﷺ: لم أؤمر بذلك ولم يأذن الله لي في محاربتهم. فقالوا: يا رسول الله فتخرج معنا؟ قال: أنتظر أمر الله.

فجاءت قريش على بكرة أبيها قد أخذوا السلاح، وخرج حمزة ومعه السيف فوقف على العقبة هو وعلي بن أبي طالب عليه السلام، فلما نظروا إلى حمزة قالوا: ما هذا الذي اجتمعتم عليه؟ قال: ما اجتمعنا وما هاهنا أحد، والله لا يجوز أحد هذه العقبة إلا ضربته بسيفي!

فرجعوا وغدوا إلى عبد الله بن أبي وقالوا له: قد بلغنا أن قومك بايعوا محمداً على حربنا! فحلف لهم عبد الله أنهم لم يفعلوا ولا علم له بذلك، وأنهم لم يطلعوه على أمرهم، فصدقوه. وتفرقت الأنصار ورجع رسول الله ﷺ إلى مكة».

أقول: مضافاً إلى نداء إبليس، فقد تكون قريش عرفت خبر بيعة الأنصار من جواسيسها، أو من تحركات الأنصار. أما امتناعها عن مواجهة النبي ﷺ فسيببه أنها تعرف من هو حمزة وعليُّ وبنو هاشم، فلم تجرؤ على فتح معركة معهم، خاصة أنها في موسم الحج والأشهر الحرم!

لكن زعماء قريش واصلوا اجتماعاتهم بقية الشهر، حتى قرروا بالإجماع قتل النبي ﷺ بعد انتهاء الأشهر الحرم، وعينوا الأشخاص من القبائل للتنفيذ.



## الفصل السادس والعشرون

### خطة قريش المبرمة لقتل النبي ﷺ

#### ١- قريش تستنفر لقتل النبي ﷺ بعد بيعة الأنصار

أ. بعد الحج شاع خبر بيعة العقبة، فثارت قريش على الأنصار! ففي المناقب: ١٥٨/١: «نفر الناس من منى وفشى الخبر، فخرجوا في الطلب فأدركوا سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو، فأما المنذر فأعجز القوم، وأما سعد فأخذوه وربطوه بنسع رحله وأدخلوه مكة يضرّبونه، فبلغ خبره إلى جبير بن مطعم، والحرث بن حرب بن أمية، فأتياه وخلصاه». المناقب: ١٥٨/١. وفي سيرة ابن هشام: ٣٠٦/٢: «فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط: يا أهل الجبابج «المنازل» هل لكم في مذمم والصباء معه، قد اجتمعوا على حربكم. قال فقال رسول الله ﷺ: هذا أَرَبُ العقبة، أسمع أي عدو الله، أما والله لأفرغن لك. ثم قال رسول الله ﷺ: إِرْفُضُوا إلى رحالكم.. قال: فرجعنا إلى مضاجعنا فمنا عليها حتى أصبحنا، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤونا في منازلنا فقالوا: يا معشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجون من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تشب الحرب بيننا وبينهم، منكم. قال: فانبعث من هناك من مشركي قومنا يملفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه. قال: وقد صدقوا لم يعلموه. أتوا عبدالله بن أبي ابن سلول فقالوا له مثل ما قال كعب من القول». ونحوه الطبري: ٩٥/٢.

وفي أمالي الطوسي/١٧٦، عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: «تمثل إبليس لعنه الله في أربع صور: تمثل يوم بدر في صورة سراقه بن جعشم المدلجي فقال لقريش: وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكَ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكَ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفَيْثَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ.. وتصور يوم العقبة في صورة منبه بن الحجاج فنادى: إن محمداً والصباء معه عند العقبة فأدركوهم، فقال رسول الله ﷺ للأنصار: لا تخافوا فإن صوته لن يعدوهم. وتصور يوم اجتماع قريش في دار الندوة في صورة شيخ من أهل نجد، وأشار عليهم في النبي ﷺ بها أشار فأنزل الله تعالى: وَإِذْ يَتَكْرَمُكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْنِيَنَّكَ أَوْ يَتَمَنَّوْكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَتَكْرَمُونَ وَيَتَكْرَهُهُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَبِيرُ الْمَاكِرِينَ. وتصور يوم قبض النبي ﷺ في صورة المغيرة بن شعبه فقال: أيها الناس لا تجعلوها كسر وانية ولا قيصرانية، وسعوها تسع، فلا تردوها في بني هاشم، فتنتظر بها الحبالى!»!

ب. وتواصلت مشاورات قريش ببقية محرم وصفر، حتى كانت جلستهم الشهيرة في  
أواخر صفر، وقرروا فيها قتل النبي ﷺ، وعينوا المنفذين ووقت التنفيذ.  
ففي تفسير القمي/١: ٢٧٣: «فرجعوا إلى مكة وقالوا: لا نأمن من أن يفسد أمرنا ويدخل واحد من مشايخ قريش في دين محمد، فاجتمعوا في الندوة وكان لا يدخل دار الندوة إلا من قد أتى عليه أربعون سنة، فدخلوا أربعون رجلاً من مشايخ قريش، وجاء إبليس في صورة شيخ كبير فقال له البواب: من أنت؟ فقال أنا شيخ من أهل نجد لا يعدمكم مني رأي صائب، إني حيث بلغني اجتماعكم في أمر هذا الرجل، فجنث لأشير عليكم، فقال الرجل: أدخل فدخل إبليس!

فلما أخذوا مجلسهم قال أبو جهل: يا معشر قريش إنه لم يكن أحد من العرب أعز منا، نحن أهل الله تغدو إلينا العرب في السنة مرتين ويكرمونا، ونحن في حرم الله لا يطعم فينا طامع، فلم نزل كذلك حتى نشأ فينا محمد بن عبدالله فكاننا نسمة الأمين لصلاحه وسكونه وصدق هجته، حتى إذا بلغ ما بلغ وأكرمناه، ادعى أنه رسول الله وأن أخبار السوء تأتيه، فسفه أحلامنا وسب أهلتنا وأفسد شبابنا وفرق جماعتنا، وزعم أنه من مات من أسلافنا ففي النار، فلم يرد علينا شيء أعظم من هذا! وقد رأيت فيه

رأياً. قالوا: وما رأيت؟ قال: رأيت أن ندس إليه رجلاً منا ليقتله، فإن طلبت بنو هاشم بدمه أعطيتناهم عشر ديات، فقال الخبيث: هذا رأي خبيث! قالوا وكيف ذلك؟ قال: لأن قاتل محمد مقتول لا محالة، فمن ذا الذي يبذل نفسه للقتل منك؟ فإنه إذا قتل محمد تغضب بنو هاشم وحلفاؤهم من خزاعة، وإن بني هاشم لا ترضى أن يمشي قاتل محمد على الأرض، فتقع بينكم الحروب في حرمكم وتفتانوا.

فقال آخر منهم: فعندي رأي آخر قالوا: وما هو؟ قال نثبته في بيت ونلقي إليه قوته حتى يأتي عليه ريب المنون فيموت كما مات زهير والنابعة وامرؤ القيس، فقال إبليس: هذا أخبث من الآخر! قالوا: وكيف ذلك؟ قال لأن بني هاشم لا ترضى بذلك، فإذا جاء موسم من مواسم العرب استغاثوا بهم واجتمعوا عليكم فأخرجوه! قال آخر منهم: لا ولكننا نخرجه من بلادنا ونفرض نحن لعبادة آلهتنا. قال إبليس: هذا أخبث من الرأيين المتقدمين! قالوا: وكيف ذلك؟ قال: لأنكم تعمدون إلى أصبح الناس وجهاً وأنطق الناس لساناً وأفصحهم لهجة، فتحملونه إلى وادي العرب فيخذعهم ويسحرهم بلسانه، فلا يفجأكم إلا وقد ملأها عليكم خيلاً ورجلاً! فبقوا حائرين ثم قالوا لإبليس: فما الرأي فيه يا شيخ؟ قال: ما فيه إلا رأي واحد. قالوا وما هو؟ قال يجتمع من كل بطن من بطون قريش واحد، ويكون معهم من بني هاشم رجل، فيأخذون سكيناً أو حديدة أو سيفاً، فيدخلون عليه فيضربونه كلهم ضربة واحدة، حتى يتفرق دمه في قريش كلها فلا يستطيع بنو هاشم أن يطلبوا بدمه وقد شاركوا فيه، فإن سألوكم أن تعطوا الدية فأعطوهم ثلاث ديات! فقالوا: نعم وعشر ديات.

ثم قالوا: الرأي رأي الشيخ النجدي! فاجتمعوا ودخل معهم في ذلك أبو لبب عم النبي، ونزل جبرئيل على رسول الله ﷺ وأخبره أن قريشاً قد اجتمعت في دار الندوة يدبرون عليك، وأنزل عليه في ذلك: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ.

واجتمعت قريش أن يدخلوا عليه ليلاً فيقتلوه، وخرجوا إلى المسجد يُصَفِّرون  
 ويُصَفِّقون ويطوفون بالبيت. فأنزل الله: وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ  
 بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ. فالمكاء التصفير، والتصديّة صفق اليدين، وهذه الآية معطوفة على  
 قوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا، وقد كتبت بعد آيات كثيرة.

فلما أمسى رسول الله جاءت قريش ليدخلوا عليه فقال أبو لهب: لا أَدْعِمُكَ أَنْ  
 تدخلوا عليه بالليل، فإن في الدار صبياناً ونساءً ولا نأمن أن تقع بهم يد خاطئة.  
 فنحرسه الليلة فإذا أصبحنا دخلنا عليه، فناموا حول حجرة رسول الله ﷺ.

قال في الصحيح من السيرة: ٨/٤: «إن أولئك القوم الذين انتدبهم قريش اجتمعوا  
 على باب النبي ﷺ وهو باب عبد المطلب على ما في بعض الروايات، يرصدونه يريدون  
 بياته، وفيهم: الحكم بن أبي العاص، وعقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، وأمّية بن  
 خلف، وزمعة بن الأسود، وأبو لهب، وأبو جهل، وأبو الغيثلة، وطعمة بن عدي، وأبي  
 بن خلف، وخالد بن الوليد، وعتبة، وشيبة، وحكيم بن حزام، ونبيه، ومنبه ابنا الحجاج».  
 أقول: أين كان الذين ادعوا لهم البطولة، وأن الإسلام عزهم كعمر وسعد وأبي بكر  
 وطلحة؟! تراهم يغيبون في الشدائد ويظهرون في الرخاء!؟

جـ. قال المحامي أحمد حسين يعقوب في كتابه: المواجهة مع رسول الله ﷺ / ١٨١:  
 «في دار الندوة، اتفقت زعامة البطون على قتل النبي ووضع خطة القتل، وتطرقت  
 لأدق التفاصيل! ومهمة الفتية الذين تم اختيارهم من كل البطون تتلخص بتنفيذ خطة  
 الجريمة، وتقضي الخطة بمراقبة البيت المبارك الذي يقيم فيه حتى إذا ما خيم الظلام  
 وهجع السامر، زحف فتية البطون بعزم وهدوء وطوقوا البيت المبارك، فإن خرج  
 النبي خلال فترة التطويق انقضوا عليه بسيوفهم وضربوه ضربة واحدة، وإن لم يخرج  
 خلال مدة معقولة، دخلوا عليه البيت جميعاً وضربوه وهو نائم ضربة رجل واحد!  
 وقرار زعامة البطون واضح بأن تلك الليلة يتوجب أن تكون آخر ليالي محمد من  
 الحياة، فالأمور مرتبة ترتيباً محكماً، ولا طاقة لبني هاشم على مواجهة البطون خاصة  
 بعد موت سيدهم وعميدهم شيخ البطاح أبي طالب.

البيت  
 النبوي  
 الشريف  
 الحرام

كل شئ جهزته البطون لتنفيذ الجريمة وبأعصاب هادئة، مع أن محمداً من قريش ومع أن الهاشميين بنو عمومتهم، ولكن عندما يتمكن الحقد من النفوس فإنها تبور ولا شئ يصلحها.

هياً الرسول ﷺ نفسه للهجرة والخروج من مكة، وكلف ولي عهده والإمام من بعده علي بن أبي طالب، أن يتدثر ببرد النبي الحضرمي الأخضر، وأن ينام في فراش النبي، ليوهم المتآمرين القتلة أن النائب هو النبي وليس علياً فينشلوا عنه. وكلف النبي ولي عهده أيضاً أن يتولى تأدية الأمانات الموجودة عند الرسول إلى أهلها، وبعد أن يفعل ذلك يحمل أهل النبي، ويتبعه مهاجراً إلى المدينة المنورة. وبعد أن رتب النبي ﷺ أموره ودَّعَ ولي عهده وأهل بيته وخرج مهاجراً. شاهد النبي المتآمرين القتلة يحيطون بالبيت المبارك إحاطة السوار بالمعصم، ويطوقونه تطويقاً كاملاً، بحيث يتعذر الدخول أو الخروج من البيت!

وقف النبي ﷺ وقرأ: *يَسْ. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ... وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ.*

وطال انتظار المتآمرين ولم يخرج النبي وبدأت الوسواس تعمل في صدورهم! لقد انبلج الفجر ولاحت الدنيا، ومن المستحيل أن يتأخر خروج محمد إلى هذا الحد، واقتحموا بيت النبي ودخلوا الحجرة المقدسة، واقتربوا من فراش النبي وكشفوا الغطاء، فإذا النائب بفراش النبي علي وليس محمداً! فهاج القتلة وسألوا علياً عن النبي فقال لهم علي يهدوء المؤمن ورباطة جأشه: «قلت له أخرج عنافخرج عنكم!»! أحيطت زعامة بطون قريش علياً بما حدث، فهاجت وماجت وجن جنونها، فأطلقت فرسانها ورجالها ليبحثوا عن محمد وليعودوا به حياً أو ميتاً، وخصصت جائزة كبرى مقدارها مائة ناقة لمن يقبض على محمد، وبذلت زعامة بطون قريش كل وسعها للقبض على محمد، ولكنها فشلت ولم تفلح، حيث دخل النبي الغار وقضى فيه ثلاثة أيام، حتى يئست زعامة البطون من العثور عليه، وبعد ذلك شق طريقه بيمن الله ورعايته إلى عاصمة دولته المباركة».



## ٢- مبيت علي عليه السلام في فراش النبي صلى الله عليه وآله يفديه بنفسه

أ. اتفق الرواة على أن مندوبي قريش دخلوا البيت وهم شاهرون سيوفهم يتقدمهم خالد بن الوليد، فتفاجؤوا بأن النائم مكانه علي بن أبي طالب عليه السلام، فنهض في وجههم وهو شاهر سيفه، وتلاسنوا معه وأساء معه الكلام خالد، فأمسك علي بيده وجذبه وعصر عضده، فصاح خالد كالبكر أي البعير الصغير، ونزع علي سيف خالد، فتدخل البقية وقالوا لعلي إنهم لا يريدون به شراً!

وقد روت حديث المبيت مصادرنا وبعضه مصادرهم. ففي أمالي الطوسي/٤٦٦ عن عمار وأبي رافع: «فخرج القوم عزين «متفرقين» وسبقهم بالوحي بما كان من كيدهم جبرئيل، فتلا هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله: وَإِذْ يَتَكْرَبُكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْنِيَنَّكَ أَوْ يَتَنَبَّؤُكَ أَوْ يُجْرِبُوكَ وَيَتَكَبَّرُونَ وَيَتَكْرَهُونَ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ. فلما أخبره جبرئيل بأمر الله في ذلك ووحيه وما عزم له من الهجرة، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام وقال له: يا علي إن الروح هبط علي بهذه الآية آتفاً، يخبرني أن قريشاً اجتمعوا على المكر بي وقتلي، وأنه أوحى إليّ ربي عز وجل أن أهجّر دار قومي، وأن انطلق إلى غار ثور تحت ليلتي، وأمرني أن أمرك بالمبيت علي مضجعي ليخفي بمبيتك عليهم أثري، فما أنت قائل وصانع؟ فقال علي عليه السلام: أوتسلم بميبيتي هناك يا نبي الله؟ قال: نعم، فتبسم علي عليه السلام ضاحكاً وأهوى إلى الأرض ساجداً شكراً بها أنبأه رسول الله صلى الله عليه وآله من سلامته، وكان علي عليه السلام أول من سجد لله شكراً، وأول من وضع وجهه على الأرض بعد سجده من هذه الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما رفع رأسه قال له: إمض لما أمرت فذاك سمعي وبصري وسويداء قلبي، ومرني بما شئت أكن فيه بمسرتك، واقعاً منه بحيث مرادك، وإن توفيقني إلا بالله. قال صلى الله عليه وآله: وإنه ألقي عليك شبه مني، فارقد علي فراشي واشتمل ببردي الحضرمي. ثم إنني أخبرك يا علي أن الله تعالى يمتحن أوليائه على قدر إيمانهم ومنازلهم من دينه، فأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأوصياء ثم الأمثل فالأمثل، وقد امتحنتك يا ابن عم وامتحنني فيك بمثل ما امتحن به خليله إبراهيم والذبيح إسماعيل عليه السلام، فصبراً صبراً فإن رحمة الله قريب من المحسنين. ثم ضمه النبي صلى الله عليه وآله إلى صدره وبكى إليه وجداً به،

وبكى علي عليه السلام جشعاً لفراق رسول الله ﷺ. ولبث رسول الله ﷺ بمكانه مع علي يوصيه ويأمره في ذلك بالصبر حتى صلى العشاءين، ثم خرج في فحمة العشاء الآخرة والرصد من قريش قد أطافوا بداره، ينتظرون أن ينتصف الليل وتنام الأعين، فخرج وهو يقرأ هذه الآية: وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ. وأخذ بيده قبضة من تراب فرمى بها على رؤوسهم فما شعر القوم به حتى تجاوزهم!

فلما غلق الليل أبوابه وأسدل أستاره وانقطع الأثر، أقبل القوم على علي عليه السلام يقذفونه بالحجارة والحلم «الأعواد» ولا يشكون أنه رسول الله ﷺ، حتى إذا برق الفجر وأشفقوا أن يفضحهم الصبح، هجموا على علي عليه السلام، وكانت دور مكة يومئذ سوائب لا أبواب لها، فلما بصر بهم علي عليه السلام قد انتضوا السيوف وأقبلوا عليه بها، وكان يقدمهم خالد بن الوليد بن المغيرة، وثب له علي عليه السلام فختله وهمز يده فجعل خالد يقمص قماص البكر «يرفس كالفصيل» ويرغورغاء الجمل ويذعر ويصيح، وهم في عرج الدار «منعطفها» من خلفه، وشد عليهم علي عليه السلام بسيفه يعني سيف خالد، فأجفلوا أمامه إجمال النعم إلى ظاهر الدار، فتبصروه فإذا هو علي عليه السلام، فقالوا: إنك لعلي؟ قال: أنا علي. قالوا: فإننا لم نردك فما فعل صاحبك؟ قال: لا علم لي به. وقد كان علم يعني علياً عليه السلام أن الله تعالى قد أنجى نبيه ﷺ بما كان أخبره من مضيه إلى الغار واختبائه فيه، فأذكت قريش عليه العيون، وركبت في طلبه الصعب والذلول.

وأمهل علي عليه السلام حتى إذا أتمت من الليلة القابلة انطلق هو وهند بن أبي هالة حتى دخلا على رسول الله ﷺ في الغار، فأمر رسول الله ﷺ هنداً أن يبتاع له ولصاحبه بعيرين، فقال أبو بكر: قد كنت أعددت لي ولك يا نبي الله رحلتين نرتحلها إلى يثرب. فقال: إني لا أخذهما ولا أحدهما إلا بالثمن. قال: فهي لك بذلك، فأمر ﷺ علياً عليه السلام فأقبضه الثمن، ثم أوصاه بحفظ ذمته وأداء أمانته. وكانت قريش تدعو محمداً ﷺ في الجاهلية الأمين، وكانت تستودعه

وتستحفظه أموالها وأمتعتها، وكذلك من يقدم مكة من العرب في الموسم، وجاءته النبوة والرسالة والأمر كذلك، فأمر علياً عليه السلام أن يقيم صارخاً يهتف بالأبطح غدوةً وعشيّاً: ألا من كان له قبل محمد أمانة أو وديعة، فليات فلتؤد إليه أمانته.

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «أي كتب إلى علي»: إنهم لن يصلوا من الآن إليك يا علي بأمر تكرهه حتى تقدم عليّ، فأدّ أمانتي على أعين الناس ظاهراً.

ثم إنني مستخلفك على فاطمة ابنتي، ومستخلف ربي عليكما ومستحفظه فيكما، وأمره أن يتابع رواحله وللفواطم، ومن أزمع للهجرة معه من بني هاشم.

قال أبو عبيدة: فقلت لعبيد الله، يعني ابن أبي رافع: أو كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجد ما ينفقه هكذا؟ فقال: إني سألت أبي عما سألتني وكان يحدث بهذا الحديث فقال: فأين يذهب بك عن مال خديجة عليها السلام؟ وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما نفعني مال قط مثل ما نفعني مال خديجة..

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي وهو يوصيه: وإذا أبرمت ما أمرتك، فكن على أهبة الهجرة إلى الله ورسوله، وسر إليّ لقدوم كتابي إليك، ولا تلبث بعده.

وانطلق رسول الله لوجهه يوم المدينة، وكان مقامه في الغار ثلاثاً، ومبيت علي على الفراش أول ليلة. قال عبید الله بن أبي رافع: وقد قال علي بن أبي طالب عليه السلام شعراً يذكر فيه مبيته على الفراش ومقام رسول الله صلى الله عليه وآله في الغار ثلاثاً:

وقيت بنفسي خير من وطأ الحصى . ومن طاف بالبيت العتيق وبالبحر  
محمد لما خاف أن يمكروا به فوقاه ربي ذو الجلال من المكر  
وبسّ أراعهم متى ينشرونني ووطننت نفسي على القتل والأسر  
ويأت رسول الله في الغار آمناً هناك وفي حفظ الإله وفي ستر  
أقام ثلاثاً ثم زمت قلائص قلائص يفرين الحصا أينما نفرى»

وفي إعلام الوری: ١٤٦/١: «أجمعوا أن يدخلوا عليه ليلاً وكتما أمرهم، فقال أبو لهب: بل نحرسه فإذا أصبحنا دخلنا عليه. فباتوا حول حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يفرش له، وقال لعلي بن أبي طالب: يا علي إدفني بنفسك. قال:

نعم يا رسول الله. قال: نم على فراشي والتحف ببردي. فنام عليه السلام على فراش رسول الله والتحف ببرده، وجاء جبرئيل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ فقال له: أخرج القوم يشرفون على الحجره فيرون فراشه وعلي عليه السلام نائم عليه فيتوهمون أنه رسول الله ﷺ!

وفي الخرائج: ١٤٣/١: «فدعاني رسول الله ﷺ فقال: إن قريشاً دبرت كيت وكيت في قتلي، فم على فراشي حتى أخرج أنا من مكة، فقد أمرني الله تعالى بذلك. فقلت له: السمع والطاعة، فتمت على فراشه وفتح رسول الله الباب وخرج عليهم وهم جميعاً جلوس ينتظرون الفجر وهو يقول: وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ. ومضى وهم لا يرونه، فرأى أبابكر قد خرج في الليل يتجسس عن خبره، وقد كان وقف على تدبير قريش من جهتهم فأخرجه معه إلى الغار. فلما طلع الفجر توثبوا إلى الدار وهم يظنون أني محمد، فوثبت في وجوههم وصحت بهم، فقالوا: علي! قلت: نعم. قالوا: وأين محمد؟ قلت: خرج من بلدكم. قالوا: والى أين خرج؟ قلت: الله أعلم فتركوني وخرجوا».

وفي تفسير القمي: ٢٧٥/١: «وأمر رسول الله أن يفرش له ففرش له، فقال لعلي بن أبي طالب: إفدني بنفسك، قال نعم يا رسول الله. قال: نم على فراشي، والتحف ببردي، فنام علي على فراش رسول الله ﷺ والتحف ببرده، وجاء جبرئيل فأخذ بيد رسول الله فأخرجه على قريش وهم نيام وهو يقرأ عليهم: وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ. وقال له جبرئيل: خذ على طريق ثور وهو جبل على طريق منى له سنام كسنام الثور، فدخل الغار وكان من أمره ما كان. فلما أصبحت قريش وأتوا إلى الحجره وقصدوا الفراش، فوثب علي في وجوههم فقال: ما شأنكم؟ قالوا له أين محمد؟ قال أجعلتموني عليه رقيقاً؟ أستم قلتم نخرجه من بلادنا فقد خرج عنكم!

فأقبلوا يضربون أباهب ويقولون أنت تحدعنا منذ الليلة، فتنرقوا في الجبال،

وكان فيهم رجل من خزاعة يقال له أبو كرز يقفو الأثار، فقالوا له يا أبا كرز اليوم اليوم، فوقف بهم على باب حجرة رسول الله ﷺ فقال: هذه قدم محمد والله إنها لأخت القدم التي في المقام! وكان أبو بكر استقبل رسول الله ﷺ فرده معه فقال أبو كرز: وهذه قدم ابن أبي قحافة أو أبيه، ثم قال: وهاهنا عبر ابن أبي قحافة. فما زال بهم حتى أوقفهم على باب الغار، ثم قال: ما جاوزا هذا المكان! إما أن يكونا صعدا إلى السماء أو دخلا تحت الأرض. وبعث الله العنكبوت فنسجت على باب الغار، وجاء فارس من الملائكة حتى وقف على باب الغار ثم قال: ما في الغار واحد فتفرقوا في الشعاب وصر فهم الله عن رسوله ﷺ ثم أذن لنبيه في الهجرة». واليعقوبي: ٣٩/٢.

ب. وروى الجميع حديث مباهة الله تعالى لملائكته بفداء علي ﷺ للنبي ﷺ بنفسه، ففي أمالي الطوسي/٤٦٩: «قال أبو اليقظان: فحدثنا رسول الله ﷺ ونحن معه بقباء عما أرادت قريش من المكر به، ومبيت علي ﷺ على فراشه، قال: أوحى الله عز وجل إلى جبرئيل وميكائيل أني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر صاحبه فأيكما يؤثر أخاه؟ فكلاهما كرهما الموت، فأوحى الله إليهما: عبدي ألا كتتما مثل وليي علي بن أبي طالب، آخيت بينه وبين نبيي فأثره بالحياة على نفسه، ثم رقد على فراشه يفديه بمهجته، إهبطا إلى الأرض كلاكما فاحفظاه من عدوه، فهبط جبرئيل فجلس عند رأسه وميكائيل عند رجله وجعل جبرئيل يقول: بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب والله عز وجل يباهي بك الملائكة! قال: فأنزل الله عز وجل في علي ﷺ: وَمَنْ التَّاسِ مَنْ يَسْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ زُؤُوفٌ بِالْعِبَادِ.

وفي المناقب: ٣٣٩/١: «الثلعلي في تفسيره، وابن عقبة في ملحمة، وأبو السعادات في فضائل العشرة، والغزالي في الإحياء، وفي كيمياء السعادة أيضاً، برواياتهم عن أبي اليقظان. وجماعة من أصحابنا ومن ينتمي إلينا، نحو ابن بابويه، وابن شاذان، والكليني، والطوسي، وابن عقدة، والبرقي، وابن فياض، والعبدلي، والصفواني، والثقفى، بأسانيدهم عن ابن عباس، وأبي رافع، وهند بن أبي هالة، أنه قال رسول الله ﷺ: أوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل أني آخيت بينكما وجعلت عمر

أحدكما أطول من عمر صاحبه فأيكما يؤثر أخاه؟ فكلاهما كره الموت فأوحى الله إليهما: ألا كتتما مثل وليي علي بن أبي طالب، آخيت بينه وبين محمد نبيي، فأثرو بالحياة على نفسه، ثم ظل بائناً على فراشه يقيه بمهجته! إهبطا إلى الأرض جميعاً فحفظاه من عدوه. فهبط جبرئيل فجلس عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجعل جبرئيل يقول: يخ، يخ، من مثلك يا ابن أبي طالب والله يباهي بك الملائكة، فأنزل الله: وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ. وشواهد التنزيل: ١/١٢٣، الشعلي في تفسيره: ٢/١٢٥، المسترشد لابن جرير الطبري/ ٣٦٠ والصراط المستقيم: ١/١٧٣، أسد الغابة: ٤/٢٥، الفضائل لابن عقدة/ ١٧٩، كشف اليقين/ ٨٩، الصراط المستقيم: ١/١٧٣، الصحيح من السيرة: ٤/٣٢، أمالي الطوسي/ ٤٦٨، العمدة/ ٢٣٩، الطرائف/ ٣٧، سعد السعود/ ٢١٦، خصائص الوحي المبين/ ١٢٠، الجواهر السننية/ ٣٠٧ والمراجعات/ ٢١٦.

جـ. وذكر علي عليه السلام في مناسبات هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومبيته في فراشه يفديه بنفسه، وروى الصدوق في الخصال/ ٣٦٥، عن الإمام الصادق عليه السلام أن حاخام اليهود الأكبر أتى علياً عليه السلام فقال: «يا أمير المؤمنين إني أريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي أو وصي نبي! قال: سل عما بدا لك يا أخا اليهود؟ قال: إنا نجد في الكتاب أن الله عز وجل إذا بعث نبياً أوحى إليه أن يتخذ من أهل بيته من يقوم بأمر أمته من بعده، وأن يعهد إليهم فيه عهداً يحتذي عليه ويعمل به في أمته من بعده، وأن الله عز وجل يمتحن الأوصياء في حياة الأنبياء ويمتحنهم بعد وفاتهم. فأخبرني كـم يمتحن الله الأوصياء في حياة الأنبياء، وكـم يمتحنهم بعد وفاتهم من مرة؟.. فقال: يا أخا اليهود إن الله عز وجل امتحنني في حياة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في سبعة مواطن فوجدني فيهن من غير تزكية لِنفسي، بنعمة الله له مطيعاً. قال: فيمَ وفيما أمير المؤمنين؟ قال: أما أولاهن... وأما الثانية يا أخا اليهود، فإن قريشاً لم تزل تخيل الآراء وتعمل الحيل في قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى كان آخر ما اجتمعت في ذلك يوم الدار دار الندوة وإبليس الملعون حاضر في صورة أعور ثقيف، فلم تزل تضرب أمرها ظهراً لبطن حتى اجتمعت آراؤها

على أن يتدب من كل فخذ من قريش رجل، ثم يأخذ كل رجل منهم سيفه، ثم يأتي النبي ﷺ وهو نائم على فراشه فيضربونه جميعاً بأسيا فيهم ضربة رجل واحد فيقتلوه، وإذا قتلوه منعت قريش رجالها ولم تسلمها، فيمضي دمه هدرأً فهبط جبرئيل عليه السلام على النبي ﷺ فأنبأه بذلك، وأخبره بالليلة التي يجتمعون فيها والساعة التي يأتون فراشه فيها، وأمره بالخروج في الوقت الذي خرج فيه إلى الغار، فأخبرني رسول الله ﷺ بالخبر وأمرني أن أضطجع في مضجعه وأقيه بنفسي، فأسرعت إلى ذلك مطيعاً له مسروراً بأن أقتل دونه، فمضى ﷺ لوجهه واضطجعت في مضجعه، وأقبلت رجالات قريش موقنة في أنفسها أن تقتل النبي ﷺ، فلما استوى بي وبهم البيت الذي أنا فيه ناهضتهم بسيفي فدفعتهم عن نفسي بما قد علمه الله.

### آية مبيت علي عليه السلام على فراش النبي ﷺ

١- أنزل الله في علي عليه السلام: وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ. ففي تفسير العياشي: ١٠١/١ عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «فإنها أنزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام حين بذل نفسه لله ولرسوله ﷺ، ليلة اضطجع على فراش رسول الله ﷺ». وأما الطوسي/٤٤٦ و٤٦٩، عن علي بن الحسين عليه السلام، وشواهد التنزيل: ١٢٣/١، ١٢٩ و١٣، عن أبي سعيد الخدري. والإرشاد: ٥٣/١، والمسترشد/٣٦٠، الصراط المستقيم: ١٧٣/١، مناقب الخوارزمي/١٢٧، منهاج الكرامة/١٢٢، الخصال: ٣٦٤/٢، أمالي الطوسي/٤٤٦، التعجب للكراجكي/١٢٢ وشرح الأخبار: ٣٤٥/٢.

٢- ضاقت السلطنة ذرعاً بنزول الآية في علي عليه السلام، فقال رواها نزلت في صهيب الرومي، لأن المشركين قبضوا عليه ومنعوه من الهجرة، فبذل لهم ماله فنزلت فيه الآية! وتقدم أن صهيباً من قبيلة نمر بن قاسط، وعرف بالرومي لأن الروم أسروه وباعوه عبداً. وكان محباً لعمر. راجع: أسباب النزول للواحدي/٣٩ وجمع الزوائد/٣١٨/٦.

ثم قالوا إن الآية لا تخص علياً، بل نعم المهاجرين والأنصار! عبدالرزاق: ٨١/١.

ثم قالوا: اختلف أهل التأويل فيمن نزلت، فقال بعضهم في المهاجرين والأنصار، وقال بعضهم في من باع نفسه في الجهاد واستقتل، وقال بعضهم في رجال من المهاجرين بأعيانهم منهم علي، ثم رجح الطبري أنها نزلت فيمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، كما قال عمر. تفسير الطبري: ٤٣٧/٢.

وذكر الفخر الرازي: ٢٣٣/٥، في سبب نزولها أقوالاً، أحدها في صهيب، وعمار وبلال وغيرهم، والثاني: في من أمر بمعروف ونهى عن منكر. والثالث: «نزلت في علي بن أبي طالب بات على فراش رسول الله ليلة خروجه إلى الغار، ويروى أنه لما نام على فراشه قام جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجله، وجبريل ينادي: يخ يخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة. ونزلت الآية».

أما الحاكم: ٤/٣؛ فصحح مضمونها، ولم يذكر الآية! قال: «عن ابن عباس قال: شرى علي نفسه ولبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه وكان المشركون يرمون رسول الله ﷺ وقد كان رسول الله ﷺ ألبسه بردة، وكانت قريش تريد أن تقتل النبي ﷺ فجعلوا يرمون علياً ويرونه النبي ﷺ وقد لبس بردة، وجعل علي يتصور «يظهر الضجر من الحصى الذي يصيبه» فإذا هو علي، فقالوا إنك للثيم، إنك لتتصور وكان صاحبك لا يتصور ولقد استنكرناه منك..» ثم روى عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «إن أول من شرى نفسه ابتغاء رضوان الله علي بن أبي طالب وقال علي عند مبيته على فراش رسول الله ﷺ.. وذكر أبيات علي عليه السلام.. ونسج علي منوال الحاكم بعض علمائهم، كالصالح في سبل الهدى: ٢٣٣/٣.

وأ نصف بعضهم بالمقرزي، فقال في الإمتاع: ٥٧/٨: «فلما كان العتمة اجتمعوا على باب رسول الله ﷺ يرددونه حتى ينام فيثبون عليه. فلما راهم ﷺ أمر علياً بن أبي طالب رضي الله عنه أن ينام على فراشه ويتشع ببرد الحضرمي الأخضر، وأن يؤدي ما عنده من الودائع والأمانات ونحو ذلك. فقام علي مقامه وغطي ببرد أخضر، فكان أول من شرى نفسه وفيه نزلت: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْصَاتٍ لِّلَّهِ. وخرج عليه السلام وأخذ حفنة من تراب وجعله على رؤوسهم وهو يتلو



الآيات من: يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ.. إلى قوله: فهم لا يبصرون، فطمس الله تعالى أبصارهم فلم يروه وانصرف. وهم ينظرون علياً فيقولون إن محمداً لناثم.

وبهذا ترى عمل السلطة لإبعاد الآية عن علي عليه السلام، بل روي أن معاوية بذل مالا لصحابي ليجعل الآية في ابن ملجم ويجعل آية أخرى في علي عليه السلام!

«قال أبو جعفر الإسكافي: وروي أن معاوية بذل لسمره بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي: وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ. وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِقَ.» البقرة/ ٢٠٤-٢٠٥» وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم وهي: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ. فلم يقبل، فبذل له مأتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل، فبذل أربعمائة فقبل! وقال: إن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي فاختلفوا ما أراضاه! منهم أبو هريرة، وعمر بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير». شرح النهج: ٧٣/٤ والغارات: ٨٤٠/٢.

٣- وأنكر بعض النواصب نزول الآية في علي عليه السلام، وحديث أن الله باهى به الملائكة ولو استطاع أن ينكر مبيته في فراش النبي ﷺ لفعله! لكنه قال إنه لافضيلة لعلي فيه لأن النبي ﷺ أخبره بأنه لا يصيبهم منهم مكروه! مع أن ذلك كان في رسالة النبي ﷺ له من المدينة بعد مبيته على فراشه!

فعندما ساق أبو واقد يسوق بعائلة النبي ﷺ سوقاً عنيفاً في الهجرة، قال له علي عليه السلام: «إرفق بالنسوة يا أبا واقد، إنهن من الضعائف. قال: إني أخاف أن يدركننا الطلب! فقال علي عليه السلام: إربع عليك فإن رسول الله ﷺ قال لي: يا علي، إنهم لن يصلوا من الآن إليك بها تكرهه، ثم جعل يسوق بهن سوقاً رقيقاً». أمالي الطوسي/ ٤٦٩ وراجع: نفحات الأزهار: ٢١١/١٧ والغدير: ٤٧/٢.

وقال في الصحيح من السيرة: ٣٢، ١٧/٤: «أنكر ابن تيمية على عادته في إنكار فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام وقال: كذب باتفاق أهل العلم بالحديث والسير. وأيضاً

قد حصلت له الطمأنينة بقول الصادق له: لن يخلص إليك شئ تكرهه منهم، فلم يكن فيه فداء بالنفس ولا إيثار بالحياة، والآية المذكورة في سورة البقرة، وهي مدنية باتفاق، وقد قيل إنها نزلت في صهيب لما هاجر». ثم رد صاحب الصحيح مكذوبات ابن تيمية وغيره من النواصب.



## الفصل السابع والعشرون

### هجرة النبي ﷺ إلى المدينة

#### ١- أحكمت قريش خطتها لقتله فنصره الله

أ- اتفقت المصادر على أن آية الهجرة: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْنِيَنَّكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ.. ففي تفسير القمي: ٢٧٥/١: «ونزل جبرئيل على رسول الله ﷺ وأخبره أن قريشاً قد اجتمعت في دار الندوة يدبرون عليك، وأنزل عليه في ذلك: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْنِيَنَّكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرَ الْمَاكِرِينَ.»

وفي تفسير العياشي: ٥٣/٢، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «ثم تشاوروا فأجمعوا أمرهم على أن يقتلوه، ويُخرجوا من كل بطن منهم بشاهر فيضربونه بأسيا ففهم جميعاً عند الكعبة. ثم قرأ: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ.. الآية».

وفي أمالي الطوسي/٤٤٥، عن ابن عباس قال: «فخرج رسول الله ﷺ وهم جلوس على الباب عددهم خمسة وعشرون رجلاً، فأخذ حفنة من البطحاء ثم جعل يذرها على رؤوسهم وهو يقرأ: يس والقرآن الحكيم، حتى بلغ: فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ.. فقال لهم قائل: ما تنظرون قد والله خبتهم وخسرتم، والله لقد مر بكم وما منكم من رجل إلا وقد جعل على رأسه تراباً! فقالوا: والله ما أبصرناه!»

وفي الدر المنثور: ١٧٩/٣: «فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك، فبات على ﷺ على فراش النبي».

وسيرة ابن هشام: ٣٣٤/٢ وعامة المصادر.

قال المفيد في مسارّ الشيعة/٤٨: «شهر ربيع الأول: أول ليلة منه هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة سنة ثلاث عشرة من مبعثه، وكانت ليلة الخميس. وهي ليلة فيها عظيم الفخر لمولى المؤمنين بما يوجب مسرة أوليائه المخلصين.

وفي صبيحة هذه الليلة صار المشركون إلى باب الغار عند ارتفاع النهار لطلب النبي ﷺ فستره الله تعالى عنهم، وقلق أبو بكر بن أبي قحافة وكان معه في الغار بمصيرهم إلى بابه، وظن أنهم سيدركونه فحزن لذلك وجزع، فسكّنه النبي ﷺ ورفق به وقوّى نفسه بما وعده من النجاة منهم، وتمام الهجرة له.

وهذا اليوم يتجدد فيه سرور الشيعة بنجاة رسول الله ﷺ من أعدائه، وما أظهره الله تعالى من آياته، وما أيده به من نصره. وفي الليلة الرابعة منه كان خروج النبي ﷺ من الغار متوجهاً إلى المدينة، فأقام بالغار وهو في جبل عظيم خارج مكة غير بعيد منها، إسمه نُور، ثلاثة أيام وثلاث ليال، وسار منه فوصل المدينة يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول، عند زوال الشمس».

أقول: وقعت الهجرة في أول السنة الرابعة عشرة من مبعثه ﷺ، لأن بيعة العقبة كانت في موسم الثالثة عشرة، وهجرته ﷺ بعد انتهاء الموسم ودخول الرابعة عشرة. وقد تسامحوا في ذلك، كما تسامحوا في عد السنة الأولى من مبعثه ﷺ كاملة، وقد بعث في وسطها في شهر رجب.

## ٢- استنفرت قريش في طلب النبي ﷺ

أ. قال اليعقوبي: ٣٩/٢: «فطلبوا الأثر فلم يقعوا عليه، وأعمى الله عليهم المواضع، فوقفوا على باب الغار وقد عشتت عليه حمامة، فقالوا: ما في هذا الغار أحد وانصرفوا. وخرج رسول الله ﷺ متوجهاً إلى المدينة، ومرباً بمعبدا الخزاعية فنزل عندها، ثم نفذ لوجهه حتى قدم المدينة. وكان جميع مقامه بمكة حتى خرج منها إلى المدينة ثلاث عشرة سنة من مبعثه».

وفي إعلام السورى: ١٤٨/١: «وأقبل راع لبعض قريش يقال له: ابن أريقط فدعاه رسول الله ﷺ وقال له: يا ابن أريقط أأتمنك على دمي؟ قال: إذن والله أحرصك وأحفظك ولا أدل عليك، فأين تريد يا محمد؟ قال: يثرب. قال: والله لأسلكن بك مسلماً لا يهتدي فيه أحد! قال له رسول الله ﷺ: إئت علياً وبشره بأن الله قد أذن لي في الهجرة فيهيئ لي زاداً وراحلة.. وأخذ به ابن أريقط على طريق نخلة بين الجبال، فلم يرجعوا إلى الطريق إلا بقديد، فنزلوا على أم معبد هناك». وسيأتي أن النبي ﷺ هو الذي أحضر ابن أريقط.

ب. يسأل البعض: مادام الله تعالى أظهر معجزة تعشيش الحمامة ونسج العنكبوت فلماذا لم ينقل نبيه إلى المدينة بمعجزة كما أسرى به إلى القدس في دقائق، وعرج به إلى السموات في دقائق أو بلمح البصر؟!

والجواب: أنه تعالى على كل شئ قدير، والنبي ﷺ عنده الإسم الأعظم، لكنه يعمل بالأسباب الطبيعية ولا يطلب من ربه المعجزة إلا أن يأمره.

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «هكذا قالت قريش للنبي ﷺ: كيف يمضي إلى بيت المقدس ويشاهد ما فيه من آثار الأنبياء عليهم السلام من مكة ويرجع إليها في ليلة واحدة، من لا يقدر أن يبلغ من مكة إلى المدينة إلا في اثني عشر يوماً؟! وذلك حين هاجر منها. ثم قال عليه السلام: جهلوا والله أمر الله وأمر أوليائه معه! إن المراتب الرفيعة لاتنال إلا بالتسليم لله جل ثناؤه، وترك الإقتراح عليه والرضا بما يدبرهم به. إن أولياء الله صبروا على المحن والمكاره صبراً لما يساوهم فيه غيرهم، فجازاهم الله عز وجل عن ذلك بأن أوجب لهم نجح جميع طلباتهم، لكنهم مع ذلك لا يريدون منه إلا ما يريد به لهم! أمالي الصدوق/٥٣٩.

### ٣- رفقاء النبي ﷺ في الهجرة

أ. المشهور أن رفقاء رسول الله ﷺ في هجرته: أبو بكر، وعبدالله بن أريقط، وعامر بن فهيرة، وهناك رأي بأن أبا بكر لم يكن مع النبي ﷺ في الغار، وقد حاول الباحث الشيخ نجاح الطائي أن يثبت ذلك، فتحامل عليه أتباع أبي بكر، وأثاروا ضده ضجة لأنه خالف المتفق

عليه عند المذاهب السنية، والمسكوت عنه في مذهبنا، ولا يتسع المجال لهذا البحث. وفي شرح الأخبار: ٢٥٩/١: «مضى نحو الغار وقد واعد أبابكر وعامر بن فهيرة وعبدالله بن أريقط، ليمضوا معه إلى المدينة وما يحتاج إليه ويدلوه على الطريق». وفي المناقب: ١٤٢/١: «أبوبكر وعامر بن فهيرة ودليلهم عبدالله بن أريقط الليثي». ب. قالوا إن عبدالله بن أريقط استأجره أبوبكر دليلاً وإنه لم يكن مسلماً، والصحيح أن النبي ﷺ استأجره وكان يعرفه ويثق به قبل الهجرة، فقد أرسله عندما رجع من الطائف إلى زعماء قريش. النهاية: ١٦٨/٣ وسبل السلام: ٤٤٠/٢.

وفي الخرائج: ١٤٥/١، في حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام أن ابن الأريقط أسلم يومها أو ازداد إيماناً، قال: «وإني ابن الأريقط بأغنام يرعاها إلى باب الغار وقت الليل يريد مكة بالغنم، فدعاه رسول الله ﷺ وقال: أفيك مساعدة لنا؟ قال: إي والله، فوالله ما جعل الله هذه القبجة على باب الغار حاضنة لبيضها، ولا نسج العنكبوت عليه إلا وأنت صادق، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. فقال عليه السلام: الحمد لله على هدايتك، فصر الآن إلى علي فعرفه موضعنا، ومُرَّ بالغنم إلى أهلها إذا نام الناس، ومُرَّ إلى عبد أبي بكر. فصار ابن الأريقط إلى مكة وفعل ما أمر رسول الله ﷺ فأتى علياً وعبد أبي بكر فقال رسول الله ﷺ: أعد لنا يا أبا الحسن راحلة وزاداً وبعثها إلينا، وأصلح ما تحتاج إليه لحمل والدتك وفاطمة والحقنا بهما إلى يثرب. وقال أبوبكر لعبدته مثله، ففعلاً ذلك، فأردف رسول الله ﷺ ابن الأريقط، وأبوبكر عبده».

وذكر بعضهم أن ابن أريقط عدوي حليف العاص بن وائل السهمي «المحبر/١٩٠» والصحيح أنه من جبهة محل ثقة النبي ﷺ، وكان عيناً له على المشركين في بدر، قال الثعلبي في «تفسيره: ٣٣٠/٤»، في خبر بدر: «وبعث رسول الله أيضاً عيناً له من جبهة حليفاً للأنصار يدعى ابن الأريقط، فأثاه بخبر القوم». والطبري: ٢٤٧/٩. البغوي: ٢٣٢/٢. وسماء في الدرر: ٨٠/١. ابن أرقط في أحكام القرآن: ٥١٢/٢.

ج. وأما عامر بن فهيرة فقالوا إنه غلام أسود سبق إلى الإسلام، فاشتراه أبو بكر وأعتقه إشفافاً عليه من التعذيب. والصحيح أن الحارث بن سخبرة الأزدي قدم مكة وزوجته أم رومان الكنانية، وتحالف مع أبي بكر، وزوج عبده فهيرة من سوداء، فولدت عامر بن فهيرة. وأسلم عامر ومولاه الحارث قبل أبي بكر، ثم مات الحارث فورثه ابنه الطفيل وهو صغير، وتزوج أبو بكر أمه أم رومان، فولدت له عبدالرحمن وعائشة، فهما أخوا الطفيل من أمه. بخاري: ٤٣/٥، الطبقات: ٢٧٨/٨ وطبقات خليفة ٤٨/٤. وقالوا كان عامر بن فهيرة يُعذَّب، ولم يذكره من عذبه، فمولاه الحارث مسلم وقد مات، وابنه الطفيل صغير! تهذيب التهذيب: ٦٩/٥.

وقال في الصحيح من السيرة: ٩٠/٣ إن ابن إسحاق والواقدي قالوا إن النبي ﷺ اشتراه مع بلال وأعتقهما وليس أبابكر. ومعناه أن علاقته بالنبي ﷺ كانت قوية. وقد استشهد ابن فهيرة في بئر معونة في السنة الرابعة «الإستيغاب» ٧٩٧/٢ «فروى رواية السلطة حوله أساطير لتعظيم أبي بكر وقالوا إنهم رأوه رفع إلى السماء!» راجع: صحيح بخاري: ٤٤/٥. أما بلال وهو أفضل منه فلا يمدحونه لأنه كتب مع عدد من الصحابة من الشام إلى عمر معترضين على معاوية، فأتوا!

«دعا عليهم «عمر» على المنبر فقال: اللهم اكفني بلالاً وأصحابه! فما حال الحول وفيهم عين تطرف أي ماتوا جميعاً!» «مبسوط السرخسي: ١٦/١٠ والبيهقي: ١٣٨/٩». وأشاعوا أنهم ماتوا بالطاعون، لكن يظهر أنهم ماتوا بسم معاوية!

د- روي أن النبي ﷺ ومن معه كانوا أربعة أشخاص، على بعيرين، وأنهم تراءفوا أو تعاقبوا. والتعاقب أن يركب الشخص مرحلة ثم ينزل فيركب صاحبه، والتراءف أن يركباً معاً. ففي الدرر: ٨٠/١: «فركبا الراحلتين، وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة». «ونحوه الحاكم ٨/٣». وهو يشير إلى أن ابن أريقط كان يتعاقب مع النبي ﷺ ولا يركب خلفه احتراماً له. وفي الخرائج: ١٤٥/١: «فأردف رسول الله ابن الأريقط». ولعله تعبير عن تعاقبه.

لكن الصحيح أن النبي ﷺ هاجر على ناقته القصواء، واشترى بعيراً من أبي بكر

لدليله ابن أريقط، فمات البعير فاستأجر له بعيراً آخر. وهاجر أبو بكر على بعيره، وكان يتعاقب عليه مع ابن فهيرة. فتكون الرواحل ثلاثاً.

ففي الكافي: ٣٣٩/٨، عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما قدم عليه علي عليه السلام تحول من قبا إلى بني سالم بن عوف وعلي عليه السلام معه، يوم الجمعة مع طلوع الشمس فخط لهم مسجداً، ونصب قبلته فصلى بهم فيه الجمعة ركعتين وخطب خطبتين، ثم راح يومه إلى المدينة على ناقته التي كان قدم عليها».

قال ابن هشام: ٣٣٦/٢: «فلما قرَّب أبو بكر الراحلتين إلى رسول الله قدم له أفضلهما ثم قال: إركب فداك أبي وأمي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني لا أركب بعيراً ليس لي، قال: فهي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي. قال: لا، ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به؟ قال: كذا وكذا، قال: قد أخذتها به. قال: هي لك يا رسول الله، فركبا وانطلقا وأردف أبو بكر الصديق عامر بن فهيرة مولاه خلفه ليخدمهما في الطريق». وفي صحيح بخاري: ٣٩/٧: «فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحتيَّ هاتين. قال: النبي: بالثمن». وفي مقدمة فتح الباري: ٣٠٠: «وفي سيرة عبد الغني وغيره أن الثمن كان أربع مائة درهم، وعند الواقدي أنه ثمان مائة».

ونلاحظ أن النبي صلى الله عليه وآله أمر علياً عليه السلام أن يفديه بنفسه، ثم لم يقبل من أبي بكر بعيراً إلا بثمنه، فكيف يزعمون أنه كان ينفق عليه! وفي فتح الباري: ١٨٣/٧: «سئل عن امتناعه من أخذ الراحلة مع أن أبا بكر أنفق عليه ماله؟ فقال: أحب أن لا تكون هجرته إلا من مال نفسه!»

لكن البعير الذي اشتراه النبي صلى الله عليه وآله من أبي بكر مات في الطريق: «وقف عليهم بعض ظهرهم، وفي بعضها: أعياء». جوامع السير: ٩٣ وأسد الغابة: ١٤٧/١ و١٠/٣.

قال ابن هشام: ٣٤٠/٢: «فحمل رسول الله صلى الله عليه وآله رجل من أسلم يقال له أوس بن حجر على جمل له إلى المدينة وبعث معه غلاماً له يقال له مسعود بن هنيذة «اليرد الجمل كما صرح في الدرر» ثم خرج بهما دليلهما من العرج، فسلك بهما نية الغائر عن يمين ركوبة. حتى هبط بهما بطن رثم ثم قدم بهما قباء على بني



عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الإثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل». الصحيح: ٢١٦/٤، مناقب ابن سليمان: ٣٦٤/١ والدرر: ٣٧.

#### ٤- سراقه بن جعشم يحاول قتل النبي ﷺ أو أسرته

قال الإمام الصادق عليه السلام «الكافي ٢٦٣/٨»: «إن رسول الله ﷺ لما خرج من الغار متوجهاً إلى المدينة وقد كانت قريش جعلت لمن أخذه مائة من الإبل، فخرج سراقه بن مالك بن جعشم فيمن يطلب، فلحق برسول الله ﷺ فقال: رسول الله ﷺ: اللهم اكفني شر سراقه بها شئت، فساخت قوائم فرسه! فثنى رجله ثم اشتدّ «جاء ماشياً راکضاً» فقال: يا محمد إني علمت أن الذي أصاب قوائم فرسي إنما هو من قبلك، فادع الله أن يطلق لي فرسي، فلعمري إن لم يصبكم مني خير لم يصبكم مني شر، فدعا رسول الله ﷺ فأطلق الله عز وجل فرسه، فعاد في طلب رسول الله ﷺ حتى فعل ذلك ثلاث مرات! كل ذلك يدعو رسول الله ﷺ فتأخذ الأرض قوائم فرسه! فلما أطلقه في الثالثة قال: يا محمد هذه إيلي بين يديك فيها غلامي، فإن احتجت إلى ظهر أو لبن فخذ منه، وهذا سهم من كنانتي علامة، وأنا أرجع فأرد عنك الطلب! فقال ﷺ: لا حاجة لنا فيما عندك». ونحوه الثاقب/١٤٥، عن ابن عباس، وفيه: «كان سراقه بن جعشم المدلجي قريباً من قريش في ناحية مكة فأتاه رجل فقال: يا سراقه لقد رأيت ركباً ثلاثاً قد مروا فقال سراقه: ينبغي أن يكون هذا محمد، لأتخذن عند قريش يداً! فركب فرسه وأخذ رحه، وكانت قريش قد بعثت الرجال في كل طريق». والمناقب: ٦٤/١، عن ابن إسحاق، وفيه: «وأتبعه دخان حتى استغائه، فانطلق الفرس».

فعدله أبو جهل «أي لم يصدقه» وقال سراقه:

أبا حكم واللات لو كنت شاهداً      لأمر جوادى إذ تسيخ قوائمه  
عجبت ولم تشكك بأن محمداً      نبي وبرهان فن ذا يكاتمه  
عليك فكف الناس عنه فإنني      أرى أمره يوماً سيبدو معالمة

وروى اليعقوبي: ٤٠/٢، البيهقي الأولين منها. وابن هشام: ٣٣٨/٢، برواية مطولة والدرر لابن

عبدالبر/٨١ وروى في قرب الإسناد/٣٧٩، بسند صحيح أن قريشاً أرسلت سراقة في طلب النبي ﷺ.

وفي الخرائج/١٤٥/١، والثاقب في المناقب/١٠٩ وغيرهما: «فلما قرب قال ﷺ: اللهم خذه، فارتطم فرسه في الأرض فصاح: يا محمد خلص فرسي، لا سعيت لك في مكروه بعدها، وعلم أن ذلك بدعاء محمد ﷺ! فقال: اللهم إن كان صادقاً فخلصه فوثب الفرس. فقال: يا أبا القاسم ستمر برعاتي وعبيدي فخذ سوطي، فكل من تمرَّ به خذ ما شئت فقد حكمتك في مالي. فقال ﷺ: لا حاجة لي في مالك. قال: فسلني حاجة. قال ﷺ: رد عنا من يطلبنا من قريش. فانصرف سراقة فاستقبله جماعة من قريش في الطلب فقال لهم: إنصرفوا عن هذا الطريق فلم يمر فيه أحد، وأنا أكفيكم هذا الطريق، فعليكم بطريق اليمن والطائف». وكان سراقة من زعماء بني مدلج من كنانة. الطبري: ١٣٨/٢.

وبنو مدلج مزارعون في بطن ينع. المناقب: ١٦١/١ والمحبر/١١٠. وكان سراقة كبقية زعماء كنانة حليفاً لقريش، وقد تصور الشيطان بصورته في بدر! المناقب: ١٦٣/١ ومغازي الواقدي/٣٨.

ولم يُسلم سراقة مع أنه رأى هذه المعجزة، ونجّاه الله بدعاء رسوله ﷺ من الخسف! وزعم أنه أسلم بعد ثمان سنين، وأن النبي ﷺ كان كتب له كتاباً! قال: «حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله ﷺ وفرغ من حنين والطائف، خرجت ومعني الكتاب لألقاه فلقيته بالجرعانة، قال: فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار. قال: فجعلاوا يقرعوني بالرماح ويقولون: إليك إليك ما تريد؟ قال: فدنوت من رسول الله ﷺ وهو على ناقته والله لكأني أنظر إلى ساقه في غرزه كأنها حمارة «لب النخل من جملها» قال: فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت: يا رسول الله هذا كتابك لي أنا سراقة بن جعشم. قال: فقال رسول الله: يوم وفاء وبر، أدنه، قال: فدنوت منه فأسلمت». سيرة ابن هشام: ٣٣٨/٢.

وكان عمر يحب سراقة، وأعطاه من غنائم فارس سوارين من كنز كسرى

وبرروا فعل عمر بأن النبي ﷺ نظر إلى ذراعي سراقه وقال: «كأنى بك وقد لبست سوارى كسرى!» «أم الشافعي: ١٦٥/٤». وكل هذا لأن سراقه حليف للطلاق!

### ٥- لماذا أخذ النبي ﷺ أبابكر معه

١. قال في الصحيح من السيرة: ٢١٢/٤: «لعل الصحيح هو الرواية التي تقول: إن النبي ﷺ قد لقي أبابكر في الطريق، وكان أبوبكر قد خرج ليتنسم الأخبار، وربما يكون استصحبه معه لكيلا يسأله سائل إن كان قد رأى رسول الله ﷺ فيقر لهم بأنه رأى ثم يدهم على الطريق التي سلكها، خوفاً من أن يتعرض لأذاهم».

وفي شواهد التنزيل: ١٢٧/١، عن ابن عباس: «أنام رسول الله علياً على فراشه ليلة انطلق إلى الغار، فجاء أبوبكر يطلب رسول الله فأخبره علي أنه قد انطلق فاتبعه».

وفي الخرائج: ١٤٤/١: «قال علي عليه السلام: فدعاني رسول الله ﷺ فقال: إن قريشاً دبرت كيت وكيت في قتلي، فسم على فراشي حتى أخرج أنا من مكة فقد أمرني الله تعالى بذلك. فقلت له: السمع والطاعة، فمتم على فراشه وفتح رسول الله ﷺ الباب وخرج عليهم وهم جميعاً جلوس ينتظرون الفجر وهو يقول: وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمَنْ خَلْفَهُمْ سَدًّا فَأَعْسَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ. «يس ٩». ومضى وهم لا يرونه، فرأى أبابكر قد خرج في الليل يتجسس عن خبره، وقد كان وقف على تدبير قريش من جهتهم، فأخرجه معه إلى الغار».

### بكى أبوبكر لما جاء سراقه!

في صحيح بخاري: ١٩٠/٤ ومسنند أحمد: ٣/١، من حديث عن أبي بكر قال: «فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدر كنا أحد منهم إلا سراقه بن مالك بن جعشم، على فرس له، فقلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا، فقال: لا تحزن إن الله معنا حتى إذا دنا منا، فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين أو ثلاثة قال قلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا وبكيت! قال: لم تبكي؟ قال: قلت أما والله ما على نفسي أبكي ولكن أبكي عليك! قال: فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال: اللهم اكفناه بما شئت، فساخت قوائم

فرسه إلى بطنها في أرض صلد! ووثب عنها وقال: يا محمد قد علمت أن هذا عملك، فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب». والطبقات: ٣٦٦/٤، أبو يعلى: ١٠٧/١، ابن شيبه: ٤٥٧/٨ وعامة مصادرهم.

وقال السيد الأمين في أعيان الشيعة ٣٣٨/١: «فلما لحقهم سراقه بن مالك وهو رجل واحد بكى صاحب خوفاً! أترى لو كان معهم علي عليه السلام هل كان يبكي ويهتّم لرجل واحد ليس معه أحد، وهو لم يهتّم لثمانية فوارس!»

### ٦. ليس في آية الغار مدحٌ لأبي بكر

قال تعالى في سورة التوبة التي نزلت في السنة التاسعة، بعد غزوة تبوك: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ اتَّبِعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْنَا إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيكُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ. إِلَّا تَتَفَرَّوْا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. إِلَّا تَتَضَرَّوْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِنَّهُنَّ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَمْحَرَنَّ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَانزِلْ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ». ومعنى الآية: أن الله تكفل بنصر نبيه صلى الله عليه وسلم وإن لم تنصروه، وقد نصره عندما كان وحيداً فاراً من قومه ليس معه إلا شخص واحد غير مقاتل، فأنزل عليه السكينة والطمأنينة وجنوداً من ملائكته لم يرها رفاقه. فليس في الآية إلا إشارة إلى شخص كان معه، بقطع النظر عن نوع ذلك الشخص، ومن هو. فالآية متركرة على الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وغير ناظرة إلى غيره.

بل يشير أفراد الضمائر فيها إلى أن أبا بكر لا يشترك معه إلا في مجرد التواجد، فهو لا يشترك معه في الإجماع على الهجرة لأنه قال: إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا، ولم يقل إِذْ أَخْرَجَهَا. ولا في تأييد النبي صلى الله عليه وسلم بالسكينة فقد قال: فَانزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا، ولم يقل عليهما، مع أنه قال في الحديدية وفي حنين: فَانزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ انزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ. فدل بإفراد الضمير هنا على

أن صاحبه لم يكن أهلاً لنزول السكينة عليه.

وفي شرح الأخبار: ٢/٢٤٦: «الصحبة قد تكون للبر والفاجر وقد وصف الله تعالى في كتابه صحبة مؤمن لكافر فقال: قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ».

لكن مع ذلك، اعتبروا الآية فضيلة لأبي بكر يستحق بها الخلافة!

قال ابن حجر في فتح الباري: ١٣/١٨٠: «قال ابن التين: ما انفرد به أبو بكر وهو كونه ثاني اثنين، وهي أعظم فضائله التي استحق بها أن يكون الخليفة من بعد النبي، لذلك قال «عمر»: وإنه أولى الناس بأمركم.. فقوموا فبايعوه».

وقال في الإصابة: ٤/١٤٨: «من أعظم مناقبه قول الله تعالى: ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ. فإن المراد بصاحبه أبو بكر بلا نزاع. وثبت في الصحيحين من حديث أنس أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وهما في الغار: ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

وفي تحفة الأحوذى: ١٠٦/٨٠: «وقد قالوا من أنكر صحبة أبي بكر كَفَرَ، لأنه أنكر النص الجلي! بخلاف صحبة غيره». وهكذا رفعوا آية الغار سيفاً في وجه أهل البيت ﷺ وشيعتهم فردوها عليهم، ففي الإحتجاج: ٢/١٤٣ عن الأعمش ﷺ قال: «اجتمعت الشيعة والمحكمة «الخوارج» عند أبي نعيم النخعي بالكوفة، وأبو جعفر محمد بن النعمان مؤمن الطاق حاضر، فقال ابن أبي حذرة: أنا أقرر معكم أيتها الشيعة أن أبابكر أفضل من علي ومن جميع أصحاب النبي بأربع خصال، لا يقدر على دفعها أحد من الناس، هو ثان مع رسول الله ﷺ في بيته مدفون، وهو ثاني اثنين معه في الغار، وهو ثاني اثنين صلى بالناس آخر صلاة قبض بعدها رسول الله ﷺ، وهو ثاني اثنين الصديق من هذه الأمة. فقال أبو جعفر مؤمن الطاق ﷺ: يا بن أبي حذرة وأنا أقرر معك أن علياً أفضل من أبي بكر وجميع أصحاب النبي ﷺ بهذه الخصال التي وصفتها وأنها مثلبة لصاحبك! وألزمت طاعة علي من ثلاث جهات: من القرآن ووصفاً، ومن خير الرسول ﷺ نصاً، ومن حجة العقل اعتباراً».

ووقع الإتفاق على إبراهيم النخعي، وعلى أبي إسحاق السبيعي، وعلى سليمان بن مهران الأعمش، فقال: أبو جعفر مؤمن الطاق: أخبرني يا ابن أبي حذرة عن

الكتاب  
التاريخ  
المعتمد

النبي ﷺ كيف ترك بيوته التي أضافها الله إليه، ونهى الناس عن دخولها إلا بإذنه ميراثاً لأهله وولده؟ أو تركها صدقة على جميع المسلمين؟ قل ما شئت. فانقطع ابن أبي حذرة، لما أورد عليه ذلك وعرف خطأ ما هو فيه!

فقال أبو جعفر مؤمن الطاق: إن تركها ميراثاً لولده وأزواجه، فإنه قبض عن تسع نسوة، وإنما لعائشة بنت أبي بكر تسع ثمن هذا البيت الذي دفن فيه صاحبك، ولا يصيبها من البيت ذراع في ذراع! وإن كان صدقة فالبلية أطم وأعظم، فإنه لم يصب من البيت إلا ما لأدنى رجل من المسلمين، فدخل بيت النبي ﷺ بغير إذنه في حياته وبعد وفاته، معصية! إلا لعلي بن أبي طالب ﷺ وولده، فإن الله أحل لهم ما أحل للنبي ﷺ!

ثم قال لهم: إنكم تعلمون أن النبي أمر بسد أبواب جميع الناس التي كانت مشرعة إلى المسجد ما خلا باب علي ﷺ فسأله أبو بكر أن يترك له كوة لينظر منها إلى رسول الله فأبى عليه، وغضب عمه العباس من ذلك فخطب النبي ﷺ خطبة وقال: إن الله تبارك وتعالى أمر لموسى وهارون: أَنْ تَبَوَّأَ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَأَمْرُهُمَا أَنْ لَا يَبِيَّتَ فِي مَسْجِدِهِمَا جَنْبٌ وَلَا يَقْرَبَ فِيهِ النِّسَاءُ إِلَّا مُوسَى وَهَارُونَ وَذُرِّيَّتُهُمَا، وَأَنْ عَلِيًّا هُوَ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى وَذُرِّيَّتِهِ كَذُرِّيَّةِ هَارُونَ، وَلَا يَجِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَقْرَبَ النِّسَاءَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَبِيَّتَ فِيهِ جَنْبًا إِلَّا عَلِيٌّ وَذُرِّيَّتُهُ. فقالوا بأجمعهم: كذلك كان. قال أبو جعفر: ذهب ربع دينك يا

ابن أبي حذرة، وهذه منقبة لصاحبي ليس لأحد مثلها، ومثلة لصاحبك! وأما قولك: تَائِي اثْنَيْنِ إِذْهُمَا فِي الْغَارِ، أخبرني هل أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين في غير الغار؟ قال ابن أبي حذرة: نعم. قال أبو جعفر: فقد أخرج صاحبك في الغار من السكينة وخصه بالحزن! وكان علي ﷺ في هذه الليلة على فراش النبي ﷺ وبذل مهجته دونه، وهو أفضل من مكان صاحبك في الغار. فقال الناس: صدقت. فقال أبو جعفر: يا ابن أبي حذرة، ذهب نصف دينك! وأما قولك ثاني اثنين: الصديق من الأمة، فقد أوجب الله على صاحبك

الإستغفار لعلي بن أبي طالب في قوله عز وجل: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ. إلى آخر الآية. والذي ادعيت إنما هو شئ سباه الناس، ومن سباه القرآن وشهد له بالصدق والتصديق أولى به من سباه الناس، وقد قال علي عليه السلام على منبر البصرة: أنا الصديق الأكبر، آمنت قبل أن آمن أبو بكر وصدقت قبله. قال الناس: صدقت.

قال أبو جعفر مؤمن الطاق: يا بن أبي حذرة، ذهب ثلاثة أرباع دينك! وأما قولك في الصلاة بالناس، كنت ادعيت لصاحبك فضيلة لم تتم له، وأنها إلى التهمة أقرب منها إلى الفضيلة، فلو كان ذلك بأمر رسول الله ﷺ لما عزله عن تلك الصلاة بعينها، أما علمت أنه لما تقدم أبو بكر ليصلي بالناس خرج رسول الله ﷺ فتقدم وصلى بالناس وعزله عنها، ولا تخلو هذه الصلاة من أحد وجهين: إما أن تكون حيلة وقعت منه فلما أحس النبي ﷺ بذلك خرج مبادراً مع علمته فتحاه عنها لكيلا يحدث بها بعده على أمته، فيكونوا في ذلك معذورين!

وإما أن تكون هو الذي أمره بذلك وكان ذلك مفوضاً إليه كما في قصة تبليغ براءة، فنزل جبرئيل وقال: لا يؤديها إلا أنت أو رجل منك، فبعث علياً في طلبه وأخذها منه وعزله عنها وعن تبليغها! فكذلك كانت قصة الصلاة! وفي الحالتين هو مذموم، لأنه كشف عنه ما كان مستوراً عليه، وفي ذلك دليل واضح أنه لا يصلح للإستخلاف بعده، ولا هو مأمون على شئ من أمر الدين.

فقال الناس: صدقت. قال أبو جعفر مؤمن الطاق: يا بن أبي حذرة ذهب دينك كله، وفضحت حيث مدحت!

فقال الناس لأبي جعفر: هات حجتك فيما ادعيت من طاعة علي عليه السلام. فقال أبو جعفر مؤمن الطاق: أما من القرآن ووصفاً فقوله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ. فوجدنا علياً عليه السلام بهذه الصفة في القرآن في قوله عز وجل: وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ - يعني في الحرب والشعب - أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ. فوقع الإجماع من الأمة بأن علياً أولى بهذا

الأمر من غيره، لأنه لم يفر من زحف قط كما فر غيره في غير موضع! فقال الناس: صدقت. قال: وأما الخبر عن رسول الله ﷺ نصاً، فقال: إني تارك فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. وقوله ﷺ: إنا مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، ومن تقدمها مرق ومن لزمها لحق. فالتمسك بأهل بيت رسول الله ﷺ هاد مهتد بشهادة من الرسول، والتمسك بغيرها ضال مضل. قال الناس: صدقت يا أبا جعفر. قال: وأما من حجة العقل فإن الناس كلهم يستعبدون بطاعة العالم، ووجدنا الإجماع قد وقع على علي بن أبي طالب بأنه كان أعلم أصحاب رسول الله ﷺ وكان الناس يسألونه ويحتاجون إليه، وكان علي مستغنياً عنهم، هذا من الشاهد والدليل عليه من القرآن قوله عز وجل: أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ. فما اتفق يوم أحسن منه ودخل في هذا الأمر عالم كثير». راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٠١/١، مناقشة المأمون لفقهاء عصره في آية الغار، كتاب سليم/٣٤٨، الإقصاص للمفيد/١٨٥، الصوارم المهركة/٣٠٧، الغدير/١٠٧/٤ والصحيح من السيرة: ٢٢٣/٤.

## ٧. كذبة ذات النطاقين

قالوا إن أسماء كانت تحمل لهم الطعام إلى الغار، وأنها شقت حزامها قطعتين لتربط الزاد فساها النبي ﷺ ذات النطاقين، مع أنها كانت هاجرت قبلهم إلى المدينة مع زوجها الزبير وكانت حاملاً في شهرها بعبدالله بن الزبير، وقد نص المؤرخ خليفة بن خياط/٢٠٧، وغيره، على أنها وضعت عبدالله بن الزبير هناك، وهذا ينفي زعم من زعم أنها وضعت في قباء أيام وصول النبي ﷺ. وكذلك جعلت عائشة لنفسها مناقب في الهجرة!



## ٨. النبي ﷺ في ضيافة أم معبد

«خرج رسول الله ﷺ من الغار وأخذ به ابن أريقط على طريق نخلة بين الجبال فلم يرجعوا إلى الطريق إلا بقُدَيْدٍ، فنزلوا على أم معبد هناك». [إعلام الوري ٤١/١].

«أثال وإِدِ بصدر وادي ستارة، وهو المعروف بقُدَيْدٍ، يسيل في وادي الخيمتين.. خيمتا أم معبد. ويقال بئر أم معبد بين مكة والمدينة، نزله رسول الله ﷺ في هجرته». معجم البلدان: ٤١٤/٢ والجبال والأمكنة للزمخشري ٢/٢.

وفي الخرائج: ١٤٦/١: «سار حتى نزل خيمة أم معبد، فطلبوا عندها قِرَى فقالت: ما يحضرنى شيء، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في ناحية الخيمة قد تحلقت من الغنم لضرها فقال: تأذنين في حلبها؟ قالت: نعم ولا خير فيها، فمسح يده على ظهرها فصارت أسمن ما يكون من الغنم، ثم مسح يده على ضرعها فأرخت ضرعاً عجيباً، ودرت لبناً كثيراً فقال: يا أم معبد هاتي العس، فشربوا جميعاً حتى رووا! فلما رأت أم معبد ذلك قالت: يا حسن الوجه إن لي ولداً له سبع سنين وهو كقطعة لحم لا يتكلم ولا يقوم، فأتته به فأخذ تمره قد بقيت في الوعاء ومضعها وجعلها في فيه، فنهض في الحال ومشى وتكلم!

وجعل نواها في الأرض فصارت في الحال نخلة، وقد تهدل الرطب منها وكانت كذلك صيفاً وشتاءً! ولما توفي ﷺ لم تُرْطَبْ تلك النخلة وكانت خضراء! فلما قتل علي عليه السلام تخضّر، وكانت باقية فلما قتل الحسين عليه السلام سال منها الدم وبيست!

فلما انصرف أبو معبد ورأى ذلك وسأل عن سببه قالت: مرّ بي رجل قرشي من حاله وقصته كذا وكذا! قال: يا أم معبد إن هذا الرجل هو صاحب أهل المدينة الذي هم ينتظرونه، والله ما أشك الآن أنه صادق في قوله إنه رسول الله، فليس هذا إلا من فعل الله. ثم قصد إلى رسول الله ﷺ فأمن هو وأهله». ونحوه الثاقب في المناقب ١١١، عن هند بنت الجون.

وفي مستدرك الحاكم: ٩/٣: «قال: صفيه لي يا أم معبد. قالت: رأيت رجلاً ظاهره الوضأة، أبلغ الوجه، حسن الخلق لم تعبهُ نَجَلَةٌ «بطنه» ولم تُزِرْ به صَعَلَةٌ «صغر الرأس»

وسيمٌ قسيم «جميل حسن الملامح» في عينيه دَعَجٌ «سواد» وفي أشفاره وَطَفٌ «أجفانه طويلة» وفي صوته صَحَلٌ «ليس صوته حاداً بل فيه حركة محببة كالبحّة» وفي عنقه سَطَعَ «طول» وفي لحيته كثائَةٌ «كثافة الشعر» أَرْجُ أَقْرَن «حاجباه مقوسان متصلان» إن صمَّت فعليه الوقار، وإن تكلم سَنَاهُ وعلاه البهاء، أجملُ الناس وأبهاه من بعيد، وأحسنه وأجمله من قريب، حلُوُ المنطق، فصلاً لا نَزْرُ ولا هَذْرُ، كأن منطقَه خرزات نظمٍ يتحدرون، ربعةٌ لا تشنؤه من طول، ولا تقتحمه عين من قصر».

وفي المناقب: ١٠٥/١: «وقال خطيب منبج:

وَمَنْ حَلَبَ الضَّيْلَةَ وَهِيَ نَضُوٌّ فَاسْبَلْ دُرَّهَا لِلْحَالِيْنَا  
وكانت حائلاً فغدت وراحت بيمن المصطفى الهادي لبونا»

#### ٩. وصول النبي ﷺ إلى المدينة

وصف الإمام زين العابدين عليه السلام هجرة النبي ﷺ في حديث صحيح في الكافي: ٣٣٨/٨: «عن سعيد بن المسيب قال: سألت علي بن الحسين عليه السلام: إبن كم كان علي بن أبي طالب يوم أسلم؟ فقال: أو كان كافراً قط، إنما كان لعلي عليه السلام حيث بعث الله عز وجل رسوله ﷺ عشر سنين، ولم يكن يومئذ كافراً، ولقد آمن بالله تبارك وتعالى وبرسوله ﷺ وسبق الناس كلهم إلى الإيمان بالله وبرسوله ﷺ وإلى الصلاة بثلاث سنين، وكانت أول صلاة صلاها مع رسول الله ﷺ ركعتين، وكذلك فرضها الله تبارك وتعالى علي من أسلم بمكة ركعتين ركعتين. وكان رسول الله ﷺ يصلها بمكة ركعتين ويصلها علي عليه السلام معه بمكة ركعتين مدة عشر سنين، حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وخلف علياً في أمور لم يكن يقوم بها أحد غيره، وكان خروج رسول الله ﷺ من مكة في أول يوم من ربيع الأول، وذلك يوم الخميس من سنة ثلاث عشرة من المبعث، وقدم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول مع زوال الشمس، فنزل بقبا، فصلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين، ثم لم يزل مقيماً ينتظر علياً عليه السلام يصلي الخمس صلوات ركعتين

ركعتين، وكان نازلاً على عمرو بن عوف، فأقام عندهم بضعة عشر يوماً يقولون له: أتقيم عندنا فتتخذ لك منزلاً ومسجداً؟ فيقول: لا إني أنتظر علي بن أبي طالب وقد أمرته أن يلحقني، ولست مستوطناً منزلاً حتى يقدم علي وما أسرعه إن شاء الله، فقدم علي عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله في بيت عمرو بن عوف فنزل معه.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما قدم عليه علي عليه السلام تحول من قبا إلى بني سالم بن عوف وعلي عليه السلام معه يوم الجمعة مع طلوع الشمس، فخط لهم مسجداً ونصب قبلته فصلى بهم فيه الجمعة ركعتين وخطب خطبتين، ثم راح يومه إلى المدينة على ناقته التي كان قدم عليها، وعلي عليه السلام معه لا يفارقه يمشي بمشيه، وليس يمر رسول الله صلى الله عليه وآله بطن من بطون الأنصار إلا قاموا إليه يسألونه أن ينزل عليهم فيقول لهم: خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة، فانطلقت به ورسول الله صلى الله عليه وآله واضع لها زمامها حتى انتهت إلى الموضع الذي ترى، وأشار بيده إلى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله الذي يصلي عنده بالجنائز، فوقفت عنده وبركت ووضع جرائها على الأرض، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله، وأقبل أبو أيوب مبادراً حتى احتمل رحله فأدخله منزله. ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام معه حتى بنى له مسجده، بنيت له مساكنه ومنزل علي عليه السلام، فتحولوا إلى منازلها.

فقال سعيد بن المسيب لعلي بن الحسين: جعلت فداك كان أبو بكر مع رسول الله حين أقبل إلى المدينة فأين فارقه؟ فقال: إن أبا بكر لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قبا فنزل بهم ينتظر قدوم علي عليه السلام فقال له أبو بكر: إنهم بنا إلى المدينة فإن القوم قد فرحوا بقدومك وهم يستريثون إقبالك إليهم، فانطلق بنا ولا تقم هاهنا تنتظر علينا، فما أظنه يقدم عليك إلى شهر! فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: كلا ما أسرعه ولست أريم حتى يقدم ابن عمي وأخي في الله عز وجل، وأحب أهل بيتي إليّ، فقد وقاني بنفسه من المشركين. قال: فغضب عند ذلك أبو بكر واشمأز، وداخله من ذلك حسد لعلي عليه السلام، وكان ذلك أول عداوة بدت منه لرسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام، وأول خلاف علي عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله، فانطلق حتى دخل المدينة، وتحلف رسول الله صلى الله عليه وآله بقبا ينتظر علينا عليه السلام.

قال: فقلت لعلي بن الحسين: فمتى زوج رسول الله فاطمة من علي عليه السلام؟ فقال:

بالمدينة بعد الهجرة بسنة، وكان لها يومئذ تسع سنين.

قال علي بن الحسين عليه السلام: ولم يولد لرسول الله ﷺ من خديجة عليها السلام على فطرة الإسلام إلا فاطمة عليها السلام، وقد كانت خديجة ماتت قبل الهجرة [بسنة] ومات أبوطالب بعد موت خديجة [بسنة] فلما فقدهما رسول الله ﷺ سئم المقام بمكة ودخله حزن شديد، وأشفق على نفسه من كفار قريش، فشكا إلى جبرئيل ذلك، فأوحى الله عز وجل إليه: أخرج من القرية الظالم أهلها وهاجر إلى المدينة، فليس لك اليوم بمكة ناصر، وانصب للمشركين حرباً.  
فعند ذلك توجه رسول الله ﷺ إلى المدينة.

فقلت له: فمتى فرضت الصلاة على المسلمين على ما هم عليه اليوم؟ فقال: بالمدينة حين ظهرت الدعوة وقوي الإسلام، وكتب الله عز وجل على المسلمين الجهاد، وزاد رسول الله ﷺ في الصلاة سبع ركعات: في الظهر ركعتين وفي العصر ركعتين وفي المغرب ركعة وفي العشاء الآخرة ركعتين، وأقر الفجر على ما فرضت، لتعجيل نزول ملائكة النهار من السماء، ولتعجيل غروب ملائكة الليل إلى السماء، وكان ملائكة الليل وملائكة النهار يشهدون مع رسول الله ﷺ صلاة الفجر، فلذلك قال الله عز وجل: **وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً**. يشهده المسلمون ويشهده ملائكة النهار وملائكة الليل».

#### ملاحظات

تضمن هذا الحديث الشريف حقائق مهمة عن البعثة والهجرة، وعن عمر أمير المؤمنين وفاطمة عليها السلام وزواجهما، وقد جعلناه محوراً فيما كتبناه، لإقوله إن أباطالب توفي بعد خديجة عليها السلام بسنة، وإنها توفيا قبل الهجرة بسنة، والظاهر أن فيه تصحيفاً، وقد يكون تصحيف ستة، وسقط ما بعده.

## ١٠. نزل النبي ﷺ في قباء وهي ضاحية المدينة

في إعلام الوري/٤١، عن الزهري: «كان بين ليلة العقبة وبين مهاجرة رسول الله ثلاثة أشهر، وكانت بيعة الأنصار لرسول الله ﷺ ليلة العقبة في ذي الحجة، وقدم رسول الله ﷺ إلى المدينة في شهر ربيع الأول لاثنتي عشرة ليلة خلت منه يوم الإثنين. وكانت الأنصار خرجوا يتوكفون أخباره، فلما أيسوا ورجعوا إلى منازلهم أقبل رسول الله ﷺ فوافى ذا الحليفة سأل عن طريق بني عمرو بن عوف فدلوه، فرفعه الآل «تلة في الطريق» فنظر رجل من اليهود وهو على أطم له إلى ركبان ثلاثة يمشون على طريق بني عمرو بن عوف فصاح: يا معشر المسلمة هذا صاحبكم قد وافى! فوقعت الصيحة بالمدينة فخرج الرجال والنساء والصبيان، مستبشرين لقدومه يتعادون، فوافى رسول الله ﷺ وقصد مسجد قبا ونزل، واجتمع إليه بنو عمرو بن عوف، وسُرُّوا به واستبشروا واجتمعوا حوله ﷺ. ونزل على كلثوم بن الهدم شيخ من بني عمرو صالح مكفوف البصر، واجتمعت بطون الأوس، وكان بين الأوس والخزرج عداوة، فلم يجسروا أن يأتوا رسول الله ﷺ لما كان بينهم من الحروب، فأقبل رسول الله ﷺ يتصفح الوجوه فلا يرى أحداً من الخزرج، وقد كان قدم على عمرو بن عوف قبل قدوم رسول الله ﷺ، ناس من المهاجرين فنزلوا فيهم».

وفي المناقب: ١٥١/١: «هاجر إلى المدينة وأمر أصحابه بالهجرة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، وكانت هجرته يوم الإثنين، وصار ثلاثة أيام في الغار ليُخَيَّب من قصد إليه وروي ستة أيام، ودخل المدينة يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول وقيل الحادي عشر، وهي السنة الأولى من الهجرة، فرد التاريخ إلى المحرم.

وكان نزل بقبا في دار كلثوم بن الهدم، ثم بدار خيشمة الأوسي ثلاثة أيام ويقال اثني عشر يوماً، إلى بلوغ علي وأهل البيت ﷺ.

وكان أهل المدينة يستقبلون كل يوم إلى قبا وينصرفون، فأسس بقبا مسجدهم وخرج يوم الجمعة ونزل المدينة، وصلى في المسجد الذي يبطن الوادي».

وفي قصص الأنبياء/٣٣٥ وإعلام الوري: ١٥٢/١: «فلما أمسى رسول الله ﷺ فارقه

أبو بكر ودخل المدينة ونزل على بعض الأنصار، وبقي رسول الله ﷺ بقبا نازلاً على كلثوم بن الهدم، فلما صلى المغرب والعشاء الآخرة جاءه أسعد بن زرارة مقنعاً فسلم على رسول الله ﷺ وفرح بقدمه، ثم قال: يا رسول الله ما ظننت أن أسمع بك في مكان فأقعد عنك، إلا أن بيننا وبين إخواننا من الأوس ما تعلم، فكرهت أن آتيهم، فلما أن كان هذا الوقت لم أحتمل أن أقعد عنك.

فقال رسول الله ﷺ للأوس: من يجيره منكم؟ فقالوا: يا رسول الله، جوارنا في جوارك فأجره. قال: لا، بل يجيره بعضكم. فقال عويم بن ساعدة وسعد بن خيثمة: نحن نجيره يا رسول الله فأجاروه، وكان يختلف إلى رسول الله ﷺ فيتحدث عنده ويصلي خلفه. فبقي خمسة عشر يوماً فوافى علي بن أبي طالب بعباله، فلما وافى كان سعد بن الربيع وعبدالله بن رواحة يكسران أصنام الخنزرج، وكان كل رجل شريف في بيته صنم يمسحه ويطيبه، ولكل بطن من الأوس والخنزرج صنم في بيت لجماعة يكرمونه ويجعلون عليه مندبلاً ويذبحون له، فلما قدم الإثنا عشر من الأنصار أخرجوها من بيوتهم وبيوت من أطاعهم، فلما قدم السبعون كثر الإسلام وفسا، وجعلوا يكسرون الأصنام». وقال اليعقوبي في تاريخه: ٤٠/٢: «قدم رسول الله المدينة يوم الإثنين لثمان خلون من شهر ربيع الأول، وقيل يوم الخميس لاثني عشرة ليلة خلت منه فنزل على كلثوم بن الهدم، فلم يلبث إلا أياماً حتى مات كلثوم، وانتقل فنزل على سعد بن خيثمة في بني عمرو بن عوف، فمكث أياماً. ثم كان سفهاء بني عمرو و منافقوهم يرجونه في الليل، فلما رأى ذلك قال: ما هذا الجوار؟ فارتحل عنهم وركب راحلته وقال: خلوا زمامها». وفي سيرة ابن هشام: ٣٤٠/٢: «كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حرتنا ننتظر رسول الله ﷺ فوالله ما نبرح حتى تغلبن الشمس على الظلال، فإذا لم نجد ظلاً دخلنا، وذلك في أيام حارة. فكان أول من رآه رجل من اليهود وقد رأى ما كنا نصنع وأنا ننتظر قدوم رسول الله ﷺ علينا فصرخ بأعلى صوته: يا بني

قيلة هذا جدكم قد جاء. كان رسول الله ﷺ إذا خرج من منزل كلثوم بن هندم جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة. ونزل أبو بكر الصديق على خبيب بن إساف أحد بني الحارث بن الخزرج بالسُّنح. «الجهة الأخرى للمدينة». ثم قال ابن هشام: «أقام علي بن أبي طالب ﷺ بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله فنزل معه على كلثوم بن هدم. قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بقاء في بني عمرو بن عوف يوم الإثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس، وأسس مسجده. فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة».

### ١١. نشيد أهل المدينة: طَلَعَ البدرُ علينا

في المبسوط للطوسي: ٢٢٤/٨: «وأما الحداء وهو الشعر الذي تحث به العرب الإبل على الإسراع في السير، فهو مباح وهو ممدود لأنه من الأصوات كاللحاء والنداء والثغاء والرغاء.. وروي أن النبي ﷺ كان في سفر فأدرك ركباً من تميم معهم حاد فأمرهم بأن يحدوا وقال: إن حاديننا نام آخر الليل.

فأما الكلام في الشعر فهو مباح أيضاً ما لم يكن فيه هجو ولا فحش ولا تشييب بامرأة لا يعرفها. روى عمرو بن الشريد، عن أبيه قال: أردفني رسول الله ﷺ فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟ قال قلت: نعم، قال: هيه، قال فأنشدته بيتاً فقال: هيه، فأنشدته حتى بلغت مائة بيت. فإذا ثبت أنه مباح فقد روي كثير مما سمعه النبي ﷺ ولم ينكره، فمن ذلك ما روي أن النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة استقبله فتیان المدينة، وأنشدوا:

طلع البدر علينا	من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	ما دعا لله داع
أنت يا مرسل حقاً	جئت بالأمر المطاع
جئتنا نسعى رويداً	مرحباً يا خير ساع
جئت شرفت المدينة	مرحباً يا خير داع

يا نبياً من ضياه أشرقت كل البقاع

قد لبسنا ثوب عز بعد تمزيق الرقاع

ربنا صل على من حل في خير البقاع]

ومر رسول الله ﷺ أزقة المدينة فسمع جوارى لبني النجار ينشدن:

نحن جوارٍ من النجار يا حبذا محمد من جار

فقال رسول الله ﷺ: أتحبوني؟ فقالوا: إي والله يا رسول الله. قال: أنا والله

أحبكم. ثلاث مرات. وإعلام الوري: ١٥١/٨، الصراط المستقيم: ١٥٨/١، البحار: ١٩/١٠٥،

مستدرك سفينة البحار: ٤٤٦/٥، فتح الباري: ٩٨/٨ وعمدة القاري: ١٧/٦٠.

وأشكل في الصحيح من السيرة: ١٠٩/٤، على رواية هذا النشيد، بأن ثنيات الوداع

ليست من جهة مكة بل من جهة الشام، لكن لو صح ذلك جغرافياً فلا يضر

بالرواية، لأن ثنيات الوداع تعني التلال التي يودع منها أهل البلد مسافرينهم

ويستقبلونهم، فيكون النشيد شائعاً عند أهل المدينة فأشدوه للنبي ﷺ وأكملوه

بها يناسب. وقد ورد أن إماء مكة استقبلن النبي ﷺ في فتح مكة بنفس النشيد.

تاج العروس: ١١/٥٠٠.

## ١٢. ترك أبو بكر النبي ﷺ بقاءً وذهب غاضباً!

تقدم من إعلام الوري: ١٥٢/٨، وقصص الأنبياء/٣٣٥، أن أبا بكر أراد من النبي

أن يدخل المدينة فقال ﷺ: «لا أريم من هذا المكان حتى يوافيني أخي علي بن

أبي طالب.. فقال أبو بكر: ما أحسب علياً يوافي! قال: بلى ما أسرع إن شاء الله.

فلما أمسى رسول الله ﷺ فارقه أبو بكر ودخل المدينة ونزل على بعض الأنصار».

وتقدم ذلك من الكافي: ٣٣٨/٨. وقد غطى رواية السلطة ترك أبي بكر

للنبي ﷺ في بقاء فلم يصر حوا به! قال ابن هشام: ٣٤٢/٢: «نزل النبي ﷺ في

بقاء ونزل أبو بكر على خبيب بن إساف أحد بني الحارث بن الخزرج، بالسنع».

وفي الطبقات: ١٧٤/٣: «ولم يزل في بيت الحارث بن الخزرج بالسنع، حتى توفي



رسول الله ﷺ». وفي أسد الغابة: ٢١٩/٣: «وكان منزله بالسنح عند زوجته حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير، وكان قد حجر عليه حجرة من شعر، فما زاد على ذلك حتى تحول إلى المدينة».

وأخطأ ابن أبي الحديد أو كذب ليغطي على أبي بكر! فقال في شرح النهج: ٣٠٥/١٣: «وأما حال علي فلما أدى الودائع، خرج بعد ثلاث من هجرة النبي ﷺ فجاء إلى المدينة راجلاً قد تورمت قدماه فصادف رسول الله ﷺ نازلاً بقباء على كلثوم بن الهدم فنزل معه في منزله. وكان أبو بكر نازلاً بقباء أيضاً في منزل خبيب بن يساف ثم خرج رسول الله ﷺ وهما معه من قباء».

ومنزله ابن يساف في السنح وليس بقباء! والسنح يقع في العالية خارج المدينة باتجاه نجد: «قال عياض: هذا حد أدناها وأبعدها ثمانية أميال، وبه جزم ابن عبد البر، وصاحب النهاية». الصحيح من السيرة: ٦٣/١١.

### ١٣. إسلام سلمان الفارسي في قباء

١. جاءت مجموعات من اليهود بعد نبي الله عيسى عليه السلام، وسكنت الجزيرة بانتظار النبي الموعود، وكان أشخاص غير اليهود ينتظرون ظهوره ﷺ أيضاً مثل سلمان الفارسي الذي أعجبته المسيحية فترك المجوسية وهاجر إلى الشام، ثم إلى العراق وتركيا وعاش مع علمائهم، ثم جاء إلى أرض العرب ينتظر النبي الموعود. ففي كمال الدين/١٦١، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كان بين عيسى وبين محمد ﷺ خمس مائة عام، منها مائتان وخمسون عاماً ليس فيها نبي ولا عالم ظاهر. قلت: فما كانوا؟ قال: كانوا متمسكين بدين عيسى عليه السلام. قلت: فما كانوا؟ قال: كانوا مؤمنين. ثم قال عليه السلام: ولا يكون الأرض إلا وفيها عالم».

وكان ممن ضرب في الأرض لطلب الحججة سلمان الفارسي رضي الله عنه، فلم يزل ينتقل من عالم إلى عالم ومن فقيه إلى فقيه، ويبحث عن الأسرار ويستدل بالأخبار، منتظراً لقيام القائم سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ أربع مائة سنة، حتى بشر

بولادته، فلما أيقن بالفرج خرج يريد تهامة فسبي».

وقد وجد سلمان في المدينة امرأة فارسية، جاءت قبله تنتظر النبي الموعود ﷺ! «قال سلمان: لما قدمت المدينة رأيت امرأة إصبهانية كانت قد أسلمت قبلي، فسألتها عن رسول الله ﷺ فهي التي دلتني على رسول الله ﷺ». طبقات المحدثين بأصبهان لابن حبان: ١٢٣/١، الإصابة لابن حجر: ٢٩/٨ وأخبار إصبهان: ٤٤/١.

«كان سلمان الفارسي عبداً لبعض اليهود، وقد كان خرج من بلاده من فارس يطلب الدين الخفيف الذي كان أهل الكتب يخبرونه به، فوقع إلى راهب من رهبان النصارى بالشام فسأله عن ذلك وصحبه فقال: أطلبه بمكة مخرجه، واطلبه بيثرب فثُمَّ مهاجره. فقصد يثرب فأخذه بعض الأعراب فسبَّوه، واشتراه رجل من اليهود فكان يعمل في نخله، وكان ذلك اليوم على النخلة يصرمها، فدخل على صاحبه رجل من اليهود فقال: يا أبا فلان أشعرت أن هؤلاء المسلمة قد قدم عليهم نبيهم؟ فقال سلمان: جعلت فداك ما الذي تقول؟ فقال له صاحبه: ما لك وللسؤال عن هذا، أقبل على عملك! قال فنزل وأخذ طبقاً وصيرَ عليه من ذلك الرطب وحمله إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله: ما هذا؟ قال: صدقة تمورنا، بلغنا أنكم قوم غرباء قدمتم هذه البلاد فأحببت أن تأكلوا من صدقتنا. فقال رسول الله ﷺ: سَمُّوا واكلوا. فقال سلمان في نفسه وعقد بإصبعه: هذه واحدة يقولها بالفارسية، ثم أتاه بطبق آخر فقال له رسول الله ﷺ: ما هذا؟ فقال له سلمان رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أهديتها إليك. فقال: سموا واكلوا، وأكل، ففقد سلمان بيده اثنين، وقال: هذه اثنان يقولها بالفارسية، ثم دار خلفه فألقى رسول الله ﷺ عن كتفه الإزار فنظر سلمان إلى خاتم النبوة والشامة فأقبل يقبلها! قال له رسول الله ﷺ: من أنت؟ قال: أنا رجل من أهل فارس قد خرجت من بلادي منذ كذا وكذا، وحدثه بحديثه وبه طول، فأسلم وبشره رسول الله ﷺ فقال له: أبشر واصبر، فإن الله سيجعل لك فرجاً من هذا اليهودي». إعلام الوری: ٤٢/١.

وفي إعلام الوري: ٦٠/١: «وكان آخر من أتى «عاش معه سلمان علماء النصارى» آبي، فمكث عنده ما شاء الله، فلما ظهر النبي قال آبي: يا سلمان إن صاحبك الذي تطلبه بمكة قد ظهر، فتوجه إليه سلمان». كمال الدين/٦٦٥.

وحدث سلمان رضي الله عنه عن حاله بعد الراهب آبي: «فلما واريناه أقمتم على خير، حتى مر بي رجال من تجار العرب من كلب، فقلت لهم: تحملوني معكم حتى تقدموني أرض العرب وأعطيكم غنمتي هذه وبقراي، قالوا نعم فأعطيتهم إياها وحملوني حتى إذا جاءوا بي وادي القرى ظلموني فباعوني عبداً من رجل من يهود بوادي القرى». ثم باعه مالكوه إلى أقاربهم من قريظة في المدينة، فكان عبداً لهم نحو سنتين حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقبا فقلت: إنه بلغني أنك رجل صالح وأن معك أصحاباً لك غرباء، وقد كان عندي شيء للصدقة فأرأيتم أحق من هذه البلاد به، فهذا هو هذا فكل منه، فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وقال لأصحابه: كلوا ولم يأكل فقلت في نفسي هذه خلة مما وصف لي صاحبي. فاستدرت لأنظر إلى الخاتم في ظهره فلما رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم أستدير عرف أنني استثبت من شيء قد وصف لي فوضع رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه كما وصف لي صاحبي، فأكبت عليه أقبله وأبكي! فقال: تحول يا سلمان هاكني، فتحولت فجلست بين يديه وأحب أن يسمع أصحابه حديثي فحدثته». ابن إسحاق: ٦٨/٢ وأحمد: ٤٤٣/٥.

وحدث سلمان عن عمله عند ذلك اليهودي فقال: «فكنت أسقي كما يسقي البعير حتى دبر ظهري وصدري «جرح» من ذلك، ولا أجد أحداً يفقه كلامي حتى جاءت عجوز فارسية تستقي فكلمتها ففهمت كلامي، فقلت لها: أين هذا الرجل الذي خرج دليني عليه؟ قالت: سيمر بك بكرة إذا صلى الصبح». أخبار أصهان: ٧٦/١.

#### ١٤. من مناقب سلمان الفارسي رضي الله عنه

١- روت مصادر السنة وصححته أن النبي صلى الله عليه وسلم اشتراه بأواقي ذهب وثلاث مئة نخلة حتى تطعم، ففي الحاكم: ١٦/٢، أحمد: ٣٥٤/٥ و٤٤٣ والبيهقي: ٣٢١/١٠، عن بريدة قال:

«وكان لليهود فاشتره رسول الله ﷺ بكذا وكذا درهماً وعلى أن يغرس نخلاً فيعمل سلمان فيها حتى تطعم، قال فغرس رسول الله «وأصحابه» النخل إلا نخلة واحدة غرسها عمر فحملت النخل من عامها ولم تحمل النخلة، فقال رسول الله ﷺ: من غرسها؟ قالوا: عمر، فنزعها رسول الله ﷺ ثم غرسها فحملت من عامها».

٢. وكان سلمان في أعلى درجات الإيمان وهي الدرجة العاشرة، ففي الخصال/٤٤٧ عن عبد العزيز القراطيسي قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا عبد العزيز إن الإيمان عشر درجات، بمنزلة السلم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولن صاحب الواحد لصاحب الإثنين لست على شيء، حتى تنتهي إلى العاشرة، ولا تسقط من هو دونك فيسقطك الذي هو فوقك، فإذا رأيت من هو أسفل منك فارفعه إليك برفق، ولا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره، فإنه من كسر مؤمناً فعليه جبره. وكان المقداد في الثامنة، وأبوذر في التاسعة، وسلمان في العاشرة».

٣- أخى النبي ﷺ بينه وبين أبي ذر واشترط عليه طاعة سلمان. الكافي: ١٦٢/٨.

٤- وكان سلمان محدثاً، قال الإمام الصادق عليه السلام: «كان سلمان محدثاً. قال قلت: فما آية المحدث؟ قال: يأتيه ملك فينكت في قلبه كيت وكيت». «بصائر الدرجات/٣٤٢».

وقال عليه السلام: «إن سلمان علم الإسم الأعظم». الإختصاص ١١/رجال الطوسي: ٦٥/١.

٥- ولذلك اتخذ النبي ﷺ خليلاً، قال سلمان: «أوصاني خليلي بسبعة خصال لا أدعهن على كل حال: أوصاني أن أنظر إلى من هو دوني، ولا أنظر إلى من هو فوقى، وأن أحب الفقراء وأدنو منهم، وأن أقول الحق وإن كان مرماً، وأن أصل رحمي وإن كانت مدبرة، ولا أسأل الناس شيئاً، وأوصاني أن أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإنها كنز من كنوز الجنة». المحاسن: ١١/١.

٦. وتوفي سلمان وهو أمير المدائن، وأمر زوجته: «أن تديف «تُدَوِّب» مسكاً أصابه من الفئ وخبأه لأجل وفاته، وقال لها: ميثيه في الماء، ورشي

بالماء حولي، فإني اليوم يحضرنى من ملائكة ربي من لم أرهم قط! ففعلت ذلك، وتوفي في ذلك اليوم». «إكمال الكمال: ٣٦٢/٧». وحضر أمير المؤمنين عليه السلام من المدينة بكرامة وغسل سلمان وصلى عليه وودعه. «الفضائل لشاذان بن جبriel/٩٠، في حديث طويل». وقال له: «إذا لقيت رسول الله فقل له ما مرّ على أخيك من قومك». مستدرک السفينة: ٣٤/٦.

وفي مدينة المعاجز: ١٤/٢، عن الراوندي: «أن علياً عليه السلام دخل المسجد بالمدينة غداً يوم وقال: رأيت في النوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم البارحة فقال لي: إن سلمان توفي، ووصاني بغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه، وها أنا خارج إلى المدائن لذلك. فقال عمر: خذ الكفن من بيت المال. فقال علي عليه السلام: ذاك مكفي مفروغ منه، فخرج والناس معه إلى ظاهر المدينة، ثم خرج وانصرف الناس، فلما كان قبل الظهر رجعت وقال: دفتته، وأكثر الناس لم يصدقوه حتى كان بعد مدة ووصل من المدائن مكتوب: إن سلمان توفي يوم كذا، ودخل علينا أعرابي فغسله وكفته وصلى عليه ودفنه، ثم انصرف. فتعجب الناس كلهم!»!

٦- تزوج سلمان رضي الله عنه امرأة من قبيلة كندة، وأنجب أولاداً وعرف منهم محمد وعبدالله. رجال الطوسي: ٦٨/١، طرائف المقال: ٦٠١/٢، الإستيعاب: ٦٣٨/٢، تاريخ دمشق: ٤٢٨/٢١، سنن البيهقي: ٢٧٣/٧، تهذيب الكمال: ٢٤٩/١١، لسان الميزان: ٤٢١/٣، ومصنف عبدالرزاق: ١٥٣/٦ و١٩٢. وذكروا له أولاداً: يحيى بن سلمان «تاريخ دمشق ٢٢٧/٥» وعامر بن سلمان «المنفردات لمسلم بن الحجاج/١٠٤» ولعله هو عمر بن سلمان «كشف الظنون ١٤٨٨/٢». وزاذان بن سلمان «الدر النظيم/٣٢١» وهو إسم فارسي، وهو يروي عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وذكروا لهم ذرية، ففي فهرست منتجب الدين/٥٢: «الشيخ بدر الدين الحسن بن علي بن سلمان بن أبي جعفر بن أبي الفضل بن الحسن بن أبي بكر بن سلمان بن عباد بن عمار بن أحمد بن أبي بكر بن علي بن سلمان بن منبه بن محمد بن عمارة بن إبراهيم بن سلمان بن محمد بن سلمان الفارسي رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، نزيل أشناباد السد من الري، واعظ، فصيح، صالح».

٧. وكان سلمان رضي الله عنه من المعمرين، روي أنه عاش أكثر من ثلاث مئة سنة. وكان من كبار صحابة النبي صلى الله عليه وآله وأفاضلهم، وقد اشتهر بين المسلمين قول النبي صلى الله عليه وآله: سلمان منا أهل البيت، وشارك في حروب النبي صلى الله عليه وآله، وفي فتح إيران وأذربيجان وغيرها، وصار هذا الفارسي المشرّد حاكماً للمدائن مكان كسرى! وكان من حواربي علي رضي الله عنه، وأحد الإثني عشر الذين خطبوا في المسجد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وواجهوا أبابكر وهو على المنبر، وأدانوا بيعة السقيفة. وقد أفاضت المصادر في ذكره فلا يكاد يخلو مصدر حديثي من أحاديثه ومناقبه. وألفت فيه كتب مستقلة، لكنها لا تنفي بالغرض. ولعل قومه الفرس أول المقصرين في حقه! فلا ترى في إيران عملاً مهماً باسمه، أو ذكراً مناسباً له! وقد كتبت له ترجمة في كتاب: قراءة جديدة في الفتوحات.



## الفصل الثامن والعشرون

### الهجرة العنيفة الوحيدة: هجرة علي عليه السلام

#### ١- علي عليه السلام يؤدي أمانات النبي صلى الله عليه وآله جهاراً في مكة

قال المفيد عليه السلام في الإرشاد: ٥٣/١: «ومن ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله كان أمين قريش على ودائعهم، فلما فجأه من الكفار ما أحوجه إلى الهرب من مكة بغتة، لم يجد في قومه وأهله من يأتمنه على ما كان مؤتمناً عليه سوى أمير المؤمنين عليه السلام، فاستخلفه في رد الودائع إلى أربابها، وقضاء ما عليه من دين لمستحقيه، وجمع بناته ونساء أهله وأزواجه والهجرة بهم إليه، ولم ير أن أحداً يقوم مقامه في ذلك من كافة الناس، فوثق بأمانته وعول على نجدته وشجاعته، واعتمد في الدفاع عن أهله وحامته على بأسه وقدرته، واطمأن إلى ثقته على أهله وحرمه، وعرف من ورعه وعصمته ما تسكن النفس معه إلى إثمائه على ذلك.

فقام عليه السلام به أحسن القيام ورد كل وديعة إلى أهلها، وأعطى كل ذي حق حقه، وحفظ بنات نبيه عليه السلام وآله وحرمه، وهاجر بهم ماشياً على قدمه يحوطهم من الأعداء، ويكلؤهم من الخصماء، ويرفق بهم في المسير، حتى أوردهم عليه المدينة على أتم صيانة وحراسة، ورفق ورأفة، وحسن تدبير. فأنزله النبي صلى الله عليه وآله عند وروده المدينة داره، وأحله قراره، وخلطه بحرمه وأولاده، ولم يميزه من خاصة نفسه، ولا احتشمه في باطن أمره وسره».

وقال في السيرة الحلبية: ٢٣٢/٢: «فلما توجه صلى الله عليه وآله إلى المدينة قام عليٌّ عليه السلام بالأبطح ينادي: من كان له عند رسول الله وديعة فليأت تُوَدَّى إليه أمانته. فلما نفذ ذلك ورد عليه كتاب

رسول الله ﷺ بالشخوص إليه، فابتاع ركائب، وقدم ومعه الفواطم ومعه أم أيمن وولدها أيمن وجماعة من ضعفاء المؤمنين». ونحوه الصالحى: ٢٦٧/٣.

## ٢- علي بن أبي طالب يتحدى قريشاً ويعلن عزمه على الهجرة!

قال ابن جبر في نهج الإيمان/٣١١ وابن شهر آشوب في المناقب: ٣٣٥/١: «ذكر الواقدي وغيره أن علياً عليه السلام لما عزم على الهجرة قال له العباس: إن محمداً ما خرج إلا خفياً وذكر حديثاً ثم قال له: ما أرى أن تمضي إلا في خفارة خزاعة، فقال علي عليه السلام:

إن النية شريفة مورودة لا تجزعتنَّ وشُدَّ للترحيل

إن ابن أمانة النبي محمداً رجل صدوق قال عن جبريل

أخ الزمام ولا تخف من عاتق الله يردبهم إلى التنكيل

إني بربي واثق وبأحمد وسيله متلاحق بسبيلي

أقول: يدل هذا على أن إعلان علي عليه السلام هجرته كان بأمر النبي ﷺ! فبعد أن هاجر أصحاب النبي ﷺ أولاً، ثم هاجر النبي ﷺ وأفلت من أطافر قريش! أراد الله تعالى أن تكون هجرة علي عليه السلام بأسرة النبي ﷺ آية لصدق النبوة، ورسالة قوة، فقريش لا تفهم غير القوة!

## ٣- قريش تدبر محاولة لاغتيال علي بن أبي طالب قبل هجرته

روى ابن شهر آشوب في المناقب: ٣٣٥/١ عن الواقدي، وأبي الفرج النجدي، وأبي الحسن البكري، وإسحاق الطبراني: «أن علياً عليه السلام لما عزم على الهجرة قال له العباس.. إلى آخر ما تقدم. قال: فكمن له مهلع غلام حنظلة بن أبي سفيان في طريقه بالليل، فلما رآه سئل سيفه ونهض إليه فصاح عليُّ به صيحة خراً على وجهه وجلله بسيفه! فلما أصبح توجه نحو المدينة، فلما شارف ضجنان أدركه الطلب بثمانية فوارس».

أقول: هذه أول صيحة وأول ضربة سيف من علي عليه السلام صلوات الله عليه.



#### ٤- واخترعت قريش مكيدة مالية لعلي عليه السلام قبل هجرته

روى في المناقب: ١٧٥/٢، عن الواقدي، وإسحاق الطبري: «أن عمير بن وابل الثقفي أمره حنظلة بن أبي سفيان أن يدعي علي عليه السلام ثمانين مثقالاً من الذهب وديعةً عند محمد بن علي، وأنه هرب من مكة وأنت وكيله، فإن طلب بينة الشهود فنحن معشر قريش نشهد عليه، وأعطوه على ذلك مائة مثقال من الذهب، منها قلادة عشر مثاقيل لهند، فجاء وادعى علي عليه السلام، فاعتبر الودائع كلها ورأى عليها أسامي أصحابها، ولم يكن لما ذكره عمير خبر، فنصح له نصحاً كثيراً فقال: إن لي من يشهد بذلك وهو أبو جهل، وعكرمة، وعقبة بن أبي معيط، وأبوسفيان، وحنظلة! فقال عليه السلام: مكيدة تعود إلى من دبرها، ثم أمر الشهود أن يقعدوا في الكعبة، ثم قال لعمير: يا أبا ثقيف أخبرني الآن حين دفعت وديعتك هذه إلى رسول الله ﷺ أي الأوقات كان؟ قال: ضحوة نهار فأخذها بيده ودفعها إلى عبده. ثم استدعى بأبي جهل وسأله عن ذلك قال: ما يلزمي ذلك.

الكتاب  
الذي  
أعني

ثم استدعى بأبي سفيان وسأله فقال: دفعها عند غروب الشمس، وأخذها من يده وتركها في كفه! ثم استدعى حنظلة وسأله عن ذلك فقال: كان عند وقت وقوف الشمس في كبد السماء، وتركها بين يديه إلى وقت انصرافه!

ثم استدعى بعقبة وسأله عن ذلك فقال: تسلمها بيده وأنفذها في الحال إلى داره وكان وقت العصر! ثم استدعى بعكرمة، وسأله عن ذلك فقال: كان بزوغ الشمس أخذها فأنفذها من ساعته إلى بيت فاطمة!

ثم أقبل على عمير وقال له: أراك قد اصفر لونك وتغيرت أحوالك! قال: أقول الحق ولا يفلح غادر، وبيت الله ما كان لي عند محمد وديعة، وإنهما حلائي على ذلك، وهذه دنائيرهم وعقد هند عليه إسمها مكتوب!

ثم قال علي: إيتوني بالسيف الذي في زاوية الدار فأخذه وقال: أتعرفون هذا السيف؟ فقالوا: هذا لحنظلة. فقال أبوسفيان: هذا مسروق. فقال عليه السلام: إن كنت صادقاً في قولك فما فعل عبدك مهلع الأسود؟ قال: مضى إلى الطائف في حاجة لنا! فقال:

هيهات أن يعود تراه، ابعث إليه أحضره إن كنت صادقاً! فسكت أبو سفيان. ثم قام عليه السلام في عشرة عبيد لسادات قريش فنبشوا بقعة عرفها، فإذا فيها العبد مهلع قتيل، فأمرهم بإخراجه فأخرجوه وحملوه إلى الكعبة، فسأله الناس عن سبب قتله فقال: إن أبا سفيان وولده ضمنوا له رشوة عتقه وحثّاه على قتلي، فكمن لي في الطريق ووثب عليّ ليقتلني، فضربت رأسه وأخذت سيفه!  
فلما بطلت حيلتهم أرادوا الحيلة الثانية بعمير! فقال عمير: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ!

#### ٥- انتظر النبي ﷺ علياً عليه السلام في قباء وكتب اليه وطمانه

في أمالي الطوسي/٦٩٤: «قال أبي وابن أبي رافع: ثم كتب رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب عليه السلام كتاباً يأمره فيه بالمسير إليه وقلة التلّوم «التأخر» وكان الرسول إليه أبا واقد الليثي، فلما أتاه كتاب رسول الله ﷺ تهباً للخروج والهجرة، فأذن من كان معه من ضعفاء المؤمنين، فأمرهم أن يتسللوا ويتخفوا إذا ملأ الليل بطن كل واد إلى ذي طوى. وخرج علي عليه السلام بفاطمة بنت رسول الله ﷺ وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب، وتبعهم أيمن بن أم أيمن مولى رسول الله، وأبو واقد مولى رسول رسول الله ﷺ، فجعل يسوق بالرواحل فأعنف بهم فقال علي: إرفق بالنسوة يا أبا واقد، إنهن من الضعائف. قال: إني أخاف أن يدركنا الطلب! فقال علي عليه السلام: إربع عليك فإن رسول الله ﷺ قال لي: «في رسالته» يا علي إنهم لن يصلوا من الآن إليك بما تكرهه، ثم جعل يعني علياً عليه السلام يسوق بهن سوفاً رفيقاً وهو يرتجز ويقول:  
ليس إلا الله فارفع ظنك يا كيفيك ربّ الناس ما أهكّا».

#### ٦- علي عليه السلام يدوس غطرسة قريش

في أمالي الطوسي/٤٧٠: «وسار فلما شارف ضجنان أدركه الطلب، وعددهم سبعة فوارس من قريش مستلثمين، وثامنهم مولى لحرب بن أمية يدعى جناحاً، فأقبل علي عليه السلام على أيمن وأبي واقد، وقد تراءى القوم فقال لهما: أنيخا الإبل

واعقلاها، وتقدم حتى أنزل النسوة، ودنا القوم فاستقبلهم ﷺ منتضياً سيفه، فأقبلوا عليه فقالوا: أظننت أنك يا عُذْرُ نَاجِ بالنسوة، إرجع لا أبأ لك! قال: فإن لم أفعل؟ قالوا: لترجعن راعماً أو لترجعن بأكثرك شعراً، وأهون بك من هالك!

ودنا الفوارس من النسوة والمطايا ليثوروها، فحال علي ﷺ بينهم وبينها، فأهوى له جناح بسيفه فراغ علي ﷺ عن ضربته، وتحتله علي فضربه على عاتقه، فأسرع السيف مضياً فيه حتى مسَّ كاتبة فرسه، فكان ﷺ يشد على قدمه شد الفارس على فرسه، فشد عليهم بسيفه وهو يقول:

خلو سبيل الجاهد المجاهدٍ أليست لا أعبُدُ غير الواحدِ

فتصدع عنه القوم وقالوا له: أغن عنا نفسك يا ابن أبي طالب. قال: فإني منطلق إلى ابن عمي رسول الله ﷺ بيثرب فمن سره أن أفري لحمه وأريق دمه فليتبعني أو فليدن مني. ثم أقبل على صاحبيه أيمن وأبي واقد فقال لهما: أطلقا مطاياكما». والكاتبة: مجتمع الكتف! وهذه ثاني ضربة سيف لعي، صلوات الله عليه.

الليثية  
النسوة  
العقلاء

#### ٧- فاطمة بنت أسد أول مسلمة هاجرت مشياً

اختارت فاطمة بنت أسد ﷺ أن تهاجر إلى رسول الله ﷺ ماشية على قدميها، تحتسب ذلك عند الله تعالى، ففي الكافي: ٤٥٣/١ عن الإمام الصادق ﷺ قال: «إن فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين ﷺ كانت أول امرأة هاجرت إلى رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة على قدميها، وكانت من أبر الناس برسول الله ﷺ».

وروى عن داود الرقي قال: دخلت على أبي عبد الله ﷺ ولي على رجل مأل قد خفتُ تَوَاهُ «ذهابه» فشكوت إليه ذلك فقال لي: إذا صرت بمكة فطف عن عبد المطلب طوافاً وصل ركعتين عنه، وطف عن أبي طالب طوافاً وصل عنه ركعتين، وطف عن عبد الله طوافاً وصل عنه ركعتين، وطف عن آمنة طوافاً وصل عنها ركعتين، وطف عن فاطمة بنت أسد طوافاً وصل عنها ركعتين، ثم ادع أن يرد عليك مالك. قال: ففعلت ذلك ثم خرجت من باب الصفا، وإذا غريمي واقف يقول: يا داود حبستني، تعال إقبض مالك».

## ٨- ونزلت آيات القرآن تصف علياً عليه السلام والفواطم في طريق الهجرة

في أمالي الطوسي/٤٧١: «ثم سار ظاهراً قاهراً حتى نزل ضجنان، فتلوم بها قدر يومه وليته، ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين، وفيهم أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ، فظل ليلته تلك هو والفواطم، أمه فاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ وفاطمة بنت الزبير، طوراً يصلون، وطوراً يذكرون الله قياماً وعوداً وعلى جنوبهم، فلم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر، فصلى ﷺ بهم صلاة الفجر، ثم سار لوجهه يجوب منزلاً بعد منزل، لا يفتر عن ذكر الله، والفواطم كذلك وغيرهم ممن صحبه، حتى قدموا المدينة، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدمهم بقوله تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ قِنَاعًا عَذَابِ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ. رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ.

رَبَّنَا وَإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا نَخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ. فَاسْتَجَاب لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخْلَ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ. آل عمران: ١٩٠-١٩٥.

الذكر علي عليه السلام والأئمة الفواطم المتقدم ذكرهن، وهن فاطمة بنت رسول الله وفاطمة بنت أسد وفاطمة بنت الزبير. بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ يقول: علي من فاطمة أو قال: الفواطم، وهن من علي عليه السلام وتلاوة ﷺ: وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ، وقال: يا علي، أنت أول هذه الأمة إيماناً بالله ورسوله، وأولهم هجرة إلى الله ورسوله، وآخرهم عهداً برسوله، لا يجبك والذي نفسي بيده إلا مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان، ولا يبغضك إلا منافق أو كافر».

## ٩- بخلت السلطنة برواية هجرة أمير المؤمنين عليه السلام

كأن السلطنة أمرت الرواة أن يخفوا مناقب علي عليه السلام في هجرته، وما جرى له في مكة، ولا يذكروا لحاق فرسان قريش به وقتله فارسهم جناح، ولا نزول الآيات في عبادته ووالدته وفاطمة عليها السلام ورفقائهم في طريق الهجرة، ولا أحاديث النبي صلى الله عليه وآله في مدحه! فذلك يرفع من قدره، وهم يريدون انتقاص قدره!

قال ابن هشام: ٣٣٥/٢: «قال ابن إسحاق: ولم يعلم فيما بلغني بخروج رسول الله أحد حين خرج إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر. أما علي فإن رسول الله صلى الله عليه وآله فيما بلغني أخبره بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وآله الودائع التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده، لما يعلم من صدقه وأمانته».

وقال في: ٣٤٢/٢: «وأقام علي بن أبي طالب بمكة ثلاث ليال وأيامها، حتى أدى عن رسول الله صلى الله عليه وآله الودائع التي كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله فنزل معه على كلثوم بن هدم».

وقال في السيرة الحلبية: ٢٣٣/٢: «كان يسير الليل ويكمن النهار، حتى تفتطرت قدماه، فاعتنقه النبي صلى الله عليه وآله وبكى رحمة لما بقدميه من الورم، وتفل في يديه وأمرهما على قدميه، فلم يشكهما بعد ذلك! ولا مانع من وقوع ذلك من علي مع وجود ما يركبه، لأنه يجوز أن يكون هاجر ماشياً، رغبة في عظيم الأجر».

أقول: كان يسير في الليل بسبب الحر وليس الخوف.

وروى ابن سعد: ٢٢/٣: «عن أبي رافع عن علي قال: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة في الهجرة، أمرني أن أقيم بعده حتى أؤدي ودائع كانت عنده للناس، ولذا كان يسمى الأمين، فأقمت ثلاثاً فكنت أظهر ما تغيبت يوماً واحداً، ثم خرجت فجعلت أتبع طريق رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قدمت بني عمرو بن عوف ورسول الله مقيم فنزلت على كلثوم بن الهدم وهناك منزل رسول الله.. قدم علي للنصف من شهر ربيع الأول ورسول الله بقاء لم يُرْمَ» بذهب «بعد». تاريخ دمشق: ٦٩/٤٢.

وكثرت مكذوبات الحكومة في هجرة النبي ﷺ وأسرته، وزعموا أن علياً عليه السلام لم يؤد أماناته ولم يهاجر بأسرته ﷺ! وأن النبي ﷺ بعث شخصين أتيا بهن!

قال في الطبقات: ٢٣٧/١: «بعث رسول الله من منزل أبي أيوب زيد بن حارثة وأبا رافع، وأعطاهما بعيرين وخمس مائة درهم إلى مكة، فقدموا عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله وسودة بنت زمعة!»

والصحيح أنها كانت مع زوجها، وأن سودة لم تكن زوجة النبي في مكة!

### ١٠- سرقوا مناقب علي عليه السلام وأعطوها لعمر!

فقد هاجر عمر قبل النبي ﷺ بشهور أو سنة، سرّاً خوفاً من قريش، وواعده هشام بن العاص عند إضاعة بني غفار في المدينة، ولم يواعهده في أطراف مكة ولا في الطريق! التنبيه للمسعودي/٢٠٠، الدرر/٧٧، الإمتاع: ١٨٨/٩، السيرة الحلبية: ١٨٣/٢ وغيرها.

بل روى الذهبي في تاريخه: ٣١٣/١، بسند صحيح عندهم: «فلما اشتدوا على رسول الله ﷺ وأصحابه أمر رسول الله أصحابه بالهجرة فخرجوا رسلاً رسلاً...». وعدّ في الذين هاجروا عمر وجماعة، وكان ذلك قبل شهر أو سنة من هجرة النبي ﷺ! ومع ذلك سرقوا هجرة علي عليه السلام وأعطوها لعمر وجعلوا روايتها على لسان علي عليه السلام! فقال كما زعموا: «ما علمت أحداً من المهاجرين هاجر إلا محتفياً إلا عمر بن الخطاب! أسد الغابة ٥٨/٤.

قال في الصحيح من السيرة: ١٩٥/٤: «ونحن نقطع بعدم صحة هذا الكلام، لأن عمر لم يكن يملك مثل هذه الشجاعة. لما تقدم في حديث إسلامه عن البخاري وغيره من أنه حين أسلم اختبأ في داره خائفاً حتى جاءه العاص بن وائل فأجاره فخرج حينئذ». ثم عدده صاحب الصحيح فراره في الحروب وما عرف به من الجبن. أقول: وقد وثق في مجمع الزوائد: ٦١/٦ حديث عمر عن نفسه، بأنه تواعد مع اثنين عند مشارف المدينة، فحبس أحدهما ونجا الآخر! وقال البخاري: ٢٦٤/٢

إن عمر هاجر في عشرين، ولم يسمّ أحداً منهم! ولا وصف هجرته كيف كانت!  
ومع ذلك يدهشك ابن الجوزي في كتابه: المدهش/٢٢٤: «هاتوا لنا مثل عمر كل  
الصحابة هاجروا سراً وعمر هاجر جهراً، وقال للمشركين قبل خروجه: ها أنا على  
عزم الهجرة، فمن أراد أن يلقاني فليلقني في بطن هذا الوادي»!  
لكن كيف نصدق كلام ونحن لا نراه حضر في خطر تعرض له النبي ﷺ! ولا نجد  
له دوراً في نزول النبي ﷺ في قباء، ولا في بناء المسجد النبوي.

ثم نقراً أنه نزل في المدينة قرب اليهود خارج المدينة، وكان يحضر دروسهم، قال  
كما في البخاري: ٣١٨: «كنت أنا وجماري من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي  
من عوالي المدينة، وكنا تتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يوماً وأنزل يوماً،  
فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك».  
وبنو أمية بن زيد جيران ملاصقون لليهود بني قريظة، وبني زريق. تاريخ المدينة: ١٧٠/١،  
ابن إسحاق: ٢٩٩/٣ وابن هشام: ٥٦٩/٢.

التاريخ  
النبوي  
المعاصر

وبنو زريق هم الذين كتبوا لعمر التوراة ليتبناها النبي ﷺ: «جاء عمر بجوامع  
من التوراة إلى رسول الله فقال يا رسول الله جوامع من التوراة أخذتها من أخ لي من  
بني زريق، فتغير وجه رسول الله! مجمع الزوائد: ١٧٤/١ ووثقه.



## الفصل التاسع والعشرون

### أبو أيوب الأنصاري اختاره الله لضيافة رسوله ﷺ

#### أبو أيوب الأنصاري، خالد بن زيد

١. جاء في ترجمته في الأصابة: ١٩٩/٢: «خالد بن زيد بن كليب. أبو أيوب الأنصاري معروف باسمه وكنيته. شهد العقبة وبدوماً وما بعدها، ونزل عليه النبي ﷺ لما قدم المدينة، فأقام عنده حتى بنى بيوته ومسجده.

وأخى بينه وبين مصعب بن عمير، وشهد الفتوح وداوم الغزو، واستخلفه علي على المدينة لما خرج إلى العراق ثم لحق به بعد، وشهد معه قتال الخوارج.

عن أبي رهم أن أبا أيوب حدثهم أن النبي ﷺ نزل في بيته، وكنت في الغرفة فهريق ماء في الغرفة فقامت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا نتبع الماء شفقاً أن يخلص إلى رسول الله ﷺ فنزلت إلى رسول الله ﷺ وأنا مشفق، فسألته فانتقل إلى الغرفة قلت يا رسول الله كنت ترسل إلي بالطعام، فأنظر فأضع أصابعي حيث أرى أثر أصابعك حتى كان هذا الطعام! قال أجل إن فيه بصلاً فكرهت أن أكل من أجل الملك، وأما أنتم فكلوا.

شهد أبو أيوب وبدوماً لم يتخلف عن غزاة للمسلمين إلا وهو في أخرى. ولزم أبو أيوب الجهاد بعد النبي ﷺ إلى أن توفي في غزاة القسطنطينية سنة خمسين وقيل إحدى وستين وخمسين وهو أكثر». وهو من رجال الصحاح الستة.

٢. وجاء في ترجمته في مصادرنا الكشي: ١٦٥/١: «روى الحارث بن حصيرة الأزدي، عن



أبي صادق، عن محمد بن سليمان قال: قدم علينا أبو أيوب الأنصاري فنزل ضيعتنا يعلف خيلاً له، فأتيناه فأهدينا له، قال: قعدنا عنده فقلنا: يا أبا أيوب قاتلت المشركين بسيفك هذا مع رسول الله ﷺ، ثم جئت تقاتل المسلمين؟ فقال: إن النبي ﷺ أمرني بقتال القاسطين والمارقين والناكثين، فقد قاتلت الناكثين وقاتلت القاسطين، وإنما نقاتل إن شاء الله بالمسعفات بالطرقات بالنهروانات، وما أدري أنى هي؟

وسئل الفضل بن شاذان عن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري وقاتله مع معاوية المشركين؟ فقال: كان ذلك منه قلة فقه وغفلة، ظنَّ أنه إنما يعمل عملاً لنفسه يقوي به الإسلام ويوهي به الشرك وليس عليه من معاوية شيء كان معه أولم يكن.

وسئل عن ابن مسعود وحذيفة؟ فقال: لم يكن حذيفة مثل ابن مسعود، لأن حذيفة كان ركناً، وابن مسعود خلط ووالى القوم ومال معهم وقال بهم.

وقال أيضاً: إن من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين ﷺ أبو الهيثم بن التيهان وأبو أيوب وخزيمة بن ثابت وجابر بن عبد الله وزيد بن أرقم وأبو سعيد الخدري وسهل بن حنيف والبراء بن مالك وعثمان بن حنيف وعبادة بن الصامت، ثم ممن دونهم قيس بن سعد بن عبادة وعدي بن حاتم وعمرو بن الحمق وعمران بن الحصين وبريدة الأسلمي وبشر كثير.

وقال السيد الخوئي: ٣٨/٢٢: «اعتراض الفضل على أبي أيوب الأنصاري في غير محله، وتقديم البراء بن مالك عد الفضل أبا أيوب من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين ﷺ. قال المفيد: هو صاحب منزل رسول الله ﷺ وله كلام يدعو به الناس إلى أمير المؤمنين ﷺ ولزوم إطاعته.

وتقدم في ترجمة جندب بن جنادة أبي ذر الغفاري، عدُّ أبي أيوب الأنصاري من الإثني عشر الذين مضوا على منهج نبيهم ولم يغيروا ولم يبدلوا».

أقول: أبو أيوب ذو مكانة جلية، فهو من نقباء بيعة العقبة، وقد نال شرف نزول رسول الله ﷺ في بيته لما هاجر، وبقي عنده مدة حتى كمل بناء بيته ومسجده.

وشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا وأحداً والخندق ومشاهده كلها. وشهد مع

علي عليه السلام مشاهده كلها، وكان والياً له على المدينة، وقائداً في جيشه.

وتدل أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام في حقه على إيمانه وجلالته، فقد يكون النبي صلى الله عليه وآله أمره بالجهاد حتى مع معاوية بعد علي عليه السلام، وأخبره أنه سيدفن عند سور القسطنطينية، ولذلك كان حريصاً على ذلك وأوصى به رغم أن معسكره كان بعيداً عن القسطنطينية.

٣. ورد في صفاته «قرب الاستناد/ ٤٥» أن علياً عليه السلام سأله: «يا أبا أيوب، ما بلغ من كرم أخلاقك؟ قال: لا أؤذي جاراً فمن دونه، ولا أمنعه معروفاً أقدر عليه. قال: ثم قال: ما من ذنب إلا وله توبة، وما من تائب إلا وقد تسلم له توبته، ما خلا السبيء الخلق، لا يكاد يتوب من ذنب إلا وقع في غيره أشر منه».

وروي عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يدخل الحمام إلا بمئزر». مجمع الزوائد: ٢٧٨/١.

وهذا يدل على أنهم كانوا في الجاهلية يدخلون الحمام عراة، فعلمهم الإسلام الحياء. وفي المناقب: ١١٤/١: «عن سلمان أنه صلى الله عليه وآله لما نزل دار أبي أيوب لم يكن له سوى جدي وصاع من شعير فذبح له الجدي وشواه وطحن الشعير وعجنه وخبزه وقدم بين يدي النبي صلى الله عليه وآله فأمر بأن ينادى: ألا من أراد الزاد فليأت دار أبي أيوب، فجعل أبو أيوب ينادي والناس يهرعون كالسيل حتى امتلأت الدار فأكل الناس بأجمعهم والطعام لم يتغير، فقال النبي صلى الله عليه وآله: إجمعوا العظام، فجمعوها فوضعها في إهابها ثم قال: قومي ياذن الله تعالى فقام الجدي! فضج الناس بالشهادتين».

٤. وكان أبو أيوب يصدع بإمامة أهل البيت:، ففي الخصال/ ٤١٢: «عن أبي أيوب الأنصاري قال: إن رسول الله مرض مرضة فأتته فاطمة عليها السلام تعودوه وهو ناقة من مرضه، فلما رأت ما برسول الله صلى الله عليه وآله من الجهد والضعف خنقتها العبرة حتى جرت دمعتها على خدها، فقال النبي صلى الله عليه وآله لها: يا فاطمة إن الله جل ذكره اطلع على الأرض اطلاعة فاختار منها أباك واطلع ثانية فاختار منها بعلك،

فأوحى إلي فأنكحتك، أما علمت يا فاطمة أن لكرامة الله إياك زوجك أقدمهم سلماً وأعظمهم حليماً وأكثرهم علماً. قال: فسرت بذلك فاطمة واستبشرت بما قال لها رسول الله ﷺ، فأراد رسول الله أن يزيد ما يزيد الخير كله من الذي قسمه الله له ولمحمد وآل محمد، فقال ﷺ: يا فاطمة لعلني ثمان خصال: إيمانه بالله وبرسوله، وعلمه وحكمته، وزوجته، وسبطاه حسن وحسين، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وقضاؤه بكتاب الله. يا فاطمة إنا أهل بيت أعطينا سبع خصال لم يعطها أحد من الأولين قبلنا ولا يدر كها أحد من الآخرين بعدنا: نبينا خير الأنبياء وهو أبوك، ووصينا خير الأوصياء وهو بعلك، وشهيدنا سيد الشهداء وهو حزة عم أبيك، ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة وهو جعفر، ومنا سبطا هذه الأمة، وهما ابناك. وفي رواية كفاية الأثر/ ١١٣: «ومنا الأئمة المعصومون من صلب الحسين، ومنا مهدي هذه الأمة».

٥. وكان من الإثني عشر الذين وقفوا ضد السقيفة وخطبوا: ففي الإحتجاج/ ١/ ٩٧ والخصال/ ٦١، عن أبان بن تغلب قال: «قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام جعلت فداك هل كان أحد في أصحاب رسول الله أنكر على أبي بكر فعله وجلسه مجلس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، كان الذي أنكر على أبي بكر اثني عشر رجلاً. من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص وكان من بني أمية، وسلمان الفارسي، وأبوذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وبريدة الأسلمي. ومن الأنصار: أبو الهيثم بن التيهان، وسهل وعثمان ابنا حنيف، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وأبي بن كعب، وأبو أيوب الأنصاري.. وغيرهم. فلما صعد المنبر تشاوروا بينهم في أمره فقال بعضهم: هلا نأتيه فننزله عن منبر رسول الله ﷺ. وقال آخرون: إن فعلتم ذلك أعتتم على أنفسكم، وقال الله عز وجل: وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ. ولكن إمضوا بنا إلى علي بن أبي طالب نستشير به ونستطلع أمره. فأتوا علياً عليه السلام فقالوا: يا أمير المؤمنين ضيعت نفسك وتركت حقاً أنت أولى به، وقد أردنا أن نأتي الرجل فننزله عن منبر رسول الله ﷺ فإن الحق حقاك، وأنت أولى بالأمر منه، فكرهنا أن ننزله من دون مشاورتك. فقال لهم علي عليه السلام: لو فعلتم ذلك ما كنتم إلا حرباً لهم، ولا كنتم إلا كالكحل في العين أو كالمخ

في الزاد، وقد اتفقت عليه الأمة التاركة لقول نبيها، والكاذبة على ربه! ولقد شاورت في ذلك أهل بيتي فأبوا إلا السكوت، لما تعلمون من وَغَر صدور القوم وبغضهم لله عز وجل ولأهل بيت نبيه ﷺ وأنهم يطالبون بشارات الجاهلية! والله لو فعلتم ذلك لشهروا سيوفهم مستعدين للحرب والقتال، كما فعلوا ذلك حتى قهروني وغلّبوني على نفسي ولبيوني، وقالوا لي: بايع وإلا قتلناك، فلم أجد حيلة إلا أن أَدْفَع القوم عن نفسي! وذلك أني ذكرت قول رسول الله ﷺ: يا علي إن القوم نقضوا أمرك واستبدوا بها دونك وعصوني فيك، فعليك بالصبر حتى ينزل الأمر! ألا وإنهم سيغدرون بك لا محالة، فلا تجعل لهم سبيلاً إلى إذلالك وسفك دمك، فإن الأمة ستغدر بك بعدي! كذلك أخبرني جبرئيل عن ربي تبارك وتعالى! ولكن اتسوا الرجل فأخبروه بما سمعتم من نبيكم ﷺ ولا تجعلوه في الشبهة من أمره، ليكون ذلك أعظم للحجة عليه، وأبلغ في عقوبته إذا أتى ربه وقد عصى نبيه ﷺ وخالف أمره! قال: فانطلقوا حتى حفوا بمنبر رسول الله ﷺ يوم الجمعة فقالوا للمهاجرين: إن الله عز وجل بدأ بكم في القرآن فقال: لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فبكم بدأ. وكان أول من بدأ وقام، خالد بن سعيد بن العاص بإدلاله ببني أمية فقال: يا أبا بكر إتق الله فقد علمت ما تقدم لعلي من رسول الله ﷺ.. إلى آخر كلامه ومشادته مع عمر بن الخطاب. ثم قام أبو أيوب الأنصاري فقال: إتقوا الله في أهل بيت نبيكم، وردوا هذا الأمر إليهم، فقد سمعتم كما سمعنا في مقام بعد مقام، من نبي الله ﷺ، أنهم أولى به منكم. ثم جلس.

٦. أعلن أبو أيوب حديث الغدير، فقد «جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا:

السلام عليك يا مولانا، قال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله يوم غدير خم يقول: من كنت مولاه فإن هذا مولاه. قال رياح فلما مضوا تبعتهم فسألت من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري». مسند أحمد: ٤١٩/٥، وثقه في الزوائد: ١٠٣/٩ والرياض النضرة: ١٢٦/٣.

٧. وعندما ناشد علي عليه السلام الصحابة على وصية النبي صلى الله عليه وآله قام أبو أيوب وشهد له. ففي أسد الغابة لابن الأثير: ٣٠٧/٣: «نشد علي الناس في الرحبة من سمع النبي صلى الله عليه وآله يوم غدِير خم قال ما قال إلا قام؟ ولا يقوم إلا من سمع رسول الله يقول، فقام بضعة عشر رجلاً فيهم أبو أيوب الأنصاري، وأبو عمرة بن عمرو بن محسن، وأبو زينب بن عوف الأنصاري، وسهل بن حنيف، وخزيمة بن ثابت، وعبدالله بن ثابت الأنصاري، وحبشي بن جنادة الصلوي، وعبيد بن عازب الأنصاري، والنعان بن عجلان الأنصاري، وثابت بن وداعة الأنصاري، وأبو فضالة الأنصاري، وعبد الرحمن بن عبد رب الأنصاري، فقالوا: نشهد أنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ألا من كنت مولا فعلي مولا، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه، وأعن من أعانه».

٨. واجه أبو أيوب عليه السلام مروان بن الحكم في خلافة عثمان، فسكت مروان ولم يتجرأ عليه روى الحاكم: ٥١٥/٤: «عن داود بن أبي صالح قال: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر، فأخذ برقبته وقال: أتدري ما تصنع؟ قال: نعم. فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه فقال: جئت رسول الله صلى الله عليه وآله ولم آت الحجر. سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن إبكوا عليه إذا وليه غير أهله».

أي اعترض عليه مروان لأنه أكب على القبر الشريف، لأن السلطة حرمت ذلك! فقال له أبو أيوب: يا مروان أنا أزور رسول الله صلى الله عليه وآله وأكلمه، ولا أعبد الحجر كما تزعمون، وأنتم الذين وليتم الأمة بدون حق وغيرتم الدين، وأنتم الذين قال فيكم النبي صلى الله عليه وآله: إبكوا على الدين إذا وليه غير أهله! فسكت مروان!

٩. وكان أبو أيوب فارساً قائداً شجاعاً، ففي المناقب: ٣٥٥/٢: «وبرز أبو أيوب الأنصاري فنكلوا عنه، فحاذى معاوية حتى دخل فسطاطه». ومعناه أنهم خافوا من مبارزته، أو خافوا أن يفتضحوا إن قتلوه.

وكان في معركة النهروان قائد ميمنة جيش علي عليه السلام، وتقدم نحو معسكرهم ورفع لهم راية الأمان. شرح النهج لابن ميثم البحراني: ١٥٣/٢.

وفي المناقب: ٣٧٤/٢، «أن علياً عليه السلام عقد للحسين عليه السلام في عشرة آلاف، ولقيس بن سعد في عشرة آلاف، ولأبي أيوب الأنصاري في عشرة آلاف».

وفي الطبري: ٦٤/٤ أن علياً عليه السلام جعل على الخيل أبأيوب الأنصاري، ورفع معه راية أمان «فناداهم أبوأيوب: من جاء هذه الراية منكم ممن لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن، ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن، إنه لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا منكم في سفك دماءكم. فقال فروة بن نوفل الأشجعي والله ما أدري على أي شيء نقاتل علياً، لا أرى إلا أن أنصرف حتى تنفذ لي بصيرتي في قتاله أو اتباعه، وانصرف في خمس مائة فارس حتى نزل البندنجين والدسكرة، وخرجت طائفة أخرى متفرقين فنزلت الكوفة، وخرج إلى علي منهم نحو من مائة وكانوا أربعة آلاف فكان الذين بقوا مع عبدالله بن وهب منهم ألفين وثمان مائة وزحفوا إلى علي، وقدم على الخيل دون الرجال وصف الناس وراء الخيل صفين وصف المرامية أمام الصف الأول وقال لأصحابه: كفوا عنهم حتى يبدؤوكم». وفيه: وشد أبوأيوب على زيد بن حصين من قادتهم فقتله، وشد أبو المعتمر الكناني على حرقوص بن زهير رئيسهم فقتله. وفي المناقب: ٣٧٠/٢: «وجرت بينهم مخاطبات فجعل بعضهم يرجع، فأعطى أمير المؤمنين عليه السلام راية الأمان مع أبي أيوب الأنصاري، فناداهم أبوأيوب: من جاء إلى هذه الراية، أو خرج من بين الجماعة فهو آمن. فرجع منهم ثمانية آلاف رجل، فأمرهم أمير المؤمنين عليه السلام أن يتميزوا منهم، وأقام الباكون على الخلاف وقصدوا إلى النهروان».

١٠. أعلن أبوأيوب أن حب علي عليه السلام ميزان وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عهد له أن يقاتل

أعداءه: ففي علل الشرائع: ١٤٥/١: «قال أبوأيوب الأنصاري: أعرضوا حب علي على أولادكم، فمن أحبه فهو منكم، ومن لم يحبه فاسألوا أمه من أين جاءت به،

فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب: لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق، أو ولد زنية، أو حملته أمه وهي طامث».

وفي كبير الطبراني: ١٧٢/٤: «عن مخنف بن سليم قال: أتينا أبا أيوب الأنصاري وهو يعلف خيلاً له بضيعتنا فقلنا عنده، فقلت له: أبا أيوب قاتلت المشركين مع رسول الله ﷺ ثم جئت تقاتل المسلمين؟ قال: إن رسول الله أمرني بقتال ثلاثة الناكثين والقاسطين والمارقين، فقد قاتلت الناكثين، وقاتلت القاسطين، وأنا مقاتل إن شاء الله المارقين، بالشعفات بالطرقات بالنهراوات وما أدري ما هم».

ورواه الخطيب في تاريخ بغداد: ١٨٨/١٣ وابن عساكر في تاريخ دمشق: ٤٧٢/٤٢ بسند صحيح عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة والأسود قالوا: «أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفين فقلنا له: يا أبا أيوب إن الله أكرمك بنزول محمد ﷺ وبمجيء ناقته تفضلاً من الله وإكراماً لك حتى أناخت ببابك دون الناس، ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلا الله! فقال: يا هذان إن الرائد لا يكذب أهله، وإن رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاثة مع علي: بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين. فأما الناكثون فقد قاتلناهم: أهل الجمل طلحة والزبير، وأما القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم، معاوية وعمراً، وأما المارقون فهم أهل الطرفاوات وأهل السعيفات وأهل النخيلات وأهل النهروانات، والله ما أدري أين هم، ولكن لا بد من قتالهم إن شاء الله. قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار: يا عمار تقتلك الفئة الباغية، وأنت إذ ذاك مع الحق والحق معك، يا عمار بن ياسر، إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره، فاسلك مع علي فإنه لن يدلِكَ في ردى ولن يخرجك من هدى، يا عمار من تقلد سيفاً أعان به علياً على عدوه، قلده الله يوم القيامة وشاحين من در، ومن تقلد سيفاً أعان به عدو علي عليه، قلده الله يوم القيامة وشاحين من نار! قلنا: يا هذا حسبك رحمك الله، حسبك رحمك الله!»!

وروى قول عمار رضي الله عنه: «سمعت النبي ﷺ يقول: يا علي ستقاتلك الفئة الباغية، وأنت على الحق، فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني!»!

الليث بن سعد  
الليث بن سعد  
الليث بن سعد

١١. كان والي المدينة، لكنه لم يقاوم غارة بُسر بن أرطاة! فقد أرسل معاوية بسر بن أبي أرطاة ليغير على المدينة، فخاف منه الناس لشدة فتكه، فنكّل بهم، وكان أبو أيوب والي المدينة فهرب منها! قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: ٩/٢: «فدخلوها، وعامل علي عليها أبو أيوب الأنصاري، صاحب منزل رسول الله فخرج عنها هارباً ودخل بُسر المدينة فخطب الناس وشمّهم وتهددهم يومئذ وتوعدهم، وقال: شاهت الوجوه! قال الله تعالى: وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَوْمًا كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ. وقد أوقع الله تعالى ذلك المثل بكم وجعلكم أهله، كان بلدكم مهاجر النبي ومنزله، وفيه قبره ومنازل الخلفاء من بعده، فلم تشكروا نعمة ربكم، ولم ترعوا حق نبيكم، وقتل خليفة الله بين أظهركم، فكنتم بين قاتل وخاذل، ومتربص وشامت، إن كانت للمؤمنين قلتم: ألم نكن معكم! وإن كان للكافرين نصيب قلتم: ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين! ثم شتم الأنصار فقال: يا معشر اليهود وأبناء العبيد، بني زريق وبني النجار وبني سالم وبني عبد الأشهل، أما والله لأوقعن بكم وقعة تشفي غليل صدور المؤمنين وآل عثمان، أما والله لأدعنكم أحاديث كالأمم السالفة. فتهددهم حتى خاف الناس أن يوقع بهم، ففزعوا إلى حويطب بن عبد العزى ويقال إنه زوج أمه فصعد إليه المنبر فناشده، وقال: عترتك وأنصار رسول الله، وليسوا بقتلة عثمان، فلم يزل به حتى سكن، ودعا الناس إلى بيعة معاوية فبايعوه. ونزل فأحرق دوراً كثيرة، منها دار زرارة بن حرون، أحد بني عمرو بن عوف، ودار رفاعة بن رافع الزرقعي، ودار لابن أبي أيوب الأنصاري، وتفقد جابر بن عبد الله، فقال: مالي لا أرى جابراً! يا بني سلمة، لا أمان لكم عندي، أو تأتوني بجابر! فعاد جابر بأم سلمة رضي الله عنها فأرسلت إلى بسر بن أرطاة، فقال: لا أؤمنه حتى يبايع فقالت له أم سلمة: اذهب فبايع، وقالت لابنها عمر اذهب فبايع، فذهب فبايعه. قال إبراهيم: وروى الوليد بن كثير عن وهب بن كيسان قال: سمعت جابر بن



عبدالله الأنصاري يقول: لما خفت بسرًا وتواريت عنه قال لقومي: لا أمان لكم عندي حتى يحضر جابر، فأتوني وقالوا: ننشدك الله لما انطلقت معنا فبايعت فحققت دمك ودماء قومك، فإنك إن لم تفعل قتلت مقاتلتنا، وسييت ذرارينا! فاستنظرتهم الليل، فلما أمسيت دخلت على أم سلمة فأخبرتها الخبر فقالت: يا بني انطلق فبايع، احقن دمك ودماء قومك، فإني قد أمرت ابن أخي أن يذهب فيبايع، وإني لأعلم أنها بيعة ضلالة».

أقول: كانت غارة ابن أوطاة على المدينة ومكة واليمن، أكثر غارات معاوية فتكاً وتخريباً ونهباً وحرقاً وتقتيلاً، فقد بلغ قتلها ثلاثون ألفاً!

قال ابن عبد البر في الإستيعاب: ١٦١/١: «ثم أرسل معاوية بسر بن أوطاة إلى اليمن فسبى نساء مسلمات، فأقمن في السوق!»!

أي باعوهن! وكان من الطبيعي لأبي أيوب رضي الله عنه أن يقاومه، لكن يظهر أن أهل المدينة كانوا في حالة شديدة من الضعف والانهيار، ولعل أبا أيوب كان مريضاً، وإلا فهو قائد عسكري ومن شجعان الأنصار رضي الله عنه.

١٢. ساعات علاقة أبي أيوب مع معاوية لكنه لم يترك الجهاد: «غزا أرض الروم فمر على معاوية فجفاه، فانطلق ثم رجع من غزوته فجفاه، ولم يرفع له رأساً فقال: أنبأني رسول الله ﷺ أنا سنرى بعده أثره. قال معاوية: فبم أمركم؟ قال: أمرنا أن نصبر. قال: إصبروا إذاً!» مجمع الزوائد: ٣٢٣/٩ وصححه.

وفي رواية الحاكم: ٤٥٩/٣: «قال وما أمركم؟ قال: أمرنا أن نصبر حتى نرد عليه الحوض، قال: فاصبروا. قال: فغضب أبو أيوب وحلف أن لا يكلمه أبداً».

١٣. حرص أبو أيوب رضي الله عنه على أن يُدفن عند سور القسطنطينية. ففي المناقب: ١٢٢/١: «حكى القعبي أن أبا أيوب الأنصاري رؤي عند خليج قسطنطينية فسئل عن حاجته قال: أما دنياكم فلا حاجة لي فيها، ولكن إن مت فقدموني ما استطعتم في بلاد العدو، فإني سمعت رسول الله يقول: يدفن عند سور القسطنطينية

رجل صالح من أصحابي، وقد رجوت أن أكونه».

وزعم رواة السلطة أنه كان مع يزيد بن معاوية في تلك الغزوة فتوفي، والصحيح أنه كان في معسكر الفرقدونه وهو بعيد عن القسطنطينية، وكان الجيش ينتظر مجيء يزيد ليقوده إلى القسطنطينية لكنه لم يأت وبقي مشغولاً بخمره في دير مران قرب دمشق، حتى وقع المرض والوباء في الجيش ومات قسم منهم، فأوصاهم أبوأيوب رضي الله عنه إن مات أن ينقلوا جنازته ويدفونه عند سور القسطنطينية، ليكون الذي وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فحملوا جنازته مسافة يومين.

وفي رواية الحاكم: ٤٥٧/٣: «إذا أنا متُّ فاركب ثم اسع في أرض العدو ما وجدت مساعاً، فإذا لم تجد مساعاً فادفني ثم ارجع». ونحوه الإستيعاب: ١٦٠٧/٤. وفي النهاية: ٥٩/٨: «ولينطلقوا فيبعدوا بي في أرض الروم ما استطاعوا». ونحوه تاريخ دمشق: ٥٩/١٦ والإصابة: ٢٠٠/٢ وغريب الحديث: ٧١٣/٢ وأسد الغابة: ٨٢/٢ وسيرالذهبي: ٤٠٤/٢، الطبقات: ٣/٤٨٥، في رواية أخرى: «ولينطلقوا فيليبعدوا ما استطاعوا... فانطلقوا بجنازته ما استطاعوا. وفي الروض الأنف ٩٤/٤: فركب المسلمون به حتى إذا لم يجدوا مساعاً دفنوه. وقد نص البلاذري وهو مؤرخ ثبت على أن يزيداً لم يذهب حتى إلى معسكر الفرقدونة، الذي كان ينتظره، حتى وقع فيه المرض!

قال البلاذري في أنساب الأشراف/١١٤٩: «وأمر يزيد بالغزو وفتاقل واعتلّ، فأمسك عنه!» وأرسل له معاوية أرسل مرات أن يتحرك فلم يفعل، وقال:

إذا اتكأْتُ على الأثماط مرتفقاً      بدير مُرْزَانَ عندي أم كلثوم

فأبالي بما لاقت جموعهم      بالغدقذونة من حمى ومن مُوم

وفي تاريخ دمشق: ٤٠٦/٦٥: «فكبر ذلك على معاوية فاطلع يوماً على ابنه يزيد وهو يشرب وعنده قينة تغنيه الأبيات المتقدمة، فقال معاوية: أقسم عليك يا يزيد لترحلن حتى تنزل مع القوم وإلا خلعتك»، فتهياً يزيد للرحيل وكتب إلى أبيه:

تجنّي لا تنزال تعدد ديناً      ليقطع وصل حبلك من حبالي

فيوشك أن يريحك من بلائي      نزولي في المهالك وارتحالي

بيت أبي أيوب الأنصاري

وفي الأغاني: ٢١١/١٧: «فأصاهم جدرى فمات أكثر المسلمين، وكان ابنه يزيد مصطبجاً بدير مران مع زوجته أم كلثوم، فبلغه خبرهم فقال... البيتين.

والموم أو البرسام: التهاب رئوي يسمى ذات الجنب، وفسه بعضهم بالجدري. لسان العرب: ١٢/ ٤٦ والعين: ٨/ ٤٢٢.

أنظر كيف فصلوا هذا الحديث على مفاص معاوية وابنه يزيد!

قال بخاري في صحيحه: ٢٣٢/٣: «فحدثنا أم حرام أنها سمعت النبي ﷺ يقول: أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا. قالت أم حرام: قلت يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم. ثم قال النبي ﷺ: أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم! فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: لا».

وقصدها أن معاوية أول من غزا في البحر لفتح قبرص فقد أوجب، أي استحق الجنة! وبنت ملحان هي أم أنس، وكانت زوجة عبادة بن الصامت ﷺ وكان قائداً في جيش قبرص، وماتت بنت ملحان هناك.

قال في فتح الباري: ٧٤/٦: «قال المهلب: في هذا الحديث منقبة لمعاوية، لأنه أول من غزا البحر، ومنقبة لولده يزيد، لأنه أول من غزا مدينة قيصر».

وقد عدها ابن تيمية منقبة ليزيد، وكررها في كتبه! كما في منهاجه: ٥٤٤/٤ و٥٧١ وقال في مجموع الفتاوى: ٤١٣/٣ «فإن كان فاسقاً أو ظالماً فالله يغفر للفاسق والظالم لا سيما إذا أتى بحسنات عظيمة». ونحوه في: ٤/ ٨٦ و ١٨/ ٣٥٢ وغيرها.

والصحيح أنهم كذبوا في الغزوتين، وفي جعلها منقبة! وقد أوضحنا ذلك في المجلد الثاني الخاص بمعاوية من جواهر التاريخ.

وادعت رواية أن يزيداً وصل إلى استانبول: «ضرب باب القسطنطينية بعمود حديد كان في يده فهشمه حتى انخرق، فضرب عليه لوح من ذهب، فهو عليه إلى اليوم!» لكن لم تذكر الرواية لماذا لم يدخل الجنود من مكان ضربة يزيد التي خرقت باب السور، وأن جنود الروم ماتوا من عزم الضربة!

## الفصل الثلاثون

### النبي ﷺ يؤسس مسجد قباء

#### ١- مسجد قباء: أول مسجد أسس على التقوى

قال الله تعالى: لَمَسْجِدٍ أُبَيِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رَبِّهِ رِجَالٌ مُجْتَبُونَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى اللَّهِ يُحِبُّ الْمُنْظَرِينَ.

وفي التهذيب: ١٧/٦ قال الإمام الصادق عليه السلام: لا تدع إتيان المشاهد كلها: مسجد قبا فإنه المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، ومشربة أم إبراهيم، ومسجد الفضيخ، وقبور الشهداء، ومسجد الأحزاب، وهو مسجد الفتح».

وقال عليه السلام كما في جواهر الكلام: ١٠٨/٢٠: «هل أتيتم مسجد قبا أو مسجد الفضيخ أو مشربة أم إبراهيم؟ فقلت: نعم، فقال: إنه لم يبق من آثار رسول الله ﷺ شئ إلا وقد عُيِّرَ غير هذا. قال رسول الله ﷺ: من أتى مسجد قبا فصلى فيه ركعتين رجع بعمرة. إبدأ بقبا فصل فيه وأكثر فيه، فإنه أول مسجد صلى فيه رسول الله في هذه العرصة». راجع: العياشي: ١١١/٢، كامل الزيارات/ ٦٤ و٦٦ والفقهاء: ٢٢٩/١.

ويظهر أن لروح النبي ﷺ ارتباطاً بمسجد قباء، فقد روي أن أمير المؤمنين عليه السلام احتج على أبي بكر بعد السقيفة وقال له: هل تتوب إن رأيت النبي ﷺ وأمرك برد الحق إلى صاحبه؟ قال نعم، فأخذه إلى مسجد قباء ورأى النبي ﷺ جالسا في محرابه، وأمره برد الحق إلى صاحبه! بصائر الدرجات/ ٢٩٧ والإختصاص/ ٢٧٢.

## ٢- مسجد الضرار خطة رومية ضد النبي ﷺ!

قال الله تعالى: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. لَاتَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُتِيَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا بِاللَّهِ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ. أَفَمَنْ أَتَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرًا مِمَّنْ أَتَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ سَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارِيهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.

وقد أسس مسجد الضرار جماعة أبي عامر الراهب، الذي سماه النبي ﷺ أبا عامر الفاسق، وبنوه في السنة التاسعة للهجرة ليكون مقرأ لهم، فكشفهم الله تعالى وأمر رسوله ﷺ أن يهدمه فهدمه، وجعله المسلمون موضع كناسة!

وقد رأيت موضعه قبل نحو أربعين سنة، إلى يسار الداخل إلى مسجد قباء، وكان محل قمامة، لكن الوهابيين أزالوه.

وفي تفسير القمي ٣٠٥/١: «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا. فإنه كان سبب نزولها أنه جاء قوم من المنافقين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله أتأذن لنا أن نبني مسجداً في بني سالم، للعليل والليللة المطيرة والشيخ الفاني؟ فأذن لهم رسول الله وهو على الخروج إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله لو أتيتنا فصليت فيه؟ قال ﷺ: أنا على جناح سفر فإذا وافيت إن شاء الله أتيتته فصليت فيه، فلما أقبل رسول الله من تبوك نزلت عليه هذه الآية في شأن المسجد وأبي عامر الراهب: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ، يعني أبا عامر الراهب كان يأتيهم في ذكر رسول الله ﷺ وأصحابه. وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. لَاتَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُتِيَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ يعني مسجد قباء، أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا بِاللَّهِ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ. قال كانوا يتطهرون بالماء. و قوله: أَفَمَنْ أَتَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرًا مِمَّنْ أَتَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ سَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارِيهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.

فبعث رسول الله مالك بن الدخشم الخزاعي، وعامر بن عدي على أن يهدموه ويحرقوه، فجاء مالك فقال لعامر: إنتظرنى حتى أخرج ناراً من منزلي، فدخل فجاء

الكتاب  
الذي  
يعني

بنار وأشعل في سعف النخل، ثم أشعله في المسجد فتفرقوا، وقعد زيد بن حارثة حتى احترقت البنية، ثم أمر بهدم حائطه».

وقال ابن هشام: ٩٥٦/٤: «كان الذين بنوه اثني عشر رجلاً: خدام بن خالد، من بني عبيد بن زيد، أحد بني عمرو بن عوف، ومن داره أخرج مسجد الشقاق، وتعلبة بن حاطب، من بني أمية بن زيد، ومعتب بن قشير من بني ضبيعة بن زيد. وأبو حبيبة بن الأزعر من بني ضبيعة بن زيد، وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف، من بني عمرو بن عوف، وجارية بن عامر وابناه: مجمع بن جارية، وزيد بن جارية. ونبتل بن الحارث من بني ضبيعة. وبحزج من بني ضبيعة، ويجاد بن عثمان من بني ضبيعة، ووديعه بن ثابت وهو من بني أمية بن زيد».

### ٣- أبو عامر الراهب الفاسق مندوب هرقل

في أعيان الشيعة: ٢٨٤/١: «وقوله تعالى: وَإِذَا دَأَبْتِ الْجَاهِلِيَّةَ لَبِيسًا وَمَا كَفَرَ بِهِ قَبْلُ: يراد به أبو عامر الراهب، وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح «ثياب الشعر» فلما قدم النبي ﷺ المدينة حزب عليه الأحزاب، ثم هرب بعد فتح مكة إلى الطائف، فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام وخرج إلى الروم وتنصر، وسماه رسول الله ﷺ أبا عامر الفاسق».

وفي الصحيح من السيرة: ١٣٠/٤: «عن سعيد بن المسيب.. أبو عامر النعمان بن صفيي الراهب، الذي سماه النبي ﷺ: الفاسق، كان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح، فقدم المدينة فقال للنبي ﷺ: ما هذا الذي جئت به؟ قال: جئت بالحنيفية دين إبراهيم، قال: فأنا عليها فقال ﷺ: لست عليها لكنك أدخلت فيها ما ليس منها. فقال أبو عامر: أمات الله الكاذب منا طريداً وحيداً، فقال النبي ﷺ: نعم أمات الله الكاذب منا كذلك!

وإنما قال هذا يعرض برسول الله ﷺ حيث خرج من مكة. فلما كان يوم أحد قال أبو عامر لرسول الله: إن أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك

معهم، فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين، فلما انهزمت هوازن خرج إلى الروم، وكتب إلى المنافقين: إستعدوا فإني آتيكم من عند قيصر بجند لنخرج محمداً من المدينة، فمات بالشام طريداً وحيداً. وفيه نزل: وَإِذَا دَا لَتِنَ حَارَبَ اللّٰهَ وَرَّسُولَهُ مِن قَبْلُ. وبجاء الأنوار: ٣٦/٢٢. تفسير الثعلبي: ٩٢/٥ وأسباب النزول للواحي/ ١٧٥.

وفي شرح النهج: ٢١٩/١٤: «كان أبو عامر الفاسق قد خرج في خمسين رجلاً من الأوس حتى قدم بهم مكة حين قدم النبي ﷺ يجرضها ويعلمها أنها على الحق وما جاء به محمد باطل! فسارت قريش إلى بدر ولم يسر معها، فلما خرجت قريش إلى أحد سار معها، وكان يقول لقريش: إني لو قدمت على قومي لم يختلف عليكم منهم اثنان». وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٤٨٨: «قال موسى بن جعفر عليه السلام: وعاد رسول الله ﷺ غانماً ظافراً «من تبوك» وأبطل الله تعالى كيد المنافقين، أمر رسول الله بإحراق مسجد الضرار، وأنزل الله تعالى: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا.. الآيات. ثم ذكر أن أبا عامر الراهب كان عجل هذه الأمة كعجل قوم موسى، وأنه دمر الله عليه وأصابه بقولنج وبرص وجمام وفالج ولقوة، وبقي أربعين صباحاً في أشد عذاب، ثم صار إلى عذاب الله تعالى». راجع في قصة أبي عامر الراهب: البحار: ٢٥٢/٢١، شرح النهج: ٢١٩/١٤ و٢٤٤، ابن هشام: ٤٢٣/٢ و٩٥٦/٤، نظرية عدالة الصحابة/ ٤٥، وقصص الأنبياء للراوندي/ ٣٥٠. تفسير الطبري: ٣٨/١١ والإستيعاب: ٣٨١/١.

وجماعته على مبنى المخالفين لمذهب أهل البيت عليهم السلام: صحابة عدول!

#### ٤- حنظلة بن أبي عامر الفاسق وابنه عبدالله!

جاء أبو عامر الفاسق مع قريش إلى حرب أحد مع النبي ﷺ وشارك فيها، وحفر في مواجهة المسلمين حفائر وغطاها، ليقع المسلمون فيها، فوقع النبي ﷺ في إحداها! وكان له ولد إسمه حنظلة أسلم، أسرع إلى أحد وترك عروسه وقاتل مع النبي ﷺ، وقصد أبا سفيان وكاد أن يقتله فتكاثرت عليه المشركون وقتلوه ﷺ، فسبحان من يخرج الحي من الميت، وسيأتي خبره في معركة أحد.

قال الصدوق في من لا يحضره الفقيه ١/١٥٩: «استشهد حنظلة بن أبي عامر الراهب بأحد فلم يأمر النبي ﷺ بغسله وقال: رأيت الملائكة بين السماء والأرض تغسل حنظلة بماء المزن في صحاف من فضة، وكان يسمى غسيل الملائكة». وكان حنظلة ولداً لاسمه عبدالله كان رئيس الأنصار في زمنه، وأوفده إلى الشام ليتعرف على حقيقة يزيد بن معاوية وما شاع من فسقه وتهتكه: «فقدموا على يزيد وهو بحوَّارين فنزلوا على الوليد بن عتبة، فأقاموا عشرة أيام لم يصلوا إلى يزيد! وانتقل يزيد من حوارين منتزهاً، وشخصَّ الوفد معه، فأذن لهم يوم الجمعة. واعتذر إليهم من تركه الإذن لهم عليه وقال: لم أزل وجعاً من رجلي إن الذباب ليسقط عليها فيخيل إليّ أن صخرة سقطت عليها. وأذن لهم في الإنصاف فرجعوا ذامين له مجمعين على خلعه» تاريخ دمشق: ٢٦/٢٥٨ والطبري: ٤/٣٨٠.

قال في الطبقات: ٥/٦٦: «أجمعوا على عبدالله بن حنظلة فأسندوا أمرهم إليه فبايعهم على الموت وقال: يا قوم إتقوا الله وحده لا شريك له، فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء! إن رجلاً ينكح الأمهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة! والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاء حسناً! فتوائب الناس يومئذ يبايعون من كل النواحي».

وهكذا كانت ثورة أهل المدينة بعد كربلاء بسنتين، فأرسل إليهم يزيد جيشاً أمعن تقتيلاً في بقية الصحابة والتابعين، واستباح المدينة وقتل عبدالله بن حنظلة. راجع ما كتبناه عن ثورة أهل المدينة في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام.





## الفصل الحادي والثلاثون

# فريضة الهجرة وحقوق المهاجرين في الإسلام

### ١- أمر النبي ﷺ لجميع المسلمين بالهجرة

اتفقت المصادر على أن النبي ﷺ أرسل مصعب بن عمير إلى المدينة بعد بيعة العقبة الأولى، وكان عدد المسلمين فيها أربعين مسلماً، ثم تكاثروا وجاء منهم في الموسم نحو سبعين وبيعوا النبي ﷺ، فأمر المسلمين بالهجرة اليهم فهاجروا، وانتظر هو حتى أمره ربه بالهجرة فهاجر. وهذا نجحت خطة النبي ﷺ في إيجاد قاعدة تحميه من قريش، وتوفر له الجو المناسب ليبلغ رسالة ربه عز وجل، رغم أنف قريش وفعالياتها المستميتة لقتله ﷺ!

قال المسعودي في التنبيه والإشراف/٢٠٠: «كان رسول الله ﷺ أمر أصحابه قبل هجرته بالهجرة إلى المدينة، فخرجوا أرسالاً فكان أولهم قدوماً أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وعامر بن ربيعة، وعبد الله بن جحش الأسدي، وعمر بن الخطاب، وعياش بن أبي ربيعة».

وقال الواحدي في أسباب النزول/١٦٤: «لما أمر رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة جعل الرجل يقول لأبيه وأخيه وأمرأته: إنا قد أمرنا بالهجرة، فمنهم من يسرع إلى ذلك ويعجبه، ومنهم من يتعلق به زوجته وبيته وولده، فيقولون: نشدناك الله أن تدعنا إلى غير شيء فنضيع، فيرق فيجلس معهم ويدع الهجرة، فنزل بعناهم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ.. ونزل في الذين تخلفوا بمكة ولم يهاجروا قوله تعالى: قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا

وَمَسَاجِدُ تَرَضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ...»  
 وقال المقرئ في إمتاع الأسباع: ٥٥/٨: «اشتد الأذى على من بمكة من المسلمين فأذن لهم رسول الله ﷺ في الهجرة إلى المدينة، فبادروا إلى ذلك وتجهزوا إلى المدينة في خفاء وستر وتسللوا، فيقال: إنه كان بين أولهم وآخرهم أكثر من سنة، وجعلوا يترافدون بالمال والظهر ويترافقون، وكان من هاجر من قريش وحلفائهم يستودع دوره وماله رجلاً من قومه، فمنهم من حفظ من أودعه، ومنهم من باع.. أول من هاجر بعد العقبة الأخيرة وخرج أول الناس أبو سلمة.. ثم هاجر عمر، ثم تلاحق المسلمون بالمدينة فيخرجون من مكة أرسالاً».

## ٢- جعل الله الهجرة ميزاناً للإيمان والحقوق

١. جعل الله الهجرة ميزاناً في تقييم المسلمين، وعلاقاتهم، وثبوت حقوقهم المدنية. وقد بدأت بالهجرة إلى الحبشة لما أمر النبي ﷺ المسلمين المضطهدين، ثم أمر الباقين بالهجرة إلى المدينة قبل هجرته بأكثر من سنة. ثم أوجب الهجرة إلى المدينة على من يسلم، واستمرت الهجرة إلى فتح مكة فلا هجرة بعد الفتح، إلا الهجرة إلى الإمام علي، وإلى طلب العلم، والهجرة من البلاد التي ينقص فيها دينه!
  ٢. وقد تضمنت آيات الهجرة مديحاً كبيراً للمهاجرين، بشرط أن يكونوا مخلصين، فقال تعالى: ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ. وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُؤْتِيَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. النحل / ٤١-٤٢.
- وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قَاتَلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ. لِيَذِلَّ لَهُمْ مَذَلًّا يَرْضُونَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ. الحج / ٥٨-٥٩.
- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَأُولَئِكَ يَرْجُو رَحْمَةُ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. (البقرة / ٢١٨). وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَابٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. ١٠٠.

ونزلت أوائل آيات الهجرة في مدح علي والزهراء عليهما السلام ومن هاجر معهما كما تقدم فقال تعالى: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ.. الْآيَاتِ مِنْ آلِ عِمْرَانَ.

### ٣. وتضمنت حث الأنصار والمسلمين الميسورين على مساعدة المهاجرين، وشرعت

لهم حقوقاً، فقال تعالى: وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَمْ تُحِبُّوا أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. النور/٢٢.

مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ اللَّهُ إِنَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ. لِقُرَاءَةِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ. وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤِثِّرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَتْ يَوْمَ حِصَاةٍ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِأَخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ. الحشر/٧-١٠.

الَّذِينَ  
يَبْتَغُونَ  
فَضْلًا  
مِنَ اللَّهِ

### ٤. وجعلها الإسلام شرطاً لوجوب الولاية والناصر، فمن لم يهاجر لا تشرع

ولايته: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِي الْأَرْضِ وَقَسَادًا كَبِيرٌ. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ. وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. الأنفال/٧٢-٧٥.

فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا. وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا. إِلَّا الَّذِينَ

يَصْلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَـةَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا. النساء / ٨٨-٩٠.

## ٥. وأوجب الله الهجرة على كل المسلمين يومذاك وأسقطها عن العاجزين فقال

تعالى: إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا. إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَيْسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا. فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْتَمِدَهُمْ وَكَاتَ اللَّهُ عَفْوًَا غَفُورًا. وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا. النساء / ٩٧-١٠٠.

## ٦. والمهاجرون درجات ككل الناس، ومنهم من يذنب ثم يتوب، فيتوب الله

عليه: لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ تَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ. وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

## ٧. ومع فضل المهاجرين، ففضل الله المجاهدين منهم ومن غيرهم على القاعدين:

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا. دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا. النساء / ٩٥-٩٦.

## ٨. بل فضل الله الجهاد مع النبي ﷺ على كل مناصب الشرف التي تفخر بها

قريش: أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ. يُبَيِّرُهُم رَبُّهُمْ بِرَحْمَةِ

مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ. خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ. قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ. التوبة / ٢٤-١٦.

٩. ومع ولاية المهاجرين وأخوتهم لبعضهم، أبقى الله التوارث حسب النسب، فقال تعالى: النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً كان ذلك في الكتاب مسطوراً.

### ٣- القيمة الشرعية لإجماع المهاجرين والأنصار

تتكون أمة النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، وقد أخرج منها طلقاء قريش وعتقاء ثقيف وذرياتهم إلى يوم القيامة، فقال ﷺ: «المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم لبعض، والطلاق من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة».

وقد روته المصادر بأسانيد صحيحة بشرط الشيخين، كأحمد: ٣٦٣/٤ بروايتين، وأفتى عمر بأن رئاسة الدولة الإسلامية محرمة على الطلقاء، فقال «الطبقات ٣/٣٤٢» «هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد، ثم في أهل أحد ما بقي منهم أحد، وفي كذا وكذا، وليس فيها طليق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيء».

وقد بين أهل البيت ﷺ السبب في جعل الإسلام ما أجمع عليه المهاجرون والأنصار حجة شرعية وهو أن العترة النبوية الطاهرة ﷺ في هذه المجموعة فإجماعها يتضمن رأي الإمام المعصوم ﷺ الذي هو حجة شرعية كالقرآن، بحكم: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

ولذا احتج علي عليه السلام على معاوية بأنك إن لم تعترف بالنص النبوي على الخلافة، فإن المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا على بيعتي، فوجب عليك القبول!

قال عليه السلام لأبي هريرة وأبي الدرداء عندما جاءه برسالة معاوية: «قد أبلغتاني عنه فأبلغاه عني وقولا له: إن عثمان بن عفان لا يعدو أن يكون أحد رجلين، إما إمام هدى حرام الدم واجب النصرة لا تحل معصيته ولا يسع الأمة خذلانه، أو إمام ضلالة حلال الدم لا تحل ولايته ولا نصرته، فلا يخلو من إحدى الخصلتين. والواجب في حكم الله وحكم الإسلام على المسلمين بعدما يموت إمامهم أو يقتل ضالاً كان أو مهتدياً مظلوماً كان أو ظالماً حلال الدم أو حرام الدم، أن لا يعملوا عملاً ولا يحدثوا حدثاً ولا يقدموا يداً ولا يبداً أو بشيء، قبل أن يختاروا لأنفسهم إماماً عفيفاً عالماً ورعاً عارفاً بالقضاء والسنة، يجمع أمرهم ويحكم بينهم، ويأخذ للمظلوم من الظالم حقه ويحفظ أطرافهم ويجبي فيأهم ويقيم حاجتهم وجمعتهم ويجبي صدقاتهم، ثم يحتكمون اليه في إمامهم المقتول ظلماً ويحاكمون قتله اليه ليحكم بينهم بالحق، فإن كان إمامهم قتل مظلوماً حكم لأوليائه بدمه، وإن كان قتل ظالماً نظر كيف الحكم في ذلك.

هذا أول ما ينبغي أن يفعله أن يختاروا إماماً يجمع أمرهم إن كانت الخيرة لهم ويتابعوه ويطيعوه. وإن كانت الخيرة إلى الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن الله قد كفاهم النظر في ذلك والإختيار، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضي لهم إماماً، وأمرهم بطاعته واتباعه». كتاب سليم/ ٢٩١.

#### ٤- من أعمال السلطة لتحريف الهجرة ومصادرتها

أ- الهجرة في الإسلام نوعان: الأول: هجرة أمر بها النبي في عصره وانتهت بفتح مكة، ففي الكافي: ٤٤٣/٥، عن الإمام الصادق عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا رضاع بعد فطام، ولا وصال في صيام، ولا يتم بعد احتلام، ولا صمت يوم إلى الليل، ولا تعرب بعد الهجرة، ولا هجرة بعد الفتح، ولا طلاق قبل النكاح، ولا عتق قبل ملك، ولا يمين للولد مع والده، ولا للمملوك مع مولاه ولا للمرأة مع زوجها. ولا نذر في معصية، ولا يمين في قطيعة».

ونحوه في مبسوط السرخسي: ١٣٥/٥ عن جابر: «لا رضاع بعد الفصال، ولا يتم

بعد الحلم، ولا صمت يوم إلى الليل، ولا وصال في صيام، ولا طلاق قبل النكاح، ولا عتق قبل الملك، ولا وفاء في نذر في معصية، ولا يمين في قطيعة رحم، ولا تغرب بعد الهجرة، ولا هجرة بعد الفتح».

والنوع الثاني: هجرة بعد وفاة النبي ﷺ إلى الإمام ﷺ، وإلى طلب العلم، وهجرة من البلاد التي ينقص فيها دينه ولا يستطيع أداء واجباته! راجع: جواهر الكلام: ٣٦٣/١٣، ٣٣٧/١٧ و٣٤/٢١ والمغني: ٥١٣/١٠.

ب. من أعمال بطون قريش: أنهم جعلوا الهجرة امتيازاً مطلقاً لقريش وحقاً مكتسباً لكل مهاجر، فرفعوها شعاراً في مقابل الأنصار وأهل البيت ﷺ، لأنها برأيهم ميزت المهاجرين على الأنصار، وسأوتهم بأهل البيت ﷺ!

وقد حذف عمر الواو من قوله تعالى: وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ، ليجعل الأنصار تبعاً للمهاجرين، فوقف في وجه الأنصار وقالوا: إنهم مستعدون للحرب من أجل الواو! الحاكم: ٣٠٥/٣.

ج. ومن أعماهم: أنهم غلبوا الهجرة على الجهاد، فالمهاجر ممتاز على الناس حتى لو كان فراراً هرباً في الحرب، ناكثاً لبيعته للنبي ﷺ على أن لا يفر!

د. ومن أعماهم: «أنهم أهملوا شرط الهجرة، بأن تكون لله تعالى لا لمكسب دنيوي، مع أنهم رووا تشديد النبي ﷺ للمسلمين على نية الهجرة عندما قال النبي ﷺ لعمر: إنما لا مريء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنياً يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه». صحيح بخاري: ٢/١، وكرر روايته. وكذا الغازي المقاتل مسائل علي بن جعفر/ ٣٤٦.

وقد أخفوا الذين كانت نياتهم من هجرتهم دنيوية، ومنهم من كان يصرح بها كمهاجر أم قيس، الذي قال إنه هاجر ليتزوج أم قيس، وقد ضيعوا إسمه!

قال في فتح الباري: ١٦/١: «مهاجر أم قيس، ولم نقف على تسميته»!

ويظهر أن تحريف الهجرة بدأ في عهد النبي ﷺ، ولذا قال: «ألا أنبئكم لم سمي المؤمن

مؤمناً؟ لإيانه الناس على أنفسهم وأموالهم. ألا أنبئكم من المسلم؟ من سلم الناس يده ولسانه. ألا أنبئكم بالمهاجر؟ من هجر السيئات وما حرم الله عليه». علل الشرائع: ٥٣٢/٢، نحوه الكافي: ٢٣٥/٢، المحاسن: ٢٨٥/١ وفتح الباري: ٥١/١.

هـ. ومن أعمالهم: أنهم غطوا على قرشيين ارتدوا وعصوا ولم يهاجروا، وزعموا أنهم كانوا محبوسين من قبائلهم! ومن أمثلتهم ثلاثة من أقارب عتاة قريش، فقد زعم البخاري في سبع مواضع من صحيحه أن النبي ﷺ دعا لهم شهوراً في قوته أن ينجيهم الله من أيدي المشركين، ويقول: «اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين!» صحيح البخاري: ١٩٤/١، ١٥/٢، ٢٣٣/٣، ١٢٢/٤، ١٧١/٥، ١١٨/٧، ١٦٥ و١٦٥.

وهم: ابن الوليد بن المغيرة، وأخ أبي جهل، وابن عمه! «فتح الباري ١٧٠/٨». ومعنى دعاء النبي ﷺ لهم أنهم أختيار! ورووا أن هؤلاء اتفقوا على الهجرة مع عمر فمنعهم قومهم فنزلت فيهم آية التوبة فأرسلها لهم عمر. تفسير الطبري: ٢١/٢٤. لكنهم اعترفوا بأن عياشاً أخ أبي جهل: «قتل رجلاً مؤمناً، كان يعذبه مع أبي جهل!» وقالوا إنه أسلم وهاجر مع المهاجرين، فجاء أبو جهل إلى المدينة وربطه وأرجعه إلى مكة، فقال المشركون: «إن أباجهل ليقدر من محمد على ما يشاء. فيأخذ أصحابه فيربطهم!» تفسير الطبري: ٢٧٦/٥.

وروا: «كان الوليد بن الوليد على دين قومه وشهد بدرًا مع المشركين فأسر وافتدى، ثم أسلم ورجع إلى مكة فوثب عليه قومه فحبسوه مع عياش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام، فألحقه رسول الله ﷺ بهما في الدعاء». الطبقات: ١٣١/٤.

قال المقرئ في إمتاع الأسماع: ١١٤/٩: «وكان قوم من الأشراف قد أسلموا ثم فتنا «ارتدوا!» منهم سلمة بن هشام بن المغيرة، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص السهمي!»

فحقيقة هؤلاء «المهاجرين» أنهم ارتدوا، وبعضهم حارب النبي ﷺ في بدر!  
و. ومن أعمالهم: أنهم ادعوا أن آية غزوة الحديبية: وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ



لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخَلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا. «الفتح/ ٢٥». نزلت فيمن أحبوا من مشركي قريش وطلقائها! لذا لا يمكن الوثوق برواياتهم فيهم. وقد روينا عن أهل البيت عليهم السلام أن الآية تقصد المؤمنين في أصلاب المشركين، قال الإمام الصادق عليه السلام: «كان الله ودايع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومنافقين فلم يكن علي عليه السلام ليقتل الآباء حتى تخرج الودايح، فلما خرج ظهر علي من ظهر وقتله، وكذلك قائمنا أهل البيت لم يظهر أبداً حتى تخرج ودايع الله، فإذا خرجت يظهر علي من يظهر فيقتله». تفسير القمي: ٣١٦/٢.

والمؤكد أن أبا جندل بن سهيل بن عمرو كان مسلماً ممنوعاً من الهجرة، ولعل منهم طالب بن أبي طالب عليه السلام، أما عقيل والعباس بن عبد المطلب فكانا هاهما مع النبي صلى الله عليه وآله، لكنهما جاء مع قريش إلى بدر فوقعوا في الأسر، ونزل فيهما قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ. قال الإمام الصادق عليه السلام: «نزلت في العباس وعقيل ونوفل، وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله نهي يوم بدر أن يقتل أحد من بني هاشم وأبو البخترى فأسروا، فأرسل علياً عليه السلام فقال: أنظر من هاهنا من بني هاشم، قال: فمر علي على عقيل بن أبي طالب فحاده عنه فقال له عقيل: يا ابن أم علي، أما والله لقد رأيت مكاني! قال: فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: هذا أبو الفضل في يد فلان، وهذا عقيل في يد فلان، وهذا نوفل بن الحارث في يد فلان. فقام رسول الله صلى الله عليه وآله حتى انتهى إلى عقيل فقال له: يا أبا يزيد قتل أبو جهل! قال: إذا لا تنازعون في تهامة. فقال: إن كنتم أئحختهم القوم وإلا فاركبوا أكتافهم! فقال: فجيئ بالعباس فقبل له: إفد نفسك وافد ابن أخيك، فقال: يا محمد تتركني أسأل قريشاً في كفي! فقال: أعط مما خلفت عند أم الفضل وقلت لها: إن أصابني في وجهي هذا شيء فأنفقيه على ولدك ونفسك، فقال له: يا ابن أخي من أخبرك بهذا؟ فقال: أتاني به جبرئيل عليه السلام من عند الله عز وجل! فقال ومخوفه: ما علم بهذا أحد إلا أنا وهي! أشهد أنك رسول الله، قال: فرجع الأسرى كلهم مشركين إلا العباس وعقيل ونوفل، وفيهم نزلت هذه الآية». الكافي: ٢٠٢/٨.

## الفصل الثاني والثلاثون

# القرآن المكي والمدني

### ١- قياسهم القرآن بكتب البشر!

لا يقاس القرآن بكتب البشر، فهو المعجزة الخالدة التي ما زالت تتحدى أهل الأرض فيخضعون أمامها، أو يتولون معرضين!  
وهو كتاب متوسط الحجم يقع في نحو أربع مئة صفحة، فمجموع كلماته نحو ٨٠,٠٠٠ كلمة، ومعدل السطر عشر كلمات، ومعدل الصفحة عشرون سطراً.  
وقد تنزل في مدة بعثة النبي ﷺ ثلاث وعشرين سنة، منها ثلاث عشرة سنة في مكة، نزل فيها بضع وثمانون سورة، في ٤٤٧٥ آية، أي ثلاثة أرباع القرآن، لأن مجموع ٦٢٢٦ آية، ونزل بقيته نحو بضع وثلاثين سورة في المدينة، في نحو ١٧١٦ آية. وقلنا «نحو» بسبب اختلاف الإجهاد في تعداد الآيات.  
راجع: تفسير التبيان للطوسي: ٤٣٨/١٠، فهرست ابن النديم/٢٨، شواهد التنزيل: ٤١٠/٢ والبرهان للزركشي: ١٩٤/١ ومواقع:

<http://www.lomazoma.com/forum/showthread.php?t=1540>

<http://wahat.sahara.com/index.php>

<http://www.alhashemih.com/vb/showthread.php?p=18288>

وتأثر بعض المسلمين بالمستشرقين فكتب عن المكي والمدني في القرآن والفرق بينها، بأسلوب معادٍ يهدف إلى إثبات أن القرآن من تأليف النبي ﷺ! وأنه خضع للتطور البشري

في التأليف، في فترة معاداة قريش ومحاصرتها له في مكة، ثم في فترة حروبه ﷺ وانتصاره، ثم مرحلة تكوين الدولة والمجتمع.

ووقع بعضهم في تعميمات لاتصح، وظنون لاتغني عن الحق. والصحيح أنه لافرق في البلاغة والإعجاز والجوهر بين النص المكي والمدني، وإن اختلف ظرفاهما، فالمنيع والصبيغة ورؤية المؤلف عز وجل فيها واحدة، ولو نطق النص عن شخصية مؤلفه لقال إنه كلام العليم بالمطلق سبحانه.

أما عن أسباب نزول الآيات وأمكنتها وأوقاتها، فقد ذكرنا في المقدمة أنه لا يمكن الاعتماد على رواياتهم إلا ما ندر، لكثرة مكذوبات رواة السلطة فيها. هذا، وقد تعرضنا لبعض الآيات في فصول الكتاب، كآيات الأنفال في معركة بدر، وآيات معركة أحد، وغيرها من مقاطع السيرة. ولا يتسع المجال لعرض معالم السيرة النبوية في القرآن، لأنه يحتاج إلى كتاب مستقل.

## ٢- هَزَّتْ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَجْدَانَ الْعَرَبِ وَعَقُولَهُمْ

أ. في إعلام الوري: ١١٠/١: «كان رسول الله ﷺ لا يكف عن عيب آلهة المشركين ويقرأ عليهم القرآن فيقولون: هذا شعر محمد! ويقول بعض: بل هو كهانة! ويقول بعضهم: بل هو خطب. وكان الوليد بن المغيرة شيخاً كبيراً وكان من حكام العرب، يتحاكمون إليه في الأمور وينشدونه الأشعار، فما اختاره من الشعر كان مختاراً، وكان له بنون لا يرحون مكة، وكان له عبيد عشرة عند كل عبد ألف دينار يتجر بها، وملك القنطار في ذلك الزمان، والقنطار جلد ثور مملوء ذهباً، وكان من المستهزين برسول الله ﷺ، وكان عم أبي جهل بن هشام، فقالوا له: يا عبد شمس ما هذا الذي يقول محمد أسحر أم كهانة أم خطب؟ فقال: دعوني أسمع كلامه! فدنا من رسول الله وهو جالس في الحجر فقال: يا محمد أنشدني من شعرك. فقال: ما هو شعر ولكنك كلام الله الذي بعث أنبياءه ورسله. فقال: اتل عليّ منه. فقرأ عليه رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، فلما سمع الرحمن استهزأ فقال: تدعو إلى رجل باليهامة يسمى الرحمن؟ قال: لا

ولكنني أدعو إلى الله وهو الرحمن الرحيم. ثم افتتح حم السجدة، فلما بلغ إلى قوله: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ، وسمعه اقشعر جلده، وقامت كل شعرة في رأسه ولحيته، ثم قام ومضى إلى بيته ولم يرجع إلى قريش! فقالت قريش: يا أبا الحكم، صبا أبو عبد شمس إلى دين محمد! أما تراه لم يرجع إلينا، وقد قبل قوله ومضى إلى منزله! فاغتمت قريش من ذلك غمًا شديدًا وغدا عليه أبو جهل فقال: يا عم نكست برؤوسنا وفضحتنا. قال: وما ذلك يا ابن أخي؟ قال: صبوت إلى دين محمد! قال: ما صبوت وإني على دين قومي وآبائي ولكنني سمعت كلاماً صعباً تقشعر منه الجلود. قال أبو جهل: أشعر هو؟ قال: ما هو بشعر. قال: فخطبُ هي؟ قال: لا إن الخطب كلام متصل، وهذا كلام منشور لا يشبه بعضه بعضاً، له طلاوة. قال: فكهانة هو فكأنه هي؟ قال: لا. قال: فما هو؟ قال: دعني أفكر فيه. فلما كان من الغد، قالوا: يا عبد شمس ما تقول؟ قال: قولوا: هو سحر، فإنه أخذ بقلوب الناس فأنزل الله تعالى فيه:

ذَرْنِي وَمَنْ حَلَفْتُ وَحِيدًا. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا. وَبَيَّيْتُ شُهُودًا. وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا. ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ. كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا. سَأَزِيهُهُ صَعُودًا. إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ. فَقَتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قَاتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ نَفَرَ. ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ. ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ. فَكَانَ إِذْ هَذَا إِلَّا سِخْرِي يَوْمَئِذٍ. إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ. سَأُضْلِيهِ سَقَرَ». وتفسير القمي: ٣٩٣/٢ والتسهيل: ١٦١/٤.

ب. وفي إمتاع الأسماع: ٣٤٥/٤: «أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش «دعاهم إلى طعام» وكان ذا سنن فيهم، وقد حضر الموسم فقال لهم: يا معشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويردُّ قولكم بعضه بعضاً! قالوا: فأنت يا عبد شمس، قم وأقم لنا رأياً نقل به، فقال: بل أنتم تقولون وأسمع، قالوا: نقول: إنه كاهن، قال: فما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزممة الكهان ولا سجعهم. قالوا: فنقول: إنه مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا بتخالجه

ولا وسوسته. قالوا: فنقول إنه شاعر، قال ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشاعر. قالوا: فنقول ساحر، قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة وسحروهم فما هو بنفته ولا عقده. فقالوا: فما نقول يا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لمغدق، وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه أن يقولوا: هو ساحر، يفرق بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه وزوجه، وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون يسألون الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره! فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة: ذَرْنِي وَمَنْ حَلَفْتُ وَجِدًّا. وابن إسحاق: ١٣٢/٢، الدر المنثور: ١٠٦/٤.

ج. وفي تفسير العياشي: ٢٩٥/٢ وتفسير فرات ٢٤١/١ والكافي: ٢٦٦/٨، عن عمرو بن شمر قال: «سألت جعفر بن محمد عليه السلام: إني أوْمُ قومي فأجهر بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال: نعم فأجهر بها قد جهر بها رسول الله صلى الله عليه وآله. ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، فإذا قام من الليل يصلي جاء أبو جهل والمشركون يستمعون قراءته «ومنهم عتبة وشيبة» فإذا قال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وضعوا أصابعهم في آذانهم وهربوا، فإذا فرغ من ذلك جاؤوا فاستمعوا! قال: وكان أبو جهل يقول: إن ابن أبي كبشة ليردد إسم ربه إنه ليحبه. فقال جعفر عليه السلام: صدق وإن كان كذوباً، فأنزل الله: وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى آذَانِهِمْ نُفُورًا وهو: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

وروى العياشي: ٢١٨/١ رَدَّتْ الإمام الصادق عليه السلام لِنَكَارِهِمُ الْبِسْمَلَةَ وَإِخْفَائِهَا، قال: «ما لهم قاتلهم الله! عمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله، فزعموا أنها بدعة إذا أظهرها!»

### ٣- أكذوبة احتباس الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وآله

١. زعم رواية السلطة، كما في البخاري، أن الوحي احتبس على النبي صلى الله عليه وآله فأراد أن يرمي نفسه من شاهق ويتحر! وزعموا أنه كان لمدة طويلة، أو قصيرة. وأن سببه

خطأ من النبي ﷺ حيث قال سأفعل غداً ولم يستثن! أو سبب من الناس، أو بدون سبب! وكل ذلك لا يصح من ذلك إلا احتاسه قليلاً وعدم نزول جبرئيل ﷺ بسبب وسخ بعض الناس وروائحهم النتنة.

واستدلوا على احتباس الوحي بقوله تعالى: وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى، مع أنه قد يكون السبب أن المشركين سألوه هل نزل عليك الوحي اليوم وأمس، فقال لا، فأشاعوا أن محمداً قلاه ربه وتركه، فأجابهم الله تعالى.

واستدلوا بقوله تعالى: وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكُ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ. وليس فيها دلالة على أنه ﷺ قال سأفعل ذلك غداً ولم يستثن. وقد تكون الآية تعليماً ابتدائياً للرسول والناس، وما ذكروه من عدم استثنائه ﷺ لم يثبت منه شيء!

٢. كان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ متتابعاً، وقد يتأخر أياماً، وذكر الله تعالى حكمة تنزيل القرآن متفرقاً، فقال: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِيُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً. لكن المشركين كانوا يبحثون عن أي شيء ليتقصوا به النبي، قال البخاري: ٩٧/٦: «اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأتمته امرأة فقالت يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك! فأنزل الله عز وجل: وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى.»

لكنه حديث مضطرب، لأن النبي ﷺ لم يكن يقم الليل في مكة في المسجد. وقالوا إن المرأة فهي حمالة الحطب أو إحدى عماته ﷺ «فتح الباري: ٨/٢» وزعم بعضهم أنها خديجة ﷺ «عمدة القاري: ١٧٣/٧» فينبغي أن يكون أصل الحديث أنه غاب عن المسجد يومين فقالت ذلك حمالة الحطب، أما خديجة ﷺ وعماته فلا يمكن أن يصدر منهن مثل هذا الكلام.

٣. ثم جعلوا مدة احتباس الوحي أربعة أيام، وجعلها بعضهم شهوراً، أو سنوات! وزعمت عائشة كما في البخاري أن ذلك كان في أوائل البعثة فذهب النبي ﷺ مراراً إلى شواحق الجبال ليتتحر فرده جبرئيل!

ونسب ابن إسحاق: ١١٥/٢ وابن هشام: ١٥٩/١، إلى النبي ﷺ قوله: «قد خشيت أن يكون صاحبي قد قلاني وودعني! ف جاء جبريل بسورة والضحي».

٤. قال في فتح الباري: ٦/٣، إنها قضيتان، بل يفهم من رواياتهم أنها وقعت أكثر من مرتين، فبعضهم ذكر أنها أول البعثة، وبعضهم جعلها بعد نزول سورة المسد وبعضهم جعلها عندما سئل النبي ﷺ عن أهل الكهف. وزعم بعضهم أن سبب انقطاع الوحي أنه كان في غرفة النبي ﷺ جرو كلب فمات تحت السرير ولم ينتبه له النبي ﷺ! أسباب النزول ٣٠٢/٢ والإتقان: ٩٤/١.

واضطراب رواياتهم يوجب زيادة الشك، والمعقول أنهم سألوه ﷺ عن شيء مثلاً فقال أنتظر الوحي، فقالوا قلاه ربه أو نحوه، فنزلت الآية.

٥. وروى ابن إسحاق، «فتح الباري: ٥٤٥/٨»: «أن المشركين لما سألوا النبي ﷺ عن ذي القرنين والروح وغير ذلك ووعدهم بالجواب ولم يستثن، فأبطأ عليه جبريل اثنتي عشرة ليلة أو أكثر فضاقت صدره وتكلم المشركون، فنزل جبريل بسورة والضحي وبجواب ما سألوا ويقول تعالى: وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ». وفي تفسير الطبري: ٢٨٤/١٥: «فاحتبس الوحي عنه فيما قيل من أجل ذلك خمس عشرة.. فقال: ولا تقولن يا محمد لشيء إني فاعل ذلك غداً، كما قلت لهؤلاء».

وفي رواية عندهم وعندنا أنه ﷺ قال لليهود: «تعالوا غداً أحدثكم ولم يستثن، فاحتبس جبرئيل عنه أربعين يوماً» «الفقيه ٣٦٢/٣» فنزل عليه: وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ. لكن هذا بعيد عن منطق ﷺ وخلقته الذي قال الله عنه: وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقِي عَظِيمٌ.

ولعل بعده عن منطق النبي ﷺ هو السبب في أن صاحب الجواهر ﷺ لم يصف الحديث بالصحة «جواهر الكلام ٢٤٥/٣٥» وإن وصفه بذلك صاحب تمة الحدائق ﷺ: ١٦٨/٢.

٦. نعم قد يصح أن الوحي كان يتأخر عنه ﷺ في وقت ما أو مكان ما، بسبب الروائح الكريهة من أجسامهم! ففي الكافي: ٦/٦، ٤٩٢، وقرب الإسناد/ ٢٣، قال الإمام

الصادق عليه السلام: «احتبس الوحي عن النبي ﷺ فقليل له احتبس الوحي عنك؟ فقال عليه السلام: وكيف لا يحتبس وأنتم لا تَقلمون أظفاركم، ولا تُنقون رواجبكم!» وفي مسند أحمد: ٢٤٣/١: «ولم لا يطئ عني وأنتم حولي لا تستنون ولا تَقلمون أظفاركم، ولا تقصون شواربكم، ولا تنقون رواجبكم». ومجمع الزوائد: ١٦٧/٥ ووثقه. والرواجب رؤوس الأصابع، والوسخ تحتها يسمى الرَّفْع. ابن الأثير: ٢/٢٤٤. لكن هذا احتباس موقت بسبب وجود القدرين، ويمكن أن ينزل في غيره.

وقد ورد في مصادر الطرفين حساسية الملائكة من الروائح. ففي الكافي: ٤٢٩/٢: «عن عبدالله بن موسى بن جعفر عليه السلام قال: سألته عن الملكين يعلمان الذنب إذا أراد العبد أن يفعله أو بالحسنة؟ قال فقال عليه السلام: فريح الكنيف والطيب عندك واحدة؟ قال: قلت: لا. قال عليه السلام: العبد إذا هم بالحسنة خرج نفسه طيب الريح، فقال صاحب اليمين لصاحب الشمال قف فإنه قد هم بالحسنة، فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه، وريقه مداده فيثبتها له وإذا هم بالسيئة خرج نفسه منتن الريح فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين: قف فإنه قد هم بالسيئة».

وفي كتاب سعيد: ٥٣: «فيثتان ما كان من خير وشر، ويلقيان ماسوى ذلك».





## الفصل الثالث والثلاثون

### بعض صفات النبي وأخلاقه ومعجزاته ﷺ

#### ١- من وصف أمير المؤمنين ﷺ لرسول الله ﷺ

في أمالي الطوسي/٢٤٠، قالوا لأمر المؤمنين ﷺ: «صف لنا نبينا ﷺ كأننا نراه، فإننا مشتاقون إليه! قال: كان النبي ﷺ أبيض اللون، مشرباً حمرة، أدعج العين، سبط الشعر، كث اللحية، ذا وفرة، دقيق المسربة «شعر الصدر» كأنها عنقه إبريق فضة، يجري في تراقيه الذهب، له شعر من لبتة إلى سرتة، كقضيبي خيطاً إلى السرة، وليس في بطنه ولا صدره شعر غيره. شثن الكفين والقدمين، شثن الكعبين، إذا مشى كأنها ينقلع من صخر، إذا أقبل كأنها ينحدر من صيب، إذا التفت التفت جميعاً بأجمعه كله.

ليس بالقصير المتردد، ولا بالطويل المعط «المفرط» وكان في وجهه تدوير، إذا كان في الناس غمرهم، كأنها عرقه في وجهه اللؤلؤ، عرقه أطيب من ريح المسك.

ليس بالعاجز ولا باللثيم، أكرم الناس عشرة، وألينهم عريكة، وأجودهم كفاً. من خالطه بمعرفة أحبه، ومن رآه بدهة هابه. له غرة بين عينيه. يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ.

«مستقره خير مستقر، ومنبته أشرف منبت، في معادن الكرامة، ومماهد السلامة.

قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار، وثبتت إليه أزمة الأبصار. دفن الله به الضغائن، وأطفأ به الشوائر. ألف به إخواناً، وفرّق به أقراناً، أعز به الذلة، وأذل به العزة. كلامه بيان، وصمته

«فتأس بنبيك الأطيب الأطهر ﷺ فإن فيه أسوة لمن تأسى، وعزاء لمن تعزى. وأحبُّ العباد إلى الله المتأسِّي بنبيه والمقتصُّ لأنثره. قضم الدنيا قضمًا، ولم يُعزها طرفاً. أهضم أهل الدنيا كشحاً، وأخصهم من الدنيا بطناً. عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها. علم أن الله سبحانه أبغض شيئاً فأبغضه، وحقر شيئاً فحقره، وصعَّر شيئاً فصعَّره. ولو لم يكن فينا إلا حبنا ما أبغض الله ورسوله، وتعظيمنا ما صعَّر الله ورسوله لكفى به شقاقاً لله، ومحادَّةً عن أمر الله!

ولقد كان ﷺ يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخسف بيده نعله، ويرقع بيده ثوبه، ويركب الحمار العاري، ويردف خلفه. ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول: يا فلانة لإحدى أزواجه غيبه عني، فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها. فأعرض عن الدنيا بقلبه، وأمات ذكرها من نفسه، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه، لكيلا يتخذ منها رياشاً، ولا يعتقدها قراراً، ولا يرجو فيها مقاماً. فأخرجها من النفس، وأشخصها عن القلب، وغيبها عن البصر. وكذلك من أبغض شيئاً أبغض أن ينظر إليه، وأن يذكر عنده. ولقد كان في رسول الله ﷺ ما يدلُّك على مساوئ الدنيا وعيوبها، إذ جاع فيها مع خاصته، وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته. فلينظر ناظر بعقله، أكرم الله محمداً بذلك أم أهانه؟ فإن قال: أهانه فقد كذب والله العظيم بالإفك العظيم. وإن قال أكرمه، فليعلم أن الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له، وزواها عن أقرب الناس منه». نهج البلاغة / ٨٨، ح ٥٨٠.

«فقاتل بمن أطاعه من عصاه، يسوقهم إلى منجاتهم، ويبادر بهم الساعة أن تنزل بهم. يحسر الحسير «يعالج الضعيف» ويقف الكسير فيقيم عليه حتى يلحقه غايته، إلا هالكاً لا خير فيه. حتى أراهم منجاتهم، وبوأهم محلتهم، فاستدارت رحاهم واستقامت قناتهم». نهج البلاغة / الخطبة: ١٠٢، ١٩٨.

«اللهم داحي المدحوات، وداعم المسموكات، وجابل القلوب على فطرتها، شقيها وسعيدها، إجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك، على محمد عبدك

ورسولك، الخاتم لما سبق، والفتاح لما انغلق، والمعلن الحق بالحق، والدافع جيئات الأباطيل، والدماغ صولات الأضاليل، كما حمل فاضطلع قائماً بأمرك، مستوفزاً في مرضاتك، غير ناكلٍ عن قدم، ولا واه في عزم، واعياً لوحيك، حافظاً لعهدك، ماضياً على نفاذ أمرك، حتى أورى قيس القابس، وأضاء الطريق للخابط، وهديت به القلوب بعد خوضات الفتن، وأقام موضحات الأعلام ونيرات الأحكام، فهو أمينك المأمون، وخازن علمك المخزون، وشهيدك يوم الدين، وبعيئك بالحق، ورسولك إلى الخلق.

اللهم افسح له مفسحاً في ظلك، واجزه مضاعفات الخير من فضلك. اللهم أعلِّ على بناء البانين بناءه، وأكرم لديك منزلته، وأتمم له نوره، واجزه من ابتعائك له مقبول الشهادة، ومرضي المقالة، ذا منطق عدل، وخطه فصل.

اللهم اجمع بيننا وبينه في برد العيش، وقرار النعمة، ومنى الشهوات، وأهواء اللذات، ورخاء الدعة، ومنتهى الطمأنينة، وتحف الكرامة». نهج البلاغة: ١٢٠/١.

وفي الغارات للثقفى: ١٦١/١: «كان علي عليه السلام إذا نعت النبي ﷺ قال: لم يك بالطويل المعط، ولا بالقصير المتردد، وكان ربعة من القوم، ولم يك بالجدد القطط ولا السبط. شثن الكفين والقدمين، إذا مشى تعلق كأنها يمشي في صلب، وإذا التفت التفت معاً. أجود الناس كفاً، وأجرأ الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفى الناس ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة».

«اختاره من شجرة الأنبياء، ومشكاة الضياء، وذؤابة العلياء، وسرة البطحاء، ومصايح الظلمة، وينابيع الحكمة». نهج البلاغة/الخطبة: ٢٠٥، ١٠٦.

## ٢- من وصف بقية الأئمة عليهم السلام لرسول الله ﷺ

في تفسير العياشي: ٢٠٣/١، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «جاء أعرابي أحد بني عامر فسأل عن النبي ﷺ فلم يجده فقالوا هو بقزح «مكان بالمدلفة» فطلبه فلم يجده، قالوا: هو بمنى. قال: فطلبه فلم يجده، فقالوا: هو بعرفة، فطلبه فلم يجده، قالوا: هو بالمشعر قال: فوجده في الموقف، قال: حَلُّوا «صِفُوا» لي النبي ﷺ فقال الناس: يا

أعرابي ما أنكرت! إذا وجدت النبي وسط القوم وجدته مفخماً. قال: بل حَلُوهُ لي حتى لأسأل عنه أحداً، قالوا: فإن نبي الله أطول من الربعة، وأقصر من الطويل الفاحش، كأن لونه فضة وذهب، أرجلُ الناس جُمَّةٌ «شعره ممشط» وأوسع الناس جبهة، بين عينيه عُزَّة، أقى الأنف، واسع الجبين، كث اللحية، مفلج الأسنان، على شفته السفلى خال، كأن رقبته إبريق فضة، بعيد ما بين مشاشة المنكبين، كأن بطنه و صدره سواء، سبط البنان، عظيم البرائن «الكفين» إذا مشى مشى متكفياً، وإذا التفت التفت بأجمعه، كأن يده من لينها متن أرنب، إذا قام مع إنسان لم يفتل حتى يفتل صاحبه، وإذا جلس لم يحلل حبوته حتى يقوم جليسه. فجاء الأعرابي فلما نظر إلى النبي ﷺ عرفه فقال بمحجنه «أشار بعصاته» على رأس ناقة رسول الله عند ذنب ناقته، فأقبل الناس تقول ما أجراك يا أعرابي؟ قال النبي ﷺ: دعو فإنه أريب «عنده حاجة» ثم قال: ما حاجتك؟ قال: جاءتنا رسلك أن تقيموا الصلاة، وتؤتوا الزكاة، وتحجوا البيت، وتغتسلوا من الجنابة، ويعشي قومي إليك رائداً، أبغي أن استحلفك وأخشى أن تغضب! قال ﷺ: لا أغضب، إني أنا الذي سهاى الله في التوراة والإنجيل محمد رسول الله المجتبى المصطفى، ليس بفاحش ولا سخاب «عالي الصوت» في الأسواق، ولا يتبع السيئة السيئة، ولكن يتبع السيئة الحسنة، وأنا الذي سهاى الله في القرآن: وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ، فسلني عما شئت.

قال: الله الذي رفع السماوات بغير عمد هو أرسلك؟ قال: نعم هو أرسلني. قال: آله الذي قامت السماوات بأمره هو الذي أنزل عليك الكتاب وأرسلك بالصلاة المفروضة والزكاة المعقولة؟ قال: نعم، قال: وهو أمرك بالإغتسال من الجنابة وبالحدود كلها؟ قال: نعم. قال: فإننا آمنّا بالله ورسله وكتابه واليوم الآخر والبعث والميزان والموقف والحلال والحرام صغيره وكبيره!

قال: فاستغفر له النبي ﷺ ودعا له.

وفي الكافي: ٤٤٣/١ عن جابر الجعفي قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: صف لي

نبي الله قال: كان نبي الله ﷺ أبيض مشرباً حمرة، أدعج العينين، مقرون الحاجبين، شثن الأطراف، كأن الذهب أفرغ على برائنه، عظيم مشاشة المنكين، إذا التفت يلتفت جميعاً من شدة استرساله، سرته سائلة من لبته إلى سرته كأنها وسط الفضة المصفاة، وكان عنقه إلى كاهله إبريق فضة، يكاد أنفه إذا شرب أن يرد الماء، وإذا مشى تكفأ كأنه ينزل في صيب، لم ير مثل نبي الله قبله ولا بعده».

وفي الكافي: ٤٤٦/١، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كان رسول الله ﷺ إذا رُئي في الليلة الظلماء، رئي له نور كأنه شقة قمر».

وفي علل الشرائع: ٥٥/١، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «استأذنت زليخا على يوسف فقيل لها: إنا نكره أن تقدم بك عليه لما كان منك إليه، قالت: إني لا أخاف من يخاف الله، فلما دخلت قال لها: يا زليخا مالي أراك قد تغير لونك؟ قالت: الحمد لله الذي جعل الملوك بمعصيتهم عبيداً، وجعل العبيد بطاعتهم ملوكاً! قال لها: ما الذي دعاك يا زليخا إلى ما كان منك؟ قالت: حسن وجهك يا يوسف. فقال: كيف لورأيت نبياً يقال له محمد يكون في آخر الزمان أحسن مني وجهاً، وأحسن مني خلقاً وأسمح مني كفأ؟ قالت: صدقت. قال: وكيف علمت أي صدقت؟ قالت: لأنك حين ذكرته وقع حبه في قلبي. فأوحى الله عز وجل إلى يوسف: إنها قد صدقت، إني قد أحببتها لحبها محمداً، فأمره الله تبارك وتعالى أن يتزوجها».

وفي كتاب المؤمن للحسين بن سعيد/٣١، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لا تقدر الخلائق على كنه صفة الله عز وجل فكذلك لا تقدر على كنه صفة رسول الله ﷺ! وكما لا تقدر على كنه صفة الرسول ﷺ كذلك لا تقدر على كنه صفة الإمام عليه السلام. وكما لا تقدر على كنه صفة الإمام، كذلك لا يقدر على كنه صفة المؤمن».

وفي المحاسن: ١٤٣/١، عن مالك بن أعين الجهني: «وكما لا يقدر أحد أن يصف فضلنا وما أعطانا الله وما أوجب الله من حقوقنا، فكذلك لا يقدر أحد أن يصف حق المؤمن ويقوم به مما أوجب الله على أخيه المؤمن، والله يا مالك إن المؤمنين ليلتقيان فيصافح كل واحد منهما صاحبه، فما يزال الله تبارك وتعالى ناظراً إليهما بالمحبة والمغفرة، وإن

الذنوب لتَحَاتُّ عن وجوهها وجوارحها حتى يفترقا! فمن يقدر على صفة الله  
وصفة من هو هكذا عند الله؟!!

### ٢- حديث الإمام الحسن عليه السلام في صفة النبي صلى الله عليه وآله

من أشمل ما ورد في صفة النبي صلى الله عليه وآله ما روي عن الإمام الحسن عليه السلام قال:  
«سألت خالي هند أبي هالة وكان وصافاً، عن حلية رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: كان  
رسول الله صلى الله عليه وآله فحماً مفخماً، يتلألأ وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر، أطول من  
المربع، وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجل الشعر، إن انفرت عقيقته  
فرق، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره، أزهر اللون، واسع  
الجبين، أزج الحواجب، سوابغ في غير قرن، بينها عرق يدره الغضب، أقى  
العرنين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، سهل الخدين،  
ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كان عنقه جيد دمية في  
صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادناً، متماسكاً، سواء البطن والصدر، بعيد ما  
بين المنكبين، ضخم الكراديس، عريض الصدر، أنور المتجرد، موصول ما بين  
اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعر  
الذراعين والمنكبين وأعلى الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، شثن الكفين  
والقدمين، سائل الأطراف، سبط القصب، خصان الأخصين، مسيح القدمين  
ينبو عنهما الماء، إذا زال زال قلماً، يخطو تكفوفاً، ويمشي هوناً، ذريع المشية، إذا  
مشى كأنها ينحط من صيب، وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف، نظره إلى  
الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، يدر من لقيه بالسلام.  
قال: فقلت: فصف لي منطقة، فقال: كان صلى الله عليه وآله متواصل الأحران، دائم الفكر،  
ليست له راحة، طويل السكت، لا يتكلم في غير حاجة، يفتح الكلام ويختمه  
بأشداقه، يتكلم بجوامع الكلم فصلاً، لا فضول فيه ولا تقصير، دمثاً لنا ليس  
بالجافي ولا بالمهين، تعظم عنده النعمة وإن دقت، لا يذم منها شيئاً، غير أنه كان

لا يذم ذواقاً ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا وما كان لها، فإذا تعوطي الحق لم يعرفه أحدٌ، ولم يقيم لغضبه شئ حتى ينتصر له، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها فضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غرض طرفه، جل ضحكه التبسم، يفتر عن مثل حب الغمام. قال الحسن عليه السلام: سألت أبي عليه السلام عن مدخل رسول الله ﷺ فقال: كان دخوله لنفسه مأذوناً له في ذلك، فإذا أوى إلى منزله جزء دخوله ثلاثة أجزاء: جزء لله، وجزء لأهله، وجزء لنفسه، ثم جزء بينه وبين الناس، فيرد ذلك بالخاصة على العامة، ولا يدخر عنهم منه شيئاً، وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه، وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة من مسألته عنهم، وبإخبارهم بالذي ينبغي، ويقول: ليلبغ الشاهد منكم الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يقدر على إبلاغ حاجته، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يقدر على إبلاغها، ثبت الله قدميه يوم القيامة. لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقيد من أحد عشرة، يدخلون رواداً، ولا يفترقون إلا عن ذواق، ويخرجون أدلة.

قال: فسألته عن مخرج رسول الله ﷺ كيف كان يصنع فيه؟ فقال: كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه إلا عما يعنيه، ويؤلفهم ولا يفرهم، ويكرم كريم كل قوم ويؤليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم، من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خلقه، ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويهونه، معتدل الأمر، غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا، ولا يقصر عن الحق ولا يجوزه.

الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة للمسلمين، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مؤاسة ومؤازرة.

فسألته عن مجلسه فقال: كان ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يوطن الأماكن، وينهى عن إيظانها، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر

بذلك، ويعطى كل جلسائه نصيبه، ولا يحسب من جلسائه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، من سأله حاجة لم يرجع إليها أو بميسور من القول، قد وسع الناس منه خلقه وصار لهم أباً، وصاروا عنده في الخلق سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء وصدق وأمانة، ولا ترتفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم، ولا تنشى فلتاته، متعادلين، متواصلين فيه بالتقوى، متواضعين، يوقرون الكبير، ويرحمون الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب.

فقلت: فكيف كان سيرته في جلسائه؟ فقال: كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب، ولا فحاش، ولا عياب، ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، فلا يؤيس منه، ولا ينحج فيه مؤلميه، قد ترك نفسه من ثلاث: المرء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيره، ولا يطلب عثراته ولا عورته. ولا يتكلم إلا في ما رجا ثوابه. إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في مسألته ومنطقه، حتى أن كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فارفدوه، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد كلامه حتى يجوز، فيقطعه بنهي أو قيام.

قال: فسألته عن سكوت رسول الله ﷺ قال: كان سكوته على أربع: على الحلم والحذر والتقدير والتفكير. فأما التقدير ففي تسوية النظر والإستماع بين الناس، وأما تفكيره فبميا يبقى أو يفنى، وجمع له الحلم في الصبر، فكان لا يعضبه شئ ولا يستفزه. وجمع له الحذر في أربع: أخذه بالحسن ليقتدى به، وتركه القبيح لينتهى عنه، واجتهاده الرأي في صلاح أمته، والقيام فيما جمع لهم من خير الدنيا والآخرة» المناقب: ١/١٣٤، العدد القوية للحلي/١٢٠، مسند أحمد: ١/٩٦، الحاكم:



٦٠٥/٢. مجمع الزوائد: ٢٧١/٨ و ٢٧٦، ابن أبي شيبة: ٤٤٦/٧، الشرائع المحمدية للترمذي/١٥، مسند أبي يعلى: ٣٠٤/١، والأحاديث الطوال/٧٨، المعجم الكبير: ١٥٥/٢٢، الفايق: ١٨٦/٢، الطبقات الكبرى: ٤٢٢/٨، الشفا للقاضي عياض: ١٥٥/١ وغيرها.

وعقَّب عليه الصدوق عليه السلام في معاني الأخبار/٧٩: «قوله: كان رسول الله صلى الله عليه وآله فخماً مفخماً: معناه كان عظيماً معظماً في الصدور والعيون.. يتلألاً تلالؤ القمر: ينير ويشرق كإشراق القمر. أطول من المربع وأقصر من المشذب: المشذب الطويل الذي ليس بكثير اللحم.

وقوله: رَجُلُ الشعر: في شعره تكسر وتعقف. العقيقة: الشعر المجتمع في الرأس. أزهر اللون: نير اللون. أزج الحواجب: طويل امتداد الحاجبين. أقتى العينين: في عظم الأنف احديداب في وسطه. كث اللحية: لحيته قصيرة كثيرة الشعر. ضليع الفم: كبير الفم. الأشنب: الشنب في الفم تحدد ورقة وحدة في أطراف الأسنان. دقيق المسرية: الشعر المستدق الممتد من اللبة إلى السرة. بادناً متماسكاً: تام خلق الأعضاء ليس بمسترخي اللحم ولا بكثيره.

سواء البطن والصدر: بطنه ضامر وصدرة عريض. والكراديس: رؤوس العظام. أنور المتجرد: نير الجسد الذي تجرد من الثياب. رحب الراحة: واسع الراحة كبيرها. شثن الكفين: خشن الكفين. سائل الأطراف: تامها غير طويلة ولا قصيرة. مسيح القدمين: ليس بكثير اللحم فيها. زال قلعا: معناه متبثاً.

يخطو تكفوفاً: خطاه كأنه يتكسر فيها ولا تبخرت فيها ولا خيلاء. ويمشي هوناً: معناه السكينة والوقار. ذريع المشية: واسع المشية. كأنها تنحط في صيب: الصيب الإنحدار. إذا غضب أعرض وأشاح: أشاح جدَّ في الغضب وانكمش.

يفتر عن مثل حب الغمام: يكشف شفثيه عن ثغر أبيض يشبه حب الغمام. لكل حال عنده عتاد: أعد للأمر أشكالها ونظائرها.

ثم يرد ذلك بالخاصة على العامة: يعتمد في هذه الحال على أن الخاصة ترفع إلى العامة علومه وآدابه وفوائده.

الليث  
السنبل  
العسل

ولا يفترقون إلا عن ذواق: عن علوم يذوقون من حلاوتها ما يذاق من الطعام المشتبه. لا تؤين فيه الحرم: أي لا تعاب.

ولا تنشى فلناته: من غلط فيه غلطة لم يشنع ولم يتحدث بها، يقال: نثوت الحديث أنشوه نشواً إذا حدثت به. إذا تكلم أطرق جلساؤه كأن على رؤوسهم الطير: لإجلالهم نبينهم ﷺ لا يتحركون. ولا يقبل الشاء إلا من مكافئ: من صح عنده إسلامه حسن موقع ثنائه عليه عنده.

ونقد صاحب الصحيح ١٣٢/٢ هذه الرواية بضعف سندها، وبأن الإمام الحسن عاش مع جده النبي ﷺ وروى عنه فلا يحتاج في وصفه إلى هند بن أبي هالة، وهو أفصح العرب وأعلم الأمة، رباه النبي ﷺ في حجره، وكان يعرف عنه كل شيء مما دق وجل. ثم قال: «تقدم كله يدفع هذا الحديث».

أقول: إشكاله لا يصح، وهذه الصفات وردت بشكل وآخر في غيرها.

#### ٤- حديث الإمام الكاظم عليه السلام في معجزات النبي ﷺ

نكتفي في معجزات النبي ﷺ بحديث واحد يبين عدداً منها باختصار، فقد روى أبو العباس الحميري في قرب الإسناد ٣١٧، بسند صحيح عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ذات يوم وأنا طفل خاسي، إذ دخل عليه نفر من اليهود فقالوا: أنت ابن محمد نبي هذه الأمة والحجة على أهل الأرض؟ قال لهم: نعم. قالوا: إنا نجد في التوراة أن الله تبارك وتعالى أتى إبراهيم وولده الكتاب والحكم والنبوة، وجعل لهم الملك والإمامة، وهكذا وجدنا ذرية الأنبياء لا تتعداهم النبوة والخلافة والوصية، فما بالكم قد تعداكم ذلك وثبت في غيركم، ونلقاكم مستضعفين مقهورين، لا ترقب فيكم ذمة نبيكم؟! فدمعت عينا أبي عبد الله عليه السلام ثم قال: نعم لم تزل أمناء الله مضطهدة مقهورة مقتولة بغير حق، والظلمة غالبية، وقليل من عباد الله الشكور. قالوا: فإن الأنبياء وأولادهم علموا من غير تعليم، وأوتوا العلم تلقيناً، وكذلك ينبغي لأئمتهم وخلفائهم وأوصيائهم، فهل أوتيتم ذلك؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: ادن يا موسى فدنوت فمسح يده على صدري ثم قال: اللهم  
أيده بنصرك بحق محمد وآله، ثم قال: سلوه عما بدا لكم.

قالوا: وكيف نسأل طفلاً لا يفقه؟ قلت: سلوني تفقهاً ودعوا العنت!

قالوا: أخبرنا عن الآيات التسع التي أوتيتها موسى بن عمران.

قلت: العصا، وإخراجه يده من جيبه بيضاء، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم،  
ورفع الطور، والمن والسلوى آية واحدة، وقلق البحر.

قالوا: صدقت، فما أعطي نبيكم من الآيات اللاتي نفت الشك عن قلوب من أرسل  
إليه. قلت: آيات كثيرة، أعدها إن شاء الله، فاسمعوا وعوا وافقهاوا:

١. أما أول ذلك: أنتم تقرون أن الجن كانوا يسترقون السمع قبل مبعثه، فمنعت في  
أوان رسالته بالرجوم وانقضاء النجوم، وبطلان الكهنة والسحرة.

٢. ومن ذلك: كلام الذئب يخبر بنبوته، واجتماع العدو والولي على صدق لهجته  
وصدق أمانته، وعدم جهله أيام طفوليته وحين أيفع وفتى وكهلاً، لا يعرف له شكّل  
ولا يوازيه مثله.

٣. ومن ذلك: أن سيف بن ذي يزن حين ظفر بالحبشة وفد عليه وفد قريش،  
فيهم عبد المطلب، فسألهم عنه ووصف لهم صفته، فأقروا جميعاً بأن هذه الصفة في  
محمد عليه السلام، فقال: هذا أوان مبعثه، ومستقره أرض يثرب وموته بها.

٤. ومن ذلك: أن أبرهة بن يكسوم قاد الفيلة إلى بيت الله الحرام ليهدمه قبل مبعثه فقال  
عبد المطلب: إن لهذا البيت رباً يمنعه، ثم جمع أهل مكة فدعا، وهذا بعدما أخبره سيف  
بن ذي يزن، فأرسل الله تبارك وتعالى عليهم طيراً أبابيل، ودفعهم عن مكة وأهلها.

٥. ومن ذلك: أن أبا جهل عمرو بن هشام المخزومي، أتاه وهو نائم خلف جدار  
ومعه حجر يريد أن يرميه به، فالتصق بكفه.

٦. ومن ذلك: أن أعرابياً باع دوداً له من أبي جهل فمطّله بحقه، فأتى قريشاً وقال:  
أعدوني على أبي الحكم فقد لوى حقي، فأشاروا إلى محمد عليه السلام وهو يصلي في الكعبة

فقالوا: إئت هذا الرجل فاستعده عليه، هم يهزؤون بالأعرابي! فأتاه فقال له: يا عبدالله أعدني على عمرو بن هشام فقد منعني حقي. قال: نعم، فانطلق معه فصدق على أبي جهل بابه فخرج إليه متغيراً. فقال له: ما حاجتك؟ قال: أعط الأعرابي حقه. قال: نعم. وجاء الأعرابي إلى قريش فقال: جزاكم الله خيراً، إنطلق معي الرجل الذي دلتموني عليه فأخذ حقي! فجاء أبو جهل فقالوا: أعطيت الأعرابي حقه؟ قال: نعم. قالوا: إنما أردنا أن نغريك بمحمد ونهزأ بالأعرابي! قال: يا هؤلاء دق بابي فخرجت إليه فقال: أعط الأعرابي حقه، وفوقه مثل الفحل فاتحاً فاه كأنه يريدني، فقال: أعطه حقه، فلو قلت: لا، لا ابتلع رأسي، فأعطيته!

٧. ومن ذلك: أن قريشاً أرسلت النضر بن الحارث وعلقمة بن أبي معيط يئسب إلى اليهود وقالوا لهما: إذا قدمتا عليهما فسألوهما عنه، وسألوهما عنه فقالوا: صفوا لنا صفتة فوصفوه. وقالوا: من تبعه منكم؟ قالوا: سفلتنا. فصاح حبر منهم فقال: هذا النبي الذي نجد نعتة في التوراة، ونجد قومه أشد الناس عداوة له.

٨. ومن ذلك: أن قريشاً أرسلت سراقة بن جعشم حتى خرج إلى المدينة في طلبه، فلحق به فقال صاحبه: هذا سراقة يا نبي الله فقال: اللهم اكفنيه، فساخت قوائم ظهره فناده: يا محمد خل عني بموثق أعطيكه أن لا أناصح غيرك، وكل من عاداك لا أصالح. فقال النبي ﷺ: اللهم إن كان صادق المقال فأطلق فرسه. فانطلق فوفي وما انثنى بعد ذلك.

٩. ومن ذلك: أن عامر بن الطفيل وأربد بن قيس أتيا النبي ﷺ، فقال عامر لأربد: إذا أتيناه فأنا أشاغله عنك فاعله بالسيف، فلما دخلا عليه قال عامر: يا محمد خالني «أي أخلي بك - الطبري ٣٨٩/٢» قال: لا، حتى تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله. وهو ينظر إلى أربد وأربد لا يحير شيئاً. فلما طال ذلك

نهض وخرج وقال لأريد: ما كان أحد على وجه الأرض أخوف على نفسي فتكأ منك، ولعمري لا أخافك بعد اليوم، فقال له أريد: لا تعجل، فإني ما هممت بما أمرتني به إلا ودخلت الرجال بيني وبينك حتى ما أبصر غيرك، فأضربك؟!

١٠. ومن ذلك: أن أربد بن قيس والنضر بن الحارث اجتمعوا على أن يسألاه عن الغيوب فدخلا عليه، فأقبل النبي ﷺ على أربد فقال: يا أربد، أتذكر ما جئت له يوم كذا ومعك عامر بن الطفيل؟ فأخبره بما كان فيها فقال أربد: والله ما حضرنى وعامراً أحد، وما أخبرك بهذا إلا ملك من السماء، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنت رسول الله. «وأربد هذا أخ لبيد الشاعر».

١١. ومن ذلك: أن نفرأ من اليهود أتوه، فقالوا لأبي الحسن جدي: إستاذن لنا على ابن عمك نسأله، فدخل علي ﷺ فأعلمه فقال النبي ﷺ: وما يريدون مني؟ فإني عبد من عبيد الله، لا أعلم إلا ما علمني ربي، ثم قال: إذن لهم، فدخلوا عليه فقال: أتسألوني عما جئتم له أم أنبئكم؟ قالوا: نبئنا، قال: جئتم تسألوني عن ذي القرنين، قالوا: نعم، قال: كان غلاماً من أهل الروم ثم ملك، وأتى مطلع الشمس ومغربها، ثم بني السد فيها. قالوا: نشهد أن هذا كذا.

١٢. ومن ذلك: أن ابصة بن معبد الأسدي أتاه فقال: لا أدعُ من البر والإثم شيئاً إلا سألته عنه، فلما أتاه قال له بعض أصحابه: إليك يا ابصة عن رسول الله، فقال النبي ﷺ: أدنه يا ابصة، فدنوت. فقال: أتسأل عما جئت له أو أخبرك؟ قال: أخبرني. قال: جئت تسأل عن البر والإثم. قال: نعم. فضرب بيده على صدره ثم قال: يا ابصة، البر ما اطمان به الصدر، والإثم ما تردد في الصدر وجال في القلب، وإن أفتاك الناس وأفتوك.

١٣. ومن ذلك: أنه أتاه وفد عبد القيس فدخلوا عليه، فلما أدركوا حاجتهم عنده قال: إئتوني بتمر أهلكم مما معكم، فأتاه كل رجل منهم بنوع منه، فقال النبي ﷺ: هذا يسمى كذا وهذا يسمى كذا، فقالوا: أنت أعلم بتمر أرضنا، فوصف لهم أرضهم

فقالوا: أدخلتها؟ قال: لا، ولكن فسح لي فنظرت إليها. فقام رجل منهم فقال: يا رسول الله، هذا خالي وبه خبل، فأخذ بردائه ثم قال: أخرج عدو الله ثلاثاً ثم أرسله، فبرأ. وأتوه بشاة هرمة، فأخذ أحد أذنيها بين أصابعه فصار ميسماً، ثم قال: خذوها فإن هذه السممة في آذان ما تلد إلى يوم القيامة! فهي تتوالد وتلك في آذانها، معروفة غير مجهولة.

١٤. ومن ذلك: أنه كان في سفر، فمر على بعير قد أعيا، وقام منزلاً على أصحابه فدعا بقاء فتمضمض منه في إناء وتوضأ وقال: إفتح فاه فصب في فيه. فمر ذلك الماء على رأسه وحاركه ثم قال: اللهم احمل خلاداً وعامراً ورفيقيهما وهما صاحبا الجمل، فركبوه وإنه ليهتربهم أمام الخليل.

١٥. ومن ذلك: أن ناقه لبعض أصحابه ضلت في سفر كانت فيه، فقال صاحبها: لو كان نبياً لعلم أمر الناقه، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: الغيب لا يعلمه إلا الله، إنطلق يا فلان فإن ناقك بموضع كذا وكذا، قد تعلق زمامها بشجرة، فوجدتها كما قال.

١٦. ومن ذلك: أنه مر على بعير ساقط فتبصص له فقال: إنه ليشكوشر ولاية أهله له يسأله أن يخرج عنهم، فسأل عن صاحبه فأتاه فقال: بعه وأخرجه عنك، فأناخ البعير يرغو ثم نهض وتبع النبي ﷺ فقال: يسألني أن أتولى أمره. فباعه من علي ﷺ، فلم يزل عنده إلى أيام صفين.

١٧. ومن ذلك: أنه كان في مسجده، إذ أقبل جمل نادئ، حتى وضع رأسه في حجره ثم خرخر، فقال النبي ﷺ: يزعم هذا أن صاحبه يريد أن ينحره في وليمة على ابنه فجاء يستغيث. فقال رجل: يا رسول الله، هذا لفلان وقد أراد به ذلك. فأرسل إليه وسأله أن لا ينحره، ففعل.

١٨. ومن ذلك: أنه دعا على مضر فقال: اللهم أشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم كسنين يوسف، فأصابهم سنون، فأتاه رجل فقال: فوالله ما

أتيتك حتى لا يخطر لنا فحل ولا يتردد منا رائح. فقال رسول الله ﷺ: اللهم دعوتك فأجبتني وسألتك فأعطيتني، اللهم فاسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً سريعاً طبقاً سجالاً، عاجلاً غير ذائب نافعاً غير ضار. فما قام متى ملاً كل شئ ودام عليهم جمعة، فأتوه فقالوا: يا رسول الله انقطع سبلنا وأسواقنا، فقال النبي ﷺ: حوالينا ولا علينا فانجابت السحابة عن المدينة، وصار فيها حوها، وأمطروا شهراً.

١٩. ومن ذلك: أنه توجه إلى الشام قبل مبعثه مع نفر من قريش، فلما كان بحيال بحيراء الراهب نزلوا بفناء دبره، وكان عالماً بالكتب، وقد كان قرأ في التوراة مرور النبي ﷺ به وعرف أو أن ذلك، فأمر فدعى إلى طعامه، فأقبل يطلب الصفة في القوم فلم يجدها، فقال: هل بقي في رجالكم أحد؟ فقالوا: غلام يتيم. فقام بحيراء الراهب فاطلع فإذا هو برسول الله ﷺ نائم وقد أظلمت سحابة، فقال للقوم: أدعوا هذا اليتيم، ففعلوا وبحيراء مشرف عليه وهو يسير، والسحابة قد أظلمت، فأخبر القوم بشأته وأنه سيبعث فيهم رسولاً، ويكون من حاله وأمره، فكان القوم بعد ذلك يهابونه ويجلونه، فلما قدموا أخبروا قريشاً بذلك، وكان عند خديجة بنت خويلد فرغبت في تزويجه وهي سيدة نساء قريش، وقد خطبها كل صنديد ورئيس قد أبتهم، فزوجته نفسها للذي بلغها من خبر بحيراء.

٢٠. ومن ذلك: أنه كان بمكة أيام ألب عليه قومه وعشائره، فأمر علياً أن يأمر خديجة أن تتخذ له طعاماً ففعلت، ثم أمره أن يدعو له أقباءه من بني عبد المطلب، فدعا أربعين رجلاً فقال: هات لهم طعاماً يا علي، فأتاه بثريدة وطعام يأكله الثلاثة والأربعة فقدمه إليهم، وقال: كلوا وسموا، فسمى ولم يُسمِّ القوم فأكلوا وصدروا شبعي. فقال أبو لهب: جاد ما سحركم محمد يطعم من طعام ثلاث رجال أربعين رجلاً! هذا والله هو السحر الذي لا بعده! فقال علي ﷺ: ثم أمرني بعد أيام فاتخذت له مثله ودعوتهم بأعيانهم، فطعموا وصدروا.

٢١. ومن ذلك: أن علي بن أبي طالب ﷺ قال: دخلت السوق فابتعت لحماً بدرهم

وذرة بدرهم، فأتيت به فاطمة عليها السلام حتى إذا فرغت من الخبز والطبخ قالت: لو دعوت أبي فأنتيه وهو مضطجع وهو يقول: أعوذ بالله من الجوع ضجيعاً. فقلت له: يا رسول الله إن عندنا طعاماً، فقام واتكأ عليّ ومضينا نحو فاطمة عليها السلام، فلما دخلنا قال: هلم طعامك يا فاطمة فقدمت إليه البرمة والقرص، فغطى القرص وقال: اللهم بارك لنا في طعامنا. ثم قال: أغرفي لعائشة فغرفت، ثم قال: أغرفي لأُم سلمة فغرفت، فما زالت تغرف حتى وجهت إلى نساءه التسع قرصة قرصة ومرقاً. ثم قال: أغرفي لأبيك وبعلك ثم قال: أغرفي وكلي واهدي لجاراتك، ففعلت، وبقي عندهم أياماً يأكلون.

٢٢. ومن ذلك: أن امرأة عبدالله بن مسلمً آتته بشاة مسمومة، ومع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشر بن البراء بن عازب، فتناول النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذراع وتناول بشر الكراع، فأما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلاكها ولفظها وقال: إنها لتخبرني أنها مسمومة. وأما بشر فلاك المضغة وابتلعها فمات، فأرسل إليها فأقرت، وقال: ما حملك على ما فعلت؟ قالت: قتلت زوجي وأشراف قومي فقلت: إن كان ملكاً قتلته وإن كان نبياً فسيطلعه الله تبارك وتعالى على ذلك.

٢٣. ومن ذلك: أن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: رأيت الناس يوم الخندق يحفرون وهم حماص، ورأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحفر ويطنه خميص، فأتيت أهلي فأخبرتها فقالت: ما عندنا إلا هذه الشاة ومحرز من ذرة. قال: فاخبزي، وذبح الشاة وطبخوا شقها وشووا الباقي، حتى إذا أدرك أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله اتخذت طعاماً فأنتني أنت ومن أحببت، فشبك أصابعه في يده ثم نادى: ألا إن جابراً يدعوكم إلى طعامه. فأتى أهله مذعوراً خجلاً فقال لها: هي الفضيحة قد حفل بهم أجمعين. فقالت: أنت دعوتهم أم هو؟ قال: هو. قالت: فهو أعلم بهم. فلما رأنا أمر بالأنطاع فبسطت على الشوارع، وأمره أن يجمع التواري يعني قصاعاً كانت من خشب، والجفان، ثم قال: ما عندكم من الطعام؟ فأعلمته،



فقال: غطوا السدانة والبرمة والتنور، واغرفوا، وأخرجوا الخبز واللحم وغطوا! فما زالوا يغرفون وينقلون ولا يرونه ينقص شيئاً حتى شبع القوم، وهم ثلاثة آلاف! ثم أكل جابر وأهله، وأهدوا وبقي عندهم أياماً.

٢٤. ومن ذلك: أن سعد بن عبادَةَ الأنصاري أتاه عشية وهو صائم فدعاه إلى طعامه، ودعا معه علي بن أبي طالب عليه السلام فلما أكلوا قال النبي ﷺ: نبي ووصي، يا سعد أكل طعامك الأبرار، وأفطر عندك الصائمون، وصلت عليكم الملائكة. فحملة سعد على حمار قطوف وألقى عليه قطيفة، فرجع الحمار وإنه لهملاج ما يسائر.

٢٥. ومن ذلك: أنه أقبل من الحديبية وفي الطريق ماء يخرج من وشل بقدر ما يروي الراكب والراكبين، فقال: من سبقنا إلى الماء فلا يستقين منه. فلما انتهى إليه دعا بقدر فتمضمض فيه ثم صبه في الماء ففاض الماء، فشربوا وملؤوا أدواتهم ومياضهم وتوضؤوا. فقال النبي ﷺ: لئن بقيتم أو بقي منكم، ليتسعن بهذا الوادي بسقي ما بين يديه من كثرة مائه، فوجدوا ذلك كما قال ﷺ.

٢٦. ومن ذلك: إخباره عن الغيوب وما كان وما يكون، فوجد ذلك موافقاً لما يقول. ومن ذلك أنه أخبر صبيحة الليلة التي أسري به بها رأى في سفره، فأنكر ذلك بعض وصدقه بعض، فأخبرهم بها رأى من المارة والممتارة، وهياتهم ومنازلهم وما معهم من الأمتعة، وأنه رأى عيراً أمامها بعير أوزق، وأنه يطلع يوم كذا من العقبة مع طلوع الشمس! فغدوا يطلبون تكذيبه للوقت الذي وقته لهم، فلما كانوا هناك طلعت الشمس فقال بعضهم: كذب الساحر، وأبصر آخرون بالبعير قد أقبلت يقدمها الأورق، فقالوا: صدق، هذه نَعَمٌ قد أقبلت!

٢٧. ومن ذلك: أنه أقبل من تبوك فجهدوا عطشاً، وبادر الناس إليه يقولون: الماء الماء يا رسول الله. فقال لأبي هريرة: هل معك من الماء شيء؟ قال: كقدر قدر في مياضاتي، قال: هلم مياضاتك فصب ما فيه في قدر ودعا وأوعاه، وقال: ناد: من أراد الماء! فأقبلوا يقولون: الماء يا رسول الله. فما زال يسكب وأبو هريرة يسقي حتى روي

القوم أجمعون، وملؤوا ما معهم، ثم قال لأبي هريرة: إشرَب، فقال: بل آخركم شرباً، فشرَب رسول الله ﷺ.

٢٨. ومن ذلك: أن أخت عبد الله بن رواحة الأنصاري مرّت به أيام حفرهم الخندق فقال لها: إلى أين تريدين؟ قالت: إلى عبد الله بهذه التمرات، فقال: هاتيهن، فنشرت في كفه، ثم دعا بالأنطاع وفرقها عليها وغطاها بالأزر، وقام وصلى، ففاض التمر على الأنطاع ثم نادى: هلموا وكلوا. فأكلوا وشبعوا، وحملوا معهم، ودفع ما بقي إليها!

٢٩. ومن ذلك: أنه كان في سفر فأجهدوا جوعاً فقال: من كان معه زاد فليأتنا به. فأتاه نفر منهم بمقدار صاع، فدعا بالأزر والأنطاع، ثم صفف التمر عليها، ودعا ربه فأكثر الله ذلك التمر، حتى كان أزوادهم إلى المدينة!

٣٠. ومن ذلك: أنه أقبل من بعض أسفاره فأتاه قوم فقالوا: يا رسول الله، إن لنا بئراً إذا كان القيظ اجتمعنا عليها، وإذا كان الشتاء تفرقنا على مياه حولنا، وقد صار من حولنا عدواً لنا فادع الله في بئرننا، فتفل ﷺ في بئرهم ففاضت المياه المغيبة فكانوا لا يقدرّون أن ينظروا إلى قعرها بعد، من كثرة ماؤها. فبلغ ذلك مسيلمة الكذاب فحاول ذلك في قلب قليل ماؤه، فتفل الأنكد في القلب، فغار ماؤه وصار كالجبوب!

٣١. ومن ذلك: أن سراقه بن جعشم حين وجهه قريش في طلبه، ناوله نبلاً من كنانته وقال له: ستمر برعاتي فإذا وصلت إليهم فهذا علامتي، أطعم عندهم واشرب، فلما انتهى إليهم أتوه بعنز حائل فمسح ﷺ بضرعها فصارت حاملاً ودرت، حتى ملؤوا الإناء وارتووا ارتواءً!

٣٢. ومن ذلك: أنه نزل بأمر شريك فأنته بعكة فيها سمن يسير، فأكل هو وأصحابه ثم دعا لها بالبركة، فلم تزل العكة تصب سمناً أيام حياتها!

٣٣. ومن ذلك: أن أم جميل امرأة أبي لهب أتته حين نزلت سورة «تَبَّتْ» ومع

النبي أبوبكر بن أبي قحافة، فقال: يا رسول الله، هذه أم جميل مُحْفَظَةٌ أي مُغْضَبَةٌ تريدك، ومعها حجر تريد أن ترميك به. فقال: إنها لا تراني. فقالت لأبي بكر: أين صاحبك؟ قال: حيث شاء الله. قالت: لقد جئتته ولو أراه لرميته، فإنه هجاني واللات والعزى إني لشاعرة! فقال أبوبكر: يا رسول الله لم تَرَكَ؟ قال: لا، ضرب الله بيني وبينها حجاباً.

٣٤. ومن ذلك: كتابه المهيمن الباهر لعقول الناظرين [القرآن الكريم] مع ما أعطي من الخلال التي إن ذكرناها لطالت.

فقالت اليهود: وكيف لنا أن نعلم أن هذا كما وصفت؟ فقال لهم موسى ﷺ: وكيف لنا أن نعلم أن ما تذكرون من آيات موسى على ماتصفون؟ قالوا: علمنا ذلك بنقل البررة الصادقين. قال لهم: فاعلموا صدق ما أنبأتكم به، بخبر طفل لقته الله من غير تلقين، ولا معرفة عن الناقلين. فقالوا: نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأنكم الأئمة القادة والحجج من عند الله على خلقه. فوثب أبو عبد الله ﷺ فقبل بين عينيَّ ثم قال: أنت القائم من بعدي، فلهدا قالت الواقعة، إنه حي وإنه القائم. ثم كساهم أبو عبد الله ﷺ ووهب لهم وانصرفوا مسلمين». انتهى.

### أسماء النبي ﷺ وألقابه

قال ابن شهر آشوب في المناقب: ١٣١/١: «وأسماءه في الأخبار: العاقب، وهو الذي يعقب الأنبياء. الماحي، الذي يمحي به الكفر، ويقال تمحى به سيئات من اتبعه، ويقال الذي لا يكون بعده أحد. الحاشر، الذي يحشر الناس على قدميه. والمقفى، الذي قفى النبيين جماعة. الموقف، يوقف الناس بين يدي الله. القشم وهو الكامل الجامع. ومنه: الناشر، والناصح، والوفاي، والمطاع، والنجي، والمأمون، والحنيف، والحيب، والطيب، والسيد، والمقترب، والدافع، والشافع، والمشفع، والحامد، والمحمود، والموجه والمتوكل، والغيث.

وفي التوراة: ميذميذاي: غفور رحيم، وقيل ميد ميدي: محمد، وقيل مود مود. وفي حكاية أن إسمه فيها مرقوفا، أي المحمود.



## الفصل الرابع والثلاثون

### المدينة عند هجرة النبي ﷺ

#### ١. النبي ﷺ يدخل عاصمته ويؤسس المسجد النبوي

في ذكرى الشيعة: ١١٦/٣: «قدم رسول الله ﷺ المدينة فنزل في علو المدينة، في بني عمرو بن عوف، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة، ثم أرسل إلى ملأ بني النجار فجاءوا ومتقلدين بسيو فهم، فجاء معهم حتى ألقى بفناء أبي أيوب».

وفي الكافي: ٣٣٩/٨: «ثم إن رسول الله ﷺ لما قدم عليه علي ﷺ تحول من قبا إلى بني سالم بن عوف وعلي ﷺ معه يوم الجمعة مع طلوع الشمس، فخط لهم مسجداً ونصب قبلته، فصل بهم فيه الجمعة ركعتين وخطب خطبتين».

ثم راح يومه إلى المدينة على ناقته التي كان قدم عليها وعلي ﷺ معه لا يفارقه يمشي بمشيه، وليس يمر رسول الله ﷺ ببطن من بطون الأنصار إلا قاموا إليه يسألونه أن ينزل عليهم فيقول لهم: خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة، فانطلقت به ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها، حتى انتهت إلى الموضع الذي ترى، وأشار بيده إلى باب مسجد رسول الله ﷺ الذي يصلي عنده بالجنائز، فوقفت عنده وبركت ووضعت جرائنها على الأرض، فنزل رسول الله ﷺ وأقبل أبوأيوب مبادراً حتى احتمل رحله فأدخله منزله، ونزل رسول الله ﷺ وعلي ﷺ معه، حتى بني له مسجده، وبنيت له مساكنه ومنزل علي ﷺ فتحولا إلى منازلهما».

وفي المناقب: ١١٥/١: «فبركت على باب أبي أيوب الأنصاري، ولم يكن في المدينة أفقر

منه، فانطلقت قلوب الناس حسرة على مفارقة النبي ﷺ فنادى أبوأيوب: يا أماه إفتحني الباب، فقد قدم سيد البشر وأكرم ربيعة ومضر، محمد المصطفى والرسول المجتبي، فخرجت وفتحت الباب وكانت عمياء فقالت: واحسرتا، لست كان لي عين أبصر بها إلى وجه سيدي رسول الله، فكان أول معجزة النبي ﷺ في المدينة أنه وضع كفه على وجه أم أبي أيوب، فانفتحت عيناها! أقول: في بعض الروايات أن أم أبي أيوب جاء وأخذت وسائل النبي ﷺ ولا يصح ذلك لأن أباأيوب كان موجوداً وكانت أمه عمياء حتى شفاها النبي ﷺ. وسنفرد عنواناً لأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

وفي المناقب: ١٥٩/٨: «فزل النبي ﷺ على كلثوم بن هدم، وكان يخرج فيجلس للناس في بيت سعد بن خيثمة، وكان قيام علي عليه السلام بعد النبي ﷺ ثلاث ليال، ثم لحق برسول الله ﷺ فنزل معه على كلثوم. فأقام النبي ﷺ بقبا يوم الإثنين والأربعاء والخميس، وأسس مسجده وصلى يوم الجمعة في المسجد الذي في بطن الوادي وادي رافوقا، فكانت أول صلاة صلاها بالمدينة، ثم أتاه غسان بن مالك وعباس بن عباد في رجال من بني سالم فقالوا: يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة، فقال: خلوا سبيلها فإنها مأمورة، يعني ناقته.

ثم تلقاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو في رجال من بني بياضة، فقالا كذلك. ثم اعترضه سعد بن عباد والمنذر بن عمرو في رجال من بني ساعدة. ثم اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبدالله بن رواحة في رجال من بني الحارث بن الخزرج. فانطلقت حتى إذا وازت دار بني مالك بن النجار بركت على باب مسجد رسول الله ﷺ وهو يومئذ مربد لغلادين يتيمين من بني النجار، فلما بركت ورسول الله ﷺ لم ينزل، ووثبت فسارت غير بعيد ورسول الله واضع لها زمامها لا يثنيها به، ثم التفتت إلى خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت، ثم تجلجلت ورزمت ووضعت جرائنها، فنزل عنها رسول الله ﷺ. واحتمل أبوأيوب رحله فوضعه في بيته، ونزل النبي ﷺ في بيت أبي أيوب،

وسأل عن المربرد فأخبر أنه لسهل وسهيل يتيمين لمعاذ بن عفراء فأرضاهما معاذ، وأمر النبي ببناء المسجد، وعمل فيه رسول الله ﷺ بنفسه، فعمل فيه المهاجرون والأنصار، وأخذ المسلمون يرتجزون وهم يعملون، فقال بعضهم:

لئن قعدنا والنبي يَعْمَلُ لَدَاكَ مِنَّا الْعَمَلُ الْمُضَلَّلُ

والنبي ﷺ يقول: لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة.

ثم انتقل من بيت أبي أيوب إلى مساكنه التي بنيت له. وقيل كان مدة مقامه بالمدينة إلى أن بني المسجد وبيوته من ربيع الأول إلى صفر من السنة القابلة.

وفي رواية إعلام السورى: ١٥٤/١: « أن دخوله إلى المدينة كان يوم الجمعة، وأنه صلى الجمعة في مسجد بني سالم في طريقه، وصلى إلى بيت المقدس، وصلى معه مائة رجل. ثم انتهى إلى عبدالله بن أبي فأخذ عبدالله كُفَّه ووضع على أنفه من الغبار وقال للنبي ﷺ: يا هذا إذهب إلى الذين غروك وخذعوك وأتوا بك فانزل عليهم ولا تَغْتَسِنَا في ديارنا! فسلط الله على دورهم الذر فخر بها، فصاروا نَزَّالاً على غيرهم، فقال له سعد بن عبادة: يا رسول الله لا يعرض في قلبك من قول هذا شئ، فإننا كنا اجتمعنا على أن نملكه علينا وهو يرى الآن أنك قد سلبته أمراً قد كان أشرف عليه، فانزل عليّ يا رسول الله، فإنه ليس في الخزرج ولا في الأوس أكثر فم بئر مني، ونحن أهل الجلد والعز. فأرخصي زمام ناقته ومرت نَحْبُ به حتى انتهت إلى باب المسجد الذي هو اليوم، فبركت على باب أبي أيوب خالد بن زيد. وكان أبوأيوب له منزل أسفل وفوق المنزل غرفة، فكره أن يعلو رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي العلو أحب إليك أم السُّفْلُ؟ فإني أكره أن أعلو فوقك. فقال ﷺ: السُّفْلُ أرفق بنا لمن يأتينا.

قال أبوأيوب: فكنا في العلو أنا وأمي، فكنت إذا استقيت الدلو أخاف أن تقع منه قطرة على رسول الله، وكنت أصعد وأمي إلى العلو خفياً من حيث لا يعلم ولا يحس بنا، ولا نتكلم إلا خفياً، وكان إذا نام ﷺ لا نتحرك، وربما طبخنا في غرفتنا فنحيف الباب على غرفتنا مخافة أن يصيب رسول الله ﷺ دخان. ولقد سقطت جرة لنا وأهريق الماء فقامت أم أبي أيوب إلى كفيطة لم يكن لها والله غيرها،

الكتاب  
الذي  
هو  
العمل  
الذي

فألقته على ذلك الماء تستشف به، مخافة أن يسيل على رسول الله ﷺ من ذلك شيء! وكان يحضر رسول الله ﷺ المسلمون من الأوس والخزرج والمهاجرين، وكان أبو أمامة أسعد بن زرارة يعث إليه في كل يوم غداء وعشاء، في قصعة تريد عليها عراق «قطع لحم» وكان يأكل معه من حوله حتى يشبعوا، ثم تُرَدُّ القصعة كما هي! وكان سعد بن عبادة يعث إليه في كل يوم عشاء ويتعشى معه من حضره، وترد القصعة كما هي! فكانوا يتناوبون في بعثة الغداء والعشاء إليه: أسعد بن زرارة، وسعد بن خيثمة، والمنذر بن عمرو، وسعد بن الربيع، وأسيد بن حضير. وكان رسول الله ﷺ يصلي في المريد بأصحابه، فقال لأسعد بن زرارة: إشتري هذا المريد من أصحابه، فساوم اليتيمين عليه فقالا: هو لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله: لا إلا بثمان، فاشتراه عشرة دانير، وكان فيه ماء مستنقع فأمر به رسول الله ﷺ فسيَّل وأمر باللبن فُضِرَ فبناه رسول الله ﷺ فحفره في الأرض، ثم أمر بالحجارة فنقلت من الحرة، وكان المسلمون ينقلونها فأقبل رسول الله ﷺ يحمل حجراً على بطنه، فاستقبله أسيد بن حضير فقال: يا رسول الله أعطني أحمله عنك، قال: لا، إذهب فاحمل غيره.

فنقلوا الحجارة ورفعوها من الحفرة حتى بلغ وجه الأرض، ثم بناه أولاً بالسعيدة لبنة لبنة، ثم بناه بالسमित وهو لبنة ونصف، ثم بناه بالأنثى والذكر لبنتين مخالفتين، ورفع حائطه قامة. ثم اشتد عليهم الحر فقالوا: يا رسول الله لو أظللت عليه ظلاً، فرفع أساطينه في مقدم المسجد إلى ما يلي الصحن بالخشب، ثم ظلله وألقى عليه سعف النخل فعاشوا فيه فقالوا: يا رسول الله لو سقت سقفاً. قال: لا، عريش كعريش موسى، الأمر أعجل من ذلك.

وابتني رسول الله ﷺ منازل ومنازل أصحابه حول المسجد، وخط لأصحابه خططاً فبنوا فيها منازلهم، وكلُّ شرع منه باباً إلى المسجد، وخط لحمزة وشرع بابه إلى المسجد، وخط لعلي بن أبي طالب مثل ما خط لهم. وكانوا يخرجون من منازلهم فيدخلون المسجد، فنزل عليه جبرئيل فقال:



يا محمد إن الله يأمرك أن تأمر كل من كان له باب إلى المسجد يسده، ولا يكون لأحد باب إلى المسجد إلا لك ولعلي، محل لعلي فيه ما محل لك. فغضب أصحابه وغضب حمزة وقال: أنا عمه يأمر بسد بابي ويترك باب ابن أخي وهو أصغر مني! فجاءه فقال ﷺ: يا عم لا تغضب من سد بابك وترك باب علي، فوالله ما أنا أمرت بذلك ولكن الله أمر بسد أبوابكم وترك باب علي! فقال: يا رسول الله رضيت وسلمت لله ولرسوله. قال: وكان رسول الله ﷺ حيث بني منزله كانت فاطمة رضي الله عنها.

وفي الكافي: ٢٩٥/٣ قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن رسول الله ﷺ بنى مسجده بالسميط، ثم إن المسلمين كثروا فقالوا: يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فزيد فيه فقال: نعم فأمر به فزيد فيه وبناه بالسعيدة. ثم إن المسلمين كثروا فقالوا: يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فزيد فيه فقال: نعم فأمر به فزيد فيه وبنا جداره بالأثني والذكر، ثم اشتد عليهم الحر فقالوا: يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فظلل، فقال نعم، فأمر به فأقيمت فيه سواري من جذوع النخل، ثم طرحت عليه العوارض والخصف والإذخر، فعاشوا فيه حتى أصابتهم الأمطار فجعل المسجد يكف عليهم فقالوا: يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فطين، فقال لهم رسول الله ﷺ: لا، عريش كعريش موسى عليه السلام، فلم يزل كذلك حتى قبض رسول الله ﷺ. وكان جداره قبل أن يظلل قامة، فكان إذا كان الفيض ذراعاً، وهو قدر مريض عنز صلى الظهر، وإذا كان ضعف ذلك صلى العصر. وقال عليه السلام: السميط لبنة لبنة، والسعيدة لبنة ونصف، والذكر والأثني لبنتان مخالفتان. وعن الحلبي قال: سألته كم كان مسجد رسول الله ﷺ؟ قال: كان ثلاثة آلاف وست مائة ذراع تكسيراً».

وفي الكافي: ١٢١/٥ قال روح بن عبد الرحيم: سألت الإمام الصادق عليه السلام: «عن شراء المصاحف وبيعها؟ فقال: إنما كان يوضع الورق عند المنبر، وكان ما بين المنبر والحائط قدر ما تمر الشاة أو رجلٌ منحرف، قال: فكان الرجل يأتي ويكتب من ذلك، ثم إنهم اشتروا بعد ذلك. قلت: فما ترى في ذلك؟ قال لي: أشتري أحب إلي من أن أبيع. قلت: فما ترى أن أعطي على كتابته أجرأ؟ قال: لا بأس، ولكن هكذا كانوا يصنعون».

## ٢. المدينة واحاتٌ زراعية سكنها العرب اليمانيون

قال الحموي في معجم البلدان: ٨٢/٥: «سبخةٌ من الأرض، ولها نخيل كثيرةٌ ومياه، ونخيلهم وزروعهم تسقى من الآبار عليها العبيد. وللمدينة سور، والمسجد في نحو وسطها، وقبر النبي ﷺ في شرقي المسجد. وبقيع الغرقد خارج المدينة.

وقبأ خارج المدينة على نحو ميلين إلى ما يلي القبلة، وهي شبيهة بالقرية. وأخذُ جبل في شمال المدينة، وهو أقرب الجبال إليها، مقدار فرسخين. وبقربها مزارع فيها نخيل وضياح لأهل المدينة، ووادي العقيق فيما بينها وبين الفرع، والفرع من المدينة على أربعة أيام في جنوبها. وكان على المدينة وتامة في الجاهلية عامل من قبل مرزبان الزارة يجبي خراجها «حاكم القطيف من قبل كسرى - معجم البلدان ١٢٦/٣» وكانت قريظة والنضير اليهود ملوكاً حتى أخرجهم منها الأوس والخزرج من الأنصار. وكانت الأنصار تؤدي خراجاً إلى اليهود، قال بعضهم:

تؤدي الخزرج بعد خراج كسرى وخزج بني قريظة والنضير

لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وثب على أصحابه وباء شديد حتى أهدتهم الحمى فما كان يصلي مع رسول الله ﷺ إلا اليسير، فدعاهم.

ومن خصائص المدينة أنها طيبة الريح، وللعطر فيها فضل رائحة لا توجد في غيرها، وتمرها الصيحاني لا يوجد في بلد من البلدان مثله، ولهم حبُّ اللبَّان ومنها يحمل إلى سائر البلدان، وجبلها أحد قد فضله رسول الله ﷺ.

وأخبار مدينة رسول الله ﷺ كثيرة، وقد صنف فيها وفي عقيقها وأعراضها وجبالها كتب. وأما المسافات، فإن من المدينة إلى مكة نحو عشر مراحل، ومن الكوفة إلى المدينة نحو عشرين مرحلة، وطريق البصرة إلى المدينة نحو من ثمانين عشرة مرحلة، و يلتقي مع طريق الكوفة بقرب معدن النقرة، ومن الرقة إلى المدينة نحو من عشرين مرحلة، ومن البحرين إلى المدينة نحو خمس عشرة مرحلة، ومن دمشق إلى المدينة نحو عشرين مرحلة، ومثله من فلسطين إلى المدينة».

أقول: روت مصادر التاريخ والسيرة أن الأوس والخزرج قبيلة يمانية سكنت في واحة يثرب من زمن الملك تُبَعُّع الأول، وعرفوا ببني قَيْلَة، وهي أمهم بنت كالب بن عذرة، ورووا أن تُبَعُّعاً الأول كان ملكاً لليمن والحجاز والعراق، وكان يعرف بعثة النبي ﷺ فأسكن فيها يمانيين، وكتب معهم رسالة إلى النبي ﷺ.

ففي المناقب: ١٧٦/١، عن كتاب النبوة لابن بابويه عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن تبعاً قال للأوس والخزرج: كونوا هاهنا حتى يخرج هذا النبي، أما لو أدركته لخدمته ولخرجت معه». راجع: ابن هشام: ١٠/١، الطبري: ٥٣٤/١، العدد القوية/١١٣، عمدة القاري: ١٧٦/٤ والصحيح من السيرة: ٩١/٤.

أما اليهود فجاؤوا بعد المسيح عليه السلام «الكافي ٣١٠/٨» لانتظار نبي موعود يكون مهاجره المدينة، ثم جحدوه لأنه من أبناء إسماعيل، وأرادوه من أبناء إسحاق!

لكن ابن خلدون قال: ٣٥٦/١ واليعقوبي: ٢٠٣/١: «ملكها بنو إسرائيل من أيديهم فيما ملكوه من أرض الحجاز، ثم جاورهم بنو قيلة من غسان وغلّبهم عليها».

ولا يعني ذلك أن المدينة كانت مملكة، بل واحة فيها يهود، وكانت جزءاً من الجزيرة واليمن التي يحكمها تُبَعُّع، فأسكن فيها الأوس والخزرج، فهابهم اليهود وتحالفوا معهم. فلا دليل على أن اليهود كانوا يوماً حاكمين في الجزيرة.

وتدل تبعية المدينة لمرزبان الزارة الفارسي أي حاكم البحرين، على أن الجزيرة العربية كانت مطوقة بنفوذ الفرس، من دولة المناذرة في العراق وحاكم البحرين وحاكم اليمن وكلهم تابعون لكسرى. وإذا صح بيت الشعر المتقدم، فلا بد أن يكون خرج اليهود الذي يدفعه الأنصار بمعنى رباهم، لأنهم كانوا مرابين.

### ٣. عدد سكان المدينة عند هجرة النبي ﷺ

كان سكان المدينة لما هاجر النبي ﷺ إليها بضعة آلاف نسمة، وروي أن أربعة آلاف أكلوا في وليمة عرس علي وفاطمة رضي الله عنهما، لكن كان معهم أهل ضواحيها. ففي أمالي الطوسي/٤٢ والمناقب: ١٢٩/٣، عن الإمام الصادق عليه السلام: «قال علي عليه السلام:

وأكل القوم عن آخرهم طعامي وشربوا شرابي ودعوا لي بالبركة، وصدروا وهم أكثر من أربعة آلاف رجل، ولم ينقص من الطعام شيء! ثم دعا رسول الله ﷺ بالصحاف فملئت ووجه بها إلى منازل أزواجه، ثم أخذ صحيفة وجعل فيها طعاماً وقال: هذا لفاطمة ويعلها».

وكان النبي ﷺ يأمر بعد المسلمين، فعن حذيفة أن النبي ﷺ أمر أن يكتب له كل من تلفظ بالإسلام من أهل المدينة، فكانوا سبع مئة. ابن ماجه: ١٣٣٧/٢. ثم قال ﷺ: «أكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس فكتبنا له ألفاً وخمس مائة رجل، فقلنا نخاف ونحن ألف وخمس مائة! صحيح بخاري: ٣٣/٤. وكان ذلك في السنة الخامسة، أو السادسة. فتح الباري: ١٢٤/٦.

#### ٤. عدد المسلمين المهاجرين إلى المدينة

يعرف عدد المهاجرين من أحاديث مؤاخاة النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، أو بين المهاجرين أنفسهم أو الأنصار أنفسهم. بل يعرف عدد كل المسلمين يومها لأن النبي ﷺ لم يترك أحداً بدون مؤاخاة. الإمتاع: ٦٩/١. وفي تاريخ دمشق: ٥٢/٤٢: «أخى رسول الله ﷺ بين المسلمين فقال لعلي: أنت أخي وأنا أخوك، وأخي بين أبي بكر وعمر، وأخي بين المسلمين جميعاً». وذكر في الصحيح من السيرة: ٢٢٨/٤، أن المهاجرين كانوا في بدر خمسة وأربعين، ثم وصلوا في المدينة إلى مئة وخمسين. ويضاف إليهم أربعة وعشرون من مهاجري الحبشة جاؤوا إلى المدينة: «لما بلغهم أن النبي ﷺ هاجر إلى المدينة رجع منهم إلى مكة ثلاثة وثلاثون رجلاً فمات منهم رجلان بمكة، وحبس منهم سبعة وتوجه إلى المدينة أربعة وعشرون رجلاً، فشهدوا بدرًا». فتح الباري: ٦٠/٣.

#### ٥. كيف تم إسكان المسلمين المهاجرين في المدينة

كان استقبال الأنصار للمسلمين المهاجرين فريداً من نوعه، فقد استضافوهم في بيوتهم وفضلوهم على أنفسهم، ثم وهبوا لهم بيوتاً وأراضي وساعدوهم على

بناها. وقد مدحهم لإيثارهم فقال تعالى: مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كُنِيَ لَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ. لِلْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَتَّصِرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ. وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤَيِّدُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ.

وفي شرح النهج: ٢٩٠/٦، أن عمرو بن العاص ذم الأنصار لموقفهم في السقيفة ضد خلافة أبي بكر وعمر وقال: «ولقد قاتلونا أمس فغلبونا على البدء، ولو قاتلناهم اليوم لغلبناهم على العاقبة». ثم قال شعراً في ذمهم! فجاء خالد بن سعيد بن العاص فغضب للأنصار وشم عمرو بن العاص وقال: «يا معشر قريش، إن عمرأ دخل في الإسلام حين لم يجد بدأ من الدخول فيه، فلما لم يستطع أن يكيده بيده كاده بلسانه! وإن من كيده الإسلام تفريقه وقطعه بين المهاجرين والأنصار. والله ما حاربناهم للدين ولا للدنيا، لقد بذلوا دماءهم لله تعالى فينا، وما بذلنا دماءنا لله فيهم، وقاسمونا ديارهم وأموالهم، وما فعلنا مثل ذلك بهم، وآثرونا على الفقر وحرمانهم على الغنى، ولقد وصى رسول الله بهم وعزَّاهم عن جفوة السلطان، فأعوذ بالله أن أكون وإياكم الخلف المضيع والسلطان الجاني».

وفي جامع أحاديث الشيعة: ٥٧٥/٨، من مناظرة المأمون مع الفقهاء عليهم السلام قال النبي ﷺ للأنصار: إن شئتم أخرجتم المهاجرين من دوركم وأموالكم وقسمت لهم هذه الأموال دونكم، وإن شئتم تركتم أموالكم وأقسمت لكم معهم. قالت الأنصار: بل إقسم لهم دوننا واطرکہم معنا في دورنا وأموالنا، فأنزل الله تبارك وتعالى: وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ، يعني يهود قريظة، فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ، لأنهم كانوا معهم بالمدينة أقرب من أن يوجف عليهم بخيل ولا ركاب،

ثم قال: يَلْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ.

وقال البلاذري في الفتوح: ٥/١: «وهبت الأنصار لرسول الله ﷺ كل فضل كان في خططها وقالوا: يا نبي الله إن شئت فخذ منازلنا! فقال لهم خيراً».

وفي معجم البلدان: ٨٦/٥: «كان ﷺ يُقَطِّعُ أصحابه هذه القطائع، فما كان في عفا من الأرض فإنه أقطعهم إياه، وما كان من الخطط المسكونة العامرة فإن الأنصار وهبوه له، فكان يقطع من ذلك ما شاء. وكان أول من وهب له خططه ومنازله حارثة بن النعمان فوهب له ذلك وأقطعه».

وفي فتح الباري: ١٨١/٦: «جعلوا للنبي ما لا يبلغه المؤمن من أرضهم، فأقطع النبي ﷺ من شاء منه».

وقال الطوسي في المبسوط: ٢٧٤/٣: «روي عن النبي ﷺ أنه أقطع الدور بالمدينة». وذكر في مكاتيب الرسول: ٣٥٠/٨: نحو ثلاثين مورداً من إقطاعاته ﷺ.

وفي الطبقات: ٢٢/٨: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل على أبي أيوب سنة أو نحوها، فلما تزوج علي فاطمة قال لعلي: أطلب منزلاً فطلب علي منزلاً فأصابه مستأخراً عن النبي ﷺ قليلاً فبنى بها فيه، فجاء النبي ﷺ إليها فقال: إنني أريد أن أحوِّلكَ إليّ، فقالت لرسول الله ﷺ: فكلم حارثة بن نعمان أن يتحول عني. فقال رسول الله ﷺ: قد تحول حارثة عنا قد استحيت منه، فبلغ ذلك حارثة فتحول وجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تحول فاطمة إليك وهذه منازلني وهي أسقب بيوت بني النجار بك، وإنما أنا ومالي لله ولرسوله! والله يا رسول الله المال الذي تأخذ مني أحب إليّ من الذي تدع! فقال رسول الله: صدقت، بارك الله عليك، فحولها رسول الله ﷺ إلى بيت حارثة».

وفي صحيح بخاري: ٢٠٨/٤، أن رجلاً سأل عبدالله بن عمر عن علي بن أبي طالب: «فذكر محاسن عمله قال: هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي ﷺ ثم قال: لعل ذلك يسوءك؟ قال: أجل! قال فأرغم الله بأنفك!» وفي فتح الباري: ٥٩/٧:

«سألت ابن عمر عن علي فقال: أنظر إلى منزله من نبي الله ليس في المسجد غير بيته». وفي الكافي: ٥٥٥/٤ عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا دخلت من باب البقيع فبيت علي صلوات الله عليه على يسارك، قدر ممر عنز من الباب، وهو إلى جانب بيت رسول الله ﷺ، وباباهما جميعاً مقرونان».

وقال في الطبقات: ١٦٦/٨ يصف بيوت أزواج النبي ﷺ: «رأيت منازل أزواج رسول الله حين هدمها عمر بن عبدالعزيز وهو أمير المدينة في خلافة الوليد بن عبد الملك، وزادها في المسجد: كانت بيوتاً باللبن ولها حجر من جريد، مطرور بالطين، عدت تسعة أبيات بحجرها، وهي ما بين بيت عائشة إلى الباب الذي يلي باب النبي ﷺ».

أقول: كانت حجرة عائشة أبعد الحجر عن بيت النبي ﷺ، أما بيت أبي بكر فكان في السنح من جهة أحد، وبيت عمر كان في العوالي من جهة قباء، وهما يبعدان عن المسجد كيلو مترات، ولم يكن بجانب المسجد وبيت النبي ﷺ إلا بيت علي عليه السلام، وبعض بيوت بني هاشم. وقد بحثنا ذلك في سيرة الإمام الحسن عليه السلام من جواهر التاريخ، وأثبتنا أن النبي ﷺ دفن في بيته، لا في بيت عائشة.

#### ٦. الوضع السياسي العالمي عند تأسيس النبي ﷺ لدولته

كانت الدولتان اللتان تحكمان العالم في عهد النبي ﷺ: فارس والروم. فكان كسرى يحكم قسماً من العراق مباشرة، وقسماً بواسطة المناذرة، وكانت فيه قبائل عربية كبيرة من أشهرها ربيعة، وكانت البحرين ومحيطها تحت حكم كسرى مباشرة أيضاً، يعين لها حاكماً يسمى المرزبان، وأبرز قبائلها عبد القيس، وبنو تميم، كما كانت اليمن تحت حكم كسرى وفيها حاكم فارسي إلى جنب الملك، من أبناء الذين حرروها من حكم الحبشة مع سيف بن ذي يزن، وكان فيها قبائل قوية عديدة كهمدان وكندة. أما قبائل الحجاز فكانت شبه مستقلة، وأبرزها قريش بسبب ولايتها للكعبة، وأكثرها عدداً تميم وهو ازن في نجد.

وقد شمل حكم كسرى مضافاً إلى بلاد فارس وما وراء النهر إلى حدود الصين وروسيا، وقسماً من الهند، وكانت الشام وفلسطين منطقة صراع بين الفرس والروم، وقد غلب عليها الفرس بعد بعثة النبي ﷺ، وأخبر القرآن بأن الروم سيغلبونهم بعد بضع سنين فغلبوهم في أذرعَات أيام معركة بدر.

وكانت أمبراطورية الروم أوسع، فكانت روما الغربية تحكم أوروبا الغربية والشرقية، وكان قيصر روما الشرقية في القسطنطينية يحكم تركيا وبلاد الشام وفلسطين ومصر والحبشة، ويمد منها نفوذه إلى أفريقيا، كما يمد نفوذه من جهة الشام إلى الجوف، ويطمع أن يُخضع المدينة ويقضي على النبوة.

وكان اليهود عملاء للرومان مع أنهم دمروا دولتهم، وبعضهم عملاء للفرس الذين دمروا دولتهم من قبل، وقد هاجرت قبائل منهم إلى أرض العرب تنتظر النبي الموعود، على أمل أن يكون من أبنائهم!

أما بقية دول العالم فكان أهمها الهند والصين، وكانتا دولتين نائيتين مقفلتين على نفسيهما. أو ممالك صغيرة تحكمها أسر وقبائل.





## الفصل الخامس والثلاثون

### النبي ﷺ يرسى أسس الدولة الإسلامية

#### ١- آخى النبي ﷺ بين المسلمين، واتخذ علياً رضي الله عنه أخاه

كانت المؤاخاة مرتين في مكة والمدينة «فتح الباري: ٢١٠/٧». وربما آخى النبي ﷺ بين المسلم وثلاثة فقد آخى بين سلمان الفارسي وأبي ذر، وبينه وبين أبي الدرداء.

قال العلامة الحلي في كشف اليقين/٢٠٨: «قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وكان يؤاخي بين الرجل ونظيره، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: هذا أخي. قال حذيفة: فرسول الله ﷺ سيد المرسلين وإمام المتقين، ورسول رب العالمين الذي ليس له في الأنام شبيهه ولا نظير، وعلي أخوه. والأخبار في ذلك كثيرة، وهذه منزلة شريفة ومقام عظيم، لم يحصل لأحد مثله».

وقال ابن أبي حاتم في الدر المنظم/٢٥٠: «قال أهل العدل: وجدنا رسول الله ﷺ لما آخى بين أصحابه ضم كل شكل إلى شكله وكل إنسان إلى مثله، وكل نظير إلى نظيره، فضم أبا بكر إلى عمر، وعثمان إلى أبي عبيدة بن الجراح، وطلحة إلى الزبير، وسعد بن أبي وقاص إلى سعيد بن نفييل، وأخى بينهم على هذا المثال. وآخى بينه وبين أمير المؤمنين رضي الله عنه».

وفي الدر المشهور/٢٠٥/٣: «عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ آخى بين المسلمين من المهاجرين والأنصار، فأخى بين حمزة بن عبدالمطلب وبين زيد بن حارثة، وبين عمر بن الخطاب ومعاذ بن عفراء، وبين الزبير بن العوام وعبدالله بن مسعود وبين أبي بكر وطلحة،

وبين عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، وقال لسائر أصحابه: تأخوا، وهذا أخي. يعني علي بن أبي طالب».

أما وقت المؤاخاة، فقيل بعد الهجرة بثمانية أشهر وقيل بخمسة، والصحيح أنها في ثاني عشر شهر رمضان في السنة الأولى لهجرة النبي ﷺ عند نزول قوله تعالى: **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**. ففي كتاب مسائر الشيعة للصدوق عليه السلام ٧ وفي طبعة/٣٢: «وفي الثاني عشر نزل الإنجيل على عيسى بن مريم، وهو يوم المؤاخاة التي آخى فيه بين أصحابه، وآخى بينه وبين علي عليه السلام». وفي أسالي الطوسي/٥٨٧: «عن عبدالله بن عباس قال: لما نزلت: **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**، آخى رسول الله ﷺ بين المسلمين، فأخى بين أبي بكر وعمر، وبين عثمان وعبدالرحمن، وبين فلان وفلان، حتى آخى بين أصحابه أجمعهم، على قدر منازلهم، ثم قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: أنت أخي وأنا أخوك».

وروى الجميع مؤاخاة النبي ﷺ بينه وبين علي عليه السلام، ومن ذلك:

ما رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق: ٥٣/٤٢: «إن رسول الله ﷺ لما آخى بين المسلمين أخذ بيد علي فوضعها على صدره، ثم قال: يا علي أنت أخي وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. أما تعلم أن أول من يدعى به يوم القيامة يدعى بي فأقام عن يمين العرش في ظلة فأكسى حلة خضراء من حلال الجنة، ثم يدعى بأبيك إبراهيم فيقام عن يمين العرش فيكسى حلة خضراء من حلال الجنة. ثم يدعى بالنبيين والمرسلين بعضهم على إثر بعض فيقومون سباطين فيكسون حلالاً خضراً من حلال الجنة. وأنا أخبرك يا علي أنه أول من يدعى بي من أمتي يدعى بك لقربائك مني ومنزلتك عندي، فيدفع إليك لوائه وهو لواء الحمد، يستبشر به آدم وجميع من خلق الله عز وجل من الأنبياء والمرسلين، فيستظلون بظل لوائه، فتفسير باللواء بين السباطين الحسن بن علي عن يمينك والحسين عن يسارك، حتى تقف بيني وبين إبراهيم في ظل العرش، فتكسى حلة خضراء من حلال الجنة فينادي مناد من عند العرش: يا محمد نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ

أخوك وهو علي . يا علي إنك تدعى إذا دعيت، وتحيا إذا حييت، وتكسى إذا كسيت». هذا، وفي مؤاخاة النبي ﷺ بين المسلمين وبينه وبين علي عليه السلام، بحوث مهمة.

### أسماء الذين آخى بينهم النبي ﷺ

قال ابن هشام: ٢٥١/٢: «آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فقال، فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل: تأخوا في الله أخوين، وأخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: هذا أخي، فكان رسول الله ﷺ سيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين، الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، أخوين.

وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وعم رسول الله ﷺ وزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ أخوين.. وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين الطيار في الجنة، ومعاذ بن جبل أخو بني سلمة، أخوين.

وكان أبو بكر الصديق.. وخارجه بن زيد... أخوين.

وعمر بن الخطاب.. وعثمان بن مالك.. أخوين. وأبو عبيدة بن عبد الله بن الجراح.. وسعد بن معاذ بن النعمان.. أخوين. وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع.. أخوين. والزيبر بن العوام، وسلمة بن سلامة بن وقش.. أخوين. وعثمان بن عفان، وأوس بن ثابت بن المنذر.. أخوين.

وطلحة بن عبيد الله، وكعب بن مالك.. أخوين.

وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وأبي بن كعب.. أخوين.

ومصعب بن عمير بن هاشم، وأبو أيوب خالد بن زيد.. أخوين.

وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وعباد بن بشر بن وقش.. أخوين.

وعمار بن ياسر.. وحذيفة بن اليمان.. أخوين.

وأبوذر.. والمنذر بن عمرو.. أخوين..

وكان حاطب بن أبي بلتعة.. وعويم بن ساعدة.. أخوين.

وسلمان الفارسي، وأبو الدرداء عويمر بن ثعلبة.. أخوين.

وبلال.. مؤذن رسول الله ﷺ وأبو رويحة.. أخوين.

فهؤلاء من سمى لنا ممن كان رسول الله ﷺ آخى بينهم من أصحابه..

وقال ابن عبد ربه في الدرر/٩٠: «والصحيح عند أهل السير والعلم بالآثار والخبر في المؤاخة التي عقدها رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في حين قدومه إلى المدينة، أنه آخى بين أبي بكر الصديق وخارجة بن زيد بن أبي زهير، وبين عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك، وبين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر أخي حسان بن ثابت، وآخى بين علي بن أبي طالب وبين نفسه ﷺ فقال له: أنت أخي في الدنيا والآخرة.. وآخى بين جعفر بن أبي طالب وهو بأرض الحبشة ومعاذ بن جبل. وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع. وبين الزبير وسلمة بن سلامة بن وقش. وبين طلحة وكعب بن مالك. وبين أبي عبيدة وسعد بن معاذ. وبين سعد ومحمد بن مسلمة. وبين سعيد بن زيد وأبي بن كعب. وبين مصعب بن عمير وأبي أيوب، وبين عمار وحذيفة بن اليمان حليف بني عبد الأشهل، وقد قبل بين عمار وثابت بن قيس. وبين أبي حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر. وبين أبي ذر والمنذر بن عمرو. وبين ابن مسعود وسهل بن حنيف. وبين سلمان الفارسي وأبي الدرداء. وبين بلال وأبي رويحة الخثعمي حليف الأنصار. وبين حاطب بين أبي بلتعة وعويم بن ساعدة. وبين عبدالله بن جحش وعاصم بن ثابت. وبين عبيدة بن الحارث وعمير بن الحمام. وبين الطفيل بن الحارث أخيه وسفيان بن بشر بن زيد من بني جشم بن الحارث بن الخزرج. وبين الحصين بن الحارث أخيها. وعبدالله بن جبير. وبين عثمان بن مظعون والعباس بن عباد.. وآخى رسول الله ﷺ بينه «أوس بن ثابت» وبين عثمان بن عفان». وهذه نصوص في المؤاخة، وطبيعي أن يكون بعضها ضعيفاً وبعضها مكذوباً:

«فآخى بين أبي بكر وعمر وبين طلحة والزبير، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن

عوف». الطبقات: ١٧٤/٣ والإكمال/١٧٧.

«آخى بين عويم وعمر». تاريخ بخاري: ٦٩/١.

- «أخى بين عويم بن ساعدة وحاطب بن أبي بلتعة». الطبقات: ٤٥٩/٣.
- «أخى بين أبي بكر وخارجة بن زيد الخزرجي». تاريخ دمشق: ٩٤/٣٠.
- «أخى بين الزبير وطلحة.. أخى بين الزبير وبين كعب بن مالك». الطبقات: ١٠٢/٣.
- «وأخى النبي ﷺ بينه «الزبير» وبين سعد بن معاذ». تهذيب التهذيب: ٢٥/٦.
- «أخى بين الزبير وبين عبدالله بن مسعود». تاريخ دمشق: ٧٦/٣٣ وسيرالذهبي: ٤٦٧/١.
- «أخى بينه «الزبير» وبين سلمة بن سلامة بن وقش». أسد الغابة: ١٩٦/٢.
- «أخى بين الزبير وبين عبدالله بن مسعود». تاريخ بغداد: ٥٧/٩.
- «وأخى رسول الله ﷺ بين عبدالله بن مسعود ومعاذ بن جبل». الطبقات: ١٥٢/٣.
- «وأخى رسول الله ﷺ بين جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل». الطبقات: ٣٥/٤ والإصابة: ٥٩٢/١.
- «أخى بين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت». العثمانية: ١٦١.
- «وأخى رسول الله ﷺ بين أبي سبرة بن أبي رهم وبين سلمة بن سلامة بن وقش». الطبقات: ٤٠٢/٣.
- «أخى بين عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص. الطبقات: ١٢٥/٣.
- فأخى بينه «ابن عوف» وبين سعد بن الربيع الأنصاري». الإصابة: ٢٩٠/٤، صحيح بخاري: ٢٢٢/٤، الأحاد والمثاني: ٣٨٨/٣.
- «أخى رسول الله ﷺ بين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص». الطبقات: ١٢٠/٣.
- «وأخى بين مصعب بن عمير وأبي أيوب الأنصاري، ويقال ذكوان بن عبد قيس». الطبقات: ١٢٠/٣.
- «وأخى رسول الله ﷺ بين أبي أيوب ومصعب بن عمير». الطبقات: ٤٨٤/٣، الإصابة: ٢٠٠/٢.
- «دعا سعد بن أبي وقاص وعمار بن ياسر... ثم أخى بينهما». الأحاد والمثاني: ١٧١/٥.
- «أخى بين عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان». عمدة القاري: ١٩٧/١ ذيل الطبري/١٤.
- «أخى بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء... أخى بين سلمان وحذيفة». الطبقات: ٨٤/٤ وتاريخ دمشق: ٤٤٠/٢١.

- «وأخى بين أبي الدرداء وعوف بن مالك الأشجعي». الطبقات: ٢٨٠/٤.
- «أخى رسول الله ﷺ بين أصحابه بين سلمان وأبي الدرداء. وأخى بين عوف بن مالك وصعب بن جثامة». تاريخ دمشق: ٤٨/٤٧، الأحاد والثاني: ١٧١/٥.
- «عن الصادق عليه السلام: إن رسول الله ﷺ أخى بين سلمان وأبي ذر، واشترط على أبي ذر أن لا يعصي سلمان». الفوائد الرجالية: ١٤٩/٢ والصحيح من السيرة: ٢٤٤/٤.
- «أخى بين عوف بن مالك والصعب بن جثامة». تاريخ دمشق: ٤٨/٤٧.
- «أخى رسول الله ﷺ بينه «المنذر بن عمرو» وبين أبي ذر الغفاري». الإستيعاب: ١٤٤٩/٣.
- «وأخى رسول الله ﷺ بين المنذر بن عمرو وطليب بن عمير». الطبقات: ٥٥٥/٣.
- «وأخى رسول الله ﷺ بين طليب بن عمير والمنكدر بن عمرو». تاريخ دمشق: ١٤٣/٢٥.
- «وأخى رسول الله ﷺ بينه «سالم مولى أبي حذيفة» وأبي بكر». تأويل ابن قتيبة: ٢٨٥/٣.
- «وأخى رسول الله ﷺ بينه «سالم» وبين معاذ بن ماعص الأنصاري». الطبقات: ٨٨/٣.
- «وأخى بين معاذ بن ماعص وسالم مولى أبي حذيفة». الطبقات: ٥٩٥/٣.
- «أخى بين أبي الهيثم بن التيهان وعثمان بن مظعون». الحاكم: ٢٨٦/٣.
- «وأخى رسول الله ﷺ بين الحارثة بن سراقاة والسائب بن عثمان بن مظعون». الطبقات: ٥١٠/٣.
- «وأخى رسول الله ﷺ بين السائب بن عثمان وبين حارثة بن سراقاة الأنصاري». الطبقات: ٤٠٣/٣.
- «وأخى رسول الله ﷺ بين عبدالله بن مظعون وسهل بن عبيدالله بن المعلى الأنصاري». الطبقات: ٤٠٠/٣، الإستيعاب: ٨١٠/٢ والإصابة: ٣٦٥/٧.
- «وأخى رسول الله ﷺ بين أسيد بن حضير وزيد بن حارثة». الحاكم: ٣٨٧/٣.
- «أخى بين حمزة وزيد بن حارثة». الطبقات: ١٥٩/٨ وتاريخ دمشق: ٣٦١/١٩.
- «أخى رسول الله ﷺ بين عامر بن ربيعة ويزيد بن المنذر بن شريح الأنصاري». الحاكم: ٣٥٨/٣، الطبقات: ٣٨٧/٣ و ٥٧٥/٣ والإستيعاب: ١٥٨٠/٤.
- «أخى رسول الله ﷺ بين خباب وبين جبر بن عتيك». الحاكم: ٣٨٢/٣ والطبقات: ١٦٦/٣.

- «وأخى رسول الله بينه «محمد بن مسلمة» وبين أبي عبيدة بن الجراح». الحاكم: ٣/٣٣٣.
- الطبقات: ٤١٠/٣ و٤٤٣، تاريخ دمشق: ٥٥/٢٦٠ والإصابة: ٦/٢٨.
- «وأخى رسول الله بينه «شجاع بن وهب» وبين أوس بن خولي». الطبقات: ٣/٩٤ و٥٤٢ والإستيعاب: ٢/٧٠٧.
- «وأخى رسول الله بين عمير بن عبد عمرو والخزاعي وبين يزيد بن الحارث بن فسحم». الطبقات: ٣/١٦٨ و٥٣٤.
- «وأخى رسول الله بين مسعود بن الربيع القاري وبين عبيد بن التيهان». الطبقات: ٣/١٦٨، الإستيعاب: ٣/١٣٩٢ والإصابة: ٦/٧٧.
- «وأخى رسول الله بين زيد بن الخطاب ومعن بن عدي بن المعجلان». الطبقات: ٣/٣٧٧.
- «وأخى رسول الله بين عاقل بن أبي البكير وبين مبشر بن عبد المنذر». الطبقات: ٣/٣٨٨ و٥٥٣.
- «أخى رسول الله بين خنيس بن حذافة وأبي عيس بن جبر». الطبقات: ٣/٣٩٣ و٤٥٠.
- «وأخى رسول الله بين معمر بن الحارث ومعاذ بن عفراء». الطبقات: ٣/٤٠١ و٤٩٢.
- «وأخى رسول الله ﷺ بين عبد الله بن محرمة وفروة بن عمرو بن وذفة». الطبقات: ٣/٤٠٣ و٥٩٩.
- «وأخى رسول الله بينه «المنذرأبا عبدة» وبين الطفيل بن الحارث بن المطلب». الطبقات: ٣/٣٧٧.
- «أخى بين الطفيل بن الحارث وسفيان بن نسر بن عمرو بن الحارث». الطبقات: ٣/٥٢ و٤٢١.
- «وأخى رسول الله بين وهب بن سعد وسويد بن عمرو». الطبقات: ٣/٤٠٧.
- «وأخى رسول الله بين الحارث بن خزمة وإياس بن أبي البكير». الطبقات: ٣/٤٤٧.
- «أخى رسول الله بين عباد بن بشر وبين أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة». الطبقات: ٣/٤٤٠.
- «أخى رسول الله بين صفوان بن بيضاء ورافع بن المعلى». الطبقات: ٣/٤١٦ و٦٠١.
- «أخى رسول الله بين رافع بن عنجدة والحصين بن الحارث بن المطلب». الطبقات: ٣/٤٦١.
- «أخى رسول الله بين ثعلبة بن حاطب ومعتب بن الحمراء». الطبقات: ٣/٤٦٠.
- «وأخى رسول الله بين عاصم بن ثابت و عبد الله بن جحش». الطبقات: ٣/٤٦٢.
- «أخى رسول الله بين عمارة بن حزم ومحرز بن نضلة». الطبقات: ٣/٤٨٦.

- «وأخى رسول الله بين عبادة بن الصامت وأبي مرثد الغنوي». الطبقات: ٥٤٦/٣.
- «أخى رسول الله ﷺ بين أبي دجانة وعتبة بن غزوان». الطبقات: ٥٥٦/٣.
- «أخى رسول الله بين عمير بن الحمام وعبيدة بن الحارث». الطبقات: ٥٦٥/٣.
- «وأخى بين بشر بن البراء بن معرور وبين واقد بن عبد الله التميمي». الطبقات: ٥٧٠/٣.
- «أخى رسول الله بينه «واقدين عبدالله» وبين بشر بن البراء بن معرور». الإستيعاب: ١٥٥٠/٤.
- «وأخى رسول الله ﷺ بين جبار بن صخر والمقداد بن عمرو». الطبقات: ٥٧٦/٣.
- «أخى رسول الله بينه «أحمد بن سلمة السلمي» وبين المقداد». الإستيعاب: ٢٢٨/١.
- «أخى رسول الله بين عائذ بن ماعص وسويط بن عمرو العبدري». الطبقات: ٥٩٥/٣.
- «أخى بين بلال وبين أبي رويحة الخثعمي». الطبقات: ٢٢٣/٣ وتاريخ دمشق: ٢٣٤/٦٦.
- «أخى بين أبي بن كعب وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل». الطبقات: ٤٩٨/٣.
- «أخى بين المقداد بن عمرو وعبد الله بن رواحة». تاريخ دمشق: ١٥٧/٦٠.
- «أخى بين الحارث بن الصمة وصهيب». تاريخ الذهبي: ٢٥٢/٢.
- «أخى بينه «زيد بن الدثنة الأنصاري» وبين مسطح بن أثانة». الوافي: ٢٨/١٥.
- ومن مكذوباتهم أن النبي ﷺ أخى بين نوفل بن الحارث والعباس. الطبقات: ٤٦/٤. مع أن العباس لم يهاجر، وخرج في بدر مع المشركين وأخذ أسيراً.
- وكذا روايتهم بأنه ﷺ أخى بين علي بن عثمان، وأن عثمان طالب بها علياً عليه السلام!

## ٢- النبي ﷺ يرسى ميثاق الدولة الإسلامية ويحدد دستورها

نورد هنا خلاصة لما كتبه المحامي أحمد حسين يعقوب في كتابه القيم: «حقوق الإنسان عند أهل بيت النبوة والفكر المعاصر»:

«عندما وصل رسول الله ﷺ إلى إقليم الدولة ومقر المجتمع الجديد، أخى بين الأنصار ثم أخى بين المهاجرين والأنصار، وأخى مرة ثانية بينه وبين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فأصبح المسلمون «المهاجرون والأنصار» كعائلة واحدة تربطهم وشائج الإسلام والإيمان وأخوته، وأصبح النبي ﷺ ولي هذه العائلة مجتمعة بالنص الشرعي، علاوة على رئاسته العامة لكل مواطني يثرب، من أتباع الديانات الأخرى..»



## أ. التعاقد بين رسول الله ﷺ وبين المسلمين

تم التعاقد الفعلي والقانوني بين رسول الله ﷺ بصفته الولي، أو السلطة، أو القيادة المختارة إلهياً لقيادة المجتمع الجديد، وبصفته أيضاً المتلقي للشرعية الإلهية والمؤمن على تطبيق أحكامها في المجتمع الجديد، وبين المسلمين كأعضاء في المجتمع الجديد. وقد حرص رسول الله ﷺ على أن يتم الدخول في الإسلام والانتساب إلى المجتمع الجديد بموجب عقد حقيقي مع كل واحد يريد الدخول في الإسلام والانتساب لمجتمعه الجديد، وأن يكون من بنود العقد القبول بقيادة الرسول للمجتمع، والقبول بطبيعة أحكام الشريعة الإلهية باعتبار أن «قيادة الرسول وتطبيق الشريعة الإلهية» الضمانة العملية لحماية الإنسان وتمكينه من ممارسة حقوقه كاملة غير منقوصة.

فلم يروا قط أن رجلاً أو أنثى دخل في الإسلام دون أن يبايع رسول الله، فكل رجل كان يضع يده بيد الرسول كناية عن تمام التعاقد، وكل أنثى كانت تباع الرسول بالبيعة والشكل الذي حدده الرسول ﷺ... تلك حقيقة مطلقة لا يملك أحد إنكارها، فالبيعة بين الطرفين كناية عن تمام التعاقد حسب الأعراف والأطر القانونية التي كانت سائدة آنذاك، وكانت كل بيعة تتم بالرضا والطوعية التامين، وبدون إكراه أو ضغط..

## ب. التعاقد لتحديد إقليم الدولة ومكان المجتمع الجديد

وقع الإختبار الإلهي على مدينة يثرب «المدينة المنورة» لتكون المكان الذي تقام فيه نواة المجتمع الجديد، ومقر الدولة الإسلامية المباركة الجديدة، وكلف الله نبيه أن يترجم هذه التوجيهات الإلهية، فالتقى بعد أداء مناسك الحج بوفد مسلمي المدينة المنورة المكون من ٧٣ رجلاً وامرأتين، والذي كان يرأسه أسعد بن زرارة، واتفق هذا الوفد المفوض مع رسول الله ﷺ وتعاقد معه على ما يلي:

١. أن يهاجر رسول الله وأهل بيته ﷺ إلى المدينة المنورة.

٢. أن يقوم الأنصار متكافلين ومتضامنين بحماية رسول الله وأهل بيته ﷺ كما يحمي

كل واحد منهم نفسه ونساءه وأولاده.

٣. أن تنسج الفرصة لمن يرغب من مسلمي مكة بالهجرة إلى المدينة والإنتهاء إلى المجتمع الجديد، وأن يتولى الأنصار احتضان المهاجرين كأخوة لهم.

٤. أن لا يترك رسول الله المدينة المنورة عندما تعلق كلمة الله ويظهر أمره.

وبعد الإتفاق على المضمون الآنف لهذا العقد قام أعضاء الوفد والمرأتان بمبايعة رسول الله ﷺ على ذلك فرداً فرداً، كناية عن تمام العقد وإبرامه...

### ج. التعاقد مع أتباع الديانات المقيمين في المدينة

بوصول النبي والمهاجرين إلى المدينة المنورة تكونت كل مقومات الدولة:

١. السلطة: المكونة من الإمام وهو رسول الله وأهل شوره أو حكومته الفعلية.

٢. الإقليم: وهو منطقة يثرب أو المدينة المنورة وما حولها.

٣. الشعب: من خلال البيعة العامة لرسول الله، عندما استقر في المدينة تكوّن

شعب الدولة الإسلامية وتحدد عملياً من:

١. المسلمين: وهم أمة واحدة من دون الناس، ويتألفون من: المهاجرين والأنصار

الأوس والخزرج ومواليهم.

٢. اليهود المتحالفين مع قبائل الأوس والخزرج، وهم يهود بني النجار، ويهود

بني الحارث، ويهود بني ساعدة، ويهود بني جشم، وبني الأوس، وبني ثعلبة.

٣. من قبائل اليهود التي تعيش في أحياء خاصة بها حول المدينة.

٤. ممن بقي على الشرك من الأعراب المتواجدين داخل المدينة وحوها.

وكان المسلمون يعرفون الشريعة الإلهية كقانون نافذ في المجتمع، ويرتبطون مع

الرسول دائماً في الصلاة يومياً، أو مرة واحدة في الأسبوع على الأقل.

أما العناصر الأخرى في مجتمع الدولة الإسلامية من أتباع الديانات الأخرى غير

الإسلام، فهي لاتعرف الحلال من الحرام، وبتعبير آخر فهي تجهل القانون النافذ

في المجتمع الجديد الذي بدأت الدولة الإسلامية بتطبيقه، ولم ترتبط مع النبي بأي

عقد. صحيح أن الكلمة العليا والقول الفصل في هذا المجتمع للنبي ﷺ وأن

هذه العناصر قد استقبلته عند وصوله إلى يثرب، وعبرت عن ترحيبها وفرحتها

بقدموه، لكنه ﷺ لم ير من المناسب أن يمتد سلطان دولته إلى هذه العناصر دون رضاها والتعاقد معها.

لذلك وضع صحيفة تنظيمية بمثابة ملحق دستوري لتنظيم العلاقة بين أفراد المجتمع الجديد وفتاته، ليعرفوا حدودهم فلا يتجاوزوها، وتتكسر فكرة سيادة الشريعة الإسلامية على الأمة المسلمة، وسيادة القانون.

#### د. تكييف هذا العقد

وهذا الملحق الدستوري عبارة عن كتاب من محمد ﷺ: ١- للمؤمنين. ٢- لكافة فئات مجتمع المدينة. ٣- لمن تبعهم. ٤- لمن لحق بهم. ٥- لمن جاهد معهم. ولا تثير على النبي ﷺ لو قدم هذا الملحق كمواد نافذة على جميع المتمين إلى المجتمع الجديد، لكن روح الإسلام القائمة على الرضا والقبول، وخلق النبي الرحيم اقتضت أن يكون بمثابة عقد خاص يشمل كل المسلمين الذين بايعوه، وتعاقدوا معه بدخولهم في الإسلام. ثم إن هذا الملحق الدستوري... عقدٌ حقيقي نظم النبي ﷺ ووافق عليه أتباع الديانات الأخرى داخل المجتمع الجديد، الذين تربطهم بالأوس والخزرج علاقات القربى والموالاتة. ويدل على ذلك المادة التي نصت على أن رسول الله هو المخول والمختص بفصل النزاعات الناتجة عن تطبيق هذه الصحيفة.

#### هـ. الخطوط العريضة لهذا الملحق أو العقد التنظيمي

١. المؤمنون والمسلمون من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم أمة من دون الناس.
٢. قريش عدوة للمجتمع اليثربي لا تُجَارُ أبداً.
٣. يشارك اليهود بالنفقات الحربية ويقسمون الغنائم.
٤. يثرب للجمع وهي محرمة لا يقطع شجرها ولا يقتل طيرها ولا يروع ساكنها.
٥. دين الدولة الجديدة هو الإسلام، ورئيس الدولة هو محمد رسول الله ﷺ، وهو مختص بفصل النزاعات التي تنشأ في المجتمع الجديد.

٦. المجرم عدو للمجتمع لا يجوز إساؤه. والقاتل يقتل، ويتعاون الجميع على تنفيذ الحكم عليه ولو كان ابن أحدكم.
  ٧. الجريمة شخصية لا يسأل غير مقترفها، والمجتمع كله ضد البغي.
  ٨. جار الإنسان كنفسه لا يضار.
  ٩. المجتمع مع المظلوم ضد الظالم.
  ١٠. لا تجار المرأة إلا بإذن أهلها.
  ١١. من خرج من المدينة فهو آمن، ومن قعد في بيته فهو آمن.
  ١٢. وحتى يضمن الأمن لليهود ومنهم وضعت مادة: لا يجوز لأي يهودي أن يخرج من المدينة إلا بإذن محمد.
  ١٣. على المسلمين سداد دين الغارم منهم.
  ١٤. اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.
  ١٥. يهود بني عون أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، وكذلك يهود بني الحارث، وبني النجار، وبني ساعدة، وبني جشم، وبني الأوس، وبني ثعلبة وبطانة الجميع كأنفسهم.
  ١٦. الله ومحمد جازٍ لمن برّ واتقى، ومن ظلم فلا أمن له.
- وقد تألف هذا العقد أو الملحق من ٤٧ بنداً تعاقدياً، وكرس البند التعاقدي رقم ٢١ الشريعة الإسلامية كقانون أعلى نافذ في المجتمع، كما كرس بوضوح تام رئاسة محمد للدولة والمجتمع، بإعطائه الحق بفصل النزاعات والخصومات...
- وهذه عقود حقيقية تمت بين السلطة وأعضاء المجتمع، وبين أعضاء المجتمع أنفسهم، وليست عقوداً افتراضية كالتى تصورهما روسو!
- ونقول بكل موضوعية: إن مثل هذه التعاقديات سابقة إنسانية، ليس لها مثيل في التاريخ البشري..
- كل هذه الأسباب دعت النبي ﷺ لاعتبار المدينة المنورة وطناً للجميع بما فيهم اليهود، واعترف بالتحالفات القبلية السابقة لقدمه وتركها على حالها،

وأعطى تشكيلات المجتمع الحرية بإدارة شؤونها، وعند اختلافها فهو المرجع لحل هذه الاختلافات، وظهر اليهود بمظهر الموالين للنبي ﷺ والترتيبات التي أعلنها، وقبلوا بالملحق الدستوري بدليل أن النبي ﷺ كان يذكرهم بالعقد كلما هموا بالخروج عليه. انتهى.

### ٣. هل كانت حروب النبي ﷺ دفاعية أم هجومية؟

كان مجتمع المدينة مجتمعاً مقاتلاً، لأن المسلمين كانوا مستهدفين. قال أمير المؤمنين عليه السلام «أما لي الطوسي / ١٧٤»: «فلما آوا رسول الله ﷺ وأصحابه ونصروا الله ودينه، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وتحالفت عليهم اليهود وغزتهم القبائل قبيلة بعد قبيلة، فتجدوا للدين وقطعوا ما بينهم وبين العرب من الخبائل، وما بينهم وبين اليهود من العهود، ونصبوا لأهل نجد وتامة، وأهل مكة واليامة، وأهل الحزن وأهل السهل قناة الدين والصبر، تحت حماس الجلال». وفي سيرة ابن إسحاق: ١٥٤/٢: «فمكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين بعدما أوحى إليه، خائفاً هو وأصحابه، يدعون الله عز وجل سراً وعلانية، ثم أمروا بالهجرة إلى المدينة وكانوا بها خائفين يمسون ويصبحون في السلاح، فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح؟ فقال رسول الله: لن تعبروا إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملاء العظيم، ليس فيه حديد». قالوا: لهذا، فإن حروب النبي ﷺ كانت دفاعاً عن كيانهم ووجودهم، أو وقاية من اعتداء متوقع. وقد تبنى هذا التحليل الكتاب المسلمون المعاصرون، دفاعاً عن الإسلام ونيه ﷺ ورداً على الغربيين الذين اتهموا الإسلام بأنه دين توسعي دموي، يتبنى القتال باسم الجهاد، وأنه انتشر بالقوة في جزيرة العرب، ثم في البلاد التي هاجمها وفتحها. كما اتهم الغربيون نظام الحكم الإسلامي بأنه نظام ديكتاتوري «ثيوقراطي» يعطي الخليفة صلاحيات مطلقة، ويقمع الرأي المخالف له بإسم الله تعالى. فأجابهم الكتاب المسلمون بأن نظام الحكم الإسلامي يقوم على الشورى، وحاولوا أن يجدوا تطبيقاً للشورى في السقيفة وغيرها، فلم يوفقوا!

#### ٤- حقائق غابت عن المُتهمين والمدافعين

استند المتقدون للإسلام على العاطفة والدعاية ضد الإسلام، وأجابه بعض المسلمين بالقول إن جميع حروب النبي ﷺ دفاعية واحتج ببعضها، وبآية: لا إكراه في الدين، وجوابهم أن آيات فريضة الجهاد صريحة في تشريع القتال للدفاع والهجوم، وكذا ما دونه الفقهاء في أبواب الجهاد في مصادر الفقه، كالکافي: ١٣/٥، بسوط الطوسي: ٢/٢، الجواهر: ٣/٢١، المجموع: ٢٦٥/١٩، والمغني: ٣٦٤/١٠.

والجواب الحقوقي في هذه المسائل: أن المالك المطلق للأرض والكون وكل المخلوقات هو الله تعالى، فهو خالقها وصاحبها ومديرها عز وجل، وهو الذي يملك جميع الحقوق القانونية، وكل ملكية وصلاحيه لمخلوقاته من ملائكة وبشر وغيرهم، لا بد أن تكون بتخليه وإعطائه. وبما أنه عز وجل عادل حكيم، فهو لا يعطي حق دعوة الناس وحكمهم إلا للمطهرين المعصومين من أنبيائه وأوصيائه ﷺ.

١- قال الله تعالى في بيان خلقه وملكته المطلقة للكون: «ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ».

«قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ».

«إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ سَيْفَاتًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ».

٢- وقال تعالى في تسليط رسله ﷺ: «وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَتْلٍ وَلَا رِجَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَسْلُطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

٣- وقال تعالى في الإذن لرسوله وأوصيائه ﷺ: «أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا وَإِنِ اللَّهُ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغيرِ حَقِّ الْإِثْمِ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِذْ مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا

الرَّكْعَةُ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ». الحج: ٣٩-٤١.

٤- وقال تعالى بأمر المؤمنين بالقتال بقيادة نبيه وأوصيائه المعصومين عليهم السلام: «فَاتِلُوا الَّذِينَ لَإِيْمُنُونَ بِاللّٰهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْمَعْيِ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ. وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ اٰهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيْرًا. الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الظَّالِمِينَ فَفَاتِلُوا اَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ اِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيْفًا». النساء: ٧٥-٧٦.

وقد حصرت أحاديث أهل البيت عليهم السلام المأذون لهم بالدعوة والقتال بالمعصومين الذين اختارهم الله تعالى وهم النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام «تهذيب الأحكام: ١٣١/٦» ولا تشمل الذين اختارهم الناس، أو فرضوا حكمهم بقوة السلاح.

لذلك كتب فقهاء مذهبنا بحثاً فقهية مفصلة في حق الحكم في عصر غيبة النبي والإمام عليهم السلام، وهل يكون بالشورى ويتم تطبيقه بالانتخابات المعروفة، أم هو حق للمعصوم فقط، فإن غاب فالناس في حالة فراغ، والحكم غير شرعي، والمؤمنون يتعايشون مع الحكومات الموجودة، ويعملون لتحسين أوضاعها وتقليل ظلمها. وقال القليل منهم إن حق الحكم للناس لمن ينتخبونه ضمن الشروط الشرعية، وإن لم يصح وصفه بأنه خليفة للنبي صلى الله عليه وآله.

وقال بعضهم كالسيد الخميني رحمته الله إن الحكم في عصر الغيبة للفقهاء الجامع للشرائط «المرجع أو المجتهد» وله الولاية المطلقة على الناس شبيهاً بالمعصوم عليه السلام، لكنه صلى الله عليه وآله قبل بنظام يعتمد الانتخابات، بشرط أن يمضي نتيجتها الفقيه ولي الأمر.

وأما فقهاء مذاهب السلطة فقالوا يجب على المسلمين أن يبايعوا حاكماً ويصير خليفة شرعياً للنبي صلى الله عليه وآله بمجرد أن يصفق على يده بالبيعة شخص واحد، فيجب على البايعين بيعته، ويجوز إجبارهم بالسيف عليها! فإن قام ضده أحد وجب قتاله لأنه باغ معتد بخروجه على الإمام، لكن إذا غلب الباغي تحول إلى خليفة شرعي ووجب بيعته! وهذا تكون الشرعية عندهم لمن غلب وتسلط، ويكون الله تعالى مع من غلب!

الكتاب  
الشرعي  
المعاصر

## ٥- أذن الله لرسوله ﷺ بقتال المشركين

في الكافي: ٣٤١/٨، بسند صحيح عن ابن المسيب، عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «لما ماتت خديجة قبل الهجرة بسنة، ومات أبو طالب.. حزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً، وخاف على نفسه من كفار قريش فأوحى الله إليه: أخرج من القرية الظالم أهلها، وهاجر إلى المدينة، فليس لك بمكة ناصر، وانصب للمشركين حرباً. فعند ذلك توجه رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة».

وفي تفسير القمي: ٧١٨: «قوله: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ. نزلت بالمدينة ونسخت آية: كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ.. التي نزلت بمكة».

وفي جواهر الكلام: ٥٧/٢١: «فلما أرادوا ما هموا به من تبيته، أمره الله بالهجرة وفرض عليه القتال، فقال: أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا..».

وفي الكافي: ١٣/٥، عن أبي عمرو الزبيري، أنه قال للإمام الصادق عليه السلام: «أخبرني عن الدعاء إلى الله والجهاد في سبيله، أهو لقوم لا يحل إلا لهم ولا يقوم به إلا من كان منهم، أم هو مباح لكل من وحد الله عز وجل وآمن برسوله ﷺ ومن كان كذا فله أن يدعو إلى الله عز وجل وإلى طاعته وأن يجاهد في سبيله؟

فقال: ذلك لقوم لا يحل إلا لهم ولا يقوم بذلك إلا من كان منهم. قلت: من أولئك؟ قال: من قام بشرائط الله عز وجل في القتال والجهاد على المجاهدين، فهو المأذون له في الدعاء إلى الله عز وجل، ومن لم يكن قائماً بشرائط الله عز وجل في الجهاد على المجاهدين فليس بمأذون له في الجهاد ولا الدعاء إلى الله، حتى يحكم في نفسه ما أخذ الله عليه من شرائط الجهاد.

قلت: فبين لي يرحمك الله. قال: إن الله تبارك وتعالى أخبر نبيه في كتابه الدعاء إليه ووصف الدعاء إليه فجعل ذلك لهم درجات يعرف بعضها بعضاً ويستدل بعضها على بعض فأخبر أنه تبارك وتعالى أول من دعا إلى نفسه ودعا إلى طاعته واتباع أمره فبدأ بنفسه فقال: وَاللَّهِ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. ثم شئ برسوله فقال: ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالنَّوْعِلَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ



بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ . يعنى بالقرآن . ثم ذكر من أذن له في الدعاء إليه بعده وبعد رسوله في كتابه فقال: وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ..

ثم أخبر عن هذه الأمة وعن هي وأنها من ذرية إبراهيم ومن ذرية إسماعيل من سكان الحرم ممن لم يعبدوا غير الله قط، الذين وجبت لهم الدعوة، دعوة إبراهيم وإسماعيل من أهل المسجد الذين أخبر عنهم في كتابه أنه أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا... ثم أخبر تبارك وتعالى أنه لم يأمر بالقتال إلا أصحاب هذه الشروط فقال عز وجل: أَدْنِ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَضْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ..

وذلك أن جميع ما بين الساء والأرض لله عز وجل ولرسوله ولأتباعهما من المؤمنين من أهل هذه الصفة، فما كان من الدنيا في أيدي المشركين والكفار والظلمة والفجار من أهل الخلاف لرسول الله ﷺ والمولى عن طاعتها مما كان في أيديهم ظلّموا فيه المؤمنين من أهل هذه الصفات وغلبوهم عليه مما أفاء الله على رسوله، فهو حقهم أفاء الله عليهم ورده إليهم، وإنما معنى الفيء كل ما صار إلى المشركين ثم رجع مما كان قد غُلب عليه أو فيه، فما رجع إلى مكانه من قول أو فعل فقد فاء.. وإن لم يكن مستكملاً لشرائط الإيمان فهو ظالم، ممن يبغى ويجب جهاده حتى يتوب! وليس مثله مأذوناً له في الجهاد والدعاء إلى الله عز وجل، لأنه ليس من المؤمنين المظلومين الذين أذن لهم في القرآن في القتال..

فليتق الله عز وجل عبداً ولا يغتر بالأماني التي نهى الله عز وجل عنها، من هذه الأحاديث الكاذبة على الله التي يكذبها القرآن، ويتبرأ منها ومن حملتها ورواتها». وقال يعقوب في تاريخه: ٤٤/٢: «وأقام رسول الله يتلّوم ويتهياً للقتال حتى أنزل الله، عز وجل: أَدْنِ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَضْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. والآية التي بعدها. وقال: فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ. إلى آخر الآية. فكان الرجل من المؤمنين يعد بعشرة من المشركين حتى أنزل الله عز وجل: الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ

يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ . وأنزل الله عليه سيفاً من السماء له غمد، فقال له جبريل : ربك يأمرك أن تقاتل بهذا السيف قومك حتى يقولوا: لا إله إلا الله وإنك رسول الله، فإذا فعلوا ذلك حرمت دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله . فكان أول سرية سارت ولواء عقد في الإسلام لحمزة بن عبدالمطلب .

وقال ابن هشام: ٣٢٠/٢: «أذن الله عز وجل لرسوله ﷺ في القتال والإنصار ممن ظلمهم وبغى عليهم، فكانت أول آية أنزلت في إذنه له في الحرب وإحلاله له الدماء والقتال لمن بغى عليهم، فيما بلغني عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء، قول الله تبارك وتعالى: أُوذِيَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ». وفي الكافي: ٢٧٥/٥ قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله عز وجل بعث رسوله بالإسلام إلى الناس عشر سنين، فأبوا أن يقبلوا حتى أمره بالقتال! فالخير في السيف وتحت السيف والأمر يعود كما بدأ. قال رسول الله ﷺ: الخير كله في السيف وتحت ظل السيف، ولا يقيم الناس إلا السيف، والسيوف مقاليد الجنة والنار».



## الفصل السادس والثلاثون

### زواج النبي ﷺ بعد وفاة خديجة عليها السلام

#### لم يتزوج النبي ﷺ على خديجة وتزوج بعد هجرته

قال ابن شهر آشوب في المناقب: ١٣٧/٨: «في إعلام الوري، ونزهة الأبصار، وأمالى الحاكم، وشرف المصطفى: أنه ﷺ تزوج بإحدى وعشرين امرأة. وقال ابن جرير وابن مهدي: واجتمع له إحدى عشرة امرأة في وقت.

ترتيب أزواجه: تزوج بمكة أولاً خديجة بنت خويلد، قالوا: وكانت عند عتيق بن عايد المخزومي ثم عند أبي هالة زرارة بن نباش الأسدي.

وروى أحمد البلاذري، وأبو القاسم الكوفي في كتابيهما، والمرضى في الشافي، وأبو جعفر في التلخيص: أن النبي ﷺ تزوج بها وكانت عذراء، يؤكد ذلك ما ذكر في كتابي الأنوار والبدع أن رقية وزينب كانتا ابنتي هالة أخت خديجة.

وسودة بنت زمعة بعد موتها بسنة، وكانت عند سكران بن عمرو من مهاجري الحبشة فتنصر ومات بها. وعائشة بنت أبي بكر، وهي ابنة سبع قبل الهجرة بستين، ويقال كانت ابنة ست ودخل بها بالمدينة في شوال وهي ابنة تسع، ولم يتزوج غيرها بكراً، وتوفي النبي وهي ابنة ثمانية عشر سنة، وبقيت إلى أمانة معاوية وقد قاربت السبعين.

وتزوج بالمدينة أم سلمة، واسمها هند بنت أمية المخزومية، وهي بنت عمته عاتكة بنت عبدالمطلب، وكانت عند أبي سلمة بن عبد الأسد، بعد وقعة بدر من سنة اثنتين من التاريخ،

وفي هذه السنة تزوج بحفصة بنت عمر وكانت قبله تحت حنيس بن عبدالله ابن حذافة السهمي، فبقيت إلى آخر خلافة علي عليه السلام وتوفيت بالمدينة. وزينب بنت جحش الأسديّة، وهي ابنة عمتها أئمة بنت عبدالمطلب، وكانت عند زيد بن حارثة، وهي أول من ماتت من نسائه بعده في أيام عمر، بعد سنتين من التاريخ. وجويرية بنت الحارث بن ضرار المصطلقية، ويقال إنه اشتراها فأعتقها وتزوجها وماتت في سنة خمسين، وكانت عند مالك بن صفوان بن ذي السفرتين. وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وإسمها رملة وكانت عند عبدالله بن جحش، في سنة ست، وبقيت إلى أمانة معاوية.

وصفية بنت حي بن أخطب النضري، وكانت عند سلام بن مسلم، ثم عند كنانة ابن الربيع، وكانت أتى بها وأسر بها في سنة سبع. وميمونة بنت الحارث الهلالية، خالة ابن عباس، وكانت عند عمير بن عمرو الثقفي، ثم عند أبي زيد بن عبدالعامري، خطبها للنبي صلى الله عليه وآله جعفر بن أبي طالب وكان تزويجها وزفافها وموتها وقبرها بسرف، وهو على عشرة أميال من مكة في سنة سبع، وماتت في سنة ست وثلاثين. وقد دخل بهؤلاء.

والمطلقات أو من لم يدخل بهن أو من خطبها ولم يعقد عليها: فاطمة بنت شريح وقيل بنت الضحاك، تزوجها بعد وفاة ابنه زينب وخيرها حين أنزلت عليه آية التخيير فاختارت الدنيا ففارقها، فكانت بعد ذلك تلقت البعر وتقول: أنا الشقية اخترت الدنيا. وزينب بنت خزيمة بن الحرث أم المساكين من عبدمناف، وكانت عند عبيدة بن الحرث بن عبدالمطلب. وأسما بنت النعمان بن الأسود الكندي من أهل اليمن. وأسما بنت النعمان، لما دخلت عليه قالت: أعود بالله منك، فقال: أعدتك إلحقي بأهلك، وكانت بعض أزواجه علمتها وقالت: إنك تحظين عنده. وقتيلة أخت الأشعث بن قيس الكندي، ماتت قبل أن يدخل بها، ويقال طلقها فتزوجها عكرمة بن أبي جهل وهو الصحيح. وأم شريك، وإسمها غزية بنت جابر من بني النجار. وسنا بنت الصلت من

بني سليم، ويقال خولة بنت حكيم السلمية ماتت قبل أن تدخل عليه، وكذلك صراف أخت دحية الكلبي.

ولم يدخل بعمره الكلابية، وأميمة بنت النعمان الجونية، والعالية بنت ظبيان الكلابية، ومليكة الليثية. وأما عميرة بنت بريد رأى بها بياضاً فقال: دلستم عليّ فردها، وليلى بنت الحطيم الأنصارية ضربت ظهره وقالت: أقلني، فأقالها فأكلها الذئب، وعمرة من العرطا «كذا» وصفها أبوها حتى قال: إنها لم تمرض قط، فقال ﷺ: ما لهذه عند الله من خير. والتسع اللاتي قبض عنهن: أم سلمة، زينب بنت جحش، ميمونة، أم حبيبة، صفية، جويرية، سودة، عائشة، حفصة.

قال زين العابدين عليه السلام، والضحاك، ومقاتل: الموهبة امرأة من بني أسد، وفيه ستة أقوال. ومات قبل النبي ﷺ: خديجة، وزينب بنت خزيمة. وأفضلهن خديجة، ثم أم سلمة، ثم ميمونة.

مبسوط الطوسي، أنه اتخذ من الإمام ثلاثاً: عجميتين وعربية فأعتق العربية واستولد إحدى العجميتين، وكان له سريتان يقسم لهما مع أزواجه: مارية القبطية، وريحانة بنت زيد القرظية، أهداهما المقوقس صاحب الإسكندرية، وكانت لمارية أخت اسمها سيرين فأعطاها حسان فولدت عبد الرحمن، فتوفيت مارية بعد النبي بخمس سنين، ويقال إنه أعتق ريحانة ثم تزوجها.

وفي الأنوار، والكشف، واللمع، وكتاب البلاذري: أن زينب ورقية كانتا ربيتيه من جحش، فأما القاسم والطيب فهاتان بمكة صغيرين.

### أم سلمة أفضل أزواج النبي ﷺ بعد خديجة عليها السلام

قال الإمام الصادق عليه السلام: «أفضلهن خديجة بنت خويلد، ثم أم سلمة، ثم ميمونة». «الخصال/٤١٩». وقد تزوج سودة أول دخوله المدينة، ثم تزوج أم سلمة وهي بنت عم أبي جهل، أبوها أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر المخزومي! وكان يسمى زاد الراكب لكرمه، وأبو جهل هو: عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. دلائل الإمامة/٨١ وعمدة القاري: ٨٤/١٧.

أما زوجها قبل النبي ﷺ أبو سلمة فهو: «عبدالله بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم». «الحاكم: ١٩٦/٤». وأما عاتكة بنت عامر بن ربيعة. وكان أخوها لأبيها عبدالله بن أبي أمية من أشد أعداء النبي ﷺ مع أنه ابن عاتكة بنت عبد المطلب عمه النبي ﷺ! وهو الذي قال: «لا أومن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سُلماً وترقى فيه وأنا أنظر، حتى تأتيها، وتأتي بنسخة منشورة معك، ونفر من الملائكة، يشهدون لك أنك كما تقول!»!

وفيه وفي رفقاءه نزل قوله تعالى: «وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا. أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ وَعَنْبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا. أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا مِثْقَالَ أُوتُومٍ أَوْ تَأْتِي بَالِغًا فِي السَّمَاءِ أَوْ تُرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُؤْيِكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا مَكِّتَابًا تَقْرَأُهُ فُلٌ مُسْبَحَاتٍ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا». أسباب النزول/١٩٩.

«وقد أسلمت أم سلمة وزوجها وهاجرا إلى الحبشة، ورزقت منه ثلاثة بنين وثلاث بنات، ورجعوا من الحبشة إلى المدينة وتوفي أبو سلمة قبل بدر، فتزوج بها رسول الله ﷺ بعد بدر في شوال. وعاشت إلى خلافة يزيد بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام، وصلى عليها سعيد بن زيد وكان أمير المدينة». المناقب: ١٣٨/١. الاستيعاب: ١٩٢٠/٤ و١٨/٣، ذخائر العقبى/٢٥٠، الحاكم: ١٨/٤، أسباب النزول/١٩٩، الطبقات: ٤٣/٨ وابن إسحاق: ١٨٠/٢.

### خطبة النبي ﷺ لأُم سلمة

أرسل النبي ﷺ بخطبها فأجابته: «في خصال ثلاث: أما أنا فكبيرة، وأنا مُطفل، وأنا غيور». فقال ﷺ: «أما ما ذكرت من الغيرة فنَدعو الله حتى يذهب عنك، وأما ما ذكرت من الكبر فأنا أكبر منك، والطفل إلى الله وإلى رسوله». «ابن إسحاق: ٤٢٩/٥، الطبقات: ٩١/٨». وفي رواية قالت: أنا امرأة مصيبة، أي عندي أطفال. وفي الانتصار للمرتضى/٢٨٥: «فقال ليس أحد من أوليائي حاضراً، فقال ﷺ: ليس أحد من أوليائك حاضراً أو غائباً إلا ويرضى بي، ثم قال لعمر

بن أبي سلمة وكان صغيراً: قم فزوجها، فتزوج النبي ﷺ بغير ولي».

وكانت موصوفة بالجمال، «في الكافي: ١١٧/٥»، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «مات الوليد بن المغيرة فقالت أم سلمة للنبي ﷺ: إن آل المغيرة قد أقاموا منحة فأذهب إليهم؟ فأذن لها، فلبست ثيابها وتبأّت وكانت من حسننها كأنها جان، وكانت إذا قامت فأرخت شعرها جلجل جسدها وعقدت بطرفه خلخالها، فندبت ابن عمها بين يدي رسول الله ﷺ فقالت:

أنعى الوليد بن الوليد      أبا الوليد فتى العشيرة  
حامى الحقيقة ماجد      يسمو إلى طلب التوية  
قد كان غيثاً في السنين      وجعفرأ غدقاً وميرة

قال: فما عاب ذلك عليها النبي ﷺ ولا قال شيئاً».

وقالت عائشة: «لما تزوج رسول الله أم سلمة حزنت حزناً شديداً لما ذكر والنا من جمالها! قالت: فتلطفت لها حتى رأيتها فرأيتها والله أضعاف ما وُصفت لي في الحسن والجمال! قالت: فذكرت ذلك لحفصة وكانت يداً واحدة، فقالت: لا والله إن هذه إلا الغيرة ما هي كما يقولون، فتلطفت لها حفصة حتى رأتها فقالت: قد رأيتها ولا والله ما هي كما تقولين وإنما جميلة! قالت: فرأيتها بعد فكانت لعمري كما قالت حفصة، ولكنني كنت غَيْرِي». الطبقات: ٩٤/٨.

### أمانة النبي ﷺ وعترته عليه السلام

أدّت أم سلمة رضي الله عنها واجبها في خدمة النبوة والإمامة على أحسن وجه وكان لها دور في نشر حديث رسول الله ﷺ، والدفاع عن أمير المؤمنين والزهراء والحسين والأئمة عليهم السلام، سواء في عهد النبي ﷺ، أو بعد وفاته ﷺ، وفي مواجهة أهل السقيفة، ثم في مواجهة عائشة وطلحة والزبير ومعاوية ويزيد! وساعدها على ذلك أنها من شخصيات بني مخزوم، وأنها أطول نساء النبي ﷺ عمراً، وصاحبة مكانة محترمة عند النبي ﷺ، وقد أودع عندها تربة كربلاء التي أتاه بها جبرئيل عليه السلام وأخبرها أنها عندما يقتل الحسين عليه السلام في كربلاء تتحول إلى دم عبيط، أي صافٍ! وقد استفاضت

روايتها في مصادر الشيعة والسنة، فمن ذلك ما رواه أحمد: ٢٤٢/٣ وثقوه، عن أنس بن مالك: «أن ملك المطر استأذن ربه أن يأتي النبي فأذن له فقال لأم سلمة: إملكي علينا الباب لا يدخل علينا أحد، قال: وجاء الحسين ليدخل فمنعته فوثب فدخل فجعل يقعد على ظهر النبي ﷺ وعلى منكبه وعلى عاتقه، قال فقال الملك للنبي ﷺ: أتجبه؟ قال: نعم. قال: أما إن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه! فضرب بيده فجاء بطينة حمراء، فأخذتها أم سلمة فصَرَّتْها في خمارها، قال ثابت: بلغنا أنها كربلاء».

ومن مصادرنا ما رواه الطوسي في أماليه/٣١٥، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس، قال: «بينما أنا راقد في منزلي إذ سمعت صراخاً عظيماً عالياً من بيت أم سلمة زوج النبي ﷺ فخرجت يتوجه بي قائدي إلى منزلها، وأقبل أهل المدينة إليها الرجال والنساء، فلما انتهيت إليها قلت: يا أم المؤمنين ما بالك تصرخين وتغوثين؟ فلم تجبني وأقبلت على النسوة الهاشميات وقالت: يا بنات عبد المطلب أسعدنني وابكين معي، فقد والله قتل سيدكن وسيد شباب أهل الجنة، قد والله قتل سبط رسول الله وربحائه الحسين! فقيل: يا أم المؤمنين ومن أين علمت ذلك؟ قالت: رأيت رسول الله ﷺ في المنام الساعة سَعِثاً مذعوراً فسألته عن شأنه ذلك، فقال: قتل ابني الحسين وأهل بيته اليوم فدفنتهم، والساعة فرغت من دفنهم! قالت: فممت حتى دخلت البيت وأنا لا أكاد أن أعقل، فنظرت فإذا بترية الحسين التي أتى بها جبرئيل من كربلاء فقال: إذا صارت هذه التربة دماً فقد قتل ابنك، وأعطانيها النبي ﷺ فقال: إجعلني هذه التربة في زجاجة أو قال: في قارورة ولتكن عندك، فإذا صارت دماً عبيطاً فقد قتل الحسين! فأريت القارورة الآن وقد صارت دماً عبيطاً تفور! قال: وأخذت أم سلمة من ذلك الدم فلطخت به وجهها، وجعلت ذلك اليوم مأتماً ومناحة على الحسين ﷺ، فجاءت الركبان بخبره، وأنه قتل في ذلك اليوم!

قال عمرو بن ثابت قال أبي: فدخلت على أبي جعفر محمد بن علي ﷺ منزله



فسألته عن هذا الحديث، وذكرت له رواية سعيد بن جبير هذا الحديث عن عبدالله بن عباس فقال: أبو جعفر عليه السلام حدثني عمر بن أبي سلمة، عن أمه أم سلمة.

كما أعطاه صحيفة علامة على إمامة علي عليه السلام، ففي بصائر الدرجات/ ١٨٦، عن ابن عباس و: ١٨٨، عن أم سلمة قالت: «أعطاني رسول الله صلى الله عليه وآله كتاباً قال: أمسكي هذا فإذا أنا قبضت فقام رجل على هذه الأعواد يعني المنبر فأتاك يطلب هذا الكتاب فادفعه إليه. قالت: فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله سعد أبو بكر المنبر فانتظرته به فلم يأت، فلما مات سعد عمر فانتظرته فلم يأت فلما مات عمر سعد عثمان فانتظرته فلم يأت، فلما مات عثمان سعد أمير المؤمنين فلما سعد ونزل جاء فقال: يا أم سلمة أريني الكتاب الذي أعطاك رسول الله صلى الله عليه وآله. فقالت: وإنك أنت صاحبه؟ فقالت: أما والله إن الذي كنت أحب أن محبوبك به فأخرجته إليه ففتحه فنظر فيه ثم قال: إن في هذا لعلماً جديداً. قال قلت أي شيء كان ذلك؟ قال: كل شيء يحتاج إليه ولد آدم! ونحوه بصائر الدرجات/ ١٨٣، عن عمر بن أم سلمة: «فاستأذن عليٌّ فدخل فقال لها: أعطني الكتاب الذي دفع إليك بآية كذا وكذا، وكأني أنظر إلى أمي حتى قامت إلى تابوت لها في جوفها تابوت صغير، فاستخرجت من جوفه كتاباً فدفعته إلى علي عليه السلام، ثم قالت لي أمي: يا بني إلممه فلا والله ما رأيت بعد نبيك إماماً غيره!» كما استودعها المؤمنين عليه السلام موارث الأنبياء عليه السلام لتسلمها إلى الإمام الحسن عليه السلام، «في الكافي: ٢٩٨/١»، عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن علياً حين سار إلى الكوفة استودع أم سلمة كتبه والوصية، فلما رجع الحسن عليه السلام دفعها إليه».

كما استودعها الإمام الحسين عليه السلام وصيته وموارث الأنبياء عليه السلام، «في الكافي: ٣٠٤/١»، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن الحسين صلوات الله عليه لما صار إلى العراق استودع أم سلمة الكتب والوصية، فلما رجع علي بن الحسين عليه السلام دفعها إليه». وفي بصائر الدرجات/ ١٩٧، عن حمران أنه سأل الإمام الباقر عليه السلام قال: «سألته عما يتحدث الناس أنه دفعتم إلى أم سلمة صحيفة محتومة؟ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما قبض ورث علي عليه السلام سلاحه وما هنالك، ثم صار إلى الحسن والحسين، فلما خشيا أن

يفتشا استودعا أم سلمة، ثم قبضا بعد ذلك فصار إلى أبيك علي بن الحسين عليه السلام، ثم انتهى إليك أو صار إليك؟ قال نعم».

وفي غيبة الطوسي/١٩٥: «لما توجه الحسين عليه السلام إلى العراق دفع إلى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله الوصية والكتب وغير ذلك، وقال لها: إذا أتاك أكبر ولدي فادفعي إليه ما دفعت إليك، فلما قتل الحسين أتى علي بن الحسين عليه السلام أم سلمة فدفعت إليه كل شيء أعطهاها الحسين عليه السلام».

### طلب معاوية شهادتها بإمامة علي عليه السلام

روى محمد بن سليمان في المناقب: ٥٠٧/١ عن عبيد الله بن أبي رافع قال: «كنا جلوساً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله عام حج معاوية بن أبي سفيان، ومعني عبد الله بن عباس وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، فأتانا معاوية فسلم وقعد إلينا، فاشمأز منه ابن عباس حين قعد إليه حتى عرف ذلك معاوية، فقال له: يا ابن عباس كأنك مشمئز مني كأنك واجدٌ عليّ أن طلبت بدم أمير المؤمنين وكنتُ أحق من طلب بدمه وأقواهم عليه؟ فقال له ابن عباس: وبم أنت أحق الناس؟ قال: أليس ابن عمي قتل وهو أمير المؤمنين؟ فقال ابن عباس: فهذا! وأشار إلى ابن عمر أحق بالأمر منك! قد قتل أبوه وهو خليفته! فقال له معاوية: قتل أباه مشرك وقتل ابن عمي المسلمون. فقال ابن عباس: فذاك أشر إذن. قال: ثم التفت معاوية إلى سعد فقال: يا سعد ما منعك أن تقتاتل معي وتحرج إذ طلبت بدم أمير المؤمنين؟ فقال له سعد: أقاتل علي بن أبي طالب وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى؟! فقال له معاوية: من سمع هذا معك؟ فقال: أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله فقال: قوموا بنا إليها فقمنا جميعاً فدخلنا عليها فقال لها سعد: يا أم المؤمنين إني ذكرت لمعاوية أن رسول الله قال لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، فأنكر ذلك وقال: من سمعه معك فذكرتك فهل سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقالت أم سلمة: أما مرة

واحدة فلا، ولكن سمعته من رسول الله ﷺ مراراً! فقال معاوية لسعد: أنت أظلم وأقل عذراً إذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ فلم تخرج إليه ولم تقاتل معه ولم تنصره! فلو سمعتُ هذا من رسول الله لم أقاتله».

ونحوه: ٤٢١/١، وفيه قال معاوية لسعد: «الْوَمُّ والله ما كنت عندي الساعة! لو سمعتُ هذا من رسول الله، ما زلت خادماً لعلي حتى أموت!»!

### من امتيازاتها على نساء النبي ﷺ

كانت أم سلمة كخديجة، تشتري العبيد وتعتقهم، وربما اشترت الصغير فربته حتى يكبر وأعتقه، لذا تجدد عدداً من الرواة والعلماء من موالى أم سلمة ففي الإصابة: ٤/٧: «أبو إبراهيم مولى أم سلمة.. قال: كنت عبداً لأم سلمة، فكنت أبيت على فراش النبي وأتوضأ من محضته، فلما بلغت مبالغ الرجال اعتقتني».

وكانت تشجع المملوك على العمل ليحرر نفسه، ففي الطبقات: ٢٩٦/٥، عن نصح بن سرجس بن يعقوب عن أبيه قال: «كاتبني أم سلمة على نجوم «أقساط» وفيها، فكلمتها أن تحط عني وتقاطعني على ذهب أو ورق، ففعلت. وعجلت لها ذلك ووضعت عني. وكان شيبه إمام أهل المدينة في القراءة في دهره». وهذا عدد آخر من موالى أم سلمة رضي الله عنها:

ففي الهداية الكبرى/١١٥، في حديث زفاف فاطمة عليها السلام: «فخرج مولى لأم سلمة زوجة رسول الله ﷺ، فنثر سكرأ ولوزأ ونثر الناس من كل جانب».

وفي الطبقات: ٢٩٧/٥: «عبدالله بن رافع مولى أم سلمة زوج النبي ﷺ عتاقه، سمع من أم سلمة، وبقي حتى سمع منه عبدالله بن أبي يحيى وموسى بن عبيدة وقدامة بن موسى وجارية بن أبي عمران، وكان ثقة كثير الحديث».

ناعم بن أجيل مولى أم سلمة. قيس مولى أم سلمة، ويكنى أبا قدامة. أبو ميمونة مولى أم سلمة. وكان قارئ أهل المدينة في زمانه، وهو الذي قرأ عليه نافع بن أبي نعيم كثير بن أفلح».

وفي المغني: ٣٣٩/١٢: «عن نبهان مولى أم سلمة، عن أم سلمة أن النبي ﷺ قال: إذا

كان لإحداكن مكاتب فملك ما يؤدي، فلتحتجب منه».

«وفي إسناده نبهان مولى أم سلمة شيخ الزهري وقد وثق» المجموع: ١٦/١٣٦.

«عن عبدالله بن رافع، مولى أم سلمة». الموطأ: ٨/١.

«عن طلحة بن يحيى عن عبدالله بن فروخ مولى أم سلمة». الجوهري: ٦/١٨٩.

«سفينة هو مولى أم سلمة، وشرطت عليه أن يخدم النبي ﷺ». المحلى: ٥/١٥٧.

«أفلح.. مولى لرسول الله ﷺ وقيل مولى لأم سلمة». سبل السلام: ٣/٢١٦.

«عن ناعم مولى أم سلمة». مسند أحمد: ٢/١٦٣.

«حدثني عمرو، عن أبي السمح، عن السائب مولى أم سلمة، عن أم سلمة

عن رسول الله ﷺ أنه قال خير مساجد النساء قعر بيوتهن». مسند أحمد: ٦/٢٩٧.

«حبيب، عن ناعم مولى أم سلمة، عن أم سلمة». مسند أحمد: ٦/٢٩٩.

«عن السائب مولى أم سلمة أن نسوة دخلن على أم سلمة من أهل حمص».

«مسند أحمد: ٦/٣٠١». «أن أبا الجراح مولى أم سلمة أخبره». مسند أحمد: ٦/٣٢٦.

«عبدالله بن زياد بن سمعان مولى أم سلمة مكي». رجال الطوسي: ٢٣١.

«الفزاز قال: سمعت مولى لأم سلمة يقول: سمتني أم سلمة مخوضاً، وكنت

طويلاً». علل أحمد: ١/٢٢١.

«عبدالله بن زياد بن سمعان هو مولى أم سلمة» «التاريخ الصغير للبخاري: ٢/١٠٦».

«نجيح أبو معشر السندي المدني مولى أم سلمة». «التاريخ الصغير للبخاري: ٢/١٨٧».

«السائب مولى أم سلمة» «نفيح مولى أم سلمة» «يزيد مولى أم سلمة». «التاريخ

الكبير للبخاري: ٤/١٥٣، ٨/١١٣ و٢٧١». «أبي الجراح مولى أم سلمة». كنى البخاري: ١٩.

«أحمر مولى أم سلمة، قيل هو اسم سفينة». الإصابة: ١/١٨٧.

«من طريق إبراهيم بن عبدالرحمن بن صبيح مولى أم سلمة» الإصابة: ٣/٣٢٧.

«المهاجر مولى أم سلمة يكنى أبا حذيفة صحب النبي ﷺ وخدمه، وشهد

فتح مصر واختط بها، ثم تحول إلى طحا فسكنها إلى أن مات». الإصابة: ٦/١٨١.

«أبي سليمان مولى أم سلمة» «الإصابة: ٦/٥٠١». «قيس مولى أم سلمة»

تعجيل المنفعة/ ٣٤٦.

«ويقال بل كانت أم الحسن «البري» مولاة لأم سلمة. فيذكرون أن أمه كانت ربها غابت فيبكي الصبي فعطيه أم سلمة ثديها لتلعه به إلى أن تجيء أمه فدر عليها ثديها فشربه فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك». الطبقات: ١٥٦/٧.

وفي أمالي الصدوق ٤٦٣، عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «بلغ أم سلمة زوجة النبي أن مولى لها يتنقص علياً عليه السلام ويتناوله، فأرسلت إليه فلما أن صار إليها قالت له: يا بني بلغني أنك تتنقص علياً وتناوله؟ قال لها: نعم يا أمه. قالت: أقعد ثكلتك أمك حتى أحدثك بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله ثم اختر لنفسك! إنا كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله تسع نسوة وكانت ليلتي ويومي من رسول الله فدخل النبي صلى الله عليه وآله وهو متهلل أصابعه في أصابع علي، واضعاً يده عليه فقال: يا أم سلمة، أخرجي من البيت وأخليه لنا، فخرجت واقبلا يتناجيان، أسمع الكلام وما أدري ما يقولان، حتى إذا انتصف النهار أتيت الباب فقلت: أدخل يا رسول الله؟ قال: لا. فكبوت كبوة شديدة مخافة أن يكون ردني من سخطة، أو نزل في شئ من السماء، ثم لم ألبث أن أتيت الباب الثانية فقلت: أدخل يا رسول الله؟ فقال: لا. فكبوت كبوة أشد من الأولى. ثم لم ألبث حتى أتيت الباب الثالثة، فقلت: أدخل يا رسول الله؟ فقال: أدخلني يا أم سلمة، فدخلت وعلي جاث بين يديه، وهو يقول: فذاك أبي وأمي يا رسول الله، إذا كان كذا وكذا فما تأمري؟ قال: أمرك بالصبر. ثم أعاد عليه القول الثانية فأمره بالصبر، فأعاد عليه القول الثالثة فقال له: يا علي يا أخي، إذا كان ذلك منهم فسل سيفك وضعه على عاتقك واضرب به قدماً قدماً، حتى تلقاني وسيفك شاهر يقطر من دمائهم! ثم التفت صلى الله عليه وآله إلي فقال لي: ما هذا الكتابة يا أم سلمة؟ قلت: للذي كان من ردك لي يا رسول الله. فقال لي: والله ما رددتك من موجدة وإنك لعلي خير من الله ورسوله، لكن أتيتني وجبرئيل عن يميني، وعلي عن يساري، وجبرئيل يخبرني بالأحداث التي تكون من بعدي، وأمرني أن أوصي بذلك علياً! يا أم سلمة، إسمعي واشهدي: هذا علي بن أبي طالب أخي في الدنيا وأخي في الآخرة. يا أم سلمة إسمعي واشهدي: هذا علي بن أبي طالب وزيري في الدنيا، ووزيري

في الآخرة. يا أم سلمة إسمعي واشهدي: هذا علي بن أبي طالب، حامل لوائي في الدنيا وحامل لوائي غداً في القيامة. يا أم سلمة إسمعي واشهدي: هذا علي بن أبي طالب وصيي وخليفتي من بعدي، وقاضي عدااتي، والذائد عن حوضي. يا أم سلمة إسمعي واشهدي: هذا علي بن أبي طالب سيد المسلمين، وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

قلت: يا رسول الله، من الناكثون؟ قال: الذين يبايعونهم بالمدينة وينكثون بالبصرة. قلت: من القاسطون؟ قال: معاوية وأصحابه من أهل الشام. قلت: من المارقون؟ قال: أصحاب النهروان.

فقال مولى أم سلمة: فرجت عني فرج الله عنك، والله لاسببت علياً أبداً!  
«عن عبدالله بن مغيرة مولى أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت: نزلت هذه الآية في بيتها: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً. أمرني رسول الله أن أرسل إلى علي وفاطمة والحسن والحسين، فلما أتوه اعتنق علياً بيمينه والحسن بشماله والحسين على بطنه وفاطمة عند رجله، فقال: اللهم هؤلاء أهلي وعترتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. قالها ثلاث مرات. قلت: فأنا يا رسول الله. فقال: إنك على خير إن شاء الله». أمالي الطوسي/ ٢٦٣.

«عن أبي الأحوص مولى أم سلمة قال: إني مع الحسن ﷺ بعرفات ومعه قضيب وهناك أجراء مجرثون، فكلما هموا بالماء أجبل عليهم، فضرب بقضيبه إلى الصخرة فنبع لهم منها ماء واستخرج لهم طعاماً». دلائل الإمامة/ ١٧١.  
أي كانوا يجفرون بشرأ فظهر صخر صعب، فضربه الإمام ﷺ فنبع الماء، ثم استخرج لهم طعاماً من هناك. راجع لسان العرب: ٩٧/١١.

أذى نساء النبي ﷺ لأم سلمة!

قالت عائشة، «البخاري ١٣٢/٣»: «إن نساء رسول الله كنَّ حزبين: فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة. والحزب الآخر: أم سلمة وسائر نساء

رسول الله! «روى في الطبقات: ٨٠/٨. عن فاطمة الخزاعية قالت إن عائشة قالت لها: «دخل علي يوماً رسول الله فقلت: أين كنت منذ اليوم؟ قال: يا حميراء كنت عند أم سلمة. فقلت: ماتشيع من أم سلمة!»

وروى بخاري: ١٠٨/٣، أن أم سلمة أرسلت إلى النبي ﷺ وهو عند عائشة، بقصعة فيها طعام: «فجاءت عائشة متررة بكساء ومعها فهر ففلقت به الصحيفة». وفي سبل السلام: ٧٠/٣ والنسائي: ٧٠/٧: «واتفقت مثل هذه القصة من عائشة في صحيفة أم سلمة. ووقع مثلها لصفية».

وتدخل عمر بين نساء النبي ﷺ فغضبت أم سلمة كما في «البخاري: ٦٩/٦»: «فقال أم سلمة: عجباً لك يا ابن الخطاب دخلت في كل شيء، حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه!»

وفي الكافي: ٥٦٥/٥، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن أبا بكر وعمر أتيا أم سلمة فقالا لها: يا أم سلمة إنك قد كنت عند رجل قبل رسول الله فكيف رسول الله من ذاك في الخلوة؟ فقالت: ما هو إلا كسائر الرجال! ثم خرجا عنها وأقبل النبي فقامت إليه مبادرة فرقاً أن ينزل أمر من السماء فأخبرته الخبر فغضب رسول الله حتى تبرد وجهه والتوى عرق الغضب بين عينيه، وخرج وهو يجرد رداؤه حتى صعد المنبر. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ما بال أقوام يتبعون عيبي ويسألون عن غيبي! والله إني لأكرمكم حسباً وأطهركم مولداً وأنصحكم الله في الغيب، ولا يسألني أحد منكم عن أبيه إلا أخبرته.. إلى آخر الحديث».

#### أم سلمة عند وفاة النبي ﷺ

وروت أم سلمة أجواء وفاة النبي ﷺ، فقالت كما في الخصال/٦٤٢: «قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي توفي فيه: ادعوا لي خليلي، فأرسلت عائشة إلى أبيها فلما جاء غطى رسول الله ﷺ وجهه وقال: ادعوا لي خليلي! فرجع أبو بكر! وبعثت حفصة إلى أبيها، فلما جاء غطى رسول الله ﷺ وجهه وقال: ادعوا لي خليلي».

وفي الإرشاد: ١٨٥/١: «أفاق إفاقة فافتقد علياً فقال وأزواجه حوله: ادعوا لي أخي وصاحبي، وعاوده الضعف فأصمت، فقالت عائشة أدعوا له أبا بكر، فدعي فدخل عليه فقعده عند رأسه فلما فتح عينه نظر إليه وأعرض عنه بوجهه، فقام أبو بكر وقال: لو كان له إلي حاجة لأفضي بها إلي. فلما خرج أعاد رسول الله ﷺ القول ثانية وقال: أدعوا لي أخي وصاحبي، فقالت حفصة أدعوا له عمر، فدعي فلما حضر رآه النبي فأعرض عنه فانصرف. ثم قال: أدعوا لي أخي وصاحبي، فقالت أم سلمة: أدعوا له علياً فإنه لا يريد غيره، فدعي أمير المؤمنين ﷺ فلما دنا منه أو ما إليه فأكب عليه فناجاه رسول الله ﷺ طويلاً، ثم قام فجلس ناحية حتى أغفى رسول الله ﷺ فقال له الناس: ما الذي أوعز إليك يا أبا الحسن؟ فقال: علمني ألف باب فتح لي كل باب ألف باب، ووصاني بما أنا قائم به إن شاء الله. ثم ثقل وحضره الموت وأمير المؤمنين حاضر عنده. فلما قرب خروج نفسه قال له: ضع رأسي يا علي في حجرك، فقد جاء أمر الله عز وجل فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك وامسح بها وجهك، ثم وجهني إلى القبلة وتول أمري وصل علي أول الناس، ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي، واستعن بالله تعالى فأخذ علي رأسه فوضعه في حجره فأغمي عليه فأكبت فاطمة تنظر في وجهه وتندبه وتبكي» أقول: من الغريب أن أحمد بن حنبل روى هذا الحديث: ١٣٥٦/١

#### أدانت أم سلمة أهل السقيفة

فقد روى سليم بن قيس ﷺ في كتابه ٣٨٩/٢، عن البراء بن عازب في إخبارهم علياً على البيعة: «فقام عمر فقال لأبي بكر: ما يجلسك فوق المنبر وهذا جالس محارب، لا يقوم فيبايعك، أو تأمر به فنضرب عنقه، والحسن والحسين قاتمان، فلما سمعا مقالة عمر بكيا، فضمهما ﷺ إلى صدره فقال: لا تبكيا، فوالله ما يقدران على قتل أبيكيا. وأقبلت أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ فقالت: يا أبا بكر، ما أسرع ما أبديتم حسدكم ونفاقكم، فأمر بها عمر فأخرجت من المسجد وقال: ما لنا



وللنساء. وقام بريدة الأسلمي وقال: أتثب يا عمر على أخي رسول الله وأبي ولده وأنت الذي تعرفك في قريش بما تعرفك؟ أألستما قال لكما رسول الله: إنطلقا إلى علي وسلما عليه بإمرة المؤمنين؟ فقلتما: أعن أمر الله وأمر رسوله؟ قال: نعم. فقال أبو بكر: قد كان ذلك ولكن رسول الله قال بعد ذلك: لا يجتمع لأهل بيتي النبوة والخلافة. فقال: والله ما قال هذا رسول الله، والله لا سكنت في بلدة أنت فيها أمير، فأمر به عمر فضرب وطرده. وأقبلت أم أيمن النوية حاضنة رسول الله وأم سلمة فقالتا: يا عتيق، ما أسرع ما أهديتم حسدكم لآل محمد! فأمر بها عمر أن تخرجها من المسجد، وقال: ما لنا وللنساء! وفي قرب الإسناد/٦٠، عن الصادق عليه السلام قال: «كانت امرأة من الأنصار تدعى حسرة تغشى آل محمد وتحن، وإن [فلاناً وفلاناً] لقيها ذات يوم فقالتا: أين تذهبين يا حسرة؟ فقالت: أذهب إلى آل محمد فأقضي من حقهم، وأحدث بهم عهداً فقالتا: وبيك إنه ليس لهم حق، إنما كان هذا على عهد رسول الله! فانصرفت حسرة ولبثت أياماً ثم جاءت فقالت لها أم سلمة زوجة النبي ﷺ: ما أبطأ بك عنا يا حسرة؟ فقالت: استقبلني [فلان وفلان] فقالتا: أين تذهبين يا حسرة؟ فقلت: أذهب إلى آل محمد فأقضي من حقهم الواجب. فقالتا: إنه ليس لهم حق إنما كان هذا على عهد النبي ﷺ! فقالت أم سلمة: كذبا لعنهما الله! لا يزال حقهم واجباً على المسلمين إلى يوم القيامة! كما أن أم سلمة رضي الله عنها بعد خطبة فاطمة عليها السلام في المسجد، فحُتَّ المسلمين على نصرتها، ففي دلائل الإمامة/١٢٤، والدر النظيم/٤٨٠، أنها قالت بعد خطبة فاطمة عليها السلام وجواب أبي بكر لها: «ألثل فاطمة بنت رسول الله يقال هذا القول؟! هي والله الحوراء بين الإنس، والنفس للنفس، ربيت في حجور الأتقياء، وتناولتها أيدي الملائكة، ونمت في حجور الطاهرات، ونشأت خير نشأ، وربيت خير مربى، أتزعمون أن رسول الله حرم عليها ميراثه ولم يعلمها، وقد قال الله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ! أفأنذرنا وخالفت متطلبه وهي خيرة النسوان، وأم سادة الشبان، وعديلة ابنة عمران، تمت بأبيها رسالات ربه، فوالله لقد كان يشفق عليها من الحر والقر ويوسدها يمينه ويلحفها بشماله!

رويداً ورسول الله بمرأى منكم، وعلى الله تردون، وها لكم فسوف تعلمون!  
قال: فحرمت أم سلمة عطاءها تلك السنة!

### نصيحة أم سلمة لعائشة أن لا تعصى النبي ﷺ

وكان لها موقف تاريخي مع عائشة، فقد نصحتها وحذرتها، لتشيها عن الخروج.  
قال الشريف المرتضى في رسائله: ٦٦/٤: «ومن الأخبار الطريفة ما رواه نصر بن مزاحم هذا عن أبي عبد الرحمن المسعودي عن السري بن إسماعيل بن الشعبي عن عبد الرحمن بن مسعود العبدي قال: كنت بمكة مع عبدالله بن الزبير وبها طلحة والزبير. قال: فأرسلنا إلى عبدالله بن الزبير، فأتاها وأنا معه فقالا له: إن عثمان قتل مظلوماً وإننا نخاف الإلتشاح من أمة محمد، فإن رأيت عائشة أن تخرج معنا لعل الله يرتق بها فتقاً ويشعب بها صدعاً. قال: فخرجنا نمشي حتى انتهينا إليها فدخل عبدالله بن الزبير في سمرها وجلست على الباب، فأبلغها ما أرسلنا به إليها فقالت: سبحان الله، ما أمرت بالخروج، وما تحضرنني امرأة من أمهات المؤمنين إلا أم سلمة، فإن خرجت خرجت معها! فرجع إليهما فأبلغهما ذلك فقالا: إرجع إليها فلتأتها فإنها أثقل علينا منا، فرجع إليها فبلغها فأقبلت حتى دخلت على أم سلمة فقالت أم سلمة: مرحباً بعائشة، والله ما كنت لي بزائرة فما بدالك؟ قالت: قدم طلحة والزبير فخبرا أن أمير المؤمنين عثمان قتل مظلوماً! قال: فصرخت أم سلمة صرخة أسمعت من في الدار فقالت: يا عائشة أنت بالأمس تشهدين عليه بالكفر، وهو اليوم أمير المؤمنين قتل مظلوماً، فما تريدن! قالت: تخرجين معي، فلعل الله أن يصلح بخروجنا أمر أمة محمد! فقالت: يا عائشة أخرج وقد سمعت من رسول الله ما سمعت! نشدتك بالله يا عائشة الذي يعلم صدقك إن صدقت، أتذكرين يومك من رسول الله فصنعت حريرة في بيتي فأتيته بها وهو يقول: والله لا تذهب الليالي والأيام حتى تتنابح كلاب ماء بالعراق يقال له الحوآب امرأة من نسائي في فتية باغية، فسقط الإناء من يدي، فرفع رأسه إلي فقال: ما بالك يا أم سلمة؟ قلت: يا رسول الله ألا يسقط

الإناء من يدي وأنت تقول ما تقول؟ ما يؤمنني أن أكون أنا هي! فضحكيت أنت فالتفت إليك فقال: ما يضحكك يا حمراء الساقين، إني لأحسبك هي!

ونشدتك بالله يا عائشة أتذكرين ليلة أسرى بنا رسول الله من مكان كذا وكذا وهو بيني وبين علي بن أبي طالب يحدثنا، فأدخلت جملك فحال بينه وبين علي، فرفع مرفقة كانت معه فضرب بها وجه جملك وقال: أما والله ما يومك منه بواحد ولا بليته منك بواحدة، أما إنه لا يبغضه إلا منافق أو كذاب!

وأشددك الله يا عائشة أتذكرين مرض رسول الله الذي قبض فيه فأتاك أبوك يعوده ومعه عمر، وقد كان علي بن أبي طالب يتعاهد ثوب رسول الله ونعله وخفه ويصلح ما وهى منها، فدخل قبل ذلك فأخذ نعل رسول الله وهي حضرمية وهو يخصفها خلف البيت، فاستأذنا عليه فأذن لهما فقالا: يا رسول الله كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أحمد الله تعالى. قالوا: ما بد من الموت؟ قال: لا بد منه. قالوا: يا رسول الله فهل استخلفت أحداً؟ فقال: ما خليفتي فيكم إلا خاصف النعل، فخرجا فمرا على علي وهو يخصف النعل!

كل ذلك تعرفينه يا عائشة وتشهدين عليه، لأنك سمعته من رسول الله ﷺ! ثم قالت أم سلمة: يا عائشة أنا أخرج علي بعد هذا الذي سمعته عن رسول الله؟! فرجعت عائشة إلى منزلها فقالت: يا ابن الزبير أبلغها أني لست بخارجة بعد الذي سمعته من أم سلمة، فرجع فبلغها. قال: فما انتصف الليل حتى سمعنا رغاء إبلها ترتحل، فارتحلت معها».

وأضاف الشريف المرتضى رحمته الله: «و من العجائب أن يكون مثل هذا الخبر الذي يتضمن النص بالخلافة، وكل فضيلة غريبة، موجوداً في كتب المخالفين وفيما يصححونه من روايتهم ويصنفونه من سيرتهم ولا يتبعونه، لكن القوم رويوا ما سمعوا أو ادعوا كتبهم ما حفظوا ونقلوا، ولم يتخيروا وبتبينوا ما وافق مذهبهم دون ما خالفهم. وهكذا يفعل المسترسل المستسلم للحق!»! شرح النهج: ٧٨/٢. العقد الفريد: ٩٦/٣. البدء والتاريخ: ١٠٩/٢. الفائق للزمخشري: ١٩٠/١.

وروى نحوه في الإختصاص ١١٦، وفيه تفصيلات، وفيه: «وقد جمع القرآن ذلك فلا تبذخيه، وسكني عقيرك فلا تضحى بها. وما كنت قائله لو أن رسول الله عرض لك ببعض الفلوات وأنت ناصة قلوصاً من منهل إلى آخر؟! أقسم بالله لو سرت مسيرك هذا ثم قيل لي أدخلني الفردوس لاستحييت أن ألقى محمداً ﷺ هاتكة حجاباً قد ضربه عليّ! ثم قالت: لو ذكرك من رسول الله ﷺ خساً في علي لهشتني نهش الحية الرقشاء المطرقة ذات الحب! قالت: ويوم جمعنا رسول الله ﷺ في بيت ميمونة فقال: يا نسائي إتقين الله ولا يسفر بكن أحد! أتذكرين هذا يا عائشة؟ قالت: نعم، ما أقبلني لوعظك وأسمعني لقولك فإن أخرج ففي غير حرج، وإن أقعد ففي غير بأس، وخرجت!»

ورواه ابن أعثم في الفتوح: ٤٥٤/٢، وفيه أن أم سلمة قالت لها: «فاتقي الله يا عائشة في نفسك، واحذري ما حذرك الله ورسوله ولا تكوني صاحبة كلاب الحوآب، ولا يغرنك الزبير وطلحة، فإنهما لا يغنيان عنك من الله شيئاً! قال: فخرجت عائشة من عند أم سلمة وهي حنقة عليها!

وكتبت أم سلمة إلى علي بن أبي طالب: لعبدالله علي أمير المؤمنين، من أم سلمة بنت أبي أمية، سلام عليك ورحمة الله وبركاته، أما بعد، فإن طلحة والزبير وعائشة وبنها بني السوء وشيعة الضلال، خرجوا مع ابن الجزار عبدالله بن عامر إلى البصرة، يزعمون أن عثمان بن عفان قتل مظلوماً، وأنهم يطلبون بدمه! والله كافيكم وجعل دائرة السوء عليهم إن شاء الله تعالى. وتالله لولا ما نهى الله عز وجل عنه من خروج النساء من بيوتهن، وما أوصى به رسول الله ﷺ عند وفاته، لشخصت معك، ولكن قد بعثت إليك بأحب الناس إلى النبي ﷺ وإليك ابني عمر بن أبي سلمة. والسلام.

فلما سمع علي ذلك دعا محمد بن أبي بكر وقال له: ألا ترى إلى أختك عائشة كيف خرجت من بيتها الذي أمرها الله عز وجل أن تقر فيه، وأخرجت معها طلحة والزبير يريدان البصرة لشقائي وفراقي؟! فقال له محمد: يا أمير المؤمنين

لا عليك، فإن الله معك ولن يخذلك، والناس بعد ذلك ناصروك، والله تبارك وتعالى كافيك أمرهم إن شاء الله».

ولما أصرت عائشة على الفتنة، آلت أم سلمة على نفسها أن لا تكلمها كل عمرها! ففي مواقف الشيعة للأحمدي: ٩٣/١: «دخلت على أم سلمة بعد رجوعها من وقعة الجمل وقد كانت أم سلمة حلفت أن لا تكلمها أبداً، من أجل مسيرها إلى محاربة علي بن أبي طالب عليه السلام، فقالت عائشة: السلام عليك يا أم المؤمنين، فقالت: يا حائط ألم أنك ألم أقل لك؟ قالت عائشة: فإني أستغفر الله وأتوب إليه كلميني يا أم المؤمنين! قالت: يا حائط! ألم أقل لك ألم أنك؟ فلم تكلمها حتى ماتت! وقامت عائشة وهي تبكي وتقول: وا أسفاه على ما فرط مني». المحاسن للبيهقي/١٨١.

### لماذا لا يسمون أم سلمة: أم المؤمنين؟

مع المكانة العظيمة لأم سلمة عليها السلام، تراهم يذكرون في كتبهم اسمها مجرداً! بينما يذكرون اسم عائشة مقروناً بأُم المؤمنين، دائماً أو غالباً! وبذلك تعرف موقفهم من روايات أم سلمة عليها السلام، التي تبلغ أضعاف ما روته عائشة في الكمية، وهي أرقى من روايات عائشة في النوعية، وليس فيها إفراط عائشة ومبالغاتها في مدح نفسها، ولا إسفافها في الأمور الشخصية!

قال العلامة الحلي رحمته الله: «وعظموا عائشة على باقي نسوانه عليها السلام.. وساعدوها على حرب أمير المؤمنين عليه السلام! ولم ينصر أحد منهم بنت رسول الله عليه السلام لما طلبت حقها من أبي بكر ولا شخص واحد بكلمة واحدة! وسموها أم المؤمنين ولم يسموا غيرها بذلك!» شرح منهاج الكرامة للميلاني: ٤٥٤/١.

وقال الكراچكي/١٠٢: «ومن عجيب أمرهم تفضيلهم عائشة بنت أبي بكر على جميع أزواج النبي عليه السلام.. وكثرة ترحمهم عليها وإظهارهم الخشوع والبكاء عند ذكرها، ثم لا يذكرون خديجة بنت خويلد وفضلها متفق عليه وعلو قدرها لا شك فيه، وهي أول من آمن برسول الله عليه السلام، وأنفقت عليه مالها. وكان يكثر ذكرها ويحسن الثناء عليها ويقول: مانفني مال كإلها، ورزقه الله الولد منها، ولم يتزوج في حياتها إكراماً لها!»

الكتاب  
الشمس  
المنيرة

أقول: ما ذكره العلامة رحمته يدل على مخالطته لهم وتبعية مؤلفاتهم، وهم كذلك إلى اليوم يعبرون عن زوجات النبي صلى الله عليه وآله بأسمائهن فإذا وصلوا إلى عائشة قالوا: أم المؤمنين!

### أولاد أم سلمة

كان لها من أبي سلمة ثلاثة أبناء، هم: سلمة ومحمد وعمر، وثلاث بنات: درة وزينب وأم كلثوم، فهم صحابة ورياتب النبي صلى الله عليه وآله. وأشهرهم عمر ويسمى أيضاً عمرو، ثم زينب التي روي أن النبي صلى الله عليه وآله كان يلاعبها وهي طفلة ويقول: «يا زينب، يا زينب، مراراً». الجامع الصغير: ٣٩٦/٢.

وكان عمر أصغر من أخويه وأبرزهما، فقد رضي به النبي صلى الله عليه وآله أن يزوجه والدته ولياً لها: «زوجها إياه عمر بن أبي سلمة وهو صغير لم يبلغ الحلم». الكافي: ٣٩١/٥. وجاءت أم سلمة بولديها محمد وسلمة إلى أمير المؤمنين عليه السلام لينصراه وقالت له: «هما عليك صدقة، فلو يصلح لي الخروج لخرجت معك». رجال الطوسي/ ٤٨. ومعنى كلامها أنها وقف لله تعالى لنصرتك. وقال ابن عقدة: «جاءت بعمر وسلمة. وشهد عمر مع علي حرب الجمل ثم استعمله على فارس، وتوفي في خلافة عبد الملك بن مروان بالمدينة. وعاش أخوه سلمة إلى خلافة عبد الملك، وكان أسن من عمر». مذيّل الطبري/ ٥٨.

وفي نهج البلاغة ٦٧/٣: «من كتاب له عليه السلام إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي وكان عامله على البحرين، فعزله واستعمل النعمان بن عجلان الزرقي مكانه: أما بعد فإني قد وليت النعمان بن عجلان الزرقي على البحرين، ونزعت يدك بلا ذم لك ولا تبريب عليك، فلقد أحسنت الولاية وأديت الأمانة، فأقبل غير ظنين ولا ملوم ولا متهم ولا مأثوم، فقد أردت المسير إلى ظلّمة أهل الشام وأحببت أن تشهد معي، فإنك ممن استظهر به على جهاد العدو، وإقامة عمود الدين إن شاء الله». ورواه في أنساب الأشراف/ ١٥٨ واليعقوبي: ٢٠١/٢، وفيه: «جعلنا الله وإياك من الذين يعملون بالحق وبه يعدلون. فأقبل عمر فشهد معه ثم انصرف، وتبع علياً إلى الكوفة فمكث معه سنة وبعض أخرى».

## سودة بنت زمعة أول زوجات النبي ﷺ بعد خديجة ﷺ

السنة  
التي  
توفي  
عليها

١ - سَوْدَة بنت زَمْعَةَ القرشية. أبوها زمعة بن قيس من قبيلة عامر بن لؤي القرشية، التي عرف منها ابن الزبير الشاعر الذي كان يهجو النبي ﷺ، وعمرو بن عبدود، الذي قتله علي ﷺ مع ابنه يوم الخندق، وحويطب بن عبد العزى، «العلل لابن حنبل: ٤٢٢/٣» ومنهم بسر بن أرطاة القائد السفاك عند معاوية، الذي أغار على الحجاز واليمن وكانا تحت حكم علي ﷺ فقتل في غارته ثلاثين ألفاً! «ابن خياط/١٥٠». ومنهم عبدالله بن مخرمة بن عبد العزى، الذي روى أنه انحاز في بدر من صف المشركين إلى صف النبي ﷺ. ابن هشام: ٢٤٦/١.

وكان رئيسهم سهيل بن عمرو، من أشد المشركين على النبي ﷺ، والمفاوض عنهم في صلح الحديبية. وعندما غضب القرشيون على أبي سفيان في فتح مكة واتهموه بأنه وافق محمداً ﷺ على تسليمه مكة بدون شروط، عزلوه ونصبوا بدله سهيل بن عمرو، فصار زعيم قريش. وكان له دور في الإعداد للسقيفة.

وقد وقع سهيل أسيراً يوم بدر هو وعبد بن زمعة أخ سودة. «ابن هشام: ٥٣٤/٢» وقد يكون عبد هذا نفسه عبدالله بن زمعة الذي نصوا عليه. الطبقات: ٢٠٤/٤.

وكانت سودة زوجة السكران بن عمرو، أخ سهيل بن عمر، فقد هاجر إلى الحبشة خوفاً من أخيه سهيل وعشيرته، ثم استرضاه ورجع إلى مكة قبل الهجرة فتوفي فيها، وروى ابن سعد أنه مات في الحبشة وأن له ولداً من سودة. «الطبقات: ٢٠٤/٤» وقال غيره لم يكن لها أولاد «أنساب السمعاني: ١١٧/٤».

وقال الطبري: ٤١١/٢: «وكان السكران من مهاجرة الحبشة فتنصر ومات بها، فخلف عليها رسول الله». وقد اشتبه السرخسي «المبسوط ١٨٦/٢٨» في إسم أبيها زمعة بن قيس، فحسبوه زمعة بن الأسود. وتنبه له ابن حجر. الإصابة: ٣٢٢/٤.

وبهذا نعرف الحكمة من زواج النبي ﷺ بسودة لمكانتها في قريش ومكانة أقاربها.

٢. خطب النبي ﷺ سودة قبل الهجرة وتزوج بها بعد الهجرة، ووصفتها عائشة

فقال: «كانت سودة امرأة ضخمة ثبطة» نيل الأوطار: ١٤٢/٥، ومسند أحمد: ٩٤/٦.

وفي إمتاع الأسباع: ٣٣/٦: «كانت امرأة ثقيلة بثبطة وكان في أذنها ثقل، وأسنت عند رسول الله ﷺ فهم بطلاقها، ويقال طلقها في سنة ثمان من الهجرة تطليقة». وفي دلائل الامامة: ٨١: «تزوج سودة أول دخوله المدينة فنقل فاطمة إليها، ثم تزوج أم سلمة بنت أبي أمية، فقالت أم سلمة: تزوجني رسول الله ﷺ وفوض أمر ابنته إليّ فكنت أذلها وأؤدبها، وكانت والله أدب مني وأعرف بالأشياء كلها». وزعمت عائشة، «مسند أحمد: ٢١٠/٦» أن خولة بنت حكيم زوجة عثمان بن مظعون عرضت على النبي ﷺ بعد وفاة خديجة سودة وعائشة، فأمرها أن تخطبها له، وكان عمر عائشة ست سنين! فقال أبو بكر لخولة: «أدعي لي رسول الله فدعته فزوجها إياه، وعائشة يومئذ بنت ست سنين!»

ثم زعمت عائشة أن خولة ذهبت بعد خطبتها هي إلى زعمة والد سودة، وكان شيخاً كبير السن فحيته بتحية الجاهلية! وخطبت منه سودة فقبل: «فجاء رسول الله إليه فزوجها إياها، فجاءها أخوها عبد بن زعمة من الحج فجعل يحثي في رأسه التراب.. قالت عائشة قدمنا المدينة فنزلنا في بني الحرث بن الخزرج في السنح. قالت فجاء رسول الله فدخل بيتنا واجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء فجاءتني أمي وإني لفي أرجوحة بين عذقين ترجح بي فأنزلتني من الأرجوحة ولي جُميعة «شعر قليل» ففرقتها ومسحت وجهي بشئ من ماء، ثم أقبلت تقودني حتى وقفت بي عند الباب وإني لأنهج حتى سكن من نفسي، ثم دخلت بي فإذا رسول الله جالس على سرير في بيتنا وعنده رجال ونساء من الأنصار، فأجلستني في حجره، ثم قالت هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهم وبارك لهم فيك، فوثب الرجال والنساء فخرجوا، وبنى بي رسول الله في بيتنا، ما نحررت عليّ جزور ولا ذبحت عليّ شاة، حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجفنة كان يرسل بها إلى رسول الله إذا دار إلى نساته، وأنا يومئذ بنت تسع سنين».

ولا يمكن قبول رواية أن النبي ﷺ تزوج في مكة بعد خديجة ﷺ، لمعارضتها بغيرها، مضافاً إلى أنه كان بعد وفاة أبي طالب وخديجة في ظرف أممي خطير،



وقد اختفى مدة في الحجون خوفاً على حياته من قريش!

وكذلك لا نقبل أن النبي ﷺ ذهب إلى بيت أبي بكر في المدينة وتزوج بعائشة هناك، لأن أبا بكر كان يعيش في خيمة شعر عند أهل زوجته! قال ابن سعد في الطبقات: ١٧٤/٣: «ولم يزل في بيت الحارث بن الخزرج بالسنح، حتى توفي رسول الله ﷺ». وفي أسد الغابة: ٢١٩/٣: «كان منزله بالسنح عند زوجته حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير، وكان قد حجر عليه حجرة من شعر، فما زاد على ذلك حتى تحول إلى المدينة». أي صار خليفة.

٣. زعموا أن النبي ﷺ أرسل: «زيد بن حارثة وأبا رافع وأعطاهما بعيرين وخمس مائة درهم إلى مكة، فقدموا عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله وسودة بنت زمعة». «الطبقات: ٢٣٧/١» لكن روايتهم استفاضت بأن النبي ﷺ انتظر علياً عليه السلام في قباء حتى جاء بعائلته، ولم تكن فيهم سودة ولا عائشة، فلا بد أن تكون هذه الرواية من قصص عائشة الكثيرة التي مدحت فيها نفسها! والمعقول أنها هاجرت مع أمها ونزلت في بيت أبيها أبي بكر، وكان له زوجتان في السنح غير أم رومان. أما سودة فلا يعرف كيف هاجرت إلى المدينة.

٤. وكانت عائشة وحفصة تسخران من سودة وتؤذيانها حتى صارت من حزبهما، ففي دلائل الإعجاز للجرجاني وأحاديث عائشة للعسكري: ٦٣/١: «سمعت أم المؤمنين عائشة سودة تنشد: عدي وتيم تبتغي من تحالف! فقالت عائشة لحفصة: ما تعرّض إلا بي وبك! يا حفصة فإذا رأيتني أخذت برأسها فأعينيني! فقامت فأخذت برأسها وخافت حفصة فأعاتبتها، وجاءت أم سلمة فأعانت سودة! فأتى النبي فأخبر وقيل له: أدرك نساءك يقتتلن! فقال: ويحك مالكن؟ فقالت عائشة: يا رسول الله ألا تسمعها تقول: عدي وتيم تبتغي من تحالف. فقال: ويحك ليس عديكن ولا تيمكن، إنها هو عدي تميم، وتيم تميم!»

ورأها عائشة وحفصة تزينت فقالتا: خرج الدجال! خرج الدجال! فخافت سودة: «وكانت امرأة طويلة فدخلت خباء كان لوقودهم! قالت: واستضحكننا فدخل

رسول الله فإذا سودة تنتفض فقال: مالك؟ فقالت: يا رسول الله خرج الدجال؟ فقال: لا، وهو خارج؟ فأخذ بيدها وأخرجها وجعل ينفض بكم قميصه عن وجهها وعن خمارها أثر الدخان ونسج العنكبوت». الأحاد والمثاني: ٢٠٨/٦. وفي مختصر تاريخ دمشق: ٢٨٦/١٨: «قالت عائشة رضي الله عنها كان عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوده فصنعت حريره فجئت بها فقلت لسودة: كلي، فقالت: لا أحبه، فقلت والله لتأكلين أو لألطخن وجهك! فقالت: ما أنا بذاتقة، فاخذت من الصحيفة شيئاً فلطخت به وجهها!»

٥. وقالوا: «أسنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم بطلاقها» ولا يصح، لأنه اتهام للنبي صلى الله عليه وسلم، فإنه ما تزوج ولا طلق لأسباب جنسية، فقد يكون السبب أنها صارت من حزب عائشة، أو أنها كانت تعظم سهيل بن عمرو وأخ زوجها السابق! فعندما رأته مع أسارى بدر حرضته على النبي صلى الله عليه وسلم وبوخته كيف استسلم ولم يقاوم! وقالت له بحضور النبي صلى الله عليه وسلم: «أي أبا يزيد، أعطيتم بأيديكم، ألا تم كراماً! فقال لها رسول الله: أعلى الله ورسوله تحرضين يا سودة!» ابن هشام: ٤٧٢/٢. كما لا يصح قولهم إنها لم يكن لها إربة بالرجال فوهبت ليلتها لعائشة! قال الشافعي «في الأم ١٥٢/٥»: «أراد فراق سودة فقالت: لانفارقني ودعني حتى يحشرني الله في أزواجك، وأنا أهب ليلتي ويومي لأختي عائشة».

وأصله ما زعمته عائشة فقالت كما في صحيح بخاري: ١٣٥/٣: «كان صلى الله عليه وسلم يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها، غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تبتغي بذلك رضا رسول الله».

والصحيح أن الله تعالى أسقط عن نبيه صلى الله عليه وسلم القسمة لنسائه، فقال: تُرْجَى مَنْ نَسَاءَ مِنْهُنَّ وَتُؤَيِّ إِلَيْكَ مَنْ نَسَاءَ وَمَنْ ابْتَعَيْتَ مِنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ. فلا حق لسودة حتى تهبه.

## الفصل السابع والثلاثون

### زواج علي و فاطمة عليهما السلام

#### ١- حَظَّبَهَا كَبَارُ الصَّحَابَةِ فَرَدَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !

روى الجميع أن أبا بكر وعمر وغيرهما خطبا الزهراء عليها السلام، فردهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال ابن سعد في الطبقات: ١٩/٨: «إن أبا بكر خطب فاطمة إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا أبا بكر أنتظر بها القضاء، فذكر ذلك أبو بكر لعمر فقال له عمر: ردك يا أبا بكر. ثم إن أبا بكر قال لعمر: أخطب فاطمة إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فخطبها فقال له مثلما قال لأبي بكر: أنتظر بها القضاء، فجاء عمر إلى أبي بكر فأخبره فقال: له ردك يا عمر!»

وفي تذكرة الخواص/٢٧٦، عن أحمد في الفضائل: «فقال رسول الله: إنها صغيرة، وإني أنتظر بها القضاء، فلقية عمر فأخبره، فقال: ردك، ثم خطبها عمر فرده».

وفي سنن النسائي: ٦٢/٦: «فقال رسول الله: إنها صغيرة فخطبها علي فزوجها منه».

وفي مجمع الزوائد: ٢٠٤/٩ عن الطبراني الكبير: ٤٠٨/٢٢ ووثقه: «خطب أبو بكر وعمر فاطمة

فقال النبي: هي لك يا علي».

وفي المناقب: ١٢٢/٣: «اشتهر في الصحاح بالأسانيد عن أمير المؤمنين عليه السلام، وابن عباس، وابن مسعود، وجابر الأنصاري، وأنس بن مالك، والبراء بن عازب، وأم سلمة، بألفاظ مختلفة ومعان متفقة، أن أبا بكر وعمر خطبا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرة بعد أخرى فردهما، وروى ابن بطة في الإبانة أنه خطبها عبد الرحمن فلم يجبه. وفي رواية غيره أنه قال: بكذا من المهر، فغضب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومد يده إلى حصي فرفعها فسبحت في يده، وجعلها في ذيله فصارت درأ

ومرجاناً، يعرض به جواب المهر».

وفي الصحيح من السيرة: ٢٧٠/٥: «وقد عاتب الخاطبون النبي ﷺ على منعهم وتزويج علي عليه السلام، فقال ﷺ: والله ما أنا منعتكم وزوجته، بل الله منعكم وزوجه! وقد ورد عنه ﷺ أنه قال: لو لم يُخلق علي ما كان لفاطمة كفؤ».

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٠٣/٢: «عن علي عليه السلام قال: قال لي رسول الله ﷺ: يا علي لقد عاتبني رجال قريش في أمر فاطمة، وقالوا: خطبناها إليك فمنعتنا وزوجت علياً؟! فقلت لهم: والله ما أنا منعتكم وزوجته بل الله تعالى منعكم وزوجه! فهبط علي جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله جل جلاله يقول: لو لم أخلق علياً لما كان لفاطمة ابنتك كفؤ على وجه الأرض، آدم فمن دونه!»

وفي كشف الغمة: ١٠٠/٢: «إن الله عز وجل زوجك فاطمة عليها السلام، وجعل صداقتها الأرض، فمن مشى عليها مبغضاً لها مشى حراماً».

ورد الشريف المرتضى روايتهم بأن علياً عليه السلام أذى فاطمة عليها السلام فقال: «إن الله تعالى هو الذي اختار علياً لفاطمة، فكيف يختار لها من يؤذيها ويغمرها!» الشافي: ٢٧٧/٢.

## ٢- تولى الله أمر فاطمة عليها السلام دون أبيها عليه السلام

النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، لكن لا ولاية له على ابنته الزهراء عليها السلام! فقد علل رده لمن خطبها غير علي عليه السلام بأن أمرها لله تعالى وليس له!

وفي الكافي: ٥٦٨/٥، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: إنما أنا بشر مثلكم أتزوج فيكم وأزوجكم، إلا فاطمة، فإن تزويجها نزل من السماء».

وفي كشف الغمة: ٣٦٣/٨، من كلام أبي بكر قال: «قد خطبها الأشراف من رسول الله ﷺ فقال: إن أمرها إلى ربها، إن شاء أن يزوجه زوجها».

وهذا يدل على أنها كانت منذورة لله تعالى مثل مريم عليها السلام، أو أن الله تعالى أمر نبيه أن يترك أمرها له! وهذا مقام عظيم لم يبلغه قبلها رجل ولا امرأة!

وقد حاول بعضهم أن ينتقص من مقامها عليها السلام ويعمم هذه الفضيلة، فروى

الحاكم: ٤٩/٤ أن النبي ﷺ قال: «ما أنا أزوج بناتي ولكن الله تعالى يزوجهن». لكنه ﷺ زوج زينب وأم كلثوم ولم يقل إن أمرهن لله تعالى وليس له! ويشبه ذلك ما رواه الحاكم: ٢٠١/٢، عن عروة عن خالته عائشة أن النبي ﷺ قال عن ابنته أو ربيته زينب: «هي أفضل بناتي أصيبت فيّ. فبلغ ذلك علي بن الحسين فانطلق إلى عروة فقال: ما حديث بلغني عنك تحدّثه تنتقص فيه حق فاطمة ﷺ؟ فقال: والله ما أحب أن لي ما بين المشرق والمغرب وأني أنتقص فاطمة حقاً هو لها! وأما بعد، فلك أن لا أحدث به أبداً.

قال عروة: وإنما كان هذا قبل نزول آية: أذْهَبْهُمُ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ...».

ومعناه أنه يعتذر عن خالته عائشة بأنها قالت إن النبي ﷺ قال بنتي قبل نزول النهي عن النسبة بالتبني. ومعناه أن زينب ربيبة النبي ﷺ وليست بنته.

### ٣- عرس الزهراء ﷺ أعظم عرس في تاريخ الأنبياء ﷺ

أمر الله نبيه ﷺ أن يزوج فاطمة من علي ﷺ ويحتفل بعرسها. قال أنس: «كنت قاعداً عند النبي ﷺ فغشيه الوحي فلما سُرِّي عنه قال: أتدري يا أنس ما جاء به جبريل من عند صاحب العرش؟ قلت: بأبي وأمي! وما جاء به جبريل من عند صاحب العرش؟ قال: إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي». تاريخ دمشق: ١٣/٣٧، نحوه كبير الطبراني: ١٠/١٥٦، الزوائد: ٩/٢٠٤، المناقب لابن مردويه: ١٩٦، الجامع الصغير: ١/٢٥٨، كنز العمال: ١١/٦٠٦، ١٣/٦٧١، الكشف الحثيث: ١٧٤، جواهر المطالب: ١٥٥/١، سبل الهدى: ١١/٣٨، الحلبية: ٢/٤٧١ وغيرها وصحوه.

ووصفت الأحاديث في مصادر الطرفين مراسم الخطبة، ثم العقد، ثم تهية المنزل، وتأثيته، ثم وليمة الزفاف. وتبلغ نحو خمسين صفحة!

### ٤. أيها الرسول: زوج النور من النور

نزل جبرئيل بأمر الله تعالى لرسوله ﷺ أن يزوج النور من النور، فتحدث النبي ﷺ في المسجد وأمر علياً ﷺ أن يخطب فخطب وطلب منه يد فاطمة ﷺ،

وأجابه النبي ﷺ بالقبول، وأخبر المسلمين باحتفال الملائة الأعلى بعرسها.  
ثم باع علي ﷺ درعه وجاء بثمنه مهراً وأعطاه للنبي ﷺ، فأعطى منه قبضة  
إلى أم سلمة وأم أيمن لشراء لوازم عرس الزهراء ﷺ، وقبضة لسلمان وأبي بكر،  
لشراء لوازم المنزل. ثم أمر الصحابة والصحابيات بتهيئة المنزل.

وبقيت الزهراء بعد عقد زواجها مدة في بيت أبيها ﷺ، ثم أقام النبي ﷺ  
مراسم زفافها فأولم وليمة كبيرة لم يحدث التاريخ بأوسع منها في كل سيرته ﷺ.  
والأحاديث في مراسم زواج الزهراء ﷺ عديدة، اخترنا نماذج منها:

في المناقب: ١٢٣/٣ وتاريخ بغداد: ٤/٤٣٢: «طلع النبي ﷺ ووجهه مشرق  
كالبدر، فسأله ابن عوف عن ذلك فقال: بشارة أتتني من ربي لأخي وابن عمي  
وابنتي، والله زوج علياً بفاطمة ﷺ، وأمر رضوان خازن الجنان فهز شجرة  
طوبى فحملت رقاعاً بعدد محبي أهل بيتي، وأنشأ من تحتها ملائكة من نور،  
ودفع إلى كل ملك صكاً براءة من النار، بأخي وابن عمي وابنتي، فكأك رقاب  
رجال ونساء من أمتي.

دعاه رسول الله ﷺ وقال: أبشر يا علي فإن الله قد كفاني ما كان من همتي  
تزيوئيك، أتاني جبرئيل ومعه من سنبل الجنة وقرنفلها، فتناولتها وأخذتها  
فشممتها، فقلت: ما سبب هذا السنبل والقرنفل؟ قال: إن الله أمر سكان  
الجنة من الملائكة ومن فيها أن يزينوا الجنان كلها، بمغارسها وأشجارها وثمارها  
وقصورها، وأمر ريجها فهبت بأنواع العطر والطيب، وأمر حور عينها بالقراءة  
فيها طه ويس وطواسين وحم وعسق، ثم نادى مناد من تحت العرش: ألا إن  
اليوم يوم وليمة علي، ألا إني أشهدكم أي زوجت فاطمة من علي، رضاً مني  
بعضها لبعض.

ثم بعث الله سبحانه سحابة بيضاء فقطرت من لؤلؤها وزبرجدها ويواقيتها،  
وقامت الملائكة فثرن من سنبلها وقرنفلها، وهذا مما نثره الملائكة».

وفي حديث خباب بن الأرت: أن الله تعالى أوحى إلى جبرئيل: «زوج النور

من النور وكان الولي الله، والخطيب جبرئيل، والمنادي ميكائيل، والداعي إسرافيل، والنائر عزرائيل، والشهود ملائكة السموات والأرضين. ثم أوحى إلى شجرة طوبى أن انثري ما عليك، فثرت الدر الأبيض والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر واللؤلؤ الرطب، فبادرن الحور العين يلتقطن، ويهدين بعضهن».

وفي تعبير: زوج النور من النور سرٌ لطيف، لأن نور النبوة صار جزءين، وافترق في عبدالله وأبي طالب: جزء للنبوة، وجزء للإمامة، ثم اجتمع في الحسن والحسين عليهما السلام.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «الكافي: ٤٤٢/١»: «إن الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان وخلق نور الأنوار، الذي نورت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الذي نورت منه الأنوار، وهو النور الذي خلق منه محمد صلى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام، فلم يزا لا نورين أولين، إذ لا شئ كون قبلهما، فلم يزا لا يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة، حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبدالله وأبي طالب عليهما السلام».

وقال القاضي سعيد في شرح توحيد الصدوق: ٧٩/٢: «وعندها يتحد النوران اللذان اقتسما في عبدالله وأبي طالب رضي الله عنهما».

الشيعة  
الشيعة  
الشيعة

#### ٥. خطبة علي عليه السلام الرسمية وجواب النبي صلى الله عليه وآله

قال في المناقب: ١٢٦/٣: «وخطب النبي على المنبر في تزويج فاطمة عليها السلام خطبة، رواها يحيى بن معين في أماليه، وابن بطة في الإبانة بإسنادهما عن أنس بن مالك مرفوعاً، ورويناها عن الرضا عليه السلام. وروى ابن مردويه أنه قال لعلي: تكلم خطيباً لنفسك، فقال: الحمد لله الذي قرب من حامديه، ودنا من سائله، ووعد الجنة من يتقيه، وأنذر بالناس من يعصيه، نحمده على قديم إحسانه وأياديه، حمد من يعلم أنه خالقه وباريه، وميمته ومحبيه، ومساائله عن مساويه، ونستعينه ونستهديه، ونؤمن به ونستكفيه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تبلغه وترضيه، وأن حمداً عبده ورسوله، صلاة تزلفه وتخطيه، وترفعه وتصطفيه».

والنكاح ما أمر الله به ورضيه، واجتماعنا مما قدره الله وأذن فيه، وهذا رسول الله

زوجني ابنته فاطمة على خمس مائة درهم وقد رضيت، فاسألوه واشهدوا.  
 وفي خبر: زوجتك ابنتي فاطمة على ما زوجك الرحمن، وقد رضيت بها  
 رضي الله لها، فدونك أهلك فإنك أحق بها مني.  
 وفي خبر: فنعلم الأخ أنت، ونعم الختن أنت، ونعم الصاحب أنت، وكفأك  
 برضى الله رضا، فخر علي ساجداً شكر الله تعالى وهو يقول: رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ  
 نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ  
 الصَّالِحِينَ. فقال النبي ﷺ: آمين».

### ٦ . عرس فاطمة عليها السلام في السماء

في تفسير العياشي: ٢١١/٢، عن الإمام الباقر عليه السلام: «أمر الله طوبى فنثرت عليهم  
 من حللها وسندسها، وإستبرقها، ودرها، وزمردها، وياقوتها، وعطرها،  
 فأخذوا منه حتى ما دروا ما يصنعون به. ولقد نحل الله طوبى في مهر فاطمة عليها السلام،  
 فهي في دار علي بن أبي طالب».

وفي المناقب: ١٢٨/٣: «قيل لرسول الله ﷺ: قد علمنا مهر فاطمة في الأرض  
 فما مهرها في السماء فقال: سل ما يعينك ودع ما لا يعينك. قيل: هذا مما يعيننا  
 يا رسول الله، قال: كان مهرها في السماء خمس الأرض، فمن مشى عليها مبغضاً  
 لها أو لولدها، مشى عليها حراماً إلى أن تقوم الساعة».

وفي روضة الواعظين/١٤٤، عن علي عليه السلام قال: «أتاني رسول رسول الله ﷺ فقال لي:  
 أجب النبي وأسرع، فما رأينا رسول الله ﷺ أشد فرحاً منه اليوم! قال: فأتيته  
 مسرعاً فقال: أبشر يا علي فإن الله تعالى قد كفاني ما كان من همي من أمر تزويجك.  
 قلت: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: أتاني جبرئيل ومعه سنبل الجنة وقرنفلها  
 فناولنيهما، فأخذتهما فشممتهما فقلت: ما سبب هذا السنبل والقرنفل؟ فقال: إن  
 الله تعالى أمر سكان الجنة من الملائكة ومن فيها أن يزينوا الجنان كلها، بمغارسها  
 وأشجارها وثمارها وقصورها، ثم نادى مناد: ألا يا ملائكتي وسكان جنتي،



باركوا علي بن أبي طالب حبيب محمد وفاطمة بنت محمد، فقد باركت عليها. قال علي: فقلت: يا رسول الله بلغ من قدرتي حتى أفي الجنة وزوجني الله في ملائكته. فقال ﷺ: إن الله تعالى إذا أكرم وليه وأحبه، أكرمه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت، فاختر الله لك يا علي. فقلت: رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ.. فقال رسول الله ﷺ: آمين».

وفي تاريخ دمشق: ١٢٦/٤٢: «عن جابر بن عبد الله قال: دخلت أم أيمن على النبي وهي تبكي فقال لها: ما يبكيك لا أبكي الله عينيك؟ قالت: بكيت يا رسول الله لأني دخلت منزل رجل من الأنصار قد زوج ابنته رجلاً من الأنصار، فنثر علي رأسها اللوز والسكر، فذكرت تزويجك فاطمة من علي بن أبي طالب ولم ينثر عليها شيئاً! فقال النبي ﷺ: لا تبكي يا أم أيمن فوالذي بعثني بالكرامة واستخصني بالرسالة ما أنا زوجته ولكن الله وزجه، ما رضيت حتى رضي علي، وما رضيت فاطمة حتى رضي الله رب العالمين. يا أم أيمن، إن الله لما أن زوج فاطمة من علي أمر الملائكة المقربين أن يمدقوا بالعرش فيهم جبريل وميكائيل وإسرافيل، وأمر الجنان أن تزخرف فتزخرفت، وأمر الحور العين أن يتزينن فتزينن، وكان الخاطب الله وكان الملائكة الشهود! ثم أمر شجرة طوبى أن تنثر فنثرت عليهم اللؤلؤ الرطب مع الدر الأبيض مع الياقوت الأحمر مع الزبرجد الأخضر، فابتدر حور عين من الجنان يرفلن في الحلي والحلل يلتقطنه، ويقلن هذا من نثار فاطمة بنت محمد، فهن يتهادينه بينهن إلى يوم القيامة».

أقول: يظهر أن أم أيمن تتكلم عن المرحلة الأولى من عرس فاطمة ﷺ، فقد ورد في حديث زفافها أنهم نثروا في عرسها: «فخرج مولى لأم سلمة زوجة رسول الله ﷺ، فنثر سكرًا ولوزًا ونثر الناس من كل جانب». الهداية الكبرى/ ١١٥.

## ٧ . تهينة النبي ﷺ منزل فاطمة وعلي ﷺ

روى الطبراني في الأوسط: ٢٩٠/٦ وابن ماجه: ٦١٥/١: «عن عائشة وأم سلمة قالتا: أمرنا رسول الله ﷺ أن نجهز فاطمة حتى ندخلها على علي، فعمدنا إلى البيت ففرشناه تراباً لينا من أعراض البطحاء، ثم حشونا مرفقتين ليفاً فنفسناه بأيدينا، ثم أطعمنا تمرأ وزبيباً وسقينا ماء عذباً، وعمدنا إلى عود فعرضناه في جانب البيت ليلقى عليه الثوب ويعلق عليه السقاء. فما رأينا عرساً أحسن من عرس فاطمة».

وكان أمير المؤمنين ﷺ يسكن في بيت مع أمه فاطمة بنت أسد، وعندما تزوج انتقل إلى بيته الجديد وسكنت معه والدته ﷺ.

ففي ذخائر العقبى ١٥٧: «فقال علي لأمه فاطمة بنت أسد: إكفي بنت رسول الله الخدمة خارجاً، سقاية الماء والحاجة وتكفيك العمل في البيت: العجن والطحن».

## ٨ . وصف أثاث بيت فاطمة ﷺ

في المناقب: ١٢٧/٣: «قال الصادق ﷺ: وسكب الدراهم في حجره، فأعطى منها قبضة كانت ثلاثة وستين أو ستة وستين إلى أم أيمن لمتاع البيت، وقبضة إلى أسماء بنت عميس للطيب، وقبضة إلى أم سلمة للطعام، وأنفذ عماراً وأبابكر وبلالاً لابتياح ما يصلحها. وكان مما اشتروه قميص بسبعة دراهم، وخمار بأربعة دراهم، وقطيفة سوداء خيرية وسرير مزمل بشريط، وفرشان من خيش مصر حشو أحدهما ليف وحشو الآخر من جز الغنم، وأربع مرافق من آدم الطايف، حشوها إذخر، وستر من صوف، وحصير هجري، ورحاء اليد، وسقاء من آدم ومخضب من نحاس، وقعب للبن، وشن للباء، ومطهرة مزفتة، وجرة خضراء، وكيزان خزف.. ونطع من آدم، وعباء قطراني، وقرية ماء». إلى آخر الروايات.

## ٩. أفخم الأعراس عرس فاطمة عليها السلام

أقام النبي صلى الله عليه وآله بأمر ربه عرساً لفاطمة وعلي عليهما السلام لانظير له في تاريخ الأنبياء عليهم السلام، فقد زوج بناته أو ربيباته قبل فاطمة عليها السلام وبعدها، وتزوج هو، وكانت احتفالاته مختصرة، فكان يدعو من حضر إلى طعام من تمر وسمن وما شابه، وانتهى الأمر.

وقد جاء في رواية الطبراني في الأوسط: ٢٩٠/٦ وابن ماجه: ٦١٥/١: «عن عائشة: فما رأينا عرساً أحسن من عرس فاطمة».

وضاق بعض حساد علي وفاطمة عليهما السلام بهذا الحديث فقالوا إنه كان أحسن عرس فقط بالحيس، أي حلاوة التمر، أو الطحين التي تحاس بالدهن!

وروا «عن جابر: حضرنا عرس علي، فما رأينا عرساً كان أحسن منه حيساً» «الطبراني الأوسط: ٢٩٠/٦». ثم حاولوا أن يضعفوا رواية ابن ماجه بسلم بن خالد الزنجي، فقال في مجمع الزوائد: ٥٠/٤: «وهو ضعيف وقد وثق».

وقد وثقه ابن معين والدارقطني وابن حبان، وهم من كبار الأئمة عندهم!

ففي تاريخ ابن معين: ٥٠/١: «سألت يحيى عن مسلم بن خالد الزنجي فقال ثقة». وفي مشاهير ابن حبان: ٢٣٤/٤: «كان أبيض مشرب الحمرة، فلذلك قيل زنجي! مات سنة تسع وسبعين ومائة، وكان من فقهاء أهل مكة، ومنه تخرج الشافعي وإياه كان يجالس قبل أن يلقي مالكا». قال الدارقطني: ثقة». تهذيب التهذيب: ١١٧/١٠.

فقد ضعفوه لروايته فضائل أهل البيت عليهم السلام! قال بخاري في الضعفاء/١١٠: «منكر الحديث! ولعلمهم لبغضهم إياه سموه زنجياً، مع أنه أبيض أحمر!»

## ١٠. وليمة الزفاف بعد شهر من العقد

أقام النبي صلى الله عليه وآله وليمة عامة لعرس علي وفاطمة عليهما السلام، ومدّ السفر للناس في المسجد، ففي مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام لأبي بكر بن مردويه/١٩٨، ومناقب ابن شهر آشوب: ١٢٩/٣: «في حديث: فمكث علي تسعة وعشرين ليلة، فقال له جعفر وعقيل: سله أن يدخل عليك أهلك، فعرفت أم أيمن ذلك وقالت: هذا من أمر النساء

فخلت به أم سلمة فطالته بذلك، فدعاه النبي ﷺ وقال: حباً وكرامة، فأتى الصحابة بالهدايا، فأمر بطحن الرُّ وخبزه، وأمر علياً بذبح البقر والغنم، فكان النبي ﷺ يُفَصِّل «الذبيحة» ولم يرَ على يده أثر دم!

فلما فرغوا من الطبخ أمر النبي ﷺ أن ينادى على رأس داره: أجيئوا رسول الله وذلك كقوله تعالى: «وأذن في الناس بالحج» والناس في أماكنهم يسمعون دعوته» فأجابوا من النخلات والزروع، فبسط النطوع في المسجد وصدر الناس، وهم أكثر من أربعة آلاف رجل وسائر نساء المدينة، ورفعوا منها ما أرادوا، ولم ينقص من الطعام شيء! ثم عادوا في اليوم الثاني وأكلوا! وفي اليوم الثالث أكلوا مبعوثه أي أيوب، ثم دعا رسول الله ﷺ بالصحاف فملئت ووجه إلى منازل أزواجه، ثم أخذ صحيفة وقال: هذا لفاطمة وبعلمها.

ثم دعا فاطمة، وأخذ يدها فوضعها في يد علي وقال: بارك الله لك في ابنة رسول الله يا علي نعم الزوج فاطمة، ويا فاطمة نعم البعل علي.

وفي مناقب آل أبي طالب: ١١٤/١: «وأتى أبوأيوب بشاة إلى رسول الله ﷺ في عرس فاطمة فنهاه جبرئيل عن ذبحها، فشق ذلك عليه فأمر ﷺ زيد بن جبير الأنصاري فذبحها بعد يومين، فلما طبخ أمر ألا يأكلوا إلا باسم الله وأن لا يكسروا عظامها، ثم قال: إن أباأيوب رجل فقير، إلهي أنت خلقتها وأنت أفنيتها وإنك قادر على إعادتها، فأحيها يا حي لا إله إلا أنت. فأحيها الله وجعل فيها بركة لأبي أيوب وشفاء المرضى في لبنها، فساها أهل المدينة المبعوثه، وفيها قال عبدالرحمن بن عوف أبياتاً منها:

ألم ينظروا شاة ابن زيد وحالها	وفي أمرها للطالبيين مزيد
وقد ذبحت ثم استجرت لها بها	وفصلها فيما هناك يزيد
وأوضح منها اللحم والعظم والكلى	فهلله بالنار وهو هريد
فأحى له ذو العرش والله قادر	فعادت بحال ما يشاء يعود

## ١١. تزيين النساء لفاطمة عليها السلام

«وكان النبي ﷺ أمر نساءه أن يزينها، ويصلحن من شأنها في حجرة أم سلمة، فاستدعين من فاطمة عليها السلام طيباً فأثت بقارورة، فسألت عنها فقالت: كان دحية الكلبي يدخل على رسول الله ﷺ فيقول لي: يا فاطمة هاتي الوسادة فاطرحيها لعمك، فكان إذا نهض سقط من بين ثيابه شيء فياًمرني بجمعه.

فستل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: هو عنبر يسقط من أجنحة جبرئيل! وأتت بباء ورد، فسألت أم سلمة عنه فقالت: هذا عرق رسول الله ﷺ كنت آخذه عند قيلولة النبي عندي.

وروي أن جبرئيل عليه السلام أتى بحلة قيمتها الدنيا، فلما لبستها تحيرت نسوة قريش منها، وقلن: من أين لك هذا؟ قالت: هذا من عند الله. المناقب: ٣/١٣٠.

وفي المعجم الكبير للطبراني: ٤٠٨/٢٢: «عن عبدالله بن مسعود قال: سأحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ، سمعته في غزوة تبوك يقول ونحن نسير معه: إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي عليه السلام ففعلت، قال جبريل: إن الله بنى الجنة من لؤلؤة «ووصفها بتفصيل» قلت: يا جبريل لمن بنى الله هذه الجنة؟ قال: بناها لفاطمة ابنتك وعلي بن أبي طالب، سوى جناها، تحفة أتحفها وأقر عينيك يا رسول الله».

## ١٢. مراسم زفاف فاطمة لعلي عليهما السلام

في شرح الأخبار: ٣٥٨/٢: «ثم قال: يا أسماء، إملئي لي مخضب ماء وآتيني به، فملأت وأتته به، فأخذ رسول الله ﷺ منه ومجّه في فيه، ثم غسل فيه وجهه وقدميه، ودعا فاطمة عليها السلام فأخذ كفاً من ذلك الماء فنضحه على صدرها، وأخذ كفاً ثانياً فنضحه على ظهرها، ثم أمرها أن تشرب بقية الماء.

ثم دعا بعلي عليه السلام فصنع به مثل ذلك، ثم قال: اللهم إنهما مني وأنا منهما، فكما أذهبت عني الرجس وطهرتني، فأذهبه عنهما وطهرهما. ثم قال: قوما إلى بيتكما جمع الله بينكما، وبارك لكما في سيركما، وأصلح بالكما.

قالت أسماء: إنه ﷺ لم يزل يدعو لها لم يشرك في دعائه أحداً حتى توارى في حجرته». وكشف الغمة: ٣٨٢/١، كشف اليقين: ١٩٨، ينابيع المودة: ٦٤/٢، المناقب: ١٣١/٣.

وفي رواية أنه ﷺ دعا لها: «اللهم إنهما مني وأنا منهما، اللهم كما أذهبت عني الرجس وطهرتني فطهرهما... اللهم اجمع شملهما، واجعلهما وذريتهما من ورثة جنة النعيم. اللهم بارك فيهما وبارك عليهما، وأنت وليهما في الدنيا والآخرة».

خصائص أمير المؤمنين/ ١١٥، مناقب أمير المؤمنين: ٢٠٣/٢ والبحار: ١٢٢/٤٣.

وفي مناقب آل أبي طالب: ١٣٠/٣، عن كتاب مولد فاطمة ؑ للصدوق قال: «أمر النبي ﷺ بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة ؑ وأن يفرحن ويرجزن ويكبرن ويمجدن، ولا يقلن ما لا يرضي الله. قال جابر: فأركبها على ناقته، وفي رواية على بغلته الشهباء، وأخذ سليمان زمامها، وحوها سبعون حوراء والنبي ﷺ وحمزة وعقيل وجعفر وأهل البيت يمشون خلفها مشهرين سيوفهم، ونساء النبي ﷺ قدامها يرجزن. فأنشأت أم سلمة».

ثم ذكر أراجيز أم سلمة، وعائشة، وحفصة، ومعاذة أم سعد بن معاذ.

وروى الطبراني في معجمه الكبير: ٤١٠/٢٢ حديثاً مطولاً فيه ذكر مراسم زفاف فاطمة ؑ شبيهاً بحديث المناقب.

وفي المناقب: ١٣٠/٣: «تاريخ الخطيب، وكتاب ابن مردويه، وابن المؤذن، وابن شيرويه الديلمي، بأسانيدهم عن علي بن الجعد، عن ابن بسطام، عن شعبة بن الحجاج، وعن علوان عن شعبة، عن أبي حمزة الضبيعي، عن ابن عباس وجابر: أنه لما كانت الليلة التي رُفت فاطمة إلى علي ؑ كان النبي ﷺ أمامها، وجبرئيل عن يمينها، وميكائيل عن يسارها، وسبعون ألف ملك من خلفها، يسبحون الله ويقدمونه».

أقول: هذا مقام رباني عظيم، حيث خرج النبي ﷺ ومعه كبار الملائكة ؑ، مع فاطمة ؑ من بيته إلى بيت علي ؑ الذي كان أول الأمر بعيداً نسبياً عن المسجد. وفي شرح إحقاق الحق: ٤١٠/٢٥، عن توضيح الدلائل للإيجي/ ٣٣٤، عن ابن سيرين،

عن أم سلمة، وسلمان من حديث: «حتى إذا صلى رسول الله ﷺ عشاء الآخرة انصرف إلى بيت فاطمة عليها السلام فدعاها فأجلسها خلف ظهره، ثم دعا علياً فأخذ بيد فاطمة فوضعها في يد علي وقال عليه السلام: إنطلقا إلى بيتكما ولا تحدثا شيئاً حتى آتيكما. فقامت فاطمة عليها السلام معه غير عاصية ولا متلكئة حتى دخلا بيتها فجلسا على فراش، ثم قام رسول الله ﷺ حتى دخل عليهما فجلس بينهما، ثم قال لعلي: قم فائتني بماء، فأخذ علي قعباً فاصطب من ماء شلوة فأتاه به، فأخذ رسول الله القعب بيده ثم أخذ ملء فيه ماء فتمضمض به ثم أعاده في القعب، فأخذ قبضة من الماء فنضح به رأس علي ووجهه وصدوره، ثم قال عليه السلام: إشر به فشر به.

ثم قال لفاطمة: قومي فائتني بماء، فجاءت به أيضاً في القدح، فأخذ رسول الله ملء فيه فتمضمض به فأعاده في القدح، ثم أخذ قبضة فنضح به رأس فاطمة ووجهها ونحرها. ثم قام وخلاهما. ولبث رسول الله عليه السلام أربعاً لا يدخل عليهما».

وفي الإصابة: ٢٦٥/٨: «وأخرج الدولابي في الذرية الطاهرة بسند جيد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ ليلة بني علي بفاطمة: لا تحدث شيئاً حتى تلقاني فدعا بماء فتوضأ منه ثم أفرغه عليهما وقال: اللهم بارك فيها وبارك عليهما، وبارك لهما في نسلهما».

المعجم الكبير للطبراني: ٤٠٩/٢٢: «فجاءت مع أم أيمن فقعدت في جانب البيت وأنا في جانب فجاء النبي ﷺ فقال: ههنا أخي؟ فقالت: أم أيمن أخوك قد زوجته بنتك! فدخل النبي ﷺ فقال لفاطمة اتيني بماء، فقامت إلى قعب في البيت فجعلت فيه ماء فأتته به فمخ فيه ثم قال لها قومي فنضح بين تدييها وعلى رأسها. ثم قال: اللهم أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم. ثم قال لها أدبري فأدبرت فنضح بين كتفيها، ثم قال: اللهم إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم، ثم قال اتيني بماء فعملت الذي يريده فملأت القعب ماء فأتيته به فأخذ منه بفيه ثم مجه فيه ثم صب على رأسي وبين يدي ثم قال: اللهم إني أعيذها وذريتها من الشيطان الرجيم، ثم قال: أدخل على أهلك بسم الله والبركة».

## ١٣. صديقات أمها ﷺ حضرن عرسها

ورد في أحاديث زواج فاطمة ﷺ ذكر أسماء بنت عميس وأم سلمة، وكانتا صديقتين لأمها خديجة ﷺ وروي أنها أوصتها بفاطمة ﷺ. وكانت أم سلمة مع زوجها أبي سلمة المخزومي، فرجعوا إلى مكة ثم هاجروا إلى المدينة.

أما أسماء فأشكل بعضهم بأنها كانت مع زوجها جعفر بن أبي طالب في الحبشة «كشف الغمة للإبلي: ٣٨٣/١» لكنه يدل على أنها حضرت خصيصاً لخدمة الزهراء ﷺ في عرسها، وقد كثر مجئ المهاجرين من الحبشة إلى المدينة، وشارك عدد منهم في بدر وأحد، وبقي جعفر بن أبي طالب ينفذ المهام التي أمره بها النبي ﷺ والمتعلقة بالحبشة، فقد كانت مركز الروم في أفريقيا. وفي السنة السابعة أمر النبي ﷺ جعفر ﷺ بالعودة مع بضعة أشخاص كانوا معه لأسباب مختلفة. وقد روى الطبراني في معجمه الكبير: ٤١٢/٢٢ وغيره حضور أسماء عرس فاطمة ﷺ قال: «ثم إن النبي ﷺ دخل فلما رأينه النساء ذهبن وبينهن وبين النبي ستر، وتحلفت أسماء بنت عميس فقال لها النبي ﷺ: على رسلك من أنت؟ قالت أنا التي أحرس ابنتك، إن الفتاة ليلة تبنى بها لا بد لها من امرأة تكون قريبة منها إن عرضت لها حاجة، أو أرادت شيئاً أفضت بذلك إليها. قال: فإني أسأل إلهي أن يحرسك من بين يديك، ومن خلفك، وعن يمينك، وعن شمالك، من الشيطان الرجيم».

## ١٤. ولادة الإمام الحسن ﷺ

في أمالي الصدوق/١٩٧: «عن زيد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين ﷺ قال: لما ولدت فاطمة ﷺ الحسن ﷺ قالت لعلي: سمه. فقال: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله. فجاء رسول الله ﷺ فأخرج إليه في خرقة صفراء فقال: ألم أنحكم أن تلفوه في خرقة صفراء! ثم رمى بها وأخذ خرقة بيضاء فلفه فيها، ثم قال لعلي ﷺ: هل سميتَه؟ فقال: ما كنت لأسبقك باسمه؟ فقال ﷺ: وما كنت

زوج علي وفاطمة



لأسبق باسمه ربي عز وجل، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى جبرئيل أنه قد ولد لمحمد ابن فاهبط واقربه السلام وهنئه، وقل له: إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمه باسم ابن هارون، فهبط جبرئيل فهنأه من الله عز وجل، ثم قال: إن الله عز وجل يأمرك أن تسميه باسم ابن هارون. قال: وما كان اسمه؟ قال: شبر. قال: لساني عربي. قال: سمه الحسن، فسماه الحسن.

فلما ولد الحسين عليه السلام أوحى الله عز وجل إلى جبرئيل أنه قد ولد لمحمد ابن فاهبط إليه وهنئه، وقل له: إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمه باسم ابن هارون، قال: فهبط جبرئيل فهنأه من الله تبارك وتعالى ثم قال: إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى فسمه باسم ابن هارون. قال: وما اسمه؟ قال: شبير. قال: لساني عربي. قال: سمه الحسين، فسماه الحسين.

وفي الكافي: ٤٦١/١: «ولد الحسن بن علي عليه السلام في شهر رمضان في سنة بدر، سنة اثنين بعد الهجرة. وروي أنه ولد في سنة ثلاث ومضى عليه السلام في شهر صفر في آخره من سنة تسع وأربعين، ومضى وهو ابن سبع وأربعين سنة وأشهر».

وفي الكافي: ٣٣/٦: «عن الحسين بن خالد قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن التهنية بالولد متى؟ فقال إنه قال: لما ولد الحسن بن علي هبط جبرئيل بالتهنية على النبي صلى الله عليه وآله في اليوم السابع وأمره أن يسميه ويكنيه ويحلق رأسه ويعق عنه ويثقب أذنه، وكذلك حين ولد الحسين عليه السلام أتاه في اليوم السابع فأمره بمثل ذلك».

قال: وكان لها ذؤابتان في القرن الأيسر، وكان الثقب في الأذن اليمنى في شحمة الأذن، وفي اليسرى في أعلى الأذن، فالقرط في اليمنى والشنف في اليسرى، وقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله ترك لها ذؤابتين في وسط الرأس. وهو أصح من القرن».

وفي الهداية للصدوق: ٧٠: «وقال النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: أنقبي على أذني ابني الحسن والحسين خلافاً على اليهود». وفي قاموس الكتاب المقدس/٣١٦: «وكانت عادة قومية عند الإسماعيليين أن يلبس الرجال أقرطاً». قضاة: ٢٥٨ و٢٦.

أقول: اتفق جمهور المؤرخين على أن ولادة الإمام الحسن عليه السلام في نصف شهر رمضان،

واختلفوا هل كانت في السنة الثانية للهجرة أو الثالثة، تبعاً لتاريخ زواج علي وفاطمة عليهما السلام. والمرجح قول الإربلي في كشف الغمة: ١٣٦/٢: «أصح ما قيل في ولادته أنه ولد بالمدينة في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وكان والده علي بن أبي طالب عليه السلام قد بنى وفاطمة عليها السلام في ذي الحجة من السنة الثانية من الهجرة».

فالمرجح أن الأمر الإلهي بزواج فاطمة بعلي عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما كثر الخاطبون لها عليها السلام في السنة الأولى من الهجرة، ولعله صلى الله عليه وآله وسلم عقد زواجهما في تلك الفترة، كما روى ابن سعد واليعقوبي، وأخر زفافها إلى السنة الثانية في ذي الحجة كما نصت رواية ابن المسيب عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «فقلت لعلي بن الحسين: فمتى زوج رسول الله فاطمة من علي؟ فقال: بالمدينة بعد الهجرة بسنة وكان لها يومئذ تسع سنين» «الكافي ٣٣٨/٨». ومعنى تسع سنين أنها دخلت في العاشرة، لأن ولادتها في العشرين من جمادى الثانية سنة خمس للبعثة، أي بعد أربع سنوات ونصف من البعثة التي كانت في رجب نصف السنة فحسبت سنة، ويكون عمرها عند هجرته صلى الله عليه وآله وسلم في ربيع الأول في السنة الثالثة عشرة من بعثته نحو ثمان سنين، وعمرها عند زواجهما في ذي الحجة من السنة الثانية للهجرة نحو تسع سنين ونصفاً، وولدت الحسن عليه السلام وعمرها نحو عشر سنوات ونصفاً. وتؤيد رواية اليعقوبي: ٤١/٢ ما ذكرناه: «زوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من علي بعد قدومه بشهرين، وقد كان جماعة من المهاجرين خطبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما زوجها علياً قالوا في ذلك! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما أنا زوجته ولكن الله صلى الله عليه وآله وسلم زوجها». ورواية ابن سعد: ٢٢/٨: «تزوج علي بن أبي طالب فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رجب بعد مقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة بخمسة أشهر، وبنى بها مرجعه من بدر».

في الكافي: ٤٦٣/١: «ولد الحسين بن علي عليه السلام في سنة ثلاث، وقبض عليه في شهر المحرم من سنة إحدى وستين من الهجرة، وله سبع وخمسون سنة وأشهر.  
عن عبد الرحمن العزمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان بين الحسن والحسين عليه السلام طهر، وكان بينهما في الميلاد ستة أشهر وعشراً».

وفي مصباح المتهدد/٨٢٦، عن الإمام الباقر عليه السلام أن مولده عليه السلام في الثالث من شعبان. وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٥٢/٢: «عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت عبد الله بن جعفر الطيار يقول: كنت عند معاوية والحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعمر بن أبي سلمة، وأسامة بن زيد يذكر حديثاً جرى بينه وبينه وأنه قال لمعاوية بن أبي سفيان: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم أخي علي بن أبي طالب عليه السلام أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فابني الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم ابني الحسين عليه السلام أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فابني علي بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وستدرکه يا علي، ثم ابني محمد بن علي الباقر أولى بالمؤمنين من أنفسهم وستدرکه يا عبد الله، وتكلمة اثني عشر إماماً، تسعه من ولد الحسين. قال عبد الله: ثم استشهدت الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعمر بن أبي سلمة وأسامة بن زيد، فشهدوا لي عند معاوية. قال سليم بن قيس: وقد كنت سمعت ذلك من سلمان وأبي ذر والمقداد وأسامة، أنهم سمعوا من رسول الله ﷺ».

وفي كامل الزيارات/١٤٠: «عن إبراهيم بن شعيب الميثمي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الحسين بن علي عليه السلام لما ولد أمر الله عز وجل جبرئيل عليه السلام أن يهبط في ألف من الملائكة فيهنئ رسول الله ﷺ من الله ومن جبرئيل عليه السلام، قال: وكان مهبط جبرئيل عليه السلام على جزيرة في البحر فيها ملك يقال له: فطرس، كان من الحملة فبعث في شي فأبطأ فيه، فكسر جناحه وألقى في تلك الجزيرة يعبد الله فيها ست مائة عام، حتى ولد الحسين عليه السلام فقال الملك لجبرئيل عليه السلام: أين تريد. قال: إن الله تعالى أنعم على محمد ﷺ بنعمة فبعثت أهنيه من الله ومني، فقال: يا جبرئيل إحملني معك لعل

محمد ﷺ يدعو الله لي، قال فحمله فلما دخل جبرئيل على النبي ﷺ وهنأه من الله وهنأه منه وأخبره بحال فطرس، فقال رسول الله ﷺ: يا جبرئيل أدخله، فلما أدخله أخبر فطرس النبي ﷺ بحاله فدعا له النبي ﷺ وقال له: تمسح بهذا المولود وعد إلى مكانك. قال: فتمسح فطرس بالحسين ﷺ وارتفع، وقال: يا رسول الله ﷺ أما أن أمتك ستقتله وله عليّ مكافاة أن لا يزوره زائر إلا بلغته عنه، ولا يسلم عليه مسلم إلا بلغته سلامه، ولا يصلي عليه مصل إلا بلغته عليه صلاته، قال: ثم ارتفع.»

أقول: حديث فطرس صحيح السند فيجب قبوله، لكن الإشكال فيه أنه يدل على ارتكاب الملائكة للذنوب واستحقاقهم للعقوبة، وأنه يعارض قول تعالى: عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ. وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ. وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ. لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَقْعَلُونَ. لكن الصحيح أن هذه الآيات تتكلم عن زبانية جهنم المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول. فلا مانع أن هناك أنواع أخرى، تصدر منهم المعصية مثل فطرس. على أن المعصية أمر نسبي، كما أن اعتراض الملائكة في استخلاف آدم ﷺ عدّ معصية: قَالُوا اتَّخَذَ فِيهَا مَنْ يَفْسِدُ فِيهَا وَيَنْفُكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ. «وروى في الكافي: ٤/١٨٨»: «فأعرض عنها» الملائكة» فرأت أن ذلك من سخطه فلاذت بعرشه، فأمر الله ملكاً من الملائكة أن يجعل لها بيتاً في السماء السادسة يسمى الضراح بإزاء عرشه، فصيره لأهل السماء يطوف به سبعون ألف ملك في كل يوم لا يعودون ويستغفرون.»



## الفصل الثامن والثلاثون

### هدف سرايا النبي ﷺ وحروبه

#### ١- عدد سرايا النبي ﷺ وغزواته وحروبه ، وهدفها

أعلنت قبائل العرب عداها مع قريش لأهل المدينة لأنهم بايعوا النبي ﷺ على حمايته وقتال أعدائه: «فلما أوارا رسول الله ﷺ وأصحابه ونصروا الله ودينه رمتهم العرب عن قوس واحدة، وتحالفت عليهم اليهود، وغزتهم القبائل قبيلة بعد قبيلة». أمالي الطوسي/١٧٣، بمعناه الغارات للثقي: ٤٧٩/٢ والحاكم: ٤٠١/٢ .

وقد اعتمد النبي ﷺ لمواجهة هذا العداة إرسال السرايا، وهي مجموعات مقاتلة صغيرة وكبيرة، تبعث لأهداف محددة ومناطق محددة، لمحاربة عدو يتعاون مع قريش ضد الإسلام، أو يخشى منه أن يغزو المدينة.

واصطلح الرواة على إسم السرية إذا لم يكن النبي ﷺ فيها، فإن كان فيها سميت غزوة، وهو مجرد اصطلاح، وقد تكون السرية أكثر عدداً وأشد قتالاً. ثم نراهم خالفوا هذا الاصطلاح، فسموا معركة مؤتة وغيرها غزوة.

ويمكن حصر أهداف سراياه وغزواته ﷺ بثلاثة: حماية الدولة، وإظهار القوة لإرهاب من يفكر بالإعتداء، ومحاولة جر قريش إلى الحرب.

قال ابن هشام: ١٠٢٧/٤: «وكان جميع ما غزا رسول الله ﷺ بنفسه سبعاً وعشرين غزوة. قاتل منها في تسع غزوات: بدر، وأحد، والخندق، وقريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح،

وحنين، والطائف. وكانت بعوثة ﷺ وسراياه ثمانياً وثلاثين». فيكون المجموع نحو سبعين، وقيل اثنان وسبعون، شرح المغني: ٣٣٩/٥.

وقال أهل البيت عليهم السلام إن مجموع سراياه وغزواته ﷺ ثمانون، فعندما سُمّ المتوكل نذر إن عوفي أن يتصدق بهال كثير، فتحرير الفقهاء في مبلغ المال، فأرسل إلى الإمام الهادي عليه السلام فأجابته إن الكثير ثمانون، لقوله تعالى: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ. وكانت ثمانين موطناً. وروي ذلك عن الصادق عليه السلام وأفتى به عدد من فقهاءنا. الكافي: ٤٦٣/٧، الفقيه: ٣٦٨/٣ و ٢٠٦/٤، التهذيب: ٣٠٩/٨، فقه الرضا: ٢٧٤/٢، المقنع: ٤١١، المنفعة: ٥٦٥، الخلاف: ٣٥٩/٣، المختلف: ١٨٨/٨ والجواهر: ٤١٦/٣٥.

وكانت أول غزواته عليه السلام بدر، وآخرها تبوك قبيل وفاته عليه السلام واستغرقت ثمانين يوماً ولم يقع فيها حرب، لأن الروم انسحبوا من تبوك عندما توجه اليهم، ووقع الأكيدر ملك الدومة في الأسر، فكتب النبي عليه السلام معه صلحاً. وأهم حروبه عليه السلام: بدر، وأحد، والخندق، وخيبر، وفتح مكة، وحنين، ومؤتة. والباقي إما سرايا، أو لم تكن فيها معركة تذكر.

وفي المناقب: ١٦١/١: «إن جميع ما غزا النبي عليه السلام بنفسه ست وعشرون غزوة على هذا النسق: البواط، العشيرة، بدر الأولى، بدر الكبرى، السويق، ذي إمرة، أحد، نجران، بنو سليم، الأسد، بنو النضير، ذات الرقاع، بدر الآخرة، دومة الجندل، الخندق، بنو قريظة، بنو لحيان، بنو قرد، بنو المصطلق، الحديبية، خيبر، الفتح، حنين، الطائف، تبوك، ويلحق بها بنو قينقاع.

وقاتل في تسع وهي: بدر الكبرى، وأحد، والخندق، وبنو قريظة، وبنو المصطلق، وبنو لحيان، وخبير، والفتح، وحنين، والطائف.

وأما سراياه فست وثلاثون، أو لها سرية حمزة لقي أبا جهل بسيف البحر في ثلاثين من المهاجرين».

ومما تلاحظه في روايات السلطة في سرايا النبي عليه السلام وغزواته: أنهم عملوا لتوظيفها لتكبير أشخاص السلطة وأقاربهم وقبائلهم، وطمس أدوار غيرهم!

فاخترعوا بطولات ومناقب كاذبة، وادعوا حضور أشخاص لم يحضروا، وأنكروا فرار أشخاص فروا، وسرقوا أدوار أشخاص ونسبوها إلى آخرين!  
ووصل أمرهم إلى إنكار غزوة بأكملها كغزوة ذات السلاسل التي كان قائدها علي عليه السلام، واخترعوا بدلها غزوة لا وجود لها وسموها بنفس الاسم!  
ثم حاولوا التخفيف عن أعداء الإسلام خاصة القرشيين، حتى لو كان ثمن ذلك إلقاء اللوم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو المسلمين، فجعلوا أخذ الأسرى منهم في بدر سبباً للعقوبة الإلهية للمسلمين بهزيمتهم في أحد، والعقوبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بجرحه!  
كما أنهم كذبوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فعله وقوله، وانتقصوا من شخصيته صلى الله عليه وآله وسلم أحياناً، لتبرير فعل حاكم، أو صحابي، أو ادعاء منقبة له!

## ٢- معجزة إنشاء الأمة والمد الحضاري!

من عجائب نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وخصائص شخصيته الربانية، أنه استطاع أن ينشئ أكبر أمة وأكبر مد حضاري في تاريخ الأرض، في مدة قياسية هي عشر سنوات بعد هجرته، وبأقل كلفة عرفتها حركة كبرى! حيث لم يتجاوز عدد القتلى من جيشه وجيوش أعدائه كما حسبه بعضهم ٥٨٩ شخصاً!

## ٣- سرايا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغزواته قبل بدر

ذكرت مصادرنا وعدد من مصادرهم أن: «أول سرية سارت ولواء عقد في الإسلام، لحمزة بن عبد المطلب في شهر ربيع الأول من سنة اثنتين إلى سيف البحر، من ناحية العيص من أرض جهينة، في ثلاثين راكباً من المهاجرين، فلقني أباجهل في ثلاث مائه راكب من قريش، فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني، وكان موادعاً للفريقين، وانصرفوا ولم يك بينهم قتال». .اليعقوبي: ٤٤/٢.

وزعم ابن حجر في فتح الباري: ٦٧/٧ والإستيعاب: ٣٧٠/٨ أنها كانت بإمرة عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب. وهذا فهرس لسرايا النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى بدر من سيرة ابن هشام: ٤٢٨/٢، الطبري: ١٢١/٢، ذخائر العقبى/ ١٧٥، إعلام الوری: ١٦٣/٨ والصحيح من السيرة: ٢٧٢/٥.

أول غزوة غزاهما ﷺ في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه، فخرج حتى بلغ الأبواء، يريد قريشاً وبني ضمرة، ثم رجع ولم يلق كيداً، فأقام بالمدينة بقية صفر وصدراً من شهر ربيع الأول، وبعث عبيدة بن الحارث في ستين ركباً من المهاجرين ليس فيهم أحد من الأنصار، فالتقى هو والمشركون على ماء يقال له أحياء، وكانت بينهم الرماية، وعلى المشركين أبو سفيان بن حرب.

ثم غزاهما ﷺ في شهر ربيع الآخر يريد قريشاً، حتى بلغ بواط ولم يلق كيداً. ثم رجع ﷺ من العشيرة إلى المدينة فلم يبق بها عشر ليل، حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه حتى بلغ وادياً يقال له سفوان من ناحية بدر، وهي غزوة بدر الأولى، وفاته كرز فلم يدركه. فرجع رسول الله ﷺ وأقام جمادى الآخرة ورجب وشعبان، وكان بعث بين ذلك سعد بن أبي وقاص في ثمانية رهط، فرجع ولم يلق كيداً.

ثم بعث رسول الله ﷺ عبدالله بن جحش إلى نخلة، في اثني عشر رجلاً من المهاجرين وقال: كنَّ بها حتى تأتينا بخبر من أخبار قريش ولم يأمره بقتال، وكتب له كتاباً وقال: اخرج أنت وأصحابك حتى إذا سرت يومين فافتح كتابك وانظر ما فيه وامض لما أمرتك. فلما سار يومين وفتح الكتاب فإذا فيه: أن امض حتى تنزل نخلة، فأتنا من أخبار قريش بما يصل إليك منهم، فقال لأصحابه حين قرأ الكتاب: سنعماً وطاعة، من كان له رغبة في الشهادة فلينتقل معي! فمضى معه القوم حتى إذا نزلوا النخلة مر بهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان والمغيرة ابنا عبدالله، معهم تجارة قدموا بها من الطائف، أدم وزبيب، فلما رآهم القوم أشرف لهم واقد بن عبدالله وكان قد حلق رأسه، فقالوا: عُمار، ليس عليكم منهم بأس، وأمر أصحاب رسول الله وهي آخر يوم من رجب، فقالوا: لئن قتلتموهم إنكم لتقتلونها في الشهر الحرام، ولئن تركتموهم ليدخلن هذه الليلة مكة فليمتنعن منكم! فأجمع القوم على قتلهم فرمى واقد بن عبدالله التميمي عمر بن الحضرمي بسهم فقتله، واستأسر عثمان



بن عبدالله والحكم بن كيسان، وهرب المغيرة بن عبدالله فأعجزهم، واستاقوا العير فقدموا بها على رسول الله فقال لهم: والله ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام، وأوقف الأسيرين والعير ولم يأخذ منها شيئاً، وأسقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا، وقالت قريش: استحل محمد الشهر الحرام، فأنزل الله سبحانه:

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكَ حَتَّى يَزُدَّكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَزِدْكُمْ مِّنْكُمْ عَن دِينِهِ فَبِمَا هُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ «البقرة/ ٢١٧». فلما نزل ذلك أخذ رسول الله ﷺ العير وفداء الأسيرين، وقال المسلمون: أتطمع لنا أن نكون غزاة؟ فأنزل الله فيهم: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَجْرَتْ رَحْمَةُ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ «البقرة/ ٢١٨». وكانت هذه قبل بدر بشهرين. ورد عبدالله بالخمس على رسول الله ﷺ وقسم الباقي بين أصحابه، فكان أول خمس خمسة ﷺ. وعلى رأس ثمانية أشهر من مهاجره الشريف، عقد لعبيدة بن الحارث بن المطلب على ستين رجلاً، ليلقوا أبا سفيان في بطن رابع وكان في ميتين. وفي هذه السرية فر المقداد، وعتبة بن غزوان، «مهاجرين» إلى المسلمين.

وبعد ذلك كانت سرية سعد بن أبي وقاص على فريق من المهاجرين أيضاً ليعترضوا عيراً لقريش فسبقتهم. وقيل كان ذلك بعد بدر.

ثم كانت غزوة الأبواء، خرج فيها النبي ﷺ بنفسه يريد قريشاً وبني مرة بن بكر فتلقاه سيد بني مرة بالأبواء فصالحه، ثم رجع ﷺ إلى المدينة.

وبعدها كانت غزوة بواط، جبل لجهينة، قرب المدينة خرج ﷺ في ميتين من المهاجرين أيضاً، يعترض عير بني ضمرة، فبلغ بواطاً ورجع ولم يلق كيداً.

وبعدها بأيام قلائل كانت غزوة العشيرة، يريد قريشاً، حتى نزل العشيرة من بطن ينبع، فأقام بها بقية جمادى الأولى وليالي من جمادى الآخرة، ووادع فيها بني مدلج وحلفائهم من بني ضمرة، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً.

وفيهما كُنِّيَ علياً عليه السلام بأبي تراب، فروي عن عمار بن ياسر قال: «كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة، فقال لي علي: هل لك يا أبا اليقظان في هذه الساعة بهذا النفر من بني مدلج يعملون في عين لهم نظر كيف يعملون. فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعة ثم غشينا النوم، فعمدنا إلى صور من النخل في دقعاء «تراب ناعم» من الأرض فمنا فيه، فوالله ما أهبنا إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمه فجلسنا وقد تربنا من تلك الدقعاء، فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي عليه السلام: يا أبا تراب لما عليه من التراب. فقال: ألا أخبركم بأشقى الناس؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذا ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على رأسه، حتى يبيل منها هذه، ووضع يده على لحيته! ثم كانت سرية ابن جحش في رجب أو في جمادى الثانية من السنة الثانية، في ثمانية أو اثني عشر رجلاً من المهاجرين. وكتب له النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً وأمره أن لا يفتحها حتى يسير يومين، ففتحها بعد يومين فوجد فيها بعد البسملة: أما بعد، فسر على بركة الله بمن تبعك من أصحابك، حتى تنزل بطن نخلة، فترصد بها عير قريش، حتى تأتينا منها بخبر.

#### ٤- مشروعية سياسة النبي صلى الله عليه وسلم في السرايا والغزوات

١. بهذه التحركات السريعة المتنوعة عرف أهل المدينة وجيرانهم اليهود، ومن وراءهم من قريش والعرب، أن الدولة التي أقامها النبي صلى الله عليه وسلم قوية ومتوثبة. فقد كان هذا هو الطريق الوحيد لردع ذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، وفراغة قريش! عرفوا يقظة النبي صلى الله عليه وسلم وتنبهه لتحركاتهم، وسرعة تحريكه لقواته، ولو إلى مسافات بعيدة، تصل أحياناً إلى مئات الكيلومترات.

ولذلك وادعه بنو مدلج وكتبوا معه صلحاً يتعهدون فيه بعدم قتاله، وعدم معاونة أحد على قتاله! مع أنهم قرييون من مكة، ومع أن زعيمهم سراقه بن جشم اعترض النبي صلى الله عليه وسلم في طريق هجرته ليقبله أو يأسره ويأخذ جائزة

قريش، وكانت مئة بعير من قريش! البعقوبي: ٣٩/٢ والثاقب/١٤٥.

فقد تفاجأ سراقه عندما رأى النبي ﷺ بعد خمسة عشر شهراً في وسط عشيرته، في مئات من المسلمين مملوئين شجاعة وتوثباً، فعقد معه معاهدة عدم اعتداء!

٢. لم يكتف النبي ﷺ بإرسال القادة الشجعان في سرايا الإستطلاع والترهيب، بل كان يشارك فيها شخصياً عندما يرى لزوم ذلك، أو يأمره ربه به، ونلاحظ أنه شارك في ثلاثة غزوات قبل بدر هي: الأبوء وبواط والعشيرة، وهذا يعطي لدولته ودعوته جدية خاصة.

٣. كان هدف النبي ﷺ أن يقطع طريق تجارة قريش الأساسية، وهي طريق المدينة إلى الشام وفلسطين ومصر، وبذلك لا يبقى لها إلا طريق الطائف إلى نجد والعراق، وطريق جدة إلى الحبشة، وطريق اليمن، لكن تجارتها إلى هذه المناطق ثانوية.

وقد حاولت قريش أن تسلك طريق العراق إلى الشام بعد معركة بدر، فأثبت لها النبي ﷺ أنها أيضاً تحت سيطرته!

الليث بن  
العبد  
الغزالي

ففي سيرة ابن إسحاق: ٢٩٦/٣، ابن هشام: ٥٦٣/٢: «أن قريشاً كانت قد أخافت طريقها التي تسلك إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان، فسلخوا طريق العراق، وخرج منهم تجار فيهم أبوسفيان بن حرب ومعه فضة كثيرة، وهو معظم تجارتهم، واستأجروا من بني بكر بن وائل رجلاً يقال له فرات بن حيان يدهم على الطريق، وبعث رسول الله زيد بن حارثة في ذلك الوجه، فلقبهم على ذلك الماء فأصاب تلك العير وما فيها وأعجزه الرجال».

بل وقعت الطرق الأخرى تحت تهديد النبي ﷺ، كما حصل في السنة السابعة عندما أسرت سرية للنبي ﷺ ثمامة بن أثال زعيم اليمامة، وعفا عنه النبي ﷺ فأسلم ثمامة وذهب إلى مكة فقالوا له: «صوت؟! قال: لا، ولكنني أسلمت مع محمد، ولا والله لا تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ». «الكافي: ٢٩٩/٨، تاريخ المدينة: ٤٣٥/٢». فجاء أبوسفيان إلى المدينة مستغيثاً، فكتب إليه النبي ﷺ أن يرفع عنهم الحصار فرفعه. ابن هشام: ١٠٥٣/٤ وأسباب النزول/٢١١.

#### ٤ . كان النبي ﷺ يعرف أن التحرش بقوافل قريش يعني الإستعداد لرد فعلها

العنيف الذي قد يصل إلى الحرب، بل هذا ما يريده ﷺ، فقد أوحى إليه ربه عز وجل: «اخرج من القرية الظالم أهلها وهاجر إلى المدينة، فليس لك بمكة ناصر، وانصب للمشركين حرباً. فعند ذلك توجه رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة». «الكافي: ٣٤١/٨ وتفسير العياشي: ٢٥٧/١». ومعناه أن هذا المد الإسلامي يجب أن يتم، والعقبة أمامه قريش، ولا يمكن إزاحتها إلا بحرهبها وإخضاعها. أما الوجه القانوني لأمر الرسول بحرب قريش، فهو أن المالك للجميع هو الله تعالى، وقد قال: وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وهذا معنى قول النبي ﷺ في بدر: «قم يا علي، قم يا حمزة، قم يا عبدة، قاتلوا على حَقِّكم الذي بعث به نبيكم». «الفصول المهمة: ٣١٥/١». فحقهم على قريش أن الله الخالق المالك أرسل رسولا ﷺ وأمره أن يبلغ دينه لعباده، فكذبت قريش ومنعته هو وأصحابه من تبليغه للناس، وظلمتهم واضطهدتهم، فأعطاهم الله حق حربها وإزاحتها من طريقهم.

ويؤيد ذلك ما رواه ابن شهر آشوب في المناقب: ١٦١/١: «لما كان بعد سبعة أشهر من الهجرة نزل جبرئيل بقوله: أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ غَاقِبَةُ الْأُمُورِ. وقلده في عنقه سيفاً، وفي رواية: لم يكن له غمد، فقال له: حارب هذا قومك حتى يقولون لا إله إلا الله».

ويؤيد ذلك أيضاً ما رواه في الكافي: ١٠/٥: «عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألت رجلاً أبي صلوات الله عليه عن حروب أمير المؤمنين عليه السلام وكان السائل من محبينا، فقال له أبو جعفر عليه السلام: بعث الله محمداً ﷺ بخمسة أسياف، ثلاثة منها شاهرة فلا تغمد حتى تضع الحرب

أوزارها، ولن تضع الحرب أوزارها حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت الشمس من مغربها آمن الناس كلهم في ذلك اليوم، فيومئذ: لَا يَتَمَنَّعُ نَفْسًا إِيْمَانَهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا حَنَرًا.

وسيف منها مكفوف، وسيف منها مغمود، سله إلى غيرنا وحكمه إلينا.

وأما السيوف الثلاثة الشاهرة: فسيف على مشركي العرب قال الله عز وجل: فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِنَّا تَأْتُوا بَأْصَابِكُمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ.. فهو لاء لا يقبل منهم إلا القتل أو الدخول في الإسلام، وأموالهم وذراريهم سبي على ما سن رسول الله ﷺ فإنه سبي وعفى وقبل الفداء.. الخ».



## الفصل التاسع والثلاثون

### معركة بدر.. يوم الفرقان

#### ١- معالم معركة بدر ونتائجها

##### ١. موقع بدر

في معجم البلدان: ٣٥٨/١ ومعجم البكري: ٢٣١/١: «ماء على ثمانية وعشرين فرسخاً من المدينة، في طريق مكة». أي نحو مئة وخمسين كيلو متراً من المدينة باتجاه مكة، وإسم الوادي الذي هو فيه يَلْبَلُ، وهو يصب في البحر. لاحظ البلاذري: ٢٨٨/١.

أما زمان المعركة فكان يوم الجمعة السابع عشر من رمضان السنة الثانية للهجرة. كشف اليقين/١٢٤، ابن هشام: ١٥٨/١، عن الإمام الباقر عليه السلام والطبري: ١٢٨/٢ و١٤٨.

##### ٢. كانت مدة المعركة نصف نهار

فقد انتهت ظهرأ، وبدأت مع طلوع الشمس برسالة النبي ﷺ إلى قريش بأنه لا يجب أن يبدأ حروبه بهم لأنهم قومه، وطلب منهم أن يرجعوا ويتركوه والعرب ويكونوا على الحياد! وقبل ذلك زعيمهم عتبة بن ربيعة، وكان هو وأبو جهل المخزومي قائدي قريش، فركب عتبة بعيره وخطب في معسكرهم داعياً إلى قبول اقتراح النبي ﷺ وأعلن أنه يدفع من ماله دية ابن الحضرمي الذي تطالب قريش النبي ﷺ بدمه لأن أحد سرايا النبي ﷺ قتلت. فقبل عامة الناس كلامه لكن أبا جهل رفض واتهمه بالجن ووبخه وأفحش له القول! فغضب عتبة

و ثارت حميته الجاهلية، فدعا أخاه شيبه وابنه الوليد، ولبسوا عدة حربهم وبرزوا للقتال! فبرز اليهم من بني هاشم: علي وحمزة وعبيدة، وانتصروا عليهم ثم برز عدة أبطال من مشركي قريش، فقتلهم علي وحمزة. ثم كانت الحملة العامة واستغرقت نحو ساعتين، قتل فيها تسعة من المسلمين، ونحو سبعين من المشركين، ووقعت فيهم الهزيمة فأسر المسلمون منهم نحو سبعين، فيهم شخصيات منهم. وجمع المسلمون الغنائم وأدوا الصلاة، وسرعان ما اختلفوا عليها اختلافاً سيئاً، واتهم بعضهم بعضاً بأنه غلّ أشياء أي سرقها وأخفاها، واتهم مرضى القلوب النبي ﷺ بأنه غلّ قطيفة! أي عباءة ثمينة كانت لأحد زعماء المشركين، فكشف الله كذبهم وبرأ نبيه ﷺ.

ثم أنزل الله سورة الأنفال، وفيها حقائق مهمة عن حال الصحابة ونقاط ضعفهم وقوتهم، وعن معركة بدر ومستقبل الإسلام.

### ٣. وعد الله المسلمين بالنصر في بدر

اتفقت المصادر على أن النبي ﷺ أخبر أصحابه قبل الخروج إلى بدر أن الله تعالى أمره أن يعترض قافلة قريش، واحتمال أن تستنفر قريش لحربهم، ولذلك كره قسم منهم الخروج، كما قال الله تعالى: **كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ**. وكان ذلك يوم الاثنين الثامن من شهر رمضان، بعد ثمانية عشر شهراً للهجرة. البعاز: ٢٣٢/١٩.

ولما أفلتت القافلة وجاءهم خبر مجيئ قريش للحرب، استشارهم النبي ﷺ هل يواصلون السير للقاء قريش أو يرجعون؟ فأشار أبو بكر وعمر والكارهون للحرب بالرجوع، وأشار عدد من المؤمنين الشجعان بالمضي، وكان أحسنهم موقفاً رئيس الأنصار سعد بن معاذ رضي الله عنه. فمشى بهم النبي ﷺ حتى وصلوا مساء إلى بدر، فوجدوا المشركين سبقوهم إلى الماء، فنزلوا وهم في حالة من التعب والخوف، وأرسل النبي ﷺ علياً رضي الله عنه ليلاً فاستقى لهم، ويات يصلي ويدعو ربه فأنزل الله عليهم المطر،

وقيل إنهم بقوا مدة بلا ماء.

ففي تفسير مقاتل: ٧/٢: «ونزل المسلمون حياهم على غير ماء، وبينهم وبين عدوهم بطن واد فيه رمل، فمكث المسلمون يوماً وليلة يصلون محدثين مجنين. فحزن المسلمون وخافوا وامتنع منهم النوم، فعلم الله ما في قلوب المؤمنين من الحزن فألقى الله عليهم النعاس أمنة من الله ليذهب همهم، وأرسل السماء عليهم ليلاً فأمرت مطراً جواداً حتى سالت الأودية، وملؤوا الأسقية وسقوا الإبل، واتخذوا الحياض، واشتدت الرملة وكانت تأخذ إلى كعبي الرجال». راجع: المناقب: ١٢٢/١، تفسير الواحدي: ٤٣٢/١ والطبري: ٢٥٧/٩.

وفي تفسير ابن عبد السلام: ٥٢٦/١، أن الذين: «غشيهم النعاس يبدر فهم الرسول ﷺ وكثير من أصحابه، فناموا». لكن سيأتي أن النبي ﷺ لم ينم ليلة بدر، وأن النعاس نزل على المؤمنين دون مرضى القلوب الذين أهمتهم أنفسهم! وسيأتي وصفهم في سورة الأنفال وفي أحد، وأن عيونهم بقيت «تبحلق» ولم ينزل عليهم أمنة ولا نعاساً! قال تعالى: ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ.

#### ٤. عدد أهل بدر مقدس، وليس كل البدريين مقدسين

كان عدد المسلمين أهل بدر ثلاث مئة وثلاث عشرة، وقيل أكثر، ففي المناقب: ١٦١/١: «خرج ﷺ سابع عشر شهر رمضان، ويقال ثلثه في ثلاث مائة وسبعة عشر رجلاً في عدة أصحاب طالوت، منهم ثمانون راكباً أو سبعون، ويقال سبعة وسبعين رجلاً من المهاجرين، ومائتي وثلاثين رجلاً من الأنصار وكان المقداد فارساً فقط. يعتقب نفر على البعير الواحد، وكان بين النبي ﷺ وبين أبي مرثد الغنوي بعير ويقال فرس. وكان معهم من السلاح ستة أدرع وثمانية سيوف.» «فخر جناً فلما سرنا يوماً أو يومين، أمرنا رسول الله ﷺ أن نتعاداً ففعلنا، فإذا نحن ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، فأخبرنا النبي ﷺ بعدتنا فسُرَّ بذلك



وحمد الله، وقال عدة أصحاب طالوت. فقال: ما ترون في القوم فإنهم قد أخبروا بمخرجكم؟ فقلنا: يا رسول الله لا والله مالنا طاقة بقتال القوم، إنها خرجنا للعير». الطبراني الكبير: ١٧٤/٤، مجمع الزوائد: ٧٣/٦ وحسنه. وراجع: الطبري: ١٣٨/٢.

أقول: قداسة عدد الثلاث مئة وثلاثة عشر رجلاً ليست بسبب أهل بدر، لأن فيهم بنص سورة الأنفال من غلّ من الغنائم، وفيهم من اتهم النبي ﷺ بأنه غلّ! وفيهم مرضى القلوب، وهم أسوأ أنواع المنافقين!

بل قداسة هذا العدد لأنه عدد الملائكة الذين كانوا مع نوح ﷺ والذين نزلوا على النبي ﷺ في بدر، وهم غير المسومين والمردفين، وسيكونون مع الإمام المهدي ﷺ وهذا عدد أصحاب المهدي الخاصين، لكنهم كلهم أولياء الله، ما فيهم منافق أو مريض القلب، فهم مقدسون وعددهم.

ففي كمال الدين/٦٧٢: «إذا نشر راية رسول الله ﷺ انحط إليه ثلاثة عشر ألف ملك وثلاث مائة وثلاثة عشر ملكاً، كلهم ينتظر القائم ﷺ، وهم الذين كانوا مع نوح ﷺ في السفينة، والذين كانوا مع إبراهيم الخليل ﷺ حيث ألقى في النار، وكانوا مع عيسى ﷺ حيث رفع. وأربعة آلاف مسومين ومردفين».

وفي غيبة النعماني/٣٢٢: «وهم الذين كانوا مع موسى لما فلق له البحر.. ومعهم أربعة آلاف صعدوا إلى السماء يستأذنون في القتال مع الحسين، فهبطوا إلى الأرض وقد قتل فهم عند قبره». ودلائل الامامة/٤٥٧، الخرائج: ٧٨٢/٢ وغيرها.

#### ٥. كان عدد المشركين تسع مئة وخمسون

ففي الدر المنثور: ١٦٥/٣: «فنفروا على كل صعب وذلول، وقال أبو جهل: أيطن محمد أن يصيب مثل ما أصاب بنخلة! سيعلم أنمنع عيرنا أم لا؟ فخرجوا بخمسين وتسع مائة مقاتل وساقوا مائة فرس، ولم يتركوا كارهاً للخروج يظنون أنه في صغوه محمد وأصحابه، ولا مسلماً يعلمون إسلامه، ولا أحداً من بني هاشم، إلا من لا يهتمون «كأبي لهب، كان مريضاً وهلك يوم وصل خبر بدر» إلا أشخصوه معهم،

الكتاب  
الشمس  
الشمس  
الشمس

فكان ممن أشخصوا العباس بن عبد المطلب، ونوفل بن الحارث، وطالب بن أبي طالب، وعقيل بن أبي طالب، في آخرين، فهنالكَ يقول طالب بن أبي طالب: يارب إما يخرجن طالبٌ بمقنب من هذه المقانب في نفر مقاتل يحارث فليكن المسلوب غير السالِب والراجع المغلوب غير الغالب.

ونحوه الكافي: ٣٧٥/٨ وفيه: «فقال قريش: إن هذا لعلينا فردوه! وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله عليه السلام أنه كان أسلم».

لكن طالباً لم يرجع إلى مكة ولم يُعرف مصيره، فالمرجح أن القرشيين قتلوه! «أجمعت قريش لحرب رسول الله بأحايبيشها ومن أطاعهم من قبائل بني كنانة وأهل تهامة كل أولئك قد استغفوا على حرب رسول الله». ابن إسحاق: ٣٠٢/٣.

وروي أن معهم من الأحاييش ألفين، والصحيح أن الأحاييش كانوا قلة: «لم يشهد بدرًا إلا قرشي أو أنصاري، أو حليف لأحد الفريقين». عبدالرزاق: ٣٤٨/٥.

ويدل على عددهم عدد الأباغر المنحورة لطعامهم، ففي المحبر ١٦١/١٦١ والمتنق ٣٨٩/٣٨٩.

لابن حبيب: «المطعمون من قريش لحرب يوم بدر: أبو جهل وهو عمرو بن هشام بن المغيرة، نحر أول يوم عشاء، ثم نحر أمية بن خلف تسعاً، ثم نحر سهيل بن عمرو وأخو بني عامر بن لؤي عشاء، ثم شيبه بن ربيعة نحر عشاء، ثم نحر منبه ونيبه ابنا الحجاج عشاء ثم نحر أبو البختري العاص بن هشام بن الحارث بن أسد عشاء، ثم نحر العباس بن عبد المطلب وكان أخرج إلى بدر كارهاً، عشاء. وذكر محمد بن عمر أن قريشاً لم تطعم من الطعام العباس لعلمها بهواه وميله مع رسول الله صلى الله عليه وآله وأنه أخرج مكرهاً».

وروي أن المطعمين كانوا اثني عشر ونزل فيهم قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ.

راجع: إعلام الوري: ١٦٨/٢، شرح التهج: ٢٠٥/١٤، تفسير الثعلبي: ٣٥٥/٤، أسباب النزول للواحيدي: ١٥٩، تفسير البيضاوي: ١٠٦/٣، فتح القدير: ٣١٨/٥ والمعارف: ١٥٤.

## ٦. نزل الملائكة في بدر ومعهم جبرئيل عليه السلام

وقد رآهم علي عليه السلام لما ذهب ليستقي وسلموا عليه، ففي تفسير القمي ٢٥٦/١: «ثم رفع يده ﷺ إلى السماء وقال: يا رب إن تهلك هذه العصابة لم تعبد، وإن شئت أن لا تعبد لا تعبد. ثم أصابه الغشي فسرى عنه وهو يسلمت العرق عن وجهه ويقول: هذا جبرئيل قد أتاكم في ألف من الملائكة مردفين، قال: فنظرنا فإذا بسحابة سوداء فيها برق وريح، قد وقعت على عسكر رسول الله ﷺ، وقائل يقول: أقدم حيزوم أقدم حيزوم! وسمعنا قعقة السلاح من الجو!»!

وفي المناقب ١١٨/١: «ظهروا على الخيل البُلُق بالثياب البيض يوم بدر، يقدمهم جبرئيل على فرس يقال له حيزوم».

وفي المناقب ١٦١/١: «قال علي وابن عباس في قوله: مُسَوِّمِينَ: كان عليهم عمائم بيض أرسلوها بين أكتافهم. وسمع غفاري في سحابة حممة الخيل وقائل يقول: أقدم حيزوم. قال رجل: يا رسول الله إني رأيت بظهر أبي جهل مثل الشراك! فقال ﷺ: ذاك صَرَبُ الملائكة. لم يقاتل الملائكة إلا يوم بدر، وإنما أتوا بالمدد».

وفي تفسير الثعلبي: ٢٣٤/٤: «قال أبو داود المازني وكان شهد بدرًا: اتبعت رجلاً من المشركين لأضربه يوم بدر، فوقع رأسه بين يدي قبل أن يصل سيفي! فعرفت أنه قتله غيري! وروى أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه، قال: لقد رأيت يوم بدر وإن أجدنا ليشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف! وقال ابن عباس: حدثني رجل عن بني غفار قال: أقبلت أنا وابن عم لي حتى صعدنا في جبل ليشرف بنا على بدر ونحن مشركان، نتظر الواقعة على من يكون الدبرة، فنتهب مع من ينتهب! قال: فبينما نحن في الجبل إذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حممة الخيل، فسمعت قائلاً يقول: أقدم حيزوم. قال: فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فإت، وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت».

وتاريخ الطبري: ١٥٢/٢. وسيأتي أنهم سلموا على علي عليه السلام لما ذهب ليلاً ليستقي.

## ٧. وكان الشيطان في معركة بدر

واتفقت الرواية على أنه جاء بصورة سراقه بن مالك زعيم بني مدلج، لِيُطْمَئِنَ قريشاً بأن كنانة لن يهاجوا مكة إن ذهبت قريش لحرب النبي ﷺ.

قال ابن هشام: ٤٤٥/٢: «لما أجمعت قريش المسير، ذكرت الذي كان بينها وبين بني بكر فكاد ذلك يثنيهم، فتبدي لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي وكان من أشرف بني كنانة، فقال: أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه، فخرجوا سراعاً».

وفي أمالي الطوسي/١٧٦: «تمثل إبليس لعنه الله في أربع صور: تمثل يوم بدر في صورة سراقه بن جعشم المدلجي فقال لقريش: لا غَالِبَ لَكُمْ اليَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتْ الْفِئْتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ. وتصور يوم العقبة في صورة منبه بن الحجاج فنادى: إن محمداً والصبابة معه عند العقبة فأدركوهم فقال رسول الله ﷺ للأَنْصَارِ: لا تخافوا فإن صوته لن يعدوهم. وتصور يوم اجتماع قريش في دار الندوة في صورة شيخ من أهل نجد، وأشار عليهم في النبي ﷺ بما أشار، فأنزل الله: وَإِذْ يَتَكْرَمُكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبَغْيُواكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَتَكَبَّرُونَ بِمُكْرُأَتِهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ.

وتصور يوم قبض النبي ﷺ في صورة المغيرة بن شعبة فقال: أيها الناس لا تجعلوها كسروانية ولا قيصرانية، وسعوها تسع فلا تردوها في بني هاشم فتنتظر بها الحبالى!»

وفي المناقب: ١٦٣/١ عن الإمام الباقر عليه السلام: «كان إبليس في صف المشركين أخذ بيد الحارث بن هشام فنكص على عقبيه فقال له الحارث: يا سُرَّاقُ أين، أتخذلنا على هذه الحالة؟! فقال له: إني أرى ما لا ترون، فقال: والله ما نرى إلا جعاسيس يثرب «الجعسوس: القصير الذميمة» فدفع في صدر الحارث وانطلق وانهمز الناس! فلما قدموا مكة قالوا: هزم الناس سراقه! فبلغ ذلك سراقه فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم! فقالوا: إنك أتيتنا يوم كذا فحلف لهم، فلما

أسلموا علموا أن ذلك كان الشيطان».

وفي البحار: ٣٤٢/١٩ عن عمارة الليثي قال: «حدثني شيخ صياد من الحي كان يومئذ على ساحل البحر قال: سمعت صباحاً: يا ويلاه يا ويلاه، قد ملاً الوادي: يا حرباه يا حرباه! فنظرت فإذا سراقه بن جعشم فدنوت منه فقلت: مالك فذاك أبي وأمي؟ فلم يرجع إليّ شيئاً! ثم أراه اقتحم البحر ورفع يديه ماداً يقول: يا رب ما وعدتني! فقلت في نفسي: جُنَّ وبيت الله سراقه! وذلك حين زاغت الشمس عند انهماهم يوم بدر». وفي المناقب: ٧٤/٢: «عن ابن عباس: لما تمثل إبليس لكفار مكة يوم بدر على صورة سراقه بن مالك، وكان سائق عسكرهم إلى قتال النبي ﷺ فأمر الله تعالى جبرئيل فهبط إلى رسول الله ﷺ ومعه ألف من الملائكة، فقام جبرئيل عن يمين أمير المؤمنين، فكان إذا حمل عليٌّ حمل معه جبرئيل، فبصر به إبليس فولى هارباً وقال: إني أرى ما لاترون! قال ابن مسعود: والله ما هرب إبليس إلا حين رأى أمير المؤمنين فخاف أن يأخذه ويستأسره ويعرفه الناس فهرب، فكان أول منهزم!»

التاريخ  
البيروت  
الطبعة  
الاولى

أقول: يبدو أن هذا هو السبب في وضعهم حديث هروب الشيطان من عمر! فقد رووا هروبه من عليٍّ في بدر، فزعموا أنه كان يهرب من عمر كل عمره!  
قال بخاري: ٩٦/٤: «قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجأً طريقاً إلا سلك فجأً غير فجك». وبذلك فضلوا عمر على النبي ﷺ، لأن بخاري نفسه روى عن النبي ﷺ: «إن الشيطان عرض لي فشد عليّ يقطع الصلاة عليّ، فأمكنني الله منه». بخاري: ٩٤/٤. راجع: ألف سؤال وإشكال: ٧٤/٢.

#### ٨. كان شعار المسلمين في بدر: يا نصر الله اقترب اقترب

ففي الكافي: ٤٧/٥، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «شعارنا: يا محمد يا محمد. وشعارنا يوم بدر: يا نصر الله اقترب اقترب. وشعار المسلمين يوم أحد: يا نصر الله اقترب. ويوم بني النضير: يا روح القدس أرح. ويوم بني قينقاع: يا ربنا لا يغلبنك. ويوم الطائف: يا رضوان. وشعار يوم حنين: يا بني عبد الله. ويوم الأحزاب: حم لا يبصرون. ويوم

بني قريظة: يا سلام أسلمهم. ويوم المريسيع وهو يوم بني المصطلق: ألا إلى الله الأمر. ويوم الحديدية: ألا لعنة الله على الظالمين. ويوم خيبر يوم القموص: يا علي آتهم من عل. ويوم الفتح: نحن عباد الله حقاً حقاً. ويوم تبوك: يا أحديا صمد. ويوم بني الملوح: أمت أمت. ويوم صفين: يا نصر الله.

وشعار الحسين عليه السلام: يا محمد. وشعارنا: يا محمد.

وروي عنه عليه السلام: «قدم أناس من مزينة على النبي صلى الله عليه وآله فقال: ما شعاركم؟ قالوا: حرام، قال: بل شعاركم: حلال. وروي أن شعار المسلمين يوم بدر: يا منصور أمت، ويوم أحد للمهاجرين: يا بني عبد الرحمن، وللاوس: يا بني عبد الله». وفي جواهر الكلام: ٥٥/٢١: «ينبغي اتخاذ الشعار في الحرب، وهو النداء الذي يعرف به أهلها، فيكون علامة على ذلك».

## ٢. معركة بدر فرقان في تكوين الأمة الإسلامية

### ١. حدد الله هدف معركة بدر

بقوله عز وجل: «لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ. إِذْ يَقُولُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّدَكُمْ رَبُّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ. بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُبَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ. وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ».

لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ. لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ. وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»

فالهدف: إهلاك طرف، أي قطعة من قبائل قريش، وكبَّت الباقيين وهزيمتهم! وروي عن علي عليه السلام أنه قال: «أما بنو مخزوم فقطع الله دابرهم يوم بدر، وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين». فتح الباري: ٢٣٥/٧.

وروا عن ابن عباس أنه سأل عمر عن هذه الآية: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ

كُفْرًا وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ: «فقال من هم؟ قال: هم الأفجران من بني مخزوم وبني أمية، أخوالي وأعمامك! فأما أخوالي فاستأصلهم الله يوم بدر، وأما أعمامك فأملئ الله لهم إلى حين». فتح الباري: ٢٨٧/٨.

لكن معنى الآية: أن الله تعالى أراد أن يستأصل بعضهم سياسياً، ويخرجهم من ساحة الصراع مع الإسلام، بقتل زعمائهم! لذلك لم تر لهم أي دور مهم في التاريخ، وهم: بنو عبدالدار أصحاب راية قريش، وقد قتل علي عليه السلام منهم في بدر وأخذ بضعة عشر قائداً! كما استأصل الله بني المغيرة سياسياً، وهم العائلة المالكة في بني مخزوم، فقد انطفأت مخزوم بعد مقتل أبي جهل في بدر، ولم يبرز منهم إلا خالد بن الوليد! فعزله عمر سياسياً حتى مات في بيته في حمص! ثم برز بعده ابنه عبدالرحمن وأحبه أهل الشام، وطلبوا من معاوية أن يجعله ولي عهده، فقتله بالسم! وبه انتهى بنو المغيرة سياسياً كلياً.

كما أراد عز وجل من معركة بدر أن يكبت الكافرين من قريش، أي يخزيهم بالهزيمة والأسر، ويمهل بعضهم ويتوب عليهم إن أسلموا وتابوا.

وقد عدّهم الإمام الباقر عليه السلام من المُرْجُونَ لأمر الله فقال: «المرجون: هم قوم قاتلوا يوم بدر وأحد ويوم حنين، وسلّموا، ثم أسلموا بعد تأخر، فإما يعذبهم وإما يتوب عليهم». تفسير العياشي: ١١٠/٢.

ومعنى قوله تعالى لرسوله ﷺ: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَأَبَيْتُمْ ظَالِمُوتٍ. وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ: أنه يجب أن تتبع إرادة الله تعالى لأن الأمر له، فهو صاحب العلم والحكمة المطلقين، وله أهداف في الإنسان بقانون صراع الخير والشر.

## ٢. سُمِيَ اللَّهُ بَدْرًا يَوْمَ الْفُرْقَانِ

أي في تكوين الأمة المسلمة، لأنه ميزها عن المشركين، قال تعالى: إِنَّ كُنُتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ، يَوْمَ تَفَتَّى الْمَتَعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. الأنفال: ٤١.

فهي الفرز الإجتماعي الضروري لتكوين أمة الإسلام وتمييزها عن غيرها، حتى لو حدث فيها اختلاط بعد ذلك. ففي الأصول الستة عشر/ ٨٦ أن الإمام الصادق عليه السلام قال عن بدر: «هو الْفُرْقَاتُ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَاتِ». وهو اليوم الذي فرق الله بين الحق والباطل، وإنما كان قبل ذلك اليوم هذا كذا، ووضع كفيه أحدهما على الآخر. وإنما كان عليه السلام يومئذ خرج في طلب العير. وأهل بدر الذين شهدوا إنما كانوا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، ولم يريدوا القتال إنما ظنوا أنها العير التي فيها أبو سفيان، فلما أتى أبو سفيان الوادي نزل في بطنه عن ميسرة الطريق، فقال: إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى. قلت له: ما العُدوة الدنيا؟ قال: مما يلي الشام، والعدوة القصوى: مما يلي مكة. قلت: فالعدوتان بين صفتي الوادي؟ فقال: نعم. قال أبو عبد الله عليه السلام: ونادى الشيطان على جبل مكة: إن هذا محمد في طلب العير، فخرجوا على كل صعب وذلول».

والراوي مهتم بالمكان، والإمام عليه السلام يقصد الفرز الإجتماعي العقائدي، ولأهمية هذا الفرقان خلده الله تعالى في شريعته، فكانت ليلة بدر ويومها من الأوقات الفضيلة، تستحب فيها العبادة والغسل: «ليلة سبع عشرة من شهر رمضان، وهي ليلة التقى الجمعان». الحدائق: ١٨٠/٤ وصححه.

وفي الطبراني الكبير: ٢٢١/٩: «التمسوا ليلة القدر لسبع عشرة خلت من رمضان صبيحة يوم بدر يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان. وفي إحدى وعشرين، وفي ثلاث وعشرين، فإنها لا تكون إلا في وتر».

### ٣. بدر فرقان في تكوين شيعة العترة

فقد شرع الله الخمس لقربة نبيه عليه السلام قبل بدر، لكنه ربطه بالإيمان بما أنزل يومها: وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَاتِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. يقول عز وجل: أيها المختلفون على الغنائم، المتهمون لبيهم عليه السلام بأنه غلّ



وسرق منها! إنكم مدينون بوجودكم وانتصاركم لمحمد ﷺ وقربته ﷺ، فاعلموا أن لهم خمس ما غنمتم إن كنتم مؤمنين بما عايتم! ألا ترون أن الملائكة وبني هاشم هم الذين حققوا النصر، فلولا هم لما كنتم أمة ولا دولة!؟

وفي تحف العقول لابن شعبة الحراني ﷺ/٣٤١: «فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل الله عليه: **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ...**».

قال البيضاوي: ١٠٩/٣: «إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ: متعلق بمحذوف دل عليه: **وَاعْلَمُوا**. أي: إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنه جعل الخمس لهؤلاء، فسلموه إليهم».

وفي الكافي: ٦٣/٨: «إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقِي الْجَمْعَانِ، فنحن والله عنى بذى القربى، الذين قرننا الله بنفسه وبرسوله ﷺ».

وفي كتاب سليم بن قيس ﷺ/٢٢٨: «قال سليم: ثم أقبل علي ﷺ» على العباس وعلى من حوله ثم قال: ألا تعجبون من حبسه وحبس صاحبه عنا سهم ذي القربى الذي فرضه الله لنا في القرآن؟ وقد علم الله أنهم سيظلموناه ويتزعونه منا فقال: **إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقِي الْجَمْعَانِ**».

فالفرقان في سورة الفرقان بثلاث معان: فرقان الأمة وتمييزها عن غيرها. وفرقان الموالين للنبي ﷺ في أهل بيته من الأمة. وفرقان البصيرة للمؤمن ليميز بين الحق والباطل: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّبِعُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا**. الفرقان: ٢٩.

#### ٤. كان تشريع الخمس قبل بدر

وإن نزلت آيته على أثر بدر، ففي كتاب الأوائل للطبراني/٩٠: «أول خمس خمس عند رسول الله ﷺ مغانم عبدالله بن جحش».

وفي الدرر/١٠٠: «ثم قدموا بالعر والأسيرين وقال لهم عبدالله بن جحش إغزولوا مما غنمنا الخمس لرسول الله ﷺ ففعلوا فكان أول خمس في الإسلام». ونحوه أسباب النزول للواحدى/٤٣، الطبقات: ٧٥/٢، تفسير الثعلبي: ١٤٠/٢، البغوي: ١٨٩/١، الطبقات: ١١/٢ و٣، تاريخ يعقوبي: ٦٩/٢ والصحيح من السيرة: ٣٣٥/٤.

كما اتفقت المصادر على أن النبي ﷺ عَيَّنَ مسؤولاً عن الخمس هو محمية بن جزء. ففي صحيح مسلم: ١١٨/٣، أن شابين من بني هاشم طلبا إلى النبي ﷺ أن يستعملهما على الصدقات فقال ﷺ: «إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس! أدعواي محمية، وكان على الخمس، ونوفل بن الحارث بن عبدالمطلب. قال فجاءاه فقال لمحمية: أنكح هذا الغلام ابتك للفضل بن عباس فأنكحه، وقال لنوفل بن الحارث: أنكح هذا الغلام ابتك. وقال لمحمية: أصدق عنهما من الخمس كذا وكذا». ونحوه ابن هشام: ٨٢٠/٣، أحمد: ١٦٦/٤، البيهقي: ٣١٧، فتح الباري: ٩/١١، ابن خزيمة: ٥٦/٤، الطبقات: ٦٤/٢، ١٩٨/٤، والإصابة: ٣٧/٦.

أقول: كان تشريع الخمس قبل بدر، لكن النبي ﷺ لم يأخذه في بدر خاصة، ربما لأن بعضهم أساء الأدب واتهمه بأنه غلّ قطفة! الصحيح من السيرة: ٩٠/٥. وفي تفسير القمي: ٢٥٥/١: «فلم يخمس رسول الله ﷺ بيدر وقسمه بين أصحابه ثم استقبل يأخذ الخمس بعد بدر». ومثله الشافعي في أحكام القرآن: ١٨٣/٢. وقال البخاري وابن جرير وغيرهما إن غنائم بدر خمست. سيرة ابن كثير: ٤٦٩/٢.

### ٢- خلاصة معركة بدر

#### ١. يُبْسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ!

في تفسير علي بن إبراهيم القمي: ٢٥٦/١: في قوله تعالى: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ. قال: «كان سبب ذلك أن عيراً لقريش خرجت إلى الشام فيها خزائنتهم، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه بالخروج ليأخذوها، فأخبرهم أن الله قد وعده إحدى الطائفتين إما العير وإما قريش أن أظفر بهم، فخرج في ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، فلما قارب بدر كان أبو سفيان في العير فلما بلغه أن الرسول ﷺ قد خرج يتعرض العير، خاف خوفاً شديداً ومضى إلى الشام، فلما وافى البهرة «موضع باليامة» اكرت ضمضم الخزاعي بعشرة دنانير وأعطاه

قلوصاً وقال له: إمض إلى قريش وأخبرهم أن محمداً والصِّبَاةُ «المسلمين» من أهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم فأدركوا العير! وأوصاه أن يخرم ناقته ويقطع أذنها حتى يسيل الدم ويشق ثوبه من قبل ودبر! فإذا دخل مكة ولى وجهه إلى ذنب البعير وصاح بأعلى صوته: يا آل غالب، اللطيمة اللطيمة، العير العير، أدركوا أدركوا، وما أراكم تدركون! فإن محمداً والصباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم.

## ٢. منام عاتكة بنت عبدالمطلب

«رأت عاتكة بنت عبدالمطلب قبل قدوم ضمضم في منامها بثلاثة أيام كأن راكباً قد دخل مكة ينادي: يا آل عُدر يا آل فهر! أغدوا إلى مصارعكم صبح ثالث! ثم وافى بجملته على أبي قبيس فأخذ حجراً فدهده من الجبل، فما ترك من دور قريش إلا أصابها منه فلذة، وكان وادي مكة قد سال من أسفله دمًا! فانتبهت ذرة فأخبرت العباس بذلك، فأخبر العباس عتبة بن ربيعة، فقال عتبة: مصيبة تحدث في قريش، وفشت الرؤيا في قريش! وبلغ ذلك أبا جهل فقال: ما رأيت عاتكة هذه الرؤيا، وهذه نبية ثانية في بني عبدالمطلب! واللات والعزى لنتنظر ثلاثة أيام فإن كان ما رأيت حقاً فهو كما رأيت، وإن كان غير ذلك لنكتبن بيننا كتاباً أنه ما من أهل بيت من العرب أكذب رجالاً ولا نساءً من بني هاشم!

فلما مضى يوم قال أبو جهل: هذا يوم قد مضى، فلما كان اليوم الثاني قال أبو جهل: هذان يومان قد مضيا، فلما كان اليوم الثالث وافى ضمضم ينادي في الوادي: يا آل غالب يا آل غالب اللطيمة اللطيمة.. فتصايح الناس بمكة وتهميؤوا للخروج، وقام سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وأبو البخترى بن هشام ومنبه ونبه ابنا الحجاج ونوفل بن خويلد، فقالوا: يا معشر قريش والله ما أصابكم مصيبة أعظم من هذه، أن يطمع محمد والصباة من أهل يثرب أن يتعرضوا لعيركم التي فيها خزائنكم، فوالله ما قرشي ولا قرشية إلا ولها في هذه العير شئ فصاعداً، وإنه الذل والصغار أن يطمع محمد في أموالكم ويفرق بينكم وبين متجركم، فاخرجوا». تفسيرالقمي: ٢٥٦/١.

### ٣. أثرياء قريش يمولون الحرب

أخرج صفوان بن أمية خمس مائة دينار وجهز بها، وأخرج سهيل بن عمرو خمس مائة، وما بقي أحد من عظماء قريش إلا أخرجوا مالا، وحملوا وقوفاً، وخرجوا على الصعب والذلول، ما يملكون أنفسهم! كما قال الله تعالى: **خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِظَرَأَرَيْنَاُ الْتَائِسِينَ**. وأخرجوا معهم العباس بن عبد المطلب، ونوفل بن الحارث وعقيل بن أبي طالب. وأخرجوا معهم القينات. يشربون الخمر، ويضربون بالدفوف!

### ٤. جيش النبي ﷺ المتواضع الفقير

وخرج رسول الله ﷺ في ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، فلما كان بقرب بدر على ليلة منها بعث بشير بن أبي الدعناء، ومجد بن عمرو، يتجسسان خبر العير، فأتيا ماء بدر وأناخا راحلتيهما واستعدبا من الماء، وسمعا جاريتين قد تشبثت إحداهما بالأخرى وتطالبها بدرهم كان لها عليها فقالت: عير قريش نزلت أسس في موضع كذا وكذا، وهي تنزل غداً هاهنا، وأنا أعمل لهم وأقضيك، فرجع أصحاب رسول الله ﷺ فأخبراه بما سمعا، فأقبل أبو سفيان بالعير فلما شارف بدر تقدم العير وأقبل وحده حتى انتهى إلى ماء بدر، وكان بها رجل من جهينة يقال له كسب الجهني فقال له: يا كسب هل لك علم بمحمد وأصحابه؟ قال: لا: قال: واللوات والعزى لئن كتمتنا أمر محمد لاتزال قريش معادية لك آخر الدهر، فإنه ليس أحد من قريش إلا وله في هذه العير النش فصاعداً فلا تكتمني، فقال: والله مالي علم بمحمد، وما بال محمد وأصحابه بالتجار، إلا أني رأيت في هذا اليوم راكبين أقبلوا واستعدبا من الماء وأناخا راحلتيهما ورجعا، فلا أدري من هما. فجاء أبو سفيان إلى موضع مناخ إبلهما ففت أبعار الإبل بيده فوجد فيها النوى فقال: هذه علايف يثرب، هؤلاء عيون محمد، فرجع مسرعاً وأمر بالعير فأخذها نحو ساحل البحر وتركوا الطريق ومروا مسرعين، ونزل جبرئيل على

رسول الله ﷺ فأخبره أن العير قد أفلتت، وأن قريشاً قد أقبلت لتمنع عن عيرها، وأمره بالقتال ووعده النصر.

وكان نازلاً ماء الصفراء فأحب أن يبلو الأنصار لأنهم إنبا وعدوه أن ينصروه في الدار، فأخبرهم أن العير قد جازت، وأن قريشاً قد أقبلت لتمنع عن عيرها، وأن الله قد أمرني بمحاربتهم، فجزع أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك وخافوا خوفاً شديداً! فقال رسول الله ﷺ: أشيروا عليّ، فقام الأول «أبوي بكر» فقال: يا رسول الله! إنها قريش وخيلاؤها، ما آمنت منذ كفرت، ولا ذلت منذ عزت، ولم تخرج «أنت» على هيئة الحرب! فقال رسول الله ﷺ: أجلس فجلس، قال: أشيروا عليّ، فقام الثاني «عمر» فقال مثل مقالة الأول، فقال رسول الله ﷺ: أجلس فجلس! ثم قام المقداد فقال: يا رسول الله! إنا قد آمانا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله، ولو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراش لخضنا معك، ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: فَادَّهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ، ولكننا نقول: امض لأمر ربك فإننا معك مقاتلون! فجزأه النبي ﷺ خيراً ثم جلس. ثم قال: أشيروا عليّ، فقام سعد بن معاذ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله كأنك أردتنا؟ قال: نعم، قال: فلعلك خرجت على أمر قد أمرت بغيره؟ قال: نعم، قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إنا قد آمانا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله، فمرنا بما شئت وخذ من أموالنا ما شئت واترك منها ما شئت، والذي أخذت منه أحب إلي من الذي تركت منه، والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك! فجزأه خيراً. ثم قال سعد: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، والله ما خضت هذا الطريق قط ومالي به علم، وقد خلفنا بالمدينة قوماً ليس نحن بأشد جهاداً منهم، ولو علموا أنه الحرب لما تخلفوا، ولكننا نعدُّ لك الرواحل ونلقى عدونا، فإننا لصبّر عند اللقاء أنجاداً في الحرب، وإنا لنرجو أن يقر الله عينك بنا، فإن يك ما تحب فهو ذلك وإن يكن غير ذلك قعدت على رواحك فلحقت بقومنا.

فقال رسول الله ﷺ: أو يحدث الله غير ذلك، كأني بمصرع فلان هاهنا وبمصرع

فلان هاهنا وبمصراع أبي جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، ومنبه ونبيه ابني الحجاج، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ولن يخلف الله المعاد! فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ بهذه الآية: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ.. إلى قوله: وَتُؤَكِّرُهُ الْمُجْرِمُونَ. فأمر رسول الله ﷺ بالرحيل حتى نزل عشاء على ماء بدر وهي العدو الشامية، وأقبلت قريش فنزلت بالعدو البيانية.

#### ٥. عقلاء من بني عبدمناف ضد الحرب، لكن!

ولقي عتبة بن ربيعة أبا البختری بن هشام بن هاشم بن عبدالمطلب فقال له: أما ترى هذا البغي، والله ما أبصر موضع قدمي! خرجنا لنمنع عيرنا وقد أفلتت فجننا بغياً وعدواناً، والله ما أفلح قوم قط بغوا، ولوددت أن ما في العير من أموال بني عبدمناف ذهب كله ولم نسر هذا المسير! فقال له أبو البختری: إنك سيد من سادات قريش، تحمّل العير التي أصابها محمد ﷺ وأصحابه بنخلة ودم ابن الحضرمي فإنه حليفك، فقال عتبة: أنت عليّ بذلك وما على أحد منا خلاف إلا ابن حنظلة، يعني أبا جهل، فسر إليه وأعلمه أني قد تحملت العير التي قد أصابها محمد، ودم ابن الحضرمي. فقال أبو البختری فقصدت خباءه فإذا هو قد أخرج درعاً له فقلت له: إن أبا الوليد بعثني إليك برسالة، فغضب ثم قال: أما وجد عتبة رسولاً غيرك؟ فقلت: أما والله لو غيره أرسلني ما جئت ولكن أبا الوليد سيد العشيرة، فغضب أشد من الأولى فقال: تقول سيد العشيرة! فقلت: أنا أقوله وقريش كلها تقوله! إنه قد تحمل العير ودم ابن الحضرمي.

فقال: إن عتبة أطول الناس لساناً وأبلغهم في الكلام ويتعصب لمحمد! فإنه من بني عبدمناف وابنه معه «أبو حذيفة» ويريد أن يُحدّل بين الناس! لا، واللات والعزى حتى نقتحم عليهم بيثرب، ونأخذهم أسارى فندخلهم مكة وتتسامع العرب بذلك، ولا يكونن بيننا وبين متجرنا أحد نكرهه!

## ٦. خاف المسلمون من جيش قريش!

وبلغ أصحاب رسول الله ﷺ كثرة قريش ففزعوا فزعاً شديداً وبكوا واستغاثوا فأنزل الله على رسوله: **إِذْ تَسْتَفِيئُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْسِلِينَ. وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.** «الأنفال/ ٩-١٠». فلما مشى رسول الله ﷺ وَجَّهَهُ اللَّيْلُ أَلْقَى اللَّهُ عَلَى أَصْحَابِهِ النَّعَاسَ حتى ناموا، وأنزل الله تبارك وتعالى عليهم السماء، وكان نزل الوليد في موضع لا يثبت فيه القدم، فأنزل الله عليهم السماء حتى تثبت أقدامهم على الأرض، وهو قول الله تعالى: **إِذْ يُغَيِّبُكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ.** وذلك أن بعض أصحاب النبي ﷺ احتلم: وَلِيَرَبِّطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُنَبِّئَ بِهِ الْأَقْدَامَ، وكان المطر على قريش مثل العزالي «كصب القرب» وكان على أصحاب رسول الله ﷺ رذاذاً، بقدر ما لبَدَ الْأَرْضَ.

## ٧. وخاف المشركون من المسلمين!

اللَّهُ  
يُحِبُّ  
الَّذِينَ  
يُحَارِبُونَ  
الظَّالِمِينَ

وخافت قريش خوفاً شديداً فأقبلوا يتحارسون يخافون البيات، فبعث رسول الله ﷺ عمار بن ياسر وعبدالله بن مسعود فقال: **أَدْخِلَا فِي الْقَوْمِ وَأْتِيَانِي بِأَخْبَارِهِمْ، فَكَانَا يَجُولَانِ فِي عَسْكَرِهِمْ لَا يَرُونَ إِلَّا خَائِفًا ذَعْرًا، إِذَا صَهَلَ الْفَرَسُ وَثَبَ عَلَى جِحْفَلْتِهِ!** فسمعوا منبة بن الحججاج يقول:

لا تترك الجوع لنا مبيتاً لا بد أن نموت أو نميتاً.

قال ﷺ: والله كانوا شباعى ولكنهم من الخوف قالوا هذا، وألقى الله على قلوبهم الرعب كما قال الله تعالى: **سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمُ كُلَّ بَنَّانٍ.** فلما أصبح رسول الله ﷺ عبأ أصحابه وكان في عسكره فرسان: فرس للزبير بن العوام، وفرس للمقداد، وكان في عسكره سبعون رجلاً يتعاقبون عليها، فكان رسول الله ﷺ ومرثد بن أبي مرثد الغنوي وعلي بن أبي طالب على جمل، يتعاقبون عليه والجمال لمرثد، وكان في عسكر قريش أربع مائة فرس، فعبأ رسول الله ﷺ أصحابه

بين يديه وقال: غضوا أبصاركم، ولا تبدووهم بالقتال، ولا يتكلمن أحد، فلما نظر قريش إلى قلة أصحاب رسول الله ﷺ قال أبو جهل: ما هم إلا أكلة رأس، ولو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد! فقال عتبة بن ربيعة: أترى لهم كميناً ومدداً؟ فبعثوا عمر بن وهب الجمحي وكان فارساً شجاعاً فجال بفرسه حتى طاف إلى معسكر رسول الله ﷺ ثم صعد الوادي وصوب، ثم رجع إلى قريش فقال: ما لهم كمين ولا مدد، ولكن نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع، أما ترونهم خرساً لا يتكلمون، يتلمظون تلمظ الأفاعي، ما لهم ملجأ إلا سيوفهم، وما أراهم يولون حتى يقتلون، ولا يقتلون حتى يقتلون بعددهم، فارتؤوا رأيكم! فقال أبو جهل: كذبت وجبنت وانتفخ منخرك، حين نظرت إلى سيوف يثرب!

#### ٨. وَإِنْ جَنَحُوا لِلْسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا

فزع أصحاب رسول الله ﷺ حين نظروا إلى كثرة قريش وقوتهم، فأنزل الله على رسوله ﷺ: وَإِنْ جَنَحُوا لِلْسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ. وقد علم الله أنهم لا يجنحون ولا يجيبون إلى السلم وإنما أراد سبحانه بذلك ليطيب قلوب أصحاب رسول الله، فبعث رسول الله ﷺ إلى قريش فقال: يا معشر قريش ما أحد من العرب أبغض إليّ من أن أبدأ بكم، خلّوني والعرب فإن ألك صادقا فأنتم أعلى بي عينا، وإن ألك كاذبا فكتفكم ذؤبان العرب أمري، فارجعوا.

فقال عتبة: والله ما أفلح قوم قط ردوا هذا! ثم ركب جملاً له أهر فنظر إليه رسول الله ﷺ يجمول في العسكر وينهى عن القتال، فقال: إن يكن عند أحد خير فعند صاحب الجمل الأحمر، فإن يطيعوه يرجعوا ويرشدوا، فأقبل عتبة يقول: يا معشر قريش اجتمعوا واستمعوا. ثم خطبهم فقال: يُمَنُّ رَحْبٌ فَرِحْبٌ مع يمن. يا معشر قريش: أطيعوني اليوم واعصوني الدهر، وارجعوا إلى مكة واشربوا الخمرور وعانقوا الحور، فإن محمداً له إلٌّ «عهد» وذمة، وهو ابن عمكم



فارجعوا ولا تنبذوا رأيي، وإنما تطالبون محمداً بالعرير التي أخذها محمد بنخيلة، ودم ابن الحضرمي وهو حليفي وعليّ عقله. فلما سمع أبو جهل ذلك غاظه وقال: إن عتبة أطول الناس لساناً وأبلغهم في الكلام، ولئن رجعت قريش بقوله ليكونن سيد قريش آخر الدهر، ثم قال: يا عتبة نظرت إلى سيف بن عبد المطلب وجبت وانتفخ سحرک، وتأمر الناس بالرجوع، وقد رأينا ثارنا بأعيننا!

فنزل عتبة عن جملة وحمل عليّ أبي جهل وكان على فرس فأخذ بشعره، فقال الناس: يقتله، فعرقب فرسه وقال: أمثلي مجيبن، وستعلم قريش اليوم أننا ألام وأجبن وأنا المفسد لقومه، لا يمشي إلا أنا وأنت إلى الموت عياناً! ثم قال: هذا حباتي وخياره فيه وكل جانٍ يده إلى فيه! ثم أخذ بشعره يجره فاجتمع الناس فقالوا: يا أبا الوليد الله الله لا تُقت في أعضاء الناس، تنهى عن شئ وتكون أوله! فخلصوا أبا جهل من يده، فنظر عتبة إلى أخيه شيبه، ونظر إلى ابنه الوليد فقال: قم يا بنيّ فقام، ثم لبس درعه وطلبوا له بيضة تسع رأسه، فلم يجدوها لعظم هامته، فاعتم بعامتين ثم أخذ سيفه وتقدم هو وأخوه وابنه ونادى: يا محمد أخرج الينا أكفاءنا من قريش! فبرز إليه ثلاثة نفر من الأنصار عود ومعود وعوف من بني عفرأ فقال عتبة: من أنتم، انتسوا لنعرفكم. فقالوا: نحن بنو عفرأ أنصار الله وأنصار رسول الله ﷺ. قال: ارجعوا فإننا لسنا إياكم نريد، إنما نريد الأكفاء من قريش! فبعث إليهم رسول الله أن ارجعوا فرجعوا، وكره أن يكون أول الكرة بالأنصار، فرجعوا ووقفوا موقفهم.

### ٩. أطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم

ثم نظر رسول الله ﷺ إلى عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وكان له سبعون سنة فقال له: قم يا عبيدة، فقام بين يديه بالسيف، ثم نظر إلى حمزة بن عبد المطلب فقال: قم يا عم، ثم نظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: قم يا علي وكان أصغرهم، فقال: فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم، قد جاءت قريش بخيلائها وفخرها تريد أن تطفي نور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ثم قال رسول الله ﷺ: يا عبيدة عليك بعتبة،

وقال لحمزة عليك بشيية، وقال لعلي عليك بالوليد بن عتبة. فمروا حتى انتهوا إلى القوم فقال عتبة من أنتم، إنتسبوا لنعرفكم؟ فقال عبيدة: أنا عبيدة بن حارث بن عبد المطلب، فقال كفؤ كريم، فمن هذان؟ قال حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب، فقال: كفوان كريمان، لعن الله من أوقفنا وإياكم هذا الموقف! فقال شيبة لحمزة: من أنت؟ فقال أنا حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وقال له شيبة: لقد لقيت أسد الحلفاء، فانظر كيف تكون صولتك يا أسد الله! فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة ففلق هامته، وضرب عتبة عبيدة على ساقه فقطعها وسقطها جميعاً، وحمل حمزة على شيبة فتضاربا بالسيفين حتى اثنلما، وكل واحد يتقي بدرقته. وحمل أمير المؤمنين عليه السلام على الوليد بن عتبة فضربه على عاتقه فأخرج السيف من إبطه! فقال علي عليه السلام: فأخذ يمينه المقطوعة بيساره فضرب بها هامتي فظننت أن السماء وقعت على الأرض! ثم اعتنق حمزة وشيبة فقال المسلمون: يا عليُّ أما ترى الكلب قد أهر عمك! فحمل علي عليه السلام ثم قال: يا عم طأطئ رأسك، وكان حمزة أطول من شيبة فأدخل حمزة رأسه في صدره، فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على رأسه فطير نصفه، ثم جاء إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه، وحمل عبيدة بين حمزة وعلي عليه السلام حتى أتيا به رسول الله فنظر إليه رسول الله ﷺ واستعبر، فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أألسنت شهيداً؟ فقال: بلى أنت أول شهيد من أهل بيتي. قال: أما لو كان عمك حياً لعلم أني أولى بها قال منه، قال وأي أعمامي تعني؟ قال أبو طالب حيث يقول:

كذبتم وبيت الله نبزي محمداً      ولما نطاعن دونه ونناضل  
وننصره حتى نصرع حوله      ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقال رسول الله ﷺ أما ترى ابنه كالليث العادي بين يدي الله ورسوله، وابنه الآخر في جهاد الله بأرض الحيشة؟! فقال: يا رسول الله أسخطت عليّ في هذه الحالة؟ فقال: ما سخطت عليك، ولكن ذكرت عمي، فانقبضت لذلك».

## ١٠. أبو جهل ينصح قريشاً!

وقال أبو جهل لقريش: لا تعجلوا ولا تبطروا كما عجل وبطروا أبناء ربيعة، عليكم بأهل يثرب فاجزروهم جزراً، وعليناكم بقريش فخذوهم أخذاً حتى ندخلهم مكة فنعرفهم ضاللتهم التي كانوا عليها...

وجاء إبليس إلى قريش في صورة سراقه بن مالك فقال لهم: أنا جاركم، إدفعوا إليّ رايتمكم، فدفعوها إليه وجاء بشياطينه يهول بهم على أصحاب رسول الله، ويخيل إليهم ويفزعهم، وأقبلت قريش يقدمها إبليس معه الراية، فنظر إليه رسول الله ﷺ، فقال: غضوا أبصاركم، وعضوا على النواجذ، ولا تسلوا سيفاً حتى آذن لكم، ثم رفع يده إلى السماء وقال: يا رب إن تهلك هذه العصاة لم تعبد، وإن شئت أن لا تعبد لا تعبد. ثم أصابه الغشي فسري عنه وهو يسلمت العرق عن وجهه ويقول: هذا جبرئيل قد أتاكم في ألف من الملائكة مردفين، قال: فنظرنا فإذا بسحابة سوداء فيها برق وريح، قد وقعت على عسكر رسول الله ﷺ وقائل يقول: أقدم حيزوم أقدم حيزوم! وسمعنا قعقة السلاح من الجوا! ونظر إبليس إلى جبرئيل فراجع ورمى باللواء فأخذ منبه بن الحجاج بمجامع ثوبه ثم قال: ويلك يا سراقه تفت في أعضاء الناس، فركله إبليس ركلة في صدره وقال: إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله وهو قول الله: وَإِذْ زَيَّغَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْقُمَّتَاتُ نَكْصَ عَلَيَّ عَقَبْتَهُ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٌّ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ... قال وحمل جبرئيل ﷺ على إبليس فطلبه حتى غاص في البحر وقال: رب أنجز لي ما وعدتني من البقاء إلى يوم الدين! وروي في الخبر أن إبليس التفت إلى جبرئيل وهو في الهزيمة فقال: يا هذا أبداً لكم فيما أعطيتمونا؟ فليل لأبي عبد الله ﷺ: أترى كان يخاف أن يقتله؟ فقال: لا ولكنه كان يضربه ضرباً يشينه منها إلى يوم القيامة!

## ١١. شأهت الوجوه!

وأزل على رسوله ﷺ: إذ يوحى ربك إلى الملائكة أتي معكم فتبتوا الذين آمنوا سألني في قلوب

الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرِبُوا مِنْهُ كُلَّ بَنَانٍ. قال أطراف الأصابع. وخرج أبو جهل من بين الصفين فقال: اللهم إن محمداً قطعنا الرحم وأتانا بما لانعرفه فأحنه الغداة! فأنزل الله على رسوله ﷺ: إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ نُعْجِبَ عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَفُرْتُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ. ثم أخذ رسول الله ﷺ كفاً من حصي فرمى به وجوه قريش وقال: شأهت الوجوه! فبعث الله رياحاً تضرب في وجوه قريش فكانت الهزيمة! فقال رسول الله ﷺ: اللهم لا يفلتن فرعون هذه الأمة أبو جهل بن هشام. فقتل منهم سبعون وأسر منهم سبعون، والتقى عمرو بن الجموح مع أبي جهل فضرب عمرو وأباهل بن هشام على فخذه، وضرب أبو جهل عمرو على يده فأبأها من العضد، فتعلقت بجلدة فاتكأ عمرو على يده برجله ثم نزا في السماء حتى انقطعت الجلدة ورمى بيده! وقال عبد الله بن مسعود: انتهيت إلى أبي جهل وهو يتشطح في دمه فقلت: الحمد لله الذي أخزأك، فرفع رأسه فقال: إنها أخزى الله عبد بن أم عبد الله لمن الدين وملك؟ قلت: لله ولرسوله وإني قاتلك! ووضعت رجلي على عنقه فقال: ارتقيت مرتقى صعباً يارويعي الغنم! أما إنه ليس شئ أشد من قتلك إياي في هذا اليوم إلا تولى قتلي رجل من المطيبين أو رجل من الأحلاف! فاقتلعت بيضة كانت على رأسه، فقتلته وأخذت رأسه وجئت به إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله البشري هذا رأس أبي جهل بن هشام، فسجد لله شكراً.

### ١٢. أسرى من بني هاشم

وأسر أبو بشر الأنصاري العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب، وجاء بهما إلى رسول الله ﷺ فقال له: هل أعانك عليهما أحد؟ قال: نعم رجل عليه ثياب بياض، فقال رسول الله: ذاك من الملائكة، ثم قال رسول الله ﷺ: للعباس إفد نفسك وابن أخيك، فقال: يا رسول الله قد كنت أسلمت، ولكن

القوم استكرهوني، فقال رسول الله ﷺ: الله أعلم بإسلامك إن يكن ما تذكر حقاً فإن الله يجزيك عليه، وأما ظاهر أمرك فقد كنت علينا. ثم قال ﷺ: يا عباس إنكم خاصتم الله فخصمكم، ثم قال: إفد نفسك وابن أخيك، وقد كان العباس أخذ معه أربعين أوقية من ذهب، فغنمها رسول الله ﷺ، فلما قال للعباس إفد نفسك فقال: يا رسول الله إحسبها من فدائي، فقال رسول الله ﷺ: لا، ذاك أعطانا الله منك، فأفد نفسك وابن أخيك، فقال العباس: فليس لي مال غير الذي ذهب مني، قال: بلى المال الذي خلفته عند أم الفضل بمكة فقلت لها إن حدث عليّ حدث فاقسموه بينكم. فقال: ماتركني إلا وأنا أسأل الناس بكفي!

فأنزل الله على رسوله في ذلك: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. الأنفال / ٧٠-٧١.

ثم قال رسول الله ﷺ لعقيل: قد قتل الله يا أبا يزيد: أبا جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، ونبية ومنبه ابني الحجاج، ونوفل بن خويلد، والنضر بن الحارث بن كلدة، وعقبة بن أبي معيط، وفلاناً وفلاناً. فقال عقيل: إذا لا تنازع في تهامة، فإن كنت قد أنخت القوم وإلا فاركب أكتافهم! فتبسم رسول الله ﷺ من قوله. وكان القتلى بيد سبعين والأسرى سبعين، قتل منهم أمير المؤمنين عليه السلام سبعة وعشرين ولم يأسر أحداً، فجمعوا الأسارى وقرنوهم في الحبال وساقوهم على أقدامهم، وجمعوا الغنائم. وقتل من أصحاب رسول الله تسعة رجال، فمنهم سعد بن خثيمة، وكان من النقباء.

### ١٣. الرحيل من بدر إلى المدينة

«فرحل رسول الله ﷺ ونزل الأثيل عند غروب الشمس، وهو من بدر على ستة أميال فنظر رسول الله ﷺ إلى عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث بن كلدة وهما في قران واحد، فقال النضر لعقبة: يا عقبة أنا وأنت من المقتولين، فقال عقبة: من

بين قريش؟ قال: نعم لأن محمداً قد نظر الينا نظرة رأيت فيها القتل، فقال رسول الله ﷺ: يا علي عليّ بالنضر وعقبة، وكان النضر رجلاً جميلاً عليه شعر، فجاء علي فأخذ بشعره فجره إلى رسول الله ﷺ فقال النضر: يا محمد أسألك بالرحم الذي بيني وبينك إلا أجرتني كرجل من قريش، إن قتلتهم قتلتي وإن فاديتهم فاديتني، وإن أطلقتهم أطلقتني. فقال رسول الله ﷺ: لا رحم بيني وبينك، قطع الله الرحم بالإسلام، قدمه يا علي فاضرب عنقه! فقال عقبة: يا محمد ألم تقبل لا تُصبر قريش أي لا يقتلون صبراً، قال: أفأنت من قريش؟ إنما أنت عالج من أهل صفورية، لأنت في الميلاد أكبر من أبيك الذي تدعى له، لست منها! قدمه يا علي فاضرب عنقه، فقدمه وضرب عنقه!

فلما قتل رسول الله ﷺ النضر وعقبة، خافت الأنصار أن يقتل الأسارى كلهم فقاموا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله قد قتلنا سبعين وأسرنا سبعين، وهم قومك وأسارك، هبهم لنا يا رسول الله وخذ منهم الفداء وأطلقهم، فأنزل الله عليهم: مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَبْخُنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

أقول: النص المتقدم لعلي بن إبراهيم رضي الله عنه وأكثره موافق لرواية المصادر السننية وقد ضمنه روايات عن المعصومين عليهم السلام، كما في محاولة جبرئيل ضرب إبليس. كما ضمنه رأيه في تفسير بعض الآيات كآية فداء الأسرى، ولا نوافقه عليه، لأنه جعل نزولها وتحليل الفداء للمسلمين بعد ستة أميال من المسير من بدر، وقد تقدم في كلامه أن النبي ﷺ طلب من عمه العباس في بدر أن يفدي نفسه، ومعناه أن تشريع الفداء كان من بدر، ولم ينزل في طريق العودة منها! مضافاً إلى الإشكال بأنه كيف يحلل الله شيئاً ثم يعاقب عليه، فقد أحل لهم الفداء فكيف يعاقبهم بخسارة سبعين رجلاً منهم! وستأتي مسألة أسرى بدر.

## ٤- أضواء من سيرة النبي ﷺ في بدر

### ١. رسالة أبي جهل إلى النبي ﷺ

روى في الإحتجاج: ٤/٨١ عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أن أبا جهل أرسل إلى رسول الله ﷺ رسالة قبيل بدر، وهي: «يا محمد إن الخيوط التي في رأسك هي التي ضيقت عليك مكة، ورمت بك إلى يثرب، وإنما لا تزال بك تنفرك وتحثك على ما يفسدك ويتلفك، إلى أن تفسدها على أهلها وتصليهم حر نار جهنم، وما أرى ذلك إلا وسيؤول إلى أن تشور عليك قريش ثورة رجل واحد، لقصدا أثارك ودفع ضرك وبلائك، فلتقاهم بسفهائك المغترين بك، ويساعدك على ذلك من هو كافر بك مبغض لك، فيلجؤه إلى مساعدتك ومظافرتك خوفاً لأن لا يهلك بهلاكك ويعطب عياله بعطبك، ويفتقر هو ومن يليه بفقرك وبفقر شيعتك، إذ يعتقدون أن أعداءك إذا قهروك ودخلوا ديارهم عنوة لم يفرقوا بين من والاك وعاداك واصطلموهم باصطلامهم لك، وأتوا على عيالاتهم وأمواهم بالسبي والنهب، كما يأتون على أموالك وعيالك، وقد أعذر من أنذر وبالغ من أوضح!

وأدبّت هذه الرسالة إلى محمد وهو بظاهر المدينة بحضرة كافة أصحابه وعمامة الكفار من يهود بني إسرائيل، وهكذا أمر الرسول ﷺ ليُجَبِّنَ المؤمنين، ويغري بالوثوب عليه سائر من هناك من الكافرين! فقال رسول الله ﷺ للرسول: قد أطريت مقاتلتك واستكملت رسالتك؟ قال: بلى. قال: فاسمع الجواب:

إن أبا جهل بالمكانة والعطب يتهددني، ورب العالمين بالنصر والظفر يعدني، وخبر الله أصدق والقبول من الله أحق! لن يضر محمداً من خذله أو يغضب عليه بعد أن ينصره الله ويتفضل بجوده وكرمه عليه.

قل له: يا أبا جهل إنك واصلتني بما ألقاه في خلدك الشيطان، وأنا أجيبك بما ألقاه في خاطري الرحمن، إن الحرب بيننا وبينك كائنة إلى تسع وعشرين يوماً، وإن الله سيقنتك فيها بأضعف أصحابي! وستلقى أنت وشيبة وعمتة والوليد وفلان وفلان

وذكر عدداً من قريش في قلب بدر، مقتولين! أقتل منكم سبعين وأسر منكم سبعين، وأحملهم على الفداء الثقيل!

ثم نادى ﷺ جماعة من المؤمنين واليهود وسائر الأخطا: ألا تحبون أن أريكم مصارع هؤلاء المذكورين، مصرع كل واحد منهم؟ قالوا: بلى. قال: هلموا إلى بدر فإن هناك الملتقى والمحشر، وهناك البلاء الأكبر لأضع قدمي على مواضع مصارعهم، ثم ستجدونها لا تزيد ولا تنقص ولا تتغير ولا تتقدم ولا تتأخر لحظة، ولا قليلاً ولا كثيراً!

فلم يُخَفِّ ذلك على أحد منهم ولم يجبه إلا علي بن أبي طالب ﷺ وحده قال: نعم بسم الله. فقال الباقر: نحن نحتاج إلى مركوب وآلات ونفقات ولا يمكننا الخروج إلى هناك وهو مسيرة أيام! فقال رسول الله ﷺ لسائر اليهود: فأنتم ماذا تقولون؟ فقالوا: نحن نريد أن نستقر في بيوتنا ولا حاجة لنا في مشاهدة ما أنت في ادعائه محيل! فقال رسول الله ﷺ: لأنصَبَ لكم في المسير إلى هناك، أخطوا خطوة واحدة، فإن الله يطوي الأرض لكم ويوصلكم في الخطوة الثانية إلى هناك! قال المسلمون: صدق رسول الله فلنُشَرِّفَ بهذه الآية، وقال الكافرون والمنافقون: سوف نمتحن هذا الكذاب لينقطع عذر محمد، وتصير دعواه حجة عليه وفاضحة له في كذبه! قال: فخطى القوم خطوة ثم الثانية، فإذا هم عند بئر بدر، فتعجبوا! فجاء رسول الله ﷺ فقال: إجعلوا البئر العلامة وأذرعوا من عندها كذا ذراع، فذرعوا فلما انتهوا إلى آخرها، قال: هذا مصرع أبي جهل يجرحه فلان الأنصاري ويجهز عليه عبد الله بن مسعود، أضعف أصحابي.

ثم قال: إذرعوا من البئر من جانب آخر ثم من جانب آخر ثم من جانب آخر، كذا وكذا ذراعاً وذراعاً، وذكر أعداد الأذرع مختلفة، فلما انتهى كل عدد إلى آخره قال رسول الله ﷺ: هذا مصرع عتبة، وهذا مصرع شيبة، وذاك مصرع الوليد، وسيقتل فلان وفلان إلى أن سمي سبعين منهم بأسمائهم وأسماء آبائهم! وسيؤسر فلان وفلان إلى أن ذكر سبعين منهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وصفاتهم



ونسب المنسويين إلى أمهاتهم وآبائهم، ونسب الموالى منهم إلى موالئهم.

ثم قال: أوقفتم على ما أخبرتكم به؟ قالوا: بلى. قال: إن ذلك من الله لحق كائن بعد ثمانية وعشرين يوماً في اليوم التاسع والعشرين، وعداً من الله مفعولاً، وقضاءً حتماً لازماً.

ثم قال رسول الله ﷺ: يا معشر المسلمين واليهود اكتبوا بما سمعتم. فقالوا: يا رسول الله قد سمعنا ووعينا ولا ننسى، فقال رسول الله ﷺ: الكتابة أذكر لكم. فقالوا: يا رسول الله فأين الدواة والكتف؟ فقال رسول الله ﷺ: ذلك للملائكة! ثم قال: يا ملائكة ربي اكتبوا ما سمعتم من هذه القصة في الكتاب، واجعلوا في كم كل واحد منهم كتفاً من ذلك! ثم قال: يا معشر المسلمين تأملوا أحكامكم وما فيها وأخرجوها واقرؤوها، وتأملوها وإذا في كم كل واحد منهم صحيفة قرأوها وإذا فيها ذكر ما قاله رسول الله ﷺ في ذلك سواء لا يزيد ولا ينقص ولا يتقدم ولا يتأخر. فقال: أغيضوها في أحكامكم تكن حجة عليكم، وشرفاً للمؤمنين منكم، وحجة على أعدائكم، فكانت معهم!

فلما كان يوم بدر، جرت الأمور كلها ببدر كما قال رسول الله ﷺ لا تزيد ولا تنقص، قابلوها في كتبهم فوجدوها كما كتبتها الملائكة، لا تزيد ولا تنقص ولا تتقدم ولا تتأخر، فقبل المسلمون ظاهرهم، ووكلوا باطنهم إلى خالقهم».

## ٢. سَيِّهَزُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ

أنزل الله قبل بدر سورة القمر وأخبر فيها بأن قريشاً ستنهزم! وكان النبي ﷺ في بدر: مصلاً سيفه بتلو قوله تعالى: سَيِّهَزُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ. واشترك في حرب بدر بنفسه، وقاتل قتالاً شديداً «الصحيح: ٤٣/٥». وكان ﷺ أخبرهم عن هزيمتهم في أول بعثته عندما طلبوا منه معجزة: «فقالوا له: يا محمد إنك قد ادعيت عظيماً لم يدعه أبأوك، ولا أحد من بيتك ونحن نسألك أمراً إن أجبتنا إليه وأرئنا علمنا أنك نبي ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب! فقال ﷺ: وما تسألون؟ قالوا

تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك. فقال ﷺ: إن الله على كل شئ قدير، فإن فعل الله لكم ذلك أتؤمنون وتشهدون بالحق؟ قالوا نعم. قال: فإني سأريكم ما تطلبون، وإني لأعلم أنكم لا تفتنون إلى خير، وأن فيكم من يطرح في القلب، ومن يحزب الأحزاب! ثم دعا ربه فأراهم ما طلبوا فازدادوا كفرًا! نهج البلاغة: ١٥٧/٢.

### ٣. من أدعية النبي ﷺ في بدر وغيرها

وكان ﷺ يعلم أنه سيقا تل في بدر، لكنه تألف أصحابه واستشارهم مرتين، «فتح الباري ٢٢٣/٧» أولا هما قبل حركته من المدينة، والثانية عندما بلغه نجاه القافلة ومجي قريش لحربه، وذلك تطبيقاً لقوله تعالى: فَاعْفُ عَنَّهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ. ثم عزم ﷺ ولم يهتم لتخويف مرضى القلوب الذين قالوا: غَرْهُوْلَاءِ وَيَهْتُمْ. ولا لجدل الصحابة المنهارين: كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ! وكان في سفره وفي ليلة بدر ويومها، يدعو ربه تعالى.

ومن أدعيته ﷺ لما خرج من المدينة: «اللهم إنهم حفاة فاحلهم، وعراة فاكسهم، وجياع فأشبعهم، وعالة فأغنهم من فضلك. قال: فما رجع أحد منهم يريد أن يركب إلا وجد ظهراً، وللرجل البعير والبعيران، واكتسى من كان عارياً، وأصابوا طعاماً من أزوادهم، وأصابوا فداء الأسرى». الإمتاع: ١٧٨/١٢.

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «لما نظر النبي ﷺ إلى كثرة المشركين وقلة المسلمين استقبل القبلة وقال: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض. فنزلت: إِذْ نَسْتَعِينُونَ رَبَّنَا فَأَسْتَجِبْ لَكُمْ أَيُّ مِدْقِكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِينَ. وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ». الصحيح ٣٥/٥.

وبات ﷺ في ليلة بدر يدعو: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض، فلما أن طلع الفجر نادى: الصلاة عباد الله، فجاء الناس من تحت الشجر والجحف، فصلى بنا رسول الله وحرص على القتال». الطبري: ١٣٤/٢.

«ودعا يوم بدر حتى سقط رداؤه عن منكبيه يستنجز الله وعده» القرطبي: ٢٥٦/٣. وعن علي عليه السلام قال: «إغتتموا الدعاء عند خمسة مواطن: عند قراءة القرآن، وعند الأذان، وعند نزول الغيث، وعند التقاء الصفين، وعند دعوة المظلوم. كان صلى الله عليه وآله إذا لقي العدو قال: اللهم إنك أنت عصمتي وناصري ومعيني. اللهم بك أصول وبك أقاتل. وكان صلى الله عليه وآله إذا لقي العدو عباً الرجالة وعباً الخيل والإبل. كان صلى الله عليه وآله إذا زحف للقتال يعمى الكتائب ويفرق بين القبائل، ويقدم على كل قوم رجلاً، ويصفف الصفوف، ويكردس الكراديس، ثم يزحف إلى القتال.

كان صلى الله عليه وآله إذا زحف للقتال جعل ميمنةً، وميسرةً وقلباً يكون هو فيه، ويجعل لها رباط ويقدم عليها مقدمين، ويأمرهم بخفض الأصوات والدعاء، واجتماع القلوب، وشهر السيوف، وإظهار العدة، ولزوم كل قوم مكانهم، ورجوع كل من حمل إلى مصافه بعد الحملة». دعائم الإسلام: ٣٧١/١.

وقال ابن مسعود: «ما سمعنا مناشداً ينشد حقاً له أشد مناشدة من محمد يوم بدر يقول: اللهم إني أنشدك ما وعدتني، إن تهلك هذه العصابة لاتعبد. ثم التفت كأن وجهه القمر فقال: كأني أنظر إلى مصارع القوم عشية». الزوائد: ٨٢/٦.

وأراد بخاري أن يمدح أبا بكر فذمه، فزعم أن النبي صلى الله عليه وآله أفرط في الدعاء حتى نهاه أبو بكر! قال في صحيحه: ٥٤/٦: «قال النبي صلى الله عليه وآله وهو في قبة: اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لاتعبد بعد اليوم! فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربك! وهو يتب «يقفز» في الدرع! فخرج وهو يقول: سَيَهْرُؤُ الْجَمْعُ وَيُؤَلُّونَ الدُّبُرُ! وتعبيره لا يخلو من انتقاص النبي صلى الله عليه وآله! وهم لا يتورعون عن الطعن في نبيهم صلى الله عليه وآله، لمدح من يحبونه من الصحابة!

#### ٤. وعطش النبي صلى الله عليه وآله فاستقى لهم علي عليه السلام

لما وصلوا إلى بدر نزلوا على غير ماء لأن قريشاً سبقتهم إلى الماء، أو لأن عين بدر كانت مملوكة كما يظهر. وعطش النبي صلى الله عليه وآله فذهب علي عليه السلام ليلاً وجاء له بالماء. وفي

الصباح أنزل الله عليهم المطر فاستقوا واغتسلوا، وألقى الله عليهم النعاس فناموا، وبقي النبي ﷺ تلك الليلة يصلي ويدعو ربه. وكانت ليلة جمعة.

#### ٥. كانت وقعة بدر يوم جمعة

وفي يوم الجمعة يوم بدر صلى النبي ﷺ بالمسلمين الفجر ووصفهم، وأرسل إلى قريش يقترح عليهم الرجوع وعدم الحرب، واستجاب له عتبة بن ربيعة لكن أباجهل جبنه! فأخذت عتبة الحمية وبرز هو وابنه الوليد وأخوه شيبة، فبرز اليهم أبناء عفرأ من الأنصار، فأبوا وطلبوا أن يبرز اليهم أكفاءهم، فاختار النبي ﷺ لهم ثلاثة من بني هاشم، علياً، وحزاة، وعبيدة، ونصرهم الله تعالى على فرسان قريش. وبارز علي ﷺ وحزاة عدة أخرى فقتلهم، فأمر النبي ﷺ المسلمين بالزحف وزحف معهم وقاتل، وهزم الله المشركين شر هزيمة!

قال علي ﷺ: «لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً.. كنا إذا احمرَّ البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه». مكارم الأخلاق/١٨.

وكان علي ﷺ في المعركة قرب النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «ناولني كفاً من حصي، فرمى بها في وجوههم وقال لهم: شأهت الوجوه! فلم يبق أحد منهم إلا ولى الدبر لذلك منهزماً». الدرالنظيم/١٥٢.

وفي إعلام الوري/١٦٩: «فكثر الله المسلمين في أعين الكفار، وقلل المشركين في أعين المؤمنين كيلا يفشلوا، وأخذ رسول الله كفاً من تراب فرماه إليهم وقال: شأهت الوجوه! فلم يبق منهم أحد إلا اشتغل بفرك عينيه». وفي رواية «فما بقي أحد إلا امتلأت عينه من الحصباء، وأفواهم ومناخرهم». المناقب/١:١٦٤.

وفي الطبري: ١٥٠/٢: «ثم نفحهم بها وقال لأصحابه: شدوا، فكانت الهزيمة». وفي الصحيح: ٥٣/٥: «وبالمناسبة فإن عائشة قالت في حرب الجمل: ناولوني كفاً من تراب، فناولوها فحثت في وجوه أصحاب أمير المؤمنين ﷺ وقالت:

شاهت الوجوه، كما فعل رسول الله ﷺ بأهل بدر! فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وما رميت إذ رميت ولكن الشيطان رمى! وليعودنَّ وبالك عليك إن شاء الله! ونَطَرَتْ إلى علي عليه السلام وهو يجول بين الصفوف في حرب الجمل فقالت: أنظروا إليه كأن فعله فعل رسول الله يوم بدر، أما والله ما ينتظر بكم إلا زوال الشمس، وهكذا كان.  
أقول: وزعموا أن أبا بكر كان مع النبي ﷺ في العريش، لكن لم يكن عريش في بدر، ثم إن النبي ﷺ قاتل وأبو بكر وعمر لم يقاتلا، وذهبا إلى خلف!

#### ٦. خاطب النبي ﷺ فراعنة المشركين

أمر النبي ﷺ أن يُلقى قتلى المشركين في بئر مهجورة لأماء فيها، ثم وقف عليهم وخاطبهم فأحياهم الله وسمعوه، قال لهم: «لقد كنتم جيران سوء لرسول الله، أخرجتموه من منزله وطردتموه، ثم اجتمعتم عليه فحاربتموه، فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فقال له عمر: يا رسول الله ما خطابك لهم قد صِدِيتْ؟

فقال له: مَهْ يا ابن الخطاب! فوالله ما أنت بأسمع منهم! وما بينهم وبين أن تأخذهم الملائكة بمقامع الحديد، إلا أن أعرض بوجهي هكذا عنهم».

«فقال المنافقون: إن رسول الله يكلم الموتى! فنظر إليهم فقال: لو أذن لهم في الكلام لقالوا: نعم، وإن خير الزاد التقوى». رواه الصدوق في الفقيه: ١٨٠/٨، تصحيح الإعتقاد: ٩٢، الصحيح من السيرة: ٦٤/٥، الطبري: ١٥٥/٢، ابن هشام: ٤٦٦/٢، القرطبي: ٣٧٧/٧، وسمى منهم بضعة رجال.

#### ٧. أبو جهل فرعون الفراعنة

كان النبي ﷺ يدعو على أبي جهل ويعتبره فرعون الفراعنة، ويوم بدر أحاطت بأبي جهل قبيلته «ولما كان يومئذ ورأت بنو مخزوم مقتل من قتل قالوا: أبو الحكم لا يُخلص إليه! فإن ابني ربيعة قد عجلا وبطرا، ولم تُحمأ عليهما عشيرتهما، فاجتمعت بنو مخزوم فأحدقوا به فجعلوه في مثل الحُرْجة، وأجمعوا أن يلبسوا لأمة أبي جهل رجلاً منهم فألبسوها عبدالله بن المنذر بن أبي رفاعة فصمد له علي عليه السلام فقتله وهو يراه أبا جهل،

ومضى عنه وهو يقول: خذها وأنا ابن عبد المطلب!

ثم ألبسوها أبا قيس بن الفاكه بن المغيرة، فصمد له حمزة وهو يراه أبا جهل  
فضربه فقتله وهو يقول: خذها وأنا ابن عبد المطلب!

ثم ألبسوها حرملة بن عمرو فصمد له علي عليه السلام فقتله، وأبو جهل في أصحابه!  
ثم أرادوا أن يلبسوها خالد بن الأعمى، فأبى أن يلبسها! مغازي الواقدي/٤٧.

أقول: كان أبو جهل في المعركة محاطاً ببني مخزوم وغيرهم من قريش و: «لما  
اصطفت الخيلان يوم بدر رفع أبو جهل يده وقال: اللهم إنه أقطعنا للرحم،  
أتانا بما لا نعرفه فأجته بالعذاب، فأنزل الله: سَأَلْنَا بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. القمي: ٢/٣٨٥.

أي جاء تفسيرها. ولما اشتدت المعركة انشغل بنو مخزوم بأنفسهم، وانفجروا عن  
زعيمهم أبي جهل، فاشترك في قتله معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ ابن عفراء،  
وأجهز عليه ابن مسعود أضعف أصحاب النبي، كما أخبر النبي صلى الله عليه وآله الدرر/١١٠.

ووقف النبي صلى الله عليه وآله على مصارع عتاة قريش بعد المعركة وخاطبهم: «جزاكم  
الله من عصابة شرأ، لقد كذبتوني صادقاً، وخونتوني أميناً! ثم التفت إلى أبي  
جهل فقال: إن هذا أعتى على الله من فرعون! إن فرعون لما أيقن بالهلاك وحَدَّ  
الله، وهذا لما أيقن بالهلاك دعا باللات والعزى» أمالي الطوسي: ٣١٦/١ والزوائد: ٦/٩١.

#### ٨. أبو حذيفة بن عتبة وابنه محمد

كان أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة مسلماً مع النبي صلى الله عليه وآله، وكان ابنه محمد شيعياً  
من أبطال فتح الشام ومصر. وفي الطبري: ١٥٦/٢: «لما أمر بهم رسول الله صلى الله عليه وآله أن  
يُلْقُوا فِي الْقَلِيبِ، أخذ عتبة بن ربيعة فسحب إلى القليب، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله فيما  
بلغني في وجه أبي حذيفة بن عتبة فإذا هو كئيب قد تغير، فقال: يا أبا حذيفة لعلك  
دخلك من شأن أهلك شيء، أو كما قال؟ فقال: لا والله يا نبي الله، ما شككت في أبي  
ولا في مصرعه، ولكنني كنت أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً، فكنت أرجو أن  
يهديه ذلك إلى الإسلام، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد

الذي كنت أرجو له، أجزني ذلك. قال فدعا رسول الله ﷺ له بخير وقال له خيراً».

### ٩. وخطب علي عليه السلام طلحة في البصرة وقاضى القضاة

فعل علي عليه السلام بعد معركة الجمل في البصرة، شبيهاً بما فعل النبي ﷺ في بدر. قال المفيد في الإرشاد: ٢٥٦/١: «فمر بكعب بن سور فقال: هذا الذي خرج علينا في عنقه المصحف يزعم أنه ناصر أمه، يدعو الناس إلى ما فيه وهو لا يعلم ما فيه، ثم استفتح فخاب كل جبار عنيد، أما إنه دعى الله أن يقتلني فقتله الله. أجلسوا كعب بن سور، فأجلس فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يا كعب، لقد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً؟ ثم قال: أضجعوا كعباً.

ومرّ على طلحة بن عبيد الله فقال: هذا الناكث بيعتي والمنشئ الفتنة في الأمة والمُجلب عليّ، الداعي إلى قتلي وقتل عترتي! أجلسوا طلحة فأجلس، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا طلحة بن عبيد الله، قد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فهل وجدت ما وعد ربك حقاً؟ ثم قال: أضجعوا طلحة، وسار. فقال له بعض من كان معه: يا أمير المؤمنين أنكلم كعباً وطلحة بعد قتلها؟ قال: أما والله إنها لقد سمعا كلامي، كما سمع أهل القلب كلام رسول الله ﷺ يوم بدر».

### ١٠. أفطر النبي ﷺ وخالفه بعضهم فسامهم العصاة

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا خرج الرجل في شهر رمضان مسافراً أفطر. إن رسول الله ﷺ خرج من المدينة إلى مكة في شهر رمضان ومعه الناس وفيهم المشاة، فلما انتهى إلى كراع الغميم دعا بقدرح من ماء فيما بين الظهر والعصر، فشربه وأفطر، ثم أفطر الناس معه، وتمّ ناسٌ على صومهم، فسامهم العصاة! وإنما يؤخذ بآخر أمر رسول الله ﷺ». الفصول المهمة: ٦٩١/١.

وفي سنن النسائي: ١٧٧/٤: «فدعا بقدرح من الماء بعد العصر فشرب والناس ينظرون، فأفطر بعض الناس وصام بعض، فبلغه أن ناساً صاموا فقال: أولئك العصاة! لكن الشافعي برر للعصاة ووقف معهم فقال: «بلغه أن ناساً صاموا فقال: أولئك العصاة،

فوجه هذا إذا لم يحتمل قلبه قبول رخصة الله تعالى، فأما من رأى الفطر مباحاً وصام وقويَ على ذلك، فهو أعجب إليّ». الترمذي: ١٠٧/٢.

كما كان النبي ﷺ يحرص على الإعتكاف في شهر رمضان، فعن الإمام الصادق عليه السلام: قال: «كانت بدر في شهر رمضان، فلم يعتكف رسول الله ﷺ، فلما كان من قابل اعتكف عشرين، عشر ألامه، وعشر أفضاء لما فاته». الكافي: ١٧٥/٤.

### ٥. أضواء من سيرة علي عليه السلام في بدر

#### ١. أحس علي عليه السلام بالملائكة وسلموا عليه

بعث النبي ﷺ علياً عليه السلام ليلة بدر ليستقي لهم، فأحس بنزول مجموعات الملائكة، ففي تفسير العياشي: ٦٥/٢: «عن علي بن الحسين عليه السلام قال: لما عطش القوم يوم بدر، انطلق علي عليه السلام بالقربة يستقي وهو على القلب، إذ جاءت ريح شديدة ثم مضت، فلبث ما بدا له، ثم جاءت ريح أخرى ثم مضت، ثم جاءت أخرى كادت أن تشغله وهو على القلب، ثم جلس حتى مضت، فلما رجع إلى رسول الله ﷺ أخبره بذلك فقال رسول الله ﷺ: أما الريح الأولى ففيها جبرئيل مع ألف من الملائكة، والثانية فيها ميكائيل مع ألف من الملائكة، والثالثة فيها إسرافيل مع ألف من الملائكة، وقد سلموا عليك وهم مدد لنا، وهم الذين رأهم إبليس فنكص على عقبه يمشي القهقري حتى يقول: وَقَالَ إِنِّي بِرِيٍّ مِنْكَ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ».

وفي المناقب: ٨٠/٢ عن: «محمد بن ثابت بإسناده عن ابن مسعود، والفلكي المفسر، بإسناده عن محمد بن الحنفية قال: بعث رسول الله علياً في غزوة بدر أن يأتيه بالماء حين سكت أصحابه عن إيراده... وفي رواية: ما أتوا إلا ليحفظوك، وقد رواه عبد الرحمن بن صالح بإسناده عن الليث وكان يقول: كان لعلي في ليلة واحدة ثلاثة آلاف منقبة وثلاث مناقب، ثم يروي هذا الخبر، قال الحميري:

وسلم جبريل وميكال ليلةً  
عليه وإسرافيل حياه معربا



أحاطوا به في ردة جاء يستقي  
وكل على ألف بها قد تحزبا  
ثلاثة آلاب ملائك سلموا  
عليه فأدناهم وحياً ومرحبا»

وفي أمالي الطوسي/٥٤٧، أنه عليه السلام قال حين ناشد المسلمين بعد قتل عثمان: «فهل فيكم من سلم عليه في ساعة واحدة ثلاثة آلاف من الملائكة، وفيهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل ليلة القليب لما جئتُ بالماء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غيري؟! قالوا: لا».

## ٢. علمه الخضر عليه السلام دعاء قبل بدر

ففي التوحيد للصدوق/٨٩: «قال عليه السلام: رأيت الخضر عليه السلام في المنام قبل بدر ليلة فقلت له: علمني شيئاً أنصُرُ به على الأعداء، فقال: قل: يا هو، يا من لا هو إلا هو. فلما أصبحت قصصتها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لي: يا علي علّمتَ الاسمَ الأعظم، فكان على لساني يوم بدر. وإن أمير المؤمنين عليه السلام قرأ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، فلما فرغ قال: يا هو، يا من لا هو إلا هو، إغفر لي وانصرني على القوم الكافرين. وكان علي عليه السلام يقول ذلك يوم صفين وهو يطارد، فقال له عمار بن ياسر: يا أمير المؤمنين ما هذه الكنايات؟ قال: إسم الله الأعظم وعماد التوحيد لله لا إله إلا هو، ثم قرأ: شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وآخر الحشر، ثم نزل فصلي أربع ركعات قبل الزوال. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: الله معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق ويؤله إليه، والله هو المستور عن درك الأبصار، المحجوب عن الأوهام والخطرات».

وهذا يدل على أن سر الإسم الأعظم وتأثيره إنما هو في من يعلمه ومن يدعو به.

## ٣. بدر أول معركة خاضها علي عليه السلام

كانت معركة بدر أول حرب يخوضها علي عليه السلام، وكان عمره نحو أربع وعشرين سنة، على الرواية المشهورة بأن عمره عند البعثة عشر سنين، وعلى رواية الإثنتي عشرة سنة يكون عمره عليه السلام ستاً وعشرين، وكانت بدر بعد أربع عشرة سنة ونصفاً من البعثة. ولم يشترك عليه السلام قبلها في حرب لكن كان له تجربتان في القتال في مكة بعد هجرة

الليالي  
التي  
أعظم

النبي ﷺ حيث كمن له فارسٌ في الليل ليفاجأه ويقتله: «فصاح علي به صيحة خراً على وجهه وجلله بسيفه» «المناقب/١/٣٣٥» فكانت هذه أول صيحة له وأول ضربة سيف!

ثم في طريق هجرته ﷺ لما أرسلت قريش بضعة فرسان ليردوه، يقودهم فارس معروف بفتكه، فأدركوه قريب ضجنان: «فأهوى له جَنَاح بسيفه فراغ علي ﷺ عن ضربته، وتختله علي ﷺ فضربه على عاتقه، فأسرع السيف مضياً فيه حتى مسَّ كاتبة فرسه!» أمالي الطوسي/٤٧٠.

فكانت هذه ثاني ضربة لعللي ﷺ! والكاتبة: مجتمع الكتف. أي شقت ضربته كتف الفارس وبدنه، حتى وصلت إلى مرتفع ظهر فرسه!

وفي نسخة المناقب: ٣١٢/٢ أن سعد بن أبي وقاص رأى علياً يوم بدر: «يحمحم فرسه» وقد كان راجلاً ولم يكن عنده فرس، فهو تصحيف لما رواه الخوارزمي في مناقبه/١٥٨، عن سعد: «قال معاوية: أتحب علياً؟ قلت: وكيف لا أحبه وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي، ولقد رأيتك بارز يوم بدر وهو يُحمحم كما يحمحم الفرس، ويقول:

ما تنقُم الحرب العوان مني      بازلُ عامين حديثٌ سني  
سنخنخلُ الليل كأني جني      لمثل هذا ولدتني أُمي!

فما رجع حتى خضب سيفه». و مناقب ابن سُلَيْمان: ٥٦٩/٢. الصراط المستقيم: ٤/٢، الفايق: ٩٥/١، بينابيع المودة: ١٥٨/١، النهاية لابن الأثير: ٤١٢/٢، لسان العرب: ٥٢/١١ وفيه: يقول: أنا مستجمع الشباب مستكمل القوة. وابن هشام: ٤٦٣/٢، روى أن أبا جهل تمثل بهذا الشعراً!

#### ٤. سَطع نجم علي ﷺ في بدر

وبرز بطلاً فاق عمه حمزة ﷺ، حيث قتل قرينه، وساعد حمزة على قتل قرينه: «وحمل أمير المؤمنين على الوليد بن عتبة فضربه على عاتقه فأخرج السيف من إبطه ثم اعتنق حمزة وشيبة فقال المسلمون: يا علي أما ترى

الكلب قد أهر عمك! فحمل علي عليه السلام ثم قال: يا عم طأطئ رأسك وكان حمزة أطول من شيبه، فأدخل حمزة رأسه في صدره فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على رأسه فطرح نصفه، ثم جاء إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه. المناقب: ٣١١/١.

وفي الفصول المهمة لابن الصباغ: ٣١٥/١، أن المباراة كانت بالترتيب: بارز علي عليه السلام الوليد، ثم بارز حمزة عتبة، ثم بارز عبيدة شيبه. «برز الوليد لعلي فقال: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله وأخو رسوله، فقتله». الطبقات: ٢٣/٢ وابن كثير: ٤١٤/٢.

ولم يذكر رواية السلطة أنه عليه السلام قتل قرن حمزة وأجهز على قرن عبيدة، قالوا: «أما علي فلم يمهل الوليد أن قتله». «ابن هشام ٤٥٦/٢» ومعناه أنه برز مع صاحبيه لقرنيهما!

وفي الدر النظيم: ١٥٢: «ثم بارز أمير المؤمنين عليه السلام العاص بن سعيد بن العاص بعد أن أحجم عنه من سواه، فلم يلبث إلا أن قتله. وبرز إليه حنظلة بن أبي سفيان فقتله، وبرز بعده طعيمة بن عدي فقتله، وقتل بعده نوفل بن خويلد وكان من شياطين قريش. ولم يزل عليه السلام يقتل واحداً منهم بعد واحد حتى أتى على شطر المقتولين منهم وكانوا سبعين قتيلاً. وتولى كافة من حضر بدرأ من المسلمين مع ثلاثة آلاف من الملائكة المسومين الشطر الآخر، وكان قتل أمير المؤمنين عليه السلام للشطر بمعونة الله تعالى له وتوفيقه وتأييده ونصره، وكان الفتح له بذلك».

وفي الإرشاد: ٧٤/١: «فاختلفا ضربتين أخطأت ضربة الوليد أمير المؤمنين عليه السلام واتقى بيده اليسرى ضربة أمير المؤمنين فأبانتها. فروي أنه كان يذكر بدرأ وقلته الوليد فقال في حديثه: كأني أنظر إلى وميض خاتمه في شماله، ثم ضربته ضربة أخرى فصرعه وسلبته، فرأيت به ردعاً من خلوق «طيب» فعلمت أنه قريب عهد بعرس».

وفي إعلام الوري: ١٧٠/١: «قتل علي عليه السلام ببدر من المشركين: الوليد بن عتبة بن ربيعة وكان شجاعاً فاتكاً، والعاص بن سعيد بن العاص بن أمية والد سعيد بن العاص، وطعيمة بن عدي بن نوفل، شجره بالرمح وقال: والله لا تخاصمنا في الله بعد اليوم أبداً! ونوفل بن خويلد، وهو الذي قرن أبابكر وطلحة قبل الهجرة بحبل وعذبها يوماً إلى الليل، وهو عم الزبير بن العوام».

ولما أجلت الوقعة قال النبي ﷺ: من له علم بنوفل؟ فقال ﷺ: أنا قتلته، فكبر النبي ﷺ ثم قال: الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه.

وروى جابر عن الباقر عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لقد تعجبت يوم بدر من جرأة القوم، وقد قتلت الوليد بن عتبة، إذ أقبل إليّ حنظلة بن أبي سفيان، فلما دنا مني ضربته بالسيف فسالت عيناه، ولزم الأرض قتيلاً».

«قتل ﷺ من المشركين في بدر نصف السبعين وشارك في قتل النصف الآخر! وقد عدَّ الشيخ المفيد ستة وثلاثين بأسمائهم ممن قتلهم علي عليه السلام، وقال ابن إسحاق: أكثر قتلى المشركين يوم بدر كان لعلي». الصحيح من السيرة: ٥٩/٥.

وفي كشف الغمّة: ١٨١/١: «قال الواقدي في كتاب المغازي: جميع من يحصى قتله من المشركين ببدر تسعة وأربعون رجلاً، منهم من قتله علي وشرك في قتله اثنان وعشرون رجلاً، شرك في أربعة وقتل بانفراذه ثمانية عشر، وقيل إنه قتل بانفراذه تسعة بغير خلاف وهم: الوليد بن عتبة بن ربيعة خال معاوية قتله مبارزة، والعاص بن سعيد بن العاص بن أمية، وعامر بن عبدالله، ونوفل بن خويلد بن أسد وكان من شياطين قريش، ومسعود بن أبي أمية بن المغيرة، وقيس بن الفاكه، وعبدالله ابن المنذر بن أبي رفاعه، والعاص بن منبه بن الحجاج، وحاجب بن السائب. وأما الذين شاركه في قتلهم غيره فهم: حنظلة بن أبي سفيان أخو معاوية وعبيدة بن الحارث، وزمعة وعقيل ابنا الأسود بن المطلب.

وأما الذين اختلف الناقلون في أنه قتلهم أو غيره فهم: طعيمة بن عدي، وعمير بن عثمان بن عمرو، وحرملة بن عمرو، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو العباس بن قيس، وأوس الجهمي، وعقبة بن أبي معيط صبراً، ومعاوية بن عامر. فهذه عدة من قيل إنه قتلهم في هذه الرواية، غير النضر بن الحارث فإنه قتله صبراً بعد القفول من بدر. هذا من طرق الجمهور.

فأما المفيد فقد ذكر في كتابه الإرشاد.. أثبت رواية العامة والخاصة معاً أسماء الذين تولى أمير المؤمنين عليه السلام قتلهم ببدر من المشركين، على اتفاق فيما نقلوه من

ذلك واصطلاح، فكان ممن سموه. فذلك ستة وثلاثون رجلاً، سوى من اختلف فيه، أو شرك أمير المؤمنين فيه غيره، وهم أكثر من شطر المقتولين ببدر على ما قدمناه. وعلى اختلاف المذهبين في تعيين عدة المقتولين، فقد اتفقا على أن أمير المؤمنين عليه السلام قتل النصف ممن قتل ببدر أو قريباً منه!

وقال المفيد رحمته الله: فمن مختصر الأخبار التي قد جاءت بشرح ما أثبتناه، ما رواه شعبة عن أبي إسحاق عن حارث بن مضرب، قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: لقد حضرنا بدرًا وما فينا فارس إلا المقداد بن الأسود، ولقد رأيتنا ليلة بدر وما فينا إلا من نام غير رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنه كان منتصباً في أصل شجرة يصلي ويدعو حتى الصباح! راجع في من قتلهم عليه السلام في بدر: شرح الأخبار: ١/٢٦٣. أعيان الشيعة: ٦/٢٤٥. مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي/١٩٩، شرح النهج: ١٨/١٩ وغيرها.

#### ٥. يقاتل ثم يعود ليطمئن على النبي صلى الله عليه وآله

وكان جبرئيل عليه السلام يوجه النبي صلى الله عليه وآله في قتاله فكان يقاتل شوطاً ثم يرجع إلى مركزه ويدعو. ويظهر أنه بعد أن ألقى كف الحصى على المشركين، واصل الدعاء حتى وقعت الهزيمة، قال علي عليه السلام: «لما كان يوم بدر قاتلت شيئاً من قتال، ثم جئت مسرعاً لأنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ما فعل. فجئت فإذا هو ساجد يقول: يا حي يا قيوم، يا حي يا قيوم، لا يزيد عليها. فرجعت إلى القتال، ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضاً. فذهبت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك، حتى فتح الله عليه». الصحيح من السيرة: ٥/٦٨. وروت ذلك عامة مصادرهم، وفي بعضها أنه صلى الله عليه وآله رجع إلى النبي صلى الله عليه وآله مرتين، كما في النسائي: ٦/١٥٧، الطبقات: ٢/٢٦، الحاكم: ١/١٤٧، وصححه. وفي مجمع الزوائد: ١٠/١٤٧، أنها ثلاث مرات، وكذا التعاليبي عن الترمذي، وغيره.

وشارك النبي صلى الله عليه وآله في القتال، وقال علي عليه السلام: «رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وآله وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً». مكارم الأخلاق/١٨.

الليث بن سعد  
الرحمن بن محمد  
العمري

## ٦. مدحه النبي ﷺ في بدر ورفع بيده

وأكد للمسلمين أنه وزيره ووليهم من بعده، ففي الإحتجاج: ٢٠٩/١: «قال عليه السلام في احتجاجه على أعضاء شورى عمر: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أخذ رسول الله ﷺ بيده يوم بدر فرفعها حتى نظر الناس إلى بياض إبطيه وهو يقول: ألا إن هذا ابن عمي ووزيري فوازروه وناصره، فإنه وليكم بعدي، غيري؟ قالوا لا».

## ٧. وكان معه جبرئيل وميكائيل وعزرائيل عليهم السلام

«وكان جبرئيل يقاتل عن يمين علي عليه السلام وميكائيل عن يساره، وملك الموت قدماه»، «المناقب: ٥٤/٣». وسماه المشركون: الموت الأحمر. المناقب: ٤٣/٣. وسماه الطلقاء والمنافقون: قتال العرب، فعندما حمل الحسين عليه السلام على جيش عمر بن سعد الحسين في كربلاء وكانوا ثلاثين ألفاً، قال لهم عمر بن سعد: «الويل لكم أتدرون من تبارزون! هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتال العرب فاحملوا عليه من كل جانب». المناقب: ٢٥٨/٣.

وسموه: قاتل الأحبة، ففي جواهر الكلام: ٣٣١/٢١، أن أمير المؤمنين عليه السلام لما زار عائشة بعد معركة الجمل: «انتهى إلى دار عظيمة فاستفتح ففتح له، فإذا هو بنساء يبكين بفناء الدار، فلما نظرن إليه صحن صبيحة واحدة وقلن: هذا قاتل الأحبة، فلم يقل هن شيئاً وسأل عن حجرة عائشة ففتح له بابها، وسمع بينهما كلام شبيه بالمعاذير لا والله وبلى والله، ثم خرج فنظر إلى امرأة أدماء طويلة، فقال لها يا صافية فأنته مسرعة، فقال ألا تبعدين هؤلاء الكلبات يزعمن أني قاتل الأحبة! ولو كنت قاتل الأحبة لقتلت من في هذه الحجرة ومن في هذه وأوماً إلى ثلاث حجر! فذهبت إليهن وقالت هن: فما بقيت في الدار صائحة إلا سكتت ولا قائمة إلا قعدت! قال الأصبع وكان في إحدى الحجر عائشة ومن معها من خاصتها، وفي الأخرى مروان بن الحكم وشباب من قریش، وفي الأخرى عبدالله

بن الزبير وأهله! فليل للأصبع: فهلا بسطتم أيديكم على هؤلاء فقتلتموهم، أليس هؤلاء كانوا أصحاب القرحة فلم استبقيتموهم؟! قال: قد ضربنا والله بأيدينا إلى قوائم سيوفنا، وأحدنا أبصارنا نحوه لكي يأمرنا فيهم بأمر فما فعل وأوسعهم عفواً.

### ٨. كانت بدر ثالث امتحان لأمير المؤمنين عليه السلام

تحدث أمير المؤمنين عليه السلام عن بدر في مناسبات، واعتبرها أحد امتحاناته الربانية السبعة التي وفقه الله للنجاح فيها، فقال له حبر يهودي إن كتبنا تقول إن وصي هذا النبي يمتحن في حياته وبعد وفاته، فأخبرني كم هذه الإمتحانات وما هي؟ فأجابه عليه السلام: «وأما الثالثة يا أخا اليهود، فإن ابني ربيعة وابن عتبة، كانوا فرسان قريش، دَعُوا إلى البراز يوم بدر فلم يبرز لهم خلق من قريش، فأنهضني رسول الله صلى الله عليه وآله مع صاحبي رضي الله عنهما وقد فعل، وأنا أحدث أصحابي سناً وأقلهم للحرب تجربة، فقتل الله عز وجل بيدي وليداً وشبية، سوى من قتلت من جحاحجة قريش في ذلك اليوم، وسوى من أسرت، وكان مني أكثر مما كان من أصحابي. واستشهد ابن عمي في ذلك عليه السلام». الخصال/٣٦٧.

وذكر عليه السلام بدرأ، رداً على قولهم إنهم بايعوا أبا بكر يوم السقيفة خوفاً على الإسلام فقال عليه السلام: «ما لنا ولقريش؟ وما تنكر منا قريش غير أنا أهل بيت سيد الله فوق بنيانهم بنياننا، وأعلى الله فوق رؤوسهم رؤوسنا، واختارنا الله عليهم فنقموا عليه أن اختارنا عليهم! وسخطوا ما رضي الله وأحبوا ما كره الله! فلما اختارنا عليهم شركناهم في حريمتنا وعرفناهم الكتاب والسنة، وعلمناهم الفرائض والسنن وحفظناهم الصدق واللين، ودنيأهم الدين والإسلام، فوثبوا علينا وجحدوا فضلنا ومنعونا حقنا، وألّتونا أسباب أعمالنا!

اللهم فإني أستعديك على قريش فخذ لي بحقي منها، ولا تدع مظلمتي لها، وطالبهم يا رب بحقي، فإنك الحكم العدل.

يا معشر المهاجرين والأنصار: أين كانت سبقة تيم وعدي إلى سقيفة بني ساعدة خوف الفتنة؟ ألا كانت يوم الأبواء إذ تكاتف الصفوف وتكاثرت الختوف

وتقارعت السيوف؟ أم هلا خشياً فتنة الإسلام يوم ابن عبد وُدّ، وقد نفع بسيفه وشمخ بأنفه وطمح بطرفه! وهلا كانت مبادرتها يوم بدر إذ الأرواح في الصَّعْدَاء ترتقي، والجياد بالصناديد ترتدي، والأرض من دماء الأبطال ترتوي؟ ثم عدَّد عليه السلام وقايع النبي ﷺ وقرَّعها بأنهما في كل هذه المواقف كانا مع النظارة! ثم قال: ما هذه الدهماء والدهياء التي وردت علينا من قريش؟ أنا صاحب هذه المشاهد وأبو هذه المواقف، وابن هذه الأفعال الحميدة...». المناقب: ٤٦/٢.

وذكر عليه السلام بدرأ، في رسالة إلى معاوية: «فأراد قومنا قتل نبينا واجتياح أصلنا، وهما بنا الهموم وفعلوا بنا الأفاعيل، ومنعونا العذب، وأحلسونا الخوف، واضطرونا إلى جبل وعر، وأوقدوا لنا نار الحرب، فعزم الله لنا على الذب عن حوزته، والرمي من وراء حرمة، مؤمنا يبغي بذلك الأجر، وكافرنا يحامي عن الأصل. ومن أسلم من قريش خلواً مما نحن فيه، بحلف يمنعه، أو عشيرة تقوم دونه، فهو من القتل بمكان آمن. وكان رسول الله ﷺ إذا أهرم البأس وأحجم الناس قدم أهل بيته فوقى بهم أصحابه حر السيوف والأسنة! فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر، وقتل حمزة يوم أحد، وقتل جعفر يوم مؤتة. وأراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة، ولكن آجالهم عجلت، ومنيته أجلت. فيا عجباً للدهر إذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي، ولم تكن له كسابقتي التي لا يبدل أحد بمثلها، إلا أن يدعي مدع ما لا أعرفه، ولا أظن الله يعرفه، والحمد لله على كل حال». نهج البلاغة: ٨/٣.

وفي رسالة له عليه السلام إلى معاوية: «وقد دعوت إلى الحرب فدع الناس جانباً واخرج إليّ وأعف الفريقين من القتال، ليعلم أننا المرين على قلبه والمغضى على بصره! فأنا أبو حسن قاتل جدك وخالك وأخيك شذخاً يوم بدر، وذلك السيف معي، وبذلك القلب ألقى عدوي، ما استبدلت ديناً ولا استحدثت نبياً. وإني لعلی المنهاج الذي تركتموه طائعين، ودخلتم فيه مكرهين». نهج البلاغة: ٨/١١.

وفي رسالة له عليه السلام إلى معاوية أيضاً: «فأنا ابن عبد المطلب صاحب ذلك



السيف، وإن قائمه لفي يدي، وقد علمت من قتلت من صناديد بني عبد شمس، وفراغته بني سهيم وجمح وبني مخزوم، وأيتمت أبناءهم وأيتمت نساءهم، وأذكرك ما لست له ناسياً يوم قتلت أخاك حنظلة وجررت برجله إلى القليب، وأسرت أخاك عمراً فجعلت عنقه بين ساقيه رباطاً، وطلبتك ففررت ولك حصاص «نهج السعادة: ٢١٣/٤». والحصاص: ركض الشيطان إذا سمع الأذان، وركض الكلب إذا اشتد عدوه وهو يمصع بذنبه - نهاية ابن الأثير: ٣٩٦/١.

## ٩. نزل جبرئيل بذى الفقار على النبي ﷺ في بدر

### ١. نزل به جبرئيل إلى رسول الله ﷺ

ففي الكافي: ٢٣٤/١ و ٢٦٧/٨، وأمالى الصدوق: ٣٦٤ «عن الإمام الرضا عليه السلام: «سألت عن ذى الفقار سيف رسول الله ﷺ من أين هو؟ قال: هبط به جبرئيل من السماء، وكانت حليته من فضة، وهو عندي».

وفي الاحتجاج: ٢٠٠/١ أن علياً عليه السلام قال في احتجاجه على أعضاء شورى عمر: «نشدتكم بالله هل فيكم أحد نودي باسمه من السماء يوم بدر: لاسيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا عليٌّ، غيري؟ قالوا: لا».

وفي الفقيه للصدوق: ١٧٨/٤: «كان له سيفان، يقال لأحدهما ذو الفقار والأخرى: العون، وكان له سيفان آخران يقال لأحدهما: المخدم، والآخر الرسوم».

وفي تاريخ اليعقوبي: ٨٨/٢: «وكان رسم رايته العقاب، وكانت سوداء على عمل الطيلسان، وكان له سيف يقال له المخدم وسيف يقال له الرسوب، وسيفه الذي يلزمه ذو الفقار، وقد روي أن جبرئيل نزل به من السماء، فكان طوله سبعة أشبار وعرضه شبراً، وفي وسطه كال وكانت عليه قبعة فضة ونعل فضة، وفيه حلقتان فضة، ورمحه المثوي حربته العنزة، وكان يمشي بها في الأعياد بين يديه ويقول: هكذا أخلاق السنن، وقوسه الكتوم وكنانته الكافور، ونبله المتصلة، وترسه الزلوق، ومغفره السبوع، ودرعه ذات الفضول وفيها زردتان زائدتان، وفرسه السكب،

وفرس آخر المرتجز، وفرس آخر السجل، وفرس آخر البحر».

## ٢. سُمِّيَ ذُو الْفَقَارِ لْفَقْرَاتِهِ وَلأَنَّهُ يَفْقَرُ مِنْ ضَرْبٍ بِهِ

في علل الشرائع: ١٦٠/٨١ عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنما سمي سيف أمير المؤمنين عليه السلام ذا الفقار، لأنه كان في وسطه خط في طوله، فشبّه بفقار الظهر، فسمي ذا الفقار بذلك، وكان سيفاً نزل به جبرئيل عليه السلام من السماء، وكانت حلقتة فضة، وهو الذي نادى به مناد من السماء: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي. وروي أنه سمي ذا الفقار، لأنه ما ضرب به أحدٌ إلا افتقر في الدنيا والآخرة، وهو معنى متنع من إسمه.

وفي المناقب: ٨١/٣: «عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنما سمي سيف أمير المؤمنين ذو الفقار، لأنه كان في وسطه خطة في طوله مشبهة بفقار الظهر. وزعم الأصمعي أنه كان فيه ثمان عشرة فقرة. تاريخ أبي يعقوب: كان طوله سبعة أشبار، وعرضه شبر، وفي وسطه كالفقار. قال ابن حماد:

فأنزل الله ذا الفقار له	مع جبرئيل الأمين منتجبا
وقيل إن النبي ناوله	جريدة رطبة لها اجتلبا
فانقلبت ذا الفقار في يده	كرامة من إلهه وحبا
سيف يكون إلهه طابعه	فكيف ينسوا أن يقال نبا

وقال الزاهي:

من هزم الجيش يوم خيبره	وهزباب القموص واقتلعه
من هز سيف الإله بينكم	سيف من النور ذو العلى طبعه

أبو عبد الله عليه السلام: نظر النبي ﷺ إلى جبرئيل بين السماء والأرض على كرسي من ذهب وهو يقول: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي.

القاضي أبو بكر الجعاني بإسناده عن الصادق عليه السلام: نادى ملك من السماء يوم أحد يقال له رضوان: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي، ومثله في إرشاد المفيد، وأمالى الطوسي عن عكرمة وأبي رافع. وقد رواه السمعاني في فضائل

الصحابة، وابن بطة في الإبانة، إلا انها قالوا: يوم بدر. قال أحمد بن علوية:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى  
إلا أبو حسن فتى الفتيان  
قال النبي أما علمت بأنه  
مني ومنه أنا وقد أبلاني  
جبريل قال له واني منكما

وقال أبو مقاتل بن الداعي العلوي:

ومن مشى جبريل مع ميكاله  
عن جانيه في الحروب إذا مشى  
ومن ينادي جبرئيل معلناً  
والحرب قد قامت على ساق الردى  
لا سيف إلا ذو الفقار فاعلموا  
ولا فتى إلا علي في السورى

وقال الزاهي:

لا فتى في الحروب غير علي  
لا ولا صارم سوى ذي الفقار

وقال العوني:

من صاح جبريل بالصوت العلي به  
دون الخلائق عند الجحفل اللجب  
فخرا ولا سيف إلا ذو الفقار ولا  
غير الوصي فتى في هفوة الكرب

وقال منصور الفقيه:

من قال جبرئيل والأرمح شارعة  
والبيض لأمعة والحرب تشتعل  
لا سيف يذكر إلا ذو الفقار ولا  
غير الوصي إمام أيها الملل

وقال آخر:

جبريل نادى في الوغى  
والمسلمون بأسرهم  
والخيل تعثر بالجما  
هذا النداء لمن له  
لا سيف إلا ذو الفقار  
والنقع ليس بمنجل  
حول النبي المرسل  
جم والوشيح الذيل  
الزهراء ربة منزل  
ولا فتى إلا علي

وقال غيره:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى  
 إلا علي للطغاة طعون  
 ذاك الوصي فاله من مشبه  
 فضلاً ولا في العالمين قرين  
 ذاك الوصي وصي أحمد في الورى  
 عف الضماير للإله أمين  
 وقال آخر:

من كان يمدح ذاندى لنواله  
 فالمدح منى للنبي وآله  
 لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى  
 إلا علي في أو ان قتاله  
 نادى النبي له بأعلى صوته  
 يارب من والى علياً وآله».

### ٣. أنا الفتى ابن الفتى أخو الفتى

في معاني الأخبار للصدوق/١١٩: «إن أعرابياً أتى رسول الله ﷺ فخرج إليه في رداء ممشق فقال: يا محمد لقد خرجت إليّ كأنك فتى. فقال ﷺ: نعم يا أعرابي أنا الفتى، ابن الفتى، أخو الفتى. فقال: يا محمد، أما الفتى فنعم، وكيف ابن الفتى وأخو الفتى؟ فقال: أما سمعت الله عز وجل يقول: قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ، فأنا ابن إبراهيم، وأما أخو الفتى فإن منادياً نادى في السماء يوم أحد: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي، فعلي أخي وأنا أخوه».

### ٤. ما ضربت به أحداً إلا ودخل النار!

كتب ﷺ إلى حاكم خان بيت المال: «فسبحان الله، أما تؤمن بالمعاد؟ أو ما تخاف نقاش الحساب؟ أيها المعدود كان عندنا من ذوي الأبواب! كيف تسبيغ شراباً وطعاماً وأنت تعلم أنك تأكل حراماً وتشرب حراماً؟ وتبتاع الإماء وتنكح النساء من مال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين، الذين أفاء الله عليهم هذه الأموال وأحرز بهم هذه البلاد. فاتق الله واردد إلى هؤلاء القوم أموالهم، فإنك إن لم تفعل ثم أمكنني الله منك، لأعذرن إلى الله فيك، ولأضربك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً إلا دخل النار!» نهج البلاغة: ٦٢/٣.

## ٥. قيل كان يعوجُ فيقيمهُ على ﷺ بركبته

وفي شرح النهج: ٢/٢٨٢ في حربه ﷺ للخوارج: «التفت إلى أصحابه فقال لهم: شدوا عليهم فأنأ أول من يشد عليهم. وحمل بذي الفقار حملة منكرة ثلاث مرات كل حملة يضرب به حتى يعوج متنه، ثم يخرج فيسويه بركبتيه، ثم يحمل به».

## ٦. انكسر سيفه يوم أحد فأعطاه النبي ﷺ ذا الفقار

في علل الشرائع: ٧/١ عن الإمام الصادق ﷺ قال في أحد: «وكان علي ﷺ كلما حملت طائفة على رسول الله ﷺ استقبلهم وردهم حتى أكثر فيهم القتل والجراحات حتى انكسر سيفه. فجاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إن الرجل يقاتل بسلاحه وقد انكسر سيفي، فأعطاه سيفه ذا الفقار، فما زال يدفع به عن رسول الله ﷺ حتى أثر وانكسر، فنزل عليه جبرئيل ﷺ وقال: يا محمد، إن هذه هي الموساة من علي لك، فقال النبي ﷺ: إنه مني وأنا منه، فقال جبرئيل وأنا منكما. وسمعوا دويأ من السماء: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي».

الكتاب  
الشمس  
القمي

الخرائج: ١٤٨/١ قال علي ﷺ: «انقطع سيفي يوم أحد فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت: إن المرء يقاتل بسيفه، وقد انقطع سيفي، فنظر إلى جريدة نخل عتيقة يابسة مطروحة فأخذها بيده، ثم هزها فصارت سيفه ذا الفقار فناولنيه، فما ضربت به أحداً إلا وقده بنصفين».

أقول: يظهر من ذلك أن سر ذي الفقار من رسول الله ﷺ، وأنه كان له وقد يعطيه لعلي ﷺ في المعركة، ولما انكسر في أحد عوض الله نبيه بأن أمره أن يهز جريدة النخل اليابسة، فكانت ذا الفقار بنفس خصائصه. وروي أنه ﷺ أعطاه لعلي ﷺ لما برز إلى عمرو بن ود، بعد أحد بستين.

وفي المناقب: ٨١/٣: «وقد روى كافة أصحابنا أن المراد بهذه الآية: وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ. ذو الفقار أنزل به من السماء على النبي ﷺ فأعطاه علياً. وسئل الرضا ﷺ من أين هو؟ فقال: هبط به جبرئيل من السماء، وكان حلية من فضة وهو عندي. وقيل: أمر جبرئيل أن يتخذ من صنم حديد في اليمن فذهب علي

وكسره واتخذ منه سيفين: مخدّم، وذا الفقار وطبعها عمير الصيقل، وقيل: صار إليه يوم بدر أخذه من العاص بن منبه السهمي وقد قتله، وقيل: كان من هدايا بلقيس إلى سُليمان، وقيل: أخذه من منبه بن الحجاج السهمي في غزاة بني المصطلق بعد أن قتله، وقيل: كان سعف نخل نفث فيه النبي ﷺ فصار سيفاً، وقيل: صار إلى النبي ﷺ يوم بدر فأعطاه علياً عليه السلام، ثم كان مع الحسن، ثم مع الحسين، إلى أن بلغ المهدي عليه السلام.

والذي أرجحه أن ذا الفقار نزل من السماء، ولكنه كان قابلاً للكسر كأبي سيف، فانكسر بيد علي عليه السلام مرات، وعوضه الله بسعفة نخل صارت بيد النبي ﷺ ذا الفقار. وفي إحداها أمر نبيه بأن يصنعه من حديد هو قاعدة صنم في اليمن وأصل ذلك الحديد من سليمان عليه السلام، فبعث علياً عليه السلام وأتى به وأعطاه للحداد فصنع منه ذا الفقار. ففي بصائر الدرجات/٢٠٦: «عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: جاء جبرئيل إلى النبي ﷺ فقال يا محمد، إن باليمن صنماً من حجارة، له مقعد من حديد، فابعث إليه حتى يجاء به، قال فبعثني النبي ﷺ إلى اليمن فجئت بالحديد، فدفعته إلى عمر الصيقل، فضرب عنه سيفين ذا الفقار ومُخَدَّمًا، فتقلد رسول الله ﷺ مخدَّمًا وقلدني ذا الفقار، ثم إنه صار إليّ بعدُ مخدّم». أقول: ظاهر قوله تعالى: وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ، أنه نازل من السماء، وقيل إنه غبار من كواكب أخرى. وورد أن للمهدي عليه السلام أنصاراً من كواكب أخرى حديدهم ليس كحديدكم، فيبدو أن حديد ذي الفقار يختلف عن الحديد العادي، وقد روي أن ضربته ترك أثراً كالكي بالنار، ولم أعثر عليها الآن، وهي من روايات صفين.

#### ٧. وقاتل الحسين عليه السلام بذئ الفقار يوم عاشوراء

في أمالي الصدوق/٢٢٢: «ثم وثب الحسين عليه السلام متوكئاً على سيفه، فنادى بأعلى صوته، فقال: أنشدكم الله، هل تعرفوني؟ قالوا: نعم، أنت ابن رسول الله وسبطه.. قال: فأنشدكم الله، هل تعلمون أن هذا سيف رسول الله ﷺ وأنا

مقلده؟ قالوا: اللهم نعم. قال: فأشهدكم الله، هل تعلمون أن هذه عمامة رسول الله ﷺ أنا لابسها؟ قالوا: اللهم نعم.. قال: فبم تستحلون دمي، وأبي الذائد عن الحوض غداً، يذود عنه رجالاً كما يذاد البعير الصادي عن الماء، ولواء الحمد في يدي جدي يوم القيامة؟ قالوا: قد علمنا ذلك كله، ونحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشاً! فأخذ الحسين ﷺ بطرف لحيته، وهو يومئذ ابن سبع وخسين سنة، ثم قال: اشتد غضب الله على قوم قتلوا نبيهم، واشتد غضب الله على هذه العصابة الذين يريدون قتل ابن نبيهم».

#### ٨. ذو الفقار في موارث النبي ﷺ

في الكافي: ٢٣٦/١ عن الإمام الصادق ﷺ قال: «لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة دعا العباس بن عبد المطلب وأمير المؤمنين ﷺ فقال للعباس: يا عم محمد تأخذ تراث محمد وتقضي دينه وتنجز عاداته؟ فرد عليه فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي إني شيخ كثير العيال قليل المال، من يطيقك وأنت تباري الريح، قال: فأطرق ﷺ هنيئاً ثم قال: يا عباس أتأخذ تراث محمد وتنجز عاداته وتقضي دينه؟ فقال بأبي أنت وأمي شيخ كثير العيال قليل المال وأنت تباري الريح. قال: أما إني سأعطيها من يأخذها بحقها، ثم قال: يا علي يا أخا محمد أنتجز عادات محمد وتقضي دينه وتقض تراثه؟ فقال: نعم بأبي أنت وأمي ذاك علي ولي. قال العباس: فنظرت إليه حتى نزع خاتمته من أصبعه فقال: تحتتم بهذا في حياتي، قال: فنظرت إلى الخاتم حين وضعته في أصبعي فتمنيت من جميع ما ترك الخاتم. ثم صاح: يا بلال عليّ بالمغفر، والدرع، والراية، والقميص، وذي الفقار، والسحاب، والبرد، والأبرقة، والقضيب. قال: فوالله ما رأيتها غير ساعتى تلك -يعني الأبرقة- فجيبىء بشقة كادت تخطف الأبصار، فإذا هي من أبرق الجنة فقال: يا علي إن جبرئيل أتاني بها، وقال: يا محمد اجعلها في حلقة الدرع واستدفر بها مكان المنطقة. ثم دعا بزوجي نعال عربيين جميعاً، أحدهما مخصوف والآخر غير مخصوف، والقميصين القميص الذي أسري به فيه، والقميص الذي خرج فيه يوم أحد، والقلائس الثلاث: قلنسوة السفر، وقلنسوة العيدين والجمع، وقلنسوة كان

يلبسها ويقعد مع أصحابه. ثم قال: يا بلال علي بالبعثتين: الشهباء والدلدل، والناقتين: العضباء والقصوى، والفرسين: الجناح كانت توقف بباب المسجد لحوائج رسول الله ﷺ يبعث الرجل في حاجته فيركبه فيركضه في حاجة رسول الله ﷺ، وحيزوم، وهو الذي كان يقول أقدم حيزوم، والحمار عفير، فقال: أقبضها في حياتي. فذكر أمير المؤمنين عليه السلام إن أول شيء من الدواب توفي عفير ساعة قبض رسول الله ﷺ قطع خطامه ثم مر يركض، حتى أتى بئر بني خطمة بقباء فرمى بنفسه فيها، فكانت قبره .»

#### ٩. ذو الفقار من علامات الإمام عليه السلام

في عيون أخبار الرضا عليه السلام ١٩٢/١٤٢ قال الإمام الرضا عليه السلام: «للإمام علامات: يكون أعلم الناس وأحكم الناس وأتقى الناس وأحلم الناس وأشجع الناس وأسخى الناس وأعبد الناس.. ويكون عنده سلاح رسول الله ﷺ وسيفه ذو الفقار.»

#### ١٠. طلبه المسور ابن مخرمة من الإمام زين العابدين عليه السلام

ففي مسند أحمد: ٢٢٦/٤ والبحاري: ٤٧/٤: «ابن شهاب أن علي بن حسين حدثه أنهم حين قدموا المدينة من عند يزيد بن معاوية، مقتل حسين بن علي رحمة الله عليه لقيه المسور بن مخرمة فقال له: هل لك إلي من حاجة تأمرني بها؟ فقلت له: لا، فقال: فهل أنت معطي سيف رسول الله ﷺ فإني أخاف أن يغلبك القوم عليه. وأيم الله لئن أعطيتني لا يخلص إليهم أبداً حتى تبلغ نفس.»

وفي فتح الباري: ١٤٩/٦: «والذي يظهر أن المراد بالسيف المذكور ذو الفقار الذي تنفله يوم بدر، ورأى فيه الرؤيا يوم أحد.»

وذكر ابن حجر وغيره أن غرض المسور حفظ السيف له إكراماً لجدته فاطمة عليها السلام.

#### ١١. وقالوا إنه كان سيف منبه بن الحجاج

قال البلاذري في أنساب الأشراف: ١٤/١: «وأما نبيه فقتله علي بن أبي طالب. وقتل أيضاً العاص بن منبه، وكان صاحب ذي الفقار، سيف رسول الله ﷺ وذلك الثبت. وبعضهم يقول: إنه كان سيف منبه.»



وقال الواقدي في المغازي: ١٠٣/١: «عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال: تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يومئذ، وكان لمنبه بن الحجاج». وقال الطبري: ١٧٢/٢: «وفي غزوة بدر انتقل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار وكان لمنبه بن الحجاج. وفيها غنم جمل أبي جهل، وكان مهرياً يغزو عليه». أقول: لعلهم وضعوا هذه الروايات ليسلبوا علياً فضيلة نزول ذي الفقار من السماء.

## ١٢. وادعاه العباسيون والحسينيون

قال العينبي في عمدة القاري: ٣٣/١٥: «ولم يزل ذو الفقار عنده ﷺ حتى وهبه لعلي رضي الله تعالى عنه قبل موته ثم انتقل إلى آله. وكانت له عشرة أسياف منها: ذو الفقار، تنفله يوم بدر».

وفي الطبري: ٢١٩/٦: «الأصمعي قال: رأيت الرشيد أمير المؤمنين بطوس متقلداً سيفاً فقال لي: يا أصمعي ألا أريك ذا الفقار؟ قلت بلى جعلني الله فداك، قال: استل سيفي هذا، فاستلته فرأيت فيه ثمان عشرة فقارة».

وفي وفيات الأعيان: ٣٣٠/٦: «كان سبب وصوله إلى هارون الرشيد فيما ذكره أبو جعفر الطبري بإسناد متصل إلى عمر بن المتوكل عن أمه وكانت أمه تخدم فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنها قالت: كان ذو الفقار مع محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم قتل في محاربه لجيش أبي جعفر المنصور العباسي والواقعة مشهورة، فلما أحس محمد بالموت دفع ذا الفقار إلى رجل من التجار كان معه وكان له عليه أربع مائة دينار وقال له خذ هذا السيف، فإنك لا تلقى أحداً من آل أبي طالب إلا أخذته منك وأعطاك حقه».

وفي الكافي: ٢٣٣/١: قيل للإمام الصادق عليه السلام إن شخصين يزعمان أن عبدالله بن الحسن عنده سيف رسول الله ﷺ، فقال: «والله ما رآه عبدالله بن الحسن بعينه ولا بواحدة من عينيه، ولا رآه أبوه، اللهم إلا أن يكون رآه عند علي بن الحسين، فإن كانا صادقين فما علامة في مقبضة، وما أثر في موضع مضر به!

وإن عندي لسيف رسول الله ﷺ، وإن عندي لراية رسول الله ﷺ ودرعه ولأتمته ومغفره، فإن كانا صادقين فما علامة في درع رسول الله ﷺ؟

وإن عندي لراية رسول الله ﷺ المغلبة، وإن عندي ألواح موسى وعصاه، وإن عندي لخاتم سُليمان بن داود، وإن عندي الطست الذي كان موسى يقرب به القربان، وإن عندي الإسم الذي كان رسول الله ﷺ إذا وضعه بين المسلمين والمشركين لم يصل من المشركين إلى المسلمين نشابة. وإن عندي لمثل التابوت الذي جاءت به الملائكة. ومثل السلاح فينا كمثل التابوت في بني إسرائيل، في أي أهل بيت وجد التابوت على أبوابهم أو توا النبوة، ومن صار إليه السلاح منا أوتي الإمامة، ولقد لبس أبي درع رسول الله ﷺ فخطت على الأرض خطيماً ولبستها أنا فكانت وكانت، وقائمتنا من إذا لبسها ملأها إن شاء الله .

وصححه المجلسي الأول في روضة المتقين: ٢٤٣/١٢ وقال: «وفي البصائر في الموثق كالصحيح عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لبس أبي درع رسول الله ﷺ ذات الفضول فخطت، ولبستها أنا فضلت».

إلى غير ذلك من الأخبار الصحيحة المتواترة فيما تقدم.

وفي بصائر الدرجات/٢٠٥: «أتاني إسحاق بن جعفر فعظم عليّ بالحق والحرمة السيف الذي أخذه هو سيف رسول الله. فقلت: لا، كيف يكون هذا وقد قال أبو جعفر عليه السلام: مثل السلاح فينا مثل التابوت في بني إسرائيل حيثما دار دار الأمر».

#### ١٠. غُلُوُّ السُّلْطَةِ فِي الصَّحَابَةِ الْبَدْرِيِّينَ، غَيْرِ عَلِيٍّ

كانت معركة بدر معجزة ربانية، وسر إعجازها النبي ﷺ والملائكة، وبطولة علي عليه السلام وبني هاشم. وقد سرقت السلطة القرشية ذلك وأعطته لكل الصحابة وجعلتهم جميعاً كالملائكة: أبطالاً أحياناً أبراراً، من أهل الجنة! ويكفي جواباً على زعمهم: سورة الأنفال التي نزلت خصيصاً في بدر،

وكشفت سقوط صحابة بدرين خرجوا من المدينة على كره كأنهم يساقون إلى الموت!

ومنهم من أراد من النبي ﷺ أن يرجع ولا يقاتل قريشاً، بنص رواة «الخلافة»!

ومنهم من كان يلحُّ على النبي ﷺ في مكة أن يقاتل قريشاً فيقول لهم كفوا أيديكم

واصبروا، فلما كتب عليه القتال في بدر اعترضوا على ربهما لماذا كتب عليهم القتال،

ونكصوا عن مبارزة الفرسان، وفروا إلى خلف الصفوف، جنباً وحباً للحياة! فوبخهم

الله تعالى بقوله: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ

عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يُخَشِنُونَ النَّاسَ كَخَشِيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشِيَةً

ومنهم: من اختلفوا على الغنائم، واتهموا بعضهم البعض طمعاً بدراهم معدودات

أو بفرس أو بعير، أو ثوب قماش، أو نصف كيس شعير!

ومنهم: من أعماه الطمع وأفقده دينه فاتهم نبيه ﷺ بأنه سرق قطيفةً أو عباءة!

فكذبهم الله تعالى بقوله: وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلَّ وَمَنْ يَكُلَّ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

ونورد في العناوين التالية بعض الحقائق عن مواقف بعض الصحابة في بدر:

### ٦ . منافقون تحمسوا للقتال في مكة ونكصوا في بدر!

قال الله عزَّ وجل: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا

كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يُخَشِنُونَ النَّاسَ كَخَشِيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشِيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ

عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظَلَمُونَ فَتِيلًا

فالآية تتحدث عن منافقين كانوا في مكة يطالبون النبي ﷺ بقتال المشركين فأمرهم

بكف أيديهم، ولم يأمر بكف اليد في المدينة، فلما كتب الله عليهم القتال بعد الهجرة،

ظهر نفاقهم وأنهم جنباء يخافون الناس أكثر مما يخافون الله!

كما ظهرت وقاحتهم فاعترضوا على الله تعالى لماذا كتب عليهم القتال الآن؟!

وكشفت أسماء بعضهم رواية الواحدي في أسباب النزول/ ١١١ وابن حجر: ٩١٨/٢،

قال: «نزلت هذه الآية في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ منهم عبد الرحمن بن

عوف، والمقداد بن الأسود، وقدامة بن مظعون، وسعد بن أبي وقاص، كانوا يلقون

من المشركين أذى كثيراً ويقولون: يا رسول الله إنذن لنا في قتال هؤلاء، فيقول لهم: كفوا أيديكم عنهم، فإني لم أومر بقتالهم، فلما هاجر رسول الله إلى المدينة، وأمرهم الله تعالى بقتال المشركين، كرهه بعضهم وشق عليهم فأنزل الله تعالى هذه الآية!

وروى الحاكم ٦٦/٢ و٣٠٧، أنها نزلت في عبدالرحمن بن عوف، وأصحاب له، وصححه على شرط بخاري، قال: «أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا نبي الله كنا في عز ونحن مشركون فلما آمننا صرنا أذلة؟! فقال: إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم، فلما حوله الله إلى المدينة أمره بالقتال فكفوا! فأنزل الله تبارك وتعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ». والنسائي ٣/٣ و٣٢٥/٦، البيهقي ١١/٩، والطبري في تفسيره: ٢٣٤/٥. وروى الطبري أيضاً أنها نزلت في: «أناس من أصحاب رسول الله. كانوا قد آمنوا به وصدقوه قبل أن يفرض عليهم الجهاد.. فلما فرض عليهم القتال شقَّ عليهم!» وقال الرازي في تفسيره: ١٨٤/١٠: «والأولى حمل الآية على المنافقين، لأنه تعالى ذكر بعد هذه الآية قوله: وَإِن تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِن تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ، ولا شك أن من هذا كلام المنافقين. فالمعطوف في المنافقين وجب أن يكون المعطوف عليهم فيهم أيضاً».

وسمى الثعلبي: ٣٤٥/٣ منهم أربعة ورجح أنها: «نزلت في قوم كانوا مؤمنين، فلما فرض عليهم الجهاد نافقوا عن الجهاد من الجبن وتخلفوا عن الجهاد. وبدل عليه أن الله لا يتعبد الكافر والمنافق بالشرائع، بل يتعبدهم أولاً بالإيمان ثم بالشرائع، فلما نافقوا نبه الله على أحوالهم. وقد قال الله مخبراً عن المنافقين أنهم آمنوا ثم كفروا». وقال البغوي: ٤٥٣/١: «يخشون الناس: يعني يخشون مشركي مكة». وفي برهان الزركشي: ٤٢٢/١: «فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ. هذه الإشارة للفريق الذين نافقوا من القوم: الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ».

وفي تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ٧٤/٧: «إذا فريق منهم: طائفة منهم طلحة بن عبد الله. يخشون الناس: يخافون أهل مكة».

وفي العجاب لابن حجر: ٩١٨/٢: «من هذا الفريق طلحة بن عبيدالله، كذا قال، ولعله كان ممن قال ذلك أولاً، وأما الفريق الذين قالوا: لم كتبت علينا القتال فاللائق أنهم ممن لم يرسخ الإيمان في قلبه، وطلحة كان من الراسخين!»

وتصدى علماء السلطنة للدفاع عن ذمهم الله، فقالوا إن خوفهم طبيعي! وقال بعضهم يستحيل أن يكون هؤلاء من الصحابة، فردوا بذلك القرآن!

قال القرطبي: ٢٨١/٥: «معاذ الله أن يصدر هذا القول من صحابي كريم يعلم أن الأجل محدودة والأرزاق مقسومة، بل كانوا لأوامر الله ممثلين سامعين طائعين!» وهذه مكابرة منهم أو ردُّ على الله تعالى! لأن المذمومين صحابة منافقون كانوا في بدر! وهم أكثر من خمسة، وقد جبنوا في بدر وتخجؤوا خلف المقاتلين، وطعموا بالغانم واطعموا البعض بالغل والسرقة! واطعموا نبيهم ﷺ بأنه غلّ قطيفة حمراء! وتجد بقية صفاتهم في سورة الأنفال الفاضحة!

وقد خلطوا بهم شخصاً بريئاً هو المقداد ﷺ! ونسوا أنهم روي أن، موقفه عكس ذلك تماماً! ففي البخاري: ١٨٧/٥ أن النبي ﷺ استشار أصحابه فقال المقداد: «يا رسول الله إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: فَادْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلْ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ، ولكن إمض ونحن معك! فكَأَنَّهُ سُرِّيَ عَن رَسُولِ اللَّهِ». ومعنى سُرِّيَ عنه: أنه ارتاح لكلامه بعد غضبه من أهل آية: كَفُّوا أَيْدِيَكُمْ، الَّذِينَ خَوْفُهُ مَن قَرِيشَ، وأنها ما ذلت منذ عزت، وأن من قاتلها ذل!

### ٧. مرضى القلوب «مكيون بدريون»!

ذكر الله تعالى «الذَّيْبَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» في اثنتي عشرة آية، وجعلهم قسماً مقابل المؤمنين والمنافقين والمشركين. وحذر منهم من أوائل البعثة في سورة المدثر فقال: وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً.. وَلَيَقُولُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا. «المدثر: ٣١» ثم ذكرهم في معركة بدر فقال: إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّهُ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. الأنفال / ٤٩.

ثم ذكرهم في معركة الأحزاب: هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا. وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا. الأحزاب ١٧-١٢.

وقد دلس أتباع السلطة فجعلوهم قسماً من المنافقين مع أنهم قسم مقابلهم! ثم جعلوا المنافقين كلهم من المدينة وقالوا ليس في القرشيين منافق! لكنهم اصطدموا بأية كفوا أيديكم، وهي في صحابة كبار وبالآية ٣١ من المدثر المكية، فهم موجودون في مكة قبل الهجرة إذن، لكن أتباع السلطة القرشية يكابرون! قال في الكشف: ١٨٤/٤: «فإن قلت: كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون، والسورة مكية ولم يكن بمكة نفاق، وإنما نجم بالمدينة؟ قلت: معناه: وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة».

وهذه مكابرة أخرى لإبعاد النفاق عن القرشيين! لأن الآية نزلت في مكة في منافقين موجودين، وليس في أناس سيأتون بعد بضع عشرة سنة!

ومن مكابرتهم أيضاً حصرهم سبب النفاق بالخوف لإبعاده عن القرشيين، مع أن سببه قد يكون الطمع بموقع مع النبي ﷺ، بل هو أكثر إغراءً لشخص معدم من عشيرة معدمة، يسمع بأن كنوز كسرى وقيصر ستقع في يد ذلك النبي ﷺ. ولهذا السبب نجد أن القرآن حذر من مرضى القلوب القرشيين في مكة، ثم في بدر، وأحد، والأحزاب، وبقية حياة النبي ﷺ، وبعده!

وتدلك صفاتهم على أنهم طبقة سياسية منافقة، لها طموح سياسي مفرط، وأنهم حشريون يتدخلون في كل قضية! بل يحددون الله تعالى ما يجب أن يفعله، ويقولون إن جعله زبانية جهنم تسعة عشر اشتباه! ماذا أراد الله بهذا مثلاً؟!

وتراهم يسخرون من المؤمنين الذين أطاعوا النبي ﷺ وشجعوه على المضي إلى بدر لقتال قريش: إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ

وتراهم يعترضون على النبي ﷺ ويحملونه مسؤولية الهزيمة في أحد، لأنه لم يشركهم في القيادة، ولم يأخذ برأيهم في الإدارة! يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ.. يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا تُتِلَّنَا هَاهُنَا

ولم يترجع فضولهم ولا خفَّ جُنبنهم، فوصفهم الله تعالى في حرب الأحزاب: وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا.. وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا. الأحزاب / ١٠ و١٢.

وكشف الله تعالى عدداً من صفاتهم، ورسم فيها خوفهم: وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَوْلَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرَ قَلَّوْا صَدَقُوا اللَّهُ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ. محمد / ٢٠-٢١.

ثم أخبرهم الله تعالى بأنهم سيحكمون الأمة بعد النبي ﷺ ويفسدون! وأنهم استحقوا اللعن والطرده من رحمة، لأنهم عرفوا الهدى جيداً ثم كفروا، وأخفوا كفرهم! وأخبرهم بأنهم عقدوا اتفاقية سرية مع اليهود على طاعتهم في إبعاد عترة النبي ﷺ عن خلافته! فقال عز وجل: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ. أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالًا. إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيَاطِطُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ. محمد / ٢٢-٢٦.

وقد أقسم الإمام الصادق عليه السلام على أن مرض قلوبهم هو عداوة أهل البيت عليه السلام، لأن هدفهم من إسلامهم سرقة دولة النبي ﷺ والوصول إلى الحكم وإبعاد عترة النبي ﷺ! قال عليه السلام في حديث النداء السماوي: «يرتاب يومئذ الذين في قلوبهم مرض. والمرض والله عداوتنا». غيبة النعماني / ٢٦٧.

فمرضى القلوب هم الطبقة السياسية من المنافقين، الذين يعيشون ذواتهم فقط ويقىسون الأمور والأشياء بالنفع والضرر المادي الشخصي، ويزيدون على المنافقين بأنهم يفسرون الأمور دائماً بالمعادلات السياسية، ويتعاملون مع النبي ﷺ بهذه المعادلة ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً!

وقد يصير المنافق من مجموعة مرضى القلوب، كما في قوله تعالى عن ولاء اليهود والنصارى: فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهَا يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَنْ نُصِيبَ دَائِرَةً. وهذا قول رئيس المنافقين ابن سلول «تفسير القمي ١٧٠/١ والطبري ٣٧٦/٦» لكنه أيضاً من مرضى

القلوب، لطموحه ومنهجه السياسي المادي!

وهذا هو السبب في وصف الله تعالى لمرض القلب بأنهم رجس، لأن أحدهم يجعل نفسه إلهاً مقابل الله تعالى، وقيماً على الرسول ﷺ، بل على ربه عز وجل! وهذا عمل شيطاني يستحق صاحبه عليه العقوبة، قال تعالى: **وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ**. التوبة: ١٢٥.

وقد حاول رواة السلطة إبعاد الرجس عن القرشيين، وجعلوه لأناس ارتدوا وحاربوا النبي ﷺ وقتلوا في بدر! قال ابن إسحاق: ٢٩٠/٣: «كانوا أسلموا ورسول الله ﷺ هاجر إلى المدينة وحبسهم أبأؤهم وعشائرتهم بمكة وفتنهم فافتنوا، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر فأصيبوا به جميعاً، فهم فتية مسلمون! فمن بني أسد بن عبد العزى بن قصي الحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، ومن بني مخزوم أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة، ومن بني جمح علي بن أمية بن خلف، ومن بني سهم العاص بن منبه بن الحجاج». ونحوه تفسير الطبري: ٢٩١/١٠، عن مجاهد، وفيه: «خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم، فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: غر هؤلاء دينهم حتى قدموا على ما قدموا عليه مع قلة عددهم وكثرة عدوهم!» وتفسير الصنعاني: ٢٦١/٢، مجمع الزوائد: ٧٨/٦، فتح الباري: ١٩٨/٨ وشرح النهج: ١٥٦/١٤.

وهذا التفسير مضحك، لأن الذين قاتلوا النبي ﷺ مع قريش مع المشركين ومن المشركين، فلا يوصف بأنه من فئة المنافقين أو من فئة الذين في قلوبهم مرض! ولا يطمح أن يكون له شراكة في القيادة مع النبي ﷺ ليقول: **هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ؟** وقد أجاد صاحب تفسير الميزان: ١٠٩/٩ فقال: «سياق الآية الظاهر في حضورهم، وقولهم ذلك عند التقاء الفتتين يأبى ذلك. والذي ذكره لا ينطبق على الآية البتة فالقرآن لا يسمي المشركين منافقين ولا الذين في قلوبهم مرض».

وقصده أنه القرآن يعبر عن الكفار بالمشركين، ولا يسميهم مرضى القلوب ومنافقين.



## ٨. «صحابية» اتهموا النبي ﷺ بأنه غُلّ

يأخذك العجب عندما تقرأ أن الصحابة البدرين «الأبرار الأخيار» بعد انتصارهم في بدر، اختلفوا على الغنائم وتشاجروا وساءت أخلاقهم، واتهم بعضهم بعضاً، وبلغ بهم الأمر أن اتهموا نبيهم ﷺ بأنه سرق قطيفة، فبرأه الله تعالى!

قال عبادة بن الصامت كما في تاريخ الذهبي: ٦٤/٢: «نزلت الأنفال حين تنازعنا في الغنيمة وساءت فيها أخلاقنا، فزعه الله من أيدينا، وجعله إلى رسوله ﷺ فقسمه بين المسلمين على السواء».

ومن المؤكد أن هؤلاء المشاجرين على الخطام، ليسوا أبطال بدر ولا صنّاع نصرها، ولا أظن أن فيهم مقاتلاً حتى من الدرجة الثانية والثالثة! بل هم من الذين يلتطون خلف الصفوف! والذين اتهموا النبي ﷺ بأنه سرق قطيفة، لا يمكن أن يكونوا مؤمنين به! وأما الذي سرق قطيفة وطمرها بعيداً في التراب، واتهم بها النبي ﷺ فهو كأي بدوي سارق مُفترٍ، لامن الصحابة ولا المؤمنين!

وخلاصة ما حدث بعد المعركة: أن قريشاً انهزمت عند الظهر فانشغل بعض المسلمين بتعقب الفارين، وكان همُّ بعضهم أن يأخذ أسيراً ليربح فديته، مع أن النبي ﷺ نهاهم عن الأسر حتى يشخنوا فيهم. وقسم آخر منهم سارع إلى أخذ الغنائم، وكانت كلها: «مئة وخمسين من الإبل وعشرة أفراس. وعند ابن الأثير: ثلاثين فرساً، ومتاعاً، وسلاحاً، وأنطاعاً، وأدماً كثيراً». الصحيح: ٨٩/٥.

والمناع: الوسائل. والأنطاع: ما يفرش. والأدم المواد الغذائية: كالجن واللحم. واشتكى بعضهم للنبي ﷺ بأن فلاناً أخذ لنفسه شيئاً، أو أخذ كثيراً، فلم يترك له شيئاً، فأمرهم النبي ﷺ أن يردوا جميع ما أخذوه حتى ينزل فيه أمر الله، فردوه على مريض، وفقدوا بعضه، ومنه القطيفة التي اتهموه ﷺ بها.

وساق النبي ﷺ الأسرى والغنائم حتى وصل إلى الصفراء، فنزلت سورة الأنفال، وفيها أن الغنائم للنبي ﷺ خاصة فوزعها عليهم بالسوية، وقتل هناك أحد أشرار قريش، وساق بقية الأسرى إلى المدينة. قال الطبري: ١٥٦/٢: «ثم إن رسول الله ﷺ

الصحابة  
الذين  
اتهموا  
النبي ﷺ

أمر بها في العسكر مما جمع الناس فجمع فاختلف المسلمون فيه!

وقال علي بن إبراهيم القمي: ١٢٦/١: «كان سبب نزولها أنه كان في الغنيمة التي أصابوها يوم بدر قطيفة حمراء ففقدت، فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: ما لنا لا نرى القطيفة، ما أظن إلا أن رسول الله أخذها! فأنزل الله في ذلك: وَمَا كُنَّا لِنَنبِيَّ أَنْ يُغَلََّ النَّخ. فجاء رجل إلى رسول الله فقال: إن فلاناً غل قطيفة فأخبأها هنالك، فأمر رسول الله ﷺ بحفر ذلك الموضع، فأخرج القطيفة!»

وفي شرح النهج: ١٦٨/١٤، أنهم طلبوا من النبي ﷺ أن يستغفر له فلم يفعل! وفي الترمذي: ٢٩٧/٤ وأبي داود: ٢٤٣/٢: «قال بعض الناس: لعل رسول الله أخذها». وفي عدد من رواياتهم بدون لعل! كالطبراني الكبير: ٢٨٨/١١، وتفسير الطبري: ٢٠٦/٤، عن ابن عباس قال: «كانت قطيفة فقدت يوم بدر فقالوا: أخذها رسول الله!» وفي تفسير الثعالبي: ١٣٤/٢: «وقد روي أن المفقود إنما كان سيفاً».

وفي أسباب النزول: ٨٤، والعجاب لابن حجر: ٧٧٧/٢ وغيرهما: «لكن المنافقين اتهموا رسول الله ﷺ في شيء من الغنيمة، فأنزل الله عز وجل: وَمَا كُنَّا لِنَنبِيَّ أَنْ يُغَلََّ...». فقد اعترف أتباع السلطة بأن البدرين كان فيهم منافقون، فلماذا لا يكون فيهم مرضى القلوب وهم سادتهم؟! وكيف يقال لهؤلاء: عدول ومن أهل الجنة؟!

وفي أمالي الصدوق: ١٦٤: «قال علقمة: فقلت للصادق عليه السلام: يا ابن رسول الله إن الناس ينسبوننا إلى عظام الأمور، وقد ضاقت بذلك صدورنا! فقال عليه السلام: يا علقمة، إن رضا الناس لا يملك وألسنتهم لا تضبط! فكيف تسلمون مما لم يسلم منه أنبياء الله ورسله وحججه عليهم السلام؟! ألم ينسبوا يوسف عليه السلام إلى أنه هم بالزنا؟ ألم ينسبوا أيوب عليه السلام إلى أنه ابتلي بذنوبه؟ ألم ينسبوا داود عليه السلام إلى أنه تبع الطير حتى نظر إلى امرأة أوريا فهوها؟ وأنه قدم زوجها أمام التابوت حتى قتل ثم تزوج بها؟ ألم ينسبوا موسى عليه السلام إلى أنه عين، وأذوه حتى برأه الله مما قالوا وكان عند الله وجهاً؟ ألم ينسبوا جميع أنبياء الله إلى أنهم سحرة طلبة الدنيا؟ ألم ينسبوا مريم بنت عمران عليها السلام إلى أنها حملت بعيسى من رجل نجار اسمه يوسف؟!

ألم ينسبوا نبينا محمداً ﷺ إلى أنه شاعر مجنون؟ ألم ينسبوه إلى أنه هوى امرأة زيد بن حارثة فلم يزل بها حتى استخلصها لنفسه؟ ألم ينسبوه يوم بدر إلى أنه أخذ لنفسه من المغنم قطيفة حمراء حتى أظهره الله عز وجل على القطيفة وبرأ نبيه ﷺ من الخيانة، وأنزل بذلك في كتابه: وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ

ألم ينسبوه إلى أنه ينطق عن الهوى في ابن عمه علي ﷺ حتى كذبهم الله عز وجل فقال سبحانه: مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ... النجم: ٣، ٤

### ٩. سبب تعمد «الخلافة» الغلو في أهل بدر؟

قال في الصحيح من السيرة: ١٣٤/٥، تحت عنوان: أهل بدر مغفور لهم: «ويذكرون أنه حينما كان رسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى أهل مكة يحذرهم، وأعطاه امرأة لتوصله إليهم، فأخبر جبرئيل النبي بالأمر فأرسل علياً ونفراً معه إلى روضة خاخ، موضع بين مكة والمدينة، ليأخذوا الكتاب منها، فأدركوها في ذلك المكان وفتشوا متاعها فلم يجدوا شيئاً، فهموا بالرجوع فقال علي: والله ما كذبنا ولا كذبنا، وسل سيفه وقال لها: أخرجي الكتاب وإلا لأضربن عنقك، فلما رأت الجدة أخرجته من ذؤابتها! فرجعوا بالكتاب إلى النبي ﷺ فأرسل إلى حاطب فسأله عنه فاعترف به، وادعى أنه إنما فعل ذلك لأنه خشيم على أهله، فأراد أن يتخذ عندهم بدءاً، فصدقه رسول الله ﷺ وعذره، لكن عمر بن الخطاب رأى أن حاطباً خان الله ورسوله فطلب من النبي أن يضرب عنق حاطب فقال له النبي ﷺ: أليس من أهل بدر؟ لعل الله - أو إن الله - اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم! قال الحلبي: وهو يفيد أن ما يقع منهم من الكبائر لا يحتاجون إلى التوبة عنه لأنه إذا وقع يقع مغفوراً، وعبر فيه بالماضي مبالغة في تحقيقه. وهذا كما لا يخفى بالنسبة للأخرة لا بالنسبة لأحكام الدنيا، ومن ثم لما شرب قدامة بن مظعون الخمر في أيام عمر حُدد وكان بدرياً. وقال الحلبي أيضاً: وفي الخصائص الصغرى نقلاً عن شرح جمع الجوامع أن الصحابة كلهم لا يفسقون بارتكاب

مايفسق به غيرهم. ورووا عنه ﷺ قوله: لن يدخل النار أحد شهد بداراً. ونقول: «إذا كان شرب البدرى للخمر لا يضر ولا يحتاجون للتوبة من الكبائر، فليكن الزنا حتى بالمحارم غير مضر لهم أيضاً وكذلك تركهم الصلاة وسائر الواجبات وغيرها! وليكن أيضاً قتل النفوس كذلك، ولقد قتلوا عشرات الألوف في وقعتي الجمل وصفين، وقاتلوا العشرات سرّاً وجهرّاً غيلةً وصبراً! فإن ذلك كله لا يضر، ولا يوجب لهم فسقاً ولا عقاباً! انتهى.

أقول: أكد النبي ﷺ على مكانة عترته الطاهرين ﷺ طوال حياته، وجعلهم وصيته المؤكدة لأمتهم فقال: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي» فقامت قريش باضطهادهم، ونصبت مقابلهم الصحابة وزعمت أنهم كلهم عدول، بل ادعت لبعضهم العصمة وفضلته على النبي ﷺ بأساليب ملتوية! فكل ما تراه من مبالغة في الصحابة وغلو فيهم، وفضائل مكذوبة لهم، إنها هو من أعمال السلطة لجعلهم وجوداً مقابل النبي ﷺ وعترته الطاهرين ﷺ.

ومن ذلك غلوهم في أهل بدر حيث جعلوهم كلهم صانعي تاريخ الإسلام مع أن قسماً منهم كانوا عائلة على المسلمين حتى إذا انتصروا ادعوا أنهم أبطال النصر! راجع كتاب: نظرية عدالة الصحابة، للمحامي الأردني، خير من كتب في الموضوع.

### ١٠. التعجب من أغلاط العامة في الصحابة!

قال أبو الفتح الكراچكي ﷺ في كتابه: التعجب من أغلاط العامة/٨٣: «الفصل الحادي عشر في أغلاطهم في الصحابة: ومن عجيب أمرهم غلوهم في تفخيم الصحابة وإفراطهم في تعظيمهم، وقولهم لا يدخل الجنة مستنقص لأحد منهم، وليس بمسلم من روى قبيحاً عنهم! ويقولون إنا لا نعرف لأحد منهم بعد إسلامه عيباً، وليس منهم من واقع ذنباً، ويجعلون من خالفهم في هذا زنديقاً، ومن ناظرهم فيه أو طلب الحجة منهم عليه، مبتدعاً شريعاً. هذا وهم في الرسل المصطفين والأنبياء المفضلين، الذين احتج الله تعالى بهم

على العالمين صلوات الله عليهم أجمعين، أقوال تقشعر منها الجلود، وترتعد لها القلوب، ولا تثبت عند سماعها النفوس، يتدينون بذكرها، ويتحملون بنشرها، ويغتاطون على من أنكرها ودحضها، كغيظهم على من أضاف إلى أحد الصحابة بعضها، فينسبون آدم وحواء إلى الشرك، وإبراهيم الخليل إلى الإفك والشك، ويوسف إلى ارتكاب المحظور والجلوس من زليخا مجلس الفجور، وموسى إلى أنه قتل نفساً ظالماً، وداود إلى أنه عشق امرأة أوريا وحمله عشقها إلى أن قتل زوجها وتزوجها، ويونس إلى أنه غضب على الله تعالى.

ويقولون في سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ﷺ في تزويجه بامرأة زيد بن حارثة، وفي غير ذلك من الأقوال القبيحة المفتعلة ما لا ينطق لمؤمن بذكره لسان، ولا يثبت لمسلم عند سماعه جنان، ولا يطلقه عاقل، ولا يجيزه منه إلا كافر جاهل! فإذا قيل لهم إن جميع الأخبار الواردة في ذلك باطلة، وسائر الآيات التي تظنون أنها تقتضيه متأولة، وقد شهدت العقول بعصمة الأنبياء ﷺ ودل القرآن على فضلهم وتميزهم عن الأنام، فوجب أن تتأول الأقوال بما يوافق مقتضى الاستدلال. قالوا إذا سمعوا هذا الكلام: هذا ضلال وترفض، وهو فتح باب التزندق! فياليت شعري كيف صار الهتف بالأنبياء ﷺ بالباطل إسلاماً وسترأ، والطعن على بعض الصحابة بالحق ضلالاً وكفرأ؟! وكيف صار القادح في الأفاضل المصطفين ﷺ ثبناً صديقاً ومن قدح في أحد قوم غير معصومين رافضياً زنديقاً؟! ألم يسمعوا قول الله تعالى في أنبيائه صلوات الله عليهم: وَإِنَّمْ عِنْدَنَا لَمِزَ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ، وقوله سبحانه وتعالى لأصحاب نبيه: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ. وقول النبي ﷺ: إن من أصحابي من لا يراني بعد أن يفارقني! فأبي نسبة بين الطبقتين، وأي تقارب بين القبيلتين، لولا ما مع خصومنا من العصبية التي حرمتهم حسن التوفيق. وقد قال بعض المعتزلة لأحد الشيعة: إن أمركم معشر الشيعة لعجيب، ورأيكم طريف غير مصيب، لأنكم أقدمتم على وجوه الصحابة الأخيار، وعيون الأتقياء الأبرار، الذين سبقوا إلى الإسلام واختصوا بصحبة الرسول

الصلوات  
الطيبات  
والسليمات  
عليهم

وشاهدوا المعجزات، وقطعت أعدارهم الآيات، وصدقوا بالوحي، وانقادوا إلى الأمر والنهي، وجاهدوا المشركين، ونصروا رسول رب العالمين، ووجب أن يحسن بهم الظنون، ويعتقد فيهم الإعتقاد الجميل، فزعمتم أنهم خالفوا الرسول، وعاندوا أهله من بعده، واجتمعوا على غضب حق الإمام وإقامة الفتنة في الأنام، واستأثروا بالخلافة، وسارعوا إلى التراس على الكافة، وهذا مما تنكره العقول وتشهد أنه مستحيل، فالتعجب منكم طويل!

فأجابه: أما المؤمنون من الصحابة الأخيار، والعيون من الأتقياء الأبطال، فمن هذه الأمور مبرؤون، ونحن عن ذمهم متنزهون، وأما من سواهم ممن ظهر زلهم وخطوهم، فإن الذم متوجه إليهم، وقبيح فعلهم طرق القول عليهم، ولو تأملت حال هؤلاء الأصحاب لعلمت أنك نفيت عنهم خطأ قد فعلوا أمثاله ونزتهم عن خلاف قد ارتكبوا أضعافه، وتحققت أنك وضعت تعجبك في غير موضعه، وأوقعت استطرفك في ضد موقعه، فاحتشمت من خصمك، ورددت التعجب إلى نفسك. وهؤلاء القوم الذين فضلتهم وعظمتهم، وأحسنت ظنك بهم ونزتهم، هم الذين دحرجوا الدباب ليلة العقبة بين رجلي ناقة رسول الله ﷺ طلباً لقتله.

وهم الذين كانوا يضحكون خلفه إذا صلى بهم، ويتركون الصلاة معه وينصرفون إلى تجاراتهم ولهوهم، حتى نزل القرآن يهتف بهم.

وهم الذين جادلوا في خروجه إلى بدر، وكرهوا رأيه في الجهاد، واعتقدوا أنه فيما دبره على غير الصواب، ونزل فيهم: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُِونَ. يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ.

وهم الذين كانوا يلتمسون من النبي ﷺ بمكة القتال وينازلونه في الجهاد منزلة ويرون أن الصواب خلاف ما تعبدوا به في تلك الحال من الكف والإمساك، فلما حصلوا في المدينة وتكاثر معهم الناس، ونزل عليهم فرض الجهاد وأمروا بالقتال كرهوا ذلك وطلبوا التأخير من زمان إلى زمان، ونزل فيهم: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ

قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْعِتَالُ إِذَا قَرِيبٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ  
النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْعِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ.  
وهم الذين أظهروا الأمانة والطاعة، وأضمرُوا الخيانة والمعصية، حتى نزل  
فيهم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ. الأنفال: ٢٧.  
وهم الذين كفوا عن الإثخان في القتل يوم بدر وطمعوا في الغنائم، حتى نزل فيهم:  
مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَشْرَىٰ حَتَّىٰ يُخْرَجَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ  
حَكِيمٌ. لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

وهم الذين شكوا يوم الخندق في وعيد الله ورسوله ﷺ وخبت نياتهم، فظنوا أن  
الأمر بخلاف ما أخبرهم به النبي ﷺ، إذ نزل فيهم: إِذْ جَاءَكُمْ مِنَ قَوْمِكُمْ وَهَمٌّ مِمَّنْ أَسْقَلَ  
مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّلُمَاتِ. هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا  
زُلْزَالًا شَدِيدًا. وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا.

وهم الذين نكثوا عهد رسول الله ﷺ ونقضوا ما عقده عليهم في بيعته تحت  
الشجرة، وأنفذهم إلى قتال خيبر فولوا الدبر ونزل فيهم: وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ  
لَا يُولُونَ الْآدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا.

وهم الذين انهزموا يوم حنين وأسلموا النبي ﷺ للأعداء، ولم يبق معه إلا  
أمير المؤمنين عليه السلام وتسعة من بني هاشم، ونزل فيهم: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ  
حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَمَا رَزَقْتُمْ فَلَمَّ تَغَرَّنَّ بَيْنَكُمْ وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ ثُمَّ وَلِيتُّمْ  
مُذْرِبِينَ. وأمثال ذلك مما يطول بشرحه الذكر!

وهم الذين قال الله تعالى: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ  
انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ..

وهم الذين قال لهم النبي ﷺ: لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا أبشبر وذراعاً بأذراع حتى  
لو دخلوا جحر ضبً لاتبعتموه! قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن إذا؟  
وهم الذين قال لهم: ألا أعرفنكم تتردون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض.  
وهم الذين قال لهم: إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة، وإنه سيجاء برجال من

الليالي  
التي  
عاشها  
الرسول

أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم!  
 وهم الذين قال لهم: بينما أنا على الحوض إذ مُرَّ بكم زمراً ففرق بكم الطرق فأناديكم: ألا هلموا إلى الطريق، فينادي مناد من ورائي: إنهم بدلوا بعدك، فأقول: ألا سحقاً ألا سحقاً. وهم الذين قال لهم عند وفاته: جهزوا جيش أسامة ولعن من تخلف عنه، فلم يفعلوا.

وهم الذين قال ﷺ لهم: إئتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي فلم يفعلوا وقال أحدهم: دعوه فإنه يهجر! ولم ينكر الباقون عليه!  
 هذا مع إظهارهم الإسلام واختصاصهم بصحبة النبي ﷺ ورؤيتهم الآيات، وقطع أعدارهم بالمعجزات! فانظر الآن أننا أحق بأن يتمعّب، وأولانا بأن يتمعّب منه: من أضاف إلى هؤلاء الأصحاب ما يليق بأفعالهم، ومن جعلهم فوق منازل الأنبياء ﷺ، وهذه أحوالهم؟!!

### ١١. ماذا قال الشيخان لما استشارهم النبي ﷺ بشأن بدر؟

وصف الله تعالى في لوحة خالدة إلى يوم الدين، خوف بعض الصحابة وانهارهم لما أمرهم النبي ﷺ بالخروج لاعتراض قافلة قريش! فقال عز وجل: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهِونَ. يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ. وأخبرهم النبي ﷺ أن الله وعده إحدى الطائفتين، إما العير وإما النفير! فأفلتت منهم القافلة وبلغهم أن قريشاً جاءت لحربهم، فاستشارهم النبي ﷺ، وطلبوا منه الرجوع وعدم قتال قريش!

قال مسلم في صحيحه: ١٧٠/٥: «شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، قال فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه». ولم يبين لماذا أعرض عنها!  
 وفي الدر المنثور: ١٦٥/٣: «فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله إنها قريش وعزها! والله ما دلت منذ عزت، ولا آمنت منذ كفرت، والله لتقاتلنك، فتأهب



لذلك أهبطه وأعد له عدته». وعميون الأثر: ٣٢٧/١ والنهية: ٣٢١/٣.

وهنا حذفوا الفقرة الحساسة وهي قوله للنبي ﷺ: «ولم تخرج على هيئة الحرب!» أي إرجع ولا تقاتل قريشاً لأنك لم تستعد! أو حرفوها وجعلوها: والله لتقاتلنك فتأهب لذلك واعد له عدته! أو نسبوها إلى شخص مجهول!

لكن موقف الشيخين واضح، وهو التحذير من مواجهة قريش وطلب الرجوع! قال في الكشف: ١٤٣/٢، تخريج الأحاديث: ١١/٢، السيرة الحلبية: ٣٨٥/٢ وغيرها: «فاستشار النبي ﷺ أصحابه وقال: ما تقولون؟ إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول، فالعير أحب إليكم أم النفير؟ قالوا: بل العير أحب إلينا من لقاء العدو! فتغير وجه رسول الله ﷺ: ثم ردد عليهم فقال: إن العير قد مضت على ساحل البحر، وهذا أبو جهل قد أقبل! فقالوا يا رسول الله، عليك بالعير ودع العدو! فهؤلاء الذين أجابوا النبي ﷺ بهذا الكلام المناق، هم الذين قال الله عنهم:

يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ؟ الأنفال: ٦/

وكمثال لتعصب علماء السلطة وتغطيتهم على فلان وفلان: أن ابن حزم الذي حكم بأن أصحاب هذه الآية فساق!

قال في الأحكام: ٣٠٨/٦: «وكذلك من قلد في فتيا أو نحلة وقامت عليه الحجة، فعدنا فهو فاسق مردود الشهادة. قال الله تعالى: يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ. فذم عز وجل من عاند بعد أن تبين له الحق». لكن من هم الفساق الذين جادلوا في الحق! لقد ذابوا كالمح، وذاب جواب أبي بكر وعمر، وقال رواية قريش: إنها قالا وأحسنا، وكان الله يحب المحسنين! فقد قالت روايتهم إن النبي ﷺ أعرض عنها وتغير وجهه، ثم فرح وأشرق وجهه بموقف المقداد «بخاري: ٤/٥».

لكن رواية الخلافة يصرون على قولهم: إنها قالا فأحسنا! فتح الباري: ٢٢٣/٧. وفي المناقب: ١٦٢/١: «شاور النبي ﷺ أصحابه في لقائهم أو الرجوع؟ فقال أبو بكر وعمر كلاماً فأجلسها! ثم قال المقداد وسعد بن معاذ كلاماً فدعا لهما وسُرَّ، ونزل:

الكتاب  
الذي  
أعزله

سُنِّي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ». آل عمران/ ١٥١

وفي تفسير القمي: ١٥٨/٨ وتفسير أبي حمزة/ ١٨٠، عن الإمام الباقر عليه السلام ملخصاً: «انزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ فأخبره بنفير المشركين من مكة فاستشار أصحابه في طلب العير وحرب النضير، فقام أبو بكر فقال: يا رسول الله إنها قريش وخيلاؤها، ما آمنت منذ كفرت، ولا ذلت منذ عزت، ولم تخرج على هيئة الحرب! فقال ﷺ: أجلس فجلس. ثم قام عمر بن الخطاب فقال مثل ذلك! فقال ﷺ: أجلس فجلس. ثم قام المقداد فقال: يا رسول الله إنها قريش وخيلاؤها وقد آمنت بك وصدقنا، وشهدنا أن ما جئت به حق، والله لو أمرت أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراس لخضناه معك، والله لانقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: فَادَّهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ. ولكننا نقول: امض لأمر ربك فإننا معك مقاتلون! فجزّاه رسول الله ﷺ خيراً على قوله ذاك.

ثم قال ﷺ: أشيروا عليّ أيها الناس، وإنما يريد الأنصار، لأن أكثر الناس منهم ولأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا إنا براء من ذمتك حتى تصل إلى دارنا، ثم أنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع أبناءنا ونساءنا. فكان ﷺ يتخوف أن لا يكون الأنصار يرون أن عليهم نصرته، إلا على من دهمه بالمدينة من عدو. فقام سعد بن معاذ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله كأنك أردتنا؟ فقال: نعم. قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إنا قد آمنت بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله، فمرنا بما شئت وخذ من أموالنا ما شئت، واترك منها ما شئت، والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك، ولعل الله عز وجل أن يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله! وفرح بذلك رسول الله ﷺ وقال: سيروا على بركة الله، فإن الله عز وجل قد وعدني إحدى الطائفتين ولن يخلف الله وعده، والله لكأنني أنظر إلى مصرع أبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وفلان وفلان، وأمر رسول الله بالرحيل وخرج إلى بدر».

## ١٢. افتراؤهم على النبي ﷺ بأنه أخطأ وأصاب عمراً

بحثنا في كتاب: ألف سؤال وإشكال: ٣٥٥/٢ قصة أسرى بدر التي زعم عمر أنه أصاب فيها وأن النبي ﷺ أخطأ!

وخلاصتها: أن آيات الأنفال صريحة في أن عمله ﷺ كان بتوجيه ربه عز وجل، لاحظ قوله تعالى: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَرَأَىٰ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ. يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ. وَإِذْ يُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهُمْ لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ. لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ. الأنفال: ٨-٥.

ولم يدع أحد يومها ولا في حياة النبي ﷺ أنه أخطأ في الحرب، أو في أخذ أسرى أو في إطلاقهم مقابل فدية! لكن عمر ادعى في خلافته أنه نهى النبي ﷺ عن أخذ الأسرى القرشيين المحترمين، ونهاه عن أخذ الفدية منهم فلم يطعه، فعاقبه الله في معركة أحد، فانهمز جيشه وقتل منهم سبعون، وأصيب هو ﷺ! فنزلت آيات توبخه والمسلمين على ذنبهم في بدر، وتؤيد رأي عمر!

قال في مجمع الزوائد: ١١٥/٦: «عن عمر بن الخطاب قال: فلما كان عام أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون، وفر أصحاب رسول الله عن النبي، فكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه، وأنزل الله عز وجل: أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ. بأخذكم الفداء»

وهذا الحديث الصحيح عندهم، ظالمٌ وباطلٌ: أولاً: لأن التوبيخ في الآية ليس للنبي ﷺ بل للذين أرادوا غنيمة القافلة وخافوا من القتال، ومنهم أبو بكر وعمر كما تقدم! وللذين أخذوا الأسرى ولم يقتلوهم فيشخنوا في الأرض.

ثم إن روايتهم التي جعلوها فضيلة لعمر وطعنوا بالنبي ﷺ، متهافة!

ففي الدر المنثور: ١٦٣/٣: «فقال: ماترون في القوم فإنهم قد أخبروا بمخرجكم؟ فقلنا يا رسول الله لا والله مالنا طاقة بقتال القوم، إنما خرجنا للعبير. إلى أن قال: فقتلنا

وأسرنا، فقال عمر: يا رسول الله ما أرى أن تكون لك أسرى فإننا نحن داعون مؤلفون، فقلنا معشر الأنصار: إنما يحمل عمر على ما قال حسده لنا، فنام رسول الله ثم استيقظ ثم قال: أدعوا لي عمر فدعي له فقال له: إن الله قد أنزل عليّ: ما كان لنبى أن تكون له أسرى.. وحسنه في الزوائد: ٧٢/٦.

وهو يدل على أن عمر وأبابكر قالوا: لا طاقة لنا بقتال قريش، وأن عمر كان معارضاً لأخذ الأسرى تعصباً أن يأسرهم الأنصار فيربحوا فديتهم! ثم زعموا بعد ذلك أن عمر كان أشد على المشركين، وأن رأيه كان أن تضرب أعناقهم! ثم إن عمر زعم أنه اعترض في بدر فنزلت الآية مؤيدة لرأيه، لأن بدر لم تكن إثنان كافياً ليجلل أخذ الأسرى! فدعاه النبي ﷺ فقرأها له وأقر أن عمر أصاب وأنه ﷺ أخطأ وبكى على ذنبه! ومع ذلك خالف ﷺ أمر ربه وأخذ الأسرى وساقهم إلى المدينة! ثم عصى ربه ثانية فأخذ منهم الفداء!

وقد روى ذلك أحمد: ٣٠/١، برواية طويلة عن عمر يحكي فيها منقبته، قال: «فأخذ منهم الفداء فلما أن كان من الغد قال عمر: غدوتُ إلى النبي فإذا هو قاعد وأبوبكر وإذا هما يبكيان! فقلت يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك. فقال النبي: الذي عرض عليّ أصحابك من الفداء! لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة! وأنزل الله عز وجل: مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخَّنَ فِي الْأَرْضِ. فلما كان يوم أُحُد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء! فقتل منهم سبعون وفر أصحاب النبي عن النبي وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه! وأنزل الله تعالى: أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا... بأخذكم الفداء! ومسلم: ٣/١٥٨ و١٧٠، مجمع الزوائد: ٦/١١٣ و١١٥ و١١٨، أحمد: ٣٢/١ وأبي داود: ٦٠٨/١.

فقد زعم عمر أن رأيه كان قتل الأسرى فوافقه الوحي، لكن النبي ﷺ عصى ولم يقتلهم! ثم وزعم أن النبي ﷺ أخذ الفداء في اليوم الثاني فنزلت الآية توبخه فقعد هو وأبوبكر يبكيان على ذنبهما! ومع ذلك عاد بالأسرى إلى المدينة وأخذ

الفداء! فمن يصدق أن الله تعالى ناقض نفسه فأحل لهم الغنائم والأسرى وعفا عنهم، ثم عاقبهم في أحد! وأن النبي ﷺ بكى على ذنبه، ثم أصر عليه!؟

### ١٣. معنى: حَتَّى يُنْجِنَ فِي الْأَرْضِ

معنى الإثخان في الأرض: الإثخان في قتل المشركين، وقد نهاهم النبي ﷺ بعد هزيمة المشركين أن يأخذوا أسرى قبل أن يثخنوهم قتلاً ويدمروا قوتهم القتالية، لكنهم أخذوا أسرى قبل ذلك طمعاً في فدائهم! فالتوبيخ في الآية لهؤلاء وليس للنبي ﷺ كما تصوره عمر وتبعه رواة الخلافة!

قال أبو الفتح الكراجكي رحمه الله في: التعجب من أغلاط العامة ٨٨: «وهم الذين كفوا عن الإثخان في القتل يوم بدر وطعموا في الغنائم حتى نزل فيهم: مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُنْجِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا...».

واختاره السيد الخوئي كما سيأتي. فلم يبق مكان لكثير مما رووه وقالوه!

### ١٤. أكذوبة: لو نزل العذاب ما نجى منه إلا ابن الخطاب!

أرادوا مدح عمر بن الخطاب فوضعوا على لسان النبي ﷺ: «لو نزل العذاب لما نجا منه إلا ابن الخطاب!» ومعناه أن الجميع بمن فيهم النبي ﷺ كانوا في معرض العذاب الإلهي لأخذهم أسرى بدر وفدائهم، إلا عمر! ومع أنهم اعترفوا بأنه حديث مكذوب، إلا أن علماءهم كانوا وما زالوا يستشهدون به ويصححونه عملياً! فهو كحديث: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» ينصون على أنه موضوع مكذوب، لكنهم يستشهدون به، في الفضائل، والعقائد، والفقه، والتفسير، وخطب المساجد!

قال السيوطي في الدر المنثور: ٢٠٢/٣: «عن ابن عمر قال... فأخذ رسول الله بقول أبي بكر ففاداهم رسول الله، فأنزل الله: لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. فقال رسول الله: إن كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم ولو نزل العذاب ما أفلت إلا عمر.»

وقال السرخسي في المبسوط: ١٣٩/٨٠: «قال ﷺ: لو نزل العذاب ما نجا منه إلا عمر، فإنه كان أشار بقتلهم!» وقال الغزالي في المستصفى/١٧٠: «حيث نزلت الآية على وفق رأي عمر: لو نزل بلاء من السماء ما نجا منه إلا عمر». وفي تفسير ابن الجوزي: ٢٥٨/٣: «فلقي النبي عمر فقال: كاد يصيبنا في خلافك بلاء». وقال الكاشاني في بدائع الصنائع: ١١٩/٧: «وأشار سيدنا عمر إلى القتل، فقال رسول الله: لو جاءت من السماء نار ما نجا إلا عمر!»

وقد تناقض الجصاص فقال في أحكام القرآن: ٩٤/٣: «يستحيل أن يكون الوعيد في قول قاله لرسول الله ﷺ لأنه: مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. ومن الناس من يميز ذلك على النبي ﷺ من طريق اجتهاد الرأي! ويجوز أيضاً أن يكون النبي أباح لهم أخذ الفداء، وكان ذلك معصية صغيرة! فعاتبه الله والمسلمين عليها!» وحاو القريطي في تفسيره: ٤٥/٨، إبعاد التوبيخ عن النبي ﷺ فجعله على الذين أمره به، ثم جعله على الذين باشروا الحرب! ثم جعله على النبي ﷺ! واعتذر عنه بأنه انشغل عن الإتيان بالحرب وعن قتل الأسرى!

فانظر إلى هذا التناقض والتخبط والإصرار على تفضيل عمر على النبي ﷺ! وسر القضية في أسرى بدر: تعصب عمر ضد الأنصار، لأنهم أخذوا زعماء قريش أسرى في بدر، ثم أطلقوهم بفدية وكانوا يُؤمنون بذلك عليهم! فاضطغن ذلك القرشيون عليهم وتبعهم عمر، وحلوا مسؤوليته للنبي ﷺ!

ولم أجد من وافقنا من علمائهم في تبرئة النبي ﷺ، إلا قلة كالفخر الرازي حيث قال في المحصول: ١٥/٦: «إذا جازنا له ﷺ الاجتهاد فالحق عندنا أنه لا يجوز أن يخطئ، وقال قوم: يجوز بشرط أن لا يقر عليه. لنا: أنا مأمورون باتباعه في الحكم لقوله تعالى: فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ. فلو جاز عليه الخطأ لكننا مأمورين بالخطأ، وذلك ينافي كونه خطأ.

واحتج المخالف بقوله تعالى: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ. وقال تعالى: في أسارى بدر: لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا

أَحَدُكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. فقال عليه الصلاة والسلام: لو نزل عذاب من الله لما نجا إلا ابن الخطاب، وهذا يدل على أنه أخطأ في أخذ الفداء.

والجواب عن هذه الوجوه: في الكتاب الذي صنفناه في عصمة الأنبياء (عليهم السلام).

ثم، إن عمر زعم أن العذاب نزل على النبي ﷺ والمسلمين في أحد لأخذهم الفداء من قريش في بدر فهل نجا منه هو، وقد وصف نفسه فقال: «لما كان يوم أحد هزمناهم، ففررت حتى صعدت الجبل، فلقد رأيتني أنزو كأنني أروى» «عزرة جلية» والناس يقولون قتل محمد! ألا يكفيه من نزول العذاب الذي جعله على النبي ﷺ والمسلمين، أنه شمله قول الله تعالى: وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَرِّفًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَكَذَّبَ بِآءِ يَفْضُبِ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيُنْسِ النَّصِيرُ الْأَنْفَالَ ١٦.

ثم رأينا المشركين قرروا عدم قتله في أحد، فما هو السبب!؟

ففي سيرة ابن هشام: ٢٨٢/٢ والدر المشور: ٨٨/٢: «وكان ضرار بن الخطاب لحق عمر بن الخطاب «وليس أخاه» يوم أحد فجعل يضربه بعرض الرمح ويقول: أنج يا ابن الخطاب. لا أقتلك!»

فهل كان عفوهم عنه في أحد يا ترى، بسبب تعصبه لهم ضد الأنصار!

### ١٥. أكذوبة مشاورة النبي ﷺ لأبي بكر في العريش

اخترع أتباع أبي بكر وعمر دوراً لها في العريش، أي في الخيمة مع النبي ﷺ، وزعموا أن النبي ﷺ استبقى أبا بكر ليستشيره في إدارة المعركة!

قال ابن هشام: ٤٥٧/٢: «ثم عدل رسول الله ﷺ الصفوف ورجع إلى العريش فدخله ومعه فيه أبو بكر الصديق، ليس معه فيه غيره».

يقصد بذلك أن أبا بكر لم يقاتل، لأنه كان يحرس النبي ﷺ، لكنهم روى أن الأنصار كانوا يحرسونه ﷺ. ففي سيرة ابن هشام: ٤٥٨/٢: «وسعد بن معاذ قائم على باب العريش الذي فيه رسول الله ﷺ متوشح السيف، في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ يخافون عليه كرة العدو».

ثم إنه من الثابت أن النبي ﷺ قاتل في بدر قتالاً شديداً ولم يكن معه أبو بكر ولا عمر، فأين كانا وقت القتال؟ قال علي عليه السلام: «لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً!» «مكارم الأخلاق للطبرسي/١٨». ورواه مجمع الزوائد: ١٢/٩، بطرق وحسنه، وابن أبي شيبه: ٥٧٨/٧، تاريخ دمشق: ١٤/٤، كنز العمال: ٣٩٧/١٠ وقال إن الطبري صححه. إذن لا بد من القول إن أبا بكر كان مثل عمر يحفظ نفسه بالفرار إلى الصفوف الخلفية، فقد حدّث عمر عن نفسه بأنه كان في أطراف المعركة فرأى العاص بن أبي أحичة فهابه وهرب منه! قال لابنه سعيد بن العاص: «مالي أراك معرضاً كأنني قتلت أباك؟ إني لم أقتله ولكن قتله أبو حسن! رأيتك يبيح للقتال كما يبيح الثور بقرنه فإذا شدقاه قد أزيدا كالوزغ فهبته وزغت عنه! فقال: إلى أين يا ابن الخطاب! وصمد له علي فتناوله، فما رمت من مكاني حتى قتله!

فقال له علي: اللهم غفراً ذهب الشرك بها فيه ومحا الإسلام ما تقدم، فما لك تبيح الناس علي؟ فكفَّ عمر. وقال سعيد: أما إنه ما كان يسرني أن يكون قاتل أبي غير ابن عمه علي بن أبي طالب». ابن هشام ٤٦٤/٢ وكشف الغمة ١٨٦/١.

فقد برأ عمر نفسه من قتل العاص، واعترف أنه هرب منه، فأيات الفرار إلى الصفوف الخلفية تشمله!

ومع ذلك ادعوا أنه وأبا بكر كانا في العريش! وغرضهم تفضيلهما على علي الذي يحمل نصف أعباء المعركة، وجندل بسيفه نصف قتلى بدر من طاعة قريش!

وقد أجابهم علماؤنا على ذلك، فقال الشريف المرتضى في الفصول المختارة/٣٤: «إن المعتزلة والحشوية يدعون أن جلوس أبي بكر وعمر مع رسول الله ﷺ في العريش أفضل من جهاد أمير المؤمنين عليه السلام بالسيف لأنها كانا مع النبي في مستقره يدبران الأمر معه، ولولا أنها أفضل الخلق عنده لما اختصهما بالجلوس معه.. إلى أن قال: فأما ما توهموه من أنه حبسهما للإستعانة برأيهما، فقد ثبت أنه كان



كاملاً وأنها كانا ناقصين عن كماله، وكان معصوماً وكانا غير معصومين، وكان مؤيداً بالملائكة وكانا غير مؤيدين، وكان يوحى إليه وينزل القرآن عليه ولم يكونا كذلك، فأبي فقر يحصل له مع ما وصفناه إليهما!

وقال المفيد في الإنصاح/١٩٨: «ثم يقال لهم: خبرونا عن حبس رسول الله ﷺ أبابكر وعمر عن القتال في يوم بدر لحاجة إلى مشورتها عليه، وتدبيرهما الأمر معه أقلتم ذلك ظناً أو حذساً، أم قلتموه واعتمدتم فيه على اليقين؟ فإن زعموا أنهم قالوا ذلك بالظن والحدس والترجيح، فكفاهم بذلك خزياً في مقالهم وشناعة وقبحاً، وإن ادعوا العلم به والحجة فيه طولبوا بوجه البرهان عليه، وهل ذلك من وجه العقل أدركوه أم وجوه السمع والتوقيف؟! فلا يجدون شيئاً يتعلقون به من الوجهين جميعاً. ثم يقال لهم: وقد واصل المتأخرون الإفتخار بها اخترعه أسلافهم وزادوا عليه! فجعل ابن تيمية أبابكر وعمر أشجع من علي عليه السلام! وأغمض عن فرارهما في بدر وأحد وخيبر وحنين وغيرها! قال في منهاجه: ٧٨/٨٦/٨: «فمعلوم أن الجهاد منه ما يكون بالقتال باليد ومنه ما يكون بالحجة والبيان والدعوة.. وأبوبكر وعمر مقدمان في أنواع الجهاد غير قتال البدن! قال أبو محمد بن حزم: وجدناهم يحتجون بأن علياً كان أكثر الصحابة جهاداً وطعناً في الكفار وضرباً، والجهاد أفضل الأعمال. قال: وهذا خطأ لأن الجهاد ينقسم أقساماً ثلاثة: أحدها الدعاء إلى الله تعالى باللسان، والثاني الجهاد عند الحرب بالرأي والتدبير، والجهاد باليد في الطعن والضرب أقل مراتب الجهاد! ثم قال ابن تيمية: «وإذا كانت الشجاعة المطلوبة من الأئمة بشجاعة القلب، فلا ريب أن أبابكر كان أشجع من عمر وعمر أشجع من عثمان وعلي وطلحة والزبير، وهذا يعرفه من يعرف سيرهم وأخبارهم، فإن أبابكر باشر الأهوال التي كان يبأشرها النبي من أول الإسلام إلى آخره، ولم ييجن ولم يجرح ولم يفشل، وكان يقدم على المخاوف يقى النبي ﷺ بنفسه يجاهد المشركين تارة بيده وتارة بلسانه وتارة بهاله، وهو في ذلك كله مقدم! وكان يوم بدر مع النبي ﷺ في العريش مع علمه بأن العدو يقصدون مكان رسول الله، وهو ثابت القلب ريبط الجأش يظاهر النبي ويعاونه. ولما قام النبي ﷺ

النبوت  
النبي  
الصلوات  
عليه  
والسلام

يدعوربه ويستغيث ويقول: اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذا العصابة لا تعبد اللهم.. جعل أبو بكر يقول له: يا رسول الله هكذا مناشدتك ربك إنه سينجز لك ما وعدك! وهذا يدل على كمال يقين الصديق وثقته بوعده الله وثباته وشجاعته! وكرره في مجموع فتاواه: ٢٥٧/٢٨.

وقد رد علماء الشيعة المعاصرون على هذر ابن تيمية وابن حزم! راجع الغدير: ٢٠٠/٧، محاضرات في الإعتقادات للسيد الميلاني: ٣٢٤/١، دراسات في منهاج السنة/٢١٤، الصحيح من السيرة: ٤١/٥ وقد شكك في أصل وجود العريش في بدر.

### آيتان في الفرار إلى الصفوف الخلفية

لم ينقلوا فرار أحد من المسلمين في بدر، لكن نزلت آيتان في سورة الأنفال وهي سورة بدر، تهيان عن الفرار من الزحف، فلا بد أنها تقصدان من فروا من الصفوف الأمامية إلى الخلفية. كما أنها تحذير من الفرار في المستقبل!  
قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأَدْبَارَ. وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ لِمُتَّحِرِفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبئس المصيرُ ١٥-١٦.

وسيأتي بسند صحيح عندهم، أن أحد عشر صحابياً فيهم أبو بكر وعمر، شربوا الخمر بعد بدر، وتغنوا بالنوح على قتلى المشركين في بدر! فلا حول ولا قوة إلا بالله.



«تم المجلد الأول من السيرة النبوية عند أهل البيت (عليهم السلام)»



## فهرس الموضوعات

٥.....	مقدمة الطبعة الثانية .....
٧.....	تمهيد .....
٧.....	أهمية السيرة النبوية .....
٨.....	كانت الخلافة تحرق مصادر السيرة! .....
٩.....	كنوز من السيرة وعلوم الإسلام أحرقتها السلطة! .....
١٢.....	القرآن مصدر للسيرة لكنهم ضيعوا أسباب نزوله! .....
١٣.....	شعراي طالب ﷺ مصدر للسيرة .....
١٥.....	أهل البيت ﷺ أدري بسيرة جدكم ﷺ وأصدق .....
١٦.....	هدف الكتاب وفروقه عن السيرة الرسمية .....
٢٣	<b>الفصل الأول / أول ما خلق الله نور النبي ﷺ</b>
٢٣.....	١. عوالم وجودنا قبل هذا العالم .....
٢٤.....	٢. خلق الله نور نبينا وآله ﷺ قبل هذا العالم .....
٢٨.....	٣. أحاديث خلق نور النبي ﷺ في مصادر السنين .....
٣٠.....	٤. ملاحظات على أحاديث نور النبي ﷺ .....
٣٢.....	رواياتهم التي تحاول تحريف أحاديث النور .....
٣٥	<b>الفصل الثاني / جزيرة العرب في عصر النبي ﷺ</b>
٣٥.....	١. أحوال العرب في عصر النبي ﷺ .....
٣٥.....	١. كان للعرب دول .....
٣٦.....	٢. الحالة الاقتصادية للعرب .....
٣٦.....	٣. أديان العرب قبل الإسلام .....
٣٧.....	٤. كان العرب أميين .....
٣٨.....	٥. وكان العرب مجتمعاً عمارياً .....

٣٨. تكلم خمسة أنبياء بالعربية .....
٣٩. إقرؤوا القرآن بألحان العرب .....
٤٠. أوجب الإسلام على عرب البادية الهجرة .....
٤١. الهجرة إلى طلب العلم .....
٤٠. العروبة باللقبة وليست بالنسب .....
٤١. وجه الإسلام عصبية العرب إلى التمسك للخير .....
٤٢. أعلن النبي ﷺ علياً عليه السلام سيد العرب! .....
٣. وصف جاهلية العرب .....
١. وصفها المفيرة بين شعبة لعامل كسرى .....
٢. ووصفها جعفر بن أبي طالب للنجاشي .....
٣. ووصف علي عليه السلام جاهلية العرب .....
٤. ووصفت الزهراء عليها السلام جاهلية العرب .....
٤. نشر كعب الأخبار أمنياته بهلاك العرب! .....
٥. ردّ أهل البيت عليهم السلام على فرية كعب عن العرب .....
٦. زعموا أن العرب لا يكونون من الأبدال! .....
٧. أخبر النبي ﷺ بظلم قريش لأهل بيته عليهم السلام .....
٨. سينقذ الله العرب بيد أهل البيت عليهم السلام .....
٩. تحذيرات النبي ﷺ للعرب من الطغيان .....
١٠. رفض الأئمة عليهم السلام تعصب العرب ضد الشعوب الأخرى .....

### الفصل الثالث / اليهود في الجزيرة العربية

- ٥٧
١. هاجر اليهود إلى الجزيرة ينتظرون النبي الموعود .....
٢. أخبر اليهود العرب بولادة النبي الموعود ﷺ .....
٣. سبب معاداة اليهود للنبي ﷺ أنه من بني إسماعيل! .....
٤. كتب النبي ﷺ عهداً مع اليهود للتعايش .....

### الفصل الرابع / مكانة الكعبة عند العرب

- ٦٤
١. يؤأ الله الكعبة لإبراهيم وذريته عليهم السلام وسماهم الأمة المسلمة .....
٢. أولياء الكعبة هم إبراهيم وذريته المنصوص عليهم عليهم السلام .....
٣. الإمامة عهد الله لإبراهيم وإسماعيل وبعض ذريتهما عليهم السلام .....
٤. نصوص التوراة عن إسكان إبراهيم ذريته في مكة .....
٥. وفاة أحاديث أهل البيت عليهم السلام في الكعبة وإبراهيم وإسماعيل عليهم السلام .....
٦. عقيدة العرب بالكعبة .....
٧. أما الأكاسرة الفرس فكان بعضهم يقدسون الكعبة .....

### الفصل الخامس / آباء النبي ﷺ موحدون لكن السلطة كفرتهم!

٧٣

١. لماذا أصر «الخلفاء» على تكفير آباء النبي ﷺ ..... ٧٣
٢. نفرذ مذهبنا بعقيدة إيمان آباء النبي ﷺ ..... ٧٥
- جَدُّ النبي ﷺ هاشم وعبدالمطلب ..... ٧٧
١. تفوق هاشم جد النبي ﷺ على قريش ..... ٧٧
٢. أمية وهاشم يشبهان قابيل وهابيل ..... ٧٨
٣. عبدالمطلب عليه بهاء الملوك وسيماء الأنبياء ﷺ ..... ٨١
٤. ورثت عبدالمطلب بهاءه إلى أولاده! ..... ٨٢
٥. آيات عبدالمطلب ﷺ في زمر ..... ٨٢
٦. رؤيا عبدالمطلب كروياً أشعيا التي ﷺ ..... ٨٤
٧. شرح رؤيا عبدالمطلب ..... ٨٧
٨. آية عبدالمطلب مع ثقيف ..... ٩٠
٩. آيات عبدالمطلب ﷺ في غزو أبرهة للكعبة ..... ٩١
١٠. عبدالمطلب وأصحاب الفيل ..... ٩٣
١١. تماظم حسد قريش لعبدالمطلب ﷺ ..... ٩٧
١٢. أسس حلف الفضول لمنع الإعتداء على الحجاج ..... ٩٨
١٣. سن عبدالمطلب سنناً فأجرهاها الله في الإسلام ..... ١٠٢
١٤. وهذا يكفي لمن كان له قلب! ..... ١٠٣
١٥. عبدالمطلب: إبراهيم الثاني ..... ١٠٣
١٦. نذر عبدالمطلب ﷺ أحد أبنائه قرباناً للكعبة! ..... ١٠٣
١٧. افتخر النبي ﷺ بجديه ﷺ فقال: أنا ابن الذبيحين ..... ١٠٤
١٨. الذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق ..... ١٠٧
١٩. النبي ﷺ وارث عبدالمطلب ..... ١٠٩
٢٠. وكان عبدالمطلب شاعراً، وكذا أبوطالب ﷺ ..... ١١٤
٢١. أولاد عبدالمطلب عشرة، والعباس ..... ١١٥

## الفصل السادس / والده عبدالله ووالدته آمنه ﷺ ومولده المبارك

١. قلة الروايات عن والدي النبي ﷺ ..... ١١٨
٢. تكريم خاص لوالدي النبي ﷺ وأسرته ..... ١١٨
٣. افتخر النبي ﷺ بأمه وجداته ﷺ ..... ١١٩
٤. عبدالله والدي النبي ﷺ من كبار أولياء الله ..... ١٢٠
٥. تزوج والدي النبي ﷺ وهو في سن السابعة عشرة ..... ١٢٠
٦. خطب عبدالمطلب لابنه عبدالله، وخطب لنفسه ..... ١٢١
٧. حملت به أمه في منى في بيت أبيه عبدالمطلب ..... ١٢٣
٨. المرأة التي عرضت نفسها على عبدالله ..... ١٢٣
٩. توفي عبدالله في المدينة وهو شاب ..... ١٢٤
١٠. ما ورثه النبي ﷺ من أبيه وأمه ﷺ ..... ١٢٤
١١. أمته بنت وهب من كرائم العرب ..... ١٢٥

١٢. تحدثت أمنة عن حملها برسول الله ﷺ ..... ١٢٥
١٣. وُلِد رسول الله ﷺ يوم الجمعة ..... ١٢٧
١٤. بعض الآيات الربانية عند ولادته ﷺ ..... ١٢٩
١٥. نَسَبَ طاهرٌ شامعٌ إلى إبراهيم وأدم ﷺ ..... ١٣١
١٦. رضاع النبي ﷺ من أمه أمنة ﷺ ..... ١٣٣
١٧. نشأته في البادية ورضاعه من حليلة ..... ١٣٥
١٨. وفاؤه ﷺ لحليمة وأولادها ..... ١٣٧
١٩. زيارة النبي ﷺ قبري والديه عبدالله وأمنة ﷺ ..... ١٣٨
٢٠. ظلم المسلمون لنبيهم في والديه ﷺ! ..... ١٣٩
٢١. أم أين حاضنة النبي ﷺ وخادمة فاطمة ﷺ ..... ١٤١

### الفصل السابع / في كفالة جده الحنون ، وبيت عمه الحنون ﷺ

- ١٤٩
١. في كفالة جده الحنون عبدالمطلب ..... ١٤٩
٢. استسقى به جده عبدالمطلب فسقاهم الله تعالى ..... ١٥١
٣. عاش صباه وشبابه في بيت عمه الحنون أبي طالب ﷺ ..... ١٥٢
٤. واستسقى به عمه أبوطالب فسقاهم الله تعالى ..... ١٥٤
٥. حديث يجيزا الراهب مع النبي ﷺ وعمه في الشام ..... ١٥٧
٦. شاعت نبوءة مجيرا عند العرب ..... ١٦٢

### الفصل الثامن / زواجه ﷺ بخديجة ﷺ

- ١٦٥
- سبب زواج النبي ﷺ بخديجة ﷺ ..... ١٦٥
١. سمعت خديجة بكرامته ﷺ فخطبته ..... ١٦٥
٢. خطب أبوطالب خديجة للنبي ﷺ ..... ١٦٦
٣. وهبت خديجة كل أموالها إلى النبي ﷺ ..... ١٦٧
٤. وصار بيت خديجة ﷺ بيت النبي ﷺ ..... ١٦٨
٥. كان النبي ﷺ يمدح خديجة ﷺ ..... ١٧٠
٦. عائشة منبهة ولا تقبل شهادة المئثم ..... ١٧١
٧. أحل الله لنبيه ﷺ من النساء ما شاء ..... ١٧١
٨. اشتهر وفاء النبي ﷺ لخديجة ﷺ ..... ١٧٢
٩. وكانت خديجة أمأ لعملي ﷺ ..... ١٧٣
١٠. عظموا أمر عائشة على باقي نساء النبي ﷺ ..... ١٧٣
١١. أنفق النبي ﷺ على المؤمنين من أموال خديجة ﷺ ..... ١٧٤
١٢. كانت خديجة ﷺ أجمل زوجات النبي ﷺ ..... ١٧٤
١٣. بنات النبي ﷺ أم ربائته؟ ..... ١٧٤

### الفصل التاسع / ولادة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ

- ١٧٧
١. قالوا إن ولادة علي ﷺ في الكعبة متواترة عندهم ، ثم أنكروها! ..... ١٧٧

- ١٧٨..... ٢. رواية يزيد بن قعنب
- ١٨٠..... ٣. دلالة ولادة علي في الكعبة
- ١٨٠..... ٤. إسم علي وإسم حيدة
- ١٨٢..... ٥. ولد علي ﷺ قبل البعثة بعشرين
- ١٨٣..... ٦. أخذ النبي ﷺ علياً ﷺ وهو طفل فراه ليكون له عضداً

#### ١٨٨ الفصل العاشر / مقدمات بعثة النبي ﷺ

- ١٨٨..... ١. حَكَّمَهُ قريش في وضع الحجر قبل بعثته ﷺ
- ١٨٩..... ٢. قبل الأربعين كان ﷺ نبياً وكان يصلي معه علي وخديجة ﷺ
- ١٩٣..... ٣. وروى الجميع أنه صلى وعلياً سبعمائة قبل الناس
- ١٩٤..... ٤. وروى الجميع ما يدل على نبوته ﷺ قبل رسالته!
- ١٩٥..... ٥. زعموا أن إسرائيل نزل عليه قبل جبرئيل

#### ١٩٧ الفصل الحادي عشر / كيف بدأت بعثة النبي ﷺ

- ١٩٧..... ١. رواية أهل البيت ﷺ عن البعثة وابتداء الوحي
- ٢٠٠..... ٢. طامات عائشة التي تبنيها السلطة
- ٢٠٢..... ٣. الموقف الشرعي من رواية عائشة
- ٢٠٤..... ٤. رويوا نحو ما رويوا، وأعرضوا عنه لأجل عائشة!

#### ٢٠٦ الفصل الثاني عشر / المرحلة الأولى دعوة بني هاشم خاصة

- ٢٠٦..... ١. نزل خبر بعثة النبي ﷺ كالصاعقة على زعماء قريش!
- ٢٠٨..... ٢. استمرت العاصفة ثلاث سنين حتى أهلك الله المسهرئين
- ٢٠٩..... ٣. الإنجازات الرسولية في هذه المرحلة
- ٢١٠..... ٤. معنى السرية في المرحلة الأولى للدعوة
- ٢١١..... ٥. آية المسهرئين تكشف تحييط رواة السلطة وكذبهم!
- ٢١٤..... ٦. تحييط الكتاب المعاصرين في مراحل الدعوة تبعاً لرواة السلطة

#### ٢١٦ الفصل الثالث عشر / دعوة النبي ﷺ عشيرته واستنصار قريش ضدهم

- ٢١٦..... ١. بعد بعثته أمره الله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ
- ٢١٧..... ٢. غَيَّبَتْ الحكومات حديث الدار
- ٢٢٠..... ٣. خلافة علي ﷺ كانت محسومة من أول البعثة
- ٢٢١..... ٤. النبا العظيم وصية محمد ﷺ لابن عمه

#### ٢٢٥ الفصل الرابع عشر / أبوطالب ﷺ يوحّد بني هاشم لحماية النبي ﷺ

- ٢٢٥..... ١. أبوطالب يقف في وجه قريش بقوة
- ٢٢٧..... ٢. وشذ أبوطالب فحاول أبوطالب تحريك شهامته فقال :



- أوبلب يحاول اغتيال النبي ﷺ ..... ٢٢٨  
 هلك أوبلب بعد هزيمة قريش في بدر ..... ٢٢٩  
 ٣- عرضوا على أبي طالب أن يأخذ شاباً بدل النبي ﷺ! ..... ٢٢٩  
 ٤. من هو عمارة الذي أرادوا أن يعطوه بدل النبي ﷺ ؟ ..... ٢٣٢  
 ٥- سورة المدثر تفضح رئيس المستهزئين الوليد بن المغيرة! ..... ٢٣٣  
 ٦- أبوطالب يطلق لاميته في بلاد العرب ..... ٢٣٥  
 ٧- ملاحظات حول لامية أبي طالب ﷺ وشعره ..... ٢٤٥

## ٢٤٨ الفصل الخامس عشر / الإسراء والمعراج

- ١- آيات الإسراء والمعراج ..... ٢٤٨  
 ٢- كان الإسراء والمعراج بالجسد والروح ..... ٢٤٨  
 ٣- برنامج رباني لإعداد النبي ﷺ ..... ٢٤٩  
 ٤- عُج بالنبي ﷺ مئة وعشرين مرة! ..... ٢٥٠  
 ٥- الإسراء والمعراج من عقائد الإسلام ..... ٢٥١  
 ٦- هل المسجد الأقصى مسجد القدس أو البيت المعمور؟ ..... ٢٥٢  
 ٧- علّمه الله في المعراج علم ما يكون ..... ٢٥٤  
 ٨- كان الإسراء إلى المدينة وكوفان والطور وبيت المقدس ..... ٢٥٦  
 ٩- استنفر أبوطالب ليلة الإسراء لأنه افتقد النبي ﷺ ..... ٢٥٨  
 ١٠- رأت قريش آيات المعراج فزادت كفراً وعتواً ..... ٢٦٠  
 ١١- صفة البراق الذي حمل النبي ﷺ في معراجه ..... ٢٦١  
 ١٢- النبي ﷺ سيركب البراق يوم القيامة ..... ٢٦٣  
 ١٣- ركب إبراهيم ﷺ البراق والمهدي ﷺ سيركبه ..... ٢٦٤  
 ١٤- قيص المعراج وقيص أجد من ماريث الأنبياء ﷺ ..... ٢٦٤  
 ١٥- معنى سدرة المنتهى ..... ٢٦٥  
 ١٦- لم يزل النبي ﷺ ربه يعينه بل رأى من آياته الكبرى ..... ٢٦٦  
 ١٧- زعم أتباع السلطة أنه رأى ربه في داره شاباً أمرد! ..... ٢٦٨  
 ١٨- أخذ الله ميثاق الأنبياء ﷺ للنبي وآله ﷺ ..... ٢٧٠  
 ١٩- حديث النبي ﷺ مع ملك الموت ﷺ ..... ٢٧٣  
 ٢٠- آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ..... ٢٧٤  
 ٢١- كلم الله نبيه ﷺ في المعراج بصوت علي ﷺ ..... ٢٧٥  
 ٢٢- أراه الله تعالى مكانة المؤمن عنده ..... ٢٧٧  
 ٢٣- تشريع الصلاة في المعراج ..... ٢٧٧  
 ٢٤- ردّ أهل البيت ﷺ مزا عم الآخرين في تشريع الأذان ..... ٢٨٠  
 ٢٥- أخبر الله تعالى نبيه ﷺ أنه سيمنحه في ثلاث ..... ٢٨١

- ٢٨٣ ..... مكانة عترة النبي ﷺ
- ٢٨٦ ..... المزيد من أحاديث مقام النبي وآله ﷺ
- ٢٨٤ ..... رأى النبي ﷺ مستقبل أهل بيته ﷺ
- ٢٩٤ ..... العنف واللامعقول والمكذوبات في أحاديث المعراج!
- ٣٠٠ ..... ربط النبي ﷺ البراق للجهرب!
- ٣١٠ ..... إمتحان للرسول ﷺ غير معقول!
- ٣٢٦ ..... أكذوبة شق صدر النبي ﷺ
- ٣٣٧ ..... الأنبياء يصلون في قبورهم
- ٣٤٧ ..... النساء الملققات بأثناهن!
- ٣٤٨ ..... رواية وحيدة في مصادرها
- ٣٥٥ ..... نماذج أخرى من رواياتهم المكذوبة في المعراج

### الفصل السادس عشر / أول من أسلم وأول من أعلن إسلامه

- ٣٠٣ ..... أول من أسلم وأعلن إسلامه: عليّ وخديجة ﷺ
- ٣٠٧ ..... إسلام جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه
- ٣١٠ ..... كان أبوطالب وحمزة يخفيان إسلامهما
- ٣١٥ ..... زيد بن حارثة الذي اختار النبي ﷺ على أبيه!
- ٣١٦ ..... أبوذر الغفاري رضي الله عنه رابع المسلمين المعلنين إسلامهم
- ٣٢٥ ..... إسلام عمرو بن عبسة السلمي أخ أبي ذر لأمه
- ٣٢٧ ..... قالوا أوبىكر أول من أسلم وقال سعد أسلم بعد خمسين
- ٣٢٨ ..... خامس المسلمين خالد بن سعيد بن العاص الأموي
- ٣٣٩ ..... من أوائل المسلمين عميدة بن الحارث بن عبدالمطلب
- ٣٤٢ ..... إسلام عمار والديه ياسر وسيمية رضي الله عنهم

### الفصل السابع عشر / ولادة الصديقة الزهراء ﷺ وبقية أولاد النبي ﷺ

- ٣٤٩ ..... لم تتزوج خديجة ﷺ قبل النبي ﷺ
- ٣٥١ ..... عدد أولاد النبي ﷺ
- ٣٥٢ ..... زينب وأم كلثوم ورقية: بنات، أم رباب؟
- ٣٥٢ ..... مؤيدات لرأي السيد جعفر مرتضى
- ٣٥٤ ..... خضرت الله ذرية نبيه ﷺ بفاطمة ﷺ
- ٣٥١ ..... لكن النبي ﷺ يؤمن بالبداة ولا يحتم على ربه
- ٣٥٧ ..... سورة الكوثر بشارة ربانية بالذرية الطاهرة
- ٣٥٨ ..... سنة ولادة فاطمة الزهراء ﷺ
- ٣٥٩ ..... ولدت ﷺ في العشرين من جمادى الثانية
- ٣٦١ ..... فاطمة استثنائية لا تقاس بها امرأة
- ٣٦٣ ..... عائشة تشهد بأن فاطمة ﷺ أصدق الناس لهجة

- كانت فاطمة عليها السلام تسكن مع أبيها في مكة والمدينة ..... ٣٦٣
- غرفة فاطمة عليها السلام وبيتها في المدينة ..... ٣٦٤
- الفصل الثامن عشر / المرحلة الثانية ، الدعوة العامة : فاصدع بما تؤمر**
- ١- عدد سكان مكة وموقع قريش في العرب ..... ٣٦٧
- ٢- رؤساء قريش عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ..... ٣٦٨
- ٣- قريش معدن فراغة وأكثرهم حق عليهم القول! ..... ٣٧١
- ٤- فراغة قريش أكثر من خمسة والمؤذون للنبي صلى الله عليه وسلم بالعشرات ..... ٣٧٣
- ٥- المستهزئون الخمسة عقبة أزاحها الله من طريق الدعوة! ..... ٣٧٥
- ٦- رئيس المستهزئين الوليد بن المغيرة ..... ٣٧٧
- ٧- إهلاك المستهزئين غتر ميزان القوة لصالح النبي صلى الله عليه وسلم ..... ٣٨٤
- الفصل التاسع عشر / تعذيب المسلمين في مكة**
١. ملاحظات حول المعذبين لإسلامهم ..... ٣٩١
٢. أسماء المعذبين ..... ٣٩٤
- الفصل العشرون / مكذوبات السلطة في دار الأرقم**
- من مكذوبات رواة السلطة في دار الأرقم ..... ٣٩٨
- الفصل الحادي والعشرون / هجرة المسلمين إلى الحبشة**
١. ملاحظات حول الهجرة ..... ٤٠٣
٢. دور جعفر بن أبي طالب عليه السلام في الحبشة ..... ٤١٤
- الفصل الثاني والعشرون / محاصرة قريش لبني هاشم في شعب أبي طالب**
١. مؤتمرزعماء قريش لإجبار بني هاشم على تسليم النبي صلى الله عليه وسلم ..... ٤١٨
٢. أعطونا ابنكم لقتله، وإلا ..... ٤١٩
٣. النبي صلى الله عليه وسلم يخلد مكان المؤتمروطغيان زعمائه ..... ٤٢٠
٤. أبو طالب يحصن الشعب ويحرس النبي صلى الله عليه وسلم! ..... ٤٢٢
٥. بعد سنوات الحصار جاءت المعجزة الإلهية ..... ٤٢٣
٦. سنوات الحصار والشدائد على بني هاشم ..... ٤٢٣
٧. أبو طالب يؤرخ بقصائده حصار الشعب ..... ٤٢٦
٨. رواة الخلافة جعلوا لئوم قريش نبلاً! ..... ٤٣١
٩. لك الله يا أبا طالب! ..... ٤٣٣
١٠. كذبة المليون أوقية ذهب وأخواتها! ..... ٤٣٤
١١. علي بن أبي طالب عليه السلام منكور الفضل كأيبه! ..... ٤٣٥

الفصل الثالث والعشرون / عام وفاة أبي طالب وخديجة عليهما السلام: عام الحزن ٤٣٧

١. أبو طالب عليه السلام يقود عملية كسر الحصار قبيل وفاته ..... ٤٣٧
٢. أبو طالب يُودّع حبيبه عليه السلام ويوصيه بالهجرة إلى المدينة ..... ٤٣٩
٣. جمع بني هاشم قبل وفاته وأوصاهم بالنبي عليه السلام ..... ٤٤١
٤. وصَلَّتْكُمْ رَحْمَةُ بَآئِمَةٍ وَجَزَاكُمُ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا ..... ٤٤١
٥. وفاة خديجة وأبي طالب عليهما السلام قبل الهجرة بستين وكسر ..... ٤٤٣
٦. سماه رسول الله عليه السلام: عام الحزن! ..... ٤٤٤
٧. هاجمت قريش النبي عليه السلام مرات لتقتله فخابت! ..... ٤٤٥
٨. دفنها النبي عليه السلام في مقبرة العلاب بالحجون ..... ٤٤٦
٩. الوهابيون انتقموا من خديجة! ..... ٤٤٧
١٠. وانتقم القرشيون من أبي طالب عليه السلام بعد موته! ..... ٤٤٧
١١. معنى شفاعة النبي عليه السلام لأبي طالب عليه السلام ..... ٤٥٠
١٢. سافر النبي عليه السلام إلى الطائف وطلب حماية تعقيف ..... ٤٥١
١٣. دعاء النبي عليه السلام في الطائف ..... ٤٥٣
- كان علي عليه السلام وزيد مع النبي عليه السلام في سفره إلى الطائف ..... ٤٥٣
١٤. طلب النبي عليه السلام الجوار من مطعم لكسر قرار قريش ..... ٤٥٣
١٥. لم يتزوج النبي عليه السلام في مكة بعد خديجة عليها السلام ..... ٤٥٧
١٦. أرسله الله تعالى إلى الإنس والجن ..... ٤٥٨

الفهرس

الفصل الرابع والعشرون / النبي عليه السلام يعرض نفسه على القبائل لحمايته من قريش ٤٦٠

- ١- بدأ عليه السلام يعرض نفسه على القبائل من السنة الرابعة ..... ٤٦٠
- ٢- استمرت مفاوضة النبي عليه السلام مع الأنصار بضع سنين ..... ٤٦٨

الفصل الخامس والعشرون / النبي عليه السلام يأخذ البيعة من الأنصار استعداداً للهجرة ٤٧٨

- النبي عليه السلام يكون قاعدة لدعوته في المدينة ..... ٤٧٨

الفصل السادس والعشرون / خطبة قريش المبرمة لقتل النبي عليه السلام ٤٨٣

- ١- قريش تستنفر لقتل النبي عليه السلام بعد بيعة الأنصار ..... ٤٨٣
- ٢- ميبت علي عليه السلام في فراش النبي عليه السلام يفديه بنفسه ..... ٤٨٨
- آية ميبت علي عليه السلام على فراش النبي عليه السلام ..... ٤٩٤

الفصل السابع والعشرون / هجرة النبي عليه السلام إلى المدينة ٤٩٨

- ١- أحكت قريش خطتها لقتله فنصره الله ..... ٤٩٨
- ٢- استنفرت قريش في طلب النبي عليه السلام ..... ٤٩٩
- ٣- رفقاء النبي عليه السلام في الهجرة ..... ٥٠٠

- ٥٠٤ - سراقه بن جشم يحاول قتل النبي ﷺ أو أسره.....
- ٥٠٦ - لماذا أخذ النبي ﷺ أبابكر معه.....
- ٥٠٦ بكى أبوبكر لما جاء سراقه!.....
- ٥٠٧ ليس في آية الفار مدح لأي بكر.....
- ٥١١ كذبة ذات النطاقين.....
- ٥١٢ النبي ﷺ في ضيافة أم معبد.....
- ٥١٣ وصول النبي ﷺ إلى المدينة.....
- ٥١٦ نزل النبي ﷺ في قباء وهي ضاحية المدينة.....
- ٥١٨ تشيد أهل المدينة: طَلَعَ البدرُ علينا.....
- ٥١٩ ترك أبوبكر النبي ﷺ بقباء وذهب غاضباً!.....
- ٥٢٠ إسلام سلمان الفارسي في قباء.....
- ٥٢٢ من مناقب سلمان الفارسي رضي الله عنه.....

#### ٥٢٦ الفصل الثامن والعشرون / الهجرة العنينة الوحيدة: هجرة علي رضي الله عنه

- ٥٢٦ - علي رضي الله عنه يؤدي أمانات النبي ﷺ جهاراً في مكة.....
- ٥٢٧ - علي رضي الله عنه يتحدى قريشاً ويعلن عزمه على الهجرة!.....
- ٥٢٧ - قريش تدبر محاولة لاغتصاب علي رضي الله عنه قبل هجرته.....
- ٥٢٨ - واخترعت قريش مكيدة مالية لعلي رضي الله عنه قبل هجرته.....
- ٥٢٩ - انتظر النبي ﷺ علياً رضي الله عنه في قباء وكتب اليه وطمأنه.....
- ٥٢٩ - علي رضي الله عنه يدوس غطرسة قريش.....
- ٥٣٠ - فاطمة بنت أسد أول مسلمة هاجرت مشياً.....
- ٥٣١ - ونزلت آيات القرآن تصف علياً رضي الله عنه والفاطمم في طريق الهجرة.....
- ٥٣٢ - مجلت السلطة برواية هجرة أمير المؤمنين رضي الله عنه.....
- ٥٣٣ - سرقوا مناقب علي رضي الله عنه وأعطوها لعمر!.....

#### ٥٣٥ الفصل التاسع والعشرون / أبو أيوب الأنصاري اختاره الله لضيافة رسوله ﷺ

- ٥٣٥ أبو أيوب الأنصاري، خالد بن زيد.....

#### ٥٤٧ الفصل الثلاثون / النبي ﷺ يؤسس مسجد قباء

- ٥٤٧ - ١- مسجد قباء: أول مسجد أسس على التقوى.....
- ٥٤٨ - ٢- مسجد الضرار خطة رومية ضد النبي ﷺ!.....
- ٥٤٩ - ٣- أبو عامر الراهب الفاسق مندوب هرقل.....
- ٥٥٠ - ٤- حنظلة بن أبي عامر الفاسق وابنه عبدالله!.....

الفصل الحادي والثلاثون / فريضة الهجرة وحقوق المهاجرين في الإسلام

- ٥٥٢  
٥٥٢- ١- أمر النبي ﷺ بجمع المسلمين بالمجرة .....  
٥٥٣- ٢- جعل الله الهجرة ميّزناً للإيمان والحقوق .....  
٥٥٦- ٣- القيمة الشرعية لإجماع المهاجرين والأنصار .....  
٥٥٧- ٤- من أعمال السلطة لتحريف الهجرة ومصادرتها .....

٥٦١ الفصل الثاني والثلاثون / القرآن المكي والمدني

- ٥٦١- ١- قياسهم القرآن بكتب البشر! .....  
٥٦٢- ٢- هزّت آيات القرآن وجدان العرب وعقولهم .....  
٥٦٤- ٣- أكذوبة احتباس الوحي عن رسول الله ﷺ .....

٥٦٨ الفصل الثالث والثلاثون / بعض صفات النبي وأخلاقه ومعجزاته ﷺ

- ٥٦٨- ١- من وصف أمير المؤمنين ﷺ لرسول الله ﷺ .....  
٥٧٠- ٢- من وصف بقیة الأئمة ﷺ لرسول الله ﷺ .....  
٥٧٣- ٣- حديث الإمام الحسن ﷺ في صفة النبي ﷺ .....  
٥٧٧- ٤- حديث الإمام الكاظم ﷺ في معجزات النبي ﷺ .....  
٥٨٦- أسماء النبي ﷺ وألقابه .....

٥٨٨ الفصل الرابع والثلاثون / المدينة عند هجرة النبي ﷺ

- ٥٨٨- ١. النبي ﷺ يدخل عاصمته ويؤسس المسجد النبوي .....  
٥٩٣- ٢. المدينة واحاًً وزراعية سكنها العرب البعثيون .....  
٥٩٤- ٣. عدد سكان المدينة عند هجرة النبي ﷺ .....  
٥٩٥- ٤. عدد المسلمين المهاجرين إلى المدينة .....  
٥٩٥- ٥. كيف تم إسكان المسلمين المهاجرين في المدينة .....  
٥٩٨- ٦. الوضع السياسي العالمي عند تأسيس النبي ﷺ لدولته .....

٦٠٠ الفصل الخامس والثلاثون / النبي ﷺ يرسي أسس الدولة الإسلامية

- ٦٠٠- ١- أخى النبي ﷺ بين المسلمين، واتخذ علياً ﷺ أخاً له .....  
٦٠٢- أسماء الذين أخى بينهم النبي ﷺ .....  
٦٠٧- ٢- النبي ﷺ يرسي ميثاق الدولة الإسلامية ويحدد دستورها .....  
٦٠٨- أ. التعاقد بين رسول الله ﷺ وبين المسلمين .....  
٦٠٨- ب. التعاقد لتحديد إقليم الدولة ومكان المجتمع الجديد .....  
٦٠٩- ج. التعاقد مع أتباع الديانات المقيمين في المدينة .....  
٦١٠- د. تكييف هذا العقد .....  
٦١٠- هـ. المخطوط العريضة لهذا الملحق أو العقد التنظيمي .....  
٦١٢- ٣. هل كانت حروب النبي ﷺ دفاعية أم هجومية؟ .....

- ٤- حقائق غابت عن المُتَّهِمِينَ والمدافعين ..... ٦١٣
- ٥- أذن الله لرسوله ﷺ بقتال المشركين ..... ٦١٥

### ٦١٨ الفصل السادس والثلاثون/ زواج النبي ﷺ بعد وفاة خديجة ﷺ

- ٦١٨ لم يتزوج النبي ﷺ على خديجة وتزوج بعد هجرته ..... ٦١٨
- ٦٢٠ أم سلمة أفضل أزواج النبي ﷺ بعد خديجة ﷺ ..... ٦٢٠
- ٦٢١ خطبة النبي ﷺ لأم سلمة ..... ٦٢١
- ٦٢٢ أمينة النبي ﷺ وعترته ﷺ ..... ٦٢٢
- ٦٢٥ طلب معاوية شهادتها بإمامة علي ﷺ ..... ٦٢٥
- ٦٢٦ من امتيازاتها على نساء النبي ﷺ ..... ٦٢٦
- ٦٢٨ أذى نساء النبي ﷺ لأم سلمة! ..... ٦٢٨
- ٦٣٠ أم سلمة عند وفاة النبي ﷺ ..... ٦٣٠
- ٦٣١ أدانت أم سلمة أهل السقيفة ..... ٦٣١
- ٦٣٣ نصيحة أم سلمة لعائشة أن لاتعصي النبي ﷺ ..... ٦٣٣
- ٦٣٦ لماذا لايسمون أم سلمة: أم المؤمنين؟ ..... ٦٣٦
- ٦٣٧ أولاد أم سلمة ..... ٦٣٧
- ٦٣٨ سودة بنت زمعة أول زوجات النبي ﷺ بعد خديجة ﷺ ..... ٦٣٨

### ٦٤٢ الفصل السابع والثلاثون/ زواج علي وفاطمة ﷺ

- ٦٤٢ ١- حَظَّتْهَا كِبَارُ الصَّحَابَةِ فَرَدَّمَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ! ..... ٦٤٢
- ٦٤٣ ٢- تولى الله أمر فاطمة ﷺ دون أبنائها ﷺ ..... ٦٤٣
- ٦٤٤ ٣- عرس الزهراء ﷺ أعظم عرس في تاريخ الأنبياء ﷺ ..... ٦٤٤
- ٦٤٥ ٤. أيها الرسول: زوج النور من النور ..... ٦٤٥
- ٦٤٦ ٥. خطبة علي ﷺ الرسمية وجواب النبي ﷺ ..... ٦٤٦
- ٦٤٧ ٦. عرس فاطمة ﷺ في السماء ..... ٦٤٧
- ٦٤٩ ٧. تهيئة النبي ﷺ منزل فاطمة وعلي ﷺ ..... ٦٤٩
- ٦٤٩ ٨. وصف أثاث بيت فاطمة ﷺ ..... ٦٤٩
- ٦٥٠ ٩. أفخم الأعراس عرس فاطمة ﷺ ..... ٦٥٠
- ٦٥٠ ١٠. وليمة الزفاف بعد شهر من العقد ..... ٦٥٠
- ٦٥٢ ١١. تزيين النساء لفاطمة ﷺ ..... ٦٥٢
- ٦٥٢ ١٢. مراسم زفاف فاطمة لعلي ﷺ ..... ٦٥٢
- ٦٥٥ ١٣. صديقات أمها ﷺ حضرن عرسها ..... ٦٥٥
- ٦٥٥ ١٤. ولادة الإمام الحسن ﷺ ..... ٦٥٥
- ٦٥٨ ١٥. ولادة الإمام الحسين ﷺ ..... ٦٥٨

## الفصل الثامن والثلاثون / هدف سرايا النبي ﷺ وحرابه

- ٦٦٠  
١- عدد سرايا النبي ﷺ وغزواته وحرابه ، وهدفها ..... ٦٦٠  
٢- معجزة إنشاء الأمة والمد الحضاري! ..... ٦٦٢  
٣- سرايا النبي ﷺ وغزواته قبل بدر ..... ٦٦٢  
٤- مشروعية سياسة النبي ﷺ في السرايا والغزوات ..... ٦٦٥

## الفصل التاسع والثلاثون / معركة بدر . يوم الفرقان

- ٦٦٩  
١- معالم معركة بدر ونتائجها ..... ٦٦٩  
١. موقع بدر ..... ٦٦٩  
٢. كانت مدة المعركة نصف نهار ..... ٦٦٩  
٣. وعد الله المسلمين بالنصر في بدر ..... ٦٧٠  
٤. عدد أهل بدر مقدس، وليس كل البدرين مقدسين ..... ٦٧١  
٥. كان عدد المشركين تسع مئة وخمسون ..... ٦٧٢  
٦. نزل الملائكة في بدر ومعهم جبرئيل ﷺ ..... ٦٧٤  
٧. وكان الشيطان في معركة بدر ..... ٦٧٥  
٨. كان شعار المسلمين في بدر: يا نصر الله اقترب اقترب ..... ٦٧٦  
٢. معركة بدر فرقان في تكوين الأمة الإسلامية ..... ٦٧٧  
١. حدد الله هدف معركة بدر ..... ٦٧٧  
٢. سمى الله بدرأ يوم الفرقان ..... ٦٧٨  
٣. بدر فرقان في تكوين شيعة العترة ..... ٦٧٩  
٤. كان تشريع الحنص قبل بدر ..... ٦٨٠  
٣- خلاصة معركة بدر ..... ٦٨١  
١. يُسَأَفُونَ إِلَى الْمُنْتَزِ! ..... ٦٨١  
٢. منام عائكة بنت عبدالمطلب ..... ٦٨٢  
٣. أثرياء قريش يمولون الحرب ..... ٦٨٣  
٤. جيش النبي ﷺ المتواضع الفقير ..... ٦٨٣  
٥. عقلاء من بني عبدمناف ضد الحرب، لكن! ..... ٦٨٥  
٦. خاف المسلمون من جيش قريش! ..... ٦٨٦  
٧. وخاف المشركون من المسلمين! ..... ٦٨٦  
٨. وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْتَنِعْ هُنَا ..... ٦٨٧  
٩. أطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم ..... ٦٨٨  
١٠. أبوجهل ينصح قريشاً! ..... ٦٩٠  
١١. شأهت الوجوه! ..... ٦٩٠  
١٢. أسرى من بني هاشم ..... ٦٩١  
١٣. الرجيل من بدر إلى المدينة ..... ٦٩٢  
٤- أضواء من سيرة النبي ﷺ في بدر ..... ٦٩٤  
١. رسالة أبي جهل إلى النبي ﷺ ..... ٦٩٤  
٢. سَهْرَمَ الْحَيْعَ وَيُؤَلُونَ الدُّبَيْرَ ..... ٦٩٦



- ٦٩٧ ..... ٣. من أدعية النبي ﷺ في بدر وغيرها.
- ٦٩٨ ..... ٤. وعطش النبي ﷺ فاستق لهم علي ﷺ.
- ٦٩٩ ..... ٥. كانت وقعة بدر يوم الجمعة.
- ٧٠٠ ..... ٦. خاطب النبي ﷺ فراعنة المشركين.
- ٧٠٠ ..... ٧. أوجهل فرعون الفراعنة.
- ٧٠١ ..... ٨. أبو حذيفة بن عتبة وابنه محمد.
- ٧٠٢ ..... ٩. وخاطب علي ﷺ طلحة في البصرة وقاضي القضاة.
- ٧٠٢ ..... ١٠. أظفر النبي ﷺ وخالفه بعضهم فسامهم العصاة.
- ٧٠٣ ..... ٥. أضواء من سيرة علي ﷺ في بدر.
- ٧٠٣ ..... ١. أحس علي ﷺ بالملائكة وسلموا عليه.
- ٧٠٤ ..... ٢. علمه الحضرة دعاء قبل بدر.
- ٧٠٤ ..... ٣. بدر أول معركة خاضها علي ﷺ.
- ٧٠٥ ..... ٤. سطع نجم علي ﷺ في بدر.
- ٧٠٨ ..... ٥. يقاتل ثم يعود ليظمن على النبي ﷺ.
- ٧٠٩ ..... ٦. مدحه النبي ﷺ في بدر ورفع بيده.
- ٧٠٩ ..... ٧. وكان معه جبرئيل وميكائيل وعزرائيل.
- ٧١٠ ..... ٨. كانت بدر ثالث امتحان لأئمة المؤمنين.
- ٧١٢ ..... ٩. نزل جبرئيل بذئ الفقار على النبي ﷺ في بدر.
- ٧٢١ ..... ١٠. غُزُّ السُّلطة في الصحابة البدرين، عُزِّر علي.
- ٧٢٢ ..... ٦. منافقون تحمسوا للقتال في مكة ونكصوا في بدر!
- ٧٢٤ ..... ٧. مرضى القلوب «مكيون بدريون»!
- ٧٢٨ ..... ٨. «صحابا» اتهموا النبي ﷺ بأنه غُلَّ.
- ٧٣٠ ..... ٩. سبب تعمد «الخلافة» الغلو في أهل بدر؟
- ٧٣١ ..... ١٠. التعجب من أغلاط العامة في الصحابة!
- ٧٣٥ ..... ١١. ماذا قال الشيخان لما استشارهم النبي ﷺ بشأن بدر؟
- ٧٣٨ ..... ١٢. افتراؤهم على النبي ﷺ بأنه أخطأ وأصاب عمرا!
- ٧٤٠ ..... ١٣. معنى: حَتَّى يُثَجِّنَ فِي الْأَرْضِ.
- ٧٤٠ ..... ١٤. أكذوبة: لونزل العذاب ما نحى منه إلا ابن الخطاب!
- ٧٤٢ ..... ١٥. أكذوبة مشاورة النبي ﷺ لأبي بكر في العرش.
- ٧٤٥ ..... آيات في الفرار إلى الصفوف الخلفية.



سيرة ابن هشام هي السيرة الرسمية عند جمهور المسلمين،  
وقد أخذها من سيرة ابن إسحاق وصاغها كما تريد الخلافة  
العباسية . وقد ألف علماء الشيعة عدداً من الكتب في السيرة ،  
وهي بشكل عام نقد للسيرة الرسمية .  
أما هذه السيرة فهي تتحرى رواية أهل البيت عليهم السلام ورأي علماء  
مذهبهم في أحداث السيرة النبوية .



کتابخانه مجلس شورای اسلامی  
تلفون: ۰۰۹۸ (۰) ۳۰ ۳۲۹۳۹۱۴۰

ایران - قم - شارع مصلى القدس - رقم ۶۸۲  
تلفون: ۰۰۹۸ (۰) ۳۰ ۳۲۹۳۹۱۴۰

